

مَجَلَّةٌ عَلَيْهِ تَبَحْثُ فِي آيَاتِ سُورَةِ وَتَارِيخِهَا

1900-1908

الصفحة

٨٥	مساهمة في دراسة حكم الملك المنظم	تعريب وتلخيص الاستاذ عدنان البني .
٩٥	الموسم العاشر لحفريات ماري	» » بشير زهدي .
١٠٣	خاتم اسطوان في دير خاية	» » » » .
١٠٧	تقرير عن الحفريات في الرصافة	الدكتور كامل عباد . .
١١٩	ركامات العظام في خربة الاونباشي	ع . ب . .
١٢٦	حفريات الرصافة	الدكتور كامل عباد . .
١٣٧	تحريات تاريخية وأثرية	الدكتور جورج حداد .
١٤٩	التحقيقات الأثرية في الجزيرة	الدكتور نور الدين حاطوم .
١٦٦	نتائج الموسم الثامن عشر لحفريات رأس شجرة	الدكتور جورج حداد .
١٧١	حفريات عمريت	الدكتور نور الدين حاطوم .
١٨٠	الكتابة الفبرسية	الاستاذ بشير زهدي .



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

مجلة الحوليات الأثرية السورية

مجلة علمية أثرية تاريخية ، تصدرها مديرية الآثار العامة في سورية مرتين في السنة ، غايتها دراسة تاريخ سورية وآثارها ، ونشر أخبار المكتشفات الأثرية السورية ، وإيضاح الأعمال الفنية التي تقوم بها مديرية الآثار العامة ، وإفساح المجال أمام العلماء السوريين للمساهمة بالفاعلية العلمية العالمية ، وتعميم الثقافة الأثرية في البلاد السورية .

وتشرف على تحريرها وإصدارها لجنة مؤلفة من :

الدكتور سليم عادل عبد الحق	مدير الآثار العام
الدكتور جورج حداد	رئيس فرع التاريخ في كلية الآداب من الجامعة السورية
الأستاذ مطيع الم رابط	مدير الشؤون الإدارية في مديرية الآثار العامة
الأستاذ فيصل الصيرفي	محافظ متحف حلب

بدل الاشتراك في هذه المجلة :

الاشتراك السنوي في سورية	٢٠ ليرة سورية
الاشتراك السنوي في خارج البلاد	٥٠ شلناً إنكليزياً أو ما يعادلها بالدولارات والفرنكات
ثمن الجزء الواحد في سورية	١٠ ليرات سورية
ثمن المجلد في سورية	٢٠ ليرة سورية
ثمن الجزء الواحد خارج سورية	٢٥ شلناً أو ما يعادلها

وقد تألف مجلس الإدارة في مديرية الآثار العامة لسنة ١٩٥٤ - ١٩٥٥ من السادة :

الدكتور سليم عادل عبد الحق	مدير الآثار العام
الأستاذ رفيع السبوي	أمين عام وزارة المالية
الأستاذ رزق الله سالم	النائب في المجلس النيابي
الدكتور جورج حداد	رئيس فرع التاريخ في كلية الآداب
الأستاذ مطيع الم رابط	مدير الشؤون الإدارية في مديرية الآثار العامة
عضو سادس	يمثل فرعاً من فروع مديرية الآثار العامة



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

نتشرف مديرية الآثار العامة أن تقدم
هذا المجلد من مجلته الحوليات الأثرية السورية

إلى

صاحب القنصلية السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية
وفدلك الرعاية السامية للآثار السورية

الأشياء الأثرية الثمينة المكتشفة في مقبرة من العهد الروماني بالقريين نوى (حوران)

للكنور سليم عادل عبد الحق
مدير الآثار العام

بلغنا ، في شهر حزيران من سنة ١٩٥٥ ، أن اشياء أثرية ثمينة اكتشفت خلال حفرة سرية ، وأن هذا الاشياء بين أيدي بعض سكان طفس في -حوران- . فسارع مفتش الآثار الاستاذ عبد القادر الريحاوي بالشعوص الى القرية المذكورة للتحقيق . وما كاد يفارق دمشق حتى وفد علينا أحد تجار الآثار الدمشقيين ، وقد تمكن من اتياع بعض هذه الاشياء ، وعرضها على المتحف الوطني لبيعنا إياها بدوره . وهي تتألف من خوذته بحالة سيئة - أطلق عليها منذ الآن اسم (الخوذته ١) وقناع برونزي لحصان ، وسراج ومجرود برونزين ، وبعض الأسلحة الحديدية التي أكلها الصدأ ، وأفراس وأزرار برونزية معطمة بالفضة ، وأوان زجاجية وغيرها .

وتمكننا من الحصول على بعض المعلومات من هذا التاجر ، وأضفنا إليها نتائج هامة انجلى عنها تحقيق مفتشنا الاستاذ الريحاوي في قريتي طفس ونوى ، كان بتيجتها أن نأكد لنا ان اشياء أثرية ثمينة أخرى مازال في حوزة بعض الفلاحين الذين نجعل اسماءهم . فطلبنا من فضيل الدرك في محافظة حوران أن يساعدنا على وضع اليد على هذه الاشياء الباقية . فما كان من قائد هذا الفصل المقدم يوسف الطحان إلا أن أوعز إلى رجاله بالبحث الدقيق ، والمعمل المستمر حتى تكتشف هذه الاشياء . وما زال رجال الدرك الشيطون يضيقون المسالك على مقتنيها حتى كشفوا عن هوياتهم ، وما كان من هؤلاء الا أن أبرزوها بعد ان نالوا وعداً بتعويض الدولة لهم تمويصاً مناسباً عنها . وإذا بها متألفة من قناع من البرونز المطلي بالفضة يخص الخوذته الاولى ، وخوذته

ثانية بحالة جيدة سأميها اعتباراً من الآن (الخوذة ب) ، وحلقة برونزية كان يستعملها المصارعون في زمن الرومان ، وأسلحة حديدية وأقراص وأزرار برونزية أخرى .

ولما استولينا على كل هذه الاشياء الثمينة كان هنما أن نستعلم عن المكان الذي عثر فيه عليها ، وعن كيفية اكتشاف الفلاحين لها . فأحالتنا هؤلاء إلى جماعة من المنقبين السريين الفلاحين سكان قرية نوى الذين اعتادوا في سنوات المحل ، ان ينقبوا في قبور قديمة محفورة في تل أم حوران والذين اكتشفوها لدى فتحهم أحد قبور التل المذكور في بداية صيف عام ١٩٥٥ .

ويقع تل أم حوران بين قرية نوى وقرية ثانية اسمها جاسم ، وله شكل بيضوي ينتهي جنوباً بشكل مستطيل ؛ ويبلغ طوله ٦٠٠ متر ، وعرضه ٥٠٠ متر ، ولا يتجاوز ارتفاعه ٣٠ متراً . وأسرعنا لايقاد الاستاذين عدنان البني ونظمي خبير من موظفي فرع الحفريات والدراسات لاعادة تمثيل الحفيرة السرية في الارض التي أجريت فيها ، حيث شوهد قبر كبير مفتوح في طرف التل الشرقي .

وكان أن درس الاستاذان المذكوران جميع أطراف التل ، وتأكدوا لها فيه وجود عدد من القبور الأخرى التي تقبت في أزمان مختلفة . وعندئذ عزمنا على اجراء تنقيبات واسعة في هذا المكان وعهدنا بتنفيذها إلى الاختصاصيين المذكورين مع عدد من الموظفين الآخرين . وقام هؤلاء الخبراء خلال ثمانين يوماً بالحفر والبحث في كل مناطق التل حتى في القبور المفتوحة سابقاً ، وبلغ عدد هذه القبور نحو ٢٥٠ قبراً . وشوهد أنها على أنواع مختلفة منها الحفر البسيطة ومنها القبور المحمولة على شكل الآبار ، ومنها المقابر المنقوبة في الصخر على شكل حجرات فيها قبور متعددة . وجمع موظفوننا منها أشياء أثرية كثيرة جداً ، منها الأدوات البرونزية المختلفة ، والأسلحة ، والاشياء العاجية والزجاجية . وآمل أن ينهي المكلفون بهذه الحفريات قريباً دراساتهم لها فيتحفوتنا بتقرير ينشر في هذه المجلة عن العمل الرائع الذي نفذوه بكل براعة .

ولن أدرس في الصفحات المقبلة إلا باختصار المكتشفات التي عثر عليها المنقبون السريون ، ولا يخفى أن أخبار هذه المكتشفات انتشرت في انحاء العالم ، وتقلتها الصحف ومحطات الاذاعة في كثير من البلاد المتقدمة . ولزام علينا ان تقدم إلى جمهورنا المثقف خلاصة الدراسات التي أجريناها عليها حتى الآن (١) . ولا يختلف القبر الذي كان يضم جثمان صاحبها كثيراً عن غيره من قبور التل . فهو محفور على عمق (٥،٢٢م) ، ويتألف من طابقين ، العلوي منها حفرة بسيطة مستطيلة في التراب ، والسفلي حفرة مستطيلة أيضاً إلا أنها مبنية بأحجار مقطوعة ومنحوتة ، وكان يفصلها عن الحفرة المتقدمة ست بلاطات حجرية بازلتية . ويزعم المنقبون السريون أنهم عثروا على الاشياء المذكورة سابقاً موضوعاً فوق هذه

(١) يحسن الرجوع لمعرفة المصادر العلمية التي اعتمدنا عليها في هذا البحث إلى الدراسة التي نشرناها باللغة الانجليزية في القسم الغربي من هذا العدد عن هذه المكتشفات .

البلاطات ، وانهم لم يعثروا داخل الحفرة الثانية إلا على بعض الصفائح البرونزية التي استخدمت كقفاض لتابوت المتوفي . فلم نصدقهم في بادئ الأمر لأن تجاربنا السابقة في حفرات المقابر القديمة علمتنا أن الأشياء الأثرية توجد دائماً في داخل القبور لا على بلاطاتها . إلا أن الحفرات التي أجراها الاستاذان النبي وخير في تل أم نوى كشفت لنا عن موجودات أثرية على بلاطات قبور أخرى لم تمس بعد ، فلم يعد يحالنا في ذلك أية ريب . ونترف أننا لم نتمكن بعد من تحليل هذه الظاهرة الغريبة .

ثم أن المتقنين السريين حدثونا على أنهم وجدوا هذه الأشياء على بلاطات القبر دون أن تكون على أي نظام ، وأنها كانت محاطة فقط ببعض الأحجار الصغيرة التي منعت كتلة التراب المال عليها بعد الدفن من سحقها . فاستغربنا وجود خوذتين بين هذه الأشياء ، كما حسبنا قناع الحصان درعاً لامرأة ، لأن شكله يشبه شكل الصدارات التي توضع النساء على صدورهن فذهب الظن بنا إلى أن أميرة وأميراً دفنا في هذا القبر إلا أن إبعاد هذا لا تسمح أن يدفن فيه شخصان ، كما أن البقايا العظمية التي عثر عليها فيه لا تسمح بالقول بوجود أكثر من جثة واحدة فيه . مما أكد لنا أن شخصاً واحداً دفن هنا ، وأن كل الأشياء التي عثر عليها فوق البلاطات كانت تخصه وبينها الخوذتان ، وقناع الحصان . ويقوى هذا الاعتقاد في نفوسنا أن إبعاد الخوذتين واحدة وإن صنعتها متشابهة ، وأن المشاهد المثلة عليها والتي سيجرى الحديث عنها تفكك بعضها . فنحن إذن امام قبر أمير محارب من سكان نوى عاش في أواخر القرن الأول الميلادي وأول القرن الثاني . وإليك وصف ودراسة عناصر هذه المكتشفات الهامة :

الخوذة ١

إن هذه الخوذة هي الأولى التي حملت إلى المتحف بدون قناعها الذي وجد لدى فلاح طفس . وهي بحالة سيئة جداً بسبب ما أحاق بها من تأكسد . وقد انفصل عن جسمها عدة قطع انقطعت من تراب القبر . وقد طوي عمداً جانبها أحدها على الآخر . وصعب على معملنا الفني إعادة ترتيبها إلى حالتها الأولى . إلا أننا نأمل أن نتوصل إلى ذلك بالتعاون مع بعض المامل الفنية المجهزة بالآلات حديثة لا نملكها في الوقت الحاضر كعمل المتحف البريطاني في لوندرة الذي أصلح لنا خوذة حمص المشهورة . وقد نساءنا عن سبب طي جانبها ، وجاني الخوذة الثانية ، وعمما شوهد من آثار تشويه متعمد في الأسلحة التي وجدت معها . فهدانا تساولنا إلى أن الذين دفنوا الأمير حاولوا أن يلقوا حوائجه حزناً عليه ، أو أنهم أرادوا أن يفقدوا هذه الأشياء إمكائية الاستفادة منها ، حتى لا يحاول لصو المقابر نبش قبر صاحبها بحثاً عنها .

وبلغ ارتفاع هذه الخوذة (٢٥ سانتراً) ، وتزن (٢،٠٧٠ كيلوغرامين) ، ولا يزيد ثقلها عن مليمتر واحد . وهي الخوذة الثانية ذات القناع التي تكشف عنها أرض سورية ، بعد خوذة حمص الأثرية المعروفة . وعلى الرغم من جمال هذه الأخيرة وقيمتها الأثرية العظيمة ، فإن خوذتنا الجديدة تتميز عنها بالمشاهد البارزة على صفحة رأسها والتي تفرد لها مكاناً خاصاً بين الآثار العالمية المهمة المكتشفة . وما أشبهها بمدد ضئيل من الخوذات ذوات الأقنعة التي اكتشفت في بريطانيا العظمى وألمانيا وبلغاريا ، بعد أن كانت لبعض الحارين الرومانيين ، صنعوها لضعوها على رؤوسهم لدى الاحتفالات العسكرية الهامة ، أو لتكون أقنعة على شكل رؤوسهم ووجوههم ، وتجعل في قبورهم بعد وفاتهم . إنها تتألف كالخوذة التي عثر عليها في آخر القرن الثامن عشر ، في (ريشستر) من انكلترا ، وحفظت في المتحف البريطاني ، من قطعتين ، الأولى تمثل الرأس ، والثانية قناع الوجه .

قطعة الرأس

شكلها بيضوي تقريباً ، وقطرها ١٨ و ٢٠ سانتراً . وتتألف من صفحة واحدة من البرونز تستطيل فتحدث قطعة حامية للذال ، يبلغ عرضها (٥،٤سم) . وأطرافها محاطة بإطار معدني ، عرضه سانتراً واحد ، فيه على الجبهة عدة ثقوب ، يظن أنها جعلت لتثبيت قطعة من الجلد كانت لها وظيفتها ، منع تأثير احتكاك الخوذة بجبهة صاحبها . وكانت تتصل بالقناع بواسطة (مفصلة) يرى ساقها المتوسط عليها وساقها الجانبيان في وسط القناع . وصفحتها مزينة بمجموعة من المشاهد البارزة المنسقة بنظام بديع للغاية . ويبلغ طول بعض الأشخاص التي تؤلف هذه المشاهد نحو (١٧سم) ، كما يبلغ بروزها أحياناً نحو (٢٧سم) .

ويشاهد في ذروتها جذع إله الشمس (بطول ١٢،٥سم وعرض ٧،٥سم) . وتتأثر الأشعة الشمسية حول رأس هذا الإله الذي تملوه خصلات شعره الكثيفة ، وتنحدر هذه على كتفيه ويبدو وجهه القوي بينها ، ثم عنقه وصدره المفتوح بثوب ذي ثنيات مائلة . ويجدر أن يلاحظ أن وجه إله الشمس يمثل في مركز المشاهد كلها . ويدل ذلك على المكانة السامية التي بلغت ديانة الشمس في سورية خلال القرون الميلادية الأولى ، وخاصة في بعلبك التي شيدت فيها منشآت دينية ضخمة قبل أن يعتنقها أباطرة الرومان في القرن الثالث ، ويحاولوا أن ينشروها في عاصمتهم روما ، وينووا المآبد الفخمة لاجراء طقوسها وإقامة شعائرها في أطراف إمبراطوريتهم الكبرى .

ويرى تحت صورة إله الشمس صورة أصفر (بطول ٦٥ سم) ، تمثل ربة الظفر رافعة ذراعيها الأيمن ، لتتوج محارباً رومانياً ، ممثلاً تحتها (بطوله ١٢٥ سم) . وهذا المحارب ملتحج ويستند ذراعه الأيمن على رمح طويل ، وذراعه الأيسر على سيف في قرابه . وهو متسربل بدرع له صفحات بروزية ، وينتهي قسمه الأسفل بصفيين من الثنيات الجلدية المتدلية فوق ركبتيه . وكان هذا الدرع خاصاً بالقواد والمفوضين الإمبراطوريين والحامين المسكرين والباطرة . وشاهد نماذج منه منحوتة على المحاربين الممثلين على عمود تراجان المشهور الذى مازال قائماً في روما ، كما يشاهد مثله على بعض المحاربين في (الخوذة ب) التي سيأتي الكلام عنها . وهذا ما يجعلنا نقدر أن المحارب المذكور الذى يلقى التاج من يد ربة الظفر كان قائداً هاماً ، وأن الغاية من تمثيله هنا تمجيد أحد أعماله الحربية المظفرة .

ويحسن أيضاً أن موضوع تنويع ربة الظفر للتصريح ما كان جديداً في الفن . وكان يمثل كثيراً في المواضيع اليونانية - الرومانية لما كان له من معان رمزية وواقعية ولا سيما في المواضيع المنقوشة على النقود ، وعلى الألواح المنحوتة . ومن هذه الأخيرة لوح منحوت يعود إلى عهد الإمبراطور (تراجان) ، ويرى بين مشاهد قوس النصر الذى بناه الإمبراطور (قسطنطين) في روما . وترى فيه ربة الظفر تضع على رأس الإمبراطور إكليلاً أمام جنوده وإلى جانب (مينرفا) ربة الحكمة .

والجديد في خوذتنا أن تنويع القائد المظفر يجرى تحت رعاية إله الشمس . ولا ريب أن ربة الظفر يجب أن ننظر إليها هنا كتعبير عن قوة هذا الآله . وقد أكل الفنان هذه الفكرة ، وأوضحها بوضعه لسرين كبيرين إلى يمين ويسار الظافر . ولا يخفى أن النسرين يمد طائر إله الشمس المفضل ، ورمزه الذى يعرف به .

ولا يستغرب تجديد الفنان الذى شرحناه إذا أخذنا بعين الاعتبار أن الفن السوري آنشد كان يطرئ مواضيع شبيهة بهذا الموضوع . ومن هذه موضوع إله الشمس محملاً على لسرين . والظاهر أن صانع الخوذة الفنان كان مطلقاً على الموضوع الأخير وعلى موضوع تنويع ربة الظفر للظافرين ، فمزج بينهما في خوذتنا الحورانية .

ويشاهد على الجدارين الجانبين لهذه الخوذة مشهذان متماثلان . الأيسر منها مفتت إلى عدة قطع انفصلت من مواضعها ، إلا أننا تمكننا من التقاطها كلها . أما المشهد الأيمن فهو تام ويمثل رجلاً ملتحجاً وعارياً ، يحمل بيده اليمنى رمحاً ، ويمسك بيده اليسرى أعنة جواد تجر عربة . وفوق رأسه بسط رداؤه على شكل سحابة . وقد مثل جانب العربة ولا يرى منها إلا

عجلاتها الواحدة وطرف الحصان الأيمن الذي يمدو ، ورؤوس الحيات الثلاثة الأخرى ، وقوائمها الامامية . وكنا ذكرنا أن المنهد الأيسر يمثل نفس هذا الموضوع .

وحاولت تفسير معنى المشهد المتقدم ، فتعذر ذلك . لانه صعب معرفة شخصية الرجل العاري الملتحي راكب العربة ، على الرغم من ردائه المعقود فوق رأسه . ولا يخفى أن هذا الرداء إذا بسط فوق رأس رجل ملتح مثله حتى في منتصف جسمه في أحد مواضع الفن الروماني ، فإنه يدل على أن هذا الرجل هو (كايوس) إله السماء . إلا أن أحد الفنانين استعار هذا الرداء للاله جوبيتر في أحد مشاهد عمود (تراجان) ، فمثله وهو يخفق فوق رأسه ، لا تبدى من اليوم لينصر الجنود الرومانيين عندما كانوا يواقفون جنود الداسيين^(١) ، كما استعاره فنان آخر ليجعله فوق رأس إله الأرض بلوتون وهو يخطب الربة (برسفونة) على عربة ، في مشهد يرى على تابوت مرمرى في متحف التيرم روما .

والظاهر أن فنانى العصر الامبراطوري الروماني كانوا يقصدون من جعل الرداء معقوداً على شكل السحابة فوق رأس إله ما أن يمتدوا أن المشهد الذي يمثلونه يجري في السماء . ومع هذا فإن ذلك لا يساعدنا على معرفة الشخص الممثل على خوذتنا . لانه لا يمكن ان يكون (كايوس) أو (جوبيتر) أو (بلوتون) . إذ ليس لاي واحد من هذه الآلهة أي دور في كل ما قدمنا . ثم انه ذكرنا ان المشهد مكرر مرتين على جداري الخوذة مما يوجب أن يكون الشخصان الملتحيان العاريان الراكبان في العرتين على صلة مع مشاهد إله الشمس والتوبيج والنسرين . وفي الواقع إننا لا نعرف أي موضوع ميتولوجي يجمع كل العناصر المتقدمة ، حتى أننا لو فرضنا أن فناننا قد حاد عن كالم الميتولوجيا التقليدية ، وأراد أن يمثل رمزي الشمس والقمر (هلبوس وسيلينه) أو رمزي نجم الصباح (فوسفوروس - عزبوس ، أو الاله عزب) ونجم المساء (هسبيروس - مونيوس ، أو الرب المنعم) على شكل خاص جديد لما استقام هذا الموضوع . لأن الفنانين اليونانيين والرومانيين يمثلون عادة كلا من هذين الرمزين بشاب عار (لابسيخ كما هو الحال في خوذتنا) الى جانبي نسر شمسي ، أو بفارس لا يراكب عربة كما هو الحال الآن .

وعلى الرغم من أنه يتعذر علينا الاطلاع اطلاعاً تاماً عن الدوافع التي حدثت بالفنان لتمثيل المشهد على الشكل المتقدم فأننا نظن أنه أراد أن يمثل شخصاً حقيقياً هو صاحب الخوذة لا شخصاً ميتولوجياً . ويحق لنا أن نتساءل إذا قبلنا هذه الفرضية لماذا مثل الفنان هذا الشخص مرتين ؟

(١) جرت حروب شعواء في زمن تراجان بين الرومان وبين الداسيين سكان داسيا اي رومانيا حالياً بين سنتي

(١٠٢ - ١٠٥ م) ، وقد انتهت بانتصار روما وإلحاق داسيا بها . ومثلت وقائع هذه الحروب على عمود تراجان المذكور .

أكان ذلك بسبب المكانين الواجب ملؤها على جداري الخوذة ؟ أم لأنه كان يوجد شخصان لا شخص واحد حاول النمان تكرمها ؟ ومن اللازم أن نذكر أنه يوجد مشهد من مشاهد الخوذة (ب) يمثل فيه في وضع متناظر قائدان رومانيان يحضران احتفالاً بحجري فيه بمض الطقوس الدينية . وفي هذه الحالة يجوز القول إن الفنان أراد أن يمثل هذين القائدين وهما يتحولان من انسانين إلى إلهين ، أي في وقت فارقا فيه الأرض ، وصعدا إلى السماء مع رمزي الآله (كايوس) في عربة الشمس ليصلا إلى مقر الخالدين شأن الإباطرة العظام والباطال الميتولوجيين كـ (هرقل) . وإذا قبلنا هذه الفرضية لجاز أن نستنتج منها أن الشخصين الممثلين هنا كانا تلميحا من الفنان أراد أن يشير به إلى معركة كبرى (١) انتصر فيها قائدان سوريان كانا منحازين إلى الجيش الروماني وبينها صاحب الخوذة .

القناع

إن هذا القناع الجزء الثاني من الخوذة المتقدمة ، مصنوع من معدن البرونز ، وعليه آثار طلاء فضية ، ويبلغ طوله ١٥,٥ سم ستمترا ، ووزنه ٧٢٠ غراما . ويلاحظ أنه وصل إلينا سليما لحسن الحظ وذلك لشحنه الذي يبلغ ١,٥ ميليمترا .

وقد وجد مطويا . إلا أن مدير العمل الفني في المتحف الوطني السيد رتييف الحافظ استطاع بعد كثير من الجهود أن يقوم به ، وإن يسيده إلى حالته الأولى . وتدل كل ظواهره على أنه يمثل وجه صاحب الخوذة تمثيلا حقيقيا . وفي الواقع إن معظم تقاطيع وجهه واقعية وليست مثلية إذ أن له أنفا مستقيما وفما منيرا وشاربين طويلين ولحية كثة ووجنتين بارزتين . وما أشبهه بالنماذج التي مثلها النحاتون التدمريون في القرن الثاني الميلادي . أما عيناه وخاجباه وأذناه فليست تتم عن تقاطيع شخصية وإنما هي اتفاقيه ، وكذلك جبهته الضيقة التي جعلت هكذا حتى يمكن ادخال القناع تحت قطعة الرأس من الخوذة . ويلاحظ أنه يوجد في وسط الجبهة عنصران جانبيان من المفصلة التي رأينا عنصرها الأوسط في قطعة الرأس .

ولاتمام صورة هذه الخوذة يستوجب علينا أن نذكر أخيراً أنه يوجد على استطالتيها التي تحمي القذال منظر يمثل أسلاباً حربية بينها عجولتا مركبة وتروس يعضوه الشكل ، ودرعان .

....

(١) سوف نرى أن هذه المعركة كانت على أكبر الظن بين الجيش الروماني وجيش البارثيين في فاتحة القرن الثاني الميلادي .

الخوذة (ب)

تزن هذه الخوذة (١٧٦٥ كيلوغراماً) وكشبه كثيراً الخوذة (أ) . وهي مصنوعة مثلها من البرنز ، ولها نفس الشكل وعين الحجم والابعاد ، كما أنها مزينة أيضاً بمشاهد بارزة . مما يجعل أي إمرئ يحكم من نظرة واحدة يلقيها على هاتين الخوذتين أنها من صنع فنان واحد . ومع هذا فإنه توجد فيها بعض الفروق التي تميزها عن بعضها . ومن ذلك أنه لا يوجد قناع للخوذة (ب) وأنه استميص عنه باستطالين جانبيين مثلثين تقريباً انفصلنا الآن عن هذه الخوذة ، ويترتب أعادتها إليها لدى إصلاحها إصلاحاً نهائياً .

وتختص هذه الخوذة أيضاً أنها شوهت عمداً وظوي - مدارها الواحد على الآخر . إلا أنها في حال أحسن من حال الخوذة الأولى . لأن جدرانها أكثر ثخناً من جدران الخوذة الأولى ، كما أنها لم تتأكسد مثلها . ونحن واثقون أنه بإمكاننا إعادتها إلى ما كانت عليه سابقاً وقد ذكرنا أنها مزينة بمشاهد بارزة . وتتألف هذه المشاهد من أشخاص أصغر أبعاداً من أشخاص الخوذة الأولى . وهم يتحركون ضمن مواضع أقل مساحة وأكثر كثافة من المواضع السابقة . ويمكننا أن ندرك أيضاً أن غاية الفنان من صنع هذه الخوذة تمجيد صاحبها والتنويه بما قام به من أعمال .

وبشاهد في فروتها وجه (الفورغونيون) . وهو صورة كان يعاذ بها ، ورمز من رموز الشمس ، أعناد اليونانيون والرومان أن يحملوها على ألبستهم وحلام وأسلحتهم . ثم يظهر تحت هذا الوجه نسر وهو رمز شمسي آخر . كما تقدم ، يسط جناحه وييمين على مشهد تقديم أضحجة تمثل تحته على قسم الخوذة الذي يملو الجبهة . ويتألف هذا المشهد من ستة أشخاص وبين هؤلاء الأشخاص رجلان متدثران بردائين طويلين جلا طرفاً من أطرافه على رأسها حسب عادة رومانية دينية ، انتقل مشهدها خلال القرن الميلادي الأول ضمن تماثيل وألواح مرمرية متعددة . وهما يحيطان بمذبح مستطيل ويلقيان في ناره بخوراً ثم يأتي وراء كل منها قائد روماني وهو يحسك رمحاً طويلاً ، وأخيراً تقوم وراء كل قائد ربة نصر لها جناحان كبيران . ويلاحظ أن ربة النصر اليسرى تضع إكليلاً على رأس القائد الواقف حذاءها ، وكشبه حركتها هذه حركة ربة الطفر التي ترى وهي تكلل الأمبراطور (تراجان) في اللوح المشاهد في قوس النصر الذي بناه الإمبراطور (قسطنطين) في روما . ويرجع عهد صنع اللوح المذكور إلى عهد الإمبراطور (تراجان) . ومن الغريب أن وضع القائد الممثل على الخوذة ، ودرعه ومقطفه كشبه تماماً وضع تراجان ودرعه وخوذته . ويرى على جداري الخوذة (ب) الخلفيين مشهد معركة حامية الوطيس بين الرومان وبعض

البرابرة . وقد تداخلت صفوف الخصمين ويمكن إحصاء اثني عشر محارباً يقاتلون ، ويعرف كل منهم باللبسة وأسلحة قومه . وبينهم أربعة رومان (فارس وثلاثة من المشاة) ، يقاتلون ويتصرون على ثمانية محاربين من البرابرة (فارسين وأربعة من المشاة) .

ومما يكن فالبرابرة يقاتلون في فوضى ظاهرة وقد تمزقت صفوفهم أمام الرومان المتصربين بحيث أن المشهد يمثل اللحظة التي سبقت النصر النهائي . وأجل عناصر الحركة ، الجندي الروماني الذي يطمئن بسيفه خصمه البربري الذي يدفع الطمعة بترسه ، في الجهة اليسرى . ثم الفارس الروماني الذي يتطأ رداؤه خلفه وهو يدوس بستانك جواده بربرياً في الجهة الوسطى ، وأخيراً الجندي الروماني الذي يهجم بذبح أسير بربري بمنجذره في الجهة اليمنى .

وعلى الرغم من جمال التأليف في هذه الحركة ، وتوازن خطوطها وانسجامها ، فإن الفنان الذي رسمها لم ينتكر في أوضاع المحاربين وفي تقابلهم مع بعضهم شيئاً جديداً . إذ أن الحركة تجري على شاكلة المارك التي اعتاد الفنانون اليونانيون والرومانيون تمثيلها منذ عهد الاسكندر على الألواح الحجرية وأقواس النصر والاعمدة التذكارية ، فيحملون في وسطها فارساً متصراً يدوس بستانك جواده عدواً مغلوباً على أمره .

ولا يشاهد في ممركتنا أي تفصيل يستدل منه على أن الحركة وقعت في مكان معين . ومع ذلك فإنها لا يمكن أن تكون خيالية . ويتراءى لي أنها ذكرى لاقتصار أحرزه الرومان على البرابرة بفضل الرجل الذي صنعت له الخوذتان (١) و (ب) . وإذا صعب علينا أن نميز بدقة الحادثة التاريخية المثلة هنا ، فلا يصعب علينا أن نقول أنها كانت جزءاً من الحروب الطويلة التي جرت بين الرومان وبين أعداء البرابرة ، لدى صنع هاتين الخوذتين .

وحاولت كثيراً أن أعين جنسية البرابرة الممثلين على خوذتنا . فلم أجد في صور البرابرة التي انتهت إلينا من العصر الإمبراطوري انطباقاً تاماً مع صورهم هذه . ورأيت أن صور البرابرة السلتيين ، وصور البارثيين المعروفة تقرب نوعاً ما منهم . إلا أن صور السلتيين تمثل أصحابها برؤوس مستورة بقلنسوات مخروطية ، على حين أن صور خوذتنا تمثل أصحابها بقلنسوات مستديرة . ثم أن القمصان السلتية تتدلى تحت الانطقة ، على حين أن قمصان برابرتنا تقف عندهذه الانطقة ، كأنها متصل مباشرة ببراويلهم الضيقة ، ذات الثنيات المستديرة . وكذلك فإن نعال السلتيين وأسلحتهم تختلف يعض التفاصيل عما هو في خوذتنا . .

ونعمننا هذه الاختلافات من القول ان البرابرة الممثلين على الخوذة (ب) كانوا من السلتيين لا سيما وأنه لا علاقة للسلتيين سكان غاليا وأوروبا بسورية في هذا العصر الإمبراطوري . اللهم الا اذا قلنا

إن الخوذتين لم تصنعا في سورية ، بل حملتا من بلاد رومانية أخرى ودفنتا مع المحارب السوري في قبر تل أم حوران . وهذه الفرضية غير صحيحة لأن كل تفاصيل الخوذتين من تمثيل الرموز الدينية الشمسية والمشايات المتعددة التي درسناها بين الخوذتين وبين بعض آثار الفن السوري وخاصة مع بعض الآثار التدمرية تدفنا للجزم بأن هذين الأثرين صنعا في هذه البلاد . ولا شك أن السلتين قد أقاموا في آسيا الصغرى وهددوا حدود سورية في أواخر القرن الثالث قبل الميلاد ، أي من مدة طويلة . إلا أنهم ذابوا وانحلوا في شعوب تلك البلاد فيما بعد . وفي عصر الخوذتين لم يمد يسمع لهم خبر وليس من المقول أن تجري حروب هامة بينهم وبين الرومان ينتصر فيها قائد ويتال مرتبة الخلود دون أن يعرف التاريخ المعاصر شيئاً عن تلك الحروب .

لكل هذه الأسباب نفضل أن نرى في البرابرة الممثلين جنوداً بارثيين . وفي الواقع إذا درسنا بعض المشاهد التي انتهت الى عصرنا عن أفراد هذا الشعب ، لوجدنا أنهم كانوا يختصون بالقلنسوات المستديرة والشعور والحي الطويلة ، والسراويل الضيقة ، والقمصان المنحدرة تحت الأنفطة الى الركبتين ، والتمال الخفيفة . وإذا قبلنا أن صانع الخوذة تصرف بعض الشيء في تمثيل تفاصيل هذه الألبسة التي تدل كل الدلائل على أنه رسمها من ذاكرته ، وأنه لم يكن أمامه نماذج حقيقية عنها ، لجاز لنا القول إنه أراد أن يمثل البارثيين في معركة ضد الرومان . وتبقى صعوبة واحدة قائمة وهي أن البارثيين اشتهروا بلجوتهم الى استخدام النبال في حروبهم . ونشاهد هذه النبال مع جمعاتها في عدة صور لهم ، وليس لها أثر في مشهد خوذتنا . ويمكن تلميح ذلك بأن المعركة المثلة هنا ترينا الخصمين وقد التحمت صفوفها تماماً ، ولم يمد بالامكان استخدام النبال .

ولا شك أن الحروب الطويلة التي خاضها الرومان مع البارثيين خلال القرنين الاول والثاني ، وجرأة أعداء روما هؤلاء ، وتهديم حدود سورية خلال مرات متعددة ، وانشاء الرومان الخطوط الدفاعية على الفرات وفي بادية الشام لصد هجراتهم ، هي التي تميل بنا الى تأييد فرضية البارثيين ، وتفضيلها على فرضية السلتين .

وقد لاحظنا على أثر تنظيف الخوذة (ب) ونزع طبقة الأكسيد عن سطحها أنه توجد عليها كتابة لاتينية تذكر أن : (ماکتوريوس بارباروس) قد صنعا . وعلى هذا فإن الفنان المدعو بهذا الاسم هو الذي صنع الخوذة الاولى كما صنع الخوذة الثانية لتشابه الخوذتين تشابهاً تاماً . ويحق لنا أن نتساءل الآن من هو (ماکتوريوس بارباروس) ؟ أن هذا الاسم ليس رومانياً ، على الرغم من أن لقب (بارباروس = البربري) كان معروفاً في المصريين الجمهوريين والامبراطوري ،

ويطلق على بعض مشهوري الرومان . أما اسم (مآكتوريوس) فهو إما سامي أو عربي على الأغلب . ويظن أن أصله (مقطور^(١)) المشتق من فعل (قطر) ، أو أنه مقطر^(٢) أو مختار^(٣) أو مآكتور^(٤) أو (مآكتار) من فعل (كثر) .

ومما يمكن فلاشك أن (مآكتوريوس بارباروس) كان فناناً سورياً من صنّاع معدن البرونز الذين اهتموا هذه الصنعة ، وأبلغوها الاوج من الكمال والاقان في القرن الأول الميلادي ومابده من القرون التي احتواها العصر الروماني . ومن آثار هؤلاء الفنانين خوة حص المشهورة ، وعدد كبير من التماثيل البرونزية المحفوظة في متحفنا الوطني . ويظهر أن (مآكتوريوس) كان مشهوراً في عصره ، لانه سمح لنفسه أن يحفر اسمه على خوة قائد مشهور . ولا بد أن يكون كذلك ، لان المشاهد التي مثلها على الخوذتين جميلة جداً ، ولان أشخاص هذه المشاهد محفورة بمهارة ، وموزعة على السطوح المدببة توزيعاً منطقياً يدل على أن الفنان الذي تصورها وفعلها كان يعرف كيف يختار مواضعه وكيف يمثل هذه المواضع . ويدلنا ما تقدم على أن هذا الفنان كان على اطلاع على ما أنتجه فن النحت الامبراطوري في القرن الاول ، وعلى الألواح السورية والتماثيل التدمرية المصنوعة في آخر هذا القرن وفي أوائل القرن الثاني . وبكلمة مختصرة كان السوري مآكتوريوس بارباروس يعرف فنون الشرق كما كان يعرف فنون الغرب . ولا عجب ان كان من جيل الفنان السوري الكبير أبولودور الدمشقي الذي كان أعظم مهندس معماري أخرجته العصور الرومانية . وأكبر الظن أن مآكتوريوس عمل تحت اشراف هذا المهندس لما انشأ ميدان تراجان العظيم في روما ، وأنه ربما كان مكلفاً بنحت المسود التاريخي المشهور الذي

(١) ذكر ريكمانس Rykmans في الجزء الأول من كتابه : Les noms propres sudsémitiques المطبوع في (لوفان) سنة ١٩٣٤ هذا الاسم .

(٢) المقطر الميدي من فرسان الخوارج وزعمائهم وقد جاء ذكره في كتب التاريخ والأدب ومنها كتاب الكامل للبرد في ص ٦٨١ س ١٧ ، وص ٦٨٣ س ١ ، و ص ٦٨٠ س ١٦ و ١٧ ، و ص ٦٨٦ س ٦٥ من طبعة W. Wright في ليزينج سنة ١٨٩٢ . وهناك أيضاً قبله عربية تقيم بين العراق وسورية اسمها بنو مقوطر ، انظر : عمر كحالة : الجزء الثالث ، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ص : ١١٣٣ .

(٣) اشكر زميلي وصديقي الأستاذ الكبير عبد الهادي هاشم على المعلومات التي قدمها لي فضمنتها هذه الحاشية والحاشية التي بعدها .

(٤) اسم المختار معروف في الجاهلية وصدر الاسلام والعصر الأموي (وقتة المختار الثقفي مشهورة) ويذكر ابن دويد في كتابه ، الاشتقاق الذي طبعة Ferdinand Wüstenfeld في Göttingen ثلاثة أشخاص بهذا الاسم ص : ١٠٨ ، ٢٤٤ ، ٢٩٢ .

وجدنا أن فيه كثيراً من الشبه مع ما مثل على خوذتنا . ولا ريب أنه زار تدمر لما ألحقها تراجان بالامبراطورية الرومانية قبل أن يبدأ حملانه على البلاد الباريّة . إن كل ما تقدم لا يخرج عن حيز الفرضيات التي لا تدعمها براهين أكيدة . ومع هذا فإن هذه الفرضيات هي التي بإمكانها شرح القضايا التي يضعها على بساط البحث اكتشاف خوذتي ماكتريوس بارباروس .

ويحق لنا أيضاً أن نتساءل عن شخصية الرجل الذي صنعت له الخوذتان ، والذي دفن في القبر المذكور الواقع في ذروة تل ام نوى . لا ريب أنه كان رجلاً شهيراً في عصره (الزمن الذي يقابل آخر القرن الأول الميلادي وأول القرن الثاني كما تدل على ذلك صنعة الخوذتين) نشأ في نوى ومات فيها ، وأنه برع في مهنة السلاح ، وبرز في الحروب التي قامت بين الجيش الامبراطوري وبين البارثيين . ولا يمكن أن تكون هذه الحروب إلا الحروب التي أعلنها تراجان على ملك البارثي (خسرو) ، والتي دامت بين سنتي ١١٤ و ١١٧ . وذلك لان السلم ساد علاقات الرومان والبارثيين خلال النصف الاول من القرن الاول منذ عهد الامبراطور نيرون (٥٤ - ٦٨) ، حتى حاول تراجان أن يزيد في مساحة الامبراطورية الرومانية ، ويضفي عليها أبعاداً جديدة . فأوجد المقاطعة العربية بعد أن قضى على استقلال بلاد الانباط ، وألحق تدمر بالامبراطورية . ثم هاجم دولة البارثيين محاولاً فتح أرمينيا وبلاد الرافدين . ومهما يكن فإن تقاطيع وجه قناع الخوذة (١) تدل بشكل واضح جداً على أن صاحبها كان أميراً شرقياً من سورية .

★ ★ ★

وهناك أيضاً الاستطالان المثلثان (طول كل منهما ١٨ سم) المثلثان ، اللتان انفصلتا عن هذه الخوذة (ب) ، بعد أن كانتا متصلتين بها بواسطة (مفصلتين) صغيرتين مستندتين على صدغي الخوذة . وهما على شكل أذنين ، ومزبعتان بزخارف بارزة تشكل زخارف جسم الخوذة . وتمثل زخارف الاستطالة اليمنى محارباً يونانياً واقفاً ، عارياً ، ماسكاً رمحاً طويلاً بيده اليمنى . أما الاستطالة اليسرى فتمثل الربة (مينرفا) مرتهبة ثوباً طويلاً وبيدها الواحدة رمح ، وبيدها الثانية ترس ، وعلى رأسها خوذة .

وأخيراً فإن هذه الخوذة تستطيل من الخلف مؤلفة واقية للنقرة ، عرضها ٥٤ سم ، وعليها أيضاً زخارف بارزة تمثل صفاً من الحيوانات يميز بينها أسد وذئبان ووعلان .

الاشياء الاثرية الاخرى

ويوجد بين المكتشفات التي عثر عليها في قبر (أم نوى) عدد من الاشياء الاثرية الاخرى . واليكم أهمها :

(١) قتال صغير من البرونز يمثل الربة (مينرفا)

يبلغ ارتفاع هذا التمثال ١٣ سنتيمتراً . وهو يمثل جذع الربة مينرفا ، وترى فيه هذه الربة وهي تحمل الدرع ، وتجعل على رأسها الخوذة التي اختصت بها .

(٢) سراج برونزي مثلث الشكل

يرتكز هذا السراج على قاعدة اسطوانية يبلغ ارتفاعها (٤ سانتيمترات) . وله ثلاثة مساعب تتوزع على سطحه حول قرص مستدير . وإلى جانب كل مسعب - حلقة ، يظن أنه كان يعلق بها إلى شمدان .

(٣) حلقة مستديرة

تتألف هذه الحلقة المسطحة من دائرة قطرها (١٥ سم) ، وعرضها سانتيمتران . ويخرفها صف من الخطوط الصغيرة التي تقسح مجالاً على مسافة (١٠ سم) إلى شكل منحوت يمثل البطل هرقل الذي يرى بجسمه القوي المارى ، مضطجماً ، ومستنداً على جلد الأسد الذي يختص به ، وحاملاً بيده الأولى كأساً وبيده الثانية مراوثة الضخمة .

(٤) مجرود برونزي

يبلغ طوله مع مقبضه (٢٨ سنتيمتراً) ، وعرضه (١٢ سانتيمتراً) ، وينتهي المقبض بشكل منحوت على هيئة صدر ثور . ويوجد على كل من جانبي هذا المجرود شكل على هيئة الأسد ، وعلى مكان التقاء المقبض بجسم المجرود شكل على هيئة عصفور .

(٥) قطع من درع برونزي

التقطت من أطراف القبر عدة قطع كثيرة الصدا من درع برونزي . وهي لا تسمح لقلتها بإعادة تركيبه ، أو أخذ فكرة عن شكله الذي كان له . إلا أنها تبين أنه كان يتألف كبعض الدروع التي كانت شائعة في العهد الهلنستي ، وفي تدمير خلال القرنين الميلاديين الأول والثاني ، من صفائح برونزية رقيقة كرؤوس السهام يبلغ طول كل منها بين (٥ - ٦ سانتيمترات) . ويثبت طرف كل منها على طرف الأخرى بمسامير برونزية بحيث أنها تؤلف صفوفاً على شكل حراشف الاممماك يبلغ عرض كل منها (١٥ - ٢ سم) . والظاهر أنها كانت مبطنة بفماش سميك ما زالت بعض قطعها تشهد وقدها الصدا .

(٦) الأسلحة التي التقطت من القبر

التقطت عدة أسلحة من هذا القبر ، ومن بعض القبور المجاورة . ولم يتمكن من معرفة ما كان يخص القائد منها . ومما يكن فانه يوجد بين الأسلحة الملتقطة سيف طويل وسيف قصير وعدة خناجر ورماح ، ومذبة ، ورؤوس حراب ورؤوس سهام متعددة لوزية الشكل ، علاها الصدا والتصقت ببعضها . مما يدل على أن هذه السهام كانت في جعبة جلدية انحلت في التراب .

(٧) قناع بروزي لحصان

ظننا في بادئ الامر ، كما أسلفنا أن هذا القناع صدارة لامرأة . الا أنه تأكد لدينا أنه كان قناعاً استعمل في العهد الروماني لوقاية رؤوس الجياد لدى خوض المراك . ويبلغ طوله (٣٨ سانتيمتراً) وعرضه (٢٢,٥ سانتيمتراً) . وهو يتألف من ثلاث قطع مستطيلة متصلة ببعضها بواسطة (مفصلات) تمتد على طولها . وتختص القطعتان الجانبيتان أنهما متماثلتان ، وتحويان في وسطها نصفي كرة بارزتين ومخرمتين على أشكال هندسية لتمكين عينا الحصان من النظر خلالها . ويبلغ قطر نصفي الكرة (٩,٥ سانتيمترات) . أما القطعة المتوسطة فتحوي أيضاً نصف كرة أصغر من النصفين الاوليين ، ويفترق عنها ، أنه غير مخرم ، ويبلغ قطره (٤ سانتيمترات) .

(٨) اقراص وأزرار بروزية مطعمة ومزينة بالفضة

وقد التقطت من جوانب القبر المذكور عدد من الأقراص والأزرار المستديرة . وتختلف حجوم هذه الأقراص والأزرار . ويظهر أنها تابعة لنطاق كان القائد المتوفى يجعله في خصره فوق الورك ، ولا حزمة جلدية كان يزين بها عدة جواده ، ويجعلها فوق نحر هذا الجواد وبين القناع والتجفاف . ولهذا الأقراص والأزرار في سطوحها الخلفية عرى معدنية تدل على أن أحزمة جلدية كانت تفضها الى بعضها . وكلها من البرونز المطعم والمنزل بالفضة على أشكال زخرفية تمثل اغصاناً واوراقاً نباتية على شكل أوراق المنب أو أوراق شوك اليهود . ويمكن تقسيم هذه الأقراص والأزرار بحسب حجومها الى ثلاث فئات :

الفئة الاولى

ويبلغ عددها خمسة اقراص مستديرة كبيرة ، قطر كل منها (٧,٥ سانتيمترات) وصفحتها الخارجية

مزينة بالزخارف المطعمة التي وصفناها . أما وجوها الداخلية فتحتوي عرى مستديرة أو مربعة لمرور الأحزمة الجلدية منها . وكلها متشابهة الا واحداً منها يتصل باستطالة بيضوية تنتهي بورقة شوك اليهود محرمة متوسطة بين استطالتين مثلثتين آخريتين محرمتين . ووجه هذه القطعة مزين بزخارف مطعمة بفضة على شكل جنبين أحدهما ذو لحية طويلة ، والثاني حليق الوجه يحيطان باناء كبير ، بين أغصان نباتية مختلفة . ولا يخفى أن الجان والأغصان النباتية هي من علامات الآلهة بأخوس الذي كان يعبد في سورية . وأكبر الظن أن هذه الفئة من الأقراص كانت مخصصة لتزيين معدة حصان القائد .

الفئة الثانية

وعدها أحد عشر قرصاً ، وهي أصغر حجماً من الأقراص السابقة . اذ يبلغ قطر كل منها (٤ سانتيمترات) . وينتهي كل منها باستطالة ذات فروع ثلاثة ، يؤلف المتوسط منها ورقة من أوراق شوك اليهود .

ويظهر أن هذه الفئة من الأقراص كانت مخصصة لتزيين الجزء الجليدي (الذي كان) يؤلف القسم السفلي من درع الفارس

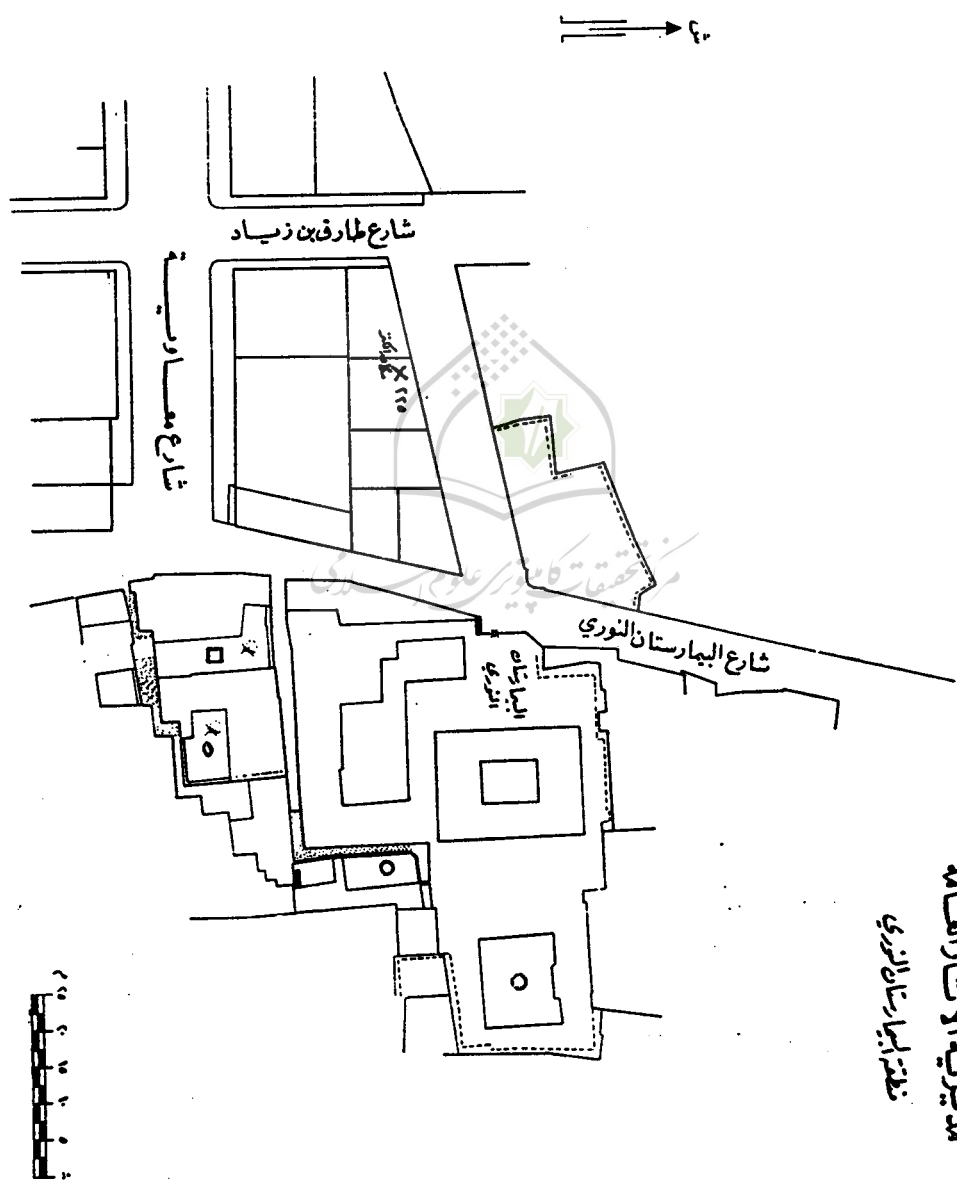
الفئة الثالثة

أما الفئة الأخيرة فتتألف من (٥ أقراص) و (٤١ زراً) ، قطر كل منها (٤ ر ٣ سم و ٣ سانتيمترات) . وينتهي كل واحد بورقة من شوك اليهود ، وقد أثبتت على ساق مستطيلة الشكل طولها (٩ / ٥ سم) . وعرضها سانتيمتر واحد . ويظن أنها كانت تزين حزام القائد ، وتتصل ببعضها بنطاق جلدي .

والخلاصة أن مكتشفات أم نوى الأثرية من أم ما أخرج من الأرض السورية منذ أعوام طويلة . وهي توضح بعض القضايا الأثرية المهمة وتضع على بساط البحث قضايا هامة أخرى سيعالجها المختصون الموزعون في أنحاء العالم تدريجياً . وقد عرضت هذه المكتشفات عرضاً فنياً لائتماً في معرض المكتشفات الأثرية لعامي ١٩٥٤ - ١٩٥٥ ، الذي نظم مؤخراً في المتحف الوطني بدمشق . وبإمكان كل مواطن الاطلاع عليها والاعجاب بها في كل وقت .

سليم عادل عبر الحق

مدیریتہ الآثار السامیہ
نقشہ الجمارستان النوری



الكنز الذهبى للاموي

للمستاذ ابو الفرج العسّى

محافظ فرع الآثار العربية والاسلامية في المتحف الوطني

تسامع الناس في دمشق يوم ١١/١/١٩٥٥ أن كنزاً ذهبياً ظهر قرب البيارستان النوري في أرض السيد أنور ملص حين كان المال يحفرون فيها . خف موظفو مديرية الآثار العامة مع رجال الأمن إلى المكان ، ووضعوا أيديهم على الكنز بعد تحريات ناجحة أدت إلى وصول ٥٤٦ قطعة ذهبية على دفعات متتالية إلى المتحف الوطني حتى كتابة هذه الأسطر .

لدى مماينة المسكان تين أن الكنز وجد على عمق ٤٣٥ م في إناء فخاري لم يصل إلى أيدينا ، وإنما استلمنا من رجال الشرطة ستة أجزاء صغيرة : أربعة منها تؤلف جزءاً بسيطاً من إناء غير واضح المعالم ، يخمن أنه حوض فخاري للزرائع ، وجزءان من إناءين آخرين لا يمتثلان إلى الإناء الأول بصفة . ولدى دراسة هذه القطع الفخارية لم نطمئن إلى قدمها ، ونظن أن جميع هذه القطع ليس لها أية علاقة مع الدنانير الموضوعة تحت البحث . وأشد ما نخشاه أن يكون الإناء الذي كان يحوي الكنز قد سُرق من قبل المارة أو العمال مع شيء آخر من الدنانير الاثرية .

★ ★ ★

بعد دراسة هذه النقود بدا لنا أنها تعود جميعاً إلى العصر الاموي : أقدمها يرجع إلى سنة ٧٨ هـ أي إلى السنة الأولى (١) التي ضرب فيها عبد الملك بن مروان النقود العربية ، بالشكل الذي بقيت عليه بعدئذ

(١) جرت محاولة سك النقود العربية قبل عبد الملك بن مروان : وقد وجدت نقود فضية تعود إلى سنة ٤٠ هـ ضربت في البصرة وهي من عهد علي بن أبي طالب - حسب ما جاء في المصدر - :

M. H. Lavois - Catalogue des monnaies musulmanes de La Bibliothèque Nationales. Paris 1887

ولكن يبدو أن تلك النقود لم يتم استعمالها بين الناس حتى أن العرب في العهد الأموي كانوا يستعملون النقود الساسانية والبيزنطية . وقد كانت تلك النقود خاصة العرب وتحمل النقود البيزنطية عبارة (لا إله إلا الله) وسنة الضرب باللغة العربية كما أن النقود الساسانية كتب عليها باللغة الفهلوية ما يشير إلى أنها سككت للعرب . إن النقود العربية المسكوكة قبل سنة ٧٨ هـ لعبد الملك بن مروان كانت مصورة ويظهر أنها كانت قليلة .

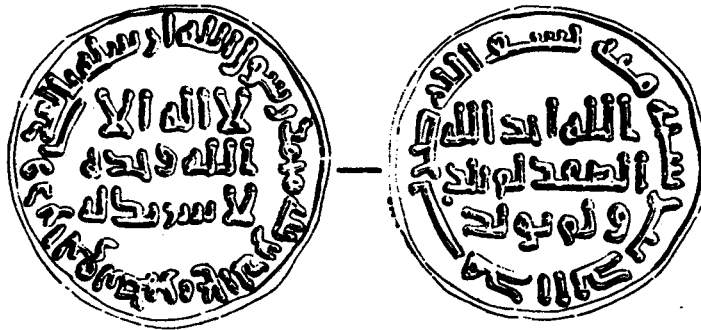
ويرجع أحدثها إلى سنة ١٠٣ هـ الواقعة في عهد يزيد الثاني ابن عبد الملك . وبعد تصنيفها ظهر لنا أنه يوجد عدد من الدنانير من كل سنة بين سنتي ٧٨ و ١٠٣ هـ دون انقطاع . ومن هنا تأتي أهمية هذا الكنز ، ونعتقد أن المنحف الوطني بدمشق أصبح يملك شيئاً فريداً في العالم . وها نحن أولاء نثبت القائمة الآتية التي تحوي عدد دنانير كل سنة :

السنة	عدد الدنانير	الخليفة
٥٧٨	٢٠ ديناراً	عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٥ = ٦٨٥ - ٧٠٥ م)
٥٧٩	٢٨	»
٥٨٠	٢٢	»
٥٨١	٩	»
٥٨٢	١٣	»
٥٨٣	٤	»
٥٨٤	٦	»
٥٨٥	٥	»
٥٨٦	١٢	والوليد بن عبد الملك
٥٨٧	٦	الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦ = ٧٠٤ - ٧١٥ م)
٥٨٨	١٣	»
٥٨٩	١٤	»
٥٩٠	١٨	»
٥٩١	١٨	»
٥٩٢	٢٦	»
٥٩٣	٢٦	»
٥٩٤	٣٢	»
٥٩٥	٣٣	»
٥٩٦	٢٩	وسليمان بن عبد الملك
٥٩٧	٣٨	سليمان بن عبد الملك (٩٦ - ٩٩ = ٧١٥ - ٧١٧ م)
٥٩٨	٤٤	»
٥٩٩	١٦	وعمر بن عبد العزيز

السنة	عدد الدنانير	الخليفة
٨١٠٠	٤٩	عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١ = ٧٢٠ - ٧٢٤ م)
٨١٠١	٢٠	يزيد بن عبد الملك
٨١٠٢	٢٧	يزيد بن عبد الملك (١٠١ - ١٠٥ = ٧٢٠ - ٧٢٤ م)
٨١٠٣	١٨	د
٥٤٦ المجموع		

★ ★ ★

لقد وزنا النقود جميعاً فوجدنا أن وزنها الاجمالي يبلغ ٢٣٢٧٠٠٥٠ غ ، يتراوح وزن النقد الواحد بين ٤٠٢٥٥ غ و ٤٠٢٩٠ غ ، وبصورة عامة أكثر النقود وزن ٤٠٢٧٠ غ تقريباً .
نقهم من هذا أن ميزان النقود في ذلك الوقت لم يكن حساساً تماماً لامتطاء وزن واحد لجميع هذه القطع . رب قائل يقول : إن وزن النقد الواحد يختلف بسبب تداوله بين الناس ، ولكننا نظن أنها دفنت منذ ذلك العهد ولم تتداولها الأيدي كثيراً لأن كتابتها بحالة جيدة كأنها خرجت حديثاً من تحت يد السكّان .



رسم مكبر لدنثار أموي يعود لسنة مئة يلاحظ فيه بوضوح طريقة الكتابة الكوفية في القرن الأول الهجري .

يميل ذهب هذه النقود إلى الحمرة وهو من عيار ثقيل جداً يقارب عيار الذهب الخالص . ليست أقطار هذه النقود متساوية ، كما أن دوائرها ليست منتظمة ، وتتراوح أقطارها بين ١٨ سم و ٢١ سم ؛ وذلك لأن النقود لم تكن آنذاك تصب بقوالب كما يجري في العصر الحديث ، وإنما كانت تضرب الصفائح الذهبية ضرباً بين قالبين محفورين ثم تقصّ النقود فتأخذ شكلاً دائرياً غير منتظم ، ولا يكون سمكها واحداً ولا أقطارها متساوية .

★ ★ ★

يقراً على هذه النقود النص التالي :

الوجه الأول : في الوسط : لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

في الهامش الدائري : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره

على الدين كله .

الوجه الثاني : في الوسط : الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد .

في الهامش الدائري : بسم الله ضرب هذا الدين (في) سنة

يلاحظ في هذا النص عدم ذكر اسم الخليفة ، ويفهم من هذا الغفال المقصود معنيان : معنى ديموقراطي بأن الخليفة فرد لا يتميز عن سائر الرعية ، ومعنى تيوقراطي بأن الحكم مردود إلى الله ورسوله . وهناك وجهة نظر أخرى وهي عدم استقرار الحكم نهائياً في بني أمية وعدم رسوخ هذا النوع من الحكم الملكي في العرب ، لذا كان في اغفال اسم الخليفة تقادي الاقسامات والمشاكل .

لقد استمر هذا النص مدة طويلة مع شيء من التغير بالمبارة حتى أواخر دور القوة في الحكم العباسي : ظل النص مغفلاً من اسم الخليفة حتى عهد المهدي العباسي ومنذ ذلك الوقت أخذ يظهر اسم الخليفة على النقود ، ويمكن لتليل ذلك إلى رسوخ تفكير جديد واتجاه جديد في معنى الحكم ، ذلك هو الاعتقاد بحق الخلفاء الإلهي في الحكم . ولم يكن مصدر هذا الاتجاه جديداً وإنما انبثق عن المقائد الفارسية القديمة ، وظهر هذا التأثير الفارسي منذ عهد المنصور الذي قال^(١) : « أنا سلطان الله في أرضه ، وجعل نفسه وكيلاً عن الله في حفظ خزائنه إذا شاء فتحها أو أغلقها أي أنه لا يحق لأحد أن يناقشه في أعماله .

(١) تاريخ الاسلام السياسي . . . حسن ابراهيم حسن ج ٢ ص ٢٠٥

لما تمزقت الامبراطورية العربية الاسلامية ونشأت الدويلات المرتبطة بالدولة العباسية أو الخارجة عليها، صار يظهر مع اسم الخليفة أسماء أمراء وملوك هذه الدويلات إذا ظلوا على ولايتهم أو ينفردون بذكر أسمائهم إذا كانوا منفصلين انفصالاً تاماً كالفاطميين والأمويين في الأندلس... ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل صار يظهر اسم المتنفذ في بغداد نفسها على العملة مع اسم الخليفة .

يجب أن ننبه إلى أن مكان ضرب النقود مغفل على الدنانير الاموية مع أنه مذكور على العملة الفضية . نفقد انه يمكن أن نستنتج من هذا ان الخليفة كان يسمح لولائه أن يسكوا العملة الفضية دون الذهبية في ولايتهم . والذي يحملنا على تبني هذا الرأي أن الخطاط الذي حفر القوالب المتعددة لضرب النقود في سنة واحدة أو سنوات متتالية كان واحداً . وسيأتي ذكر الكتابة على النقود بعد قليل . ويمكن أيضاً أن نأخذ برأي آخر : وهو ان إغفال مكان الضرب كان للاختصار لأن مساحة الدينار أصغر من مساحة الدرهم ، لذا ذكر على الدرهم عدا مكان الضرب جملة (ولو كره الكافرون) آية الكريمة المذكورة على الهامش ، كما زيد (لم يكن له كفواً أحد) على الآيات المكتوبة في الوسط .

لقد اختلف النص في النقود الموضوعة تحت البحث بوضع كلمة (في) قبل ذكر سنة الضرب في السنوات الأولى : ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ هـ فقط [الصف (١) الصورة (٦)] ثم حذفت هذه الكلمة في جميع السنوات الباقية [الصف (٢) الصورة (٦)] .

* * *

إذا تأملنا الكتابة العربية على هذه النقود نجد أنها فاضحة التطور ، ولم يختلف رسم الحرف في ذاك العصر عن العصور التالية إلا اختلافاً بسيطاً : مثلاً الحاء كانت ترسم مفتوحة بكثرة (ح) وقد ترسم خطاً مستقيماً مائلاً إذا أتت بين حرفين كما رسمت في كلمة (محمد) . وترسم الكاف المتطرفة في آخر الكلمة كالكاف المتوسطة على الشكل (ك) . وترسم الدين المتوسطة والمتطرفة دون وصل نهايتها المليين كذا (خ ، ح) . وترسم الصاد على الشكل (ص) أي أن السن لاصق بطرف الاستدارة البيضوية . وترسم الدال على الشكل (د) أو الشكل (د) . وترسم الميم مخنصرة على الشكل (م) . وصفوة القول ان الخط العربي اذ ذاك لم يكن فيه ليونة بل تئلب عليه الخطوط المنكسرة ، الا أننا نلاحظ فيه دقة وقسوة وذوق لطيف . والخط المثبت على هذه الدنانير يعتبر بين الخط النسخي والخط الكوفي . ويلاحظ أن بدء الحروف ونهاياتها الملياً متضخمة كأنها

نقط كبيرة في نقود السنوات (١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣) وقد يصح أن نسمي هذا النوع من الخط (الخط المنقط) . [الصورة (٧)]

أما من حيث تنقيط الحروف ، فإن العرب كانوا يستعملونه في ذلك العصر ، ويعود الفضل في ذلك الى الحجاج ، لكنهم كانوا لا يلتزمون استعماله على الدوام بل عند تفادي الالتباس : لذا رأينا على الدنانير العائدة للسنوات (٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٨) نقطتين تحت باء كلمة (يولد) [الصف (١) الصورة (٨)] ؛ ورأينا على دنانير سنة (٨٥) — النقطتين تحت ياء كلمة (يلد) [الصف (٢) الصورة (٨)] ؛ كما رأينا نقطة تحت باء كلمة (سبع) في دنانير سنة (٨٧) فقط ، ولم توضع النقطة تحت باء كلمة (سبع) في دنانير سنة (٩٧) [الصف (٣) الصورة (٨)] ؛ ووضعت أيضاً نقطة تحت باء كلمة (ضرب) على دنانير السنوات (١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٣) [القسم الايمن من الصورة (٩)]

هذا اذا أراد الخطاط العربي أن يستعمل التنقيط ، لكنه اذا زهد فيه ، فانه محتال في اظهار الفرق بين الحروف المتشابهة كأن يرسم الكلمتين المتشابهتين بشكل لا يؤدي الى الالتباس كما فعل في رسم (سمع) و (سمع) ؛ فقد امال اسنان السين وأوقف سن الباء أو التاء [الصف (٥) الصورة (٨)]

أما من حيث الاملاء ، فإن النص لا يسمح لنا الا بملاحظتين فقط : الاولى عدم اثبات ألف الوصل في كلمة (اثنين) في الدنانير الحاوية عليها في سنوات (٨٢ ، ٩٢ ، ١٠٣) [الصف (٤) الصورة (٨)] ، والثانية عدم رسم حرف المد (الألف) في كلمة (الدينر) . ونحن لا نزال نرث بعض الكلمات التي لا تزال ترسم بدون الف مثل كلمات (إله ، الله ، هذا ...) ، كما نرث أيضاً اهمال رسم الف الوصل في التركيب (بسم) لأن هذه الكلمات أكثر ما تستعمل في الكتب الدينية التي تعتبر أكثر محافظة على القديم وأعراس قياداً للتجديد ، لذا اتصل استعمالها ، وما أحب واضمو قواعد الاملاء تبديلها بقبية شواذ معتبرة حتى اليوم .

* * *

اذا دققنا هذه النقود لنعرف أكانت الدنانير العائدة لسنة واحدة من ضربة واحدة أم من عدة ضربات ؟ — في الواقع كنا نحسب أن أغلب النقود العائدة لسنة واحدة من ضربة واحدة ، وكنا نتلص أن نمثر على دينارين من ضربتين مختلفتين ، وما كان اشد عجبنا عند ما لم نستطع أن نجد دينارين أو ثلاثة من ضربة واحدة الا بعد عناء كبير ، وكل دينار يختلف في طبعته عن بقية الدنانير المضروبة في سنة واحدة . ولقد جمعنا بعض الدنانير ذات الضربة الواحدة في الصورة (٩) ونلفت النظر أيضاً الى أن الدينارين الظاهرين في الصف (٣) من الصورة نفسها لهما وجه من ضربة واحدة ووجه آخر

من ضربتين مختلفتين ، أما الدينارين الظاهرين في الصف (٢) فوجه واحد من نفس الطبعة والوجه الآخر من ضربتين متقاربتين .

إذا اردنا ان نفسر هذه الظاهرة نقول : (١) ربما كانت المادة التي تحفر فيها الكتابة على القالب لينة كأن تكون من الرصاص أو قابلة للتآكل ، فلا يمكن الاستمرار بضرب عدد كبير من الدينارين . والذي يحملنا على هذا الاعتقاد وجود عدد من الدينارين المطبوسة التي لا يعود عدم وضوحها الى كثرة التداول بل الى ضربها ، بينما توجد دنانير شديدة الوضوح ، مما يدل أنها كانت أسبق في خروجها من بين القالبين الجديدين .

(٢) بمد تعريب العملة واتساع الحركة الاقتصادية أصبحت الكمية اللازمة من النقود كبيرة جداً ، فافتضى ذلك أن يصنع عدد كبير من القوالب لتفي بالحاجة .

(٣) تذكر كتب التاريخ أن الخلفاء كانوا يسمحون لولايتهم أن يسكوا العملة في ولاياتهم ، ترى أ كانت هذه الدينارين مسكوكة في عدة ولايات أم أنها مسكوكة في مدينة واحدة ؟ - تبين لنا من دراسة هذه النقود أن الكاتب الذى حفر القوالب في سنة واحدة أو سنوات متتالية كان واحداً ، ولأول وهلة يحسب الناظر أن الدينارين المائدة لسنة واحدة أو سنوات متتالية كأنها من ضربة واحدة . لذا نستبعد أن تكون هذه الدينارين مسكوكة في ولايات متعددة .

وهنا يجب أن نتساءل : هل كان من المصادفة أن تكون هذه المجموعة التي نملكها مضروبة في مدينة واحدة ولم يكن ضمنها ما هو مضروب في ولايات أخرى ، أو أن الخليفة كان يسمح بضرب العملة الفضية (١) فقط في الولايات ويقصر سك العملة الذهبية على العاصمة فقط ؟ - في الواقع ان اغفال مكان الضرب على الدينارين ، وكشابه الخط في الدينارين المائدة لفترات : كلا الأمرين يحملنا على ترجيح اقتصار العاصمة على سك النقود الذهبية . وسنظل نرجح هذا الرأي حتى نمثر على آثار أو وثائق تحملنا على تبديله

وما دمتنا نتحدث عن كشابه الخط في السنة الواحدة أو السنوات المتتالية ، فلا بأس من أن نقارن بين خطوط الخطاطين الذين كتبوا هذه الدينارين : تلفت النظر الى الصورة (٧) التي تعطينا في الصف الأول نموذجاً عن خط خطاط مارس العمل في السنوات (٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠) . ونموذجاً ثانياً عن خط آخر في الصف الثاني في السنوات (٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤) ، ونموذجاً ثالثاً في الصفين الثالث والرابع للسنوات الكائنة بين سنتي (٩٢ - ٩٩) ، ويوجد نموذج رابع في السنوات (١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢)

(١) كنا ذكرنا منذ دراسة النص في أول هذا البحث أن العملة الفضية تحمل اسم المدينة التي ضربت فيها ، أما العملة الذهبية فانها منفلة من ذكر مكان الضرب .

(١٠٣) يمكن ان تراه في الصورة (٩) . نلاحظ في النموذجين الاول والثاني أن الخط كان يميل الى النعومة ، بينما نرى غلظة خط النموذج الثالث ودقة ومثانة الخط في النموذج الرابع ، وقد اتبع الخطاط فيه أسلوباً معيناً — ذكرناه في مكان آخر — هو تضخيم بدايات ونهايات الحروف العالية التي تبدو كأنها تقط .

* * *

ولا بأس أن نختم البحث بالإشارة الى ملابسات دفن هذه النقود في المنطقة التي وجدت فيها . لقد ذكرنا في مطلع البحث أنها وجدت على عمق ٣٥م من مستوى الارض الحالي ، ولا بد أن الذي طمرها كان من العصر الاموي نفسه ، لانه لم نعلم على نقد واحد من غير ذلك العصر ، ولا يمكن أن يكون ذلك اتفاقاً لأننا وجدنا عدداً من الدينارين من كل سنة بين الستين ٧٨ و ١٠٣ هـ ذكرنا آنفاً . وان العمق الذي وجد فيه الكثر يجعلنا نقبل أيضاً أن يكون الطمر من العصر الاموي ، ولا بد أن صاحبها دفنها على عمق متر أو أقل من سطح الارض في ذلك الوقت ، وان ارتفاع مستوى الارض بسبب التراكمات المديدة خلال الاجيال حتى يومنا هذا يمكن أن يقدر بثلاثة أمتار ونيف . لذا نقبل أن تكون هذه النقود دفنت من العهد الاموي . كان صاحبها — حسب ما يبدو — يتحرى نظافة النقود المدخرة لانا وجدناها جميعاً بحالة حسنة . ولعل صاحبها توقف عن الادخار في سنة ١٠٣ هـ بسبب موته أو انقطاع رزقه ، وربما عاش هذا الاموي حتى أيام الفتنة الكبرى وبقي كنزه مجهولاً بسبب مقتله في الانقلاب العباسي .

م . ابو الفرج العسّي

قلعة دمشق

دراسة أولية

بقلم : عمران البني

رئيس الحفريات والدراسات الفنية
في مديرية الآثار العامة

مقدمة

لم تدرس قلعة دمشق دراسة أثرية إلا منذ ربع قرن ، إذ أن الدراسات التي قام بها فان برشم Van Berchem وسوبرنهايم Sabernheim حوالي مطلع القرن الحالي لم تستهدف سوى الكتابات الموجودة فيها .

ومنذ عام ١٩٢٤ قام الاستاذان ووزنجر Watzinger وولزنجر Wulzinger بدراسات ممتازة عن القلعة أكلها الاستاذ جان سوفاجيه Jean Sauvaget بدراسة مفصلة من الناحية العمرانية نشرها في مجلة سيريا Syria عام ١٩٣٠ . ومن ثم قامت مديرية الآثار العامة في عهد الاستقلال بدراسات هندسية وترميمات هامة فيها - ولكن هذه الدراسات جميعها استهدفت الناحية الهندسية أما الناحية التاريخية للقلعة وأحداثها فانها ما تزال بحاجة للدراسة على مفاصلة بالرجوع خاصة إلى المراجع العربية في الفترة الأيوبية التي تم فيها بناء القلعة ، وهذه المراجع على قلتها ليست سهلة المأخذ .

والبحث الثاني هو بمثابة دراسة أولية أو خطوط كبرى لتاريخ قلعة دمشق مستقاة من المصادر القليلة التي استطعت الوصول إليها وأنا بين يدي بحني .

قلعة دمشق

في الزاوية الشمالية الغربية لسور دمشق القديم تقع القلعة الأيوبية التي تمثل منحة المدينة الباسلة ، وهي نموذج ممتاز لفن الرياسة العسكرية الأيوبية كما أنها القلعة الوحيدة تقريباً في سوريا
آ (٤)

التي بنيت على مستوى أرض المدينة ، ومن أحسن الفلاع الايوبية الكبرى التي ظلت في حالة عمرانية جيدة على الأرض السورية ، رغم مرور سبعة قرون ونصف تماماً على بنائها بشكلها الحالي بينما لم يبق في قلعة حلب من ذلك العهد سوى الباب والمسجد ، إذ بدأ الملك العادل سلطان مصر ، أخو صلاح الدين الايوبي بتشيدتها منذ مطلع القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) مبدءاً ببناء قلعة كمود للعهد السلجوقي استخدمها الاتابكة ثم غني بها بدم صلاح الدين الايوبي نفسه ، ولعل القلعة السلجوقية بدورها قامت مكان تحصينات عربية كمود للعهد الاموي . ولا يمكن أن نذهب لا بعد من ذلك فنفرض كما يقول بعضهم ، وجود معسكر روماني في المكان نفسه ، إذ أن كثيراً من المؤرخين الاثريين الذين يمتد برأيهم لا يرون ذلك ، وفي المصور الذي أنشأه السيد سوفاجيه لوضع دمشق في العصر الروماني ، واستنقاه من أوثق المصادر التاريخية لم يظهر في الزاوية الشمالية الغربية من السور حيث تقوم القلعة الحالية أي أثر لحصن أو معسكر روماني ، كما أن المصادر العربية وأخبار الفتوح لم تذكر في حصار دمشق سوى أبواب المدينة وأسوارها .

القلعة السابقة للعهد الايوبي

في عام (٥٤٦٠ هـ - ١٠٧٦ م) انتزع الأمير آكسيز دمشق من سلطة الفاطميين في مصر ووضعها تحت حكم السلاجقة الذين أخذوا يحكمونها إما مباشرة أو عن طريق آتابكهم ، وأعظم هؤلاء الاتابكة نور الدين زنكي (الشهيد) . وقد نصب اهتمام هؤلاء الاتابكة إلى نواح ثقافية وعمرانية متعددة شواهدا كثيرة في دمشق ، كما عتوا بالتحصينات العسكرية لوقاية المدينة خلال الحروب الصليبية ، فقد هددها الفرنجة مرتين عام (١١٢٩ م) وعام (١١٤٨ م) . ومن أروع الدلائل على هذه العناية ببناء القلعة من قبل الأمير آكسيز نفسه في الزاوية الشمالية الغربية من سور دمشق ، كما أسلفنا . وظل الاتابكة من بعده يمتنون بها دون انقطاع ، ففي أخبار نور الدين زنكي (١١٥٤ م - ٥٤٩ هـ) أنه بنى في القلعة داراً للسرة وبنى في غربها داراً للعدل .

في عهد صلاح الدين

وعندما أسس صلاح الدين الايوبي الدولة الايوبية ، ودخل دمشق مسلماً (سنة ٥٧٠ هـ - ١١٧٤ م) نزل في دار أية المروفة آتخذ بدار العقبي ، وعصت عليه القلعة وكان فيها من جهة الملك الصالح بن نور الدين زنكي خادم اسمه ربحان ، فراسله صلاح الدين واستماله فسلم

إليه القلعة ، فجعل عرشه فيها وأصبحت بمثابة مقر لأركان حرب الأعمال العسكرية المظفرة التي قام بها .

وكان لصالح الدين في القلعة برج خاص يسهر فيه أحياناً ، ويستقري من يحرسه في الليل وهو في برجه الجزء أو الجزئين من الفرائج وهو يسمع ، كما كان هناك قصر له ولأهله ، ودار في بستان وإيوان شمالي . وكان للقلعة جسر عبره السلطان لصالح الدين آخر مرة قبل وفاته (٥٥٨٩ - ١١٩٣ م) . وكان مرضه في الدار القائمة في البستان ، ولا توفي فيها غشيت القلعة وحشة عظيمة ، وصلي عليه في مسجدتها وأعيد إلى الدار التي في البستان وكان ممرضاً بها ، ودفن في الضفة الغربية منها ، وجلس ابنه الملك الأفضل للزهاء في الإيوان الشمالي وحفظ باب القلعة إلا عن الخواص والمحميين ، ثم بنى له تربة قرب الجامع الأموي وكانت داراً لرجل صالح وتقل إليها من القلعة بعد ثلاث سنوات ، ومضى ابنه الأفضل بين يدي تابوته وأخرج من باب القلعة الشرقي ماراً بدار الحديث النورية إلى باب البريد .

ويذكر المؤرخون أن لصالح الدين ما انفك يعني بالقلعة وتحصينها وقضى كل أيامه بدمشق فيها ، فإذا كانت دمشق في عهده المركز الرئيسي للتقاليد الثقافية والدينية والعسكرية والسياسية في العالم الإسلامي ، فإن القلعة كانت هي المركز الفعلي لكل هذا النشاط الواسع .

بناء القلعة الحالية على يد الملك العادل

ولما آلت السلطة في الديار المصرية والسورية للملك العادل أخي لصالح الدين قام بإيد بناء القلعة من جديد ، ففي أخبار عام (٥٦٠٤ - ١٢٠٦ م) أن الملك العادل أهتم بعمارة قلعة دمشق وألزم كل واحد من ملوك أهل بيته بعمارة برج من أبراجها .

كانت غاية الملك العادل من عمله جعل القلعة تنسجم مع تطور الفن العسكري ومتطلباته الحديثة آنئذ ، وقد دام عمله ١٢ عاماً وسار على خطته هذه أربعة سلاطين متتابعين من خلفائه . تجاوز عمل الملك العادل في القلعة حدودها القديمة فتقدمت الأسوار من جميع الجهات وأصبحت تشكل مستطيلاً أبعاده (٢٢٠ × ١٦٠ م) ودعمت مداخلها وبني في قسمها الغربي قصراً اتخذ مقراً لحكام دمشق حتى غزو المغول عام (٥٦٥٨ - ١٢٦٠ م) وأصبحت بمثابة حامي ملكي ، تجتمعت فيه حول السلطان أو الحاكم كل مصالح الدولة ، فصار فيها إلى جانب القصر وبيوت الأعيان ، قاعة العرش (الإيوان) ومراكز الإدارة المدنية والعسكرية ، يضاف إلى ذلك برج لطبوع البريد ودار لصك النقود ومصنع للسلاح وسجن وسوق وحمام وعدة مساجد منها المسجد الذي يصلي فيه السلطان ولا يصلي بغيره إلا في الميدين حيث يصلي

في الجامع الأموي . وهكذا أصبحت القلعة بعد عمارة المادل مدينة ملكية إدارية وعسكرية تكفي نفسها بنفسها .

وفي هذه القلعة توفي الملك المعظم ابن المادل عام (٦٢٤ هـ) وكذلك توفي فيها في عام (٦٣٥ هـ) الملك الكامل ابنه الثاني .

خراب القلعة على يد التتر (في عهد هولاكو)

وفي أخبار دمشق عام (٦٥٨ هـ - ١٢٦٠ م) أن التتر بعد سقوط بغداد، ملكوا دمشق بالآمان وعصت عليهم القلعة فحاصروها وجرى على أهل دمشق بسبب عصيانها شدة عظيمة وضايقها التتر وأقاموا عليها المجانيق ثم تسلموها فنهبوا جميع ما فيها وجدّوا في خراب أسوارها واحرقوا قصرها واعداد كل ما بها من الزردخانات وآلاتها وبعد مدة أخرج التتر نقيب قلعة دمشق وواليا وضربوا عنقها في داريا .

القلعة في عهد المماليك

ثم هزم التتر شرهزيمة في معركة (عين جالوت) على يد الملك المظفر قطز وقائده بيبرس البندقداري الذي أصبح في العام نفسه (أي ٦٥٨ هـ - ١٢٦٠ م) سلطاناً من مصر وسورية باسم الملك الظاهر بيبرس . وكان في دمشق نائباً للسلطنة الأمير علم الدين سنجر الحلبي وقد سمى نفسه بالملك المجاهد وشرع في عمارة القلعة بعد الخراب الذي حصل فيها على يد التتر وجمع لها كبراء الدولة والصناع وعمل الناس نجماً فيها بما فيهم النساء وكانوا بذلك فرحين مسرورين .

ثم استولى الملك الظاهر بيبرس على دمشق وقضى على مقاومة الأمير علم الدين في ظاهر المدينة فالتجأ هذا إلى القلعة ليلاً ثم هرب منها إلى جهة بلبك ، فاحتلها الملك الظاهر وأتم إصلاحها خوفاً من عودة هجوم التتر عليها .

وفي عام (٦٧٦ هـ - ١٢٧٧ م) توفي الملك الظاهر بيبرس فيها فكنم نائبه ومملوكه بدر الدين تئليك المعروف بالخزندار نبأ موته وصبره وترك في القلعة إلى أن انتهت تربته قرب الجامع الأموي فدفنه فيها .

ثم تعاقب خلال عهد المماليك تنف يسيرة من أخبار القلعة والنزاع عليها ويظهر أن نائباً خاصاً كان يتولاها فقد خاف سلاطين المماليك فيما بعد من أن تصبح القلعة ملتجأً حصيناً لنوابهم الثائرين فجعلوا لها حاكماً أو نائباً خاصاً مرتبطاً رأساً بالسلطان ، أما حاكم المدينة فيقيم

في دار العدل التي ذكرناها والتي أصبحت تسمى قصر الحاكم . ومن نواب قلعة دمشق الأمير الكبير علم الدين الدمينري المتوفي عام ٧٣٢ هـ .
ويجدر بالذكر أنه في عهد المالك قد نشأ أمام الباب الشمالي للقلعة حي يسمى (حي تحت القلعة) وكانت تجري فيه الاستعراضات العسكرية لفرسان القلعة وحامية دمشق كما يجري بيع الخيول وشرائها فسمي الحي من أجل ذلك (سوق الخيل) وقد تطورت هذه السوق وأصبحت سوقاً تجارية هامة في حياة المدينة .

اصلاحات القلعة في عهد المالك .

الضح بنتيجة دراسة كتابات القلعة أن خمسة اصلاحات جرت فيها زمن المالك ، أولها اصلاح الملك الظاهر الذي أوردناه آنفاً ويمكن التعرف في القلعة الى أكثر من خمس كتابات من عهده ، وهناك اشارات الى إصلاحات أربعة من سلاطين المالك بعده وهم قلاوون الذي أصلح القصر وبعض الابراج الشرقية وعبد بن قلاوون ونوروز الحفيظي وقالصوه النوري ، الذين قاموا باصلاح عدة مواضع من السور والابراج .
ويجب أن نورد هنا أن قسماً من جبهتي القلعة الشمالية والشرقية قد خرب على يد تيمورلنك في ذلك العهد .

والاصلاحات التي جرت في عهد المالك هي ترميمات ثانوية لم تغير من مظهر القلعة وطابعها الأيوبي ولا يمكن أن نطينا فكرة واضحة عن تطور فن التحصين العسكري السوري في عهد المالك .

في العهد العثماني

أخذت القلعة في هذا العهد تنهدم شيئاً فشيئاً نظراً لإهمالها إلا في بعض الحالات حيث كانت تجصص جزئياً وترمم أبوابها . وكان من نتيجة هذا الإهمال أن غيب خندقها تحت الأتربة المتراكمة وأحاطت بها الإبنية الطفيلية من أكثر جنباتها .

وصف مجمل للقلعة في وضعها الحالي

لمد قلعة دمشق نموذجاً ممتازاً لفن العمارة العسكرية في العهد الأيوبي ، وأول ما يلفت الانتباه في هذا الفن الابراج الشاهقة التي تتألف من عدة طوابق ، وكل طابق عبارة عن

ردهة واسعة معقودة وكانت الطوابق السفلى تستخدم كمناجر لتخزين الفلال استمداداً للحصار ، والطوابق العليا لسكن الجند . وهذه الأبراج تبنى بالحجارة القوية المدببة التي تؤلف سطوحاً خارجية ذات مناظر توحى بالقوة والصلابة وتختلها نوافذ جميلة بارزة لرمي الحجارة والمواد المشتعلة والسوائل الحارة الغالية وفي أعلى الأبراج توجد الافاريز والشراريف المدرجة ، وكذلك فان فن العمارة العسكرية هذا يعني بالابواب المقرنصة التي نجد نموذجاً رائماً منها في المدخل الشرقي .

إن زائر قلعة دمشق من جهتها الغربية يمتدحه مدخل خارجي يعود للعهد العثماني غالباً ، وهو يقع مكان (باب السر) القديم الذي كان مخصصاً بمرور الحائكم فقط — بصورة سرية غالباً — وكان المار من هذا الباب يمر على جسر خشبي يلقى على الخندق ويروى أن النائب الذي يتسلم المدينة كان يصلي ركعتين أمام هذا الباب .

بعد اجتياز هذا المدخل الغربي نجد الزائر الى يمينه ، في الجنوب الغربي بقايا القصر المملوكي الذي كانت فيه شقق السلطان وطائفة ، وهذه البقايا عبارة عن بناء في قسمه السفلي فجوات بشكل قوس مكسور وحجرات عليها قباب ما زالت بقايا الجص الملون واضحة عليها ، أما الطابق العلوي في القصر فقد اختفى وقد كانت أمام القصر بمض (الفيسفاء) اطلالها تزين ردهات الاستقبال في القصر الذي اندثرت اكثر أقسامه .

واذا ما تقدمنا نحو الشرق نجد برجين جميلين يعود بناؤها للعهد الملك المادل (السابع الهجري — الثالث عشر ميلادي) ويتألف هذان البرجان من ثلاثة طوابق معقودة في كل منها خمس كوات للرماية ، وسطح البرجين الخارجي محاط من اعلاه بشراريف وفوقها كوات مستطيلة مسننة . وكل من البرجين يشكل مستطيلاً ابعاده (١٣ × ٢٦ م) وارتفاعه الى اسفل الخندق ٢٥ م . وقد كان الترتيب نفسه موجوداً في ابراج القلعة جميعها (وعددها ١٢) وكذلك فيما يتعلق بسكاكة الجدران وأحجارها المدببة الجميلة .

أما المدخل الشمالي للقلعة (باب الحديد) فيتألف من بايين ، الباب الخارجي (أعيد بناؤه في القرن الخامس عشر) والباب الداخلي ، وبينهما عمر معقود ، وكانت هناك قبة صغيرة تفتح على الباحة بقوس مثلث نصفه اليوم مغيب في الارض ، وهناك ردهة طويلة فوقها قبة (وهي تستخدم حالياً كسجن) كانت تربط مباشرة المدخل الشمالي بالمدخل الشرقي وتسمح باجتياز القلعة من جانب الى آخر .

وفي آخر الباحة نرى ردهة كبرى يؤدي إليها المدخل الشرقي وهي عبارة عن قاعة مربعة (٢٠ × ٢٠ م) تضيئها قبة تدعمها أربعة أعمدة كورنتية ضخمة .

أما الباب الشرقي للقلعة (وهو باب السجن الحالي) فلم يعد يؤدي إلى الباحة إذ بني آتشد جدار بين البرجين الذين يقمان على جانبي المدخل وثقب فيه مدخل تعلوه كوة مستطيلة لرمي الحجارة والسوائل المشتعلة فوق المهاجمين . أما الباب الأصلي المبني عام (١٢١٣ م) فهو من أجل الأبواب المفرنصة التي توجد في سورية والراجح أنه أثني على يد مهندس معمار من حلب لازدهار هذا الفن في حلب في ذلك الزمان . وقد نقش على جنبات هذا الباب في القرن الخامس عشر الميلادي قرارات تتعلق بتنظيم الجيش وإدارة القلعة . ويؤدي هذا الباب إلى ممر أقل تحصيناً من ممر باب الحديد لأنه أقل كمرضاً لخطر باعتباره يؤدي إلى المدينة ونجد في الممر المذكور مسجداً صغيراً من مساجد القلعة قبابه منقطة بزخارف جصية جميلة مشابهة لتزيينات القصر الملكي التي ذكرناها آنفاً .

والبرج القائم في الزاوية الشمالية الشرقية كان بمثابة برج متقدم للدفاع ونرى على واجهته الشرقية كتابة من العهد الأيوبي (الثالث عشر الميلادي) وقد أحدثت في هذا البرج في القرن السادس عشر الميلادي كوة مستطيلة لرمي السهام والحجارة لإمالة المهاجمين قبل الوصول إلى الأبراج الأخرى .

هذا وقد أجريت على القلعة من جديد في الآونة الأخيرة كمديلات كثيرة مما نشأ عنه ضرورة إعادة النظر في وضعها من الناحية الهندسية والمعمارية في المستقبل القريب .

مستقبل القلعة : أما فيما يتعلق بمستقبل القلعة فقد جاء في تقرير لجنة الأونسكو عام ١٩٥٣ المؤلفة من الأستاذ كولار والدكتور سليم عادل عبد الحق مدير الآثار العام والأستاذ ديلون في الصفحة ٩ ما يلي : « إننا نرى في تنظيم القلعة أهمية كبرى يمكن أن تكتسبها نواة المدينة القديمة من الناحيتين البدئية والعملية ، ويلاحظ أن جمال هذه العمارة ظاهر هنا بجلاء ، ويكفي لذلك أن نفكر بحجوم واجهاتها العظيمة وأبراجها وبجمال بابها المفرنص في مدخلها الشرقي . ولا ينبغي أنها تستخدم كسكنة وسجناً في يومنا هذا ويجب إذا أُريد أن يستفاد منها أن تدخل فراغاتها الداخلية في حياة المدينة وذلك عن طريق إيجاد حديقة عامة فيها وأن يوصل بين هذه الحديقة وشوارع المدينة » وكسمى مديرية الآثار

العامة بالاتفاق مع الدوائر المختصة لأن تقيم بها متحفاً حرياً يضم نماذج عن جميع الأسلحة التي عرفها تاريخ بلادنا .

مراجع البحث

- تاريخ أبي الفداء — المجلد الثالث — طبعه القسطنطينية ١٢٨٦ هـ
 تاريخ ابن الاثير — الجزء الحادي عشر .
 سيرة صلاح الدين لابن شداد . (وفي ذيله منتخبات من كتاب التاريخ لصاحب حماة) .
 طبع مصر (طام ؟)
 الدكتور عبد الحق — معاز — مشاهد دمشق الاثرية دمشق ١٩٥٠
 كولار — عبد الحق — دبلون — تقرير الاونسكولعام ١٩٥٣ — الطبعة المربية .

Jean, Sauvaget :

- Citadelle de Damas — Syria — 1930.*
Les monuments Historique de Damas. Beyrouth 1932.
Esquisse d'une histoire de la ville de Damas.
 Extraits de la Revue des Etudes Islamiques.
 Année 1934 — Cathier IV. Paris 1935.

بناء المدن السورية وتنظيمها *

في العصر الهلنستي

للمستاذ بشير زهري
ليسانس في الحقوق والآداب
دبلوم مهده الفنون

إن موقع سوريا الجغرافي الهام عند ملتقى القارات الثلاث — آسيا وأوروبا وأفريقيا — من جهة ومماصرتها أقدم الامبراطوريات (من مصرية وبابلية وحشية وآشورية . . .) من جهة أخرى . كل ذلك جعل علماء الآثار في جميع أنحاء العالم يشككون [بمثاث أثرية وينسجون الى سوريا التي يعتبرونها د جنة علماء الآثار ، ليعثوا فيها عن أسرار الماضي بعدما زهدوا بالمعلومات التي تحويها الكتب .

ولئن كان هدف البعثات العلمية في الماضي هو العثور على الخلى الذهبية والالوان القديمة والفخار والتماثيل وغيرها مما لا يقدر بثمن ، فإن البعثات الاثرية منذ عهد قريب أخذت تهتم بدراسة مباني المدن المندثرة ، ومبانيها وقصورها وشوارعها وساحاتها وبكلمة موجزة بما نسميه « تنظيم المدن » .

ولاشك أن موضوع تنظيم المدن هو من المواضيع التي يهتم بها علماء الآثار في سوريا وخارجها . فبلادنا ذات التاريخ البعيد في القدم تضم مدناً كبيرة وصغيرة ، حية ومندثرة ، لا يعود تاريخ تأسيسها وتنظيمها إلى فترة تاريخية واحدة . ففيها المدن التي لا يعرف تاريخ بنائها على التأكيد

(★) يسرني أن أعظم فرصة نشر هذا البحث الأول لأتوجه إلى الدكتور سليم عبد الحق بأسمى معاني الشكر لتشجيعه المتواصل لي . كما أنني أشكر جميع أساتذتي المحترمين على ما أفادوني به من علم ومعرفة وإطلاع .

لأنها أقدم من التاريخ نفسه (كدمشق مثلاً) . وقد جعل نشوء الحضارات المديدة في بلادنا وفيما يحاورها ، وتميز كل حضارة بطابع خاص ، جعل بلادنا أشبه ما تكون بـ « كتاب ضخيم مجيد » يضم أقساماً وفصولاً ، كلا منها عبارة عن مرحلة تاريخية تميز ببناء مدينة . فتضم بذلك جهداً إلى جهود سابقة وكضيف بناء إلى أبنية الوطن . وهكذا نرى — فيما يتعلق بتنظيم المدن السوريّة — ان بلادنا هي بمثابة موسوعة لهذا العلم . ففيها ظهرت التجارب الأولى في سبيل تأسيس مدن صغيرة لا تنظيم فيها . . . وفيها نرى ما وصل إليه الفكر البشري — على عمر الزمن — من رقي في العمران بوضع مخططات مستديرة الشكل (كجرابلس مثلاً) على النمط الحالي ، ومخططات مضلعة ، ومخططات منتظمة لها شكل رقعة الشطرنج التي تبنتها المدن في العصر الهلنستي (كأنطاكية ودورا اوروبوس) ومخططات ذات شارعين رئيسيين متعامدين : الشارع الذي يتجه من الشمال إلى الجنوب ، والشارع الذي يمتد من الشرق إلى الغرب (وهي المخططات التي تميز بها المدن ومسكرات الحدود في العصر الروماني) . وأخيراً فقد ساهمت الحضارة الإسلامية بتطور هذا العلم عندما شيدت مدناً جديدة (كالرملة مثلاً) وسأقتصر على بناء المدن السوريّة وتنظيمها في العصر الهلنستي آملاً بحث هذا العلم في العصر الروماني وغيره في أبحاث قادمة .

* * *

يتميز العصر الهلنستي بالجهود الكبيرة الموجهة نحو إنشاء المدن وتنظيمها . ويعود الفضل في ذلك إلى الاسكندر المكدوني إذ أن أول ما قام به بعد انتصاره على داريوس قرب الحدود السوريّة التركيّة — هو تأسيس مدينة الاسكندرونة . وقد أدى إعجاب قواده بعمله العمراني هذا إلى تبني فكرته عندما اقتسموا امبراطوريته فيما بينهم . فشهدت سوريّة في هذا العصر نهضة عمرانيّة واسعة النطاق لم ترها من ذي قبل . ويكفي أن نقارن عدد المدن السوريّة قبل العصر الهلنستي وبعده لنندرك مدى تلك النهضة .

والواقع أن سلوقس نيكاتور أسس مدينة السويدية (لتخليد اسمه) وأنطاكية (باسم أبيه انطيوخس) وأقاميه (باسم زوجته) واللاذقية (باسم أمه لاوديس) وبيرويا — أي حلب حالياً — (باسم مدينة في مكدونيا) كما أن نيكاتور أحد قواد أتيغون الأول أسس في ذلك العصر نفسه مدينة دورا اوروبوس (الصالحية) .

ولكن فكرة تخليد الحاكم أو الملك اسمه بتأسيس مدينة ما ليست فكرة حديثة بالنسبة لشرقنا ، ولم تزل بعد العصر الهلنستي . فقد كان الملوك البابليون والآشوريون يستهلون حكمهم

بتأسيس مدينة حديثة . كما أن زنوبيا أنشأت عدة مدن على ضفة الفرات منها المدينة التي عرفت باسمها « زنوبيا » (الخلية في عصرنا الحاضر) .

ولكن الذي يسترعي انتباهنا هو أن نعرف الدافع الحقيقي الذي حمل السلوقيين على بناء هذا المدد الكبير من المدن .

من الثابت أن تحقيق السلام والقضاء على الحروب كانا من أهم أهداف الاسكندر المكدوني الأخيرة ، وذلك بخلق حضارة جديدة يسام فيها أبناء الشرق والغرب على السواء . وهذه الحضارة هي الحضارة الهلنستية . وقد كان قواد الاسكندر من بعده من مبشري هذه الحضارة في امبراطوريته الواسعة وكان من الحق عندم ان البلاد تنطبع بالطابع الاغريقي^(١) بقدر ما ينشأ فيها من مدن حديثة لها النمط الهلنستي . فكان يؤتى بالجنود المكدونيين واليونانيين ليتمكن الحكام بواسطتهم من ادارة البلاد والسيطرة عليها^(٢) . وهذا في الواقع ما يفسر لنا سبب تأسيس المدن في كل مكان ، على الساحل (اللاذقية ، السويدية) وفي الداخل (انطاكية ، يبرود ، اقلية . . .) ، وعلى ضفة الفرات (دورا اوروبوس . . .) لحفظ طرق المواصلات ومراقبة البدو في الصحراء وبذلك يتضح أن الباعث على تأسيس المدن الحديثة في سوريا في العصر الهلنستي — كان حب السيطرة على البلاد وطبعها بالطابع الاغريقي عن طريق نشر الحضارة الهلنستية في المدن فكانت النهضة العمرانية لدى السلوقيين اذن ذات مآرب سياسية وثقافية . وتجلى لنا هذه النهضة العمرانية في مظهرين :

(١) — بناء حي جديد أو تأسيس مدينة حديثة تجاور المدينة القديمة .

(٢) — بناء مدن حديثة .

فلنبحث كلا من هذين المظهرين على حده .

(١) — بناء حي جديد أو تأسيس مدينة حديثة مجاورة للمدينة القديمة : لم يقتصر السلوقيون

— لطبع البلاد بالطابع الاغريقي — على بناء المدن الحديثة فحسب بل عمدوا إلى بناء حي أو مدينة تجاور المدن التي كانت موجودة قبل العصر الهلنستي وبذلك حققوا غايتهم مما : نشر الحضارة الهلنستية ومراقبة السكان أحباب البلاد عن كذب . وهذا ما حققوه في دمشق ، اذا أضافوا الى المدينة الارامية القديمة مدينة حديثة اختلف المؤرخون على اسمها واسم بانها وتاريخ بنائها . فمنهم من اعتقد أن اسمها كان ارسينوه (٣) Arsinoé وان بانها هو بطليموس فيلادلف ، ومنهم من ذهب إلى الاعتقاد بان

(1) W. Tarn : La civilisation, hellénistique. Paris. Payot. p 124: Sauvaget :

Esquisse d'une histoire de la ville de Damas p. 437.

(2) Sauvaget : Alep 34 - 35.

(3) Sauvaget : Esquisse. . . 438 - 439.

اسمها كان Demétrias وان بانها هو أحد الملوك السلوقيين في فترة تقع بين ٩٥ و ٨٨ قبل الميلاد ، ومنهم أخيراً من جعل بناءها يمود إلى ١١١ ق . م عندما جعلها انطيوخس التاسع عاصمة له (١) . وعلى كل فها كان نصيب هذا الاسم أو ذاك من الصحة ، وان يكن هذا الملك أو ذاك هو باني المدينة فانه من الثابت أنه تأسس في العصر الهلنستي حي جديد مجاور للمدينة الآرامية [انظر اللوح الثالث . الصورة الاولى] أخذ باتساعه شكل مدينة لها جميع مميزات المدن الهلنستية . وفي الحقيقة اذا كانت دمشق الآرامية تحيط بمعبد الاله « حدد » فان المدينة الهلنستية المجاورة لها كانت تحيط بالساحة العامة (الاكورا) وتتميز بتساوي جزيراتها واستقامة شوارعها وتوازيها وتقاطعها مع بعضها بزوايا قائمة وغيرها من مميزات المدن الهلنستية . ولا شك أن حسن تنظيم هذه المدينة الهلنستية جعل المدينة الآرامية القديمة تتبناه فيما بعد ، حتى أن الانباط الذين كانوا يتوافدون بكثرة الى دمشق اتبعوا نفس التنظيم « تقريباً » في تخطيط حبيهم ، واذا قلنا « تقريباً » ، فذلك لانحراف جزيرات الحي النبطي . وما قلناه عن دمشق الآرامية القديمة يمكن أن يقال عن حلب . فالمرور عن حلب أنها مدينة قديمة جداً وموجودة بنحو عشرين قرناً قبل الميلاد ولكن كثرة الفزوات المتوالية قللت من اتساعها وأهميتها حتى اذا ما قبل العصر الهلنستي أنشأ سلوقس الاول مدينة جديدة وأطلق عليها اسم (يبرويا) وكان لهذه المدينة الحديثة جميع مميزات المدن الهلنستية [انظر اللوح الثالث - الصورة الثانية] التي سنأتي على ذكرها بالتفصيل - وهكذا كانت الاغريقيون يجاورون سكان البلاد الاصليين .

(٢) - بناء مدن جديدة : ان ما يزهو به العصر الهلنستي هو كثرة المدن الحديثة التي تأسست دفعة واحدة في عصر واحد ولا بد من الإشارة الى انه يجب ان لا نذهب بعيداً بمفهوم « البناء » اذ أن كثيراً من المدن التي اعتبرت حديثة لم تكن في الواقع سوى مدن قديمة أعيد بناؤها أو اقتصر على تغيير اسمها فقط . على انه يمكننا اعتبار انطاكية واللاذقية والسويدية واقلمية ودورا اوروبوس مدناً حديثة انشئت في العصر الهلنستي . ولا بد هنا من التنويه بان سوريا التي كانت تشهد في العصور السابقة منافسين خطرين (كالحثيين والمصريين و . . .) ، رأت في العصر الهلنستي منافسين جدداً هم البطالسة الانتيفونيون والسلوقيون . وكانت سياستهم العمرانية واحدة هي سياسة الاسكندر نفسها .

فقد وصول انتيفون الاعور الى سوريا شرع ببناء عاصمة له على ضفة نهر العاصي اسمها

(1) Sauvaget : Esquisse. . . 438 - 439 ;

E. Babelon : Les Rois de Syrie. . . Paris Rollin p. CLXI

باسم «انتيفونيا» ولقت نظره هضبة ذات موقع استراتيجي ففكر بإنشاء قلعة أو مدينة هناك اسمها «يلا» ولكن حكمه لم يدم طويلا إذ انه هزم وابنه وحل محله البطالسة والسلوقيون . ققام البطالسة ببناء المدن في سهل البقاع وسوريا الجنوبية . ولكن الجهود الكبيرة المبذولة في سبيل بناء المدن تعود الى سلوقس نيكاتور وخلفائه السلوقيين المروفيين باسم «ملوك سوريا» .

اختيار مكان ما لبناء مدينة حديثة : لاشك أن المكان أهميته الكبرى في مستقبل المدينة وحمايتها . وهذا ماجعل الحكام في ذلك العصر يختارون المضايق وضاف الانهار والواحات والساحل البحري وقرب الغابات والطرق التجارية وجوار الينابيع . . . فلنبحث ذلك بالتفصيل .

(أ) — المدن التي يعود سبب اختيار موقعها الى حصن : لقد كانت فكرة الدفاع من الامور الهامة عند حكام ذلك العصر والدليل على ذلك ان موقع « قلعة المضيق » على نهر العاصي جذب أنظار انتيفون الاعور فجعلها مدينة دطاها «يلا» (١) ولم تخف أهميتها الدفاعية — فيما بعد — عن سلوقس نيكاتور الذي تبني فكرة أنتيفون ولكنه جعل اسم المدينة « أقامية » (باسم زوجته) . والواقع أن الجبال التي تحيط بها تشبه السور المنيع يحيط به مجرى العاصي من جميع الاطراف ، وهذا ماجعلها تشبه القلعة الحصينة (٢) التي كانت في زمن السلوقيين معسكراً لهم يضم جميع قواتهم الحربية . وما يقال عن أقامية ينطبق تماماً على مدينة دورا اوروبوس التي جذب موقعها الاستراتيجي انظار الآشوريين فيما مضى ، ولم تخف أهميتها فيما بعد عن أنظار نيكاتور الذي جعلها مدينة محصنة استمر بناؤها في عهد سلوقس الاول وخلفائه من بعده .

(ب) — المدن التي يعود اختيار موقعها الى نهر : لم تخف فوائد الانهار وأهميتها الاستراتيجية عن حكام العصر الهلنستي . فقد اختار انتيفون الاعور موقع عاصمته «انتيفونيا» على ضفة نهر العاصي ، وهو الموقع ذاته الذي اختاره سلوقس نيكاتور فيما بعد لبناء عاصمته «الطاكية» التي عرفت باسم «الطاكية على العاصي» وفي الحقيقة فإن النهر يشكل بالنسبة لوسائل الدفاع في ذلك العصر — حاجزاً أمام العدو وهذا ما يسهل الانصراف الى تحصين بقية الجهات وفي هذا اقتصاد بالتحصين فضلاً عن الفوائد الناجمة عن سهولة النقل بواسطة الملاحة النهرية في عصر كان نهر العاصي قابلاً للملاحة (٣) . وهذا

(1) W. Tarn : La civilisation hellenistique p. 139.

(2) Strabon : L géographie. Trad. par Amédée. Paris. Librairie Hachette (1800). tome III (XVI).

(3) W. Tarn: La civ. hell. . p 138.

ما يفسر أيضاً أسباب اختيار السلوقيين - وزينوبيا فيما بعد - ضفاف نهر الفرات لانشاء المدن والمحطات التجارية .

(ج) - المدن التي يعود اختيار موقعها إلى البحر : لابد للمدن الداخلية من مرافئ تصدر البضائع منها وتستورد بها . وتعتبر هذه المرافئ بمثابة باب يدخل منها القادمون من بلاد ما وراء البحار . وهذا ما جعل السلوقيين يبنون مرافئ الالاذقية والسويدية وربما كان ازدهار هذين المرفأين في العصر الهلنستي ناتجاً عن سياسة السلوقيين ورعايتهم لها مما ساعد على نقل النشاط التجاري من المرافئ الفينيقية اليها ولاسيما صور التي شل نشاطها التجاري منذ حصار الاسكندر لها وتهديمه لجزيرتها .

(د) - المدن التي يعود اختيار موقعها إلى الطرق التجارية : لاشك ان التجارة من الاسباب التي تشجع على تأسيس المدن وازدهارها وهذا ما يوضح سبب بناء جرش - في العصر الهلنستي - على الطريق الذي يفصل دمشق عن فيلادلفيا . حتى ان دمشق نفسها تعود أهميتها - إلى حد ما - الى موقعها الجغرافي على الطريق التجاري الممتد من الشمال إلى الجنوب وهذا ما يجعلنا نتساءل فيما اذا كان انشاء السلوقيين المدينة الهلنستية جوار دمشق الأرامية يعود إلى سبب اقتصادي أم سياسي . مما يكن من أمر فانه من المحقق ان الطريق التجاري يساهم في ازدهار المدن كما ان أهمية المدن السياسية تؤدي الى امتداد طرق المواصلات نحوها . وهذا ما جعل أنطاكية قديماً مركزاً لشبكة من طرق المواصلات .

(هـ) - المدن التي يعود اختيار موقعها إلى ينبوع : يمكن ان يعتبر الينبوع من الاسباب التي تميز موقفاً على آخر عند البحث عن مكان ما لبناء مدينة ما ، وهذا ما جعل انطاكية تفخر بكثرة ينابيعها وحمل مسيوكلاشيل (١) دوني على الاعتقاد بأن بناء مدينة انطاكية يعود الى الاسكندر وليس الى سلوقس نيكاتور ، ويسرد مسيوكلاشيل دوني اسطورة تتلخص بان الاسكندر شرب من مياه هذه المنطقة فحمله استحسانه لمذوبة مياهها على بناء مدينة انطاكية . هذا وان كثرة مياه منطقة دفنه كانت من الاسباب التي شجعت على بناء دفنة ذات الشهرة الواسعة . ويذكر مسيواسكندر بوركونود ان موقع مدينة السويدية كان يسمى قبل العصر الهلنستي بـ «نهرماء» وهذا ما يجعلنا نعتقد ان كثرة مياه هذه المنطقة كانت من الاسباب التي شجعت سلوقس على اختيارها كموقع لبناء مدينة السويدية .

(و) - المدن التي يعود اختيار موقعها الى غابة : فهي حالة دفنه التي تقع في غابة واسعة .

استشارة الآلهة قبل البدء ببناء المدينة : يبدو ان سكان ذلك العصر كانوا يشكون بانفسهم

في حسن اختيارهم مكاناً ما لبناء مدينة حديثة . فكان عليهم ان يقدموا القرابين الى آلهتهم لبنالوا موافقتها وليعرفوا - بإشارة ما - مستقبل مدينتهم المزمع انشاؤها . تلك كانت حياة سلوقس نيكاتور عندما كان متردداً دون أن يستقر رأيه على موقع لبني فيه عاصمته . فبعد قيامه بالمناسك المعتادة في دفنه ذهب الى قمة « كاسيوس » لاستشارة الهه « زوس » مبتهلاً اليه ان يوحى اليه بموافقته بإشارة ما . وبعد قيامه بالتضحية المفروضة ترك الامر الى ارادة الآلهة لتعين له المكان المناسب . ونجاة رأى لسراً يلقي بقطعة من فريسة قرب البحر في موقع خصصه سلوقس لبناء مدينة السويدية . وأخيراً بنى عاصمته انطاكية بعد استشارة « زوس » اله مدينة أنتيونيا .

حفلة التدشين : يصف مسيول . م . انفري في كتابه « انطاكية » (١) حفلة تدشين مدينة انطاكية التي جرت بحضور جمهور غفير يتقدمه سلوقس نيكاتور ورجال الدين الوثنيون وحملة السلاح من الرجال ، وفنائة جميلة جداً تدعى إيماته Aimagé تهبأت لتكون الاضحية نفسها ، لان اعتقادات الوثنيين كانت تتطلب تضحية فناة عنراء لضمان حماية الآلهة . وهكذا سأل دم الفناة « إيماته » تحت سكنين الراهب الوثني امفيون Amphiون لجرد رغبة سلوقس برؤية عاصمته مباركة بين المدن .

تخطيط المدينة في العصر الهلنستي : من الصعب جداً - في وقتنا الحاضر - معرفة تفاصيل مخطط المدن في العصر الهلنستي وذلك بسبب التأثير الكبير الذي طرأ على المظاهر الخارجية لهذه المدن خلال المصور اللاحقة وعلى عمر الزمن . ويكفي أن نستعرض قول مسيول وولرس (ان أرض المدينة « انطاكية » الرومانية البيزنطية توجد اليوم على عمق خمسة الى ستة أمتار . . .) (٢) لنندرك مدى الصعوبة التي تترضنا لمعرفة تفاصيل تنظيم المدن في ذلك العصر . ولكن بقاء دورا اوروبوس تحت الرمال التي حفظتها ومقارنة الاطلال الباقية بعضها ببعض مما يساعدنا - الى حد ما - على معرفة المخطط السائد في ذلك العصر .

فلئن كان الحثيون قد تبنوا المخطط المستدير ، والاشوريون المخطط المضلع . . . فان السلوقيين قد اتخذوا المخطط المنتظم - الذي يشبه رقعة الشطرنج - فطبقوه في كل مدنهم التي أسسوها رغم بعض مساوئه الآتية :

(١) - ان تضاريس الارض في بعض المناطق تحول دون تطبيق المخطط المنتظم بكامله .

(1) L.M. Enfrey : Antioche Paris. Librairie orientaliste 1930.

(2) Wenlerrse : Autioche (Bnll. d'Etudes orientales. t IVp 27.

(٢) - ان تطبيق المخطط المنتظم يجعل طرق المواصلات بين مركز المدينة واحدى زواياها لا تخلو من الاطالة والبعد .

(٣) - ان تشابه الجزيرات وتماثل الشوارع يثير شعوراً بالملل .
ولكن فوائد تطبيق المخطط المنتظم كثيرة نذكر أهميتها .

(١) - ان رغبة مؤسسي المدن برؤيتها قائمة في أسرع وقت ممكن - لتخليد أسمهم - جعل للمخطط المنتظم الافضلية على غيره لانه قابل للتطبيق في كل مكان يرغب تأسيس المدينة الحديثة فيه .
(٢) - ان المخطط المنتظم يوافق الطبع الاغريقي المفرم بالتناسق والرياضيات . . .

(٣) - ان المخطط المنتظم يسهل انشاء المسكرات والمدن القائمة على اساس توزيع حصص الاراضي على الجنود .

(٤) - يساعد المخطط المنتظم على توسيع المدينة باضافة جزيرات جديدة الى الجزيرات السابقة وهذا ما حدث في انطاكية (١) التي كثر سكانها ولم تعد المدينة التي أسسها سلوقس نيكاتور كافية لما حمل سكان انطاكية على بناء حي جديد يشبه المدينة بكثرة جزيراتها التي لا تقل عن جزيرات المدينة التي بناها سلوقس نيكاتور . واستمرار ازدهار المدينة حمل سلوقس كالينيكوس على بناء مدينة ثالثة . وأخيراً قام انطيوخس ايفان ببناء مدبنة رابعة لانطاكية [انظر اللوح الرابع . الصورة الاولى] وما يقال عن انطاكية ينطبق على دمشق التي أضيف اليها حي النبطيين (٢) . وحلب التي ادى ازدهارها في العصر الروماني الى اتساع المدينة باضافة جزيرات جديدة .

(٥) - ان المخطط المنتظم يساعد على سهولة توجيه المدينة للشمس .

(٦) - ان تطبيق المخطط المنتظم في بناء مدينة الاسكندرية وشهرته الواسعة التي انتشرت في الآفاق ، جعلته مفضلاً لدى السلوقيين .

وقد عين واضعوا المخطط المنتظم الاماكن اللازمة لبناء الابنية العامة من معابد وقصور والابنية التي تتعلق بالثقافة الاغريقية كالمسارح والملاعب وأماكن السباق . . . وقد حفظ لنا التاريخ اسم « كسينوس » واضع مخطط انطاكية ، ولم يعرف حتى الان أسماء بقية المهندسين .

السور : كان ينمى لكل مدينة سور ليسام - مع موقع المدينة الحصين - على الصمود أمام غزو المعتدين . ولا شك أن لطبيعة الارض أهميتها وتأثيرها على شكل السور الذي يتبع عادة

(1) Tarn : La civilisation hellénistique p 138

(2) Sauvaget : Esquisse . . . p 442

طرف الحفرات الطبيعية ولا يحيط مباشرة بجزيرات المدينة . وهكذا نرى أن الشكل العام للسور مخمس الاضلاع في دورا اوروبوس (الصالحية) وشبه منحرف في أفامية (قلعة المضيق) واللاذقية ومرج في يرويا (حلب) ومستطيل في دمشق . ويتفاوت مخن السور بين ١٠٨٠م والاربعة أو الستة أمتار (كما في دورا اوروبوس) وذلك بحسب الجهات التي يتوقع منها الهجوم . أما المواد المستعملة في بناء الاسوار فهي الكتل الحجرية الكبيرة جداً .

القلعة : ضم معظم المدن الهلنستية قلعة من شأنها زيادة قوة المدينة الدفاعية . وكانت القلعة تعتبر كنقطة يعتمد عليها الحاكم . فهي تحتل منطقة عالية لها أهميتها الدفاعية ، وتسمح بالاشراف والسيطرة على المدينة أو الطريق أو النهر ونذكر على سبيل المثال قلعة حلب (١) الواقعة على هضبة تشراف على المدينة بكاملها . وتكون القلعة غالباً ملتصقة بالسور نفسه ، او محاطة بحفرة أو خندق وهذا ما يجعلنا نتساءل فيما اذا كان تحصين المدن في العصر الهلنستي كان يجري فعلاً من قبل المهندسين المسكرين .

الشوارع : كانت حركة المرور تحتل المركز الاول من اهتمام مهندسي ذلك العصر وذلك بنية تأمين السير الى المعابد والقصور والساحات العامة . . . وغيرها . فالشوارع كانت متوازية ومتقاطعة بزوايا قائمة وتجتاز المدينة من أقصاها الى أقصاها وكان يختلف عرضها بين ٣م و ٩م حسب أهميتها وتخصيصها للشاة فقط او العربات أيضاً . وكانت الشوارع الرئيسية تقابل غالباً الجهات الاصلية وتمتاز بالاروقة التي تقع على جانبيها . ويستعد أن الشارع الرئيسي ذا الاروقة الجانبية هو ما أبدعه العصر الهلنستي . ولكن الشرق - حسب رأي مسيوماتان - عرف قديماً الرواق . ويذكر دليلاً على ذلك رواق زبقورة ماري المؤلف من خمسة دعائم . ويضيف الى ذلك أن الاروقة الجانبية للشوارع نشأت من اختلاط ما أتى به المسيينيون مع التقاليد السورية ، والواقع أن الاروقة التي تحيط بجاني الشارع هي مفخرة تنظيم المدن في العصر الهلنستي ، وأهميتها جعلت المصور اللاحقة تتبناها وتجميلها في كل مكان .

الاقواس : شهدت سوريا في العصر الهلنستي عنصراً جديداً ما أبدعته عبقرية ذلك العصر في

تنظيم المدن . وهذا العصر الجديد هو عبارة عن قوس (تترابيل) كان يوضع داخل المدينة عند ملتقى الطرق . وما زالت مدينة اللاذقية تحتفظ بأحد هذه الاقواس [انظر اللوح الاول] وهو يتألف من بناء له شكل مكعب وله أربع فتحات يختلف اتساعها بحسب أهمية الطريق الذي تؤدي إليه . فالفتحتان اللتان تقابلان الجهتين الشمالية والجنوبية هما أكثر ارتفاعاً وأبهى منظراً من الفتحتين الأخريين . وقد بنى العصر الروماني - فيما بعد - هذه الاقواس واستعملها للحد من رؤية الشوارع الطويلة والمستقيمة التي كانت تبدو كأن لانهاية لها .

الجزيرات : هي مجموعات الابنية التي تحيط بها الشوارع المستقيمة المتوازية والمتقاطعة مع بعضها بزوايا قائمة . وتكون الجزيرات - عادة - متساوية في الخططات الهندسية وتنفصل عن بعضها بالطرق والشوارع . وان تشابه ابعاد الجزيرات في المدن السورية يبيد الى الذاكرة فكرة بنائها في عصر واحد . وقد ذكر مسيو سوفاج^(١) ان ابعاد هذه الجزيرات تبلغ ١١٢×٥٧ م في اللاذقية؛ ١١٢×٥٨ م في انطاكية؛ و ١٠٠×٤٥ م في دمشق و ١٢٠×٤٦ م في حلب و ١٠٠×٤٠ م في دورا وأوروبوس وكل جزيرة كانت تتألف من منزلين يطل كل منهما على شارع مواز للشارع الذي يطل عليه المنزل الآخر . ويعتقد أنه لم يكن لهذه المنازل فتحات كبيرة على الشوارع بسبب تقاليد الشرق وقلة الزجاج في ذلك العصر .

الساحات العامة (الآكورا) : الساحات العامة هي إحدى العناصر الأساسية في تنظيم المدن الحديثة في العصر الهلنستي . لان نشاط المدينة يتمركز حول الساحة العامة . فالساحات العامة هي إذاً المركز الحيوي للمدينة وقد كانت وظائفها تتنوع على مر الزمن . فبعد أن كانت مكاناً يتلاقى فيه السكان أصبحت مكاناً يتنزهون فيه وسوقاً يتبايعون فيها^(٢) حتى اذا ما ظهرت الاروقة الى حيز الوجود نازعتها هذه الصفة التجارية . ويعتقد مسيو مارتان في كتابه « البحث عن الآكورا »^(٣) ، ان الساحة العامة كانت موجودة في سوريا قبل العصر الهلنستي . اذ أن باحات المعابد والقصور لم تكن سوى ساحات عامة . ويذكر على سبيل المثال باحة ممبد ييلوس (جبيل) المحاطة برواق ،

(1) Sauvaget : Le plan de Laodicée p. 94

(2) Sauvaget : Esquisse. . . 439

(3) Martin (Roland) : Recherche s sur l'agora. (Paris Boceard 1951) p. 78

وساحة رأس شمرا الواقعة في المدينة المنخفضة قرب شاطئ البحر في حي التجار . ويضيف الى ذلك قوله « اذا لم تكن لهذه المناطق ساحة عامة محددة تماماً فانها احتفظت بشكل أثر فيها بعد على نشوء وتطور الساحة العامة » . ويستقد مسيو لافدان ان الباحات الكبرى في المابد والمياكل في الشرق هي امكنة طبيعية للتجمع وكذلك القصور التي لها باحات ذات الاروقة . وباحة قصر ماري خير مثال على ذلك . ولكن وان كانت هذه الباحات في القصور والمابد لها أهمية الساحات العامة ، الا ان سوريا لم تعرف الساحة العامة (الآكورا) - كمصدر مستقل قائم بذاته الا في العصر الهلنستي . وفي الحقيقة أصبح لكل مدينة ساحة عامة ابتداء من العصر الهلنستي . ولم يقتصر الامر على المدن الحديثة بل شمل ايضاً المدن القديمة كدمشق مثلاً . وتختلف مساحة الساحات العامة وموقعها من مدينة إلى أخرى . فساحة دمشق - التي تقابل مبد حدد - تبلغ مساحة ثماني جزيرات . في حين أن ساحة حلب - التي تقع على طرف الشارع الرئيسي - تبلغ مساحة ثلاث جزيرات . أما فيما يتعلق بساحة مدينة دورا اوروبوس [انظر اللوح الثاني] فان مسيو مارتان (١) يستقد أنها كانت موجودة في بادىء الامر ويبلغ اتساعها مساحة ثماني جزيرات ، ويفترض وجود سلسلة من الابنية تضم مكاتب عديدة ويستقد ان الجهة الجنوبية كانت غير مبنية وانما كان هناك جدار يحجب وراه ارضاً لابتاء فيها . ففي رأيه ان شكل هذه الساحة هو هلنستي ويتساءل عن أسباب عدم وجود الاروقة في هذه الساحة . فلا يمكن أن يكون ذلك لنقص في الاحجار اللازمة لان المنطقة لا تخلو منها . ولا يمكن أن يعزى ذلك الى تقاليد محلية لان الاروقة كانت موجودة في قصر مدينة ماري القريبة منها . فربما كان سبب ذلك اذا الرغبة في الاقتصاد على تحقيق قسم من ذلك المشروع الكبير في وقت كان الاستعداد لتحسين المدينة يشغل الاهتمام الاول لكونها مدينة على الحدود . ويستقد مسيو مارتان ان تنفيذ اعمال ساحة دورا اوروبوس كان بطيئاً ولم تأخذ الساحة شكلها النهائي الا في النصف الثاني من القرن الثالث مع احتفاظها بالنمط الهلنستي .

السوق : كانت الاسواق تقام في بادىء الامر في الامكنة التي يكثر فيها تجمع السكان أي قرب المابد والقصور وخاصة في الساحة العامة ولكن عندما انتشرت الاروقة في كل مكان ، أخذت تحمل عمل الاسواق . ومن الصعب أن نعين تاريخ هذا التغير . ولكن المعتقد ان اتساع المدينة كان

من الاسباب التي جعلت التجارة تنتشر في جميع انحاء المدينة عوضاً من أن تتركز في مكان واحد .
المعابد : ان المعابد هي من أهم المباني التي كان يهتم بها الاهتمام اللائق ويخصص لها أقصى ما يمكن من جهد واعتناء ولئن كانت الحفريات الاثرية لم تكشف بعد النقاب عن المعابد التي احتفظت بشكلها الاول ، فان المؤرخين يقدمون لنا المعلومات الهامة التي تتعلق بالمعابد المشيدة لتمجيد «آبولون» الهة العائلة السلوقية . فهناك عدد من المعابد التي لم يبق فيها حتى الآن فيما اذا كانت قد بنيت في العصر الهلنستي ثم أعيد بناؤها في العصر الروماني . وعلى سبيل المثال يمكن ذكر معابد دورا اوروبوس التي بناها سكانها لتمجيد سلوقس نيكاتور في بادىء الامر ثم لتمجيد خلفائه من بعده وأخيراً آلهة العائلة السلوقية نفسها مثل زوس اولمبيون ، آبولون ، آرتيمس وقد كشفت حفريات دورا اوروبوس النقاب عن عدد من المعابد أشهرها : معبد آرتيمس نانيا (الآلهة الكبرى لمدينة دورا اوروبوس) ومعبد آتار غايس . وكان لمعبد آبولون وآرتيمس في دفته شهرة واسعة .

المسارح : يعود تاريخ المسارح في سوريا الى العصر الهلنستي . فأصبح المسرح منذئذٍ عنصراً ضرورياً لكل مدينة وقد كان في بادىء الامر ملحقاتاً بالمعابد . وقد أدرك المهندسون - في ذلك العصر - كيفية الاقتصاد بالنفقات والنأكد من متانة بناء المسارح وذلك بجعلها تستند على منحدر التلال . ولكن بما يؤسف له أن الحفريات لم تكشف حتى الآن عن مسارح العصر الهلنستي وان جميع المسارح التي اكتشفت تعود حسب رأي مسيو فريزول - الى العصر الروماني (١) . فهل يجب الاعتقاد - مع مسيو فريزول - بأن تاريخ المسارح يعود الى العصر الروماني ؟ وهذا ما أستبعد لان المسرح كان يشبه في أهميته الساحة العامة الآكورا . وان مسيو فريزول نفسه يعتقد بوجود المسرح قبل العصر الروماني ولكن على نطاق ضيق بقوله «... ان تطور المسرح في سوريا كان محدداً جداً قبل العصر الروماني . . .» ، والواقع انه من الصعب الاعتقاد بعدم وجود المسرح في العصر الهلنستي ولكن كيف يمكننا تفسير عدم كشف الحفريات النقاب عن أي مسرح هلنستي . فهل كانت المسارح - في ذلك العصر - تقام من الخشب مما لم يبق لها أي أثر . ان سوريا في الواقع غنية بالغابات ولكن التجارب أثبتت عدم صلاحية المسارح الخشبية وذلك على أثر الحوادث التي كانت تؤدي بالمسرح كله في بلاد الاغريق ، فلا يعقل أن تقام المسارح الجديدة في سوريا بأسلوب دلت الايام على

عدم ملامته مما يجعلنا لا قبل فرضية عدم اكتشاف المسارح الهلنستية بسبب بنائها من الخشب وكل ما يمكننا اعتقاده - حتى اليوم الذي نكشف فيه الحفريات عكس ذلك - هو أن المدن السورية في العصر الهلنستي ولا سيما المدن الكبيرة منها كانت تضم مسارح حلت المسارح الرومانية محلها فيما بعد بنية توسيعاً أو إعادة بنائها على النمط الروماني .

الملاعب : تعتبر الملاعب أيضاً من العناصر الجديدة التي شاهدها المدن السورية في العصر الهلنستي وكانت ملحقة ببعض المعابد ، فكان موقعها إذاً في مركز المدينة . وكانت الملاعب تعتبر كمنشآت ثقافية أو تعليمية . ويمكن ذكر - على سبيل المثال - ملعب انطاكية الذي كان يترن فيه الشباب على قذف القرص .

أماكن السباق : ظهرت أماكن سباق الخيل والعربات في سوريا في العصر الهلنستي . وكان سباق الخيل شائعاً في مدينة اقلية . وقد وجدت في الجنوب الشرقي من مدينة السويدية أطلال يعتقد أنها كانت ملعب سباق . كما أن حفريات مدينة انطاكية أظهرت بناء دارساً يعتقد أنه من بقايا ملعب سباق . من كل ما تقدم يستنتج أن أماكن السباق كانت من العناصر الجديدة التي كانت تضمها المدن الهلنستية في سوريا .

القصور : لم يتوان السلوقيون الذين أسسوا عدداً كبيراً من المدن في سوريا عن بناء قصور لهم . ويحدثنا المؤرخون أنهم نقلوا قصورهم من مدينة انطاكية القديمة إلى الحي الجديد الذي بنوه في جزيرة انطاكية . وما زال برجاً كبيراً في انطاكية يعرف باسم « بقايا قصر السلوقيين » . ولم تكشف بعد حفريات مدينة اقلية أي أثر عن القصر الذي كان الطيخس أيفان قد بناء للاعيان . أما فيما يتعلق بدمشق فإن مسيو سوفاجه يعتقد أن السلوقيين قد أعادوا بناء قصر قديم فيها يقع جنوب الشارع المستقيم .

مشكلة تزويد المدن السورية بالمياه : لم يهمل السلوقيون أي ناحية من نواحي رفع مستوى المدن وازدهارها . ولا شك أن مشكلة المياه هي من المشاكل الحيوية التي تسترعي الانتباه والتي كان لابد من إيجاد حلول لها . ولكن بما يؤسف له أن هذا الموضوع مازال غامضاً . فالمؤرخون يسردون بعض المعلومات القيمة ، ونذكر على سبيل المثال ابن شداد الذي يقول أن الذي

في مدينة بيروت (حلب) جلب الماء العذب اليها وأوصله الى وسط المدينة (١) . أما فيما يتعلق بتزويد انطاكية بالمياه فان مسيو كلاشيل (٢) دوني عثر على مخطوط عربي من عصر متأخر يفيد ان سلوقس الاول بنى قناة لتزويد انطاكية بالماء . وقد أتى السلوقيون بالماء من الضواحي الى انطاكية ، ويستدل من كتابة وجدت في قناة اعتبرها المنقبون من القرن الثاني ق.م وكانت تهدف جر مياه سيل « الأونوبنيكس » الى المدينة . وكانت المياه تجمع في خزانات على منحدر الجبل وقد عرف اسم الممار « كوسوتبوس » وبناء هذه القناة هو من الاعمال التي قام بها انطيوخس ايفان في سبيل بناء حي جديد في انطاكية .

الخزانات والصنابير Nymphée : عرفت سوريا في العصر الهلنستي بناء حديثاً ذا مظهر جميل تزيته - في بعض الاحيان - تماثيل ربات المياه Les Nymphes ، يزد السكان بالماء . وقد ازدادت اهمية هذا البناء في العصر الروماني .

تجميل المدن بالحدائق والاشجار : أخذت الاشجار تلعب دوراً هاماً في تجميل المدن السورية في العصر الهلنستي . ولكن هذا يعود الى تقاليد الشرق اكثر مما يعود الى مبتكرات الاغريق وهذا ما يؤكد مسيو مارسل بويت (٣) M. Poète حين يقول : يجب ان لا ينسى ان تحسب جمال الطبيعة في الفن الهلنستي هو شيء جديد يعود الى التأثيرات الشرقية . ويؤكد مسيو لافدان (٤) الفكرة نفسها بقوله : ان الاغريق اذا أحب شجرة ما فذلك من أجل ظلها وليس من أجل جمالها المجرد . ولا شك أن تجميل المدن بالحدائق والاشجار هو مما قدمه الشرق أثناء مساهمته في تكوين الحضارة الهلنستية .

وان الحدائق التي كانت موجودة في جميع نواحي انطاكية انما احدثت لتتحول الطبيعة الى الجمال الذي يسر العيون ويشرح الصدور . وهذا دليل واضح ونتيجة طبيعية لرفعة حياة السكان الذين كانوا

(1) Sauvaget : Alep. p 45 (Note 106)

(٢) الحوليات الاثرية السورية : المجلد الثاني ١٩٥١ ص ٢٧٩ - ٢٨٠ - ٢٨١

(3) Marcel poêle : Introduction à l'urbanism (Paris, Boivin)

(4) P. Lovedan : Histoi redce l'architeture urbaine (Paris. Henri Saurem) 1926

يتحسسون جمال الطبيعة . ففدت الفياض من العناصر الضرورية لحياة السكان وليس ادل على ذلك من غابة دفنة التي كان يبلغ محيطها ١٥ ك . م تزينها الاشجار وتجري فيها جداول الماء . وقد بلغ من شهرة دفنة أنها جعلت انطاكية تدعى بـ (انطاكية قرب دفنة) . كما أن ضواحي أقامية كانت أماكن نزوات تمتد من أسوار المدينة الى نهر العاصي . وكان يوجد في هذا الوادي الصغير مسبح تحيط به الاشجار .

ويعتقد أن الاهمية التي بلغتها الاشجار في تجميل المدن في العصر الهلنستي كانت من الاسباب التي جعلت الاروقة تظهر الى حيز الوجود في تنظيم المدن وتبلغ شأنها الكبير من الاتساع على طرفي الطريق باسطة ظلها كالأشجار .

ابواب المدينة : كان لآبواب المدينة في العصر الهلنستي هدفان أولهما : انها مدخل المدينة وهذا ما كان يستلزم حسن تحصينها . وثانيها انها عنصر قابل لتجميل المدينة به . وكان يختلف عدد الابواب من مدينة الى أخرى . فكان لدورا اوروبوس ثلاثة أبواب . أولها يؤدي الى الجهة الغربية (أي الى الصحراء) وثانيها الى نهر الفرات في جهة الشرق وثالثها يقع في الجهة الجنوبية الشرقية . وكان الباب الغربي باباً رئيسياً له أهميته الخاصة وهذا ما حمل على تجهيز طرفيه ببرجين كبيرين . وكذلك الحال فيما يتعلق بآبواب انطاكية (المسمى بآب المدينة) فله جانبان مجهزان ببرجين كبيرين .

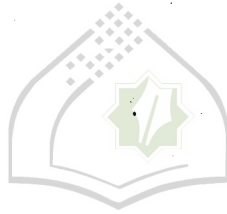
وكانت الابواب تؤدي الى الشوارع الرئيسية في المدينة ، ففي اللاذقية مثلاً كان الباب الشرقي - وهو الباب الوحيد في هذه الجهة - يؤدي الى الشارع الرئيسي الذي يجتاز المدينة من الشرق الى الغرب ؛ وهناك باب آخر هو الباب الشمالي وكان يقع في نهاية الشارع الذي يمتد من الشمال الى الجنوب .

والخلاصة : يمكن حصر الاسباب التي ادت الى ازدهار المدن في العصر الهلنستي الى حسن بناء السلوقيين لاهتمامهم انطاكية واهتمامهم بالمدن الحديثة التي انشأوها فضلاً عن ثروة البلاد الطبيعية واتساع نطاق التجارة . وقد شهدت سوريا في العصر الهلنستي عناصر جديدة في فن البناء (كالاسارح والملاعب وأماكن السباق والساحات العامة . . .) كما شهدت تنظيمياً جديداً للمدن تراعى فيه شروط الدفاع والصحة وجمال المدينة . فالمدينة محصنة ، ولها حكم قصره في منتصف المدينة (كدمشق مثلاً) ؛ أو يبدأ عن ضجة الاسواق (كالانطاكية) ؛ أو في قلعة منيعة (كدورا اوروبوس) وللهذه معابدها : وللشبان ساحاتهم العامة في منتصف المدينة (كما في المدن الداخلية)

أو في جانب منها (كما في المدن الساحليّة) . وللتجارة أماكنها (في الأسواق أو في المخازن التي تحميها الأروقة) . وللشوارع ميزة تسهيل حركة المرور والاتجاه إلى القصر والساحة العامة والمعبد والمسرح . . . الخ ولم تهمل ناحية تزويد المدن بالمياه فكان لبناء الخزانات والصنابير فوائدها وجمالها وكان من نتيجة الاهتمام بتجميل المدن أن نصبت الأقواس وانتشرت أروقة على طرفي الشوارع الرئيسي وكثرت الأشجار وأماكن الترفيه والنزهات ، مما ساعد على ازدياد السكان حتى بلغ عدد سكان انطاكية - عاصمة سوريا في العصر الهلنستي - أكثر من ثلاثمائة ألف نسمة ولقبها المؤرخون بلؤلؤة الشرق .

دمشق :

بشير زهري



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسدلى

السياحة والآثار في سورية

للكرنور سليم هادل عبر الحق

مدير الآثار العام

لا يمكن لحديث قصير عن السياحة والآثار في سورية ، إلا أن يكون عاماً ، وخالياً من التواريخ والأرقام ، وغير مثقل بالاحصاءات ، والدراسات العميقة ، والأوصاف الدقيقة . وما ذلك إلا لأن هذا الموضوع واسع جداً ، ومجال القول فيه متيسر للمؤرخين والمختصين بالآثار ورجال المال والاقتصاد ، والمفكرين والأدباء ، والكتاب والمثقفين والمترفين وعبي الاسفار ، ومصطادي اللذات ، وعشاق الجديد . وإن أمكن خلال الصفحات التالية إلا أن أسوق اليكم بعض الأفكار العامة عن السياحة والآثار اطلعتم عليها في مناسبات شتى ، متوخياً أن أوفق بينها ، حتى تاتي مما حزمة من النور على السبيل الواجب سلوكه لتتخذ بلادنا سياسة سياحية فعالة ، نحن بأشد الحاجة اليها .

والسياحة ليست أمراً مستحدثاً ابتكرته مدينة العصر الحاضر ، بل إنها عادة استقرت في قفوس البشر منذ أقدم الازمنة ، كما أن البواغث التي تدفع السائحين الى السياحة اليوم هي نفسها التي حدثت بالاقدمين الى الخروج من زمان بلادهم ومكانها والى التجدد ، والترفيه عن النفس والضرب في طول الأرض وعرضها ، مدفوعين بغريزة كشوقهم الى دنيا أجمل من دنياهم ، وبنزعة خفية سرها في قفوسهم ، تحملهم على سبر المجهول ، والتطلع الى جنة فردوس أرضي تركم خطوطه العامة في أخيلتهم قبل أن تتحقق أو لا تتحقق صورته في مكان ما من هذا العالم .

وليس أسهل من الاتيان بأمثلة عن سياحات مشهورة قامت في كل العصور . فأقدم النصوص التي وجدت في بلاد الرافدين تتحدث عن رحلة قام بها (جيلغامش) بن الآله شماش في عصر

(١) ألفت هذه المحاضرة في شهر شباط سنة ١٩٥٥ في مكتبة حلب الوطنية .

ما قبل التاريخ . ولا يخفى أن هذا البطل كان محارباً وصياداً وجذاباً ، يجذب الأولاد من آبائهم والمذارى من يوتهن والنساء من أزواجهن . وقد جذبت اليه ربة الحب عشتار ، فأحبته ثم كرهته وأرسلت اليه البطل (أنكيدو) ليخلصها منه ، فتصادق البطلان وسافرا الى الغرب وبلغا جبال الأمانوس أو لبنان ، وحلا في غابة جميلة وأعجبا بأشجارها الباسقة ، وأسرا حارسها الشيطان (خومبابا) ثم عادا الى بلاد الرافدين .

وفي ورقة من أوراق البردي المصرية أن أميراً فرعونياً اسمه (سينوهيت) فارق بلاط منفيس في عهد الامبراطورية الوسطى أي في فاتحة الألف الثاني قبل الميلاد ، واجتاز سينا ، ووصل الى كنعان ، ثم تنقل في البادية حتى بلغ (رزينا) إحدى عواصم سورية القديمة في الجزيرة . وقد أطلق سينوهيت على هذه البلاد اسم بلاد الابن والعسل وأعجب ببساتينها وحقول قمحها وكرومها ومراعيها وسهولها . وبعد أن تزوج ب ابنة كبير مدينة (رزينا) عاد الى بلاده مصر مع بعض سكان وطنه الجديد .

وسياحات الفينيقيين معروفة ، ولطوبفهم في كل أقطار الدنيا مشهور . فقد كانوا وسطاء بين الشرق الصناعي والغرب الزراعي . ومنهم الاميرال (هيميلكون) الذي وصل جزر الكاستريد في بريطانيا التي لم تكن عظمى في ذلك الحين ، والاميرال (هانون) الذي دار حول افريقيا ووصل الى خليج (غينيه) ، ووصف عادات سكانه ، وتحدث عن الحيوانات التي رآها هناك . وقد أقام الفينيقيون الخطوط البحرية في المحيط الاطلسي ، ويظهر أنهم اكتشفوا أمريكا قبل (كريستوف كولومبس) ، وحملوا اليها مبتكرات مدينتهم الفينيقية الرائعة .

ومن السياحات العالمية المشهورة سياحة الاسكندر الكبير بين الهند ومصب الفرات . فبعد أن ربح هذا الفاتح العظيم المارك وشيد المالك ، وصل الى المحيط الهندي وبني أسطولاً ضخماً وسار شاطئاً البلوجستان ، وحاول أن يقيم الاتصال بين نهر الهندوس والفرات ، وقد دامت رحلته ستة أشهر ، وكان ينحدر أحياناً خلالها الى البر ، ويسير ساغباً لاغباً بين جنوده . وحفظت لنا مذكرات أميراله (نيارك) ذكريات هذه الرحلة ، ومعلومات مختلفة عن جغرافية البلاد التي اجتازها ، وعن طباع أهلها ، وصفات حيواناتها . وتحدث الناس كثيراً عن رحلات الحواريين الى أطراف الدنيا المعروفة لنشر مبادئ المسيحية وتعميمها . وأشهر هذه الرحلات رحلات القديس بولس الذي التصقت ذكراه بسور دمشق الشرقي . فقد أتى الى هذه المدينة فتنصر فيها وتعمد على يد القديس حنانيا . ثم سافر الى جزيرة العرب ، وعاد منها الى انطاكية

ثم قصد الى قبرص وآسيا الصغرى فإكادونيا واسبانيا ، وأخيراً وصل الى روما حيث أمر
الامبراطور نيرون بقتله .

ويعد الامبراطور هادريان الذي تولى عرش روما سنة (١١٧ ميلادية) من أكبر
السامحين . فقد أمضى أكثر من عشر سنوات من حكمه الذي دام احد وعشرين عاماً وهو يتنقل
بين أقطار امبراطوريته الآسيوية والأوربية والأفريقية . ويدفعه الى ذلك فكرة التوافق الى حب
الاستطلاع ، ورغبته في توفير رؤى جديدة لنفسه ، وتأثره بحال الطبيعة والفن . ويؤثر عنه أنه تسلك
بركان (اتنا) ، واصطاد الحيوانات الكاسرة في مجاهل ليبيا ، وزار مراراً سورية ، وحل في
إنطاكية ، وصعد الى قمة جبل الأقرح ليتفرج على شروق الشمس . ثم سافر الى تدمر ، فسميت
موقتاً هذه المدينة (هادريانا) نسبة اليه .

ويضيق هذا البحث عن ذكر كل ما قام به الشعراء والكتاب والمؤرخون والجغرافيون القدماء من
سياحات في عهود مختلفة كأسفار : (هوميروس) و (هيكاته) و (هيرودوت) و (بیتیاس)
و (سترابون) و (هوراس) و (فيرجيل) و (بلين) . كما يضيق عن التنويه برحلات
المؤرخين والكتاب البيزنطيين أمثال : (بروكوب) و (كوسماس) و (نونوز) . وقد كان
السفر مألوفاً في القرون القديمة حيث كان الناس يحجون الى مراكز المعابد الوثنية الكبرى كعبلبك ،
ومنيج ، ودلف . كما كان مألوفاً في القرون المتوسطة حيث اعتاد المسيحيون أن يحجوا الى القدس ،
والى كنيسة القديس يعقوب - كومبوستل في اسبانيا . ولدينا من آخر القرن الثالث عشر
الميلادي قصة رحلة الايتالي (ماركو بولو) التي تتحدث عن بلوغه صحراء غوبي وزيارته لجزيرة
(صومطرا) ، وقطعه فارس وأرمينيا ، ووصوله الى القسطنطينية ، ثم رجوعه الى وطنه (البندقية) .

وكذلك فإن العرب كانوا كثيرى الأسفار ، وقد ساعدتهم على ذلك رقعة امبراطورياتهم التي
أكملت فشملت أجزاء مهمة من قارات العالم القديم ، ونزعتهم لأداء فريضة الحج وزيارة مكة
والمدينة . وكتب الجغرافيا والتاريخ والأدب التي تركها الإديسي وابن الأعرابي ، وابن جبير
ونصر الدين الطوسي ، وابن السيد القرناطي ، ومحمد بن محمود القزويني ، وأبو العباس الدمشقي
المعري ، وابن بطوطة ، وعشرات غيرهم ، طائفة بأوصاف طريفة ومتمعة للبلاد الاسلامية والنصرانية
والوثنية التي قصدوها ، وبمعلومات قيمة عن آثارها وتاريخها وطباع أهلها ، ومؤسستها
الاجتماعية والدينية .

وتتصف السياحة في يومنا هذا أنها لم تعد قاصرة على تنقل أفراد طبقة المتنعين والمترفين ، بل أنها تحولت الى سياحة كتل وجماهير تتألف من جميع الطبقات الاجتماعية . وذلك لأن الثقافة أوجدت في أكثر المجتمعات حاجات حب الاستطلاع ، وأسقطت من الأذهان اعتبارات الخرافات المرقية والدينية واللغوية والاجتماعية والمثلية والفنية . وصار من حق الأفراد أن يتمتعوا جميعاً بالمطل السنوية التي يدفع أجورها أرباب العمل ، وجعلوا يضخمون التيارات السياحية الداخلية الى الشواطئ والجبال وينابيع المياه الصحية ، والتيارات السياحية الخارجية الى البلاد ذات الاقاليم اللطيفة ، والمناظر الطبيعية الفاتنة ، والاثواب النادرة ، والآثار الثمينة والمناخ العظيم ، التي يتمتع أهلها بمستوى عال من العيش ، وبجو خالص من الحرية ، ويمرفون باحترامهم للشخصية الانسانية ، وبحب الكمال ، والانتاج الصحيح ، والمعرفة الحقة ، واثقان العمل الذي يجعل من كل شيء آية فنية . ويشمل هذا الاثقان أشياء كثيرة منها غرفة الفندق اللاتقة التي يحل بها السائح ، وصحفة الطعام التي يتغذى بها ، والتمثيلية والحفلة الفنية والسهرة الراقصة التي يرفه بها عن نفسه ، والكتاب الممتع الذي يقرأه والمديّة النفسية التي يتناعبها ، والجلسة الشائقة مع كاتب أو فنان مشهور التي يحظى بها ، والنادرة الطريفة التي يلتقطها ، وحق الصلة العاطفية الغرامية التي يتغنى أحياناً أن يعقدها .

وليس من المتيسر دوما إرضاء السائحين لأن أذواقهم مختلفة ، وأهواءهم متباينة ، ولا تكون أحكامهم على البلاد التي يزورونها متشابهة . فبعضهم يحبها ، وبعضهم ييغضها . وليس يوجد بين الحب والبغض في هذا المضمار حد متوسط . وقد شبه بعض الأدباء الفرنسيين البلاد السياحية بأكلة (البوياس) ، وصور الرسام (بيكاسو) ، ولعبة الجبال الروسية . فيجب عليك أن ترى هذه البلاد السياحية ، وأن تمش فيها حتى تقول أنك تحبها أو لا تحبها ، شأنك في ذلك لما تتذوق هذا الطعام المارسيبي ، وتنظر الى رسوم ذلك الفنان الاسباني الافرنسي العجيب المعاصر ، أو تجرب تلك الالهية في مدينة الملاهي .

ومها يكن فقد تواضع الناس على اعتبار بعض المناطق والبلاد أماكن سياحية ممتازة لخصائصها الطبيعية والفنية والثقافية التي تقدم ذكرها ، أمثال الشاطئ الازوردي ، ولاريس ودوفيل ، والسافوي ، وبيارتيز ، وموتي كارلو ، وبادن - بادن ، وكارلسباد ، وامستردام ، والتيرول ، واشبيلية ، وغرناطة وبحيرة كومو ، وروما ، ونابولي ، وجزيرة كابري ، واكروبول أثينا

والأهرام، واستانبول وغيرها . وقد اهتمت حكومات هذه البلاد والمناطق اهتماماً كبيراً بالسياحة ونظمتها تنظيمًا صناعياً وتجاريًا ، وهيات الامكانيات لاستقبال الجماهير الغفيرة التي تدفعها التيارات السياحية الدولية يومياً الى مرافئها ومطاراتها وحدودها ، مع عشرات البواخر ، ومئات الطائرات والقطارات ، وآلاف السيارات والافوتوكارات . ويتراوح عدد السائحين الذين يزورون فرنسا سنوياً بين ثلاثة ملايين وأربعة ملايين سائح ، وقد بلغ هذا العدد في ايطاليا السنة الماضية ثمانية ملايين . ويتوجب على البلاد التي تستقبلهم ان تعمل على إيوائهم وإطعامهم وتسهيل تنقلاتهم وإطلاعهم على ما يرغبون الاطلاع عليه ، وتقاضي إزعاجهم واستثارة اهتمامهم وإشباع رغباتهم ، وإقامة المارض وتنظيم الحفلات والأعياد والمناسبات لاجلهم نفوسهم والتأثير في أخيلتهم ، وتحملهم ذكريات عذبة . حتى يعودوا ثانية وثالثة او يذهبوا أصدقاؤهم ومعارفهم الى زيارة البلاد التي تركوا فيها طائمين ملايين الجنيتات ومليارات الدولارات .

والاحظ أن اهتمامنا بقضايا السياحة في سورية ضئيف جداً . وهو مقتصر على أرباب بعض الصناعات وأصحاب بعض الفنادق وعلى فئة من الموظفين لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة وليس لديهم أية سلطة . وفي الواقع اننا متخلفون في تنظيم السياحة لاعتن فرنسا وايطاليا والنمسا وسويسرا واسبانيا ، بل عن جيراننا اليونانيين والأتراك والمصريين واللبنانيين والقبرصيين الذين استطاعوا أن يحولوا بعض مجاري السياحة الدولية الى بلادهم ، وان يؤمنوا لانفسهم واردات مهمة . ولا عذر لنا في العزلة المضروبة حولنا لاننا اذا كرهنا ان تأتينا مرة أخرى الجيوش الغازية المزودة بوسائل التخريب والتدمير لتتقاتل في أراضينا ، فاننا نرجب على السواء بالأجانب الغربيين والشرقيين الصالحين الذين يمكن ان يأتونا مزودين فقط بالآلات التصوير الفوتوغرافي لالتقاط صور تقيم بيننا وبينهم شيئاً من المودة وبعض الذكريات .

ودعني أكثر الاحصاءات تفاؤلاً عندنا أن عدد السائحين الذين زاروا سوريا خلال العام الماضي بلغوا ستة وثلاثين ألفاً . وهو رقم ضئيل لا يماثل نصف السائحين الذين يؤمنون باريس وأوروبا يومياً . فما العمل لتوسيع حركة السياحة في بلادنا ؟ وكيف السبيل الى أن تظفر سورية الى مستوى البلاد السياحية المهمة ؟

وأرى قبل الاجابة على هذين السؤالين أن يبحث فيما اذا كان لدينا امكانيات تساعدنا على تصور وتنفيذ سياسة سياحية على مقياس واسع ، وأن تبين الوسائل والأسباب التي تكفل أن نغري السائحين بالقدوم الى بلادنا . وفي الواقع يجدر بنا ان نحلل العناصر التي تؤلف منها ثروتنا السياحية حتى نطمنن الى كفايتها .

وأول هذه العناصر موقع البلاد الجغرافي ووضعها العام الحالي . فقد جعلت الطبيعة سورية في منطقة مرور واحتكاك بين قارات العالم ، تجتازها وتتقاطع فيها الطرق الطبيعية التي تصل الشرق الأوسط والشرق الأقصى بعالم البحر الأبيض المتوسط عبر وادي الفرات والعاصي ، بالطرق التي قادت الشعوب الشمالية المجذوبة الى الجنوب ونحو أفريقيا . وازدادت أهميتها خلال المصور القديمة والمتوسطة . ولم تتوقف بعض الشيء الا في فائحة عصر النهضة ، لانتحلت التيارات التجارية العالمية عن الشرق الأدنى . إلا أن العصر الحاضر أعاد الى هذه البقعة أهميتها الماضية تدريجياً على أثر شق ترعة السويس ، ونشوء المرافي الكبير في حوض المتوسط اشرقي ، وانتثار المطارات الدولية في أرجائه واستقلال دوله ، وظهور جامعة الدول العربية ، واحتلال سورية مكانة مرموقة بين الشعوب العربية والاسلامية ، واستثمار البترول ، وتمديد شرايينه هنا وهناك ، وتقدم اقتصاديات الدول العربية واثناجها لكثير من الحاصلات التي يحتاجها الغرب ، واتصالها مع أوروبا وأمريكا وأفريقيا ، ومصادم مصالح الدول العظمى في هذه المنطقة ، ونشوء الموقف السياسي العالمي الحاضر ، وتغير استراتيجية الحروب . كل هذه الأسباب أحلت في الأذهان عن هذه البلاد مفهوماً جديداً للاستفادة من امكانياتها في مضامير الاقتصاد والسياسة والحرب .

وثاني عناصر ثرواتنا السياحية جمال الطبيعة السورية الأخاذ ، ويتصف هذا الجمال بنسبه الانسانية وكثرة تنوعه ومفاته البارزة التي تتجلى بأروع الصور هنا وهناك . وفي كل الأرجاء ، فأراضي حوران وجبل الدروز بازلية وجبلية ولاشكالها روعة خاصة ، ولاودية العاصي والفرات وبردي والوادي الكبير الحقيقية والغضارية والحوارية مئان ساحرة ولسواحل محافظة اللاذقية الصخرية التي تتطامن أو تقفز بوثبة جبارة الى خط الأفق ، ظرف طبيعي قل أن يوجد مايمثله في شواطئ البحر المتوسط الأخرى . وعلى جبالنا الكلسية تتناثر أشجار الصنوبر والأرز وتعلو هاماتها الثلوج ، وفي باديتنا الواسعة المترامية الأطراف سحر الانهاية . اما مناظر غابات كسب والفرانق وصلنفه ومشاهد نواعير العاصي ضمن الحقول الخضراء ورؤى غوطة دمشق وسهل الزبداني ، ومواقع بلدان وقلاع صهيون والمرقب والحصن ، وخليج مينة البيضاء ذي الصخور الحوارية المهيمنة على أمواج البحر الزرقاء فجديرة أن تقدم إطارات ملية لمئات الألوف من عشاق الطبيعة ، وأن ترسم في ألوف وملايين اللوحات الزيتية والصور الفوتوغرافية حتى تعرف في العالم .

وتؤلف الصناعات الشامية القديمة عنصراً ثالثاً من عناصر ثرواتنا السياحية . إذ ما يزال لدينا فنانون ماهرون ينصرفون الى إنتاج المصنوعات النسجية الممتازة كالبروكار المعروف ، والمصنوعات الجلدية كالأحذية والحقائب والادوات المختلفة ، والى تطريق المادن ، كالحديد والنحاس ، وحفر هذه

المعادن وتزيئها وتفضيضها وتذهيبها ، وعمل السيوف والخناجر والآباريق والقناديل والصحاف وغيرها ، والى صنع الخشب وتقشحه وتطعيمه بالصدف والعظم وشرائط القصب ، وعمل الاثاث وآلات الطرب ومختلف الأدوات ونحت السقوف المعجمية وطلبها بالاصبغة البراقة ، والى صنع الزجاج وابتكار القوارير والاكواب والاواني الجليئة ، والى عمل الفخار والقاشاني وغير ذلك . وعلى الرغم من زهد كثير منا بهذه المصنوعات النفيسة ، فانها لا يمكن أن تزول لانهما من أجل المبتكرات الصناعية التي عرفها العالم . وهي تتمتع بشهرة كبيرة في كل مكان ، ويقبل السائحون على شرائها ، ويتهادها العطاء . ولا عيب فيها إلا بعض الجمود الذي طرأ على انتاجها خلال الأزمنة الأخيرة . ومن الضروري تنشيط أصحابها ليتابعوا تطورها ، وابتكار مواضيع جديدة لها ، ودراسة امكانيات تحسينها وتحويلها حتى تصبح متفقة مع مقتضيات العصر الحاضر ، ومنسجمة مع كل الاذواق .

ويضاف الى هذه العناصر السياحية المختلفة الشهرة العظيمة التي تتمتع بها بلادنا في العالم . فهي بالنسبة إلى البلاد الغربية أقرب بلاد الشرق الذي أبدع اللغات والديانات والعلوم والفنون والآداب ، والذي يدعوه أخوه الغرب لمساعدته كما شعر هذا بنصب في عبقريته وتقصير في إلهامه . ويؤلف منه كما يقول (رومان رولان) شكلين متنوعين من العقل والايان ، وردائين للنفس الانسانية التي منزلها العالم . وكان الفرييون الى القرن الماضي يرسمون في خيالهم عن بلادنا صورة مثلية لبلاد سماؤها زرقاء دوماً ، وتكثر فيها الائمارة والفواكه خلال كل فصول السنة ، وترتفع في أرجائها قصور ، أرضها من الأحجار الكريمة ، وجدرانها من الزمرد ، وسقوفها من الذهب . كما كانوا يحسبون أن حياتنا مترعة بالذات ، ويتخيلون أننا نعيش كما كان يعيش أبطال قصص ألف ليلة وليلة في (حرمك) دائم ، على طنافس مزركشة بين التراجيل ، وفي عشرة القيان الملاح . وقد أطلقوا على هذه القيان اسم (Odaliques) واسترسل كتابهم وفنانونهم في تمثيلهن حتى حبيوهن الى معاصريهم . ولا يعرف الوجوديون الذين اختاروا من حي سان جرمن في باريس حالياً مركزاً لاجتماعاتهم ولهوم ، أن أجدادهم في القرن الثامن عشر كانوا قد حولوا هذا المكان الى حي من أحياء القسطنطينية أو دمشق . فقد كانت تخطر فيه الباريسيات آنذاك وهن متزيئات في حلل وأثواب جريئة وأطلسية شرقية ، حملها مسافروهم أثناء زياراتهم الشرق . إذ أن هؤلاء كانوا يأتون الى بلادنا بحثاً عن رؤي جديد وإحساسات غير معروفة . ورحلات شاتوبريان ، ولامارتين ، وجيراودرينيرفال ، وآرنست رولان ، الذين قدموا الى فلسطين ولبنان وسورية ، مشهورة لأن حوادثها مسجلة في صفحات رائمة من الأدب العالمي الخالد . وكذلك فان ذكريات أسفار

الرسامين (ديكامب) و (ماريللا) و (ليون بيلي) و (فريديودور) مرسومة في لوحات من أجل ما أبدعه فن القرن الثامن عشر والتاسع عشر . وهي تمثل مشاهد بلادنا الطبيعية وشوارعنا القديمة وأسوار دمشق وحماماتنا ومدارسنا وقوافلنا والحجيج الى مكة وأوابد بعلبك وأطلال تدمر . وفي البلاد السورية حالياً تقاليد وعادات وأعياد ومناسبات وأوضاع اجتماعية تنفرد بها عن بقية الأقطار . لأنّ قدمنا لم نزل بنا بعد في بؤرة المدينة العالمية . ومازلنا محنطين بأصالة تفرقنا عن بقية الشعوب . والفريون يعجبون بالألوان المحلية ، والتقاليد الشعبية الأصيلة ، وصفة الطرافة في البلاد التي ما تزال محافظة على طابعها . ومن الممكن تهذيب الأشياء الطريفة (pittoresques) التي لدينا وتحضير أقلام ذكية لشرحها وإيضاحها وتحسينها والدعاية إليها .



وأخيراً فإن الآثار السورية هي أم عناصر ثرواتنا السياحية . لأنها بتنوعها واختلافها وكثرتها في بلادنا تؤلف ميزانا صالحاً لوزن كل الحضارة العالمية الكبرى التي مرّت على البشرية . وقد شعر الفريون بأهميتها منذ القرن الماضي ، وجعلوا يرسلون علماءهم لاستقصاء أخبارها والاطلاع على كنهها . ولقد الأعمال الاثريّة الحالية التي تقوم بها بعثات التنقيب في مناطقنا من الأحداث الكبرى التي تمرّ على القرن العشرين ، لأنها تظهر معلومات ثمينة جداً عن الحضارات الغابرة ، وتوضح جهودنا وجهود غيرنا في المادة الخالدة التي حفظت لنا مخلفات الأجداد وخوارج نفوسهم ونزعات عواطفهم .

لقد ذكر أحد المؤرخين القدماء (فيلون البيزنطي) أن عجائب العالم سبع ، وهي : (هرم خيؤيس ، ومدفن موزول في هاليكارناس ، ومنارة الاسكندرية ، وتمثال رودوس العظيم ، وجنائن بابل المعلقة ، وتمثال زوث في اولبيا ، ومعبد أرتميز في إيفيز . ولم يبق من هذه العجائب وبالأأسف إلا الأثر الأول . وقد خطر لي أنه لو حاول مؤرخ معاصر أن يعدد سبع عجائب ابتكرها الانسان في كل العصور ، فهل يمكنه ألا ينتقي الاثنتين أو ثلاثاً منها بين الآثار الآتية : تمثال ربة الينبوع في متحف حلب ، وأبجدية رأس شمرة في متحف دمشق ، وأطلال تدمر ، واللوحات الجدارية في كنيس الصالحية ، وخرائب قلعة سمعان ، وزخارف قصر الحير الغربي ، وواجهة قلعة حلب وأسوارها ، وقلعة الحصن ، وقصر العظم في دمشق . أما أنا فانه لو طلب إلي أن أختار بلداً أثريّة يجب أن تنفذ إذا هدم العالم في كارثة ذرية لتكون دليلاً على الفنون البشرية منذ فاتحة التاريخ حتى عصرنا الحاضر ، لا ترددت في تسمية البلاد التي تملك الآثار المتقدمة . وذلك لأن المشاهد الاثريّة التي تحويها سورية لا توجد في قطر آخر . وهي في توزيعها في حواضر البلاد وفي شمالها وجنوبها ومنطقتها الساحلية وباديتها تختصر جميع أعمار الانسانية وتجمل

كل مبتكراتها . وعلينا ان نستعرضها مسرعين لنتراخ الى أنه بالإمكان تنظيم جولات سياحية تمنح لذات فكرية وفنية خلال عدة أيام لكل من أراد زيارتها .

وتتوفر الآثار خاصة في المدن الداخلية كدمشق التي يمكن عدها في مصاف المدن السياحية المهمة كفلورنسا ، والبندقية وأثينا والقاهرة . وفي الواقع إن دمشق تقدم في هذا المضمار أهمية منقطعة النظير فهي إحدى مدن الشرق الكبرى وقاعدة هامة من قواعد العالم الاسلامي ، ومثوى السلاطين العظام . وفننا العمراني لسيح وحده ، ويقدم صورة تامة عن تطور الفن العمراني العربي بماله من صفات ثلاث : غزارة المياه وتخصيص الأسواق وجمال الحدائق . وقد تجدد التاريخ في أبنيتها الاثرية ، وصار ينمكس منها بمجازية رومانطيقية رائعة تعبر عن كثير من المواطن والحياة . وأجل ما في هذه الابنية قدرتها على التحدث عن المصور الزاهرة التي مرت على المدينة . فأسوارها وبابها الشرقي وشارعها المستقيم والقوس الاثري في حي الامين من العصر الروماني ، والجامع الاموي تحفة البناء في العهد العربي الاول ومخلفات عصر نور الدين وصلاح الدين كالبهارستان النوري ومدرسة المادلية ، والقلمة والمدرسة الشامية ، والمدافن المنطاة بقباب مضلعة ومزدوجة وقائمة على رقبة أو رقتين في الصالحية ، ثم ابنية عصر المماليك والتمانيين كالمدارس والجامع الممتدة على طريق الحج بمداميكها السوداء والبيضاء والصفراء ، كالمدرسة الصابونية والمدرسة السباهية وجامع درويش باشا وجامع ستان باشا والمدرستين الامبراطوريتين السلجانية والسليمية ، والرباطات المتنوعة والبيوت الفنية التي تذر بايات الصناعات الشامية ، كنزبل المرمز في الحجر وتزيين الجدران بألواح القاشاني ، والسقوف بالحلقات المعجمة ، أمثال قصر العظم وميوت جبري والسباعي ، وعنبر ، ونظام ، والقوتلي ، وكثير غيرها ، من المجموعات التاريخية الفنية التي يندر وجود ما يماثلها في أية مدينة أخرى .

ولا يكتم الأجانب إعجابهم الفائق بالابنية الاخيرة ، لانهم يستريحون في جوها الخاص الذي ينطبق على ما كانوا يتخيلونه عن الشرق في أحلامهم . ويضيق في المقام لو حدثتكم عن الانطباعات التي تركتها زيارات خاطفة لبعض هذه الدور في نفوس بعض مشهوري الأجانب الذين كلفت بمرافقتهم ، كاهوق فيليب زوج الملكة ايليزابيت ، والدون ارتاخو وزير خارجية اسبانيا والمسيو فيزيلوس وزير خارجية اليونان ، والمسيو تريجفلي الامين العام السابق للأمم المتحدة والمسز ليونورا روزفلت ، والمستر هيكسلي مدير الانيسكو العام السابق ، والمستر لوتر إيفالس مديرها العام الحالي ، وعدد كبير من السفراء والوزراء المفوضين الأجانب . لقد نظروا إليها جميعاً

كشواهد على مدينة عظيمة مثلية جمعت كل وسائلها وجعلتها في خدمة الفرد ، وفي سبيل تأمين كل ما يسمو بمواهبه ويطور ملكاته تطويراً منسقاً هادئاً ، ويجب إلى نفسه الجمال والفضيلة .

وكم تمنى أن تصان هذه الدور التي كانت تزدهي بها دمشق ، وأن يحافظ عليها ، وأن تنقل سليمة إلى المصور المقبلة بعد أن تخلص من كل مظاهر الإهمال والقفازة . ولا خير على الدولة من أن تستملكها جميعاً ، وأن ترفع عنها أيدي المتولين عليها ، وأن ترعاها بمنايتها ، وأن تحول ما يمكن تحويله منها إلى متاحف فولكلورية كما فعلنا في قصر العظم ، أو أن تخصصها لمرض نفائس الصناعات الدمشقية التي تقدم ذكرها ، أو أن تجمل منها فنادق خاصة وملاهي وأندية .

وأنا أعجب العجب كله أن يتنادى كبار القوم عندنا وأغنياؤنا إلى قضاء سهراتهم الصيفية في مطار المزة أو في مراقص دمر ولبنان أو في أكواخ القوطة ، ولدينا باحات بيت المرادي الذي بدأت معاول التهديم والتخريب بتقويض جدرانها ، وبيت كيوان الذي هو في طريق الزوال ، وبيت البارودي الذي هجره صاحبه . وليس من الصعب أن تصلح هذه الدور ، وأن تحول بعض التحويل ، وأن تفرش فرشاً شامياً لائفاً ، وأن تنار إنارة فنية ، تخلق فيها أجواء فريدة يمكن للمرء فيها أن يتمتع بخير المياه وعبير الفل والياسمين في الأحواض ، وجمال الفن القديم وسحر الشرق والموسيقى العربية والافرنجية ورقص السباح وغيره من الرقصات . وكم آتني أن يقوم بيتنا من يحتذي مثل المسز (تابلور) الأميركية التي فطنت إلى ما في هذه الدور من إغراء ، فاستثمرت دارة عربية اسمها (السعدية) في جنوبي مراکش ، وجعلت منها جنة من جنات الأحلام وواحة من واحات السلام والهدوء خلال الحرب العالمية الثانية . فلم يبق عظيم من عطاء العالم ، وبينهم لشرشل ، وإيزنهاور ودوغول ومارشال ، ومونتغمري ، إلا زارها وتمتع بسحرها .

ولا تقل مدينة حلب عن مدينة دمشق في غناها الأثرية . وقد كانت قاعدة مهمة لاقتصاديات منطقة واسمة تبدأ بالبحر المتوسط وتنتهي بالخليج الفارسي . لهذا فقد طبع فيها العمراني بالتأثيرات التي تلقنها من الشرق والغرب ، وقد انسجم هذا الفن مع أذواق أهلها وصار يوضح أفكارهم الاجتماعية والدينية والمسكرية وماضيهم وحاضرهم . وأكثر صفاته ظهوراً الوحدة القوية والمنطق العقلي والاقتصاد في الزخارف . وتساهم طبيعة الأحجار الكلاسية البيضاء التي تتجلى فيها أشكاله الرائعة بتكامل اللغة التي يستخدمها في التعبير . وإذا أضفينا على فن دمشق المماري صفة الرومانطيقية فلزام علينا أن نقول أن

أوابد حلب تمثل النزعة الكلاسيكية في هذا الفن ، وتظهر مواطن القوة فيه . فقلعتها الجبارة آبدة نادرة المثال وتمد أعظم ما تركه فن التحصين العسكري الاسلامي من مخلفات في كل المصور . وقل أن توجد آبدة في العالم تمنح الزائر لذات سياحية مثلاً تمنحه زيارة أسوارها وأبراجها وعنابرها ومخابسها وغابستها . ومداخل سور المدينة كأبواب انطاكية والنصر والحديد ، ومدارسها وجوامعها ودور الدراويش فيها ، تمثل جهود أهلها العظيمة خلال صراعمهم مع صليبي انطاكية وأورفه ، للدفاع عن سورية الداخلية والعراق ، ومقدار مساهمتهم في إنشاء المدينة الاسلامية . كما أن أسواقها العجيبة ورباطاتها العظيمة ودورها الخاصة تؤلف مجموعة أثرية نادرة اردد فيها ما قاله الخبير العالمي المسير أندره غيتون الذي دعى لتنظيم مخططها الجديد :

(إن الشعب القوي يجب أن يتأمل الأعمال العظيمة التي قام بها أجداده) ، (ولقد حافظت حلب على صفات ماضيها كله) ، (من الواجب أن نتقنوا هذا الماضي لالذة أعينكم فقط بل للفوائد الكثيرة التي يمكنكم أن تجنوها منها . اذ انه توجد بين أيديكم صناعة لم تستثمروها بعد اسمها (السياحة) وهي التي ستحمل اليكم كثيراً من المال) ، (ان بإمكان حلب أن تجذب الأجانب بتراتها الأثرية ذي القيمة العالمية الذي لا اعرف تراثاً أكثر روعة منه) . (استفيدوا من المائتي مسجد التي لديكم ومن الاثني عشر كيلومتراً من أسواقكم وحافظوا على الشواهد المتعاقبة عن عظمتكم) .



وانتقل بكم مباشرة الى منطقة سورية سياحية ممتازة أخرى . وهي المنطقة النورية وماوراءها من بلاد . ويمكن للسائحين الوصول اليها من البحر والشمال والجنوب ، ومن الشرق عن طريق وادي العاصي الذي يؤلف حدودها الشرقية ، وحيث تتدرج القلاع التي اعتصم بها العرب في زمن الحروب الصليبية ، كميلبك ، وحمص ، وحماه ، وشيزر والمضيق . والمواقع السياحية في هذه المنطقة لا أكثر من أن تحصى ومنها موقع مدينة (أفاميا) السلوقية ، حيث قامت بثة أثرية بلجيكية بأعمال أثرية مهمة قبل الحرب ، ومدينة حماه ذات النواخير المشهورة التي يمكن أن تجمل مركزاً لجولة سياحية تمر على القلاع العريقة المذكورة . ومنها غابات الفرلق وكسب وصلفة الرائحة ، وميدان حفريات رأس شجرة ذوالشجرة العالمية . وهناك ظهرت أطلال مدينة (أوغاريت) الكنعانية على أيدي بثة الدكتور شيفر . ثم مدينة طرطوس

انني فيها أبنية أثرية متعددة منها الكاتدرائية المشهورة ، ومنطقة عمريت الأثرية التي تضم أطلال مدينة (ماراتوس) ، حيث جرى الاحتكاك بين المدينتين الشرقية وبين العالم اليوناني . وتقوم أمام هذه المدينة جزيرة أرواد التي يمكن أن تحول الى مايشبه (جزيرة كبري) بالنسبة الى الساحل السوري ، اذا بذلت في ذلك الجهود اللازمة . وهناك ايضا في هذه المنطقة القلاع العربية الصليبية المشهورة كقلعة الحصن ، وقلعة المرقب ، وقلعة صهيون . وهي منشآت أثرية رائعة تدهشنا بأجهزتها الدفاعية العظيمة والأساليب الفنية التي اتخذت في تشييدها ، والذكريات التاريخية المعلقة بها . فأمام هذا الحصن واقم نور الدين جيوش الافرنج ، وحذاء ذلك السور وصل جيش صلاح الدين بمد موقعة حطين . وهذه الواجهة من أحداث الملك الظاهر بيبرس ، ووراءها برج من تشييد السلطان المنصور قلاوون ، وحول المائدة الحجرية المستديرة التي تراها في تلك الباحة الفسيحة كان يتحلق فرسان جمعية المستشفى ، وفي القاعة الكبرى التي ورائها كانوا يقدون اجتماعاتهم ، وفي الخابيه التي تتصل بها كان يعيش الأمراء البروفانساليون والنورمانديون . ومن تحت هذه القنطرة انني تنكسر عليها أمواج البحر فرة آخر ملوكهم . . . هارباً الى قبرص ، الى غير رجعة .

وهكذا ترون أن السياحة في محافظة اللاذقية أمر شائق . ولايهم الأجانب فحسب بل يهمننا نحن السوريين جميعاً . ومن الخير لنا أن نقصد تلك الربوع للذة فكرية ننالها ، ولعطلة ممتعة ننعم بها . وبمعنا من ذلك حالياً فقدان الطرق السائكة التي توصل الى الأماكن الأثرية والجبلية ، وحرمانها من الفنادق اللائقة التي يمكن الحلول فيها ، ومن محطات الاستراحة والمطاعم والمشارب ، حيث يتاح للمرء أن يستريح اذا تعب ويأكل إذا جاع ويشرب إذا عطش .

.

واذا تركنا الساحل ، ونفذنا الى الداخل ، ووصلنا الى بادية الشام لحللنا في منطقة سياحية لها طابع خاص . ويمجب الأجانب بها لا طارها الواسع غير المحدود ، ولسماتها البعيدة المدى ، ولشمسها البرتقالية في الفجر والبنفسجية عند الأصيل ، لرياحها الرطبة التي تلقي على الوجوه ، مئات الأوشحة غير المرئية التي تمسّ العيون وتداعب الوجنات ، لليالها ذات النجوم الساطعة التي تلفك بدثار سميك ، لسراها الخادع ، لأشجار نخيلها ، لقطعان غزلانها ، لقوافل جمالها ، لخيامها السوداء ، ولوجبة الطعام البسيط الذي يقدمه لك الأعراب الاذكياء تحت هذه الخيام .

ولم تكن البادية قفراء موحشة في المصور القديمة والوسطى . فقد كانت تقطعها طرق التجارة التي حملت الحرير والمطور والأفانيه من الشرق الى مرافئنا الساحلية ، مارة على مدن أشبه بمرافئ داخلية ، نشأت حول أطراف الهلال الخصيب في الواحات والنقاط الاستراتيجية والمضائق الجبلية وعمرات نهر الفرات . واليوم تعود الحياة الاقتصادية الى البادية ، فتمد فيها أنابيب البترول ، ونشأ في أطرافها المدن البترولية ، وكثق الصحاري والآبار . ويرافق ذلك انبعاث مدنها القديمة . إذ أن البعثات الأثرية تنشط لاطهار ماضي هذه المدن . فديرية الآثار العامة تنقب في تدمر بحثاً عن مخلفات عصر أذينة وزنوبيا ، وفي الرقة تقصياً عن حضارة عصر الرشيد . وبمئة الأستاذ (اندره بارو) الأفرسية تعمل على اظهار مدينة (ماري) إحدى عواصم سورية في الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد . وبمئة الدكتور (يوهانس كولويتز) الألمانية تجهد لاطهار الرصافة البيزنطية والألموية ، وبمئة الدكتور (بول كولار) ، السويسرية تقاسمنا العمل في منطقة (بعل شامين) التدمرية ، وبمئة الأستاذ (بريدود) الأميركية تستعد لدراسة ماضي الانسان لما تطور فبدل حياة الصيادين بحياة المزارعين في مناطق الفرات ، وبمئة زميله الأستاذ كون ثمر على مخلفات ٦٠٠٠٠ - ٣٠٠٠٠ سنة قبل الميلاد . ولا شك أن حطام كل هذه المدنات كثير في نفوس المثقفين وفي نفوس كل من يبحث عن لذات غير مألوقة ، حب استطلاع شديد لمعرفة الربوع التي درجت فيها طفولة البشرية وشبابها يشبه حين المرء للمثاني التي انقضت فيها حداته . ثم أن تدمر وهي مركز النقل في البادية تقدم أهمية خاصة لا تتوفر في غيرها . وقد سميت مرة سائحا أميركيا يقول ، وكان يطوف بأطلالها ، وإن بعضهم حدثه عن روعتها ، وحذره من مشقة السفر اليها ، الا أنه لاحظ بنفسه أن عظمتها لنفوق ما سمعه من وصف ، وأن وعاء طريقها أقل مما كان يتصور . وفي الواقع تصدر شهرة تدمر الخالدة عن جمال طبيعي نادر ، وعالم فريد من التاريخ ينبعث من أرجاء هذه المدينة التي كانت حاضرة من حواضر التجارة العالمية ، مع أشباح مدافنها ذات النماذج المتعددة القائمة على لحوف مضيقها الجبلي ، وشارعها الكبير ذي الأروقة المحمولة على عمد والممتد الى (١٣٠٠ متر) ، ومعبدتها الكبير ومسرحها الجميل ، وساحتها العامة ، وضورها ، وحصنها العربي الذي يكلل هامة جبلها . ان المرء لا يمكن أن ينسى مشاهدتها اذا زارها مرة واحدة وتمتلل فرحة القريين بالاطلاع عليها فرحتهم فيما اذا قدر لهم أن يمشوا على قارة الاطلائيك

التي تتحدث الأساطير ، أنها ثاوية في قعر المحيط . لهذا يجب إعدادها للسياحة ، وتوجيه تياراتها اليها . ففي ذلك واجب وطني ، وخدمة دولية تقدم الى السائحين في كل أنحاء العالم . ومن اللازم توسيع فندقها ، وتجهيزها بفندق آخر متنقل مؤلف من خيام وصواوين بسيطة ، حتى يتمتع السائحون الذين يمكن أن يأتوا خصيصا من لندن وباريس واسنكهولم وامستردام بيوم أو يومين من حياة سكان الصحراء ، ويتقمصوا بأشخاصهم ويتزيوا بأزيائهم ، ويخلقوا بأخلاقهم . ولا بأس أن يسهل لهم التنقل على ظهور الابل إلى زيارة قصر الحير الشرقي ، وأن ينظم بقرب الاطلال متحف صغير ، يجدون فيه نماذج جصية وشمية عن سكان البادية ، وعن ألبستهم وصناعاتهم ، وأن تقام في فناء هذا المتحف الأعياد والمهرجانات البدوية . كما يستحسن أيضاً أن تنطلق سيارات بالسائحين من دير الزور والرقعة لتزورهم قصور الامويين والعباسيين التي يكشف المختصون أنماطاً متنوعة منها كل سنة ، وتوصلهم إلى دورا أوروبوس ، وتل حريري ، وحلاية ، وزلايا وأن تنظم أثناء قدومهم مسابقات السيارات والدراجات التي تقطع البادية وتدور حول سورية . وأن توجد لتسليتهم أعياد موضوعها تمجيد نهر الفرات ، وأن يحتفي أمامهم بمواسم القمح والقطن ، بعد الاعتماد في ذلك على بعض النصوص التاريخية التي انتهت اليها وعلى تقاليد السكان ، وبعد العمل على إحياء هذه التقاليد وإغنائها بعناصر جديدة .

وأخشى من الإطالة فيما إذا مضيت بتعداد المواقع الاثرية السياحية السورية الاخرى . ولزام علي أن أنهى الكلام عنها بذكر منطقتين أخيرتين الأولى منها تعرف باسم منطقة البلاد الميتة في شمال حلب . ويرقى عهدا الى ما قبل العهد العربي عندما كانت بلاد الشام تحمل لواء الدين المسيحي ، وتنتشر منشآته ، وتبتكر أجمل الأشكال لإقامة طقوسه وشماره . وكان من هذه الأشكال أديرة وكنائس (البراد) و (الباره) و (قلب لوزه) و (قلعة سمان) . وقد شيد المركز الأخير حول العمود الذي عاش عليه الناسك القديس سمان سبعة وثلاثين عاما . ولقد أطلاله أعظم وأضخم أطلال مسيحية في الشرق لجمال تخطيطها وتركيبها ونسبها . ولزام علينا أن نعرف العالم بهذه الكنوز وأن نمد بين مجموعاتها أشرطة الطرق السوداء ، حتى نجد فيها أمريكا وأوروبا أغذية روحية من النوع الممتاز تقابله بإرسال عشرات ومئات الألوف من السائحين سنويا . أما المنطقة الثانية فهي منطقة حوران وجبل الدروز ذات الصخر والابواب والزخارف

البازلتية السوداء ، والتي كانت جزءا من الولاية الميرية الرومانية . وفيها مدينة (شها) فيليببوليس القديمة حيث بإمكان السائح أن يعيش اليوم على طريقها المتعاقبين الذين مشى عليها مواكب ابنها الامبراطور فيليب العربي ، ويتناح سيجارات اللاكي سترايك وزجاجات الكولا من حوائثها القديمة . كما فيها مدينة بصرى التي تملك مجموعة نادرة من الاوابد منها بقايا الدير الذي كان فيه الراهب (بھيرا) ، ومدرج روماني يعد من أعظم مسارح العالم ويمكن أن يمد فيه تمثيل مسرحيات (سوفوكل) و (أوريد) و (بندار) . كما يمكن إقامة حفلات موسيقية يونانية رومانية وعربية قديمة في مواسم السياحة لما تنظم هذه المواسم .

ولا شك أن هذه الثروات الاثرية تمكنها أن تكون عوامل أساسية لتحويل سورية إلى بلاد سياحية ممتازة . والخطوة الاولى الواجب عملها لتحقيق هذه الغاية إصلاح الاوابد المتهدمة وترميمها والعناية بها ، وعزلها عن الابنية المزدلة التي تحيط بها ، وإظهار أجزائها المطمورة في الارض والتقيب عن الآثار في المناطق القديمة ، وانشاء المتاحف المختلفة في المدن السورية ، وتزويد عدد هذه المنشآت والاكتار من النشرات العلمية والادبية التي تزود السائحين بلحات عن تاريخ المناطق والابنية الاثرية وعن الاقاصيص والاساطير الطريفة المألقة بها . ويكون ذلك عن طريق تزويد اعتمادات المديرية العامة للآثار والساح لها بتحقيق برامجها . أما الخطوة الثانية فتكون باستثمار هذه الاعمال ويكون ذلك عن طريق قيام كيان إداري واسع مستقل كل الاستقلال ، وجعل نواته الدوائر التي تفي حاليا بالسياحة ، واعطائه صلاحيات واسعة في أعماله ، وتخصيصه بالاعتمادات الكافية ، وتغويضه بحماية المواقع الطبيعية الجميلة وتجميلها ، واقتراح تحريمها ، والعناية بالصناعات الشامية التقليدية ومساعدة أربابها ، وافساح المجال لانهاضها من عثرتها ، وكسخير أقلام الكتاب المشهورين السوريين والاجانب لبعث شهرة سورية القديمة والتعريف بخصائصها ، ومزايا مناطقها ، وفتح مكاتب سياحية في البلاد الغنية وفي المواسم الكبرى التي تمر منها التيارات السياحية الدولية ، والالفت إلى تأمين الفنادق والمطاعم والمشارب في مختلف أنحاء الوطن السوري ، والعمل على حث المراجع المسؤولة على إكمال شبكات الطرق ، وتشجيع إقامة الاعياد والمناسبات الشعبية ، والمعارض ، والمسابقات والمباريات الفنية والرياضية الاقليمية والدولية في مختلف المدن السورية خلال المواسم السياحية ، ووضع المخططات والافلام والصور والرسوم الشائقة . ثم تنظيم دورات سياحية في

المدن والمناطق التي عدتها ، واتخاذ أفضل الشروط الصحية التي تؤمن راحة السائحين ، وإيجاد طبقة من المواطنين يتقنون اللغات الأجنبية الحية لهداية ضيوفنا وخدمتهم في حلهم وترحالهم ، ثم الاتصال بالدوائر السياحية في مصر ولبنان واليونان والمؤسسات السياحية الدولية اتصالاً مستمراً ، غايته تنظيم رحلات إجماعية تمر على كل مناطق الشرق الأدنى .

إن العمل على تنشيط السياحة في سورية مشروع اقتصادي استثماري بالدرجة الأولى . وكل استثمار يحتاج الى توظيف رأسمال وبذل الجهود . فهل نحن مستعدون لتنفيذ مشروع نشر السياحة في سورية والعمل بكل قوانا على إنجاحه ؟

سليم عادل عبر الحق



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إمدى

حفريات الروتة

الأستاذ فسيب صليبي

تقرير أولي عن الموسم الثاني خريف ١٩٥٢
اتمام كشف القصر - ب - المكتشف في الموسم الاول خريف ١٩٥٠ (١)

أوصاف القصر بعد الحفريات

بني القصر على شكل مستطيل مع قليل من الانحراف في الجهة الشمالية . وبلغت مقاييسه العامة ١٦٨×٧٤ م . وهو يشتمل من الوجة الممرانية على أربعة أقسام رئيسية :

- ١ - الحدائق
- ٢ - قسم الشؤون العامة
- ٣ - دار الضيافة
- ٤ - الدور الخاصة

الحدائق

تنقسم حدائق القصر إلى قسمين : الحديقة الرئيسية والحدائق الاضافية . ولنتكلم الآن عن الحديقة الرئيسية (رقم ٦٥) التي رأيت تسميتها بهذا الاسم نظراً للمكانة التي تحتلها بالنسبة لرواد القصر ، الذين لا يمكنهم الوصول الى باب الرئيسي دون المرور بعماراتها ، ونظراً لرحابتها ومكانتها من الوجة التنظيمية . وهي تقع في القسم الشمالي من القصر (ب) وقد نظمت على شكل مستطيل تبلغ مقاييسه ٦٨.٥٠×٥٠ م ، ولصق طرفا جداريها الغربي والشرقي وسط كل من البرجين القائمين في زاويتي القصر . أما جدرانها فقد شيدت من قوالب

(١) مجلة الحوليات الاثرية الجزء الاول ١٩٥١ الصفحة ١١١ من القسم الاجني

اللبن المربعة ويبلغ منحها ٦٥ سم . وهي متصدعة من جراء التهديم الذي أصابها . ويضاف إلى ذلك حرثها من قبل الأهلين لزارعتها . ولم تلاحظ آثار للملاط على الجدران سوى في بعض الأماكن . ودعمت الجدران بأبراج نصف مستديرة مفرغة لها أبواب داخلية استخدمت كغرف لحاجات الحديقة ، وعثر في أرض البرج الشمالي الشرقي على كمية من الرماد كما لوحظ أن جدرانها اكتسبت من جراء الحريق الداخلي لوناً آجرباً وربما نتج ذلك عن استخدامه (أتوناً) أو محرقة للجص . (اللوحة رقم (١) صورة رقم (٢)) . وللحديقة ثلاثة أبواب فتح كل منها في أواسط الجدران التي تحيط بها كما شيد على جوانب كل منها دعائمان من اللبن على شكل مربعات لتكون بمثابة عضائد استنادية لجوانب المدخل (اللوحة رقم (١) صورة رقم (١)) . وعثر أثناء التنقيب بين جدران الحديقة على كسر فخارية وزجاجية مختلفة أكثرها منقول من داخل القصر عند رفع ونقل الجدران المبنية من الآجر . ومن المحتمل أنه روعي في تنظيم الحديقة أن تبقى الممرات المؤدية إلى الأبواب خالية من النبات وأن تقوم على جوانبها أشجار تظلل الداخلين إلى القصر (المصور العام) . وربما كان أروائها من ماء قناة تفرعت من نهر البليخ قبل أن يصب في نهر الفرات .

أما الحدائق الإضافية فتقع خلف قسم الشؤون العامة ودار الضيافة في الجهة الجنوبية ولم يعثر فيها على معالم تستحق الذكر .

٢ - قسم الشؤون العامة

شيد قسم الشؤون العامة في الجناح الغربي من القصر . ويفصل بينه وبين بقية الأجزاء بحر مكشوف (رقم ٣٧) انحدرت أرضه نحو فوهة صغيرة صنعت خصيصاً لتصريف مياه الأمطار . وبواسطته يمكن الاتصال بجميع الأجزاء التي يتألف منها القصر (ب) ويشتمل قسم الشؤون العامة على دار كبيرة مؤلفة من أروقة وقاعات وعمرات وباحة كبرى تحيط بها أروقة ، وفيما يلي وصف موجز لكل من هذه الأقسام :

أ - المدخل الرئيسي (رقم ٥٩)

وبعد اجتياز الحديقة التي سبق التحدث عنها يصل الداخل إلى الباب الرئيسي الذي لم يبق من أجزائه سوى ما يشير إليها من أساسات وكسر جصية مزخرفة وكسر من الآجر التي

تركت عند رفع الجدران المقولة الى اماكن اخرى . وهذا ما يحصل على مر الدهور في المدن والبيوت المهجورة . وربما كان المدخل يتألف من عدة ابواب تملوها اقواس مزينة بزخارف جصية جميلة (وسوف يأتي البحث عنها) اللوحة (رقم ٢ ، صورة رقم ٣)
ويقع خلف جدار المدخل رواق متسع رصفت ارضه بمربعات الآجر على أشكال مستقيمة . وقد احدثت انهيارات الجدران عليه بمض الانخفاضات . وآثار التفحيم ظاهرة في كثير من الاماكن منه . مما يدل على أن حريقاً كبيراً شب في القصر عند ما غلب اصحابه على امرهم . واتفق اثناء العمل ان هطلت الامطار بعد تنظيف هذا القسم ففسدت مربعات الآجر فاسترعت انتباهنا ألوانها الزاهية ، التي تتألف من (الفسقي) والاجري الناعم والفاصح والداكن والبي الذي يميل الى الاحمرار وغير ذلك من الالوان المختلفة (اللوحة رقم ٤ ، الصورة رقم ٢) وربما كان مرد ذلك الى تنوع تركيب التربة التي صنع منها الآجر .

٢ - الباحة الكبرى (رقم ٦٠)

تتألف الباحة الكبرى من فسحة مستطيلة رصفت أرضها بمربعات آجر من قياس ٤٠×٤٠ سم وقد بقيت منها آثارها المثبتة على الملاط ونظمت بأشكال مختلفة بعضها مائل وأخرى مستقيمة . (المصور العام ، اللوحة رقم ٤ ، صورة رقم ٧) .

وعلى جانبي الباحة من الجهة الشرقية والغربية أرضة خيقة تشكل أرض أروقة المرور . ولا ريب أن تلك الأروقة كانت مشيدة على أعمدة مصنوعة من الآجر واللونة الجصية وأن سطوحها طليت بألوان متباينة كأنما كان القصد من ذلك محاكاة أعمدة الفرائيت ذات العروق الجميلة . ولكن لم يثر من هذه الأعمدة إلا على بعض قطع متبقية ضمن الانقاض . وآثار مراكزها ما تزال على جوانب الارصفة (اللوحة رقم ٣ ، الصورة رقم ٥) . وهناك بعض الدعائم البارزة من الجدران في الزاوية الغربية الشمالية .

والتقطنا أثناء التنقيب مجموعة كبيرة من القطع الجصية المزخرفة وربما كانت تزين واجهات اقواس الأروقة . ولم تتمكن من ترميمها لفقدان أجزاء كثيرة منها من جراء أعمال التخريب . وأكثرها مزين بمناقيد الكرمة وأوراقها . وهي محورة الى أشكال مختلفة ، كما التقطنا بعض أجزاء الملاط الملونة بألوان زاهية . وعثرنا في وسط أرض الرواق الغربي على تمديدات قساطل فخارية جعلت لتصريف مياه الأمطار عند تجمعها إلى خارج القصر (اللوحة رقم ٣ ، الصورة رقم ٦) ويبلغ قطرها ٢٣ سم .

٣ - الرواق الجنوبي المقابل للباطنة

يمتد الرواق الجنوبي على طول قسم الشؤون العامة ، وقد طليت أرضه بالملاط الجصي . وربما كان للواجهة المطلة على الباحة أقواس شبيهة بواجهات الأروقة التي سبق التحدث عنها . ولم نعث على أثر يشير إليها سوى بعض قطع جصية مزخرفة ربما كانت جزءاً منها وقد انتزعت من أساساتها في عصر متأخر لما حاول بعضهم البحث عن الآجر .

وذكرنا في غير هذا المكان ما حل يمثل هذه الجدران . واكتشفنا عند منتهى الرواق في الجهة الغربية فجوة مربعة زينت برسوم هندسية ملونة وعلى جانبيها عمودان من الملاط لهما قاعدتان مزينتان أيضاً بالألوان المختلفة . ميزنا بينها الأصفر والأسود والأخضر والأحمر الخ وقد طليت هذه الرسوم في وقت متأخر بطبقة من الملاط الملون . مما يؤكد لنا إعادة استخدام القصر من قبل أناس متخلفين عن سكانه الأصليين من حيث الذوق والفن .

٤ - القاعة رقم ٩ -

توسط القاعة رقم ٩ قسم الشؤون العامة . وقد بلغت مقاييسها ١٢.٥٠ × ٧.٥٠ م . وكانت من أعظم القاعات التي عثر عليها ضمن القصر (ب) . فقد رصفت أرضها بألواح زجاجية لم يبق منها سوى آثارها المطبوعة على الملاط ، لأن يد السالبيين انتزعتها باكلاً . وعثر أيضاً على أجزاء من الملاط المذكور قائمة على جانب الجدار الجنوبي للقاعة رقم ٢ (اللوحة رقم ٤ الصورة رقم ٨) . ويستدل من هذا أن أرض القاعة رقم ٩ وجدرانها كانت جميعها مغطاة بالألواح الزجاجية بمقياس ١٦.٤ × ١١.٦ سم . ولم يسبق أن اكتشف في أية مدينة أثرية ما يشبه هذا العمل النادر من نوعه حتى في أعظم القصور المكتشفة في (سرمن رأى) سامراء التي بناها المتصم . وتؤخذ من هذا فكرة عن الترف التي انتشر في أبنية الرقة ذات المكانة الكبرى في العصر المباسي .

وتحيط بجاني القاعة غرف أزيلت أكثر جدرانها . ولوحظ أن الغرفة الواقعة في الزاوية الشرقية الجنوبية لها أرضين تتخفف الأولى عن الثانية بـ ١٧ سم . ويعود سبب ذلك أما إلى خطأ ارتكبه البناء أثناء العمل أو إلى تعديل حملوا عليه أثناء تشييد القصر . وعثرنا أثناء التنقيب هنا على قطعة من الخشب المحفور مطلية باللون الذهبي ، وبعض الكسر الزجاجية المختلفة الألوان وعليها بعض الرسوم المصنوعة

بالوان تختلف عن ألوان الزجاج التي رسمت عليه . وعرف منها أشكال السنبلة ومثلثات عند ملتقى أضلاعها زهرات مرسومة باللون الأسود .

وزينت جوانب الابواب المتصلة بالأماكن الآتفة الذكر بأشرطة جصية مزخرفة بزخارف نباتية مختلفة . كما عثر بقربها على كسر زجاجية مختلفة بعضها يحوي رسوماً هندسية ربما نشأت من عناصر كانت مجسولة في وسط الأقواس . يضاف إلى ذلك بعض القطع الخشبية الملونة المزينة بدوائر ضمنها زهرات على إطارها حبيبات مستديرة .

ونلاحظ أنه سبق وصف بقية أجزاء قسم الشؤون العامة في التقرير الأول الصادر في مجلة الحوليات الاثرية كما ذكرنا في الصفحة الأولى من هذا التقرير .

٣ - دار الضيافة

تقع دار الضيافة في جناح شرقي قسم الشؤون العامة وأطلقنا عليها هذا الاسم لالتصالها بقسم الشؤون العامة بواسطة عمار ضيق يتصل بالمر رقم ١ . وقد لاحظنا على جدرانها بعض الرسوم المحززة على الملاط . ربما كانت هذه الرسوم تجرب هنا لاختبار التأذج التي يرى نحتها على الجص قبل الشروع بها ، لتكون قوائم تزيينية لجوانب الابواب ، أو غيرها .

وتتألف هذه الدار من مرحاض وأربع غرف تتصل ثلاثة منها بأبواب داخلية (المصور العام) . كما أن الغرفة الأخيرة تتصل بالمرحاض عن طريق باب داخلي . ولها باب آخر يطل على الرواق . وزينت جوانب الابواب جميعها بأشرطة جصية بعضها من الداخل وبعضها الآخر من الخارج . وتتألف هذه الاشرطة من أشكال هندسية ونباتية جذابة ومتنوعة . وأكثر عناصرها استمدت من ورقة الكرمة وعناقيد العنب والأغصان النباتية (١) .

وفي زاوية الغرفة رقم ٨ مصطبة صغيرة أعدت للصلاة . وبنت جدران الغرف جميعها من مرمبات الطين غير المطبوخ التي طلبت ببطقة من الملاط .

وعثرنا في المرحاض على كسر من الزجاج لكؤوس وأكواب بعضها مزين بكتابات كوفية قرئت منها جملة [اشرب واطرب] وكلتنا [سمر ومسامر] . وكذلك التقطنا بعض الكسر الزجاجية ذات اللون الحليبي المحززة برسوم متعرجة ، وبعض قطع من الماچ وكسر من الفخار المختلفة . وأمام هذه الغرف رواق رصفت أرضه بمرمبات الآجر له عتبة وأقواس لم نعثر منها إلا على بعض قطع لم تزل عليها الزخارف الجصية . وتمتد أمام الرواق باحة مكشوفة فسيحة الأرجاء كانت تستخدم للنزهة والترجيع عن النفس في أيام الصيف اللاهبة .

(١) مجلة الحوليات الاثرية مجلد ١-١٩٥١ صفحة ١١١-١٢١ .

وبجمل القول إن دار الضيافة كانت منظمة بشكل يختلف عن دور السكن وأجزاء القصر الأخرى لتكون لائقة بالضيوف .

٤ - دور السكن

يتألف القسم المعد للسكن (اللوحة رقم ٥ ، الصورة رقم ٩) من أربع دور لكل منها باحة مكشوفة . ويفصل هذه الدور إلى قسمين يمر مكشوف (رقم ٥١) رصفت أرضه بمربعات من الآجر عثر على بعض أجزاء منها ما تزال مثبتة في أماكنها وعلى كل من جانبي الممر المذكور داران (اللوحة رقم ٧ الصورة ، رقم ١٣) ،

وتتألف الدار الشرقية منها (الرقم ٤٦) من باحة رصفت أرضها بمربعات الآجر وثماني غرف وثلاثة ممرات داخلية وغرفة حمام وتختص أرض الغرفة الأخيرة أنها كانت مطلية بالزفت (أو القار) ولها فوهة لتصريف المياه في وسطها . عثر فيها على أنبوب زجاجي محدد من وسطه وعلى بعض كسر مختلفة من الفخار .

وفي زاوية الغرفة (رقم ١٧) مصطبة زين جانبها الجنوبي بشرطين من الجص المزخرف (اللوحة رقم ٥ ، الصورة رقم ١٠) صنعت خصيصاً لكي يصل علىها . ولقد تكررت العثور على مثل هذه المصاطب في بعض الغرف . وعثر أثناء التنقيب على مجموعة حطام لآوان فخارية وزجاجية وبعض قطع من النحاس متأكلة بعض أجزائها . وسوف يأتي الحديث عنها مفصلاً في التقرير النهائي عن هذا القصر .

٢ - الدار رقم ٤٧ .

وغرب الدار السالفة الذكر تقع الدار (رقم ٤٧) المؤلفة من خمس غرف التفت حول باحة مربعة من الجانبين الجنوبي والغربي ، ولها أيضاً مرحاض يقع على جانب الغرف القائمة في الجناح الغربي . وقد عثر فيه على مجموعة كبيرة من القطع الزجاجية والفخارية وكسر جرة من الخزف المزخرف بأشكال جميلة ناتئة لونها أخضر غامق .

وفي زاوية الغرفة (١٩) مصطبة شبيهة بالمصاطب السالفة الذكر في الدور السابقة وهي مزينة بشرطين من الجص المزخرفين بأشكال نباتية كشبه شجرة السرو .

٣ - الدار رقم ٥٨

ومقابل الدار (٤٧) دار ثالثة بنيت على الجانب الشمالي من الممر وتتألف من باحة وثلاث

غرف ومرحاض . وقد عثر أثناء التنقيب على جزء من رصيف باحتها لم يزل في مكانه ولم نر مايمثل هذا الرصيف في أرجاء القصر الأخرى (اللوحة رقم ٦ ، الصورة رقم ١٢) .
ولوحظ في الزاوية الشمالية للباحة جدار بناؤه غير منتظم وفيه ثغرتان . وهو من عهد متأخر لعدم ارتباطه عمرانياً بالجدران التي تتألف منها الدار . وعثر أثناء التنقيب في زاوية الغرفة (رقم ٥٧) على بعض القطع الزجاجية المستديرة التي يبلغ قطر كل منها ٢٥ مم طبعت على أحد وجبيها بعض الكلمات بالخط الكوفي [مبارك وكيل رشيد] وربما كانت تغطي للتأكد من صحة الوزن . وفي وسط أرض الغرفة (رقم ٥٦) جمعت حفرة مستديرة الشكل وطلبت جوانبها بملاط رمادي والظاهر أنها كانت تستخدم لإيقاد النار وربما لعمل بعض المشروبات . ولم يعثر على شبيه لها في مكان آخر من هذا القصر . والنقطة من بين أقباض المرحاض بمجموعة من الكسر الزجاجية والفخارية ولا يمكننا وصفها الآن لأنه لم يجز ترميمها بعد .

٤ - الدار رقم ٢٦

تشبه الدار (رقم ٢٦) في أوضاعها العامة الدار المجاورة (رقم ٥٨) ، وتتألف من باحة وملاط غرف ومرحاض وصفت أرضها كبقية الباحات بمربعات الآجر البالغ مقياس طرفها ٢٤ سم . ولم يبق منها سوى بعض المالم على الملاط الجصي الذي كانت تركز عليه .

وعند رفع الأقباض من داخل الغرفة (رقم ٢٨) شوهد تنوران على الجانب الشرقي قرب مدخلها لم يزل أحدهما بحالة حسنة والآخر متهدم وعلى جانب أحدهما موقد صنع لطهي الطعام (اللوحة رقم ٧ ، الصورة ١٤) . وعثر بين أقباض التنورين على تاج عمود صغير من (الألباتر) ملون بألوان زاهية ، وعلى مجموعة من الكسر الزجاجية وكثير من عظام الطيور والأرانب . وقد استخدمت الدار الآفة الذكر كطبخ لتزويد ساكني القصر بالأطعمة . وعثر أيضاً ضمن أقباض المرحاض على ابريق من النحاس نقش على عنقه كتابة عرف منها [بركة لصاحبه] وكسر لاواني زجاجية وفخارية مختلفة .

٥ - المدخل رقم ٤١

سبق أن ذكرنا أن للقصر (ب) ثلاثة مداخل من الحديقة تؤدي إلى باب رئيسي أقيم في الجناح الغربي . وسنتحدث الآن عن المنفذ الجاني للقصر الواقع في الجهة الشرقية الشمالية على مقربة من برج الزاوية .

يتألف الرواق (رقم ٤١) من مجموعة من الأواوين المستطيلة فصلت بينها دعائم كبيرة متراسة البنيان شيدت جميعها من مربعات الطين غير المطبوخ . ولربما كانت هذه الأواوين مسقوفة بمقود من المادة نفسها .

وهي تستند على الجدار الرئيسي للقصر - الجهة الشمالية . (اللوحة رقم ٩ الصورة رقم ١٥) .
وفي منتهى الرواق من الجهة الشرقية يوجد باب وهو من أكبر الأبواب المعروفة في دور الرقة . وقد
شيدت ركيزتاها الجانبيتان من الآجر ولم يبق الا بعض معالمها ولهذا الباب عتبة مرتفعة .
ونعود الآن إلى الاواوين التي سبق الحديث عنها وقد استخدم الرقم ٢٩ كمرحاض عثر
ضمنه على أوانٍ وأباريق فخارية بعضها بحالة حسنة وأخرى معطمة ، وبينها بعض كسر
من الزجاج .

وعلى الجانب الأيسر للدخل يوجد إيوانان يحتمل أنها شيداً ليحملا فوقها درجاً يؤدي
إلى سطح القصر وإلى أعالي جدرانها الكبيرة المحيطة به والتي بلغ ثقلها ما يقرب من ١٥٥ سم وتدعمها
أبراج نصف مستديرة تبعد عن بعضها نحو أحد عشر متراً (اللوحة رقم ٨ الصورة رقم ١٦)
كما عثر ضمن الإيوان ٣٣ على نصوص كوفية جدارية كتبت على شكل مستدير في وسط جدرانها
وعلى ارتفاع انسان . وقد قرئ على الوسطية منها اسم الخليفة المعتمد الذي حكم الدولة العباسية
بين سنتي (٢١٨ هـ - ٢٢٧ هـ) (٨٣٣ م - ٨٤٢ م) (اللوحة رقم ٨ الصورة رقم ١٥)
كما عثر على بعض النقود المصروية في زمن الخليفة هارون الرشيد . وهذا يساعد على القول
إن عهد القصر يعود إلى أواخر القرن الثاني ومطلع قرن الثالث للهجرة .
وهناك بعض الشبه فيما يتعلق بالزخرفة الجصية المكتشفة في قصور الحيرة وبعض العناصر
المكتشفة في سامراء من العراق .

وذكرنا أننا عثرنا على بعض الجدران في الممر (٤١) من عهد أحدث من عهود بنائه . وهي جدران
بسيطة الصنع كانت الناية منها تحويل الاواوين المتقدمة إلى غرف صغيرة قابلة للسكن وقد حفر
في جوانب الدعائم الكبيرة كوات لوضع حوائج الساكنين . كما شوهدت بعض آثار الدهانات
التزيينية في الإيوان رقم ٣٥ تتألف من بعض خطوط سوداء وأخرى حمراء ممتزجة قصد منها
تقليد خطوط الرخام .

وكانت أرض الممر المذكور مرصوفة بحمرات الآجر التي لم يبق منها سوى آثارها وتحمل
أرضه نحو فوهة في وسطه صنعت لتصريف المياه وقد ثبتت الفوهة في وسط مربعة جيرية
تشبه في وضعها العام ما يسمى في يومنا هذا (بالوعة) . وعمر بالقصر من الجهة الغربية طريق
تسلكه السيارات الذاهبة إلى نهر البليخ أو جسر الشنينة كما يسمى الآن . وربما كان هذا
الطريق شارعاً يحاذي القصر في عهد الرقة الزاهر .

(اللوحة رقم ٩ صورة رقم ١٧)
تسليم طيبي

المعارض في مديرية الآثار العامة

الأستاذ منير سليمان

أمين المكتبة في مديرية الآثار العامة

معرض الفنون الجميلة لعام ١٩٥٥

هذا المعرض السادس للفنون الجميلة (الرسم والنحت) الذي تقيمه مديرية الآثار العامة في المتحف الوطني بدمشق قد تقدم بطلب الاشتراك به ما بنوف عن مائة رسام ، قبل منهم سبعة واربعون رساماً من السوريين وواحد من لبنان واثنان من الاجانب . كما بلغ عدد اللوحات المروضة فيه مائة وسبعة وستين لوحة . وتقدم اليه عدد من المثاليين قبل منهم ثلاثة وبلغ عدد قطع النحت ، اثنتا عشرة قطعة . والتي البارز في هذا المعرض ان الفن السوري اخذ يسير بخطوات واسعة نحو الرقي والتقدم واخذت تجل في مظاهر الوطن السوري وما تتميز به طبيعته المنبتقة عن حياة شعبه وخصائصه وتقاليد ، وتصور الحياة العامة بأشكالها ومظاهرها وتصور الناس في اعمالهم اليومية وتكشف عن احساسهم وما يضمرونه في افئدتهم من آمال واحلام .

اول ما تشاهد في هذا المعرض لوحات الاستاذ ألفريد بخاش وهي ثلاث لوحات تصور مناظر من الطبيعة في سوريا وقد تميزت بالقدرة على مزج الألوان وتأليف لون ساحر خلاب يخن النظر . ثم تميزت بدقة الفرشاة ونعومتها وبالخطوط الدائقة الرفيعة ، وبلي الاستاذ بخاش الاستاذ زهير صبان وله أربع لوحات تصور الحياة اليومية في سوريا وتصور الطبيعة وذلك بأسلوب واقعي وألوان تدل على تمكنه من الفن ورسومه قدمه في معرفة خصائص الألوان .

ويليه الاستاذ مروان قصاب باثني بخمس لوحات تميزت بالبساطة وبدقة التعبير كما تميزت بالألوان الزاهية المفرحة . اما الاستاذ نصير شوري فهو يسير من ظفر إلى ظفر ويتقدم باستمرار فلوحاته تدل على أصالة فنية وريشة قوية وخيال خصب . وقد تميزت هذه اللوحات بألوانها المتسقة إذ من أبرز صفات الاستاذ شوري معرفته الواسعة في تنسيق الألوان وتآليفها فألوانه متدرجة كأنهم الموسيقى ترى فيها اللون الحار واللون البارد ولكن لا تنفر من هذا التناقض القوي لأنه يصل بين هذين اللونين بألوان متوسطة تخفف من شدة التناقض بينها . ويبدو بمد ذلك الاستاذ ميشيل كرشه بلوحاته الخمس التي تميزت بريشة قوية تجزم أنها في يد فنان ملهم قد خبر الفن وعرف أسرارهِ ومالك ناصيته وألوانه دوماً واضحة مشرقة وضيفة تبعث في النفس غبطة وسروراً وفرحاً . والاستاذ فاتح المدرس يقف إلى جانب الاستاذ كرشه بلوحاته الخمس فترى في لوحاته مناظر عن طبيعة الوطن السوري وتشمع بالهواء العليل يلمس جهتك وترى خضرة الشجر والآفاق البعيدة وقمم الجبال وبطون الوديان فتحس كأنك في بقعة من بقاع سوريا . اما الوجوه فتلح فيها آمالاً كبيرة تحف في صدور أحبابها هي آمال الشعب السوري وأمانيه . أما الاستاذ ناظم الجمفري فقد عرض خمس لوحات فيها منظر عن الطبيعة وأحياء من دمشق القديمة ووجوه وهو قوي في جميعها له ريشة قوية تدل على موهبة فنية رفيعة وأصالة في الفن ومعرفته كبرى في أسرار الجمال والابداع وألوانه على التاليميل إلى الألوان السكائية مما يكسب لوحاته شيئاً من الحزن والكآبة والزهد في الفرح والغبطة . والاستاذ خير الدين الايوبي عرض لوحتين ، زهور ووجه وهو يتبع الأسلوب المدرسي وألوانه تميل إلى التناقض القوي بين الحار والبارد . والاستاذ هشام المعلم عرض ثلاث لوحات فيها منظر وطبيعة صامتة وألوانها جميعاً تميل إلى اللون السكائي . ثم تأتيك لوحات الاستاذ الياس زيات الخمس وفيها تجديد لم نعرفه في لوحاته القديمة وكأنه قد بدل أسلوبه كلياً وقد تميزت هذه اللوحات بتناقض الألوان بين الحار والبارد دون التدرج في هذا التناقض . والاستاذ عدنان انجيله عرض أربع لوحات طبيعة صامتة وألوانه تميل إلى الألوان السكائية . والاستاذ أنور علي الاثرناؤوط عرض لوحتين منظر واحد أحياء دمشق القديمة وهو يسير على منهج المذهب المدرسي ويتقيد بما يراه في الطبيعة من مناظر وأحياء ومساكن . وألوانه وضيفة مشعة . أما الاستاذ هشام زمري فقد عرض خمس لوحات ، وجوه وطبيعة صامتة ، وتميزت هذه اللوحات بالحرص الشديد على تقليد الطبيعة تقليداً تاماً ونقل ما تراه العين بدقة وأمانة أما ألوانه فهي مزيج من اللون الحار والبارد مع دقة في التدرج بين هذين اللونين . والسيد خالد معاذ عرض خمس لوحات تصور جانباً من

حياة الريف السوري ، وحيًا من دمشق القديمة . والسيدة موردي عرضت ثلاث لوحات وقد تميزت بتناقض الألوان بين الحارة والباردة دون التدرج فيها . والسيد رويبر ملسكي ما زال على طريقته في المذهب النكسبي وقد عرض ثلاث لوحات على هذا المبدأ ولوحاته تميز بالتناقض القوي بين الألوان الحارة والباردة مثل الأحمر بجانب الأسود والأصفر بجانب الأزرق دون التدرج فيها من لون لآخر . أما السيد فتية الشهابي فقد بدل أسلوبه كليًا ونجح في اختيار أسلوبه الجديد نجاحًا مرموقًا وعرض خمس لوحات على هذه الطريقة الجديدة وقد تميزت طريقته بخفة الألوان وعمق الموضوع مثل لوحة الأمومة البائسة وحي القيمرية . والسيد برهان كركوتلي فإن لوحاته تدل على مستقبل لامع ينتظره لأن فيها عمقًا وتعبيرًا قويًا عما يختلج في الضمير من خواطر وآمال هذا فيما يتعلق بالوجوه أما المناظر فإنها تنقل ما تراه العين في الطبيعة نقلًا صادقًا أمينًا . والاستاذ حزقيال طوروس عرض بطريقته الفريدة ثلاث لوحات منظر وطبيعة صامتة و لوحة تمثل جانبًا من حياة القرية السورية ، ويتفرد الاستاذ طوروس بأسلوبه حتى أن ترتدي لوحاته طابعًا خاصًا لا يشاركه به أحد من الفنانين . والسيدة شطي عرضت ثلاث لوحات مصورة بالملائي تصور جانبًا من الحياة في دمشق وتتميز هذه اللوحات بألوانها الزاهية وطريقتها الحديثة . أما السيد نوبار صباغيان فقد عرض ثلاث لوحات مائية تميزت بألوانها التي تحاكي لون الطبيعة في سوريا فلون خضرة الشجر في لوحاته أسمر يميل قليلاً إلى الخضرة وهذا اللون يحاكي لون خضرة الشجر في سوريا ولون التراب عنده لون طبيعي فيه شيء من اللون القرميدي الخفيف وهو اغبر يمثل حقيقة لون التراب في الطبيعة وعلى العموم أن ألوان الأستاذ صباغيان مضيئة مشرقة كلون الطبيعة السورية . والأستاذ صلاح الناشف عرض أربع لوحات مائية تميزت بدقة الخطوط والألوان المضيئة المفرحة ونعومة الفرشاة ، والسيد نذير نعمة عرض خمس لوحات مائية تميزت بصفاء ألوانها ودقة خطوطها ونعومة الفرشاة ، والسيد نعيم اسماعيل انفرد بأسلوب خاص يحاكي الأساليب الحديثة في أوروبا وقد وفق في اختيار هذا الأسلوب إذ ألبسه طابعًا شرقيًا بحتًا . والسيد غيات الأخرس عرض ثلاث لوحات تميزت بمواضيعها القوية التي تمثل جانبًا من حياة الريف السوري أصدق تمثيل . أما بقية اللوحات التي عرضت في القاعة رقم (ب) فإنها تحوي عددًا من الفنانين الشباب الذين بدأوا حياتهم الفنية منذ أمد قريب وجميعها تدل على موهبة فنية أصيلة تختلج في نفوسهم وتسمى أن تتجلى على اللوحات صوراً لمبر عما يضيق في صدور الفنانين من حب لوطنهم ولعلمهم

معرض المكتشفات الأثرية الثاني

لعامي ١٩٥٤ - ١٩٥٥

في صيف ١٩٥٣ افتتحت مديرية الآثار العامة في المتحف الوطني بدمشق معرض المكتشفات الأثرية الأول لعامي ١٩٥١ و ١٩٥٢ وقد لاقى أقبالاً واستحساناً من جميع الأوساط العلمية الدولية والعربية ، كما لاقى تشجيعاً من المواطنين الكرام . وهاهي ذي المديرية العامة تحتفل في شهر كانون الأول ١٩٥٥ بافتتاح المعرض الثاني لعامي ١٩٥٤ و ١٩٥٥ تحت رعاية الرئيس الأول السيد شكري القوتلي ، فتختتم العام الراحل بتحقيق مشروع هام ، أنفق في إعداده موظفو مديرية الآثار وخاصة موظفو المتحف الوطني وقتاً طويلاً وجهوداً طيبة .

لا يخفى ما للمعارض الأثرية من فوائد عظيمة في تنمية ثقافة الشعب ، وإطلاعه على نتائج الأعمال التي تبذل في الكشف عن تراث الأجداد ؛ فهي تجعله بال اتصال دائم مع الأبحاث العلمية ، وتثير في نفسه حب الاستطلاع والتتبع ، كما توسع آفاقه وتفضل ذوقه . وتضع أمام العلماء والباحثين العناصر الأساسية للدراسات الحديثة ، ويسهل لهم سبل البحث والتحقيق ، فتقدم بذلك خدمة عظيمة للعلم والمعرفة .

لقد أقيم المعرض الثاني في الطابق العلوي من الجناح الشرقي في المتحف الوطني بدمشق وقد وزعت الآثار على ست قاعات ثنائي على وصفها باختصار فيما يلي :

القاعة الأولى : خصصت لبيان نشاط مديرية الآثار العامة في الترميم : فقد عرض فرع الهندسة التابع لمديرية آثار المنطقة الشمالية لوحات أظهرت فيها أعمال الترميم الهامة في دير سمعان وقلمة حلب وقلمة سمعان ؛ وعرض فرع هندسة المنطقة الجنوبية أعمال الترميم في تدمر وقصر العظم . وقد أبانت هذه اللوحات الجهود الرائعة التي بذلت في سبيل حياة الأبنية الأثرية وإحيائها لتظل صامدة أمام الدهر .

عرض في هذه القاعة أيضاً قبر كنعاني اكتشف في رأس شمرا (أوغاريت) وممثل بالشكل الذي وجد عليه عند الاكتشاف ، فجاء تمثله صادقاً وموفقاً إلى أبعد الحدود . يمود هذا القبر إلى الطبقة الثالثة من الطبقات المتراكمة وقد سبقت حضارة الكنعانيين حضارة أوغاريت ، وعاشت

في عصر البرونز في الالف الثالث قبل الميلاد . والكنمانيون هم أجداد الفنيقيين ، سكنوا الساحل السوري قبلهم ثم اشتهر أحفادهم باسم الفنيقيين في الالف الثاني قبل الميلاد ، وانكشف الكنمانيون في المنطقة الجنوبية الساحلية والداخلية من سوريا . والقبر مؤلف من حفرة مستديرة ، وجد فيها هيكل عظمي وجمجمة وأوان فخارية متنوعة وبعض الحلي والابر البرونزية ...

وعرض أيضاً في هذه القاعة أدوات حجرية حيوانية من العصر الحجري القديم (الباليوليثيك) حصلنا عليها بـنتيجة حفار أجرتها بعثة جامعة بنسلفانيا الاميركية برئاسة الاستاذ (كون) . وقد رتب بحسب الازمنة الجيولوجية (الاشولي ، اللوآلوازي ، الاورينياس) وصنفت بحسب أشكالها واستعمالاتها .

القاعة الثانية : لقد كانت هذه القاعة قائمة في هذا المكان منذ إنشاء المتحف الوطني ، وهي مخصصة للكنز الذهبي العظيم الذي عثر عليه في مقبرة تل أبي صابون في حمص من العهد الروماني (القرن الاول ب . م) . وهي قاعة آنيقة ، جدرانها مغطاة بخشب الجوز الجميل . أدخلت ضمن المعرض بسبب عودة الخوذة الشهيرة من لندن بعد إصلاحها الثاني ، وعرضت معها تحف ذهبية هامة لأول مرة عرضاً حديثاً أبرز جمال القطع الاثرية .

القاعة الثالثة : خصصت هذه القاعة للآثار السورية القديمة ، وتضم أهم الآثار التي عثر عليها بـنتيجة حفار قامت بها البعثات الأجنبية والدائرة المختصة في مديرية الآثار العامة وهي :

١ - حفار ماري (تل حريري) : تقوم بها سنوياً بعثة متحف اللوفر برئاسة الاستاذ أندريه بارو . وأهم ما اكتشف في موسم ١٩٥٤ مخطط مجسم لدار يعطينا فكرة صحيحة عن تصميم الدور في ذلك العصر ، وأوان فخارية وحجرية وحلي متنوعة وأختام وتماثيل وأوان برونزية مكتوبة وأسلحة برونزية متنوعة . . . تعود جميعها للالف الثالث ق . م

٢ - حفار الخويرة (في الجزيرة) : قامت بها مديرية الآثار العامة مستعينة بالخبير الافرنسي السيد / لوفريه / . تعود آثار هذه الحفار إلى الالف الثالث وأوائل الالف الثاني ق . م ؛ وهي تضم جراراً كبيرة وصغيرة ، وأواني فخارية متنوعة لطيفة الشكل ، وعربات صغيرة وتماثيل وأختام أسطوانية .

٣ - حفار رأس شمرا (أوغاريت) تقوم بها البعثة الافرنسية برئاسة الدكتور كلود شيفر ، وأهم تحف الموسم : رأس عاجي محلى بالذهب يظن أنه لـاحد ملوك أوغاريت ، وأوان فخارية وحجرية ورقم فخارية وتماثيل برونزية بعضها مغشى بالفضة . وقد عثر ضمن هذه

الآثار على كعب عظمي مملوء فراغاته بالرصاص ، يظن أن أهالي أوغاريت يعرفون لعبة الكعب التي لا تزال شائعة حتى الآن عند الشعب السوري ، أو أن الكعب المرصص مستعمل كوزنة في ذلك العهد مع الاوزان المعروفة الحجرية والبرونزية ذات الشكل المغزلي .

٤ - مقتنيات سورية قديمة حصلنا عليها بطريق الشراء . وهي تماثيل فينيقية وحشية . . . هامة جداً ، وأختام أسطوانية وجعرافات . . . عرضت عرضاً جميلاً في كوى زجاجية من واجهة خشبية بدعة التصميم .

القاعة الرابعة : وقد خصصت الآثار التي عثر عليها في منطقة حوران وحصلنا عليها نتيجة حفائر أجرتها مديرية الآثار العامة أو قدمها المواطنون وقالوا عليها مكافآت ، أو اشتريناها من تجار الآثار الموثوقين .

والآثار الهامة حصلنا عليها من - حفائر أم حوران (قرب نوى) أجرتها المديرية في مقبرة من العهد الروماني (القرن الاول والثاني ب . م) بعد أن عثر المواطنون فيها على خوذتين هامتين من البرونز مطليتين بالفضة وأسلحة وتماثيل . . . أما الخوذتان فهما مزينتان بزخارف بارزة تمثل مشاهد حربية ودينية ، على إحداها تظهر معركة بين جنود سوريين مرتدين ثياباً - حسب الاسلوب الروماني - وأعدائهم (المظنون أنهم من البارثيين الغزاة) . وقد مثلت الخوذتان بالجص لأنها اكتشفنا بحال سيئة بسبب الطي والتحطيم المقصودين اللذين لحق بهما وبالأسلحة من أهل المتوفى إظهاراً لحزنهم على الفقد ، ومنعاً لاستعمال أدواته بدمه . سيكون لهاتين الخوذتين ضجة عظيمة في الاوساط العلمية لما تحملانه من الاشارات والرموز . وقد ظهر على إحداها اسم الفنان السوري الذي صنعها وهو ماكتوريوس بارباروس . عرضت آثار حوران مصنفة بحسب مادتها أو مكان وجودها ، وهي : أوان برونزية متنوعة ، أدوات حديدية من مخلفات التوايت الخشبية الفانية ، أوان خزفية وفخارية بديمة ، تماثيل برونزية أهمها تمثال غلام هادريان (الامبراطور الروماني) وأوان زجاجية متنوعة . . . وأخيراً أدوات جراحية وجدت في قبرين يعودان لطبيين ، وأوعية وأدوات صيدلي وجدت في قبر آخر . ومن أطرف ما وجد في أم حوران أيضاً تسع سمكات عاجية تحمل كل واحدة منها رقفاً يونانياً وآخر لاتينياً من كل جانب ، يظن أنها تعود الى لعبة (يا نصيب) أو كستعمل كبطاقات لدخول المسارح أو حضور الولائم .

القاعة الخامسة : وهي مخصصة للتحف السورية من العهود اليونانية الرومانية البرنطية .

تضم آثار حفائر تدمر التي أجرتها المديرية العامة وآثار حفائر تدمر التي أجرتها البعثة السويسرية برئاسة الأستاذ پول كولار ، وتضم أيضاً آثار حفائر المينا التي قامت بها البعثة الانكليزية قبل الحرب العالمية الثانية برئاسة الأستاذ / وولي / ووصلت البنا في السنة الفاتنة وهي تعرض لأول مرة ؛ ولعود هذه الآثار للمبد المهنسي .

وقد عرضنا أيضاً في هذه القاعة مقتنيات هامة حصلنا عليها بطريق الشراء ، وأهمها تمثال نصفي لآله الطب / اسكولاب / وإناء خزفي بشكل تمثال نصفي لامرأة بارعة الجمال دقيقة الصنع ، وتماميل برونزيه ورخامية وفخارية تمثل أرباباً متعددة (فينوس ، إيروس ساتير ، بان ...) وحلي نفيسة ذات صنعة راقية .

القاعة السادسة : خصصت هذه القاعة للآثار العربية الاسلامية التي حصلنا عليها بنتيجة حفائر الرقة وفاخورة الصالحية (في دمشق) . وحصلنا عليها أيضاً عن طريق الشراء والمكائات على تحف هامة جداً من الخزف والقاشاني ، والفخار ، والزجاج المعوه بالمينا والذهب ، والمعدن المنقوش والمكفت بالفضة ... رتبت جميعها بحسب مادتها وأسلوب صنعها ومكان وجودها . أهم ما عرض في هذه القاعة الكنز الاموي (١) الذهبي المؤلف من ٥٤٦ ديناراً تعود للسنوات المحصورة بين ٧٨ و ١٠٣ هـ أي من عهد عبد الملك بن مروان حتى عهد يزيد الثاني ابن عبد الملك . وقد وجد هذا الكنز قرب البيارستان النوري في دمشق .

وعرض أيضاً كنز نحاسي عباسي عثر عليه في الرقة وهو وزن خمسين كغ تقريباً . درست منه خمس مئة قطعة فقط فوجد أنها تعود جميعاً للقرن السادس الهجري ، وهي تخص السلطان السلجوقي قيليغ أرسلان والملك الصالح اسميل بن محمود (نور الدين الشهيد) وصالح الدين الايوبي والملك العادل (أخي صلاح الدين) وقود بيزنطية متنوعة . ومن أهم ما اكتشف في حفائر الرصافة رقائق من الملائط الجصي كتب عليها آيات قرآنية بالخط الكوفي المعروف بالقرنين الاول والثاني الهجريين .

* * *

يسر مديرية الآثار العامة أن تقدم هذا المعرض الى الوطن العربي الكبير والعالم أجمع ، وترجو أن ينال رضا العلماء والباحثين من حيث التصنيف والترتيب وأسلوب العرض ، كما أنها تشكر الرجال الرسميين والعلماء العرب والاجانب الذين حضروا حفلة الافتتاح ، وأظهروا إعجابهم بالجهد المبذولة وارتياحهم للنتائج التي وصل اليها المتحف الوطني .

م . أبو الفرج العس

(١) نشر بحث عن هذا الكنز في مكان آخر من هذا العدد .

مساهمة في دراسة حكم الملك المعظم

عيسى بمناسبة العثور على كتابة له .

بقلم : نيكيتا إليسيف

تدريب وتلخيص : عمرات النبي

لفت انتباهي ، وأنا أقوم مؤخراً بإنشاء ثبوت بكتابات نور الدين ، حجر في الجهة الداخلية من « الباب الشرقي » يقع تماماً فوق القفد ، عليه كتابة مطموسة قديماً بطبقة مخبئة من الملاط ، وكانت كل محاولة لإظهار تلك الكتابة من شأنها عرقلة السير في تلك الطريق . وأنا مدين للدكتور سليم عبد الحق مدير الآثار العام في سوريا ولا أحد مساعدته السيد زكي الأمير بتذليل تلك الصعوبة فأقدم لها شكري العميق بهذه المناسبة للمساعدة الفعالة التي يمهري بها دوماً في عملي .

وقد أدهشني ، وأنا أقلب النظر في نص الكتابة ، أنني لم أر فيها كتابه نور الدين ذات الرقم ٣٧٥٤ في RCEA (الفهرس التاريخي للكتابات العربية) ولكن النص العربي لكتابة الملك المعظم عيسى ، لم تكن تعرف منها سوى ترجمتها التي ذكرها سوفير (Sauvair) . مقاييس الكتابة ٦٨×٥٦ ، محاطة بإطار ، تتألف من سبعة سطور ، بالخط اللسخي الايوبوي وسطر ثامن مشوه أطول منها ، أحرفها صغيرة مشكولة ومعجمة (١) ، تذكر تجديد السور والخندق بأمر من الملك المعظم ، عيسى ، بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، سنة ٦٢٣ هـ . ولقد رأينا من المفيد ، إظهاراً للنشاط العمراني الذي قام به هذا الملك أن نورد هنا ثبوتاً

(١) راجع نص الكتابة المنشور بالعربية في اصل المقال - القسم الغربي من المجلد . ص ٤٠ - العرب .

بالنصوص الكتابية التي تذكر اسمه (١) ، بين قيام الملك المعظم عيسى بين ١٢٠٥م - ١٢٤٤م بالاعمال التالية حسب الترتيب الزمني ، القدس : تجديد بناء باب النذير ، بناء المدرسة النخوية ، بناء أو تجديد في الصخرة ، بناء بركة ، تجديد في الحرم ، بناء في القلعة ، وتجديد آخر في الحرم . جبل طابور : بناء في القلعة ، بناء مرمى في الاسوار ، بناء حوض واشادة منازل . الخليل : بناء ووقف في الحرم . جبل طابور : بناء طنّف . في القدس : بناء سبيل شعلان ، وبناء المظمية ، بناء بوابة في المسجد الاقصى ، إقامة وقف لزاوية الدرغة . في المزة (دمشق) : تجديد قبر المسجف . دمشق : تجديد في سور الباب الشرقي (وهي الكتابة التي نحن بصددّها) وتجديد في سور الباب الصغير . الكرك : بناء باب في القلعة . الخليل : بناء بوابة في الحرم . بيت لحم : بناء باب في الكنيسة . عجلون : همارة دليون في المسجد - دمشق حي الميدان : تجديد مأذنة مسجد صبيب والمسجد نفسه .

وتلك الكتابات ترد إلى ثلاث فئات : ١ - ما يجلّد الاعمال التي أمر بها الملك ، ٢ - ما يذكر الاعمال التي جرت بمساعدة مادية (من نعمه) ، ٣ - ما يذكر الاعمال التي جرت في عهده . ويتبين لنا ان اسم الملك المعظم يظهر في كتابات ١٢٠٥م - ١٢٠٥م وهو نائب لآبيه الملك العادل في دمشق وحاكم لفلسطين فهي كلها في فلسطين ويستمر ذلك حتى ٦١٥هـ - ١٢١٨م عند موت آبيه وسلطنته في دمشق فنجد الكتابات التي تذكر اسمه موجودة فيها وبمضها في فلسطين واحدة منها فقط في القدس وسيوضح لنا ذلك عند البحث في تاريخ حكمه .

سيرة الملك المعظم

ولد الملك المعظم شرف الدين عيسى ، ثاني ستة عشرة من أولاد العادل ، في عام ٥٧٦هـ ١١٨٠م في القاهرة حيث كان أبوه نائباً لآخيه صلاح الدين فيها . ولما مات صلاح الدين عام ٥٨٩هـ - ١١٩٣م كان الملك المعظم مع آبيه في الكرك . وقد لعب أبوه في النزاع الاخوي بين أولاد صلاح الدين ، العزيز والافضل والظاهر ، دور الحكم . وراوده حلم مجد أخيه صلاح الدين الذي كان هو ساعده الايمن فيه ، فعمل على أن يبعد لحسابه وحده السلطنة الايوبية .

(١) في الأصل أورد السيد ايليسف ثبثاً طويلاً يتضمن ٢٦ كتابة استقاه من RCEA فمكن مراجعته في أصل المقال - القسم الغربي من المجلة ص ٤٠٥ ، ٤٠٦ - المغرب .

وعندما أعلن الملك العزيز في مصر استقلاله عن أخيه الأكبر الملك الأفضل وعزم على احتلال دمشق فنجح عمها الملك العادل في الصلح بينها ولما أعاد الكرة خذله جيوشه وحققه أخوه الأفضل وعمه العادل وانتهى الأمر بأن يبقى العادل بقرب العزيز في مصر ، ثم انقلب معه طمعا في دمشق وغلب ابن أخيه الأفضل عام ٥٩٢ هـ - ١١٩٥ م وأقام هو في دمشق كتابه لابن أخيه العزيز ، وأصبح ابنه الملك المعظم حاكما للكرك إسمياً والتحق بأبيه في دمشق .

وخلال تلك الأحداث نجح الملك الظاهر ، الابن الثالث لصلاح الدين بالاستقرار في حلب متقبلاً بين المسكرين عملاً بنصيحة عمه العادل .

وجرى الاعتراف آنذاك بالملك العزيز ، سلطان مصر وسوريا ، كرأس للأسرة الأيوبية وكان ميالاً لابن عمه الملك المعظم فأرسله في غياب أبيه في الجزيرة حلة وسنجقاً ولواءً ومعنى ذلك تقليده حكم دمشق .

ولما مات العزيز موصياً لابنه الصغير المنصور دعا الأمراء المصريون للوصاية عليه الملك الأفضل خلافاً لآمال العادل ، فسمى الأفضل للاستيلاء على دمشق بالتحالف مع أخيه الظاهر ولكن العادل بادر لاقتاد ابنه المعظم في دمشق وقضى على التحالف فانسحب الظاهر نحو الشمال وتخلّى الأفضل عن القاهرة فدخلها العادل عام ٥٩٦ هـ ١٢٠٠ م كوصي على الملك المنصور ثم أخذ لقب سلطان وجعل من نفسه رأس الأسرة الأيوبية ، وتحقق حلمه في السيادة على مصر وسوريا وجزء من بلاد ما بين النهرين ، أي إمبراطورية صلاح الدين ، باستثناء حلب ، وجعل من أولاده نواباً عنه في مختلف أقسام السلطنة ، وثبّت ابنه الملك المعظم في دمشق وجعل في غير أوقات الحرب ، يقضى الصيف في دمشق والشتاء في القاهرة .

وكانت ولاية المعظم تمتد شمالاً لحدود حمص وجنوباً للعريش فهي تشمل سوريا الجنوبية كلها وفلسطين مع القدس وقلعتي الكرك والشوبك ثم صلخد فيما بعد .

وأمام ازدياد قوة العادل أخذ أولاد أخيه يستمدون للعمل وأشدّهم الظاهر فقد شعر بأنه مهدد في حلب فحاصر دمشق مع أخيه الأفضل وفيها الملك المعظم فأسرع العادل من نابلس لنصرة ابنه واستجلب إليه بعض أمراء الجيوش مستفيداً من نزاع الظاهر والأفضل على ملكية دمشق فرفع الحصار عنها ٥٩٨ هـ - ١٢٠١ م ، فأصبح العادل رأس الأيوبيين غير مدافع واعترف الظاهر نفسه بسلطنته .

وأعقبت ذلك سنتان من الهدوء . ولم يكن لاحتلال الصليبيين القسطنطينية عام ١٢٠٠ هـ ١٢٠٣ م من آثار هامة في سوريا ، اللهم إلا محاولة الصليبيين في عكا السير نحو القدس وإسراع العادل من دمشق للتربص بهم أمام جبل طابور ووقع الطرفان هدنة في ٦٠١ هـ ١٢٠٤ م . وبعد سنتين يقوم العادل بعمليات عسكرية في نواحي حمص وطرابلس ثم يمود لدمشق فينتاقى من بغداد اعترافاً رسمياً من الخليفة الناصر بسلطنته مع الهدايا له ولابنه المعظم ويلقبه بخليل أمير المؤمنين . وفي العام نفسه يبدأ بأعمال كبري في قلعة دمشق ولم يكن أشد أكثر من مساعد لابيه أما ميدانه الخاص فكان كما رأينا في القدس .

وفي ٦٠٧ هـ ١٢١٠ م يمر العادل بدمشق في طريقه للاستقرار في القاهرة ويبدأ ببناء قلعة في جبل طابور ضد فرنجية عكا وتتوقف الاعمال فيها بسبب الهدنة معهم ثم يستأنفها الملك المعظم بأمر من أبيه كما يقوم بمحملته الأولى الموجهة ضد عز الدين اسامة فينتزع منه قلعة عجلون وكوكب وضد جواركس فينتزع منه بانياس وضد ابن كراجا فيطرده من صلخد ويقم فيها الأمير عز الدين أيك .

وكانت في تلك الآونة العلاقة حسنة مع حلب فقد تزوج الظاهر باخت الملك المعظم . وحج الأخير في ١٢١٥/٦١١ ، وبعد ثلاث سنوات نقض الصليبيون الهدنة واحتلوا بيسان وانجبهوا شمالاً فراجع العادل وأرسل ابنه الملك المعظم لحماية الطريق إلى القدس وأمر الأمير المعتمد حاكم دمشق الموقت بأن يمدد للدفاع فذعر أهلها ثم اطمانت قلوبهم بنجدة الملك المجاهد شيركوه من حمص ، ولكن الفرنجة تحولوا فجأة نحو الجنوب وألقوا الحصار على قلعة جبل طابور ثم انسحبوا فجاء الملك المعظم يهنئ كاتبا ويخيلها ويبدأ في تهديمها خوفاً من وقوعها بيد العدو بحالة جيدة كما فعل الأمر نفسه في تبينين وبانياس وصفد .

واستطاع الفرنجة بعد فشلهم في فلسطين النزول بدمياط وكان الملك الكامل وحده في القاهرة فأنجده أبوه واستولى المعظم على حصن قيسرية وهدمه وحاول الاستيلاء على قلعة عنليت . ومات العادل فجاء فتفاقم الوضع في الامبراطورية الايوبية فأخفى ابنه المعظم موته حتى يأخذ الولاء لنفسه ثم اعترف بالسلطنة لأخيه الكامل وجعل الخطبة باسمه فتغنى الكامل بالولاء الذي خيم على الأسرة مؤملاً مساعدة اخوته في مصر . ولكن موت العادل كوت صلاح الدين سبب نشوب النزاع بين الاخوة وسيؤدي نهائياً بالدولة الايوبية كحال السلجوقيين من قبل . استولى المعظم على كنوز أبيه وحاول عبثاً اقناع أخيه الأشرف بمساعدة أخيه الكامل

الذي كان وضه سيئاً في مصر ثم وصلت القوات السورية إليها ٦١٥ هـ ١٢١٩ م وأصلح المعظم الوضع فيها وكان ضغط الفرنجة عليها شديداً وأمر أخاه العزيز عثمان بهديم أسوار القدس خوفاً من عدم استطاعته الدفاع عنها ولم يبق منها إلا على القلعة فهاجر أكثر سكانها والتجأ بعض أمرائها لدمشق .

ورغم وصول المعظم لمصر استولى الصليبيون في السنة نفسها على دمياط ثم جرت المفاوضات مع الفرنجة لاستبدال دمياط ببعض الأراضي التي استولى عليها صلاح الدين من قبل . واستمرت حرب الإصابات سنتين آلت في النهاية إلى فشل الحرب الصليبية الخامسة واسترجاع دمياط . وخلال المفاوضات تقدم الفرنجة نحو القاهرة فاستنجد الكامل بأخوته وأقنع المعظم أخاه الأشرف المهتم بقضايا الجزيرة بالتعاون معه لمساعدة أخيها ووصلت في صيف ٦١٨ هـ ١٢٢١ م نجيدات سورية جددت طلب استبدال دمياط ورفض الفرنجة مطالبين بغرامة كبيرة عن تهديم أسوار القدس ثم نشبت المعركة واستفاد المسلمون من فيضان النيل الذي أخرج موقف الصليبيين ففشلوا واستسلموا ثم انسحبوا من مصر .

وعاد المعظم ليركز اهتمامه بسوريا الوسطى مستفيداً من وجود أمير صغير تولى حلب بعد الظاهر ، فحمل على حماة فسمى الملك الأشرف لدى الكامل في مصر لابقائه عن متابعة أغراضه واتفق الطرفان خوفاً من ازدياد نفوذ المعظم وتوحيد سوريا لحسابه كما فعل نور الدين ، ولام الكامل أخاه المعظم على عمله فماد مضطراً إلى دمشق ، وخلافاً لما حصل عند موت صلاح الدين فإن أولاد المادل بعد موته لم تستمر بينهم الخصومة إلا بعد عدة سنوات إذ أن قضية دمياط أجبرتهم على التعاون ضد الفرنجة .

وانتهز المعظم أول فرصة للتعبير عن استيائه فساعد الثورة على أخيه الأشرف ثم تخلى عنها فأفشلها خوفاً من تدخل أخيه الكامل .

ثم بعد قليل تخرج الوضع في الولايات الشرقية فيصل جلال الدين خوارزم شاه إلى اران أمام اجتياح المغول ثم يندفع نحو العراق ٦٢٢ هـ ١٢٢٥ م مهدداً مباشرة خلافة بغداد وأملاك الأشرف فيما بين النهرين وقد وقع ذلك عند موت الخليفة الناصر لدين الله ومبايعة الظاهر بأمر الله .

ويستفيد المعظم من هذه الظروف للانتقام من أخوته وستكون سنة ٦٢٣ هـ ١٢٢٦ م - وهي سنة الكتابة التي نحن بصدها - سنة انطاف ليس في حكم المعظم فحسب بل في تاريخ

سوريا أيضاً . وجرى نشاط دبلوماسي قوي فقد سمى الخليفة والاشرف لدى المعظم فلم يلتفت لندائهما بل سمى للحلف مع خوارزم شاه وقدم له إحدى بناته للزواج بها وتبادلا السفارات ولكن سفير جلال الدين نصح المعظم بعدم الحلف ومع ذلك تحالف الماهلان وأخذ المعظم يذكر في الخطبة اسم خوارزم شاه بدلاً من اسم أخيه الكامل . وحاول خليفة بغداد الظاهر بأمر الله أمام ضنط خوارزم شاه الظفر بتأييد المعظم أو الكامل ففشل في مصر ولم يحز على نتائج واقعية في سوريا ثم مات وخلفه المستنصر بالله .

ومال الاشرف للمعظم مستاءاً من عدم نصرة الكامل له وجاء الى دمشق فاستقبله المعظم بحفاوة ولكنه عامله كأسير ولم يصنع شيئاً من أجله ، وفي غياب الاشرف هاجم جلال الدين عاصمته واحتل قوقبوري الموصل وسار سلاجقة قونية الى ديار بكر وهددوا حلب ، وانهز المعظم الفرصة ليجرب حظه في حمص ولكن الوباء أصاب جيشه فحارب وهو يتراجع . ووعد الاشرف المجوز بدمشق أخاه المعظم لمساعدته اذا حرره ثم نقض العهد . وسمى الكامل للتحالف مع فريدريك الثاني الامبراطور المحروم ضد مطامع أخيه فلما ضمن حياده قرر السير الى دمشق ولكنه تخلى عن مشروعه لاستياء أمرائه من الحلف مع الفرنجة واكتفى بالطلب الى فريدريك أن يضنط على المعظم فسمى هذا الى الصلح مع أخيه الاشرف الوقوف في وجه التحالف الصقلي المصري . وكانت الحال على ذلك الشكل عندما مات المعظم بالدمشق ٦٢٤هـ / ١٢٢٧م ودفن في القلعة ثم نقلت رفاة الى المدرسة المعظمية التي بناها في سفح قاسيون واشرف على ذلك أخوه الاشرف في ٦٢٧هـ / ١٢٢٩م وخلفه ابنه الملك الناصر داود بوصاية الأمير عز الدين ايبك المعظمي . ولم يتجمل الوضع بموت سيد دمشق فالخوارزميون بتابعون مجرمهم على الممتلكات الايوبية والفرنجة يستعدون للانقضاض على فلسطين والكامل وحيد أمام الامبراطور الذي خالفه ضد أخيه وبموت الأخير لم تعد هناك فائدة من الحلف . ولكن عوضاً عن التحالف ضد الافرنج أخذ الكامل والاشرف يتنازعا على دمشق ثم يتفاهما ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م على أن يحتل الاشرف دمشق ويملكها تحت سلطان أخيه الكامل ويعوض ابن أخيه عنها الكرك والشوبك وغيرها ويعود الوصي عز الدين ايبك لقلعة صلخد . وخلال ذلك هاجم الصليبيون فلسطين وسلمت القدس المهذمة للامبراطور فريدريك ، واستمر النزاع الاخوي بين الايوبيين حتى أزالهم المغول وخابوا تماماً من المسرح السياسي .

شخصية الملك المعظم

كان للملك المعظم من التكوين الفكري ما المثقفين في عصره . بدأ بحفظ القرآن ثم شرح الجامع الكبير لأبي حنيفة وكان هو الحنفي الوحيد في أسرته الشافعية . وروى الذهبي أنه درس المسند لابن حنبل ومال بعض الشيء لهذا المذهب على ما روى ابن كثير فبنى مدرسة المعظمية في سفح قاسيون حيث تقوم أكثر المباني الحنبلية وبنى محراباً للحنبلية في الجامع الأموي .

وحين كان نائباً لأبيه في دمشق كان يحرص على متابعة دروس تاج الدين الكندي فيسير إليه ماشياً وكتابه تحت إبطه من القلعة إلى بيت الشيخ في درب الانعجام وتابع علم القراءات على قاضي دمشق الحصري في المدرسة النورية فتأثر منه بمذهب الحنفية وقرأ شرح أبيات إصلاح المنطق على سميد الصيرفي الحنفي .

وعلاوة على الفقه كان مهتماً باللغة فكان يحفظ مفصل الزمخشري وشرحه المسمى بالامضاح لأبي البقاء القبري وكان معجباً بالزمخشري يضع الجوائز لمن يحفظه كله أو بعضه . وقد صنف بنفسه عدة مؤلفات عرفنا منها « شرح الجامع » وكتاباً في الجدل الحنفي اسمه « السهم المصيب في الرد على الخطيب » .

ويروي لنا ابن خلكان أنه كان مهاباً لعقله وحزمه وشجاعته ومقدرته وتواضعه وإحسانه وكان كل واحد من الناس يجد فيه سيداً وصديقاً . وفي ذلك كثير من المبالغة فإن المعظم كثيراً ما نشز عن مفهوم المسلم الصحيح فاستأثر بمال أبيه من دون إخوته وسمح بدخول الخمر إلى دمشق للاستفادة من الضريبة عليها لحاجته إلى المال ، كما يروي أنه كان بنفسه ميالاً للشراب وقد لاهه على ذلك بشدة في أحد الأيام فخر الدين ابن عساكر القاضي الشافعي في دمشق فنزله من التدريس في بعض المدارس وقصره على التدريس في دار الحديث النورية ومشهد ابن عروة كما طرد أحد الأساتذة من المدرسة الطرخانية لأنه لم يسيح الشراب . ولكن ذلك لا يمنعنا من اعتبار الملك المعظم من أبرز أيوبي عصره ، وبالإضافة إلى ثقافته الأدبية هناك مهارته العسكرية وحسه الدبلوماسي .

ألقاب المعظم

إن الكتابة التي نحن بصددتها تحوي اوسع مجموعة لـ"لقاب المعظم وهي موجزة بالنسبة لـ"لقاب كبار الامراء في القرن السادس الهجري (الثاني عشر ميلادي) . وإن اللقب الاول هو مولانا وقد فقد طابعه السامي الذي كان له في الاساس والذي سيعود في عهد المماليك ، ثم لقب السلطان متبوعاً رأساً بالملك ولم يكن هذا التلازم آتتد قاعدة مطلقة وكان يطلق على الامراء الذين يعترف بسيادتهم على ولاياتهم خليفة بندگان وصار هذا اللقب منذ عهد صلاح الدين يطلق على اولياء العهد وعلى اولاد الملوك الذين لم يحكموا أبداً .

ولقب عيسى بالملك المعظم وكان هذا اللقب واسع الانتشار بين الامراء الايوبيين ، والكتابة الحالية هي واحدة من نصين يذكران المعظم مع سلسلة من التبعات ، والتبعات الثلاثة الموجودة فيها هي جزء من الدورة التي يسميها "رشم" الدورة السنوية ، وأولها "العالم" ، ثانياً كيد المعرفة بالدين والحديث والسنة والثاني "العادل" ، للدلالة على احترام العدالة وتطبيقها و "المجاهد" ، دلالة على الجهاد ضد الفرنجة . أما الالقاب الموجودة في النص الثاني (رقم ٢١) " المؤيد ، المظفر ، المنصور ، فهي تخص ما يمكننا أن نسميه "الدورة الحربية" ، ووجودها مألوف على قلعة مهددة بهجمات العدو ولهذا كذلك طابع متغير وتشكل ثلاثياً نجده في الغالب تاماً . ويعقب ذلك "شرف الدنيا والدين" ، وكان هذا اللقب معروفاً عند السلاطين السلاجقة واتخذته الأسرة الايوبية وبعد التجاء الخليفة الى القاهرة أصبح قاصراً على المماليك الذين يتولون الحكم .

ولدينا في الكتابة لقبان مركبان أولها "سلطان الاسلام والمسلمين" ، وكان وفقاً على السلاجقة وأول من استعمله صلاح الدين ، أما اللقب المركب الثاني وهو "محيي العدل في العالمين" ، فله طابع الدعاية بالنسبة للملك المعظم وكذلك يقصد منه تغطية بعض الاعمال غير العادلة التي قام بها ولاستجلاب المستائين للانتجاع اليه .

وتبع ذلك اسمه "عيسى" متبوعاً بنسبه الذي يصل حتى أيوب ، جده . ونلاحظ خلو كتابتنا من كنية الملك المعظم وهي عادة تبدأ بـ "أبي" ، ومن المفيد هنا أن نورد أن تغير كني المعظم يخضع لترتيب زمني ولعل من الممكن تعليل هذه التغيرات ، كما قال فان برشم ، يربط كل منها بمحدث من حياته . وكتابات المعظم التي تورد كني له هي تسع ، سبع في القدس

وواحدة في الخليل وأخرى في دمشق وأول تلك الكنى «أبو المنصور»، ثم «أبو المظفر»، و«أبو الغزائم»، وقد تحتاج هذه الملاحظات الى بحث أوسع يربط فيه الكنى بالاحداث كما اقترح فان برشم .

تبين لنا إذن أن كتابة الباب الشرقي مهمة جداً في دراسة ألقاب المعظم بالرغم من خلوها من الكنية ولقب «أمير المؤمنين» .

أوابر الملك المعظم

تجلى عمل المعظم العمراني خارج سوريا بالمعنى المعروف من الكلمة ، في القدس وجبل طابور والكرك وبيت لحم وعجلون والخليل (مرت معنا تفصيلات عن ذلك في مطلع المقال — المغرب) كما بنى في معان ، من محطات الحج ، بيتاً للمضيف وحمامين واهتم براحة الحجاج وأمنه فقرر بناء (مكان) في كل مرحلة من مراحل الحج .

وعلى قلة الأبنية التي تحمل اسمه في دمشق فإن عمله العمراني فيها لم يكن قليل الأهمية ولعل مرد ذلك لانه ظل حتى ٦١٥هـ / ١٢١٨م نائباً لآبيه بدمشق فكانت المباني الهامة تنفذ بإسم آبيه ، واشترك مع آبيه في إعادة بناء القلعة فبنى الطارمة التي تشرف على باب الحديد . كما بنى محراباً للحنبلية في الاموي وأنهى بناء المدرسة المادلية الكبرى التي بدأها نور الدين واستمر ببنائها الملك العادل والد المعظم . وفي ٦٢١هـ / ١٢٢٤م بنى في سفح قاسيون المدرسة المظلمية ويبدو أنها كانت بالقرب من التربة التي تحوي جدث أمه وأخيه فتح الدين عمر ، ودفن المعظم في مدرسته كما دفن فيها أخوه الملك العزيز عثمان وابن أخيه الجواد يونس . وبالإضافة الى ذلك كله نذكر له ما رأينا في كتابتنا من تجديد أسوار المدينة في قسمها الجنوبي الشرقي مع التجديدات التي قام بها في الميدان في مسجد صبيب الرومي وحسان بن ثابت الانصاري .

وإذا لم يكن الملك المعظم نفسه ببناء كبيراً في دمشق فإن عصره قد رأى قيام أوابد ممتازة تشهد على ريادة دمشقية ستأثر بالقاهرة في عهد المماليك وتفقد شيئاً من شخصيتها وسنورد آ (١٢)

[هنا حسب التسلسل الزمني على سبيل المثل بعض الابنية التي ما تزال باقية من ذلك المهد وهي :
 جامع المظفري الحنبلي ، المدرسة الشامية الجوانية الحنفية ، المدرسة الماردانية التي بنيتها
 زوجة المعظم ، المدرسة الجماركسية . كما امتازت سنة ١٢٢١هـ / ١٢٢٤م ببناء أربعة أبنية هامة
 وهي المدرسة الركنية ، والمدرسة العزية البرانية ، وقبر سابق الدين مثقال ، ومدفن الفرقي ،
 وفي سنة كتابتنا ١٢٢٣هـ / ١٢٢٦م بنى شبل الدولة كافرور مدرسة وتربة الشبلية ولسوء الحظ
 لم يبق منها إلا شيء قليل .

نكتبنا باليسف



مركز تحقيقات كافيور علوم إسلامي

الموسم العاشر لحفريات ماري

لعماد اندره بارو

استطعنا - طبقاً لجدول أعمالنا - اجراء حفريات الموسم العاشر - كالسابق - من شهر تشرين الأول من عام ١٩٥٤ وقد كان الطقس غير ملائم بمعنى أن الفصل الذي كان بصورة خاصة ممطراً جعلنا نتمطل عدة أيام . وتألفت بشة مدينة ماري كالعام الماضي من الاستاذ دوسان (الاختصاصي بقراءة الكتابات القديمة) والمهندس السيد جان بروسون والرسام السيد فانسان ، ورئيس الورشة السيد ج . ناليه . وتولت ابتي للمرة الثانية تأمين حاجات المنزل ، وهناك عضو جديد هو السيد ماركيزون الذي أخذ على عاتقه العمل الفوتوغرافي ومساعدتنا باستمرار في حقل الحفريات . وقد مثل مديرية الآثار العامة - كالعام الماضي - السيد المقداد . ولقيت البشة منذ وصولها إلى سوريا مرة أخرى أيضاً أجمل ترحيب من قبل السلطات السورية . فقد آزرنا مراراً مدير الآثار العام الدكتور سليم عبد الحق ، وتفضل رئيس الاركان العامة الزعيم شقير فوضع تحت تصرفنا سيارة عسكرية لتقلنا من « أبو كمال » إلى دمشق . وأثناء عودتنا تقلنا إلى المتحف الوطني جميع صناديق الآثار . وفي « أبو كمال » كان يسود علاقتنا مع السلطات والسكان أحسن ما يمكن أن يتصور من مودة ولا نبالغ اذا قلنا أن البشة تلاقى عطف الجميع . وتقصّد بكلمة « الجميع » ليس فقط الممثلين الرسميين للحكومة وإنما الصناع والتجار والوجهاء الذين يبادرون دائماً الى مساعدتنا وكسبيل طلباتنا . وليسمح لنا بشكر مواطنينا على الترحيب الذي استقبلونا به في هذا العام أيضاً والمطف الذي أحاطونا به في دمشق وحلب حيث نجد نفس الاصدقاء المخلصين الذين يساعدوننا عن طيبة خاطر .

أن جدول أعمال هذا الموسم العاشر تطلبته منا النتائج النهائية للموسم الماضي الذي أنهيناه بإبراز معبد نينا زازا ، واجراء عملية السبر في منطقة (ر ٢٨) من المدينة بعمق خمسين متراً

وقد أظهرت عملية السبر هذه بناء هاماً من عصر ما قبل سرجون وبحالة جيدة من الحفظ وكان لا بد لنا من جمع الورشتين من جهة وتوسيع عملية سبر ١٩٥٣ من جهة أخرى بشكل يمكننا - بقدر الامكان - من معرفة البناء المكتشف . ذلك كان البرنامج الاساسي ، وكذا نكتب في تقريرنا الاول د إن إتمام الحفريات تتعلق طبعاً بالتأني التي نحصل عليها هنا وهناك والتي ستملي علينا - اذا اقتضى الامر - التوسيعات التي لا غنى عنها ،

وقد تحقق توحيد حقلي الحفريات بتخطيط قطعة من الارض طولها ٧٠ م وعرضها ١٥ م ذات اتجاه شمالي غربي وجنوبي شرقي ، تقب فيها بعمق متوسط يبلغ ٢ م . فظهرت أبنية خاصة تنفصل عن بعضها البعض بطريق يبلغ عرضه حوالي ٤ م . وهذه الابنية بحالة حفظ جيدة في القسم الجنوبي ومهدمة جداً في الجهة الشمالية . ويتميز التاريخ بسهولة بواسطة الفخار . فحدث بناء يعود الى العصر الذي بني فيه القصر (أوائل الالف الثاني ق . م) وأقدم الابنية تعود الى أزمنة ما قبل سرجون . ويبدو - باجتنياز كل المنطقة المحفورة - مدفن تكثر فيه القبور في جهة (ر ٢٨) مما حملنا على الحفر ببطء ودقة . واذا كان بعض القبور يعود الى عصر حمورابي ، فان بناء معظمها هو اكثر حداثة لانها قبور جماعة من العصر السلوقي . ووجدنا قبوراً تماثل القبور التي أبرزناها في شتاء عام ١٩٣٣ - ١٩٣٤ وشتاء عام ١٩٥١ - ١٩٥٢ ولكن عدداً منها سمح لنا ببعض الاستنتاجات الهامة وذلك إما بواسطة شكل أو نمط الجرار الجنائزية أو بواسطة الاثاث المحفوظ جيداً . فاستطعنا بذلك الحصول على جسم متوفاة وسلة من القش مع علبة خشب وهذا القربانان سالمين فنحننا بسحبها دون الحاق أي ضرر من القبر الذي وضما فيه مع باقة زهور منذ الفين سنة . ويشكل الفخار الكثير والحلي البرونزية والفضية أهم الاثاث الجنائزي الموضوع قرب الجثث . وبصورة عامة فان هذا المدفن فقير وذلك بحسب القيمة التجارية لهذه الاشياء فلماذا السبب وجدناه سالماً تماماً . ولم تكن بقية القبور مثله ، فالقبور الاكثر قدماً (من الالف الثاني ق . م) ظهرت مسروقة تماماً . لانها كانت - على التأكيد - غنية جداً . ولن نورد الا مثلاً واحداً هو أن القبر المستطيل (رقم ٤٤٣) المصنوع من الآجر المشوي وجد ليس مخرباً فحسب وانما نصفه مهدم وهو مجرد تماماً من جميع الاشياء الثمينة التي كان يحتويها ومن الجثث التي كان بأويها . ونذكر نفس الشيء بالنسبة لعدد من القبور التي تعود الى عصر واحد ولها شكل الدنان الفخارية فاحتقر اللصوص القداماء الفخارات ولكنهم سلبوا الحلي وانصرفوا حتى الى الاجسام .

ان تخطيط هذا الحقل الأول من حقول الحفريات يقع - دون ارادتنا - في مكان الطريق الذي تبعدنا أثره على مسافة أربعين متراً . فأمكن التعرف على معرفة مرحلتين من مراحل تنظيم المدينة : فالأكثر قدماً تمود إلى عصر ما قبل سرجون ، والأقل قدماً تمود إلى العصر الذي بني فيه القصر ، ففي خلال هذا العصر عرفت المدينة في تنظيمها ازدهاراً خاصاً . فالهندسون عرفوا سابقاً ليس تخطيط شوارع طويلة ومستقيمة فحسب وإنما - زيادة على ذلك - التأكد من الصلابة الدائمة لأرض الشوارع الكبيرة التي يكثر فيها التنقل ولا تيب عنها العربات . وهذه الصلابة ناتجة عن وجود صف من الحصى والبلاطات الحجرية الكبيرة التي تغطي هذه المقاومة الضرورية في منطقة تشكل أمطارها الشتوية - فجاء - الرواسب ذات الصفة الاسفنجية خاصة فتحولها إلى وحول لا يمكن اجتيازها . فيفهم بسهولة ان الموظفين المسؤولين عن الأشغال العامة في ذلك العصر ارادوا - بقدر امكانهم - معالجة ما يمتد حركة السير ، وفكروا - بادىء الأمر - بجعل المرور سهلاً داخل المدينة وقرب الأبنية الهامة . فالطريق الذي أظهرنا جزءاً منه يؤدي إلى ملتقى طرق يكثر فيه المرور وذلك لكونه مواجه لمبنيين من أعظم المعابد هما معبد شمش ومعبد نينهورساغ ومن هذا المكان كان يمكن الصعود نحو الزيقورة التي كانت تطل على المدينة بكتلتها الشبهاء والجرء منذ ألف سنة .

لا يمكن العثور على أشياء كثيرة في شارع ما وذلك لأنه من المعروف انه لا يلتقط فيه إلا الأشياء المهملة وهكذا لا نصل إلى شرح عثورنا - مع ذلك في الشارع وبسوية عصر ما قبل سرجون - على تصميم هندسي من الطين المشوي مسدود بقطعة فخار وهذا التصميم يمثل - بصورة مصغرة ولكن بقياس له أيضاً أهميته اذ أن عرضه ٥٣/٠ م - يمثل منزلاً ذا تسع محلات (غرف وباحات) يحيط به سور مستدير الشكل . ولهذا البناء مدخل واحد . وهو من الأبنية المدهشة كثيراً من عصر ما قبل سرجون (الألف الثالث ق . م .) . فكيف وبم يشبه هذا البناء الغريب الذي ليس هناك مجال لمقارنته مع مذابح آشور من نفس العصر أو منازل بيسان والسليمية مثلاً (ذوات التاريخ الاكثر حداثة) ؟ (انظر متحف حلب) وليس على هذا التصميم اشارة بارزة تسمح باعتباره هيكلًا . ووجود الفخار داخل الغرف وأمام المدخل حملنا على أن نعتبر أن هناك أثاثاً جنازياً ذا طابع جديد في بلاد ما بين النهرين . فبهذا التصميم - المجهز بالشكل الذي وصفناه سابقاً - كان يوضع قرب المتوفى د منزل أبدي ، ولكن هذا الشرح ينقصه - مع الأسف - دليل يدعمه : اذ لم يثر على جثة في جهاته القريبة ،

وقد عثر على قليل من الاشياء في هذا المنزل وهذا دليل اضافي على انه كان نهب ولم ينج سوى قليل من الفخار (ومعظم القطع كانت مكسورة) وتمثال ناقص صغير لهابد ذي جدي وهو بالنسبة لنا اكثر قيمة مما تبقى ، ~~والاشياء اقتصادية والي~~ - كما تمكن ممرقتها مسيو دوسان - هي حسابات شعير ، مع البيان الذي يدل على أسماء أعلام سكان مختلطين مؤلفين

من سومريين . وتاريخ هذه الوثائق لا يدخلها الريب ، ~~فإنها تعود الى القرن الثاني قبل الميلاد~~ ، ~~عصر ما قبل سرجون (النصف الاول من الألف الثالث ق . م)~~ ~~والتي تعود الى القرن الثاني قبل الميلاد~~ التي عثر عليها حتى الآن في ماري . فهي تثبت من جديد المكان الذي كانت تحتله الحضارة السومرية (أسلوب الكتابة هو في الفعل سومري) في هذه المدينة في منطقة الفرات الاوسط التي يشهد فنها على أن هذا التأثير وهذا الالهام كلاهما متميزان ببقرية عملة .

ونزيد على ذلك أننا جمعنا في « المنزل الاحمر » قطعاً كبيرة تعود الى تصميم هندسي يماثل الاول . ولكن هذا التصميم لا يمكن أن يعود الى حالته الاولى كاملة بسبب ضياع بعض أقسامه وهذا مما لا يساعدنا بالذهاب بعيداً في تفسيره .

وقبل الوصول الى هذه السوية التي تعود الى عصر ما قبل سرجون توجب علينا افراغ بناء أكثر حداثة وأهميته لا يعترها الشك . ففي جدرانها المهذمة أخرجنا الى حيز الوجود قسمتين من البرونز غريتين من حيث النوع (منجل صغير ، مجرفة ، كأس ، ركابت (؟) صينية) استولى عليها الصدأ كثيراً . وقد أظهرت عملية تنظيف ثلاث قطع قطعاً ان كلاً منها تحمل كتابة ذات أهمية تاريخية . اثنان من هذه النصوص يذكران فعلاً - كما استطاع معرقها حالاً السيد دوسان - فتاتين من فتيات الملك الاكادي نارام سين . أما النص الثالث فيتملق بكاتب ، ولكن بما يؤسف له ان اسم الآلهة - التي قدم اليها هذا الكأس ذو الاطراف الثخينة - قد زال بتأثير الصدأ . ولا يبدو مطلقاً بالامكان معرفة اسم هذه الآلهة .

ولهذا الاكتشاف نتائج هامة ، فهو من جهة يضمن تعيين التاريخ الاثري لمجموعات الابنية وسلسلة الاشياء التي نرفض اعتبارها من عصر ما قبل التاريخ أو إرجاعها الى عصر بعيد كمصر ملوك المائلة الثالثة في أور اذا لم نقل من المائلة المالكة البابلية الاولى . ومن جهة أخرى يؤكد هذا الاكتشاف الغزوات الاكادية (غزوات سرجون بدون شك وغزوات نارام سين بكل تأكيد) للبلاد الشمالية . ولكن الشيء الاساسي هو ان هذا الاكتشاف يظهر وجود الاكاديين في مدينة ماري نفسها . وهذا ما يلقى ضوءاً - غير متظر - على فترة تاريخية كنا نكشف عنها في ماري منذ مدة طويلة - (الاختتام الاسطواني لنارام زي - والاله آن ... الخ) - والتي لم تكن ثابتة بدقة . في حين أنها في هذه المرة مستندة على - ما لم يكن يسمح ان يتوقع أكثر من ذلك - على ضمانة حقيقية وتأكيده تام .

ان اظهار « المنزل الاحمر » وحي « الاقامة الملكية الذي فيه يقع المنزل الاحمر (منطقة س ٢٩ ، و ٣٠) يجب ان لا نقيدنا طيلة موسم الحفريات . وكان لدينا أيضاً العزم على متابعة إظهار المنطقة المقدسة من المدينة وذلك بالشروع باخلاء الردم الكبيرة التي تأخذ عليها طرقنا الحديدية الصغيرة أساس انطلاقها . فهو عمل عقيم لانه ليس هناك من شيء يمكن العثور عليه . ولكنه بعيد للمدينة مظهرها الحقيقي فيسمح للشوارع والساحات بالظهور . لهذا فقد تركز عمالنا خلال الاسابيع الاخيرة قرب معبد نين زازا ومعبد شمش ومعبد نين هور ساغ ، ومعبد داك ان .

وبدا لنا انه مهم جداً متابعة الطريق - الذي نكلمنا بصدده أعلاه - حتى المكان الذي يجب أن يتلاقى بطريق آخر . وهو الطريق الذي يحاذي معبد شمش في الجنوب الشرقي . وقد تحقق ما كان بالحسبان فتمر على شارع كبير أكثر عرضاً من الشارع الاول (يبلغ عرضه (٨٥٤٠)) ويتميز باستقامته . ولكن اقتصر على فرش أرضه بطبقة من الرمال ذات الحبات الكبيرة دون وضع أية لوحة حجرية وهذا الشارع الذي تتمكن أربع عربات بالتقدم بسهولة من الامام ممتدة على طول معبد شمش ومعبد نين هور ساغ صاعدة نحو الزيقورة . ومن الواضح انه أعطي له ذلك الاتساع لانه كان يؤمن موصلات كل المنطقة المقدسة . تأسس في الزمن الذي بني فيه القصر (أوائل الالف الثاني) وحل محل طريق يعود الى عصر سرجون ، ويدل على ذلك وجود أشياء نادرة عثر عليها في تلك السوية (وبصورة خاصة رأس مشوه لعابد ذي لحية ، ومقدمة تمثال نصفي كبير وبقايا معبد من المعابد القريبة جداً واذا كانت مساكن عشتار ونين زازا قد أبرزت تماماً في عامي ١٩٥٢ و ١٩٥٣ ، فإن معبد شمش ومعبد نين هور ساغ كانا مغمورين جزئياً . فكان من الموافق اذاً دراسة أعماق الارض وذلك لوجود أبنية متعاقبة - في كل مكان - حل بعضها محل غيرها .

ففي منطقة نين هور ساغ وتحت الردم - الذي يشبه في تراكمه شكل الخروط - الذي أفرغ كغيره ، ظهر عدد من الابنية منها مساكن في السوية العالية ١ و ٢ ؛ وباحة في السوية المنخفضة ٣ . فهذه الابنية تهم معبداً كنا أصلحناه منذ عام ١٩٣٨ والذي يبلغ اتساعه أكثر بكثير مما كنا نظنه بادئ الامر - بدون شك - الى عصر ما قبل سرجون . فانه يبقى بعض الشك لتحديد تاريخ السوية المتوسطة التي تتميز بكونها تضم الفخار الجميل المخطط ، والمذبح مصنوع من الآجر المجفف المزين بالدعائم والتجاويف والمستند الى جدار خارجي من باحة المعبد .

وهناك غرفة أخرى مجاورة مكنتنا من مشاهدة التصاوير التي كنا لاحتفلناها سابقاً في عام ١٩٣٨ - دون أن نعرف يومئذ المبد الذي تعود إليه - والتي كانت قديماً تقتاج على الجدار . وان ما تبقى لا يتميز أبداً بالانسجام والفائدة . ولكننا نتأكد بأن الحبل الذي كانت تزينه كان مبيداً صغيراً ، وذلك لأن في أرضه طمرت أربعة حمالات barcasses - مصنوعة من الفخار المشوي - قرب أربعة مداخن ، والتقطنا في مكان ملاصق قطعاً كبيرة تعود الى كاس كبير ديني مصنوع من الشيست الأخضر سطحه الخارجي مزين . وكانت هذه القطع كعطي الأرض التي تبدو عليها علامات الحريق ولم نستطع إظهار هذه الغرفة تماماً لأنها تقع تحت أرض مبد داكان من جهة الشمال . وقد كنا استعجنا عام ١٩٣٥ تحقيقاً مشابهاً يتعلق ببناء مجاور يعود الى نفس المبد .

ان ما تبقى من أيام هذا الموسم خصصت للكشف العميق في مبد شمس . وأظهر تحريزنا انه يوجد تحت سوية عصر ما قبل سرجون التي ظهرت عام ١٩٥٢ - سويتان آخران مازالتا مطورتين ، وكلاهما يعودان الى نفس العصر (أوائل الالف الثالث) . وفي الحقيقة فقد ظهرت تحت الباحة القديمة باحة أخرى مع واجهة بديمة مزينة بنواحي ، طمرت تحتهما حمالات barcasses - مصنوعة من الطين المشوي - حسب الطقوس الموجودة غالباً في مدينة ماري .

فكل مبد من المباد القديمة سكنت على بساتين القرابين المؤلفة من أوعية من الزراب (كأس من طين ناعم الزراب) التي يبدو انها جمعت عمداً بنية جعل الهبة كاملة . وقد نجا من التكسير نصف اثني عشرية فقط .

فوجود ~~المباد القديمة سكنت على بساتين القرابين المؤلفة من أوعية من الزراب~~ - متماثلة فوق بعضها ومخصصة إلى شمس ، يؤكد ليس فقط الاجلال الذي تحاط به الآلهة وإنما المدة الطويلة - في عصر ما قبل سرجون - في مدينة ماري . فالآلهة توجد اذاً - من جديد - بمجدة ببناء ليس فقط مكاناً مقدساً وإنما له أهمية كبرى في منطقة الاقامة الملكية التي تقبنا فيها خلال هذا الموسم . وفي الحقيقة فإن المنزل الأحمر وكل مساكن هذا الحي (ر ٢٨؛ س ٢٩) كعطي أبنية جيدة الحفظ ، جدرانها مازال ارتفاعها مترين . ان الذي يمكن الحصول عليه من وثائق وأبنية تنتظرها من تحريزاتنا الجديدة في هذه المناطق تتعلق على وجه التأكيد بما يمر عليه . ولن يمر على أي تمثال ،

ولكن الحفريات يجب أن لا يكون هدفها فقط العثور على قطع فنية جميلة تؤلف زينة المتحف الذي سيضمها في المستقبل وإنما يجب إعادة كل الحياة القديمة بجميع مظاهرها الى الحياة . ولم نكن نتوقع مطلقاً أن يكون - هذا العام - في تاريخ الحصاد الاثري - عام الاكاديمين في مدينة ماري .

أندره بارو

ماري ١٥ كانون الثاني ١٩٥٤



خاتمة اسطواني في دير خاييه

بقلم جورج دوسان

ان الختم الاسطواني الممثل في الشكل (رقم ١) والذي يمثل الشكل (رقم ٢) نسخة عن الكتابة التي عليه ، يعود الى مجموعات متحف الآثار الوطني بدمشق . وقد تفضل السيد شفيق الامام فاخبرني عن وجود هذا الختم . واتي مدين الى الدكتور سليم عبد الحق المدير العام لمديرية الآثار في سوريا لسماحه لي بنشره فاسجل له هنا خالص شكري .

ان هذا الختم الاسطواني المصنوع من حجر الدم يبلغ طوله ٣ سم وقطره (٢ ، ١) سم ، وله الثقب المعتاد باتجاه الطول وذلك لاجل خيط التعليق . وقد احتفظ جيداً بمحائه الاولى وهذا ما يسمح بالتقدير الكامل للاعتناء والدقة في النقش . واذا كان اظهر الشخصين يتميز بالاختصار ، فان نقش الكتابة يتميز - بالعكس - بالايضاح بيد ماهرة . حتى أن هناك مجالاً للتساؤل فيما اذا كان نقش الكتابة ليس عمل صانع على حده .

ان المشهد الظاهر على الختم الاسطواني مشهور جداً . اذ يشاهد على عدد من أختام العائلة المالكة البابلية الأولى ، ويتألف عادة من ثلاثة أشخاص أحدهم هو الاله « آمورو » ويقف أمامه شخص تتقدمه ربة رافعة يديها الى ارتفاع الوجه كاشارة للشفاعة أو التوسط . فهو مشهد مدرسي (كلاسيكي) يسمى « التقدمة » وكانت من النقش تبتناه غالباً حتى أصبح مشهداً مألوفاً ومعروفاً . واعتقد النقاش أنه بالإمكان صرف النظر عن الشخص المتقدم محتفظاً بالاهتين فقط . وهذه هي حالة الختم الاسطواني الذي نحن بصدد . اذ نشاهد الهأ واقفاً ممسكاً سلاحاً يتألف من مقبض قصير ينتهي بكرة ، وتبدو مقابله ربة رافعة يديها الى ارتفاع الوجه كاشارة للتوسط أو الشفاعة .

وخلف الاله « آمورو » نقشت كتابة مؤلفة من ثلاثة سطور (انظر الشكل رقم ٣) وهي:

نينمورسو - اينيشو

ابن إوشو - إبي خادم الاله إنسكي

فاسم مالك الختم نينغورسو - أبنيشو . (أنجيه الاله نينغورسو) ، واسم أبيه إوشو - إبي .
(إله أسماء) هما بوضوح من أصل بابلي . اما ذكر الاله المساء ، إنسكي ، والذي نينغورسو
أبنيشو يزعم أنه خادمه ، فيقودنا ذلك أيضاً الى بابل . ويلاحظ أيضاً وجود اسم الاله
نينغورسو في اسم العلم الاول . وهذا حادث نادر في أسماء الاعلام البابلية نفسها . ومهما يكن
من أمر فإن المشهد المنقوش ونمط الخط والكتابة واسماء الاشخاص والآلهة الحامية كل ذلك
يحمل على اعتبار هذا الختم من مصدر بابلي وإن حصل عليه بطريق التجارة فإن دراسته
تفرض هذه النتيجة .

وليس هناك شيء من ذلك ، فكل أهميته تعود الى مصدره . وفي الواقع فإن اكتشافه
جرى على راية قرية من قرية دير خايه الصغيرة الواقعة على بعد عشرين كيلو متراً في
الجنوب الغربي من دمشق ، وقد عثر عليه على عمق بسيط ، على الطرف الجنوبي الشرقي من
جدار السور وذلك في ربيع عام ١٩٤٨ أثناء تجديد الطريق الذي كان يتطلب هدم أسفل
السور . وكان يومئذ المدير العام لمصلحة الآثار الأمير جعفر عبد القادر الذي حضر مع
السيد شفيق الامام وشاهد الاكتشاف . اكتشاف أول ختم اسطواني من العائلة المالكة
البابلية الاولى الذي - على حد علمي - ظهر في منطقة دمشق مضبوئاً بظروف الاكتشاف
الدقيقة الغير قابلة للشك .

فهل هناك مجال للدهشة من جراء وجود الختم الاسطواني من نموذج أختام العائلة المالكة
البابلية الاولى في هذا المكان ؟ الحقيقة أنه لم يكن بعد قد اتخذ أي بحث نموذجي ومستوعب
على التلال القائمة حول دمشق حتى شتاء ١٩٥٢ ، ١٩٥٣ عند ما قدمت بعثة سويدية برئاسة
السيد هاندار بصحبه السيد فون دراوستن والسيدة عقيلته فشرع بشق للارض يوضح طبقاتها
في تل الصالحية على بعد ١٥ ك . م شرقي دمشق مما أدى الى التحقق بأن المكان كان
مشغولاً منذ أوائل الالف الثاني قبل الميلاد حتى العصر البيزنطي .

وكانت قد أوضحت وثائق مدينة ماري أن العلاقات السياسية والاقتصادية بين بلاد ما بين
النهرين وبلاد ساحل البحر الابيض المتوسط كانت كثيرة اذا لم تكن نظامية في القرن
الثامن عشر قبل الميلاد .

وهذا الصدد فإن رسائل « بهدي إيم » محافظ قصر مدينة ماري (التي طبعها السيد

ج. ر. كوبر بالخطوط المسبارية مع ترجمتها في الجزء السادس من (Archives Royales de Mari) توجي بذلك كثيراً . فهي تعرفنا بمرور رسل من بلاد الأنهر المجاورة للبحر المتوسط وكرمكيش وحلب وكتنا (المشرفة) ومن مدن شمال فلسطين الى ضفاف الفرات ودجلة الى مدينة ماري وبابل وأرافا ، وكارانا ، واسنونا وعيلام . وذلك بمتابعة طريق المواصلات المار في وادي الماصي ووادي الفرات . وعلى سبيل المثال نذكر هنا من هذه الرسائل الرسالتين رقم ٢٣ ورقم ٧٨ :

الرسالة رقم ٢٣ :

[إلى سيدي أذكر] ما يلي : [هكذا] (يقول) خادمي « بهدي ليم » ان مدينة ماري والقصر والمقاطعة في حالة جيدة . كما كلمني سيدك [فاقي] وباسم سومو قد وصلنا مدينة ماري وشرعنا بقسمة المرحى ... [امور اخرى] . هناك رسل مرور [قادمون] من بابل واسنونا واكالاتوم وكارانا وكابرا وارفا وهم موفدون الى يامهاد وكاتنا وهاسور ... سيصلون . فهل يجب اطلاق سبيلهم ؟ هل يجب علي اعتقالهم ؟ وزيادة على ذلك اذا كان الرسل قادمين من من يامهاد و ... و ... وكرمكيش (هنا أربعة أسطر ناقصة تذكر اسم البلاد التي يتجهون اليها) . [فهل يجب علي اطلاق سبيلهم] هل يجب علي اعتقالهم ؟ [في هذه الحالة أو تلك] أرجو من سيدي أن [يرسل] لي أمره .

الرسالة رقم ٧٨ :

[إلى] سيدي اذكر ما يلي : [هكذا] (يقول) بهدي ليم [خادمك] ان جماعة وصلت من [هاسور] ومن كاتنا (المشرفة) [مثل هذا أو ذاك] خادم سيدي ومثل رجل من هاسور خفيرم يتجهون نحو سيدي . مر باتجاه بابل الرسولان البابليان اللذان يمكنان منذ مدة طويلة في هاسور ورجل من هاسور خفيرم .

لاوي ابل خادم سيدي وبهذه باهلا رجل من كاتنا وخفيرم يتجهون نحو سيدي وقد مر عدد من الرسل البابليين ورجل من كاتنا خفيرم باتجاه بابل .

في أزمنة العارفة ، وبعد ثلاثة قرون ، كانت دمشق مركزاً سياسياً هاماً ، وكان للمدينة وقتئذ ماضٍ كبير . ولم تكن مياه بردى غير مستفاد منها وهذا ما تدل عليه حفريات علم طبقات الارض التي أجريت في تل الصالحية من قبل بعثة هالدارثون اوستن . ومن المستغرب ان اسم دمشق لم يظهر في وثائق ماري . فهل كانت دمشق تحمل اسماً آخر أو ان هذا الحذف لم يكن إلا عرضاً ؟ يجب أن يفترض هذا السؤال لأن قرية القريتين الواقعة على مسافة

١٣٠ ك.م شمال شرق دمشق ، على طريق دمشق - تدمر كانت سابقاً موجودة في عصر المائلة المالكة البابلية الاولى وذلك كما تثبت رسالتان من مدينة ماري . احداها - مكتوبة من قبل موظف الى رئيسه «ياسماه ادو» نائب ملك مدينة ماري - تتعلق بألفين من بدو السوت الذين ذهبوا لغزو صحراء بلاد كاتنا وبجاعة يبلغ عدد أفرادها ستين بدوياً حاولوا غزو منطقة تدمر والقريتين . أما الرسالة الثانية - وهي غير منشورة بعد - فأنها تذكر نفس هذه المدينة القريتين (ناسالا) محورة إلى (نازالا) فاسمها الاول نفسه الذي يوجد كما هو بعد الفين سنة في كتابات يونانية تعود الى القرن الثاني بعد الميلاد . فالمثلث الصحراوي الذي تحده كاتنا وتدمر والقريتين كان اذاً معروفاً في مدينة ماري . وطريق الصحراء - الذي يربط منطقة الفرات الوسطى بالبلاد الواقعة في الغرب - كانت تمر بتدمر وهناك مفرق يتجه الى كاتنا والقريتين ومن الصعب الاعتقاد بان الطريق الذي يسمح اتصال القريتين من جهة تدمر يتوقف عند هذا المكان (أي القريتين) ولا يمتد نحو سهل الفوطة ومياه بردى .

في عصر المائلة المالكة البابلية الاولى كان يوجد إذاً طريقان للمواصلات بصلان بابل وبلاد الرافدين وممالك آمورو ، وهما طريق الفرات والعاصي وطريق الصحراء الذي يمر بتدمر وكاتنا أو القريتين . وكان يسير في هذين الطريقين رسل وتجار لتوثيق الروابط السياسية والتبادل التجاري . فالختم الاسطواني الذي عثر عليه في دير الخرابية والمائد للملكية أحد سكان المدينة أو أحد المسافرين العابرين هو أول دليل أثري وكتابي على العلاقات التي كانت تربط وادي بردى ببلاد الرافدين في القرن الثامن عشر قبل الميلاد . واننا نأمل أن تخرج قريباً أعمال التنقيب في تلال منطقة دمشق أخيراً ذات ايجاء مماثل .

جورج دوسان

تقرير عن الحفريات في «الرصافة» الاسلامية

بقلم (طربنا اونو - دورن)
تلخيص وتعريب : الدكتور طامل عباد

إن مشروع الحفريات في الرصافة قد وضع من قبل (شنايدر) ، الذي أدرك الأهمية الخاصة لأطلال هذا المكان من الوجهة الأثرية سواء المسيحية القديمة أو الاسلامية . واليه يرجع الفضل في تحقيق المشروع وفي النتائج التي كشفت عنها حفريات سنة ١٩٥٢ . لذلك فإن وفاته بخاء قبل المباشرة في العمل الجديد — وهي خسارة السافية وعلمية لا تموض — قد كان لها وقع شديد بالأخص على المشتركين في مشروع الرصافة الذين فقدوا به خيراً ممتازاً في أعمال التنقيب . أضف إلى ذلك أنه لم يمد من الممكن تخصيص أكثر من ثلاثة أسابيع للحفريات التي لم يستخدم فيها سوى ثلاثة عشر من المال بالقسمين المسيحي والاسلامي ، فاقصر الامر بالضرورة على جزء محدود من البرنامج الاصيل . وهكذا فإن هذه الحملة الأولى لا يمكن النظر اليها إلا كقدمة لحفريات تالية أكثر شمولاً .

ومن حسن الحظ أن تقدم في هذه الضائقة السيد (هـ . لنتزن) وتطوع للعمل مدة أسبوع . فقد كان لملاحظاته فائدة كبيرة في القسم الاسلامي من الحفريات خاصة . وهو الذي رسم مخطط الاطلال الاسلامية بمساعدة مهندس الحفريات (مولر - وينر) .

ان التنقيبات في الرصافة الاسلامية يجاهاها مهمتان : أولاً ، الكشف عن الرصافة الاموية وثانياً : دراسة الطبقات الاسلامية في منطقة المدينة القديمة .

أما أنا شخصياً فقد كان علي ، قبل كل شيء ، أن أبحث عن أقدم الآثار الاسلامية في الرصافة .

كانت (الرصافة - سرجيو بوليس) ، حسب روايات عدد من الجغرافيين العرب في القرون الوسطى ، مقراً للخليفة الاموي هشام (٧٢٤ - ٧٤٣) . وكانت المدينة تحمل بالتأ كيد اسم (رصافة هشام) ، كما جاء في كتب الطبري والبلاذري وبقوت . إلا أننا لا نجد عند أي

أحد معلومات دقيقة عن موقع رصافة هشام بالنسبة إلى (الرصافة - سرجيو بوليس) . فان ذلك لا يمكن أن يكون ضمن المدينة القديمة ، لأن (الرصافة - سرجيو بوليس) قد ظلت حتى آخر القرن الحادي عشر مقراً للاسقفية .

وقد ساعدتنا الصور الفوتوغرافية ، التي التقطها (بواديوار) من الجو والتي تبرز فيها منطقة واسعة من الاطلال في جنوب الرصافة - سرجيو بوليس ، على الاهتمام إلى مقر هشام . هكذا بدأت الحفريات في الناحية الجنوبية من أسوار المدينة القديمة ، عند أحد التلال القديمة ، المتوسطة الحجم ، وبسرعة عثرنا هنا على جدار من الطوب وعلى بناء المدخل ، وبعد التنقيب في مواقع أخرى بالشرق والشمال والغرب من الاطلال تبين لنا أننا أمام شبه حصن يقوم حول باحة مركزية وتحيط به أبراج مدورة ، وهو على طراز منشآت القصور الاموية .

وصف البناء

وقد تم الكشف عن الجدار الشرقي من البناء وعن أجزاء من الجدارين الشمالي والغربي ، ثم عن الابراج - أي بالقدر الذي يلزم لتحديد مخطط البناء . أما التقسيمات الداخلية فكان لا بد أن تبقى غير واضحة الى حد كبير بسبب ضيق الوقت . وقد اقتصرنا هنا على الكشف عن القاعة الوسطى من البناء في الجهة الشمالية من الباحة هذا بعض أعمال السبر في القسم الشمالي - الشرقي وفي الباحة .

يبلغ ارتفاع الركام ، على وجه العموم ، ما يقارب ١٥٥٠ متراً وعند المدخل من ٢ الى ٢٥٥٠ متراً ، وفي الباحة ٣٠٠ متراً . أما أكثرية الأماكن الداخلية والمدخل والساح الباحة فلا تزال تحتاج إلى البحث .

إن جوانب القصر المبنية من الطوب تتبع في اتجاهها الجهات الاربعة . وشكل البناء مربع تقريباً . فان الواجهات يبلغ طولها في الشرق ٨٠٥١ متراً ، وفي الغرب ٧٩٥٥ متراً تقريباً وفي الجنوب ٧٤٥٥ متراً تقريباً . وفي الزوايا أبراج مدورة يبلغ قطرها ٣٨٠ متراً . وهذه الابراج تقوم على قواعد مربعة يبلغ ارتفاعها ٨٠ متراً تقريباً وتبرز ٢٦٠ متراً أمام الواجهة ويبلغ مخن الجدران الخارجية بصورة متوسطة ١٥٥٠ متراً . ويربط بين اجزاء الجدار في الواجهة الشمالية ثلاثة أعمدة مدورة قطر كل منها يقرب من ٣١٠ متراً . والمسافة بين العمود والآخر تبلغ ١٤٥٥ متراً . اما الجداران الشرقي والغربي فليس فيها سوى عمودين لا يزيد قطر كل منهما على ٢٦٠ متراً . والمسافة من قاعدة البرج الشمالي - الشرقي حتى العمود الاول هي ١٥٦٠ متراً ومن هذا العمود إلى الآخر ٣٥٥٠ ثم من هذا حتى البرج الشمالي - الغربي ١٧ متراً .

إن قسم المدخل في وسط الجهة الجنوبية ، الذي يظهر عليه التخریب أكثر من غيره ، يقع بين عمودين مدورين ، قائمين على قاعدتين وبلغ عرضه ٤٠ د ١٣ متراً . وقد صنع في زاوية الجدار الى جانب العمود الشرقي معلف للخیل ، ولا يوجد حتى الآن شبيه لهذا المدخل في الساحة غير المتعاد . ولا زلنا نجعل كيف كان بناء المدخل في الاصل . ومن الصعب أن نفكر في العثور على مصراعي الباب الذين يجب أن يزيد عرض كل واحد منهما على ٦ أمتار . وحسب الوضع الحاضر للحفريات فان قرب الاحتمالات هو أن يكون هذا المدخل الواسع مؤدياً الى قاعة كبيرة أو الى باحة كان طولها يبلغ ٣٠ متراً وعرضها ٢٠ د ١٧ متراً تقريباً . ولكن من الممكن أيضاً أن نفترض وجود أقواس ، لأن الركام الذي يغطي اليوم هذا الجزء من المكان يختلف عن الركام في القسم الشمالي . فانه بينما يتألف هناك بالدرجة الاولى من الطين المجهول وبقايا طلاء من الجص اذا بكية الركام هنا التي ترتفع الى ٥٠ د ٢ متراً مكونة من الآجر والجص والملاط مع قليل من الحجارة المقطوعة . ولا يمكن أن يتضح نوع الأقواس التي نستطيع افتراض وجودها هنا الا بعد تقدم أعمال الحفر . ولكن من المؤكد أن لا يكون هناك أثر للقبب بالنظر الى ضعف الجدران ، بل الاقرب أن نتصور ايواناً .

الى جانب البرج الجنوبي - الغربي يوجد دهليز صغير عرضه ٢٥ د ٢ متراً . والى الشمال من ذلك قد ركب في الجدار كتلتان من حجارة الجص اتقن نحتها وبينهما قناة يسيل فيها الماء من الداخل الى الخارج . والقناة تنعرج بعد امتداد متر واحد الى الشمال . وقد أمكن اقتفاء أثرها الى مسافة ثلاث أمتار أخرى . وهذا يدفعنا الى الافتراض بأنه قد كان هناك حزام في هذا القسم من البناء .

يحده الباحة التي يبلغ عرضها ٣٠ متراً صفوف من الاماكن تمتد الى عمق ٤٠ د ١٦ متراً وفي الجنوب الى ٢٠ د ١٧ متراً . ولم يكشف حتى الآن الا على بعض هذه الامكنة في القسم الشمالي من البناء وبينها قاعة وسطى الخفت بها حجرات جانبية ضيقة ومتناظرة - لا يقل عددها عن اثنتين في كل جانب - ومن المحتمل أن تكون مقسمة بدورها . والقاعة الوسطى مرتبطة مع الباحة بدهليز في الجانب الضيق ومع الحجرات الجانبية بدهليزين آخرين في الجانبين المربعين . والى الشرق من القاعة الرئيسية كشف عن دهليزين أحدهما على درجتين وهما يوصلان الى الاماكن الملاحقة .

وقد أضيف الى مجموعة الأبنية في الشمال من جهة الباحة بناء ملحق قليل العمق ، يختلف اختلافاً واضحاً عن بقية المنشآت . فهو ليس من الطوب ، بل من الآجر . وقوالب الآجر

التي تبلغ أبعادها ٢٢ د. ٠ × ٢٢ د. ٠ × ٤٠ د. ٠ متراً قد جثي بينها في بعض الاجزاء مؤنة من الطين وفي الاجزاء الاخرى مؤنة من الجص .

ان الغرف كانت ، حسبما ثبت منذ الآن على وجه العموم ، مطلية بالجص . ومن المحتمل أن تكون الباحة كلها قد طليت أيضاً بالطلاء نفسه ، وقد بقي قائماً من جدران البناء الملحق قسم يمتد من الشمال الى الجنوب ويبرر منه عمود ظلت قاعدته التي يبلغ عرضها ٥٤ د. ٠ متراً تقريباً سليمة . وهي مستورة بتزيينات جصية جميلة الصنع . اما القسم الممتد في الانحجام الغربي - الشرقي من الجدار قائماً يشاهد الفراغ الذي كان يشغله . ولا يرى امام المقطع الثاني من الواجهة الشمالية - الجنوبية سوى جدار على ارتفاع طبقة واحدة فوق مستوى الباحة . وهو مستور أيضاً بطلاء من الجص . على أنه لم يتضح بعد هل أن ذلك كان عبارة عن درجة ثم الى أن كانت تقود .

إن استخدام الآجر في البناء الملحق يشير الى أنه قد نشأ في مرحلة متأخرة . فالجدران الرئيسية في مجموعة البناء تتألف ، كما ذكرنا ، من قطع الطوب المربعة ، غير المشوية التي تبلغ أبعادها ٣٨ د. ٠ × ٣٨ د. ٠ × ٩٠ د. ٠ × ١٢ د. ٠ متراً . ويربط بين كتل الطوب مؤنة من الطين كما أنها مطلية بطبقة من الطين يتراوح سمكها بين ٤ د. ٠ و ٦ د. ٠ متراً . وفوق ذلك كلس أبيض أو طلاء من الجص اعتني بمسحه . وفي بعض الحالات نجد طبقات عديدة من هذا الطلاء بعضها فوق بعض مما يدل على السكنى في البناء مدة طويلة من الزمن . إلا أنه ، الى جانب الطوب ، قد عثر أيضاً أحياناً على قطع مربعة من الآجر في حالة جيدة بين الركam عند الجدار الشرقي . ويحتمل أن تكون هذه القطع من حواجز الجدران . كذلك تكثر شقف الآجر في الركam عند بناية المدخل . وهناك أيضاً بعض الكتل من حجارة الجص التي أتقن نحتها ، كما عند قناة الماء في الزاوية الشمالية - الغربية وعند قاعدة البرج في الزاوية الشمالية - الشرقية .

وكانت مفاجأة كبيرة عند ما عثرنا ، في أمكنة مختلفة ، على كثير من الزخارف وعلى بقايا تصاوير جدارية . وبين الزخارف بعض القطع المصنوعة ضمن قوالب والمطلية بطبقة رقيقة من الجص التي كان يراد هكذا حفظها من تأثير تقلبات الطقس . ومن المفروض أنها كانت على الجدار الخارجي . وقد بقيت من هذه المجموعة قطع من أحسن الانواع في بعض أجزاء الافريز تمثل أغصان الرمان وعناقيد العنب . (أنظر الصورتين رقم ٢ و ٣) . اما في المجموعة الثانية فان الزخارف محفورة . ومنها بقايا لنماذج سعف النخيل والورد وورق الكروم . عدا ذلك ظهر في المكان نفسه عدد من أجزاء أقواس الزينة المختلفة الزخارف ، وفيها نماذج

من النقوش البارزة المتقاطعة والمتشابكة والمكحلة . ومما يسترعي الانتباه الأقواس المسننة البسيطة أو المزدوجة التي لم تكن حتى الآن معروفة في نطاق الآثار الأموية . (انظر الصورة رقم ٤) ثم إنه قد وجدت بقايا ركائز مقمرة تشبه أنصاف أعمدة وفي أطرافها قضبان مسننة . وأخيراً هناك مساند ذات نقوش مقمرة . إن أجزاء الأقواس وأنصاف الأعمدة الصغيرة يجب إضافتها إلى محاريب الزينة المرغوبة جداً في الفن الأموي .

كذلك عثر في القاعة الوسطى على كثير من الزخارف . وحسبما تبين لنا حتى الآن فإنه لم نستخدم هنا سوى زخارف محفورة . إلا أن هذه كانت ، كما يستدل من آثار التلوين على بعض القطع ، ملونة بالأصفر والأخضر ، أي أنها أفخم منظرًا من الزخارف في بناية المدخل . ويبدو أن الموضوعات أيضاً أكثر تنوعاً عما هنالك . فالتناجيد بينها دوائر متشابكة - كما في الأنقشة الحريرية الساسانية - قد حشيت بمختلف نماذج الورد وسعف النخيل المتتوي بشكل حلزوني (انظر الصورة رقم ٥) ثم إطارات من أوراق القلوب الساسانية (انظر الصورة رقم ٦) وغيرها . وإلى جانب ذلك وجدت قطع مكسورة من زخارف متشابكة لا شك في أنها جزء من الشبائيك التي تكثر في المباني الأموية . ويتكرر أيضاً موضوع ورق الكروم وعناقيد العنب الذي رأيناه في زخارف بناية المدخل ، إلا أن أشكال العنب هنا تظهر فيها ثغوب عميقة محفورة خلافاً لزخارف المدخل الملصق . (انظر الصورة رقم ٧) .

وهنا ، في القاعة الوسطى أيضاً ، أمكن التثبت من وجود رسوم جدارية مازالت بقايا منها قائمة في مكانها الأصلي على الجدار الشمالي وكذلك جزئياً على الجدار الشرقي . والصورة في القسم الأسفل من الجدار الشمالي التي رسمت فوق طبقة بيضاء وناعمة من الجص تشتمل على أجزاء أعمدة ذات أخاديد مائلة وشبيهة بمجذوع النخيل ظلت محفوظة حتى ارتفاع ٠.٨٨ متراً وهذه الأعمدة قائمة على قواعد مسطحة من النوع الشائع كثيراً في الفن الأموي . وأقرب الاحتمالات هو أن هذه الأجزاء من الأعمدة تمثل محاريب للزينة . ويشاهد بينها أربعة حقول مركزية كبيرة وحقلان جانبيان ضيقان . وهي قد ملئت بنماذج من المعينات وأخرى متصالبة ومتقاطعة تبرز في لون أسود على أساس أبيض . كذلك الأعمدة كانت ملونة بالأصفر ويحيط بها إطار أحمر وآخر أسود أضيق منه . وكان أحد الحقول الوسطى على الجدار الشرقي قد ملئ بشبكة من نماذج معينات مزدوجة تربط بينها دوائر .

والى جانب هذه الرسوم الملونة المحفوظة في مكانها وجدت أجزاء صغيرة كثيرة من تصاوير جدارية لم يمكن حتى الآن جمعها في سلسلة واضحة من النماذج . وقد مثلت فيها أيضاً ، كما في زخارف موضوع القلب ، دوائر مثشابة وورود ونماذج نباتية وهندسية وإطارات بنماذج دائرية بيضاء على أساس أسود ثم موضوع مسننات (انظر الصورة رقم ٨) . وقد استخدمت في التصوير ألوان فاتحة ، براقة يكثر بينها الأصفر الفاتح والأخضر الفاتح والازرق الفاتح والاحمر والكرزى . ان هذه الالوان المنفردة تبرهن على أنه كانت هناك فوق القسم الأسفل المصور من الجدار منطقة أخرى للتصاوير الجدارية . وزخارف الجص إنما كانت تأتي فوق ذلك . وما يثبت هذا الترتيب في زخرفة الجدار وجود قطعة من زخارف الجص تؤلف لإبريزاً بنماذج مضفورة وفي أسفلها قسم من التصاوير الجدارية . ولا بد لنا من الافتراض بأن هذه القاعة الفنية بالزخارف في البناء الثمالي كانت تستخدم لحفلات الاستقبال . كذلك وجدت في الدهليز ذي الدرجتين بالقسم الشرقي من البناء الثمالي بقايا زخارف من أحسن الأنواع فيها نماذج أوراق على صفين لم نكن حتى الآن نعرفها في آثار التزيين الأموية . وقد أمكن جمعها في متحف دمشق وتركيب قوس على شكل نعل فرس منها . (انظر الصورة رقم ٩) إن بقايا الشبايك عند منحني القوس تدل بصورة أكيدة على أن هذه القطعة ترجع الى نافذة مخرمة كانت في أعلى الدهليز ذي الدرجتين وتلقى النور من باحة أدنى مستوى .

وفي البناء الملحق الذي أضيف متأخراً عثر أيضاً على تصاوير جدارية يظهر من فحصها سريعاً أنها قد ظلت الى حد كبير محفوظة في مكانها الاصلي . ويتبين من بعض الأجزاء التي انكسرت وانفصلت أن الرسوم هنا تختلف عنها في القاعة الوسطى ، إذ تتألف من نماذج أكثر بساطة تقتصر في الغالب على معينات ومربعات بألوان غامقة شديدة الاختلاف فترى مثلاً الأحمر القرميدي الى جانب الأصفر البني ثم الأحمر القرمزي أو الأصفر الى جانب الأسود . ونشاهد في موضوع آخر معينات مؤلفة من دوائر بلون أبيض على أساس أسود . هذا الاختلاف في الصور يؤيد ما ذهبنا اليه من أن البناء الملحق يرجع الى وقت متأخر . ويبدو أن هذه المرحلة الثانية من البناء تقع في العهد الأموي نفسه ، إذ من المعلوم أن خلفاء هشام أيضاً قد اتخذوا الرصافة قصرًا للسكنى . .

اللقى الصغيرة

إن اللقى الصغيرة هنا قليلة جداً كما في جميع أماكن الحفريات الأموية . ولعل السبب في ذلك يرجع بالدرجة الأولى الى الحقد الشديد الذي دفع العباسيين الى الامعات في التخريب وملاحقة الامويين حيثما استطاعوا . وبالنسبة الى الرصافة أيضاً يذكر الرواة أن عبد الله بن علي العباسي الذي جاء الى هذه المدينة في سنة (٧٤٩ - ٧٥٠) قد أمر بتشويه جثة هشام المحنطة وحرقها .

لقد عثر حتى الآن على سبع قطع من النقود ستفحص في متحف دمشق ثم على خاتم صغير من البرونز وعلى بقايا من الاواني الزجاجية وعلى قطعة من العظام . وفيما يتعلق بمصنوعات الخزف وجدت شقف غير مطلية من النوع الروماني المتأخر والبيزنطي القديم قد بولغ في شوي الطين الرمادي أو البني أو الاحمر القرميدي الذي صنعت منه . وتشاهد على هذه الاواني نماذج من شرائط الخوص . وهذا النوع من الخزف يشترط عليه في مختلف أماكن الحفريات الأموية كما يبرهن على أنه قد ظل سائداً حتى بعد العهد الاسلامي . وبذلك تنهار حجة (شنيدر) الذي أراد أن يستدل من وجود هذا الخزف في قصر المشق ، على أن القصر قد بني في عهد أقدم مما ذهب اليه سائر الباحثين .

وبما يسترعي الاهتمام وجود بعض البقايا من أواني رمادية تشبه القيشاني مزينة بنقوش من المينيات والدوائر لا أعرف مثيلاً لها حتى الآن بين الآثار الأموية . ولكن لما يستلفت الانظار بصورة خاصة شقفة وعاء قيشاني من أحسن الأجناس مزين بشريط متموج عثر عليه ، مثل أكثر اللقى الصغيرة بالجهة الغربية من بناية المدخل في أسفل طبقة من الركام . وقد كان يظن حتى الآن أن هناك نوعاً معيناً من المصنوعات القيشانية الإسلامية يرجع الى العهد الأموي . أما اليوم فلم يبق أدنى شك في ذلك .

قصر الرصاف

والفن الأموي في بناء القصور

إن الاطلاع في الرصافة ، حسب مخططاتها الذي يشتمل على شبه حصن محاط بإبراج مدورة وفي داخله باحة مركزية ، ثم حسب أبعادها التي تقرب من ٨٠ × ٧٤ متراً ، تنطبق على نموذج القصور الأموية التي يجب أن نعتبر كأنهم أمثلة لها : قصر الحير الغربي (في الجنوب

الغربي من تدمر) وقصر الحير الشرقي (في الشمال الشرقي من تدمر) ثم خربة المفجر (قرب أريحا) وخربة المنية (عند بحيرة الناصرة) وقصر الطوبى (في شرقي الاردن) . كذلك فقدان التماسق في الاساس ، الذي انما يقرب من المربع ، يمكن اعتباره من الصفات الخاصة بأساطين المعاري الامويين . (راجع مقال شلومبرجر في مجلة Syria المجلد ٢٠ سنة ١٩٣٩ - صفحة ٣٤٥) .

ان بناء الرصافة يتبع في ترتيب الباحة مثال قصور طوبى والحير الشرقي وخربة المنية التي نرى باحاتها محاطة أيضاً بصفوف من الغرف الجانبية ، خلافاً لما عليه الحال في قصر الحير الغربي وخربة المفجر اللذين تحيط الاروقة باحتهما . أما عن تنظيم كل من الابنية المتعددة فلا يمكننا حتى الآن أن نقول شيئاً كثيراً . وإنما نستطيع أن نقارن البناء المتوسط الواقع تجاه المدخل بالمكان المائل له في (خربة المفجر) الذي ينقسم أيضاً الى قاعة وسطى وعريضة وغرف جانبية ضيقة . وهناك احتمال كبير في أن تكون منشآت الحمام ، التي نستطيع افتراضها في الزاوية الجنوبية - الغربية ، مشابهة لما يقابلها في خربة المنية (١) .

وفي بناء الجدران ، التي استخدم فيها خليط من الطوب والآجر المشوي والحجارة المنحوتة ، نلاحظ اتفاقاً كبيراً مع قصر الحير الغربي ، حيث استعمل عدا ذلك الخشب الذي ربما يثر عليه بالمستقبل في الرصافة أيضاً . ولكن يبدو أن الآجر والحجارة لم تكن تلعب هنا دوراً كبيراً كما في قصر الحير الغربي . أما فيما يتعلق ببعض أشكال البناء الخاصة فلم يمكن حتى الآن العثور على نظائر لها . هكذا يقع هذا المدخل الاساسي في الجنوب خلافاً لما هو شائع من تفضيل اتجاه الشرق . وإذا كان هنالك مجال ، من هذه الوجهة ، للمقارنة مع قصر المشق فملينا أن نلاحظ بأن هذا البناء يحتل مكانة خاصة بين قصور الامويين لمجرد اتساعه الزائد . وقبل كل شيء فإن المدخل يستلقت الانظار بعرضه غير المعتاد البالغ ١٣,٤٠ متراً . وكل ما يمكن أن يقال عن الباب ، الذي لا يزال أمره غامضاً ، هو أنه يدل على الاتجاه السائد في طريقة تشييد القصور الاموية عامة وأعني بذلك إبراز بناية المدخل ليس بالزخارف التزيينية فحسب ، بل من الوجهة المعمارية أيضاً . فالتناجيد مثلاً المدخل في قصر الطوبى ترتفع الى جانبيه الابراج المربعة الضخمة . كذلك الامر مع قصر المشق بأبراجه الكثيرة الاضلاع والغنية بالزخارف عند

الباب . وفي خربة المفجر يبرز البرج عند الباب بينما يمتاز المدخل في خربة المنية بالزاوية التي تشبه المحراب والمسقوفة بقبة . إلا أننا لم نعث حتى الآن في غير الرصافة على أبراج مدورة تقوم على قواعد مربعة .

إن عدد الأعمدة المدورة الثلاثة في الجهة الغربية والشرقية ينطبق على ما نعرفه عن قصر الطوبى وقصر الخير الشرقي في حين أن تقسيم الجدار الشمالي بخمسة أعمدة مدورة لم يسبق له مثيل حسب معلوماتنا حتى الآن .

ومما يستحق الانتباه بصورة خاصة التشابه بين الرصافة وسائر القصور الأموية في كيفية تزيين الجدران . فإن التلييس بالزخارف والتصاوير الجدارية جنباً إلى جنب مما يمكن البرهان عليه في قصر الخير الغربي وخربة المفجر أيضاً . على أنه بينما تشغل في هذين القصرين التصاوير المشخصة المقام الأول يبدو أن مثل هذه الزخارف لا تلعب دوراً كبيراً في الرصافة . والزخارف التي عثر عليها عند مدخل قصر الرصافة من أقواس الزينة وأجزاء مساند تشبه أنصاف الأعمدة إنما تمثل أروقة . وهذا النوع من التزيين مرغوب كثيراً في الفن الأموي . وما وجد منه في الرصافة يمكن أن نذكر نظائر له في واجهة قصر الخير الغربي ثم في أبراج مدخل الخير الشرقي التي نرى محاريبها قد ملئت بنماذج ورق الكروم وأقواسها بنماذج شوكة اليهود .

أما القوس المسنن البسيط أو المزدوج الذي يمتاز به قصر الرصافة فلم يعثر عليه حتى الآن في زخارف القصور الأموية المعروفة . لذلك فإنه مما يدعو إلى التعجب أن نجد التزيينات ذاتها قد نقشت في الحجر ، ولكن بكثير من التكرار ، عند بناية مدخل الحصن في (رباط عمان) . هنا نرى محاريب للزينة مقمرة ومسطحة قد صفت بمضها فوق بعض في منطقتين وتبدو فيها جميعاً الأقواس المسننة المزدوجة والقائمة على أعمدة صغيرة مسطحة ومتراصة . (انظر الصورة رقم ١٠) . والتشابه ظاهر مع الأقواس المسننة وأجزاء المساند الشبيهة بأنصاف الأعمدة في الرصافة . ويمكن أن نستمر في المقارنة أكثر من ذلك . فإن الأقواس في (رباط عمان) قد صنعت على هيئة نمل فرس . وكذلك نجد في الرصافة أقواساً من هذا النوع - الذي يظهر في الآثار الأموية بأشكال مختلفة - وإنما ليس في بناية المدخل بل في البناية الشمالية - الشرقية . (انظر الصورة رقم ١٠)

إن نقوش محاريب الزينة التي تكثر في الآثار الأموية لا تقتصر على الفن المعاري ، بل نصادفها أيضاً في صناعة التحف كما في ابريق من البرونز للخليفة مروان الثاني . واللقى المنفردة عند مدخل الرصافة تشير إلى وجود زخارف من هذا النوع .

وهناك احتمال كبير في أن تكون واجهة قصر الرصافة قد زينت بصورة مشابهة لبناء المدخل في (رباط عمان) . وإذا قارنا زخارف القاعة الوسطى مع سائر الآثار الاموية نلاحظ أن هناك صلة وثيقة قبل كل شيء بين الرصافة وخربة المفجر . فان الدوائر المتشابكة وأوراق الكروم المنموجة وعناقيد العنب ذات الثقوب العميقة وسف النخيل المرفوفة على شكل حلزوني واطارات الشرائط المضفورة تتكرر هنا وهناك على نمط واحد من أساليب التعبير . وأخيراً نذكر زخارف الشبايك التي ظهرت قطع مكسورة منها في القاعة الوسطى وعلى الاخص في قوس الزينة بالبنية الشامية - الشرقية ، فاننا نجد أمثلة كثيرة لها في نوافذ قصر الحير الغربي المحرمة والمتنوعة النماذج . (١)

كذلك التصاوير الجدارية في القاعة الوسطى من قصر الرصافة يبدو عليها الطابع الاموي . فان الصورة المحفوظة في مكانها بأسفل الجدار ، والتي تمثل أعمدة ، يجب أن تتما بمحارب حولها تتخللها على هيئة التصاوير في قصير عمرة ، حيث نشاهد أيضاً الأعمدة ذات الاخاديد المنحرفة . ومثل ذلك المحارب المزدوجة ذات الاقواس على شكل نعل الفرس التي نصادفها في منظر الصيد بقصر الحير الغربي ، كثر عليها هنا أيضاً . (٢)

ولكن بينما نشاهد في هذين المثالين صوراً مشخصة واقفة في المحارب اذا بالحقل في الرصافة محشوة بنماذج هندسية وموضوعات معينة وصلبان يبدو أنه يقصد بها تقليد التلبس بالمرمر . ولدينا نظائر كثيرة لذلك في قسم من غرف قصر الحير الغربي . (٣)

وليس من شك في أنه كان يقصد بذلك محاكاة أمثلة مشهورة كمسجد الصخرة في القدس والمسجد الكبير في دمشق اللذين يزخران بالنقوش المرمرية النادرة .

والقطع المتفرقة من التصاوير الجدارية التي عثر عليها في ركام القاعة الوسطى لها نظائر سواء في قصر الحير الغربي أو خربة المفجر .

(١) راجع مقال سليم عبد الحق : « إعادة تشييد جناح قصر الحير الغربي في متحف دمشق . مجلة الحوليات الاثرية السورية . المجلد الأول (١٩٥١) الاوقات رقم (٥ - ٢٤) .

(٢) راجع مقال شلومبرجر في مجلة (Syria) المجلد ٢٥ (سنة ١٩٤٦ - ١٩٤٨) الاوحة رقم (٢٥) .

(٣) انظر في مقال سليم عبد الحق الذي مر ذكره الاوحتين (رقم ١٢ و ١٣) ثم في مقال شلومبرجر

(مجلة Syria) المجلد (٢٠) سنة ١٩٣٩ الاوحتين (٣٩) و (٤) .

رصافة هشام

ان مقارنة أطلال الرصافة مع سائر منشآت القصور الاموية ، من حيث التصميم وطريقة بناء الجدران والزخرفة ، لا تدع مجالاً للشك في أننا قد كشفنا هنا أيضاً على قصر أموي . والصلة الوثيقة بالآثار التي تعرف بانها من أبنية هشام - مثل قصر الحير الشرقي ، والغربي وخربة المفجر - تسمح لنا بإرجاع الاطلال الى عهد هذا الخليفة نفسه .

وعدا هذه المقارنة بين المنشآت فإن هناك سبباً قاطعاً آخر يؤيد رأينا . ذلك أن هذه الأطلال ليست بمنزلة ، بل قائمة ، كما ذكرنا في اول البحث ، ضمن مجموعة من تلال الأطلال . وحسب ملاحظة (لنزن) فإن منطقة الأطلال تمتد بشكل دائرة إلى ما يقارب (٣) كيلومترات حول (الرصافة - سرجيو بوليس) القديمة . فمن الطبيعي أن نقول بأن هذه الأطلال القائمة عند أسوار المدينة القديمة ليست سوى (رصافة هشام) الذي يذكرها الجغرافيون العرب .

تذكر المصادر قصرين في رصافة هشام . وكثير جميع الظواهر إلى أننا في حفرياتنا قد عثرنا على أحد هذين القصرين . ويبدو أن القصر الثاني كان يستخدم لحفلات الاستقبال في الظروف الخاصة إذ تروي الاخبار أن هشاماً كان يستقبل هنا وهو جالس تحت قبة خضراء . وربما كانت هناك صلة بين هذا القصر الثاني ، الذي يجب أن تتصوره أعظم وأخف من الاول ، وبين كتلة التلال الكبيرة الواقعة بالقرب من مكان الحفريات . كذلك يجب أن نفترض في هذا المقر الواسع وجود مسجد كبير . وفي الواقع يذكر المؤرخون أنه أثناء غارة القرامطة في سنة ٩٠٢ ميلادية قد احترق الجامع والمدينة .

ثم إنه كانت هناك مقابر . فنحن نعلم أن هشاماً لم يكن مقبياً في الرصافة بحسب ، بل أنه مات ودفن فيها أيضاً . ونستطيع الافتراض بأن المقبرة كانت إلى الجنوب من بناء (المنذر) ، حسب ملاحظات (هركسفيلد) ، الذي شاهد هناك ضريحين إسلاميين . إلا أنه لا بد من الانتظار لمعرفة فيما إذا كان الحظ سيساعدنا على أن نكتشف هنا مقابر أموية . فانه ليس لدينا حتى الآن أي نماذج عنها .

إن (رصافة هشام) يجب أن تكون قد ظلت مسكونة حتى أوائل القرن العاشر إذ نرى المؤرخين يصفونها في سنة (٩٠٨) ميلادية ، أي بعد مدة قصيرة من غارة القرامطة ، كمدينة « مزدهرة » . وفي نهاية القرن الحادي عشر ، بعد أن لمعد (الرصافة - سرجيو بوليس) مقراً الاسقفية

يرجح أن يكون سكان (رصافة هشام) المسلمون قد انتقلوا إلى المدينة القديمة . فانا نستطيع بالتأكد البرهان على وجود مدينة سكن اسلامية واسعة في داخل الرصافة تقوم فوق الاطلال المسيحية . وقد كانت بيوتها مبنية من الطوب ومسقوفة بقبب من الآجر . وهذه البيوت قد تهدمت جميعها ، كما لاحظ (مولر - ويز) . وقد عثر في الركام على أواني خزفية سلجوقية من مختلف الأنواع (كالفيشاني والمصنوعات السورية المطلية والمصورة تم الخزف اللامع) .

هكذا نظهر لنا أهمية الاطلال القائمة عند أسوار الرصافة القديمة . فقد كشفت الحفريات عن قصر أموي جديد يضاف إلى الأوابد المعروفة حتى الآن . ونستطيع بدراسة مخطط هذا القصر وزخارفه زيادة معلوماتنا عن طريقة الأمويين في بناء القصور . كما أن معرفتنا بأن القصر قد شيد في عهد هشام تساعدنا على أن نميز مجموعة الابنية التي أقامها هذا الخليفة من سائر المنشآت الأموية . وأخيراً فإن التشابه بين بناء المدخل في (رباط عمان) وبين ما يشاهد في الرصافة وبقية القصور الأموية ، سواء من وجهة التخطيط أو الزخرفة يجعلنا نرجع هذا الأثر الذي اختلف الآراء في أمره حتى الآن ، إلى العهد الأموي بكل تأكيد . وبما يزيدنا تأييداً في ذلك آثار سكن الأمويين التي كشفت عنها الحفريات على قلعة عمان والتي تشير كل الظواهر إلى أن بناء المدخل تابع لها . (راجع مقال (هاردينغ) في حولية مديرية الآثار الأردنية المجلد الأول سنة ١٩٥١)

عدا هذه النتائج المنفرقة التي حصلنا عليها في حفريات الرصافة فقد استطعنا تعيين موقع مقر هشام عند أسوار مدينة (الرصافة - سرجيو بوليس) . وبذلك تنهي ، حسباً لمتقد ، مشكلة تحديد مكان (رصافة هشام) التي احتدم الجدل حولها . وقد أشرنا إلى خطأ الرأي الشائع الذي كان يدعي بأن (رصافة هشام) تقع في داخل المدينة القديمة لأن الرصافة - سرجيو بوليس قد ظلت بعد الفتح الاسلامي وحتى أواخر القرن الحادي عشر مقراً للأسقفية ، فلم يكن من الممكن اتخاذها في الوقت نفسه مقراً للخليفة الأموي . وهذا التسامح المدهش تجاه المسيحيين له أمثلة كثيرة من عهد الأمويين .

وكذلك محاولة (سوفاجة) ، الذي أراد أن يعتبر مجموعة قصر الحير الشرقي مرادفة لرصافة هشام ، فانها تستند إلى تفسير خاطيء للمصادر ويجب العدول عنها بعد حفريات الرصافة . ان الكشف عن مقر هشام يزودنا بمادة غنية لم تكن حتى الآن نملك ما يوضحها من العهد الأموي . ولذلك فإن استمرار التنقيب بين الأطلال سوف يفسح مجالاً رحباً للبحث في الآثار الاسلامية .

ركامات العظام في خربة الاونباشي والهبيرية (الصفاء) والفتات المقابزة .

بحث أولي

بفلم لوبس دو برزير وموريس دونان

تصريب وتلخيص : ع . ب

تمتد جنوب دمشق منطقة بركانية واسعة تتناثر فيها الفوهات البركانية ، ويتوسطها جبل الدروز وفي أطرافها المضارب ، من القرب سهل حوران ومن الشرق ديرة التلؤل . يعود زمن النشاط البركاني في هذه المنطقة لدور الميوسين وبمضنه ظل الى عهد قريب . ومن أحدث السيلانات الكبرى ، وسيلانات اللجا والقرا والضور والرحيلة والصفاء . ويسكن هذه المنطقة الحضرم في قسمها الغربي ويرتاد البدو شرقها في الشتاء .

كان المهمل البريطاني شديد الميوعة في هذه المنطقة فانتشر على مسافات واسعة مؤلفاً احياناً غاريط حول فوهات انطلاقه ، وقد انساح سحاطان متأخران منه على المنحدر الشمالي لجبل الدروز ، اللجا نحو الشمال الغربي والقرا نحو شرق الشمال الشرقي ، وكونت سيلانات الضهور والرحيلة والصفاء ، شرق القرا غاريط من المهمل . وغروط الصفاء واقع فوق أرض عالية فلذلك بلغ ارتفاع قمته ٧٧٦ م .

تفجر سيلان القرا من مرتفعين بسيطين وامتد أربعين كم ، ثم تفرع على خمسة وديان ، مشكلاً مايشبه اليد ، وغارت أطرافه تحت غروطي الرحيلة والصفاء .

وخربة الاونباشي ، والهبيرية ، هما خرائب موقعين قائمين على هذا السيلان المتفرع من القرا أولاً تبعد ٩٠ كم عن دمشق والثانية على بعد ٧ كم عن الأولى . وكلا الموقعين عبارة عن

بجموعة من الابنية المتهمة مؤلفة من كتل البازلت المتفرقة ، وركام هام من العظام المتكلسة وقد اكتشفها عام ١٨٥٧ سيريل س . غراهام ونوه ج . س . ورت ستاين قنصل بروسيا في دمشق بركام الهبيرية . كما مر دي فوغي ومن ثم دوسو دماكلير على الهبيرية وأشارا الى خربة الاونباشي . أما أول من أورد ملاحظات واضحة عن الموضوع فهو السيد هريبت الذي ذكر قيام اندفاعات بركانية في الدور الرابع الطبقي استمرت حتى دور الهولوسين ودلل على ذلك بأفلام الهبيرية التي التي ظلت ، كما يقول ، مجهولة حتى مروره في حزيران من عام ١٩١٤ . وأظهرت بعض نماذج من عظامها الحيوانية المكتنفة بالهل البركاني أن الانواع الحيوانية ذاتها مازال موجودة في الجبل كالأعز والخراف والابقار (كما ميزها م . بول) كما كان هربت كغيره يعتقد بأن سيلان القرا طاجاً الحيوانات على حين غره ، وأن التلة البازلتية العظمية هي طبيعية ، واستنتج من صفة الحيوانات المغيبة في المهل البركاني أن السيلان جرى في دور الهولوسين .

وتصور أحدنا ل . دوبريه على أثر زيارة خاطفة للمكان في عام ١٩٢٨ ، في العكس بأن التلة البازلتية العظمية هي من صنع بشري ، وقد سلعت عينة منها الى السيد أ . لأكروا الذي تبين حالاً أهمية هذا الركام الغريب الذي شويت بعض عظامه لدرجة التبلور بينما اكتنفت الاخرى بالبازلت وتمثلت جزئياً بما أفسح المجال لحوادث ذات طورين . وبناءً على اقتراحه حصلنا على إعانة من أكاديمية العلوم (باريس) وبدأنا الحفريات في حزيران ١٩٣٣ مع الاثري آ . باروا والجيولوجي ه . فوتران ، ومكثنا اعانة ثانية من صندوق الابحاث العلمية (باريس) من اكملها في العام نفسه .

★ ★ ★

تقدر مساحة خربة الاونباشي بمشرين هكتاراً . مغطاة كلها برجوم من كتل المهل البركاني المنحوتة والمشدخة ، وتظهر أحياناً بين هذه الرجوم فسحات رملية ، والتجمع الرئيسي لهذه الرجوم يقع في آخر الفرع الشمالي لسيلان القرا على ضفة واد يتجه من الشرق الى الغرب ، وتمتد على ضفته اليسري خرائب أكثر تفرقاً .

وللهذه الاولى يميز الانسان في هذا الاضطراب ، قناة وسداً وسوراً ومساكن وقبوراً تتوسطها كتلة العظام المتراكمة .

القناة والسد : يقطع السد الوادي في الطرف الشرقي من القسم الرئيسي من الخرائب ، وعلى طرفي الوادي بعض أقسام منه ، كان يستخدم لحبس مياه الامطار ، ونظراً لعدم كفايتها ،

هناك قناة تجلب الماء من القاع الشمالي الغربي . وهناك على وادي الشام سد بمائل لعله من العهد الروماني ، فيما وراء موقع الزلف .

السور : إن السد جزء من السور الذي تدل أكوام الحجارة على مواقع أبراجه ، وفي الشمال والشمال الغربي كان الوادي يشكل عقبة طبيعية ومع ذلك في هذه الناحية أكوام من الحجارة قد تدل على وجود الأبراج . ولا نجد أثراً للسور في الغرب والجنوب .

القبور : في الجهة الجنوبية من الخرائب عدد كبير من القبور خارج السور ، وهي عبارة عن كتل مربعة من الحجارة ارتفاعها متر أو متران تتألف حواشيها من حجارة غشيمة تحيط بكومة من الحجارة وتوجد داخلها معزبة أو اثنتان وأحياناً ثلاث مؤلفة من بلاطات كبيرة وهي أفقية ومتوازية ، وكسد القبور بلاطتان كبيرتان . والقبور كلها فارغة لعلها نُهت منذ القدم .
المساكن : كلها تقريباً عبارة عن مبان قائمة الزوايا ، غريبة جداً ، جدرانها من كتل المهل البركاني التي لا يربطها شيء ، لها باب واحد ، مغطاة ببلاطات ضخمة تستند إلى الجدران وإلى عضادة مركزية وأحياناً عضادتين متعاقبتين طولانياً ، والزوايا مقطوعة عادة بحجارة تؤلف عقداً كما أن هناك في بعض الأماكن عقوداً تحمل بلاطات السقف . وفي الجيد من هذه المباني نجد عضائد بارزة من الجدران كالمضائد الوسطى ، وارتفاع هذه الأبنية الذي لا يتجاوز ١٢٠ سم يغطيها طابعا دولمياً غريباً ، وهي ترجيحاً أبنية مؤقتة . وأمام الأبواب فسحات مسورة شبيهة بزرائب الغنم المعروفة قديماً وحديثاً في الصحراء وقد عثرنا في أحدها على جرن للحيوب .

وهناك مبان أخرى دائرية ذات عضادة وحيدة في المركز لحل البلاطات التي كسد فراغاتها بلاطات أخرى فوقها . وغالباً ما تلاحق هذه المساكن أسوار من الحجارة الصغيرة وتظهر في أمكنة ثلاثة فسحات صخرية حفرت فيها أجران يشكل أحدها ساقية صغيرة للبياء وهي ليست للطقوس بل تلائم الأعمال البيتية وبعضها نحتت أطرافه من ضرب المدقات .

المظالم المتكلسة : تغطي هذه المظالم في خربة الاونباتي عشرة آرات تقريباً مشكلة أكمة داخل الأسوار في قلب الجزء الشمالي الغربي . وقد درسنا في تموز ١٩٣٣ طبقتها السطحية وأجرينا في كتلتها سبراً وعندما عدنا بعد عدة أشهر وسعنا حفرياتنا للدراسة الأجزاء المبقية من ركام المظالم .

بدت لنا في قاعدة هذه الالكمة مجموعة من النخاريب غير المنتظمة وهي متطاولة مبنية من الحجر الغشيم جدرانها غليظة مؤلفة من كتل المهل البركاني الموضوعة فوق بعضها وارتفاعها يتراوح بين نصف المتر والمتر ، ونجد في هذه النخاريب بوضوح لمقاب الطبقات نفسه وهو :

أ : على السطح كتل بازلية ، بحجم قبضة اليد . عمق الطبقة ٤٠ سم تقريباً .
ب : عظام محروقة بعضها مشقوق طولانياً ، ملقاة شذر من لا ترابط بينها ، بضعة قرون سوداء ، كسر فخار . عمق الطبقة ٤٠ سم .

ج : عظام مسطحة ثنيت مالمها دون أن تنكسر ، تلتصق ببعضها مؤلفة كتلة واحدة منها ماتبور فأصبح سطحه أبيض أو أخضر أو ودياً . كسر فخارية . رأسا هراوتين أجاصيتين من الحجر الكلسي ، وصفيحة من العظام مزينة بخطوط محززة . عمق الطبقة ٤٠ سم .
د : عظام مسحوقة (٨ - ١٠ سم) ثم رماد أسود أو أسمر (٢ - ٣ سم) .

هـ : بازلت في مكانه الطبيعي .

ويستند ذلك في بعض الجهات على كتل بازلية قطرها ٣٠ - ٥٠ سم ، مؤلفاً قباباً غير منتظمة ومن أطراف هذه الكتل تنزل قطرات تتعلق بالسطح السفلي أو تهبط على الكتل الدنيا حيث تشكل سريراً من مادة حبيبية تكتنف العظام وتتلاحم الكتل بها . وتحت ذلك السرير طوابع ونوازل من المهل البركاني .

ويبدو أن طبقة الرماد الأسود أو الأسمر المختلط ببعض البقايا النباتية لا يمكن أن تكون نفاية احتراق الموقد الذي كلّس العظام ومبّع البازلت إذ أن ذلك يحتاج إلى ١٢٠٠ - ١٤٠٠ درجة . وليس هناك من خشب متفحم بل غصينات نباتية ، كما ليس هناك أثر كبير ، وجدوان النخاريب ليس فيها أثر يدل على تعرضها لحرارة عالية . وترتفع كتلة العظام المسحوقة أو المتكلسة إلى مترين ويقدر حجمها بسبعائة أو ثمانمائة متر مكعب ويحيط للرائي أنها نفايات الصناعة وهي عظام ثلاثين أو أربعين ألف حيوان أهلي أو بري وليس فيها هيكل واحد مجتمع وبصورة عامة يبدو أنها كومت وهي مجردة من لحومها . ووجود النخاريب الحجرية المدة لجمعها تبرهن على أن هذا التجميع هو من عمل الإنسان وقد استغرق زمناً طويلاً وغايته صناعية على ما يظهر . وعلى أي حال فإن نظرية القطمان التي فاجأها السيلا البركاني تدحضها الوقائع . ولكن هناك سؤالان هامين . كيف ولماذا جمعت عظام هذا القطيع المائل وكومت بهذا الشكل ، وما هو أصل الحرق الذي كلّسها وأحدث هذه التلة البازلية ذات العظام ؟

إن المراوة الأجاسية ذات الثقب الاسطواني ظهرت في سوريا منذ العصر الحجري النحاسي (البرونزيك) وبقيت زمناً طويلاً . ومنذ بضعة عشرات السنين كان رعاة المراق يستعملونها فهي إذن دليل تاريخي غير صالح ، أما صفيحة العظام فلملها من عصر البرونز القديم أو الاوسط . والفخار الشالم في خربة الاونباشي مكون من عجينة حمراء مشوية كثيراً لها رنين معدني داخلها أسود ممزوجة بالكلس أو البازلت المسحق وهناك كسر كثيرة منها على امتداد الخرائب ومنها ما عثر عليه في كتلة العظام المحروقة أو في المهل المائع ، ومنها كسر من جرار كبيرة مسطحة القمر وشظايا ملصقة بخطوط طويلة غير متصالية أو مخددة بدقة على القوالب ، وهناك كسر من آذان جرار مقطعة مسطح بشكل ناقص وكسر جرار كبيرة مزينة بمجذبة بارزة وغير ذلك مما يعود إجمالاً لخزف البرونز القديم ، ويمكن أن تكون الكسر ذات الجذبة من البرونز الاوسط . ولتبرير هذا الاختلاف نزد الموقع وركام العظام الى البرونز القديم الثالث ، وقد استمر عمران الموقع بعده إذ ظهرت كسر فخار أحدث عهداً ومنها ما يعود للعهد الروماني ، كما لوحظ وجود أحرف صفائية ورسوم غامضة على الكتل السطحية ، وعلى كتلة من الحجارة غير بعيدة الى الشمال الشرقي كشفت ٢٧ كتابة باليد شبيهة بالآف الكتابات التي عثر عليها في المنطقة وليس فيها كلمة تفيدنا فيما نحن بصده . وذلك يدل على أن الخرائب كانت مسكونة من قبل القبائل الرحل ، موقناً على الأقل ، خلال القرون الأولى للبلاد . ونجد داخل الاسوار زرائب للقطعان من العهد نفسه أو أحدث . وبعض البيوت ذات المضادة لا تخلو من شبه بيوت جبيل من البرونز القديم الاول ولكن لا قيمة تاريخية لذلك إذ أن السقف بالحجارة هو الذي يفرض ضرورة نقاط الاستناد جهد المستطاع .

وبدل هذا الموقع من البرونز القديم الثالث في قلب الصحراء البركانية والقطيع المائل الذي يجاوره على كثافة السكان . وهذا العهد هو العهد الذي اقتحم فيه الاموريون أو أشكوا على اقتحام حدود أراضي المدن السورية فهل هذا الموقع هو نقطة استناد لأحد قبائلهم ؟ ليس في وسعنا الآن إلا أن نطرح السؤال مع شيء من الاحتمال .

والطابع الميثاقتي الواضح لبعض الأوابد يفرض مقارنتها بالأوابد المائلة في شرق الاردن وحوارن وقد ظلت طويلاً ترد للدور الحجري الحديث (النيوليتيك) ، ودلت الحفريات الجديدة على أنها تعود للبرونز الاوسط وموقع خربة الاونباشي دليل جديد على ذلك .

أمامنا إذن سلسلة من المواقع المتشابهة بمناصرتها الميفاليتية ومظهر أوابدها البدائي موزعة في ما جاور من الصحراء لسوريا وفلسطين كمود الى نهاية الالف اثناث أو مطلع الالف الثاني ، فإذا ما صح ذلك فلا يستبعد أن تلقي دراسة تامة لموقع خربة الاونباشي ضوءاً على ما يدعي أحياناً بمحضارة الميفاليت ، فنضع في زمن محدد أوابد ما يزال زمنها مجهولاً ، كما نمين دورها في تاريخ البلاد السورية .

★ ★ ★

لقد قام مدير مخبر متحف ليون السيد س . فايلارد بدراسة العظام في خربة الاونباشي فتبين له أنها عظام أربعة أنواع من الحيوانات الثديية : الثور البدائي البري أو الاهلي وقد أهّل عند قيام الامبراطورية البابلية وهو من حيوانات الدور الرابع ، والثور ذو القرون القصيرة وعظامه تشغل أكبر قسم في الركام وهو من حيوانات الدور الرابع وما زال حتى الآن ، الماعز الشبيه بماعز سوريا الحالي ، والخروف ذو اللية الضخمة ، ويمكن التأكيد بأن حيوانات خربة الاونباشي جميعها من الحيوانات المؤهّلة .

أما السيد آ . لاكروا فقد درس العظام والبازلت فافترض أن تكلس العظام ناتج عن مواعد من صنع الانسان وأجرى الفحص المجهرى للعظام والبازلت وللتحولات التي طرأت عليه بتمثله شيئاً من العظام فظهر له أن ركام خربة الاونباشي يمثل جميع الدرجات القائمة بين العظام المتكلسة بجمارة منخفضة ٦٠٠ درجة والتي احتفظت ببنيتها المجهرية ، والعظام التي تبلورت واستدل على عدم وجود تجميع إذ يتطلب ذلك حوالى ١٦٠٠ درجة . ولم يطرأ كثير على البازلت وكانت تبرد الطوالع والنوازل بطيئاً وتحول البازلت يختلف بنسبة ما يحتويه من العظام .

وقبل السيد ج . شودرون مدير مخبر الكيمياء التطبيقية في السوربون والسيد واليس فحص العظام باشعة إكس (عام ١٩٥١) فخلصا إلى القول بأن التماذج الموجودة قد عانت درجة حرارة معادلة للدرجة تجميع البازلت .

وقال السيد و . ل . فان لير الاختصاصي في التربة في منظمة التغذية والزراعة بمدزيرة الموقع إن الركام العظامي مع البازلت المتجمع يساعدان على تحديد عمر السيلانات البركانية في المنطقة ، كما أجرى الدكتور مالهو بيطري المنظمة فحص العظام فتبين الانواع ذاتها بالإضافة إلى رضة بدير .

كما درس البروفسور هل . دوفري وج . و . بارندس من جامعة غروننغن الركام فقالا إنه بنتيجة فحص العظام بالفحم ١٤ يمكن تقدير عمرها بـ 4075 ± 160 سنة .

★ ★ ★

أما خرائب الهيرية التي تبعد عن موقع الاونباشي ٧ كم تقريباً فمساحتها أقل بكثير ، تقوم على أكمة ، وعمرانها مماثل ولكنه أكثر نهدياً نيز منه ٥ أو ٦ منشآت . والحجارة المستعملة أضخم وبلاطات السقوف لا تستند الى عضائد ومخطط الابنية أقل انتظاماً . وهناك زرائب بمداخل واسعة من حجرين قائمين يحملان بلاطة ضخمة . وكمية العظام المتكلسة في الهيرية أقل ، كما أن الكتابات في الخرائب نادرة ولكن هناك مجموعات منها في الجوار ، كما لم نعتز على أي قبر .

يرجح أن الموقعين متعاصران . وقد وجدنا على طرف الخرائب الرئيسية بناءً مربعاً له باحة جانبية ، بنيت جدرانها بأسلوب الابنية الرومانية في القرنين الثالث والرابع الميلاديين . وفي نهاية هذه الدراسة ليس هناك ما يوضح سبب تجمع هذه العظام الحيوانية ، وبما أن فرضية القطمان التي فاجأها السيلان البركاني قد استبعدت ، فيبقى احتمالان :

١ - إما أن حرق العظام من عمل الانسان أو لاغراض الصناعة وفي هذه الحالة يصعب تفسير كيفية الحصول على درجة حرارة ١٢٠٠ مدة طويلة لخلو المنطقة من الوقود وخلو الرماد من أي أثر له ولعدم وجود ما يبدل على كير . كما ان محصول العملية بقي في مكانه مكتنفاً بطبقة من الجص البازلي عمقها ٣٢ سم .

٢ - أو ان الاحتراق نتيجة لحالة طبيعية فيجب البحث في النشاط البركاني نفسه أصل الحرارة والبازلت الذي تبيع واكتنف العظام ، فقد يكون سيلان القرا قد بني عليه موقع الاونباشي ولما يزل طرياً متوهجاً مائماً تحت طبقة منه قد تخرت . أما موقع الهيرية فقد يكون قد بني فوق تفرع القرا . وفلاً نحد هناك مهل بركاني طري بقرارة في الموقعين ومن المعروف أن المهل البركاني يمكن أن يظل حاراً خلال أسابيع تحت ما تصلب من قسمه العلوي .

ولكن كيف نطل وجود ذلك ! القطيع الضخم الذي يبلغ ٤٠ ألف رأس من الحيوان في خربة الاونباشي وحدها ؟ في نطاق هذه الفرضية يمكن تعيين وت آخر الاندفاعات البازلتية ، في سوريا ، وزلازل العهد القديم قد تكون آخر مظاهرها .

حفريات الرصافة

في حريف عام ١٩٥٢

بقلم : (يوهانس كولوبنسي)

في تشرين الاول سنة ١٦٩١ سافرت جماعة من التجار الانكليز من حلب الى تدمر . وفي طريقها بين الفرات وتدمر عثرت الجماعة في الصحراء على أطلال تشغل مساحة كبيرة . وقد كتب أحد أفراد الجماعة واسمه (م . و . هاليفاكس) تقريراً الى إحدى المجلات الانكليزية يذكر فيه اسم (الرصافة) . رغم ذلك اتقضت مدة طويلة دون أن يفتبه أحد الى الأمر حتى أثار الموضوع من جديد (ف . شابو) في سنة ١٩٠٣ .

إن معرفتنا للرصافة تستند اليوم الى مصدرين أساسيين : أولاً ، كتاب (سارره) و (هركسفيلد) اللذين زارا الرصافة في سنة ١٩٠٧ ، وثانياً : الصور التي التقطها (ه . شبار) في سنة ١٩١٨ أثناء إقامته القصيرة . وفي هذين المصدرين قد تولى (س . غوير) كتابة القسم الخاص بناحية تاريخ الفن .

ويمكن أن نضيف الى مشاهدات هؤلاء الباحثين ما كتبه المستشرق الرحالة (آ . موزيل) الذي ألحق بتقريره ثبناً لكافة المراجع الممكن الحصول عليها عن تاريخ المدينة . ترجع أهمية الرصافة الى موقعها على طريق للقوافل قديمة جداً . وهذه الطريق تسير موازية للفرات ثم تفرق عنه عند (سورا) لتمر عبر بادية الشام بتدمر ودمشق . وتصل الى البحر الأبيض المتوسط .

وأقدم الشواهد على السكنى في الرصافة تعود الى القرن التاسع قبل الميلاد . ثم إن الحكم الروماني قد غني بتوسيع الطريق وبناء سلسلة من الحصون لحراستها وبذلك أصبحت الرصافة أحد هذه الحصون في منطقة الحدود العربية .

على أن الرصافة كان يمكن أن تبقى حتى في هذه الحالة عبارة عن أحد الحصون الصغيرة على هذا الخط لولا أن حادثاً آخر جعل لها قيمة خاصة : ذلك أنه مات فيها (سرجيوس) ، أحد الضحايا في آخر الاضطهادات التي تعرضت لها المسيحية على عهد الرومان .

وقد اعتبر (سرجيوس) من القديسين الذين يعبدون كثيراً في البادية والمقاطعات المجاورة في سوريا وما بين النهرين ، وأصبح قبره ، بعد مدة قصيرة ، مركزاً مزدهراً للطقوس الدينية . ان الروايات المنقولة عن موت القديس تعتبر أساطيرية . الا أنها تتضمن بعض الاشارات التي لها قيمة من الوجهة الطبوغرافية ، إذ تذكر بأن (سرجيوس) قد دفن في مكان وفاته خارج الرصافة . ويبدو أنه قد أقيمت على قبره أبدة تذكارية صغيرة منذ القرن الرابع استبدلت ، بعد مدة من الزمن ، بضريح بني داخل الحصن ، ثم نشأت بعد ذلك أول كنيسة للقديس التي نستطيع تحديد تاريخها ، لأن رسالة من اسكندر ، اسقف (هيرا بوليس) ، الذي قام بتشيدتها ، قد حفظت بين سجلات مجمع (ايفيزوس) .

في أواخر القرن الخامس وخلال القرن السادس بلغت مدينة الرصافة وطقوسها الدينية متهى الازدهار . وقد نشأت في هذا العهد ثلاثة أبنية ضخمة : (١) الكنيسة المشار اليها بحرف (B) والمبنية في أواخر القرن الخامس ؛ (٢) الكنيسة (A) في السنوات الاولى من القرن التالي ؛ ثم (٣) الضريح الذي بني في العقدين الاولين من القرن السادس . وأخيراً أنشأ (جوستينيان) ، قبل سنة (٥٤٢) ، حول المدينة السور المتين الذي لا تزال آثاره باقية حتى اليوم ، بعد أن كانت محاطة بمجدران من الطين .

ان الكنيسة (B) هي التي أنارت المشاكل في سبيل الباحثين . ذلك لأن بقاياها في حالة سيئة جداً ، لم يظل قائماً منها سوى الركنين الجنوبي - الغربي والجنوبي - الشرقي . والمحاولتان اللتان قام بهما (غوير) و (مندل) لإعادة تصميمها تختلف احدهما عن الاخرى اختلافاً شديداً مما يكتفي للبرهان على صعوبة الامر .

إنه لم يكن هناك من سبيل الى تذليل الصعوبات إلا عن طريق الحفريات . وقد تم ذلك في خريف سنة ١٩٥٢ بمساعدة «رابطة المباحث الالمانية» . ولا بد هنا من تقديم الشكر بصورة خاصة الى مدير مصلحة الآثار السورية ، السيد سليم عبد الحق ، الذي تطف بمأخذنا في أعمالنا وكذلك نشكر السادة القائمين على إدارة الآثار والمتحف في حلب . وكان اشتراك السيد الصواف من أم العوامل التي ساعدت على القيام بالحفريات . .

بدأت الحفريات في الجهة الشرقية من مجموعة الاطلال ، عند الركن الجنوبي - الغربي للكنيسة . ان طبقة الركام هنا تقارب متراً واحداً . ثم يزداد الارتفاع تدريجياً نحو الشرق حتى يبلغ (٤) أمتار . وقد عثر في التراب المتراكم على قطع من الخزف الاخضر دون زيينات وفي طبقة أعمق على قطع من الخزف السلجوقي المنقوش ومن مصنوعات الرقة .

وتبين أن تمة جدار الكنيسة الداخلي بمد الركن الشمالي - الشرقي قد تهدم حتى الاساس ثم أقيم مكانه جدار مستطيل أقل متانة من القديم . ويظهر أنه بمد تخريب الكنيسة قد استخدمت أرضها كلها لبناء دور للسكن . وبما أن الجدران الجديدة تقع على مستوى الكنيسة نفسه ، نستطيع الاستنتاج بأن البناء قد تم بعد التخریب مباشرة . أما التاريخ فيجب أن يكون قبل أوائل القرن التاسع على أقل تقدير ، لأننا نرى الاصمعي لا يأتي على ذكر الكنيسة . في الاطلال الباقية أمكن تحديد مرحلتين للبناء . فان الجدار الشمالي لهذا القسم من البناء ظهر عليه ، في ناحيته الجنوبية ، طريقة الطراز المعاري الخاص بالكنائس السورية ونعني بذلك قبل كل شيء حزام (الكورنيش) الذي يمتد في ارتفاع منتصف النوافذ وينقطع فوقها . (انظر : الصورة رقم ٩) .

أما أطراف الباب والافواس المتقاطعة في الرواق فانها مستندة الى الجدار الشمالي دون رباط ، حيث نرى الاقواس تستر (الكورنيش) . وهذا يدل على أن البناء الاول قد وسع مؤخراً بإضافة بناء جديد اليه يشمل أيضاً الرواقين في جنوبي الكنيسة وغيرها . استهدفت الحفريات في مرحلتها الثانية الكشف عن التقسيمات الداخلية للكنيسة . وبلاستناد الى آثار البناء البارزة في اليمين واليسار من المحراب نستنتج ان الكنيسة كانت مؤلفة من ثلاثة أبناء كما نستطيع أن نقيس عرض البهو المتوسط . وقد أمكن العثور في الناحية الشمالية على أسس المضائد . كذلك عثر على لوحات بلاط الكنيسة .

وفي المرحلة الثالثة من الحفريات اتجهت الجهود الى القسم الشرقي . وأهم نتيجة وصلنا اليها هنا هي اكتشاف غرفة ذات ثلاثة محاريب الى جانب المحراب الأساسي . (انظر الصورتين رقم ١ و ٢) .

إن التخریب هنا أقل مما في سائر أجزاء الكنيسة . وقد ظلت الجدران محفوظة تحت الركام وقائمة في بعض المحلات حتى الكورنيش . وكان المسكان قد ردم الى ارتفاع (٢٤٠) متراً بقطع الآجر من ذلك النوع الخفيف ، الاصفر الذي كان يستخدم في الرصافة لحشوق قب

المحاريب . وفوق هذا الركام قامت أبنية جديدة . وفي الطبقة العليا من الركام وجد مدمك من حجارة القبة الأساسية . ثم حجر من أحد المحاريب الجانبية ، وعدا ذلك كثير من مكعبات (الموزايك) . وقد لاحظت من الألوان : الأخضر والأزرق والأصفر والزيروني الناعم والذهبي . وهناك آثار من التلوين الأحمر أيضاً يمكن مشاهدتها في (الكورنيش) . أما القسم الأسفل من البناء فيظهر عليه اللون الأبيض الناصع .

هنا ، في المحراب الشرقي وجد حجر الأساس . (انظر الصورة ٣) وكان أمام الحجر لوحة كبيرة مربعة وحولها لوحات للتبليط غير منتظمة الشكل .

ويبدو من التحريات الأولية في الجهة الخلفية ثم في الزاوية اليمنى الأمامية من الأساس أن هناك طبقة من قطع الآجر الكبيرة من النوع الذي مر ذكره . وقد وجدت بين هذه القطع وعلى الأرض مربعات من الموزايك رمادية وسوداء . ولم يعثر على شيء من النحف أو النقوش الكتابية . وأخيراً يجب أن نذكر بقايا أثر في أحد الدهاليز الممتدة إلى الحجرة الجانبية من الناحية الشمالية . (انظر الصورة رقم ٤)

هناك مباحث كثيرة عن الحجرتين الجانبيتين اللتين أصبحنا منذ أواخر القرن الرابع تدخلان ، بانتظام ، في تصاميم البناء للكنائس السورية . فإذا كان الفرض منها ؟ إن الفصد من إحداها واضح حسب الأوصاف القديمة عن الطقوس الدينية . فقد كان التمامة يهبطون فيها القرايين ثم يحملونها في موكب حائل إلى المحراب . أما عن استخدام الحجرة الثانية فإن المصادر لا تذكر شيئاً . وبلاستناد إلى مقطع في مؤلفات (بولين نولا) كان قد ذهب بعضهم إلى أنه كانت تحفظ فيها الكتب والأدوات المقدسة . إلا أن (ج . لاسوس) وضع ، قبل بضع سنوات ، نظرية جديدة (١) . فهو قد استطاع بالاشتراك مع (م . تشالنكو) أن يكتشف في بعض هذه الحجرات بقايا من قبور القديسين . وقد كانت العظام المقدسة تحفظ في تابوت حجري يوضع في الغالب ، على سطح الأرض ولكنه يرفع أحياناً على ركيزتين . أما الاناء الصغير فوق غطاء بعض هذه التوابيت فقد فسره (ه . ديلهايم) بأنه كان يستخدم لصب الزيت الذي يمر بواسطة أنبوب على العظام المقدسة ثم يقطر بمد ذلك في أسفل التابوت كعلاج يوصف بقوة الشفاء الخارقة . والبناء ذو الأبرياء الثلاثة الذي عثرنا عليه في الرصافة إنما كان ، حسب اعتقاد ، ضريحاً لأحد الشهداء من هذا النوع . فقد كان يضم تابوت قديس يقصد للزيارة . ويستدل من

(١) راجع كتابه « المقدسات المسيحية في سوريا » :

J. Lassus, Sanctuaires chrétiens de Syrie, 1947.

وجود حفرتين في التابوت على أنه كان يقوم على ركيزتين . أما القناة والثقب في الوسط فربما كانت لهما علاقة بتقطير الزيت . كذلك كانت البئر من مستلزمات مثل هذه المزارات . وقد سبق أن جمع (هـ . ق . بنار) في كتابه « أقدم الكنائس في سوريا » (١) كثيراً من الأضرحة المماثلة . ونمثر في أماكن أخرى أيضاً على مثل هذه الآبار الى جانب قبور القديسين . [كما في كنيسة (ديمتريوس) بسالونيك] . أما الشيء غير المعتاد في كنيسة الرصافة فهو شكل البناء ذي الأبهام الثلاثة (Trichoros) فقد كان الأمر في جميع النماذج التي عرفت حتى الآن ، يقتصر على ردهة مستطيلة ، بسيطة دون أي زخارف معمارية .

على العكس من ذلك البناء ذو الأبهام الثلاثة . فانه ، كطراز معماري مستقل ، له تاريخ خاف في سوريا خاصة . ويكفي هنا التذكير بهذا النوع من الأبنية في (آفلا كيا) و (آفاميا) وحلب (بناء الحلوية) .

ومن الطبيعي أن يوجه البناء السؤال عن القديس المدفون في الضريح . فانه ليس من الضروري أن يكون من القديسين المحليين . وفي الحالة الوحيدة التي عثر فيها على نقوش كتابية فوق تابوت من هذا النوع ، أي التابوت الموجود في (آفاميا) ، يأتي ذكر عدد من القديسين الغريباء عن المدينة . ويحتمل أن يكون الأمر كذلك في الرصافة . رغم ذلك فهناك أدلة كثيرة تشير الى أنه قد دفن هنا قديماً (سرجيوس) قديس مدينة الرصافة . وما يؤيد ذلك العناية الزائدة بزخرفة الضريح ثم ضخامة بناء الكنيسة نفسها ، إذ انها ، مع أروقها ، من أعظم الكنائس في الرصافة . وكل المظاهر تدل على أن الضريح كان يقصد كثيراً للزيارة . على أنه لا بد من اكتشافات جديدة خلال الحفريات لبلوغ اليقين في الموضوع .

بسبب فقدان أي نقوش كتابية فانه لا سبيل إلى تحديد تاريخ بناء الكنيسة إلا بالمقارنة بين الأساليب الممارية . لهذه الغاية يحسن بنا أن نستند إلى الأجزاء التي لا تزال قائمة من الكنيسة في الناحية الجنوبية - الغربية . فانه من المقارنة بين تيجان أعمدة الكنيسة من جهة (انظر الصورتين ٥ - ٦) ، وبين أعمدة الضريح (الصورة ٧) وأعمدة المدخل الشمالي (الصورة ٨) من جهة أخرى ، يظهر لنا التشابه في شكل الأوراق المنقوشة . ثم نلاحظ القرابة ذاتها في زخارف الأقواس . (انظر الصورتين ٩ - ١٠) . إن ترتيب النقوش واحد في الأمكنة الثلاثة كما أن تركيبها جميعاً ينم عن الخيال الخصب نفسه .

نستطيع اليوم ، بشيء من الثقة ، أن نرجع بناء الضريح إلى العقد الثالث من القرن السادس . ثم بقي بعد مدة قصيرة المدخل الشمالي . وفي الوقت نفسه تقريباً تم توسيع الكنيسة (B) بإضافة الرواقين الأماميين في الجنوب والغرب .

إن هذه الأجزاء من البناء تمتاز بوضوح عما يماثلها من قطع في الناحية الجنوبية - الشرقية من ردهة المهراب . فأوراق (شوك اليهود) على تيجان الأعمدة هنا مسطحة وبأسية ، كما أن رؤوس هذه الأوراق لا تتلاقى خلافاً لأشباهها . كذلك تلاحظ الضالة وجذب الخيال في زخارف (الكورنيش) والأقواس ، (أنظر الصورة ١٢) بالنسبة إلى الأقواس الزاخرة بالنقوش في الرواق الغربي . وعبثاً نفتش هنا عن التضاد الواضح بين النور والظل الذي يجده في المرحلة السابقة على أن الفاصل الزمني بين المرحلتين ليس كبيراً . فإن تاج المود عند المهراب الأساسي (الصورة رقم ١٤) لا يختلف كثيراً عن التاج المائل في الضريح (الصورة رقم ١٣) كما أن التاج الثاني في ردهة المهراب (الصورة ١١ إلى اليمين) ، بأوراقه المقطعة وتجويفاته المحروطة ، يكاد يتكرر هو نفسه في أعمدة الباحة الداخلية عند المدخل الشمالي (أنظر الصورة ١٤) . وهنا ملاحظة ثانية تدفنا إلى هذا الاتجاه . فقد سبق لنا الكلام عن (الكورنيش) الذي عند حزام يربط بين أقسام الكنيسة الأولى ويحيط بها . وهذه الظاهرة في الفن المماري السوري يمكننا متابعة تطورها بكثير من الدقة . فانهما لم يكن لها بعد من أثر في النصف الأول من القرن الخامس . إن الزخارف حتى ذلك العهد كانت تقتصر على أطراف الأبواب بينما كانت الجدران وأطراف النوافذ تبقى خالية من التزيينات . وأول نموذج لا يطر النوافذ نجده في بناء حمامات (سرجلا) المدنية (في سنة ٤٧٣) وأعني بذلك النافذة المزدوجة في الواجهة الشرقية .

أما حزام الكورنيش الممتد على الجدار كله مع حزام ثان تقوم عليه النوافذ ، ثم القاعدة البارزة فانما نصادفها لأول مرة في (باصوفان) سنة (٤٩٢) .

ومنذ ذلك التاريخ نرى حزام (الكورنيش) في جميع الأبنية الكبيرة التي نشأت حوالي نهاية القرن الخامس . والكنيسة (B) في الرصافة ، بتطبيقاتها الزخرفية القليلة نسبياً ، تمثل لنا مبادئ التطور الجديد . وأقرب الاحتمالات هو أنها قد شيدت في العقد السابع من القرن الخامس . وبذلك ينفى كل إمكان في أن تكون هي نفسها التي بناها الاسقف (اسكندر) . وسيكون هدف الحفريات الجديدة توضيح أوائل تاريخ الرصافة في العهد المسيحي ...

(تعريب وتلخيص : طامل عباد)

وصف نتائج الحفريات في الرصافة

بقلم (و . مولر - وينبر)

بعد التنقيبات في خريف ١٩٥٢ أمكن تكوين صورة واضحة عن أساس الكنيسة في قاطع الهامة ، (انظر اللوحة رقم ١) والتميز بين مرحلتين في بنائها : أولاً ردهة قديمة ذات ثلاثة أجنحة مع قسم شرقي من خمسة أجزاء غني بالزخارف ؛ وثانياً : الازوكة التي بنيت لتوسيع الكنيسة القديمة من الجهتين الجنوبية والغربية . وفي الابنية جميعها استخدمت المادة نفسها التي كانت شائعة في سائر أبنية المدينة وأعني بذلك نوعاً من الجبس الخشن والناعم المتبلور . ان هذا الحجر شديد التأثير بالتقلبات الجوية . لذلك فان مساحات كبيرة قد نأكلت أو تفتتت في جميع أقسام البناء ، وبالدرجة الاولى عند أطراف النوافذ والابواب الفنية بالنقوش البارزة والزخارف . أضف الى ذلك أن كافة الأقسام التي لا تزال قائمة قد انحرقت عن وضعها الأصلي وتداخل بعضها في الآخر قليلاً أو كثيراً بسبب الزلازل والانخفاضات وما شابهها .

نلاحظ بالاجمال ان الحجارة قد اعتتي كثيراً بنحتها ورصفها . أما الطبقات فان كل واحدة في ذاتها متساوية الارتفاع بوجه عام ، الا أن هناك اختلافاً بين طبقة وأخرى إذ يتراوح السمك بين ٥٠ - ٨٥ سنتيمتراً .

تتألف الكنيسة القديمة من ردهة بسيطة ، مستطيلة ذات ثلاثة أهباء (يبلغ عرض البهو المتوسط ١٣.٨ متراً وعرض كل من البهوين الجانبيين ٥.٧ متراً في الشمال و ٥.١٤ متراً في الجنوب) . ومجموع العرض ٢٨ متراً تقريباً ومجموع الطول ٤٣.٥ متراً .

ان الجدران الخارجية للردهة حتى الأساس قد زالت عدا قسم في الجهة الجنوبية - الغربية يبلغ ارتفاعه ٦.٥ متراً تقريباً وطوله ١٠.١٠ متراً . والأزجج أن تكون حجارة تلك الجدران قد استخدمت في بناء المساكن أو في ترميم الكنيسة المسماة باسم (سرجيوس)

وفي القسم القائم من الجدار نجد نافذتين مع بقايا من الترتيب المتأد في الكنائس السوربية (أنظر الصورة رقم ٩) ، أي الحزام البارز الذي يبلغ عرضه ٦٠ سانتيمتراً والذي يمتد على طول الجدار في ارتفاع أسكفة النوافذ ثم يحيط بالاقواس المدورة فوق النوافذ وبزاوية الجدار .

كذلك قد زالت المضائد الداخلية الردهة عدا الاعمدة الملاصقة للجدار في الناحية الشرقية . وإنما أثر على قسم من الأساس يبلغ عرضه ١٠.٧ متراً ويقع في المكان المفروض أن تقوم عليه المضائد الشمالية والذي وجدت فوقه بعض اللوحات المربعة التي تستند إليها المضائد الداخلية . على أن أعمال التنقيب في هذه الناحية لم تنته بعد .

لا نجد كذلك أي أثر للجدار الملوي الذي يجب أن يكون متصلاً بالاقواس المدورة . وفي النهاية الغربية الردهة وجدت ، تحت مستوى الكنيسة ، بقايا أربع حجرات ذات قباب كان يدخل إليها من أبواب في الجدار الغربي . وإحدى هذه الحجرات مازالت سليمة بينما تهدمت الثلاث الأخرى . ولم يمكن حتى الآن معرفة الغرض من هذه الحجرات .

تبدو أشكال الامكنة أكثر وضوحاً في الجهة الشرقية . (أنظر اللوحة رقم ٢ - A و B) . إننا نرى في الوسط المحراب على شكل نصف دائرة يتصل به في كل من الجانبين غرفتان ، كما إن هناك في الجنوب درج حلزوني بين المحراب وبين مجموعة الامكنة المجاورة .

يفصل بين المحراب والردهة المستطيلة عضائد مسطحة ، تبرز زواياها من الجهتين ولها تيجان قريية من الطراز الكورنثي ، ثم يرتفع فوقها قوس كثير النقوش والزخارف . وقد تجمع عند المحراب الركام المؤلف من الحجارة التي تساقطت من السقف المبني على شكل نصف قبة . ولم يمكن حتى الآن معرفة الأبعاد إلا بصورة تقريبية . ولكننا نلاحظ بأن عمق المحراب أعظم من قطره مما يدل على أن المركز في نصف دائرة المحراب يقع داخل المحراب نفسه . ويقابل الشكل المدور الداخلي محيط خارجي يشبه الدائرة . وقد فتحت في الجدار الخلفي عدة نوافذ (الأرجح أنها ثلاث) . وهناك (كورنيش) عريض ، مزخرف بارتفاع الاسكفة يفصل بين جدار المحراب من جهة وبين نصف القبة القائمة على الجدار والتي تدل البقايا الموجودة منها على عناية زائدة في بنائها . على أن هذا الكورنيش يصطدم في نهايته ،

دون أي تجانس ، بتاج المضادة القائمة في الزاوية (أنظر الصورة ١٢) . وقد وجدت بين بقايا القبة بقعة كبيرة مرقمة بقطع مسطحة من الآجر المشوي .

يتصل بالمحراب مباشرة في الجنوب كتلة جدار ضخمة ، هي أعلى قسم مازال قائماً من البناء ، لتشتمل على درج حلزوني وعلى عدة دهاليز ذات قباب بعضها فوق بعض . في أسفل قسم من هذه الكتلة يتجه دهليز مستقيم ، قصير من المحراب الى الحجرة الجانبية الاولى . وفي منتصف هذا الدهليز يتفرع ، بزاوية قائمة ، ممر الى الدرج . والدرج نفسه يدور حول عمود في الوسط يبلغ قطره (٧٤) سانتيمتراً وعرض الدرجات أيضاً (٧٤) سانتيمتراً . ونرى أن كل درجتين مصنوعتان من كتلة واحدة يبلغ علوها (٤٣ - ٥٠) سانتيمتراً . وطبقات الجدار المحيط مناسبة في سمكها مع علو كتلات الدرج . وفوق الممر الأسفل يمتد دهليز منحرف بزاوية قائمة يقودنا الى الطابق الاول . وفي جدار هذا الدهليز المنحرف نحو الردهة قد فتحت نافذة صغيرة ، ضيقة ، نصف مدورة في أعلاها يمكن الاشراف منها على البهو المتوسط . وفوق هذا الدهليز يمتد دهليز آخر عمائل ينتهي بثلاث درجات الى الأسفل ولكنه قد أصابه كثير من الخراب .

وبعد كتلة الدرج هذه تأتي الحجرة الجانبية الاولى . وهي مكان منحرف الزوايا يبلغ عرضه ٨٦ ، ٤ متراً وطوله ٥٠ ، ٥ متراً . وفي هذه الحجرة باب واسع ، محاط بزخارف بارزة وفوقه قوس نصف مدور تنتقل منه الى البهو الجاني . وفي الجدار الشرقي نافذتان مرتفعتان نسبياً يملوهما قوسان مدوران ولا تحيط بهما الزخارف المتتادة الا من الجهة الداخلية وفوق هاتين النافذتين مباشرة نجد صفاً من (١١) ثقباً للروافد يتراوح حجمها بين ١٧ و ٢٦ × ٣٠ سانتيمتراً .

في الطابق الاول أيضاً نجد نافذتين في الجدار الشرقي ولكنها قريبتان احدهما من الاخرى أكثر من النافذتين في الطابق الارضي ، كما إنهما خاليتان من الزخارف . والجدار فوق هاتين النافذتين قد تهدم ولذلك لم يكن من الممكن العثور على ثقب الروافد السقف . والى جانب هذا المكان ، الذي نستطيع أن نقول ، مع كثير من الاطمئنان ، بأنه كان مخصصاً لتهيئة الطعام المقدس ، يأتي في الجهة الجنوبية مكان آخر يكاد يكون مربعاً أيضاً تبلغ مساحته ٥ ، ٢٨ × ٥ ، ٠٦ متراً ازداد اسعاً نحو الشرق بإضافة محراب نصف مدور

ونحو الجنوب بمحراب مسطح ، مستطيل . والمنفذ الوحيد الى المسكان هو باب صغير في الجدار بين هذا المسكان وغرفة التحضير .

وفي الجدار المتجه الى الغرب قد اقتصد محرابان مسطحان وفوقها نافدتان . وكذلك في محراب الجدار الجنوبي نجد نافذتين متوجتين بالزخارف المتعقدة . وقد سقف المحراب بنصف قبة مصنوعة من حجارة ألقن نحتها . وهنا أيضاً ، كما في المحراب الاساسي ، يفصل بين الجدار والقبة (كورنيش) منخرف يصطدم بتيجان المضائق المسطحة .

كذلك يقوم القوس هنا ، كما في المحراب ، على عضائد ذات تيجان من الطراز الكورنيش وقواعد بارزة الزخارف ، مرتفعة أكثر من المعتاد . وعلى الحجر الأعلى في نصف قبة المحراب يبدو الصليب ، رمز المسيحية الى جانب التزيينات الدائرة المقتبسة عن الفن اليوناني القديم . (انظر اللوحة ٢ - A) .

أما في الشمال فإن الاماكن الملاصقة للمحراب قد تهدمت أكثر من غيرها ، وكانت قبل الحفريات مستورة بالكلية تحت الركام . هنا تصادف أولاً مكاناً ذا ثلاث قبب يتصل بدهليز مع المحراب الاساسي . وفي حجرة داخلية عرضها ٥.٠١ متراً وطولها ٥.١٠ متراً نجد ، في الجنوب والشمال ، محرابين متساويين على شكل نصف دائرة يبلغ قطرها ١.٧٣ متراً ، وفي الشرق محراباً أصغر قطره ١.٤٣ متراً .

وجميع هذه المحاريب تشبه المحراب الاساسي من كافة الوجوه .

لم يكن من الممكن الوصول الى الأرض المبلطة بلوحات الحجر دون نظام إلا عند المحراب الشرقي . وهنا عثر على لوحة أساس مستطيلة حفر في زواياها أربع تجويفات مربعة الشكل تقريباً (حجم اللوحة ٠.٧٥ × ١.٥٢ متراً) . ومن منتصف طرف اللوحة تمتد قناة ضيقة الى قبة في الوسط . (انظر الصورة رقم ٣) .

وفي المكان المستطيل الملاصق من الشمال والذي يبلغ عرضه ٣.٦٢ متراً نجد أيضاً على الجدار الشرقي آثار زخارف معمارية لم يكن من الممكن حتى الآن فحصها بدقة . وقد أضيفت الى هذا البناء القديم أروقة أمامية وحجرات في الجنوب والغرب . فبنت في الجهة الغربية سبع حجرات جديدة أصغر من القديمة الموجودة في الطابق السفلي . وهي أيضاً مسقوفة بقباب . وفي منتصفها نجد نصف قبة ملتصقة بالجدار الغربي القديم يبدو أنه كان يقوم فوقها درج

كبير مكشوف . ولكل واحدة من هذه الحجرات ، كما هو الامر في القديمة ، باب والى جانبيه نافذتان ضيقتان .

بسبب كثرة الركام في الجهة الغربية جميعها وفي كل من الحجرات لا يمكننا بعد أن نقول شيئاً عن موقعها بالنسبة الى الشارع وعن الاغراض التي كانت تستخدم فيها وعن تكوينها . كذلك لم نستطع حتى الآن توضيح الصلة بين الكنيسة والابنية المحيطة بها في الجهة الجنوبية . ومن المحتمل أن تكون قد وضعت أمام الأروقة هناك درجات تقود الى الشارع أو الى باحة . وفوق الحجرات في الجهة الغربية ترتفع آثار أعمدة أمكننا الكشف عن قواعدها التي تأكلت بصورة شديدة . وقد صعب علينا أن نحدد بالضبط النهاية الشمالية للرواق الذي كان قائماً هنا . وكل ما عثرنا عليه قطعة قصيرة من بقايا جدار وعمود (من نوع الثلاثة أرباع) . والى الشمال من الجدار الخارجي الشمالي في البناء القديم نرى مكاناً مفتوحاً نحو الشرق والغرب تقوم عليه أقواس غنية الزخارف . ولكن كثرة الركام لم تسمح لنا بعد بمعرفة القصد من هذا المسكن .

وفي الزاوية الجنوبية - الغربية أضيف الى بناء الكنيسة القديم دهليز يبلغ طوله ١٣,٩٩ متراً ويتراوح عرضه بين ٤,٢٥ و ٤,٣٩ متراً . وقد قسم الى ثلاثة أقسام بواسطة أقواس متقاطعة غنية بالزخارف وبالنقوش البارزة من الجهة الشرقية فقط . (أنظر الصورة رقم ٩) ومن المؤسف أن هذه الأقواس قد تهدمت منذ عهد قريب . والجدران الخارجية لهذا المسكن تمتد بعد الزوايا وتنتهي الى أعمدة الرواقين الاماميين . ويمكن الدخول من الرواقين الى الحجرة الجنوبية - الغربية بواسطة بايين كبيرين . ونرى على باب الرواق الجنوبي نقوشاً بارزة كما يقوم فوقه قوس لتخفيف الضغط عليه . ويتبين من القاعدتين الباقيتين على حالتها الأصلية في الرواق الجنوبي أن المسافة بين الأعمدة كانت تبلغ ٦,٥ متراً أي أنها مساوية لما يماثلها في ردهة الكنيسة الطويلة .

ان النتائج الاولى للحفريات لا تسمح لنا بعد بإعطاء تفصيلات أكثر دقة عن الكنيسة وعن زخارفها . ولكن من المنتظر أن تؤدي الحفريات والتنقيبات القادمة في خريف ١٩٥٤ الى توضيح أمور عديدة أخرى .

(تعريب وتلخيص : طامل عباد)

تحريرات تاريخية وأثرية

عن مدينة كورس

بقلم : ادسون فريزول

تلفيض وتصريب : جورج مداد

لم تسترع مدينة كورس القديمة اهتمام المؤرخين وعلماء الآثار كما ان استكشافها لم يحصل إلا بصورة جزئية وغير كافية . وتقع خرائبها على بعد ما يقرب من سبعين كيلومتراً عن حلب ولا ييسر الوصول إليها في موسم الأمطار كما ان طريقها صعبة وأراضيها وعرة ومنزلة عن طرق المواصلات الحديثة . وقد بدأ العهد الافرنجي للدراسات الأثرية في بيروت بأعمال الاستكشاف في هذا الموقع على اثر اتفاق جرى في عام ١٩٤٢ مع مديرية الآثار العامة في سورية وفي العام التالي بدأ أول موسم للحفريات . ومع أن أعمال التنقيب والحفر لم تقنه بعد فانه يمكن منذ الآن إعطاء فكرة عما تم بـنتيجة حفريات ١٩٥٢ - ١٩٥٣ كما افنا سنأتي في القسم الاول من هذه الدراسة على تلخيص معالم تاريخ مدينة كورس كما ترويه النصوص الأدبية وغيرها لما لذلك من فائدة في فهم نتائج الأعمال الأثرية .

النسم الاول - لمحة عن تاريخ مدينة كورس

١ - كورس في العصر الهلنستي (حوالي ٣٠٠ - ٦٥ ق.م)

ليس لدينا عن تاريخ كورس سوى اشارات متفرقة في مؤلفات الكتاب اليونان والرومان والسريان والعرب . ولم يهتم بهذه المدينة اهتماماً مباشراً إلا الاسقف ثيودورت الذي كان يشغل أسقفيتها في القرن الخامس وترك لنا بعض معلومات عنها ولكنها تتعلق بالفترة البيزنطية . ويقتصر المؤرخ بروكوبيوس على ذكر أعمال الامبراطور يوستنيان في هذه المدينة . وفيما سوى

المصادر الادبية فان النقود والكتابات الاثرية اليونانية واللاتينية تعطينا بعض المعلومات وخاصة في العصر الروماني .

لا تذكر النصوص تأسيس مدينة كورس ويبدو أن أصل المدينة لم يكن معروفاً بصورة صحيحة في المصور القديمة نفسها حتى ان البعض تساءلوا اذا كانت قد أسست قبل قيام دولة السلوقيين . على انه يظهر من جهة أخرى ان المكدونيين هم الذين أسسوا مدينة كورس وان اسمها هو اسم موقع في مكدونيا ولا يوجد دليل عن وجودها قبل العصر السلوقي . ولسنا ندري اسم مؤسس هذه المدينة ، والمؤرخ أبيان لا يذكرها بين المدن التي أسسها سلوقس الاول نيكاتور . وهناك اشارة متأخرة المدينة في تاريخ بوليبيوس بمناسبة ثورة عسكرية في عام ٢٢١ ق . م في عهد انطيوخس الثالث حيث كان بين الجنود المتمردة في معسكر أفامية ستة آلاف من كورس والاضلج من منطقة كورس كلها مما يدل ان المدينة كانت قائمة في ذلك الوقت . وتوجد اشارة الى هذه المنطقة نفسها في الاخبار التي أوردها المؤرخ بلوطرخس عن عمليات ديمتريوس بوليوركتس في جبال الامانوس عام ٢٨٦ ق . م . ولكن هذه الاشارة ليست بدليل عن وجود منطقة بهذا الاسم في ذلك العام لأنه يجوز أن يكون المؤرخ قد أطلق على تلك المنطقة الاسم الذي عرفت به في عصره أي بعد العصر الذي حصل فيه الحادث بنحو ثلاثة قرون . ومن جهة أخرى فان سكوت المؤرخ أبيان لا ينفي تأسيسها في عصر سلوقس الاول لأن أبيان لم يهتم بذكر جميع المدن التي بناها سلوقس وانما اهتم أكثر بذكر أمثلة عن أصل أسماء تلك المدن . ونشير الدلائل الى ان هذه المدينة بنيت في الفترة المكدونية الاولى لأن المكدونيين لم يؤسسوا مدناً بعد نهاية القرن الثالث كما ان سلوقس لا يلاحظ ضرورة تأسيس موقع حربي في تلك المنطقة بسبب حرصه على حماية مدينة انطاكية من جهة الشمال . وسور مدينة كورس شبيه في جهازه الدفاعي بسلوقية التي بناها سلوقس مؤسس السلالة السلوقية . ولا ندري بالتأكيد الولاية التي كانت ترتبط بها مدينة كورس لأن الغموض في النصوص لا يساعد على معرفة جغرافية سورية الشمالية من الوجهة الادارية معرفة تامة . فهناك أربع ولايات كانت تكون قلب المملكة السلوقية وتشتمل المدن الاربع الرئيسية : انطاكية وسلوقية وأفامية والاذقية ، ولكننا لانعلم الولاية التي ترتبط بها كورس . وهناك من يظن أنها كانت خارج هذه الولايات الاربع بينما يرى البعض الآخر انها كانت مركز احدي هذه الولايات . ومما يكن فانها كانت على ما يبدو مدينة هامة غير انها انحطت وأخذت تفقد مكانتها في أواخر

العصر الهلنستي . وكانت لا تزال ذات شأن في منتصف القرن الثاني ق.م طالما انها كانت تضرب النقود في عهد الملك اسكندر بالاس . ولم تتمتع بهذا الامتياز سوى المدن الفينيقية والمدن الاربع في شمالي سورية بالإضافة الى كورس . وقد عمل انحطاط سلطة السلوقيين بعد معاهدة أفامية في ١٨٨ على إبراز صفة كورس العسكرية لانها أصبحت أقرب مكان للحدود الشمالية بعد فقدان آسية الصغرى وأم قاعدة عسكرية تتجمع فيها الجيوش لأجل الحملات في تلك المناطق . غير ان الفوضى التي انتشرت في الدولة السلوقية وانضمام سورية الموقت الى ارمينية أقعد كورس أهميتها واختل فيها الأمن وعاث المصريون ورؤساء المصائب في منطقتها كما يشهد بذلك الجغرافي سترابون وأقاموا أنفسهم حكماً في بعض الأحيان وأصبحت كورس مدينة هزيلة عندما أتى الرومان بعد أن غادرها سكانها المكدونيون بسبب دعوتهم الى الجندية حتى ان سترابون لم يذكرها بل ذكر مدينة أخرى اسمها جندارثس وقال انها حصن منطقة كورس . ولا نعلم شيئاً بالتأكيد عن نظام حكم مدينة كورس وعمّا اذا كانت تتمتع ببعض الامتيازات . أما بشأن حياة المدينة في العصر الهلنستي فإن تقودها تعطينا دليلاً عن حياتها الدينية وذلك بسبب وجود صورة أثينا حاملة الظفر منقوشة على تقودها بالإضافة الى صورة الاله زفس . ويتضح من هذا النقش كما يتضح من بعض النصوص الأدبية ان كورس كانت مركزاً هاماً لعبادة الالهة أثينا وانها كانت تضم معبداً خاصاً لهذه الآلهة .

٢ - كورس في العصر الروماني (٦٥ ق . م حتى نهاية القرن الرابع م) :

رأينا أن تأسيس مدينة كورس تفسره اعتبارات عسكرية وعندما تستعيد مكائنها العسكرية الاولى في العصر الروماني فانها تصبح من جديد مدينة هامة في سورية . ولم يؤثر تنظيم بومبيوس لسورية الرومانية على حقيقة الوضع في كورس ، واستمر انحطاط هذه المستعمرة المكدونية ولم تفته أعمال المصائب بمجرد بدء الحكم الروماني وتشهد بذلك أقوال شيشرون الذي كان يحكم كيليكية . وكان الامراء المحليون لا يترفون بالسلطة الرومانية وكثيراً ما كانوا يتفقون مع الفرتيين أعداء الرومان . وقد هاجم الفرتيون شمالي سورية واجتاحوا انطاكية في ٥٢ ق . م وكذلك احتلوا سورية في عام ٤٠ ق . م وكانت منطقة كورس مسرحاً للقتال بين الرومان والفرتيين في السنة التالية وسامت حالتها . وهناك نص هام في تاريخ تاسيتوس يذكر استخدام كورس من جديد كمركز حامية عسكرية وذلك في عام ١٧ أو ١٨ م حين يتكلم عن الفرقة العاشرة الفراتية في كورس وهو أول ذكر لاقامة هذه الفرقة في سورية . وكان موقع كورس

جد مناسب لمراقبة منطقة الفرات ولتنغلية مركز انطاكية . والذي يهمننا في ذلك هو ان إقامة الفرقة الماشرة أعاد لكورس ازدهارها بالرغم من أنها لم تحصل على وضع خاص ولم تضرب النقود في هذه الفترة الاولى من الحكم الروماني التي تنتهي في عام ٧٠ م .

وقد جعلت الفرقة الماشرة بعد عام ٦٦ م تحت قيادة فباسبسيان لأجل الحرب ضد اليهود ، وعندما انتهت هذه الحرب لم تعد الى كورس وإنما بقيت في منطقة اليهودية . ويتضح من النقوش الاثرية المتعلقة بالجنود ووكلاء الضباط أن كورس ظلت تلعب دوراً هاماً في الشؤون العسكرية بعد عام ٧٠ كما تدل الكتابة التي اكتشفت في ١٩٥٢ ان كورس كانت مركز تجمع الجنود في حملة الامبراطور تراجان على ارمينية في عام ١١٤ . وهكذا فإن كورس كانت طريقاً من طرق القامحين لغزو سورية ومن جهة أخرى كانت مرحلة هامة على الطريق من انطاكية الى زوبكا Zeugma التي أسسها سلوقس على الفرات وأصبحت مفتاح المنطقة الملياً للرافدين وظلت كذلك حتى نهاية القرن الثاني . وكان أحد الطريقين الهامين بين انطاكية وزوبكا يمر بكورس وكلاس ، غير ان زوبكا تفقد أهميتها العسكرية في القرن الثالث كما يقول كومون Cumont وتصبح هيرابولس (منبج) مركز تجمع الجيوش عند الفرات وذلك بسبب بناء طريق يبروية (حلب) الى هيرابولس وهو أقصر من الطريق الآخر ويمر في منطقة السهول التي زالت منها الاخطار في عهد سبتيموس سيفيروس . وقد تأثرت كورس بهذا التحول الذي جعل من منبج المركز الحربي الأكثر أهمية في مطلع القرن الثالث ثم جعلها المركز الاداري الهام في نهاية القرن عندما أوجدت مقاطعة الفرات . على ان كورس ظلت مدينة ذات شأن في عهد أسرة سيفيروس وكانت تضرب النقود كما كانت تفعل منبج والمدن الاخرى الهامة مثل انطاكية واديسا واللاذقية . ويظهر الامبراطور في هذه النقود حاملاً سلاحه ويختص هذا المظهر كما يقول سيرينج بالمدن التي مر فيها الامبراطور بطريقة الى القتال أو أثناء استعراضه وتفتيشه للقوات الحاربة .

ولم تكن كورس قاعدة حربية فحسب وإنما كانت على طريق التجارة بين انطاكية والبلاد السورية من جهة وبين الفرتين وبلاد الرافدين من جهة أخرى وكانت إحدى طرق هذه التجارة تمر بزوبكا على الفرات وكورس كما أنها كانت تمر بدمر والبادية او بدورا ادربوس وحلب . وكانت طريق كورس أسهل بالنسبة لعدم استتباب الامن في المنطقة الواقعة شرقي حلب في القرن الثاني وربما كانت الرغبة في تأمين التجارة بواسطة طريق زوبكا

أحدى العوامل التي دعت الى جعل مركز الفرقة العاشرة في كورس . وحتى عندما أصبحت منبع ذات شأن فإن المحاصيل الآتية من المناطق الشمالية مثل أرمينية وكوماجين وغيرها ظلت تمر بكورس وكانت هذه ملتقى ست طرق تتفرع الى مختلف المناطق المجاورة . وليس لدينا مع ذلك من نصوص تتعلق بأهمية كورس الاقتصادية والكتابات الأثرية من كورس قليلة على كل حال غير أن مجموعات نقودها مهمة وتشهد بازدهارها الاقتصادي . وقد دلت هذه النقود على وجود عبادة محلية لاله زفس حتى أن البعض زعموا أن المدينة كانت من المناطق المخصصة للمعابد وكانت مثل هذه المناطق كثيرة في سورية . وقد ظهر معبد زفس على نقود الإباطرة باسم فيليب وإذا صح أن معبداً جديداً قد بني في هذا العهد فإن ذلك يشهد بازدهار المدينة قبل أزمة القرن الثالث . ومن الأمور التي لها أهميتها أن المدينة كانت تمتد من جملة مواطنها في القرن الثاني أفديوس هلبودورس وابنه أفديوس كاشيوس وهو القائد الذي كان يتنافس الإمبراطور ماركوس أوريليوس وقد ولد في كورس . وتدل ثقافتهم والوظائف التي احتلوها أن كورس كانت تضم طبقة يورجوازية رفيعة في مستواها وإنها لم تكن مدينة صغيرة . وتشهد بازدهارها وأهميتها رسالتان كتبها ليسانوس الأنطاكي في القرن الرابع يقول فيها أن كورس المدينة الصغيرة الآن كانت مدينة عظيمة الشأن فيما مضى ويشير بذلك الى ما كانت عليه في القرنين الثاني والثالث .

ويحصل حادث هام في أوائل القرن الثالث وهو ظهور الدولة الساسانية في ٢٢٧ بدلاً من الدولة الفرثية ويهشن الساسانيون غاراتهم على سورية في عهد شابور الأول ويأخذون أنطاكية . وبالرغم من شجاعة أذينة وقوة الإمبراطور أورليان والتخلص من الخطر الفارسي فإن سورية الشمالية وكذلك كورس تأثرت بهذه الهجمات . وقد احتل الفرس كورس في ٢٥٦ ويشهد بذلك نقش رسم قرب برسبولس والأغلب أنهم احتلوها مرة ثانية ، ويشير النص الى أن شابور أحرق وفتح مدناً كثيرة وجعلها خالية من السكان . وكان هذا من أسباب انحطاط كورس وعدم ذكرها منذ ذلك الحين بالإضافة الى تحول الطريق العسكرية الى حلب ومنتج وققدان كورس مكاتماً الحريرة . كذلك ضعفت المبادلات التجارية نتيجة المدا بين الساسانيين والروم خاصة بعد زمن قسطنطين حين أصبح المدا دينياً أيضاً وأصبح الشرق الأوسط مسرحاً للغزوات والازمات الكبرى . وأوجد التنظيم الإداري ولاية الفرات الجديدة قبل عام ٣٥٠ م وعاصمتها منبع (هيرابولس) وأصبحت كورس من مدنها . وكان أصحاب

الشأن يهتمون بالدفاع عن جبهة الفرات ويرغبون في تقرب مركز الولاية من هذا النهر . وعند ما يزحف الامبراطور كونستانس نحو اديسا في ٢٦١ كان كورس لا تظهر في عداد المدن التي مر بها وفي نهاية القرن الرابع تحصل هجمات الفرس من جديد والهون كما آت المنازعات الدينية العنيفة تقوم في سورية الشمالية . وقد يكون انحطاط كورس أيضاً ناشئاً عن هذه العوامل . ومع ذلك فان لدينا ذكر أربعة أساقفة في كورس قبل عام ٤٢٣ وأولهم يذكر في ٣٢٥ وبدل تنابح الاساقفة في المدينة ووجود عدد من النساك حولها على أنها كانت لا تزال قائمة .

٣ - كورس في العصر البيزنطي (من بدء القرن الخامس حتى ٦٣٧)

إن معلوماتنا عن هذه الفترة تفوق ما نعلم من تاريخ كورس في سائر عصورها . ذلك لان المؤرخ الكنسي تيودورت قد خصص قسماً هاماً من تاريخه للشؤون الكنسية المتعلقة بكورس حيث كان أسقفاً . غير أن تيودورت عند ما يذكر كورس لا يفيدنا سوى عن ناحية تطور المسيحية وحركة الرهبانية في هذه المنطقة وهو يتحدث عن الشخصيات الدينية والقديسين والمباني الدينية والزوار الذين كانوا يقصدونها ولكنه لا يطلعنا عن علاقتها بالعالم الخارجي كما أن الفترة التي يصفها تتراوح بين أواخر القرن الرابع والنصف الاول من القرن الخامس . وقد أصبح تيودورت أسقفاً في ٤٢٣ على ما يظهر وظل في الاسقفية نحو ثلاثين سنة . وهناك أسقفان آخران وصلتنا أخبارهما قبل عصر يوستينيان وهما يوحنا الاول في ٤٧٨ وسرجيوس الاول قبل ٥١٨ . ويشهد بأهمية كورس النسبية حادثان أولهما انقراض مجمع كنسي فيها عام ٤٨٠ وثانيهما أن المدينة أصبحت في تاريخ بصعب تحديده « مدينة مستقلة داخلياً » . ويمتد تيودورت بالفرق بين كورس وبين مدينة مثل انطاكية على أنه يشبه منطقة كورس بفردوس تزدهر فيه الفضائل التي عمل على نشرها جماعة مثل مارون والناسكة دوميننا وغيرها من الرهبان والنساك . وكان يتبع كورس ثمانمائة مركز كنسي ويذكر تيودورت كنائس عديدة في كورس منها كنيسة القديسين كومس وديميانس كما يذكر حول المدينة كنائس ماركيانوس ومارون وغيرها . وفي كلامه عن ماركيانوس يعطينا بعض معلومات عن الطبقات الاجتماعية في المدينة وعن وجود طبقة ارستوقراطية غنية ذات مكانة بارزة كالطبقة التي انتسب اليها ماركيانوس . ويذكر تيودورت بعض الاشغال العامة المفيدة التي قام بها كالحمامات العامة والجسور وقناة المياه مما يدل أن المدينة كانت آخذة بالانحطاط

قبل عصره . وقد أدى التنظيم الجديد في منتصف القرن الرابع الى تقسيم مقاطعة كورس القديمة الى قسمين يتبع احدهما مقاطعة منبج والآخر في الجنوب الشرقي يتبع مقاطعة سورية الاولى . وعمل هذا التقسيم على عزل كورس في القسم الخارجي من مقاطعة الفرات التي مركزها منبج . وبفتخر قيودورت بأنه دافع عن منطقته ضد المرتقات من آربوسية وماوبة وماركيونية . وقبل زمن يوستنيان بقليل صادفت مواعظ سفيرس الانطاكي زعيم المونوفيزيين في ٥١٣ نجاحاً عظيماً في كورس . وأوجدت هذه المرتقات اضطرابات وفلاقل وعطلت نمو المدينة الطبيعي بالرغم من الهدوء النسبي من جهة الفرس الساسانيين في القرن الخامس .

ولدينا اشارة الى كورس في كتاب المباني الذي وضعه بروكويوس مؤرخ عصر يوستنيان ويقول هذا المؤرخ انه في بدء حكم يوستنيان لم تكن كورس سوى مدينة صغيرة . وقد اهتم الامبراطور يوستنيان بتحصين المدينة وتشييد بعض المباني العامة وبناء قناة للمياه وكان ذلك قسماً من برنامجه في تحسين احوال الدولة . واصبحت كورس من جديد مدينة عسكرية . وثبتت أعمال يوستنيان تلك القنوش التي وجدت على الباب الشمالي الشرقي للمدينة وتذكر الامبراطور وزوجته قيودورا وقائده بليساريوس . وفي عصر يوستنيان أصبحت كورس مدينة رئيسية واستبدلت اسمها باسم جديد وهو « هاجيوبولس » أي المدينة المقدسة بسبب ما احتوته من قبور القديسين وظلت قبلة الزائرين والحجاج حتى الفتح العربي وحتى الى ما بعده . غير أن هذا البعث الديني في كورس لم يصحبه بعث تجاري وظلت الحركة التجارية مع بلاد الشرق ضعيفة . فقد أضعفت الحروب الفارسية الكثيرة في القرن السادس حركة التبادل . وقد عبر العرب حلفاء الفرس نهر الفرات في مطلع القرن في عهد النسطاس ثم حصلت غارات عربية وهونية على انطاكية في ٥٧٩ و ٥٣١ ثم وقعت معاهدة صلح دائم مع الفرس في عهد يوستنيان في ٥٣٢ . وكانت قلة عدد الحارين مع حركات القوات العربية المناوشة تستلزم تحصين عدد كبير من المواقع في الداخل وعلى الحدود . وانتهى الصلح الدائم بعمليات كسرى الحربية في ٥٤٠ حين احترقت قواته بيرويه (حلب) واحتلت انطاكية وضربتها . وعاد السلم في ٥٦٢ ولكن الحرب اشتعلت من جديد في ٥٧٢ ودامت الحروب في الشرق الأدنى حتى ٥٩١ ولحق بالانطاكية والمناطق الشمالية الشرقية ضرر كثير . واستمرت فترة الهدوء بعد هذه الحروب الطويلة حتى ٦٠٢ حين قتل الامبراطور موريس وحصلت حروب مع الفرس من جديد احتل الساسانيون سورية اثناءها بين ٦٠٨ و ٦٢٨

ولكن هرقل انتصر على الفرس وطردهم من سورية وعاد السلم في ٦٣٠ ولكن بعد بضع سنوات تبدأ الفتوحات العربية الاسلامية وتقرر معركة اليرموك مصير سورية في ٦٣٦ وتحتل قوات أبي عبيدة مدينة كورس في ١٦ للهجرة .

وهكذا فان بحث مدينة كورس كمركز بيزنطي حربي لم يكن حاسماً ولا دائماً . فقد تعرضت للتخريب غالباً بعد بنائها وخاصة على أثر هجمات ٥٤٠ و ٥٧٤ كما أن موقعها في منطقة محنة او مهددة بالاحتلال وزوال اهميتها التجارية لم يساعد على تقدمها . وظلت كورس تعيش على شهرتها الدينية غير أنها عندما تفقد هذه المسكنة الدينية في المصور الاسلامية التالية فان انحطاطها يصبح سريعاً . ولكن هذا الانحطاط اصبح أمراً مقضياً منذ القرن الثالث أو الرابع حين فقدت منزلتها كعاصمة ادارية ومركز عسكري لمنطقة بكاملها وحين زالت الحركة التجارية التي كانت تمود عليها بالثروة . وقد كان بشا لمدة قرن من الزمن في القرن السادس يعود لاسباب دينية أكثر منها ستراتيجية لان مكانها الدينية التي بدأت تزدهر في عصر تبودورت بلغت ذروتها في ذلك القرن السادس الذي اتخذ فيه اسم « المدينة المقدسة » .

٤ - كورس بعد الفتح الاسلامي (٦٣٧) .

يخبرنا البلاذري في كتاب فتوح البلدان عن فتح العرب لمدينة كورس صلحاً . ومنذ ذلك الحين أصبحت حصناً عربياً تقيم فيها حامية مؤلفة من بعض القوات الآتية من مركز انطاكية ويضيف البلاذري على ذلك أن احد حصون المدينة تسمى باسم سلمان وهو أحد مشاهير الضباط الذي كان له صلة بالفتح . وظلت كورس ذات أهمية عسكرية في عهد هارون الرشيد الذي جعلها مع بعض المدن الاخرى مقاطعة عسكرية تسمى المواسم ، كما ان ابن خرداذبة في القرن التاسع يذكرها بين المراكز الحصينة في سورية الشمالية . وفي مطلع القرن العاشر يستولي البيزنطيون على كورس (في ٩٠٥) ويحرقون جامعا وينقلون سكانها الى مكان آخر . ويذكر المؤرخون الأرمن واللاتين هذه المدينة مرات عديدة فيما بعد . وعندما حصل تنظيم البطريركية اللاتينية في انطاكية في عام ١١٠٠ أصبح لكورس أسقف وذكرت هذه الاسقفية في بعض التواريخ ومنها تاريخ غليوم الصوري . غير ان المسلمين استردوا كورس في عهد نور الدين زنكي في ١١٥٠ كما يذكر ابن الاثير . ولا تعطينا الاخبار شيئاً عن هذه المدينة بعد القرن الثاني عشر وقد يكون الزلزال الذي حصل في ١١٤٠ قد ساهم في انحطاط المدينة وتفيدنا عبارة أوردها ياقوت في القرن الثالث عشر أن كورس أصبحت مندثرة في أيامه . ويقول المؤرخ

ابن شداد أن نور الدين هدمها ويبدو أنه أمر بهديم حصونها خوفاً من عودة الصليبيين . ولا تفيدنا كتابات المؤرخين الافرنج والجغرافيين العرب كثيراً عن حياة مدينة كورس بين القرن التاسع والثالث عشر . ويذكرها ابن حوقل بين المدن التي تساعد في تتبع الحدود الشمالية السورية . ومنذ عصر بعيد تبدو كورس كمدينة شهيرة بخرائبها . ويذكر الهروي منطقة الاضرحة في المقبرة الجنوبية الغربية بأنها قبر أوريا بن حنان . وقد ظل اسم اوري متصلاً بالمدينة ويقول ابن شداد أن النبي داود وجه حملة ضد مدينة كورس حيث قتل اوري ابن حنان . ويذكر ياقوت قبر اوري كما انه يخبرنا ان المدينة خربة وفيها بقايا جميلة من الماضي . وليس أدل على شهرة كورس من عبارة المؤرخ ابن الشحنة في كتاب الدر المنتخب حيث يقول عن جامع حلب ان الوليد أمر بنقل مواد كنيسة كورس اليه وكانت إحدى عجائب الدنيا .

القسم الثاني : أعمال الاستكشاف والحفر في كورس

بدأت التحريات بصورة منتظمة في موقع كورس منذ ١٩٥٢ على أثر اهتمام هنري سيرين مدير المعهد الافرنسي للآثار في بيروت بهذا الموقع وحصوله على رخصة للقيام بأعمال السبر ثم الحفر من مديرية الآثار العامة في دمشق . وشرع كاتب هذا المقال بمساعدة أحد المختصين في هندسة العمارة بدراسة آثار المدينة . وبدأت البعثة الأثرية بدراسة موقع المدينة وتخطيطها بقدر ما يسمح به مظهرها اليوم . وتقع كورس قرب ملتقى نهر عفرين بنهر صابون صو على منحدر تلة قائمة على الضفة اليمنى لنهر صابون صو . وكان اكروبول المدينة على هذه التلة وأما المدينة نفسها فتتمتد بين هذا التل وبين النهر . وهناك مقبرتان تمتدان في الشمال الغربي والجنوب الغربي . ويمكن تصور اتصال كورس بالعالم الخارجي بواسطة الجسور الثلاثة الباقية في أراضيها . فالقادم من اعزاز يمر نهر عفرين ثم صابون صو على جسرين قبل وصول جنوبي المدينة كما انه يعود فيمر نهر صابون صو بعد مغادرته لها من جهة الشمال . ويمكن تتبع الطرق القديمة الى مسافة معينة . ويمتاز سور كورس بامور مختلفة منها تنوع حجارته . وموقع السور الحصين واضح وهو يتبع في نصف طوله الانحدار الطبيعي لهذه المرتفعات الصخرية ، وقسم من قلعة المدينة الواقعة في الجنوب الغربي هو قسم من السور بينما نجد للقلعة أسواراً خاصة من جهة الشمال الشرقي والجنوب الشرقي . وللسور أبراج منها نصف دائرية ومنها مستطيلة كما أن له خمسة أبواب بينها اثنان من جهة القلعة . والابواب الثلاثة الخاصة بالمدينة هي من جهة الجنوب والشمال والشرق . والمدينة عبارة عن مستطيل فيه شوارع متعامدة أهمها الشارع الواسع المحاط بأروقة ممددة ويتجه على ما يبدو من الباب الجنوبي نحو الباب الشمالي .

ويين خرائب كورس أثر يستلفت النظر بصورة خاصة وهو مستطيل يحاذي شارع الاعمدة ويستند على السور من جهة الغرب . وفي كل من واجهتي هذا البناء الشمالية والجنوبية باب أثري وفي وسطه ما يدل على وجود كنيسة ذات ثلاثة صحنون وفي قسمها الغربي عتبة ذات ستة أعمدة مضلعة كما أن في طرفها الشرقي حنية نصف دائرية . وقد ظن العالمان شابو وكومون في أواخر القرن الماضي ان هذا البناء هو الساحة العامة (الآغورا) ولكن وضع البناء لا يسمح بهذا التفسير . وفي شرقي الشارع الممدد بقايا بسبليكا . ويمكن مشاهدة آثار الشارع الرئيسي وكذلك ملتقى الشارعين المهمين في المدينة وبقايا الساحة العامة ومنحدر الشارع الرئيسي من جهة الجنوب نحو النهر . كذلك يمكن مشاهدة بقايا مسرح المدينة الذي يستند الى الاكربول وحوله بقايا أبنية تصعب معرفتها . ومداخل المسرح محفوظة بحالة حسنة وقد هدفت أعمال موسم ١٩٥٣ الى اظهار معالم هذا الأثر بوضوح واهتمت بالمدرج . وقد أوضح أنه يتألف من ٢٤ صف من المقاعد ومع أن بعض هذه المقاعد قد ذهب إلا ان الركائز التي تستند عليها باقية . ويحيط بالمدرج في قسمه العلوي رواق يسمح بمرور المتفرجين واتجاههم الى أطراف المدرج . وقد شاهد المنقبون أقبية فخارية للياه في الرواق العلوي وكانت تبتدىء من موزع في وسط المدرج ، وكانت توجد مقاعد خاصة بمنازة لها مستند للظهر ومتكأ للذراعين وعلى كثير منها حفرت أسماء الذين كانوا يجلسون عليها . وتختلف أجزاء المسرح في درجة حفظها ونجد في وسط المسرح أكبر عدد من صفوف المقاعد الباقية وهي أربعة عشر . والادراج الموزعة بين مختلف أقسام المدرج كثيرة قد تبلغ الاربعة عشر . وفي أسفل المدرج يمر يشرف على الاوركسترا وارتفاعه نحو متر واحد . ولم يكن من السهل كشف الاوركسترا في أسفل المدرج وذلك بسبب ما تراكم عليها من الآتربة من جهة وبسبب استخدامها مع القسم الأسفل من المدرج لغايات أخرى في العصر الاسلامي وربما البيزنطي أيضاً . ومن الاشياء المتراكمة في أرض الاوركسترا مقاعد المدرج وقطع من جدار المنصة وبعض هذه القطع ذات قيمة معمارية وقد نقلت الى متحف حلب وبينها أعمدة وتيجانها والاريز متعددة . وفي الاوركسترا وجد أثر غامض قد يكون مذبحاً وهو مؤلف من ستة جوانب مزدانة بتماثيل نصفية أربعة منها للرجال واثنان للنساء .

وقد تم استكشاف القسم المحيط بالأوركسترا وهو إطار قليل العرض مرصوف بالحجارة تحيط به من الجنوب عتبة مرتفعة . وكان يشاهد حائط المنصة والمداخل الجانبية قبل بدء الحفريات . ويمكن الآن بعد انجاز جانب من أعمال الحفر تكوين فكرة عن بناء المنصة وعن الاتصال بالأوركسترا . ولم تتم عملية رفع الاقواس من المداخل ولكنه يبدو ان المدخل الشمالي قد جرت فيه بعض التمديلات بينما بقي المدخل الجنوبي على حاله . ويشاهد في جدار المنصة باب متوسط يقع في منتهى غرفة مستطيلة تحيط بها غرفتان نصف دائريتان وعلى جانب هذه توجد أيضاً غرفتان مستطيلتان . ومواضيع الخزاف في مقدمة المنصة تذكرنا بمسرح دفنة ويمكن تأريخ المنصة في العام ١٥٠ م . وأرض المنصة كانت غالباً مكسوة بالفسيفساء ، وهناك غرف ملحقة في جوانب المنصة بينما القسم الخلفي من المنصة قد تهدم تماماً ولم تبق الا حجارته . اما البناء الغربي الذي بني في القسم الاسفل من المسرح فانه ليس له قيمة معمارية هامة . وقد وجدت بين الاقواس في الطبقة العليا قطع خزفية وبعض الاواني والنقود والمصابيح الخزفية وعلى احدها كتابة . وتوجد بين المواد القديمة بعض نقود هلنستية ورومانية وبيزنطية .

وفي خارج مدينة كورس وجدت البعثة بعض مباني منها آثار قناة للياه على كيلومترين أو ثلاثة غربي المدينة . وفي أعلى التل الذي يشرف على الاكروبول من جهة الغرب وجد حوضان وبنايا بناء لاندري اذا كان معبداً كما زعم كومون . ولكن أم ما يقع خارج المدينة المقبرتان في الشمال الغربي والجنوب الغربي وقد استخدم العرب هذه الاخيرة بينما بقيت الاولى على حالها وفيها مدافن حفرت في الصخر وأخرى بنيت . وعلى بعض التوابيت والانسحاب وجدت البعثة بعض أعمال الحفر كما وجدت بعض الكتابات . وفي المقبرة الجنوبية الغربية بناء جنازي مهم أو ضريح أثري له ستة جوانب وقد وصفه العالم كومون . وسبب بقائه أنه استخدم ك مقام اسلامي وعلى هيكله الخشي اليوم كتابة من السنة ٧٠٣ هـ . والبناء يحتوي طابقين في أطراف كل منها ستة أعمدة وفي كل جانب من الطابق العلوي نافذة . وفي أعلى الطابقين شكل هرمي يعلوه تاج مزدان بأوراق الاكانث . وفي الطابق الاسفل مدخل يؤدي الى قبو جدرانه عارية ويضم الهيكل الخشي الذي عليه الكتابة . وتستحق هذه المجموعة المعمارية دراسة خاصة لما فيها من مميزات طريفة .

والكتابات الاثرية التي وجدت منتشرة فيما بعد وهي تؤكد وضع كورس العسكري وتذكر بعض فرق الجيش . وهناك كتابة خاصة تتعلق بالحاكم ماركيوس ثوربو الذي كان غالباً في كورس في زمن حملة تراجان على الفرتيين في ١١٤ م وستتابع البعثة الاثرية اعمالها في الاماكن المذكورة في هذه الدراسة وسوف تهتم بإيضاح النقط الغامضة في تاريخ المدينة الطويل وشرح ميزاتها كمدينة حصينة بالإضافة الى معرفة مبانيها الهامة وتطورها العمراني . وستؤدي هذه الدراسة الى شرح الصلات المعمارية بين كورس وسائر المدن ويمكن القول منذ الآن ان تأثير انطاكية كان كبيراً كما يتبين من دراسة القطع المكتشفة في المسرح .

مورج مراد



مركز بحوث ودراسات في تاريخ سورية

التنقيبات الأثرية الجديدة

في الجزيرة العليا السورية

تقرير موقت

وضعه

د. ج. ج. فان لير و ج. ج. لوفريه

تعريب وتلخيص الدكتور نور الدين هاطوم



ان مقابلة وجهات نظر مختلفة حيال مسائل واحدة تكون دوماً خصبة . ولقد ادرك ذلك جيداً الدكتور سليم بك عبد الحق عندما رجانا ان تقارن نتائج مهاتنا الخاصة لدى الحكومة السورية وتقدم متعاونين دراسة جديدة عن التلال والآثار القديمة في الجزيرة السورية ولا يسعنا الا ان نشكره على ثقته .

ونرى من واجبتنا ان نشير الى المساعدة التي أمدنا بها في تنقيباتنا كل من السادة عبد القادر ومحاوي ، مفتش مصلحة الآثار ، وبشير العاص واسماعيل جسري موظفي المصالح الزراعية . ولا بد لنا من القول ان الوثيقة التي حصل عليها ب. هاملن وشاء ان يوصلها اليها كانت ثمينة في نظرنا .

لقد كانت التنقيبات الأثرية في الجزيرة العليا عديدة منذ ما يقارب مائة سنة . غير ان ما بقي فيها كثير ويحتاج لاكتشاف . ولم يصل الى الآن أي بيان كلي ومنظم للمواقع . فقد جرت معظم الاكتشافات الماضية عرضاً ، وكانت المواقع الهامة ، الواقعة بين طرق المسافرين ، بجوة عن التنقيبات في الغالب . وبفضل الملاحظة الجوية استطاع الاب بوادبار أن يسد النقص في فترة بين

الحريين ، ولكنه عندما تابع بالطائرة « أتر روما » في السهوب السورية ، كان يستعمل طريقة الملاحظة المباشرة ، وما كان ليصور الا المواقع المنعزلة ، ولم تحدد رؤية البلاد بمجموعها .

اما الفن الحالي ، بفضل تحسين الاجهزة البصرية وعمليات التحضير الفوتوغرافي في ملح الفضة والجلاتين ، فيسمح بالحصول ، في ارتفاع من ٣٥٠٠ الى ٤٠٠٠ م ، على كايشات فوتوغرافية شاقولية غابة في الدقة والتفصيل . ثم تكبر هذه الكايشات ويتمين بدقة مقياس الصورة الحاصلة . ويصبح بإمكان الباحث أن يدرس منطقة بتمامها وهو على منصة عمله ؛ ومن يعرف استعمال الستريسكوب أن يسجل طائفة من المعلومات التفصيلية التي لا يمكن أن تلاحظ على الأرض كالطرق والقنوات والمزارع المنعزلة التي لا ترى على الأرض ، ولكن يمكن تمييزها بوضوح على الصور الجوية . وتختلف هذه التفاصيل - ومن المفيد ان ينبه الى ذلك - أقل بتلاعب الظلال المحمولة منها بتغيرات لون الأرض وتحصل اما بمآني مواد لا متجانسة على الأرض الطبيعية ؛ أو باختلافات الرطوبة والنبات المتعلقين بصفة الأرض . ويتطلب تفسير تغيرات اللون من الملاحظ تدريباً وتكويناً خاصاً . ولندكر اخيراً أن جهاز الستريسكوب يسالغ في تأثير البروز ، ولكنه يظهر أقل حركات الأرض ويصبح غير مفيد استعمال ضوء الصباح والمساء ويمكن أن تؤخذ الكايشات في أي ساعة من ساعات النهار .

هذا ومن الممكن القول ان طرق التحري الجديدة تحذف قسماً من صدف الطرق القديمة . وقد برهنت على ذلك في مختلف البلاد . غير ان هذه الطريقة لم تستعمل بعد في سورية وفي خلال السنوات الاخيرة صور معظم محافظة الجزيرة العليا بمقياس ١/٢٠٠٠٠ لحاجات مصلحة التحديد والتحرير ومصالح الزراعة . وتفيد هذه الكايشات حالياً كوثيقة اساسية لدراسة صفة الاراضي المنتجة ، ولتعيين استعمالها الافضل وتثبيت حد الملكيات . وظهرت بها الوف المواقع القديمة من تلال ومدن وقرى ومزارع منعزلة وأعمال الدفاع والطرق وقنوات الري والتجفيف فانجبه الانتباه مباشرة اليها .

ان اهم مظاهر تفسير هذه الكايشات هو الامكانية التي تقدمها في وضع بيان يستنفذ بحق الاماكن القديمة . والواقع ان الآثار القديمة في الجزيرة تظهر بوضوح خاص بسبب ندرة النبات وفقدان الحت وضف كثافة السكان الحالية ، وخاصة لان هذه المنطقة ظلت لهدد قريب صحراوية منذ عدة قرون ، حتى ان الحفريات السرية للحصول على مواد البناء كانت قليلة ، باستثناء رأس العين ونصيبين . وهذه الشروط تلائم استعمال طرق الاكتشاف الحديثة .

يبلغ عدد الصور التي تقع تحت تصرفنا ١٠٠٠٠ كليشة ولفظي مساحة تمتد من تل دهليز في الغرب الى عين ديوار في الشرق ، ومن الحدود التركية حتى جنوب جبل سنجار . وهي تسمح مباشرة بتناول عدة قضايا كدراسة طرق المواصلات ، والعلاقات بين مختلف نماذج المواقع الأثرية ، وطبيعة الأرض والجغرافيا والمياه وجميع الأشياء التي يمكن ملاحظتها على كليشة واحدة . هذا وان ملاحظة الاكواخ والمزارع المنزلة والحقول القديمة المزروعة وتوزيعها وعلاقتها مع الانهار وأعمال الري او التجفيف تلفت انتباه علم الآثار نحو دراسة التنظيم الريفي للمنطقة ، هذا الانتباه الذي ظل حتى الآن متجهاً بصورة خاصة نحو العواصم والمعابد والقصور والاضرحة . على ان هذه المعلومات الجديدة وان كانت اقل استهدافاً لنظر الناس من آثار الفن التي تظهرها الحفريات الكبرى ، الا ان أهميتها ليست بقليلة لفهم الحضارات القديمة ودراسة توزيع العمران وتفسير مضمون النصوص الجغرافية المسارية ، وبكلمة عزيزة على مهندس العمران المدني ان « تخطيط » الجزيرة القديمة يمكن القيام بدراسته .

وبعد فحص اولي اجمالي للكليشات قضينا شهراً في التحريات على الأرض جمعت خلاله نماذج خزفية سطحية ونقوش مما يقارب مائة موقع . وكانت النتيجة الاولى العملية لهذه الابحاث ان ساعدت على انتخاب موقع ستقوم فيه مصلحة الآثار بأعمال الحفريات قريباً وهو تل خويره .

والاسطر التي تلي تلخص ملاحظتنا . كما وان دراسة اعمق تساعد ولا شك على حل بعض القضايا التي توضع منذ الآن . ونرى بأن نستأنف ونوسع في نشره مقبلة النتائج الموقنة التي عرضناها اعلاه .

ان الخارطة المعروضة على اللوحة « ١ » ، تعطي رسماً مبسطاً لمواقع الآثار القديمة التي ترى على الكليشات .

التمول الكبرى الحصينة وتتلقي بها تلال ثانوية ، نسميها ملحقة ، بشبكة طرق مشعة ، . وبين هذه التلال تلال بأبعاد استثنائية . وتبدو لنا انها مركز قسبة والاسع منها عواصم امارات صفري .

التمول الملحقة غير المحصنة وهي الامم

المدن الحصينة او المكشوفة ولا تؤلف اطلالها تلالاً واكثرها اغريقية ورومانية أو عربية .
القرى الهامة والمزارع المنعزلة وهي حصينة أو غير حصينة .

الآثار العسكرية البارزة من معسكرات ومهصون أو هانات ؛ وفي الغالب يصعب تمييز هذه من المزارع الحصينة .

الطرق الظاهرة اكثر من غيرها .

قنوات الري البدائية والخزانات الكبرى .

هذا وان فحصاً بسيطاً لهذه الخارطة يسمح بمسدة ملاحظات تنير الاقتصاد العام في هذه المنطقة .

(١) - مورفولوجيا المواقع الملاحظة

ان شكل العمران القديم ورسم حصونه - التي يستحيل تمييزها على الأرض - يساعدان على تصنيفه الى عدة فئات متميزة .

مركزية تخطيطية

النمط الحصينة

النموذج ١ : سطح بشكل جذع مخروط مع خط دفاع خارجي على حافة التل او بالقرب منه ويكون بشكلين :

أ (رسم خط الدفاع بمخطط مركزي ، دائرة أو مضلع منتظم) مثال ذلك : في شرق الخابور ، تل أسود الفوقاني ؛ وفي الغرب ، تل قليعه .

ب (رسم خط الدفاع دون تمييز كأن يكون مدبباً كثير المنحنيات أو مضلعاً غير منتظم) مثل تل باطي .

النموذج ٢ : سطح مع خط دفاع خارجي بعيد عن التل ، ويتألف غالباً من خندق بسيط او مزدوج . ويكون بشكلين كما في أ و ب (مثل تل براك وتل الخنافس)

النموذج ٣ : سطحان متدرجان مع متراسين قائمين على شفا المنحدر . ويكون بشكلين كما في أ و ب (بجميع التلال الكبرى في غرب الخابور . خويره ، موزر ، مالحه)

النموذج ٤ : سطحان متدرجان مع دفاع خارجي بعيد جداً عن اسفل التل (مثل تل حموكر وتل الحميدي) .

التمول غير الحصينة (الملققة)

- النموذج ٥ : جذع مخروط بسيط .
 النموذج ٦ : مخطط بيضوي مع منحدر قائم من جانبه .
 النموذج ٧ : بشكل هلال (وتلاحظ بصورة عامة حول نبع في المنطقة البازلثية الواقعة في شرق قبور البيض .
 النموذج ٨ : مربعات ، وهي تلال من النموذج ٥ أعيد ترتيبها .

المدن المحاطة بممراسي (قديمة أو عربية)

- النموذج ٩ : مخطط بشكل رباعي أو مضلعي .
 النموذج ١٠ : مخطط مدبب

المسكرات ، القصور ، الحصون (قديمة أو عربية)

- النموذج ١١ : مسكرات مع خندق مزدوج وممراس من التراب أو آجر التراب المشوي .
 وتكون أبعادها من 100×100 إلى 400×400 م .
 النموذج ١٢ : القصور مع أسوار من الآجر وإبراج . وقياسها الجاري 120×120 م .
 النموذج ١٣ : حصون وأبنية حصينة ويبدو مخططها مربعا على الكليشات . وقياسها من 20×20 إلى 100×100 م . ونحن نلاحظ بأن قسماً كبيراً من هذه الفئة الأخيرة يطابق المزارع الكبرى (الأحواش) .

(٢) - الممرقات بين مناطق سكنى الفقيمين والوفليم وقوة إنتاج الأراضي

منذ أن قوض التتر الجزيرة الى عهد قريب ، اجتاحت السهوب والرحل معظم الأراضي المزروعة في القديم . وقد سادت في هذه الأراضي ، قديماً كما في أيامنا هذه ، زراعتان : زراعات الري على ضفاف النجاور ؛ والزراعات البعلية عندما تكون كمية الأمطار كافية أي فوق منحني مطر 200 م م . وفي هذه المنطقة الأخيرة تتناوب الزراعات البعلية مع المراعي في الأراضي التي تكون أقل خصباً من غيرها .
 ولعرفنا الكليشات الجوية بتوسع الزراعات القديمة في الشمال . وتلاحظ معظم الاطلال

الاثريّة في منطقة محدودة بين منحنيات المطر من ٣٥٠ الى ٤٠٠ م في الشمال و ٢٠٠ م في الجنوب . ولا يميز في الشمال سوى التلال ؛ اما الطرق والقرى والمزارع المنعزلة فلا يمكن تمييزها ، وذلك لان جريان الانهار حثها وازالها ، بينما نرى ، تحت ٣٥٠ م ، ان معظم مياه المطر تمتصه التربة أو يتبخّر دون ان يحدث حثاً . وهذا الحادث يوضح ، على خارطتنا ، ان التلال الواقعة على طول الحدود التركية ، في شرق رأس العين - وفيها أعلى كمية للأمطار - ليس لها طرق مشعة ولكن ما من شك في ان كان لها مثل هذه الطرق في القديم .

وفي جنوب منحني مطر ٢٠٠ م تصبح الزراعات البعلية مستحيلة . ولا يستطيع البقاء الا الرحل وحدهم . اما مساكن المستقرين ، التي لها بعض الأهمية ، فتوضع على طول نهر الخابور في الاراضي التي يمكن رباها على الرصيفين الأدنىين . واما العمران ، الذي أصبح في بعض الاماكن مستمراً في العصور القديمة والعربية فيقع ، دون استثناء تقريباً ، على حافة المتسلق الخفيف الذي يفصل بين الرصيف الاول والثاني . ثم ان الاعتاب الصخرية التي تسد النهر في كل جوف (قمر) تساعد في هذه النقاط على العبور في محاذة وتسهل أخذ الماء . وقد احدثت هذه الشروط الملائمة نمو المدن والقرى القديمة ولا سيما بالقرب من السبع سكور وطابان ومطريه وشداده .

وعلى الهضبة في منطقة الزراعات البعلية ، نرى ان التلال ، التي تصادف في السهوب الصحراوية في جنوب منحني مطر ٢٠٠ م ، قليلة الارتفاع ويبدو انها هجرت منذ عصر ما قبل التاريخ . وفي بدء العصور التاريخية ، يظهر ان المناطق القابلة للزراعة انسحبت قليلاً نحو خط الامطار الكثيرة . وهذه الملاحظة تؤيد الرأي المقبول عامة وهو ان الاقليم في هذه المناطق لم يلق تغيراً يذكر ، منذ العصر الحجري الحديث ، الا جفافاً خفيفاً . وهناك ملاحظتان تذهبان في الاتجاه نفسه : يبدو ان السكان على الهضاب ذات الزراعات البعلية كانوا خلال العصور التي سبقت القديمة ، اكدف منهم في الأدوار التالية ؛ وان المدن والقرى البيزنطية أو العربية لم تنشأ في الأرياف الجرداء بل على الأرجح بالقرب من الينابيع والانهار أو الوديان وفي خارج نقاط الماء هذه لا ترى الا مزارع منعزلة أو مواقع عسكرية .

واذا قورنت خارطة اللوحة مع مصورات المصالح الزراعية ، التي تبين توزيع الاراضي حسب خصتها ، يلاحظ ان كثافة المساكن القديمة متناسبة مع صفة الأراضي ؛ وان جميع التلال

توجد في الأحواض اللحية الخصبة . وأحياناً ، كما هي الحال في جنوب جبل عبد العزيز ، يطابق كل قطعة أرض جيدة تل . ولكن لا يشاهد تل قطعاً في منطقة غير منتجة . وهذا التوزيع في الممران يكفي للبرهان على أن السكان الأوائل ، في هذه المناطق ، كانوا في الأصل زراعيين ؛ وإن نشوء التلال الكبرى وملحقاتها كان تابعاً لاقتصاد ريفي لا لظروف تجارية أو عسكرية حتى ولو أصبحت مع الزمن موقفاً حصيناً أو مكاناً للبادلة . وإن توزيع الطرق المشعة يدل على أن النقل من مقاطعة لأخرى كان قليلاً . فقد كان لكل جماعة حياتها الخاصة المستقلة .

ويبدو أن جميع سكان المناطق كانوا على صلة مباشرة مع قوة إنتاج الأرض . فقد اطعمت هذه المناطق ، في بعض المصور على الأقل ، الحد الأعلى من السكان ؛ وإن أدوار الخلاء من السكان والمهجر ، التي يمكن تمييزها في سبر الطبقات الأرضية ، كانت نتيجة حوادث تاريخية مستقلة عن الخصب . وهناك بعض استثناءات محلية على طول الخابور الأدنى أتت عن زيادة تدريجية في ملوحة الأراضي جعلت بعض المناطق مجدية بعد أن كانت في السابق خصبة .

(٣) — التوزيع الجغرافي لمختلف نماذج الإقامة

إذا فحصنا مسلمات الكليشات الجوية ، رأينا فئتين مختلفتين من الاطلال الآثرية وهما : التلال ، وكنائسها مستديرة كثيراً أو قليلاً ؛ واطلال العصر القديم أو العربي ، ويعرف فيها مخطط الشوارع وأحياناً مخطط الأبنية . ويندر أن تغطي الاطلال التلال . وأكثرها ابنية حديثة ولا تكفي ديمومتها لتشكيل تلالاً . ولكل من هاتين الفئتين شبكة طرق متميزة وتجهل أحدهما الأخرى وتسجل انقطاعاً واضحاً في الاستمرار التاريخي .

(أ) التلال (الدور قبل الهليني)

لقد أشرنا إلى أن الممران ، في المصور قبل الهلنية ، تجمع في مناطق حول التلال الكبرى ذات الأبعاد الاستثنائية . واستطاعت عدة مدن ، كل في دورها ، أن تكون لها القلب السياسية . وهذا ما وصلنا إلى تمييز ثلاث مناطق متميزة تضم كل منها مدينة ، أو عواصم وتلالاً كبرى حصينة وعدداً عظيماً من الملحقات .

في غرب الخابور ، تقع منطقة تلال ذات مخطط مركزي (نموذج ١١ ، ١٣ ، ٥)
واكبرها تل خويره .

في شرق الخابور، تقع منطقة تقيت قبلنا واسترعت كثافة التلال فيها اقتباء المسافرين منذ زمن
طويل . وتختلف أشكال هذه التلال كثيراً (نماذج ١ أ و ب ، ٢ ب ، ٤ ، ٥ ، ٦ ،
٧ و ٨) . وتتوزع على الأقل في اربع مناطق : الاولى بين الخابور والجفجج ومدينتها
الاساسية تل براك ؛ الثانية بين الجفجج والجراح ، وقصبتها تل فرفره ؛ الثالثة في حوض
الجراح ومدينتها الرئيسية تل ليلان ؛ الرابعة في شرق الجراح وفيها تلا رميلان الكبير وحموكر .
وهذا التل الاخير اوسع تلال الجزيرة العليا كلها اذ يبلغ امتداده كيلو متراً . يحدق به
خندق على مائة متر من أسفل التل الاصيل . وهذا الوضع ، الذي يرى على الكليشات فحسب ،
مألوف في هذه المنطقة . ولتوضيح التلال الاخرى المعروفة منها وغير المنشورة يجب
الرجوع الى المصور .

وعندما ترى بالاستريسكوب التلال الواقعة جنوب الحسكة ، على طول الخابور ، يرى أن
فيها تشابهات مورفولوجية تدعو الى جمعها في منطقة ثالثة . وأكثرها يمتد طولانياً بصورة
موازية الى النهر وتحافظ في محورها الكبير على آثار كتلة من الارض ذات مخطط مربع
وربما بقايا زقورة . واذا أخذنا بعين الاعتبار الحت الحاصل بتبدل مجرى الخابور نرى ان أهم
التلال وهي تل الفدغمي وشمساني وشيخ أحمد وفدين تقع في وسط المناطق المروية أكثر من
غيرها . اما تلال عربان والشداوي ومرقده وصوار فتبدو صغيرة . وتساعد الكليشات الجوية
على مقارنة الجسامة النسبية لهذه التلال .

وبين المنطقتين ، وعلى الاراضي القابلة للري التي تحاذي الخابور ، تلاحظ سلسلة تلال
حصينة غالباً وبشكل غير منتظم وأكثرها معروف جيداً . وتندر الطرق التي تصلها بتلال
الهضاب . ويبدو أنها كانت على صلة قليلة مع تلال مناطق الزراعات البعلية . ولا بد من الإشارة
الى ان تل الحسكة والتلال القريبة منه في الجنوب لا تبدو عظيمة وان كان القرب من ملتقى
الخابور بالجفجج يجعل لهذا المكان الجغرافي أهمية عظيمة تاريخية . كما ان عدم وجود مخاضة
مطروقة في هذه النقطة يوحي بأنه من المحتمل ، في العصر الذي لم يكن فيه الجسر ، ان لم

يتشكل بالقرب من الحسكة عقدة المواصلات التي افترضت ولم تظهرها كليشأتنا . لقد كانت الأهمية الاقتصادية لهذه المنطقة ثانوية . فهي تقع على أراضي قليلة الانتاج ، يظهر تحتها الصخر . ولرؤية التلال الهامة يجب الخروج من هذه المنطقة وبلوغ تل مجدل في الشمال ، وتل عربان في الجنوب ، وكلاهما يقع في جزيرات من الأراضي الجيدة . وبالمقابل نرى في بويضه نجماً من الطرق يدل على نقطة عبور مستعملة جداً .

وعلى جميع هذه التلال تقريباً ترى شواهد من الخزف اللامع الأخضر وتدل على احتلال العرب لها .

ان التباين بين منظر تلال المنطقتين الاوليين يبدو أكثر ظهوراً مما أوضحه الاختصاصيون في علم آثار الجزيرة . ولذا نرى ان نلح على هذه النقطة الهامة .

لنشر الى ان هذا التباين لا ينجم عن اختلاف في خصب الأراضي أو في كمية الأمطار . ومما كتب عن المنطقة الواقعة بين رأس العين وتل دهليز فقد كانت وما زالت قابلة للزراعة وظلت مأهولة في العصر الوسيط ولشهد الاطلال العربية فيها على ذلك .

لقد نمت التلال الواقعة في شرق الخابور ذات الاشكال المختلفة غير المنتظمة ، باحتلالات متتابة ، مع بعض الاستثناءات ، مثل تل يندر ، وله سوران مستديران ؛ وتل أسود الفوقاني . كما يختلف خزف السطح . ونجد فيه شواهد فخارية ملونة من نتاج الخابور « Khabur ware » في البرونز الأوسط ، وعلى بعض التلال ، شواهد آشورية وأند من ذلك شواهد المصريين الروماني أو البيزنطي ، وبصورة عامة ان التلال المتصلة بشبكة طرق واحدة يكون خزفها السطحي واحداً .

وفي غرب الخابور ، ينفذ الى عالم آخر منابر منظم . ففي شمال جبل عبد العزيز وجنوبه تبدي التلال الكبرى مخططات « مركزية » موضوعة حسب مبدأ واحد ، وهو مبدأ فن الحصار ، وتقانة بناء واحد (نماذج ١ ، ٣ ، ٥) . وان تلال ما قبل التاريخ القديمة تبدلت حسب رسم دائري وأحياناً بشكل خماس أو سدس (تل بوغا وتل الممر) . ويلاحظ في كل مكان سطح أو سطوحان متدرجان يحيط بكل منهما متراس . ويرفع المتراس الاعلى بشكل أكمة ذات منحدر سحيق يدل على مكان برج . وحول مركز السطح الثاني ، يلاحظ عادة قسم مسطح يتشعب الى اخاديد متجهة نحو الابواب الرئيسية ، وهذه قرينة تدل على وجود ساحة عامة ورسم مسبق موضوع في البرونز القديم الذي يبدو انه عصر تنظيم هذه التلال .

فقد كان الحجر مستعملاً لبناء الابواب وأحياناً في جدران الاسوار والابنية الرئيسية . أما قطع الخزف السطحية فهي نفسها في هذه التلال كلها . ولا يوجد فيها عملياً شيء من نتائج الخابور ، . فقطع الاقداح والصحون ذات الحرف المستقيم والرقيق والفقر المقبب أو المسطح غزيرة ، وكذا شواهد الفخار المشوي ذي المجينة الرمادية أو السوداء التي أشار اليها مالوان ، على أثر رحلته إلى رأس العين في تل أبيض وبين أنها سرغونية . وتدل شواهد خزفية من البرونز الاوسط على وجود هذه التلال في النصف الاول من الألف الثاني . وبصورة عامة لم يحتمل ثمانية من هذه التلال في العصر الميري إلا خراب سيار و «ابو جرادة» بين التي زرتها . وهذه المدن الحصينة التي لا توجد في الشرق ، تبدو أنها تابعة لحضارة واحدة وأن السلطة السياسية فيها قوية واستطاعت أن تصرف بأيدي عملة عديدة وتفرض هذا العمران المدني المنظم في المنطقة كلها . وأم هذه التلال في جنوب جبل عبد العزيز تل مالحه ، موزر ، مخروم ، المتياحا ؛ في شماله تلا مبطوح ، بوظا ، الخنزير ، ابو الشيوخ ، قلعة ، دهليز ، وخاصة ، تل خويره الواسع . وما من شك في أن هذا النوع من التلال يمتد في تركيا وفي شرق تل دهليز ، في خارج المنطقة المصورة حالياً .

ان تل الخويرة بسوره المزدوج وسطحية وقطره الذي يبلغ ٩٠ م وأبنيته الحجرية يظهر لنا انه كان مركزاً سياسياً يهيمن على مجموعة التلال المستديرة . ولقد قمنا فيه بسبرين وسنشرهما في الوقت الذي ينشر فيه التقرير عن الحفريات التي تجري حالياً في هذا الموقع . لقد اعتبر المؤلفون ان هذه التلال مبنية دون دليل ، ونأمل أن تفصل الحفريات الجارية في هذه القضية الهامة .

ب) مواقع العصر الفريم والميري

لقد وصفنا أعلاه المظهر الخاص الذي يسمح بتمييز اطلال هذين العصرين على الكليشات . غير أنه من الصعب ، دون تحرر على الارض ، أن نعرف المواقع الخاصة بكل منها . ولا بد من السبر غالباً للتحقيق فيما اذا كانت الاقامة المرية أزالَت الطبقة البيزنطية ، فضلاً عن أن المدينة المرية لا تتوضع دوماً في الموقع نفسه على المقام السابق . ففي رأس العين مثلاً تقع المدينة في شمال الينابيع . والمدينة البيزنطية الواقعة في الجنوب تغطي تل غفيرة القديم الذي جملة فون ابونهايم منطبقاً على قاشوكاني الميثانية . وعندما يغطي الاحتلال الميري موقعا قديماً تصادف عادة قطع من أعمدة وتيجان أو اسكفات معادة ومكرورة الاستعمال .

وسنصفه في قرة خاصة .

في غرب الخابور ، منطقة ديار مضر في العصر العربي ، أربع مدن هامة محاطة بمتاريس وترى على مجموعة الصور . تقع الثلاث الأولى منها بالقرب من الطريق القديم المار من الرقة - كالينيكوم - نصيبين في رأس العين ، وهي : خراب سيار ، وربما ابن سيار المسالك وتضم تلا من العصر قبل الهليني ، وسورها مربع ضلعه ٦٢٥ م ؛ وخربة تلاجة على بعد ٤ كم في غرب تل الخنزير بالقرب من الحدود التركية وهي أوسع من الأولى (١ كم مربع تقريباً) ، ومتراسها الخارجي بشكل مضلع كثير الأضلاع غير منتظم . وفي الزاوية الشمالية الغربية يوجد حي معزول بسور ثان . وعلى هذين الموقعين بكثرت الخزف العربي اللامع . وفي أسفل تل الخنزير تحت المدينة الثالثة ويحدها سور كثير المنحنيات . وربما كانت هذه المدينة معاصرة لخربة تلاجة لقربها منها . والمدينة الرابعة حصينة وتحمل ، في شرق المدينتين السابقتين ، حول تل ابو جرادة ، سطحاً قريباً من ٤٢ هكتاراً . وقد حاول بعضهم أن تكون هذه المدينة منطبقة على جرود المسالك .

وبين المدن المكشوفة الواسعة في هذه المنطقة نذكر : خربة عجل على ٧ كم شرق خراب سيار ؛ وخربة أخرى لم نستطع بعد زيارتها ونجهل اسمها وتقع على بضعة كيلومترات في غرب الخابور على خط العرض نفسه .

وبين هذه المدن ، مئات القرى الصغيرة والمزارع المنزلة البسيطة . وتكثر خاصة في أطراف الوديان والسفوح الشمالية في جبل عبد العزيز . وفي هذه المنطقة الأخيرة الحجرية بقيت حدود الحقول مملئة بصفوف الاحجار . والمدينة الهامة فيها هي منلوجا . وفي جنوب الجبل يقل عدد القرى والمزارع . ولقد نما عمران هام بين المسكر وتل موزر قبل الهليني . والخزف عربي في السطح خاصة . وإلى الشرق قليلاً وفي شمال تل توينان اطلال واسعة ترى قليلاً على الارض وعليها بعض الشواهد الخزفية من العصر الروماني والبيزنطي . وأخيراً في الجنوب نجد الموقع المعروف باسم أم مدفع . وهناك جدران ، ويمكن لفحص اجمالي أن يتخذها بقايا دور . ولكنها في الحقيقة بقايا حواجز بساتين . والزراعة الضعيفة للنبوع الذي يسقيها لا تسمح ، في حالة فقدان الصهيرج بنمو عمران هام . والفخار فيها عربي . غير أن بعض الاسكفات المحافظ عليها بالقرب من النبوع يمكن أن تكون بيزنطية .

وبينا تتوضع المساكن ، التي تكلمنا عنها ، خارجاً عن التلال ، نرى أن تلال وادي الخابور قد احتلت ثانية ونمت مدن واطئة في أسفلها ، وبعضها محاط ببناريس ، وهي تل جنيدية على ٩ كم من رأس الدين على الضفة اليمنى . وفي جنوب الحسكة تلال الحسين وشيخ أحمد ، ويكاد الواحد منها يقابل الآخر على جانبي الخابور . وهذه المدن الثلاث تحافظ منذ قبل الاسلام على مخطط شوارعها الذي هو بشكل رقعة الشطرنج . وعلى عكس ذلك تل مرقدة الذي تبدو شوارعها ملتوية بشكل متاهة ويظهر أنه احتل ثانية في العصر العربي فقط . وبين هذه المدن الحصينة توجد مساكن مكشوفة وتكاد تكون مستمرة في بعض الأماكن . ولا شك في أن السكان كانوا كثيراً ويرجع خصب الوادي في العصور الاسلامية الى زراعة القطن واصداره الى الموصل .

وفي شرق الخابور ، في ديار ربيعة حسب النصوص العربية ، مدن مكشوفة وقرى ومزارع قليلة العدد وتتجمع غالباً بالقرب من المعسكرات الحربية حول تل براك . غير أن هنالك بعض المدن النادرة وتعرف على الكليشات ، والمزارع المنزلة المحصنة . وعلى عشرة كيلومترات تقريباً في غرب عامودا يمتد حقل واسع من الاطلال بمساحة تزيد على كيلو متر مربع ، يحيط به متراس مدبب . ومخطط الشوارع فيه يدل على أصل بيزنطي . وعلى ٣ كيلو مترات في جنوب تل حداد ، وفي شرق وادي الجراح ، تقع مدينة أخرى رومانية أو بيزنطية مساحتها ٤٨ هكتاراً تقريباً . ولنعقد أنها لم تنشر ، وترسم أسوارها متوازي الاضلاع ، وتتصل بمدة طرق ، وشوارعها بشكل رقعة الشطرنج وفيها آبدة ذات محراب . ونطابقها طوعاً مع طرطيب . وفي تل رميلان الكبير الذي أراد غوبه أن يطابقه مع بركايد المرية ، لم نجد خزناً ينتسب الى العصر الوسيط .

وهذه المواقع المذكورة أعلاه تظهر على الكليشات أكثر من غيرها . ومن المؤكد أن سيكشف الفحص المبعق عن أخرى . وهذه المواقع تكفي للبرهنة على ان كثيراً من التوضيحات يجب أن تصحح عندما تدرس ال ١٠٠٠٠ كليشة بتفصيل . غير أن بعض القضايا العامة توضع منذ الآن . فلماذا تكون المدن المكشوفة والقرى والمزارع المنزلة المديدة في قرب الخابور نادرة في الشرق الذي كان منطقة مأهولة أكثر من غيرها في العصر قبل الهليني ؟ ولا يمكن ايضاح هذا القول بأن السكان الحاليين أكثر كثافة في هذه المنطقة الاخيرة لأن القرى الحديثة تمحو المواقع القديمة . وهذا ما يقودنا الى التفكير بأن القرب من الثغور في العصر

الروماني يجعل الأمن فيها أقل من غيرها ويحدد عدد المساكن المنزلة في الريف الحالي . أما السكان القليلي العدد فيظلون متجمعين في مدن ثابتة محصنة تشبه الحصون . وإذا كان الأمر كذلك في العصر العربي في زمن وجدت فيه المبادلات عديدة بين الموصل ووادي الخابور فهذا يدل على أن المنطقة لم تكن آمنة . ولعرف ذلك من نص لابن شداد . ويسدونا في هذا العصر الأخير أن حياة القرار كانت مستحيلة في شمال خط الخابور — براك — الرود — الأفي المدن الحصينة . وهناك قضية أخرى وهي ندرة بقايا العصر القديم والبيزنطيين على ساحات من الاطلال في غرب الخابور . فهي لا ترى بكثرة إلا في القنطري ، وهو موقع خارج محافظة الجزيرة رجعتا فيه إلى نقوش سريانية ، لم تنتشر بعد ، على أعمدة دريزين وفي رأس العين . ولا مانع من التفكير بأن الاحتلال الاغريقي — الروماني والبيزنطي الذي تعاقب على هذه المناطق في دور اقفاؤها من السكان ، من البرونز الحديث الى عصر الحديد ، لم يستطع أن يمد لها الخصب الاقتصادي الذي عرفته في البرونز القديم ؛ وإن العرب ، على عكس ما مر في الجبال المحيطة بحلب ، عرفوا ، قبل خراب البلاد على أيدي التتر ، كيف يستثمرون على الأقل الاراضي الواقعة في غرب الخابور . وإن نصوص المؤرخين العرب تؤيد خصب هذه المناطق في عصورهم ولندكر مع هذا أن نص ابن شداد ينسب المدن الكبرى التي يتكلم عنها الى أصل قبل اسلامي .

أما الدفاع عن البلاد فقد درسه الاب بوابار . وتسمع لنا كليشاتنا بإيضاح وبيان مختلف وجهات نظره . أن أكثر المسكرات الحربية تمتد بين جبل عبد العزيز وسنجان . وزاها تؤلف خطاً مزدوجاً من المسكرات ، وأحياناً يتم بجدران طويلة ، يذهب من موزر الى جبل تشمبا ، وهو السند الغربي لجبل سنجان ، ماراً من الخاتونية ومنلوجا حتى تل براك . والمسكر المنصوص عليه بالقرب من تل عربان يوجد في الحقيقة في مرزا الحقيقة نحو الشمال الغربي على ٦ كيلومترات . ولا يرى مسكر تل ليلان على كليشاتنا . بل نميز خندقاً كبيراً ولكن يبدو انه لا يطوق مسكراً . ويظهر أن امتداد هذه المسكرات على صلة مع كميات الماء الجاهزة . فمسكر مرزا ، الذي كان يغذى بقناة من الخابور ، يبلغ سطحه ١٦ هكتاراً . أما المسكرات الأخرى فتتراوح بين ٨ و ٤ هكتارات . وتقع هذه المسكرات جميعها على مسافة عظيمة من مراكز السكان الكبرى .

وخارجاً عن هذا الخط المزدوج للدفاع ، نجد بعض المعسكرات في منطقة خراب سيار . واحداً على ٢ كم و ٥٠٠ م في شمال تل خويره . وخزفها السطحي عربي . واخيراً كان يوجد بين المعسكرات عدة أبراج للحراسة وحصون صغيرة ومن الصعب تمييزها على الكباشات وهي تشبه ، كما قلنا ، اطلال المزارع والمدن . ويبدو ان المزارع البسيطة الحصينة ذات المخطط المربع — وقد عرفنا عدداً كبيراً منها — حصرت خطأً في منظومة الدفاع . ويجدر ان نشير ايضاً الى وجود اسوار دائرية تماماً . ولا تبدو انها تحيط بمنشآت . وقد سجل احدها في عوان . ولم نستطع الذهاب اليه للحصول على شواهد فخارية . ولا بد لنا . لفهم هذه المنظمات الدفاعية ، من تعيين المنظمات العربية منها حصراً . لان بعض هذه الحصون بنيت فيما بعد . كما يجب ايضاً الاشمثل الثغور الرومانية كخط حدود كما تفهم دولنا الحديثة . فقد كان الدفاع ينظم في الاعماق دون حد أرضي ثابت ، وتقدمه مناطق بنيت في صالح روما او خصومها .

اما الآثار المؤلفة من اسوار متشعبة وتؤدي غالباً الى احواش مديية فقد اشير اليها . ويظن بأنها كانت مراعي للحيوانات . وقد عرفنا منها عدداً عظيماً لم ينشر . وتقع كلها تقريباً في اطراف الرصيف الثالث الموازي للخابور .

(٤) — شبكة الطرق

تبدو الطرق التي ترى على الكباشات ، بمظهرين متميزين : اما بشكل مجرة مظلمة عريضة وغائمة . وعند فحصها بالستريسكوب تبدو في اسفل الاراضي المجاورة لها وبالتالي تنالها الرطوبة أكثر من غيرها ؛ واما بشكل خطوط قائمة ولكنها دقيقة وأكثر وضوحاً . اما الطرق الحديثة التي يظهرها التبار كخطوط بيضاء فلا يمكن ان تلتبس مع هذه الطرق القديمة .

وكقاعدة عامة ، ان مجرة النموذج الاول تكون دوماً على اتصال مع التلال . وتشعب مستقيمة من التلال الكبرى الحصينة نحو التلال الصغرى الملحقة . أما الخطوط الناعمة الدقيقة في النموذج الثاني فنصل المدن البيزنطية بالعربية . وكلاهما ظاهر بالقرب من الاطلال . غير أنها تختفي بإبتعادها عنها . وهذا الحادث سهل الايضاح . لأن الطرق المسلوكة تكون بالقرب من العمران محفورة أكثر من غيرها . واذا كانت الطرق المتصلة مع التلال القبلية أعرض وأعمق فذلك يعود لأنها كانت مستعملة خلال دور أطول ، في حين أن طرق المعصور القديمة والعربية كانت نسبياً قصيرة الأمد .

وطبيعة الأرض أيضاً تلعب دوراً هاماً في حفظ رسم الطرق القديمة ، ففي الأراضي الجصية تبقى الطرق مرئية أكثر منها في الأحواض اللحية وذلك لأن الفبار فيها كثير وتثيره الرياح وينحفر الطريق .

ويمكن تمييز طرق رئيسية وطرق ثانوية حسب عرضها وعمقها .

ومع هذا فلا يمكن أن يجري هذا التمييز في الطرق قبل الملمية . ولا يبدو أن كانت هنالك طرق موصلات كبرى ، وعلى الأقل في المنطقة التي درسناها . فجميع الطرق تظهر موضوعة للحاجات المحلية للسكان الزراعيين الذين يعيشون في اقتصاد مطلق دون الاهتمام بالعلاقات الخارجية . والانتقال من إمارة لإمارة كان شاذاً ويجري بالسير من تلال إلى تلال بالاستمارة بالطرق المشعة دون مسالك ثابتة . والطرق الكبرى التي تدل عليها المسالك الآشورية هي الطرق التي تمر في الشمال في أسفل الجبال .

وجميع الطرق التي عرفناها تبدو أنها من أصل قديم . يميز فيها الطريق الذي يصل الرقة برأس العين ماراً من قنطري وخراب سيار ، وهنالك عدة طرق استراتيجية المظهر في جنوب جبل عبد العزيز وتجه نحو جبل سنجار ، وطريقان يسيران ضفتي الخابور . ويجري اجتياز النهر بسهولة في السبع سكور وعجاجة والشدادية وفدرمي وشيخ احمد . وفي شمال الحسكة التي لا تبدو أنها مكان عبور هام ، تقع نقطة المرور في بويضه بين طلابا ومجدل .

ولقد حاولنا عبثاً البحث عن بعض الطرق التي أستميتت نظرياً من قبيل مفسري المسالك القديمة .

(٥) - قنوات الري والتجفيف

تبدو القنوات على الصور الفوتوغرافية كالطرق تماماً بشكل خطوط مظلمة . ويبقى النبات فيها قوياً . وتشبه القناة المهجورة طريقاً محفوراً من كثرة الاستعمال . وتتميز مع هذا بسهولة وذلك لأن الطرق تجتاز عوارض الأرض بينما تتبع القنوات المنحرجات ومنحنيات السوية . أما القنوات الثانوية والثلاثية فتعرف باتصالها مع الأولية التي تتعلق بها .

وفي الحقول المزروعة تميز القنوات والطرق جيداً أكثر مما في الأراضي البور أو الحديشة الفلاحة . وعندما يكون الحصاد في متناول اليد يظهر الاختلاف في نمو النبات رسماً . ويرى

أحياناً ظهور تقسيم الاراضي ، وأحياناً ، منظومتي تقسيم تتوضعان فوق بعض . وهذا الحفظ المدهش يسمح لنا في منشور مقبل بدراسة توزيع الاراضي المزروعة .
ان شبكة الري القديم توجد كلها تقريباً على طول نهر الخابور . وكما في أيامنا ، يلاحظ للري نوعان مختلفان :

(أ) أعمال الري الصغير . وكانت تغطي المزارع المتواضعة المنعزلة . وربما كان ذلك بواسطة النواعير . وسقى بهذه الطريقة جميع الاراضي المنخفضة في الرصيف الاسفل .
(ب) القنوات الكبرى . وكانت تغطي الاراضي العليا في الرصيف الثاني .
وكانت تغطي هذه الاعمال الواسعة عدة مراكز زراعية ضخمة . وهي أعظم من أن تكون عملاً من أعمال الافراد ، ولكنها تجملنا نفترض تدخل السلطات العامة ووجود مخطط تنظيمي لها . فرسم القنوات الثنائية والثلاثية منتظم وموضوع من قبل . وهذا المفهوم في التنظيم يتساق مع مشروعات الري الحديثة . ومع هذا فالمضخات في الوقت الحاضر تسمح بأخذ الماء مستقلاً عن شكل الارض .

والقنوات الكبرى الاربع التي يدل عليها المصور تقع جميعاً في جنوب المسكة . وتسمح ابعادها بتقدير سعتها بين ٢ و ٥ م^٣ في الثانية . والحساب التقريبي لطولها والمساحات التي يمكن ان تسقيها يعطي الارقام التالية :

القناة ١	طول	٢٧ كم	٣٩٠٠ هكتار
٢	—	٣٥ كم	٤٧٥٠
٣	—	٣٢	٨٠٠٠
٤	—	١٢٠٥٠٠	١٧٥٠
المجموع		١٠٦٠٥٠٠	١٨٤٠٠ هكتار

والاراضي المروية فعلاً تعادل ٨٠ ٪ أي ١٥٠٥٠٠ هكتار .
والمناطق المروية في الرصيف الاسفل يمكن أن تقدر من ١٢ الى ١٥٠٠٠ هكتار ، وهذا يؤلف مجموعاً من ٣٠٠٠٠ هكتار تقريباً من الزراعات المروية في القديم بين رأس العين وشيخ أحمد .

وإذا حسبنا الزراعات المسقية بين شيخ أحمد وتل صوار وجدنا ان مجموع مياه الخابور قريبا يستعمل في الصيف .

ولا تفيد القنوات في الاسقاء فحسب . فالقناة ١ تفذي بالماء الصالح للشرب ممسك مرزا الواسع ، والقناة ٤ تتصل بالمدينة الحصينة الواقعة بالقرب من شيخ أحمد .

ويمكن ان لم تستخدم هذه القنوات في وقت واحد . فالقناة ٢ اعيد بناؤها عدة مرات وباشكال مختلفة لرسمها . وستسمح التنقيبات المقبلة ولاشك بتعيين تاريخ استعمال كل من هذه القنوات اذا عرف تاريخ العمران الذي تتصل به .

وبعد فهذا عرض موجز لاول فحص لكليشاتنا الجوية وتحريقاتنا على الارض . وهو يكفي للدلالة على فائدة الطرق التي نرجو ان تطبق يوما ما على مجموع الارض السورية ، وسيكون تحت تصرفنا بعد بضعة أشهر صور لوادي الفرات والبلخ ، وستساعدنا على توسيع الحدود الجغرافية لمراسلتنا للجزيرة السورية .

نتائج الموسم الثامن عشر للحفريات

رأس الشمرة - أوغاريت ١٩٥٤

تليخيص وتعليق: جورج هراد

بقلم: كلود شيفر

قامت بعثة رأس الشمرة الأثرية بأعمال موسمها الثامن عشر للحفريات بين تشرين الأول وكانون الأول عام ١٩٥٤ وقد سهلت الحكومة السورية ومديرية الآثار العامة مهمتها وساعدت في نجاحها . وساهمت السيدة شيفر في الأبحاث والتحريرات وكذلك الماعون الفني فورر ، كما انضم إلى البعثة في هذا الموسم السيدان كوشك و ج . ك . شيفر وبعض موظفي مديرية الآثار العامة في دمشق .

اقتصرت أعمال هذا الموسم على كشف الجناحين الشرقي والجنوبي لقصر أوغاريت وظهر عدد كبير من الغرف والقاعات المرتبة حول باحتين داخليتين بما يرفع عدد هذه الباحات إلى ست . وقد بلغت مساحة ما كشف من القصر حتى الآن باستثناء الحصن الغربي والملحقات المخصصة للخدمة ٩٠٠٠ متراً مربعاً وستتجاوز هذا الرقم بعد انجاز الحفريات في الجناحين الشرقي والجنوبي الغربي . ويمكن على سبيل المقارنة اراد مساحة بعض القصور المعروفة . فقصر تل العماشنة (الأنح) في منطقة العمق مساحته أقل من التي متر مربع ، ومساحة قصر الملوك الحثيين في بوزازكوي إذا ضاعفنا المساحة المكشوفة حتى الآن تبلغ ٣٠٠٠ متراً مربعاً أي ثلث مساحة قصر أوغاريت .

والباحة الداخلية في الجناح الشرقي قياسها ٤٠ x ٢٥ متراً وفي وسطها حاجز مستطيل يحيط بحديقة صغيرة وبجواره مسكن صغير للبستاني . وحول الحديقة عمر تطل عليه أبواب الغرف المجاورة أو أروقتها المعمدة . وعندما احترق القصر في القرن الثالث عشر ق . م جمعوا في هذا الممر ما أمكن انقاذه من أثاث الغرف المجاورة أو من محتويات المستودعات والاقبية في الزاوية الجنوبية الشرقية من القصر . وقد وجدنا هنا بقايا قطع مختلفة من الأثاث المذهب

وبعض الأواني من الالباستر وسبائك من الرصاص المفضض . كذلك عثرنا على أوزان متنوعة تصل حتى الألف شاقل وتدلتنا على استخدام النظام الشرقي بخلاف أوزان بلاد الرافدين التي أتت الأساس الستيني . وبعض أوزان أوغاريت تشبه الأوزان المستعملة في مصر . كذلك وجدت بعض الحسابات المبعثرة على أرض إحدى الغرف المحيطة بالممر وتعلق باستلام كميات من الزيت وتوزيع الملابس على موظفي القصر وخدمه وبدوون مختلفة كما أن الوثيقتين القضائيتين اللتين وجدنا تشهدان بالرجوع إلى القضاء في بعض الأحيان لحل القضايا الاقتصادية . ولا ندري إذا كان اللوح المتعلق بطقوس العبادة الذي وجد بين هذه البقايا هو من الألواح التي يحتفظ بها الأفراد كما تحتفظ اليوم ببعض كتب الصلوات . وفي الزاوية الشمالية الغربية لهذا الممر نفسه عثرنا على إطار قياسه 75×80 سم مصنوع من قطع كثيرة من العاج ولكن الرسم أو النقش الذي كان ضمن الإطار قد فقد . وبجانب الإطار وجدنا رأساً جميلاً من العاج الكثيف علوه ١٥ سم ويمثل أحد ملوك أوغاريت وهو مثال نادر لرسم مجسم من هذا المهد البعيد . وهذا الملك هو غير الملك الذي وجد رسمه مع زوجته على إحدى اللوحات المنحوتة في سرير وجد قرب هذا المكان . والسيان في هذا التمثال منزلتان بالحجارة اللازوردية ، أما القبة فانها محاطة بشريط ذهبي ويملوها شكل مخروطي مجذع .

وقد أجرينا في الجناح الشرقي للقصر عملية سبر عميقة وتجاوزنا طبقة من الألف الثاني حتى وصلنا طبقة من نهاية الألف الثالث ق . م فلم نجد أثراً لأي جدار قصر سابق وسنواصل اجراء هذه العملية حتى نصل الأرض البكر . على أنه يمكن القول منذ الآن أن القصر القديم الذي وجدنا بعض آثار جدرانه كان أصغر من هذا القصر الكبير .

وفي وسط الجناح الجنوبي كشفنا من باحة محاطة بغرف كثيرة كلها مخصصة لحفظ الألواح بالكتابة المسارية وتصنيفها . والجدار الخارجي للقصر مبني بالحجارة المنحوتة الحديثة التي كان يظن أنها من مميزات بناء الصليبيين بعد ثلاثة آلاف سنة . والباحة الكائنة وراء هذا الجدار تضم حوضاً في وسطها وتنصب مياهه في أقنية تتصل بأقنية القصر . أما الأقنية التي تأتي بالمياه إلى الحوض فلا يمكن متابعتها ولكن من الطرافة بمكان أن الأحواض والبرك التي تزين القصور السورية هي متتابعة تتألف قديمة ترجع إلى عصر أوغاريت . وقد عثرنا في هذه الباحة نفسها على بئر وراءه في إحدى زوايا الباحة جدار صغير متهدم . ووجدت تحت أنقاض هذا الجدار أشياء مختلفة بينها سيف جميل قبضته منزلة بالفضة يشبه السيف الذي وجد رسمه منقوشاً على

لوحة عاجية اكتشفت في القصر نفسه : كذلك عثرنا على قطع خزفية مشوية شياً جزئياً ، وقد أتت من قرن مخصص لشيء الواح الخزف . والذي يهمننا هنا هو اننا نكتشف لأول مرة قرناً من هذا النوع ولكنه لم يبق منه إلا قسم صغير . وفي داخله وجدت ألواح مختلفة في حجمها وملوثة بالرماد والفحم ويدل عدم اكتمال شيئا أن الجدار هبط فجأة . والمجموعة الأخيرة في القرن تضم خمسة وسبعين نصاً منها ثلاثون بحالة حسنة ويظهر أن كتاب القصر كانوا ينتظرون أن يبلغ عدد النصوص المائة تقريباً حتى يبادروا إلى شيئا . والنصوص تعالج مواضيع مختلفة بعضها ترجمة لرسائل نقلت عن الأصل الأكادي وتحمل إحداها اسم الملك حمورابي آخر ملوك أوغاريت . وفي بعض النصوص نجد لوائح للهدايا وقوائم مواد مختلفة كما أن بعضها الآخر يذكر سفن أسطول أوغاريت التجاري أو أسطول ملك بيروت . وجميع هذه الوثائق قد كتبت بالمسارية الأبجدية أو الأوغاريتية بينما على مقربة منها في نفس الباحة نجد مدخل قسم المحفوظات الجنوبي حيث حفظ نحو مائتي نص كلها بالأكادية وهذا ما يثبت تصنيف محفوظات قصر أوغاريت تصنيفاً دقيقاً . وقد وجدنا على ما نظن غرفتين في القسم الغربي من الباحة كانتا مقر السكرتارية التي كتبت فيها النصوص الأبجدية .

وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من الباحة نفسها أكملنا عمليات التنقيب في قسم المحفوظات الجنوبية للقصر . ويختص هذا القسم بالألواح الأكادية الآتية من دواوين ملوك الحثيين في بوزازكوي أو حلفائهم في شمالي أوغاريت . وتتميز هذه الألواح بلونها الأحمر أو القرميدي عن ألواح أوغاريت الرمادية أو السوداء ، وعليها خاتم ملوك الحثيين أو كبار الموظفين في القصر . وقد ختمت بعض ألواح صادرة عن كركيش بالختم الأسطواني بحسب أسلوب سورية وبلاد الرافدين . وقد حلل المسيو نويغول الوثائق الهامة التي وجدت في هذه المحفوظات الجنوبية وبينها رسائل ومعااهدات واتفاقات تجارية تلتقي ضوءاً على العلاقات بين أوغاريت والبلاد الحثية في النصف الثاني من الألف الثاني حين كان التوتر شديداً بين مصر ودولة الحثيين بسبب سورية الشمالية . وسيقدم الأستاذ لاروش بحثاً عن فوائد دراسة الاختام ذات اللغتين الموجودة في هذه الرسائل وأثرها في تقدم تفسير الكتابة الحثية الهيروغليفية .

وأود في نهاية هذا التقرير أن أشير إلى نتائج دراسة تحليلية للاختام التي وجدت على ألواح المحفوظات الجنوبية لأنها قد تلتقي ضوءاً على تقاليد الحثيين في استخدام الاختام ومقارنتها بالتقاليد المتبعة في دواوين قصر أوغاريت . فقد وجدت على الألواح الحثية من عصر شوبيلوليوما في

محفوظات أوغاريت أشكال ختم كبير باسم هذا الملك وشريكته بالحكم الملكة توانانا . وتحوي الوثائق الحثية في بوزازكوي أربعة أختام كبرى تختلف نوعاً في ما نقش عليها وهي باسم شوبيلوليوما وملكة لا بد أنها توانانا وهي ابنة ملك بابل . وفي بوزازكوي آثار أربعة أختام صغيرة باسم شوبيلوليوما وزوجة أخرى اسمها هتي . ولدينا بين ألواح رأس شمرا آثار خاتمين كبيرين من عهد مرسل الثاني ابن شوبيلوليوما وختم كبير آخر وجد قلبه الحجري في إحدى باحات قصر أوغاريت . ولم يثر في محفوظات أوغاريت على أختام من عهد مونتو وأورخي تيشوب ولكن أختاماً عديدة وجدت آثارها في بوزازكوي باسم هذين الملكين الحثيين . أما الملك ختوسيل وزوجته بودوهيا فقد وجدت في أوغاريت آثار ثلاثة أختام باسمها وآثار ختم رابع صغير باسم الملكة وحدها . وفي بوزازكوي كذلك وجدت آثار ثلاثة أختام كبرى باسم الملك وحده ولكن هذه الأختام كلها مختلفة بعضها عن بعض كما أنها تختلف عن أختام أوغاريت . ولم نثر إلا على وثيقة واحدة عليها أثر ختم كبير باسم تودهايا الرابع ابن ختوسيل والختم نموذج جميل من فن حفر الأختام الحثية . أما في بوزازكوي فقد وجدت أشكال أختام كثيرة على الوثائق باسم تودهايا وهي تختلف عن ختم رأس شمرا كما تختلف فيها بينها ولا ندرى إلى أي من الملوك الكثيرين الذين حملوا هذا الاسم تنسب . وليس بين وثائق أوغاريت ما يحمل اسم وريث تودهايا الرابع وهو الملك ارنواندا .

أما الأختام التي كان يستخدمها ملوك كركيش أو أمورو والامراء وكبار الموظفين الحثيين فإن المحفوظات التي وجدت في أوغاريت تشير إلى تعدد هذه الأختام وتنوعها كما كانت الحال عند الملوك الحثيين . فملك أمورو شوشكاموا مثلاً كان يستخدم خاتمين متوسطي الحجم وختماً أسطوانياً كان يستعمله سلفه الملك أزيرو وسلفه الآخر دوتيشوب . وسفير كركيش وهو من أصل مصري أمضى وثيقة وجدت في محفوظات أوغاريت بختم أسطوانى وبختم آخر بشكل جملان .

وتظهر لنا دراسة وثائق أوغاريت والواح بوزازكوي أن ملوك الحثيين كانوا يستخدمون الأختام الكبيرة لأجل المعاهدات وسائر الوثائق الدبلوماسية بينما كانوا يستخدمون الوثائق الأخرى بأختام أصغر حجماً وأكثر بساطة . غير أن ذلك لا يفسر لنا لماذا كان الملك يستخدم عدة أختام كبرى وعدة أختام صغرى باسمه أو باسم الملك وزوجته . وربما يمكن الافتراض أن ملوك الحثيين كانوا أحياناً يفوضون ممثلهم باستخدام بعض نماذج خاصة من أختامهم ويؤيد ذلك تنقيب الملوك عن عصمتهم بسبب الحروب الكثيرة .

أما ملوك أوغاريت فانهم لم يستخدموا شكل الختم المستدير الذي استخدمه الحثيون وقد تمسكوا بالختم الأسطواني المستعمل في بلاد الرافدين . وقد وجدت في المحفوظات الوسطى لقصر أوغاريت آثار خاتمين أسطوانيين من نفس النموذج . ولم يتبع ملوك أوغاريت تقاليد ملوك الحثيين في استخدام مجموعة من الاختام في عهد كل ملك بل كان الختم الملكي الكبير يستخدم في عهد عدد من الملوك المتعاقبين وكان عليه اسم أحد الملوك السابقين وربما مؤسس السلالة . وكانت القرارات والمراسيم والأوامر تنشر ايس بناء على سلطة الملك الحاكم لأن هذا كان يستمد سلطته الشرعية من فكرة السلطة المنصلة بالبيت الحاكم . وبكلام آخر فإن وظيفة الخاتم الملكي عند الحثيين تنفق مع النظام الإقطاعي في الحكم بينما نرى في أوغاريت في نفس الوقت فكرة السلطة الملكية منفصلة عن شخص الحاكم باعتبار أن هذا الشخص هو الرمز الموقت للسلطة . وشرعية القرارات الملكية كانت تؤمن بوضع خاتم السلالة وبذلك تشترك السلطة التي كان يمارسها البيت الحاكم في المصور السابقة في العمل الذي اقره الملك وبذلك تؤيد سلطته . وهكذا كان ملوك أوغاريت حريصين على الاحتفاظ بخاتم سلفهم ومؤسس سلالتهم . ويتضح من أحد الاختام ومن نموذج صنعه البابلي أنه لا يمكن أن يكون بعد القرن الثامن عشر ق.م . فملوك أوغاريت في القرن الرابع عشر والثالث عشر استخدموا اختاماً ترجع إلى ما قبل أربعة قرون .

وفي هذه الظروف يتساءل الانسان عن سبب صنع نسخة عن النموذج البابلي الأصلي لخاتم ملوك أوغاريت . وإذا ما قارنا الخاتمين نرى أن النسخة الثانية لم تظهر بعض التفاصيل وبعض الاصلة في اسلوب الخاتم الأصلي . أما العصر الذي ترجع اليه هذه النسخة الثانية فإنه غالباً بعد ١٧٥٠ ق.م وقبل ١٥٥٠ ق.م أي بعد الطبقة الثانية المعاصرة للمملكة المتوسطة في مصر وقبل الطبقة الاولى المعاصرة للإمبراطورية المصرية . وقد كانت هذه الفترة فترة اضطرابات في مصر وغربي آسيا انحط أثناءها فن صنع الاختام . وهكذا فإن ملوك أوغاريت بين عام ١٤٠٠ و ١٢٥٠ ق.م استخدموا خاتمين قديمين إنما الواحد كان نسخة عن الآخر ولكن النسخة الثانية لم تكن معاصرة للوثائق التي وضعت عليها ، وربما صنعت في عصر اضطرابات لم بعد فيها استعمال الختم الأصلي متيسراً مما دعا الملوك الى استبداله والى صنع ختم آخر .

حفريات عمريت في عام ١٩٥٤

تقرير اولي

وضعه

السادة : موريس دونان ونسيب صليبي وآغوب كيريشيان

تقريب وتلخيص الدكتور نور الدين عاظم

تقع عمريت الى الجانب الشرقي للمعبد المنحوت في الصخر بالقرب من وادي النهر الكبير الجنوبي الادنى . وقد بدأت أعمال التنقيب في موقعها في ١٠ آذار . مخططها مستطيل ، وأبعادها ١١٠ م في المحور الشمالي الجنوبي ، و ١٤٠ م في المحور الشرقي الغربي . ويرتفع سطحها ١٦٢٥ م في الغرب والشمال على محيط المعبد ووادي نهر عمريت الذي يحد جبهتها الشمالية ، على ١٨٥٠ م بالقرب من زاويتها الجنوبية الشرقية . ويتألف صحنها من الصخر الرملي المألوف في الساحل السوري الذي يستقر سطحه هنا بين مرتفع ١٠ و ١١ م . أما ارتفاع فتات الصخور والاراضي اللحية فيتراوح بين ٧ و ٨ م . وتل عمريت غير محدد جيداً في الغرب لأن المنحدر ينخفض حتى تلة أولى ظاهرة ، ومن ثم ينحدر تدريجياً حتى مستوى السهل المجاور . ولم يظهر لنا باديء بدء على سطح الارض أي طلل أو رسم بل كان الشمر يغطيه وحوله حقول القول والعدس . وفي أسفل الجهة الشمالية كان قاع نهر عمريت يحرق بنية غرس الاشجار المثمرة .

بدأ الحفر على ارتفاع ١٦ م ، على طول الجهة الشمالية أي على ١٦٢٥ م تحت سطح الأرض وحاولنا الانزال اولاً الى الطبقات السطحية التي لا بد منها لمعرفة أراخي السكن الاولى . ولم يكشف في هذه الطبقات الا عن أقسام الجدران المفككة أو المتداعية . لذا وجب تعميق الحفر لترى ظهور أول بناء مع أرضه على مرتفع ١٥٢٥ م . ثم ان توسيع التنقيب أوصلنا إلى ثلاث

غرف مبلطة بأحجار غير منحوتة وتمثل المقام الأول لتل عمريت في قسمه الشمالي الغربي . ويقع اعلى هذه الجدران على مرتفع ١٥٥٠ و ١٦ م . وبينما كان الكشف يجري عن هذه الغرف الثلاث أدت متابعة الأعمال في القسم الشرقي من جهة الحفريات إلى ظهور جدران مشادة بأحجار زوايا وأحجار بناء مربعة . وتوصلنا هنا إلى القسم الشمالي من البناء الكبير الذي كشفنا عنه خلال أعمالنا . وكان أعلى الجدران المحفوظة يرتفع تدريجياً من ١٦٥٤٠ بالقرب من حفة التل الشمالية إلى ١٧٥٧٠ م بالقرب من الزاوية الشمالية الشرقية للبناء . وادى الحفر حول القسم الأوسط من سطح التل إلى الكشف عن جدار سميك طويل في طرفه الغربي . ويظن بأنه متراس . وأخيراً اكتشفنا ثمانية قبور ، بشكل بشر مستديرة تشبه مطمورة على سطح الأرض ، بين الحد الجنوبي للبناء الكبير الذي تكلمنا عنه وحد الحفريات في ختام هذه الحملة . وسنقدم تباعاً هذه التراكيب البنائية الأربعة والأثاث الذي معها ونحاول أن نضمها في عصرها .

أما البناء الأول فغير محفوظ جيداً ، وجدرانه متقطعة من كل جانب . ونظهر فيه اضافات متأخرة أفسدت منظره العام . هذا ولما كانت الجدران الأصلية فيه ذات بناء « غشيم » ومتصلة مع بعضها بصورة قائمة قليلاً فمن الصعب أن نبين ما يؤلف قسماً من المخطط الأصلي ، وما دخله من تعديل ، وما شيد آجلاً في عصر لم يبق فيه من البناء الأصلي شيء .

يتألف هذا البناء من باحة إبعادها ٧٨ م × ٤ م غير مبلطة متجهة من الشرق إلى الغرب . وفي جهتها الشرقية الصغيرة غرفتان مبلطتان بأحجار خشنة وتتصلان مع بعضها بباب وفي الشمال غرفتان مستطيلتان لصقنا بهما من جانبيها الصغيرين . وغرفة ثالثة تتوسط بين احدهما والغرفة المبلطة المجاورة للساحة في الغرب . وأرضها كأرض هذه الأخيرة مبلطة بأحجار عريضة غير منحوتة . إبعادها ٦٥٠ × ٤٥٠ في الأصل . ويبدو أن زاويتها الشمالية الغربية التي تقع على منحدر التل قد عدلت وتراجعت بصورة تشكل اليوم زاوية داخلية من بناء غشيم . ويدل التباين على ما يطابق هذا التعديل . ويبلغ سمك الجدران الداخلية ٦٠ سم . وسمك الجدار الخارجي يتراوح بين ٩٠ سم و ١٦٠ سم في الأساس حيث استطعنا معرفته . وارتفاع الجدران مبني بأحجار قائمة الزاوية بإبعاد ٢٥ × ٥٥ × ٣٠ موضوعة على صفين حسب طولها أي بسمك ١ م . ولم نجد منها الا قسماً صغيراً وذلك لأن مثل هذه الأحجار يبقى عرضة لغارة البنايين . ويعتمد الجدار الغربي للصالة الأخيرة في غرب الساحة ، على جدار سميك

يتجه شمالاً جنوباً ويقع في أعلى المنحدر الغربي للتل . وجدارها الجنوبي وجدار الغرفة التي تفصلها عن الساحة مستور في قسم منه بجدار ضخيم يفصل عمودياً عن الجدار الضخم السابق . ويتوضع هذا المأوى اذن بصورة طبقية بين بناء هذين الجدارين الضخمين . وفيه قليل من الفخار .

ويعتمد الجدار الكبير طوال المنحدر الغربي للتل بطول ٢٥ م وعرض ٢٤٠ م . ويتألف من وجهين من الأحجار الفسيمة مع حشوة داخلية . ولم يبق منه الا ثلاثة مداميك في الاقسام المحفوظة جيداً (في المرتفع الاعلى ١٦٠٥٦ م) . وفي طرفه الشمالي يقف واضحاً ويتجه وجهه إلى الشرق على طول ٥١٠ م ليشكل برجاً داخلياً متكلاً مخططه مربع تقريباً ويبرز ٢٧٠ م عن وجهه الداخلي . كما تبرز كتلة مشابهة عن الوجه الخارجي للجدار . وجانبها الشمالي في امتداد الجهة الجنوبية للكتلة السابقة . وطولها ٥٩٠ م وعرضها ٥٤٥ م . وسطحها مسوى ممد ويخفض نحو الغرب . ويظن بأنه أساس لمنحدر أو برج . وفي شمال هذا القسم من الجدار ، يوجد قسم آخر طوله ٧١٠ م ملصوق به والاتصال واضح بين الاثنين . وهذا القسم أقل عرضاً من السابق وأقل انتظاماً ايضاً (٢٤١٠ م في الجنوب ، ٢٣٠ م في الشمال) ولا يكون في امتداده الصحيح وتستقر تسويته على ٣٥٠ م . غير ان البناء يبقى نفسه في كلا القسمين . وعلى وجهه الداخلي يستند الجدار الغربي لآخر غرفة في البنيان الذي ذكرناه أعلاه ، وكذا الجدار الضخم الذي يغطي جزءاً من جدارها الجنوبي .

وإذا استطعنا أن نرى أساسات متراس في الجدران الكبرى القائمة في حفة التل لنتمكن من ايضاح انفصال هذه الجدران الواضح بوجود أثر دفاعي في الزاوية الشمالية - الغربية مبني بصورة مستقلة عنها . وقد توصل التنقيب في هذا المكان إلى كثير من الأشياء .

أما البناء الرئيسي الذي كشف عنه في تل عمريت فيقيس ٢٤٢٠ م في المحور الشرقي الغربي . وهو محفوظ في المحور الشمالي - الجنوبي على طول ٢١٠٨٠ م ، ويطله الجدار الخارجي الغربي أيضاً في الجنوب بـ ١٠٩٠ م . والجدار الجنوبي وحده محفوظ في كل طوله . أما الطرفان الجنوبيان للجدار الشرقي والغربي فقير موجودين . ولم نجد من الجدار الشمالي أقل جنر . والأرض في أمكنة منها مبلطة بصورة غير منتظمة بأحجار غشيمة وتستقر بين مرتفع ١٦٠٣٦ و ١٦٠٨٤ . وتبدو في القسم الجنوبي من البنيان . أما القسم الشمالي فقد تقوض بهامه عدا بعض اقسام الجدران الخارجية .

مظهر البناء أثري جليل . ويبلغ عرض جدرانه الخارجية بانتظام ١٠٢٠ م . وهي مبنية

بأحجار ضخمة في وجوها وبالحصى في باطنها . أما الاحجار المنحوتة الممتنى بها فموضوعة في الزوايا وعلى طول الجدران بمسافات منتظمة ، كل ٢٣٠ م . وتتألف من مداميك ذات كتل قائمة الزاوية ضلعا من ٢٠ م إلى ٣٠ م وطول يتراوح من ٥٠ م إلى ٨٠ م . وقد نصبت كل كتلتين على طولها مقابل كتلة في عرضها موضوعة بالتناوب في الوجه الداخلي والخارجي للجدران . والتقسيم الداخلي غير محفوظ الا في الاقسام الجنوبية والجنوبية الشرقية . وفي الجنوب جدار حاجز مواز للجدار الخارجي وطوله ١٦٤٠ م ويحد غرفاً وباحات ضيقة يختلف عرضها بين ٢٤٠ و ٢٨٠ . وطولها وسطياً ٧٤٠ م . ويبلغ سمك الجدران الحاجزة من ٥٠ م إلى ٨٠ م . والممتنى بها مبنية بكتل موضوعة على طولها من وجه لآخر . وهناك غرفتان اخريان موازيتان للسابقتين وبنفس العرض تتوسطان بين الاخيرة من هاتين وجدار الواجهة الغربية . ويبدو ان طولها كان ١١ م غير ان جداراً حاجزاً منشأً في طرفها الجنوبي أرجعه الى ٩ م . وليست هذه الغرف قائمة الزوايا الا ظاهراً . فهي تبدي في جدرانها انحرافاً نحو الغرب . وتقيس اقطارها ٨ و ٧٨٠ م ، ٨٢٠ و ٧٩٠ م . ولم ير في هذا القسم المحفوظ أي باب خارجي . غير أن التقسيمات الداخلية تدل على مدخل من الواجهة الجنوبية . وعلى هذا النحو يكون في الريح الجنوبي الشرقي ساحة تتصل بغرفة في اليسار وغرفة في اليمين قسمت فيما بعد الى غرفتين . اما غرفة اليسار فربما كانت تتصل بالغرفة التي تليها لائتنا نرى قرينة هذا التدرج بالقرب من الزاوية الشمالية الغربية . وعلى ما يبدو ان هذه الغرفة وعلى كل حال الغرفتين الاخرين ، كانت تشكل وحدة في تنظيم البنيان الداخلي . وكذا الحال في الغرفتين الطويلتين الواقعتين الى الغرب قليلا . ولا ترى في الزاوية الشمالية - الشرقية الا ساحة صغيرة أو قاعة كبرى وغرفتان تجاور كتلة الغرف الاولى التي أتينا على ذكرها . وفيما عدا ذلك ، في الغرب والى الجنوب قليلا ، وجدت الجدران غير مبنية جيداً واتجاهها لا يتألف مع العناصر التي سبق ذكرها لنستطيع ان نقول فيها شيئاً .

ولا ندري الغاية من هذا البنيان ، فسطحه وقوة جدرانه الخارجية توحيان بأنه بناء عام ولا نجراً أن نقول شيئاً أكثر من ذلك الآن . والاشياء المعبرة فيه ترجع الى آخر العصر الفارسي . ومقره من جهة على سوية الطبقة ٥ للبناء بالقرب من سلوقية بيريا ؛ ومن جهة أخرى مع الطبقة ٢ لئل ابو خوام بالقرب من حيفا . اما مدفن عثليت الذي اكتشفه جونس

فهو من هذا العصر أيضاً . غير أن آخر القرن الخامس والنصف الأول من القرن الرابع قبل المسيح يبرران أفضل من غيرها بمجموع الأشياء المنبوشة في عمريت .

القبور

ظهر القبر الأول غير بعيد عن الزاوية الشمالية - الشرقية للبنيان الفارسي الكبير . وبدا لنا بشكل أحجار صغيرة منتضدة يبرز فوق بعضها حسب ترتيب غير منتظم وتشكل ظهراً لقبة دائرية واطئة . غير أن انتزاع آخر حجر من مكانه كشف لنا على أن هذه القبة كانت تستر بئراً عميقة ذات جدران مبنية بأحجار صغيرة . ولهذا البئر مقطع أفقي بشكل حدوة الفرس ، القسم المحذب في الغرب والقسم المستقيم في الشرق يستند إلى جدار في قسم من ارتفاعه . وظهرت لنا هذه البئر فارغة وظننا بأنها مطمورة . وفي الأعلى على ٢ م من قبة السد ، خارجاً عن التراب الذي تسرب أثناء عملنا ، صادفنا ما يقارب ثلاثين سنتمراً من التراب الأسود الفباري . وعلى هذا التراب ، وبالقرب من الجدران ، ظهرت بعض العظام البشرية ولم نستطع معرفة وضعها التشريحي . ولم نجد في القبر أي إناء سليم . وبين القطع الفخارية التي جمعناها نشاهد عروة عقدية في قدح قبرصي وعروة عريضة مسطحة مزينة بخطوط زخمة عرضانية سوداء وعروة أصفر منها مزينة بخطوط بيضاء - سمراء . وهذه الشواهد الفخارية الثلاثة تذهب بنا إلى البرونز الحديث ١ و ٢ . كما أن رفات الهياكل العظمية الموجودة في سطح الأرض التي تعلو قاع البئر بارتفاع ٢٥٠ م تعتبر شيئاً مدهشاً بالنسبة إلى قبر . فقد فكرنا أنه مطمورة حدث فيها حادث ما . غير أن متابعة التنقيب أكدت لنا أن هذه البئر كالأبار المكتشفة فيما بعد كانت قبراً حقاً . والتعبير « بئر » يدل على فئة من القبور ذات غرفة جنازية جانبية في القاع . غير أننا نحفظ بالتعبير قبر المطمورة للدلالة على هذا القبر الذي كشفنا عنه والقبور التي من نوعه والتي وجدنا فيها هياكل عظمية وشواهد فخارية وبعض الأسلحة .

وهذه القبور ، التي هي بشكل مطمورات ، تعتبر تجديداً في الطرق الجنازية التي نعرفها في سورية - فنيقية ، ولضع كثيراً من القضايا . فلماذا كانت هذه الأبار يمثل هذا العمق لدفن يقتصر أحياناً على فرد واحد ؟ قلنا الوحيد في القبر الأول يتمتع بمجال حر بمقدار ٢ م وفوقه يتمتع الفرد الأول المدفون في قاع القبر السابع بفراغ ٣٠ م تقريباً ، والآخرون

ب ١٥٥٠ م . ومسقط هذا القبر يصل تقريباً الى سوية حقل الحنطة في سطح التل قبل الحفريات ويرتفع الى أعلى من أرض المقام الكبير في عصر الفرس . اما المساقط الأخرى فهي على سوية اخفض ولكنها تبقى فوق سوية المدينة التي تطابقها . وثم لم كانت هذه الآبار بشكل دائري وغير مربع أو مستطيل . أليس هذا الشكل على صلة أفضل مع هدفها اذا كان الغرض منه جنازياً في الأصل ؟ ولماذا بني القطاء بشكل قبة مع عمر ضيق لا يمر منه الحي الا بمشقة عظي ، اذا كانت هذه القبور مخصصة منذ البدء الى دفن يؤدي في كل مرة الى فتح وسد صمين ؟ ان سوية مدينة البرونز الاوسط ٣ توجد ظاهراً اخفض من مسقط القبر ٧ . وهذا ما يضطر الى تسلق هذا القبر لا تزال الاموات فيه . ولماذا لم تعمل فتحة جانبية بسوية ملائمة في جدران هذه القبور ؟ ان مثل هذه الفتحات لا توجد في مكان من أي قبر من القبور الثمانية التي اكتشفناها .

ووجدنا قبري وليدين على مرتفع ١٥٣٠ م أحدهما في جرة والآخر بين قطع الفخار . كما ظهر معنا مدفنان آخران للاطفال في مرتفع ١٦٩٠ م .
ووجدنا قبرين من عصر آخر متجهين شمالاً - جنوباً . وضلعا القبر الغربي الطويلان مشكلان من حجرتين من أحجار الحقل ، والضلعان الصغيران من حجر واحد وكان من الضروري أن يضم اليه حجران لانعام الجدار الشمالي . وأرض القبرين ترابية غير مبلطة . ويسد كلاهما أربع بلاطات كبرى . لقد خرق هذان القبران . والعظام فيها مختلطة مع قطع الفخار الصغيرة . والشواهد الفخارية التي أخذت منها قليلة التمييز . ولكن وجد حولها وفي السطح الحالي للأرض كثير من قطع الجرار الكبرى مع عراها . وتاريخ هذين القبرين يتراوح بين ٤٥٠ و ٣٥٠ .

وتابعنا الكشف في أعماق بناء على حدود البرونز القديم والبرونز الاوسط فوقنا على منجم فخاري في مرتفع وسطي ١٥٧٥ م وبالقرب منه زوج من قرون ذوات الاظلاف ما زال منضماً الى العظم الجبهي . ويحتوي هذا المكان على شواهد فخارية مزينة بخطوط متوازية ميساوية ونادراً سمراء ، وخطوط محفورة بشكل أسنان الذئب . كما وجدت عدة صحنون مزينة بخطوط سمراوية وجرتان مزينتان بأسنان الذئب . وتتألف جميعها الفخار النموذجي لهذا المرقد . فهل في كل هذا دليل على وجود مكان للأضاحي ؟ ان الحفر في الاعماق شاقولياً وافتياً يوضح لنا ذلك .

هذا ومن المهم ان يعرف نفوذ المموريين في فينيقية ودراسة الطبقة التي تتفق مع هذا الفخار الذي يبدو في الأصل انه من انتاج الفخار الخاص بهؤلاء السكان . فلا يفرق عن البال انا في عمريت أي في المنفذ البحري لوادي النهر الكبير الجنوبي . وفي منفذه القاري اعطت منطقة مشرفة - قطنا فخاراً من هذا النوع بهذه الوفرة . وهكذا يبدو هذا الوادي طريقاً من الطرق الكبرى للنفوذ المموري .

المواقع الأثرية

لقد عاودنا التنقيب في ثلاثة من هذه المدافن التي اكتشفها من قبل ارلست ريتان وكشفنا عن رابع منها دون بناء علوي أثري . وقد نهب هذا القبر كسائر القبور في المنطقة ولكنه يستحق الكشف في نظرنا .

الموقع ذو الهرم - نسمي الضريح بهذا الاسم اذا كانت له قاعدة مكعبة تملوها اسطوانة يتوجها هرم صغير رباعي . ولقد كشف لنا الحفر فيه عن بعض المفاجآت . ووجدنا فيه أكثر من مائة شيء مع عظام بشرية مبعثرة، وتتسلسل هذه الأشياء زمنياً بين أول القرن الرابع المثل بالمصاييح الاثينية وآخر القرن الأول من عصرنا الذي يدل عليه بمصاييح خزفية حمراء - سمراء فمنها مزين بتقوش حلزونية ، وأغلاها مزين بمشاهد مختلفة .

وأقدم الأشياء في هذه المجموعة هي الجرار ذات العروة المتطاولة والمصباح المفتوح ذو القمر المسطح . ويظهر أحد هذين النموذجين قبل القرن الخامس والآخر في آخر هذا القرن وبداية القرن الرابع . والأشياء الحديثة هي مصاييح ذات غطاء مزين بمدة زينتات وترجع الى القرن الأول والثاني للميلاد . والأشياء المتوسطة هي المصاييح الاثينية التقليد وقطع دوارق من رودس وتقود . ولتعليق هذه الأشياء على أفضل وجه يمكن تأريخ الدفن واشادة القبر حول منتصف القرن الرابع أو قبل ذلك بقليل . وقطع الجرار الرودية ترجع جملة الى القرن الثالث والثاني . والمصاييح ذات النقوش التي هي بشكل أنطق مشعة ومن نموذج الآلهة المجنحة تؤكد ان الدفن في القرن الثالث . وكان يدفن في الممر الموصل الى المدفن في القرن الأول الميلادي .

الموقع العلوي ذو البناء القريب . - نسمي القبر بهذا الاسم اذا كانت له قاعدة مستديرة مجنحة بأربعة وجود اسود تملوها اسطوانة متوجة بقبة . وعندما نبشنا هذا القبر لم نجد فيه

أي فخار أو أي قطع معبرة . والفخار فيه نادر ومن النوع الذي ظهر في مدفن الهرم .

المرفق ذو البناء العلوي الموسوري . - ونسعى القبر بهذا الاسم اذا كانت له درجتان ولا يعلوه حائلاً الا مكعب حجري . ولقد كشفنا عنه بتمامه فوجدنا فيه قليلاً من التراب وعروتين رودسينتين مع خاتم مستدير وقطع جرة ذات عرى متطاولة ووعاء عميق برتقالي الطلاء وبعض قطع من طنجرة .

المرفق ذو البناء العلوي المحفوظ في الصخر . - نسمى القبر بهذا الاسم اذا كان فيه مفتوحاً في كتلة صخرية وشكله مكعب اجمالاً ويبرز بـ ٢ م تقريباً فوق الأرض المجاورة . وقد ظهر أنه لم يسحب منه شيء ، ويضم أشياء علمية ولكنها ثمينة من الوجهة الزمنية التي تهمننا . ويبدو في كل هذه القبور ان الاثاث الجنائزي هو نفسه تقريباً . ويتدرج بين القرون الاربعة الاخيرة قبل عصرنا والعصر المسيحي الاول . وربما نبلغ القرن الخامس قبل المسيح بالجرة ذات العرى المتطاولة . ولكن لا شيء يضطر الى الصعود الى التأريخ الاعلى في ديمومة هذه المجموعة الفخارية . في النصف الاول من القرن الرابع او بعده بقليل نصبت هذه القبور واستخدمت حتى القرن الاول من عصرنا .

حفريات المدرج

هذا المدرج معروف منذ حفريات ارنت ريتان . غير اننا قمنا فيه ببعض كشوف للملاحظة بعض التفاصيل والدقائق : لنعرف فيه الأرض ونحقق وجوداً محتملاً لحد نحو مركز نصف الدائرة ونجد بعض آثار لشوكة الملعب *Spina* وندرس ترتيب طرفه الغربي . وكل هذه التفاصيل ضرورية للحصول على تاريخ بناءه .

وجدنا خلال الكشف عن أساس النصف دائرة عروتين رودسينتين ذواتي خاتم مستطيل ، واحداً ذات كتف مدور ومهورة بخاتم مستدير . وعندما كشفنا عن المدخل الجنوبي الذي يشكل الـ *Parodos* حصلنا في الطبقة السطحية على نقود برونزية من عصر ليسينيوس وفي القمر تقريباً ، قطعة أخرى برونزية قليلة التمييز ومصباح فخاري مزين بخطوط مشعة وله عروة تقابل فوهته .

أي فخار أو أي قطع معبرة . والفخار فيه نادر ومن النوع الذي ظهر في مدفن الهرم .

المدفن ذو البناء العلوي الموسوري . - ونسعى القبر بهذا الاسم اذا كانت له درجتان ولا يعلوه حائلاً الا مكعب حجري . ولقد كشفنا عنه بتمامه فوجدنا فيه قليلاً من التراب وعروتين رودسيتين مع خاتم مستدير وقطع جرة ذات عرى متطاولة ووعاء عميق برتقالي الطلاء وبعض قطع من طنجرة .

المدفن ذو البناء العلوي المحفوظ في الصخر . - نسمى القبر بهذا الاسم اذا كان فيه مفتوحاً في كتلة صخرية وشكله مكعب اجمالاً ويبرز بـ ٢ م تقريباً فوق الأرض المجاورة . وقد ظهر أنه لم يسحب منه شيء ، ويضم أشياء علمية ولكنها ثمينة من الوجهة الزمنية التي تهمننا . ويبدو في كل هذه القبور ان الاثاث الجنائزي هو نفسه تقريباً . ويتدرج بين القرون الاربعة الاخيرة قبل عصرنا والعصر المسيحي الاول . وربما نبلغ القرن الخامس قبل المسيح بالجرة ذات العرى المتطاولة . ولكن لا شيء يضطر الى الصعود الى التأريخ الاعلى في ديمومة هذه المجموعة الفخارية . في النصف الاول من القرن الرابع او بعده بقليل نصبت هذه القبور واستخدمت حتى القرن الاول من عصرنا .

حفريات المدرج

هذا المدرج معروف منذ حفريات ارنت ريتان . غير اننا قمنا فيه ببعض كشوف للملاحظة بعض التفاصيل والدقائق : لنعرف فيه الأرض ونحقق وجوداً محتملاً لحد نحو مركز نصف الدائرة ونجد بعض آثار لشوكة الملعب *Spina* وندرس ترتيب طرفه الغربي . وكل هذه التفاصيل ضرورية للحصول على تاريخ بناءه .

وجدنا خلال الكشف عن أساس النصف دائرة عروتين رودسيتين ذواتي خاتم مستطيل ، واحداً ذات كتف مدور ومهورة بخاتم مستدير . وعندما كشفنا عن المدخل الجنوبي الذي يشكل الـ *Parodos* حصلنا في الطبقة السطحية على نقود برونزية من عصر ليسينيوس وفي القمر تقريباً ، قطعة أخرى برونزية قليلة التمييز ومصباح فخاري مزين بخطوط مشعة وله عروة تقابل فوهته .

ويبدو من هذه الكشف الاولى أنه يجب أن تتخذ القرن الثالث لأول استعمال لهذا المدرج ، اذ لم يظهر فيه شيء من القرن الرابع . ومنحدره الذي يبدو كمدخل يؤدي الى منشأ نصف الدائرة يظهر أنه تقليد للمسارح الرومانية لأن المسارح الاغريقية والمصور الهلنستية لا تعرف هذا الترتيب . ولا يمكن تصور هذا الاقتباس قبل آخر القرن الاول قبل المسيح ولذا يجب أن تقبل بأن هذا المدخل ترتيب متأخر . والعمل فيه غشيم . وكثير من القرائن تدل على انه لم يتم .



الكتابة القبرصية الخاصة باوغاريت

الدكتور كلود شيفر

تعريب وتلخيص: بشير زهري

ان تعدد أنواع ومصادر الآثار التي أخرجت من أرض رأس شمرا خلال تسعة عشر موسماً للحفريات التي أشرفنا على إدارتها أظهرت للعيان ومنذ أعمال الحفر الأولى الصفة الدولية لمرفأ أوغاريت القديمة .

فالثروة التي كانت أطلالها تضمها ، وجمال قصورها ومبانيها ، ووسائل الراحة التي كانت تتوفر في المساكن الكبيرة الخاصة المجاورة للمستودعات الواسعة التي قدم بعضها ما يحويه من بضائع ، كل ذلك يدل على الرخاء الذي كان يسود أوغاريت في الألف الثاني ق . م . وما لا شك فيه أن هذا الرخاء كان ثمرة نشاطها التجاري وعلاقاتها البحرية ، وطرق المواصلات التي تربطها بالبلاد المجاورة في الشرق الأوسط ، مصر في الجنوب ، والآناضول الحثي ، وبلاد البحر الأبيض المتوسط قبرص وكريد واليونان الميسينية .

واكتشافات اللوحات التي عليها كتابات تدل بشكل خاص وملاحظ على ما يمكن ان يدعى بتعدد قوميات سكان أوغاريت . ففي رأس شمرا ، ومنذ عام ١٩٣٩ تمرفنا على وجود ست لغات كانت (الا اللغة السومرية المستعملة فقط من قبل بعض الكتاب) لغات التخاطب في شوارع أوغاريت ، وعلى أرصفتها ، وفي الاسواق التي تحرك العالم . وكانت لغة الشعب السوري الاصيل - في بادئ الامر - اللغة السامية الاوغاريتية أو الكنعانية الشمالية التي تؤلف أقدم مصدر للغة العربية . وكان يسمع - فيما بعد - في أوغاريت اللغة البابلية والخوربة والمصرية والقبرصية والحثية ، هذه اللغات التي ذكرت هنا حسب اهمية الوثائق المكتوبة التي حصل عليها وحسب الدلائل الاثرية .

وبعد عمليات التنقيب في عامي ١٩٥٣ و ١٩٥٤ في مستودع الوثائق في جنوب القصر ، أخذنا نميز في أوغاريت لغة ثامنة قريبة جداً من اللغة الحثية والتي ، بسبب خصائص كتابتها دعيت من قبل علماء اللغات باسم اللغة الحثية الهيروغليفية .

لمن أجل كتابة هذه اللغات الثمانية ، كان الكتاب والنقاشون ونحاتو الكتابة على الحجر في اوغاريت يستخدمون خمسة خطوط مختلفة ، وإذا كانوا لا يعرفونها جيداً ، فقد كانوا قادرين على كتابة ونسخ نصوصها بدون خطأ وذلك بالاستعانة بالمراجع التي كانت أحياناً بلغتين وقد وجد عدد من هذه المراجع أثناء الحفريات .

ان كاتباً من اوغاريت والذي يمكن وصفه - بدون مبالغة - بمبصري ، كان ينجح بإشكال خط مسباري مبسط جداً لا يحوي الا ثلاثين حرفاً مقابل مائة وخمسين اشارة تقريباً في التهجئة البابلية . وفي الواقع فانها أقدم كتابة هجائية عرفت حتى الآن ، لانها تعود الى القرن الرابع عشر ق . م وربما إلى القرن الخامس عشر ق . م . وهكذا نميز في رأس شمرا نوعين من الخطوط المسبارية : (١) - الابجدية التي كانت مستعملة داخل العاصمة وفي مملكة اوغاريت (٢) - والخطوط المسبارية الهجائية التي كانت مستعملة في تحرير النصوص الدبلوماسية والقضائية ومعظم الوثائق الاقتصادية باللغة البابلية . فاللغة المسبارية الهجائية استخدمت أيضاً في لوحات المراجع السومرية . وفي حالة استثنائية في كتابة لوحات باللغة الحثية .

اما اللغة المصرية فكانت طبعا تكتب بواسطة الهيروغليف المعروف والذي كان يدون جيداً جداً في اوغاريت . أما الهيروغليف الحثي فيبدو ان نقاشي الاختام في اوغاريت كانوا يجيدون أحياناً بعض الصعوبة الا انهم تقليدوا عليها بمهارة .

اما فيما يتعلق بكتابة الخط القبرصي ، فحتى الآن ، يبدو انها لم تكن ممثلة في رأس شمرا الا بواسطة اشارات منفردة مرسومة أو محفورة على الاواني الميسينية المصدرة ، أو المكتوبة في اوغاريت ؛ وبكتابة قصيرة جداً محفورة على طاسة فضية - لصائع - وجدت عام ١٩٣١ قرب دار ومكتبة الراهب الكبير . فبسبب تمدد العلاقات الاقتصادية والسياسية بين اوغاريت والجزيرة الكبيرة المجاورة ، فان ما عثر عليه من آثار ونصوص يؤيد ذلك ، وكنا منتظرين دائماً الشور في (يوم) من الأيام على كتابة قبرصية اكثر اهمية .

وقد أتى ذلك (اليوم) في أول موسم من حفرياتنا عام ١٩٥٣ عندما التقطت احدى حاملات الماء الينا (على سطح الأرض ، وعلى بعد بضعة امتار شرق سور القصر) قطعة من

لوحة عليها ثلاثة عشر سطراً - تامة نوعاً ما - مؤلفة من شارة كتابة الخط القبرصي . وقد اخرجت الحفريات هنا إلى حيز الوجود المسكن الواسع العائد لمواطن اوغاريتيكي كان يملك مكتبة حقيقية مؤلفة من عدد وافر من اللوحات المكتوبة باللغة البابلية والمسمارية الابجدية التي بها كتب عدد من العقود القانونية باسم (نيرفال ابو) وقائمة ببضائع آتية من عدة مدن ، وصك اعتراف بدين ، وماهدة تتعلق بشفاء الخيول ، وكتاب طقوس سحرية باللغة السومرية الاكادية . ففي هذا النص الكبير ما يقرب من مائة سطر ما زالت تحتفظ بمقاطع باللغة الاكادية ومقاطع باللغة السومرية مكتوبة بطريقة سمعية فيها بعض التشويش .

فبحسب دلائل علم طبقات الأرض ، فان هذا المسكن والنصوص التي يحتويها تعود إلى النصف الثاني من القرن الثالث عشر . وفي الشارع ذاته ، فان المسكن المجاور والملاصق به والذي لا يحتوي أي نص رمم وجعل مستودع أشياء برونزية منها سيف جميل حفر عليه اسم الفرعون مينفتاح ١٢٣٤ - ١٢٢٤ ق.م أو ١٢٢٤ - ١٢٠٤) . وقد قام مسيو ماسون بدراسة لوحة رأس شمرا ، فتبين ان النص كتب باللغة القبرصية المينوية التي تتميز بوضوح عن الكتابات المينوية أو الميسينية المعروفة .

وأضيف ان لوحتنا القبرصية تتميز بمظهرها الخارجي عن جميع اللوحات التي عثر عليها حتى الآن في قبرص . ويكون سابقاً لاوانه ان يقرر ان هذه الوثيقة واردة من الخارج . ويقبل مسيو ماسون ان لوحتنا والكتابة القصيرة المحفورة على الطاسة الفضية التي عثر عليها عام ١٩٣٩ كل ذلك يظهر وجود حروف هجائية غير منشورة وهو ما يفترض تسميته بـ (التهجئة القبرصية والمينوية في اوغاريت) . وتبدو هذه الفرضية أخاذة بالظاهر لانها تدل على اهمية اقامة القبرصيين والميسينيين ، تلك الاقامة التي اظن انها كانت موجودة في ميناء اوغاريت في القرنين الرابع عشر والثالث عشر ق.م .

وخلال موسم حفرياتنا في خريف عام ١٩٥٥ اخرجنا الى حيز الوجود ، في جنوب القصر ، بناء واسعاً ذا هندسة جميلة جداً ، وله مظهر قصر ثان ، ولكن بسبب الساع البناء لم نستطع ان ننقب فيه الا الجناح الشمالي ومع ذلك فقد اخرج الى حيز الوجود بايان كبيران وداخليان يبلغ عرض احدهما ٤.٥٠ م والآخر ٥.٥٠ م . لكل منهما عمودان وقبو جنازي يقع تحت أرض غرفة واسعة أو تحت باحة داخلية لم تفرغ بعد تماماً . وهناك غرفتان في الزاوية الشمالية الغربية من هذا البناء دعيتا مؤقتاً باسم « القصر الجنوبي » ، كانتا تضم

عدداً كبيراً من اللوحات معظمها باللغة المسمارية البابلية ، وعدد منها باللغة الاوغاريتية أي المسمارية الابجدية .

واعتبرت هذه النصوص نصوصاً اقتصادية ، وتحارير ، وقوائم اسمية لمدن أو أشخاص ، فهذه النصوص تشابه النصوص التي وجدت في القصر في مستودع الوثائق الغربي .

وقد وجدنا عام ١٩٥٥ بين هذه المجموعة قطعتي لوحة من النمط الايجي كاتتا بين رماد البناء المحترق وهما لذلك في حالة حفظ سيئة ، ويبدو ان الكتابة ذات الخطوط هي نفس كتابة اللوحات التي دهيت بالقبرية المينوية ولكنها أتت من كاتب آخر . وفي حين ان النصوص المكتوبة في اوغاريت نفسها هي بصورة عامة على طين أشهب أو مائل للسواد ؛ فإن القطعة ذات الكتابة القبرية التي عثر عليها حديثاً هي مائلة للبياض أو لونها أصفر فاتح ، وهذا ما يمكن ان يدل على انها لوحة مصدرها ليس اوغاريتيكي .

ومما تكن الملاقة ضعيفة بين هاتين القطعتين والنصوص القبرية أو القبرية المينوية في اوغاريت ، فانه لأول مرة يمر فيها على نصوص من هذا النوع مع وثائق رسمية للعاصمة ، وهذا ما يشجع الامل بأن بقية حفرياتنا ستعطي نماذج أخرى .

مركز بحوث كيمياء علوم





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

A l'intérieur de la cathédrale, un immense travail de refection fut accompli. Les assises des absides, les bases des piliers, des tambours de ses colonnes engagées furent tour à tour restaurés. De même le sol primitif fut dégagé. Ses portes septentrionales et méridionales refaites. Nous espérons qu'à la fin de l'année actuelle cette cathédrale une fois les travaux terminés pourra servir de musée représentant les antiquités et le folklore de la région côtière de Tartous.

S. A



BIBLIOGRAPHIE

René Dussaud. — *La Pénétration des Arabes en Syrie avant l'Islam*, Bibliothèque Archéologiques et Historique, Tome L IX, Institut Français d'Archéologie de Beyrouth. Un vol. grand in-4°, + 235 pages, 31 figures dans les textes, Paris, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, 1956.

Pour faire comprendre l'importance des grandes découvertes archéologiques en Syrie durant le vingtième siècle, et pour tracer les lignes générales d'une synthèse de l'histoire des Sémites dans le Croissant Fertile, il a fallu la pensée vigoureuse de M. René Dussaud. Son livre, *la Pénétration des Arabes en Syrie avant l'Islam* est un grand ouvrage d'ensemble qui vient à son heure, pour couronner une colossale œuvre scientifique, et déblayer le terrain devant tous les historiens et archéologues. En effet, en appliquant la méthode illustrée par les géophysiciens pour expliquer le comportement des peuples, il a montré que l'Arabie était un grand réservoir humain bien protégé par son climat contre les intrusions étrangères ; elle a fourni de tout temps un apport notable au Croissant Fertile en vertu de la transhumance,

entraînant une compénétration constante de populations diverses. L'élément sémitique a toujours eu la prédominance sur ces populations, et ce fait explique tous les mouvements à grande amplitude entre Est et Ouest.

Le livre débute par un chapitre sur la Syrie et l'Arabie qui constituent le cadre dans lequel s'est développée l'histoire des Sémites. Le premier pays est le prolongement géographique et ethnographique de l'autre, ce qui le prédestine à être l'espace vitale des peuples d'origine arabe. Le second chapitre concerne les Nabatéens à Pétra et à Hégira. Le rôle important de ceux-ci dans le sud de la Palestine durant trois ou quatre siècles est analysé d'une façon remarquable. Leur commerce leur culte, leur ville (Medaïn Saleh) sont minutieusement décrits. Leur organisation de la Transjordanie, leur œuvre dans le Négeb qui est arabe de tous les temps, les inscriptions qu'ils ont laissées les œuvres d'art qu'il ont conçues font l'objet du chapitre suivant.

Dans le chapitre IV, l'auteur passe aux Palmyréniens et à la Palmyrène. Les caractéristiques de Palmyre, ses routes de commerce, ses cultes arabes, ses divinités décelant l'origine arabe de sa vie spirituelle, ses processions

religieuses sont expliqués et enrichis par une vaste documentation dont le mérite est la pertinence et la perfection.

Ensuite ce sont les Sud-Arabes, en Syrie, qui font le sujet du chapitre V. Les peuplements du Yémen, de Hedjaz, de Rubi el-Khali, de Nejd sont tour à tour décrits, les caractéristiques de leurs habitants définis ainsi que leurs cultes et leurs temples. Ensuite les Lihyanites, les Thamoudéens, et les Safaites, leurs installations, leurs dialectes, les inscriptions, qu'ils ont laissées, leurs habitudes dans le désert de Syrie, leurs divinités, les relations de Rome avec les Arabes, l'avènement de l'Islam, sont passés en revue avec maîtrise et clarté.

Enfin le chapitre VI parle des Israélites, Ismaélites, Araméens et Cananéens. Les légendes patriarcales et ce qu'elles doivent au milieu culturel cananéen, à la lumière des découvertes de Ras-Shamra, l'expansion des cultes cananéens qui marque par son empreinte le milieu culturel syrien, et explique son unité de pensée.

Ainsi la Pénétration des Arabes en Syrie a été étudiée magistralement par des exemples typiques et historiquement fondés sur les peuples de Syrie et d'Arabie. L'origine arabe des Sémites est un fait primordial dont la grande importance se dégage petit à petit par les fouilles archéologiques actuelles.

Nous félicitons ici en Syrie le grand savant pour cet ouvrage qui marquera vraiment une date dans les études historiques et archéologiques de ce pays,

et nous sommes heureux de constater que la haute distinction du Mérite Syrien de la classe exceptionnelle que le Gouvernement Syrien lui a accordée, a été bien méritée.

S. A

★ ★ ★

Claude F. A. Schaeffer. — Le Palais royal d'Ugarit, dans *Ugaritica* III, Textes accadiens et Hourrites des archives Est, Ouest et Centrales, par J. Nougayrol, avec des études de G. Boyer et E. Laroche, Mission de Ras-Shamra, Tome VI.

Les importantes fouilles du Dr. Claude F. A. Schaeffer à Ras-Shamra ne cessent d'étonner le monde scientifique et de faire avancer nos connaissances dans la civilisation côtière de la Syrie du II^e millénaire. La magnifique salle au Musée National de Damas consacrée aux objets trouvés dans ce site pendant les dernières campagnes en est un témoignage évident. Les publications imposantes et luxueuses que le célèbre savant entreprend en sont un autre non moins éclatant. Dans la série *Ugaritica* destinée à diffuser les études des problèmes posés par les fouilles, le volume III commence l'étude du palais royal d'Ugarit qui se classe parmi les demeures Royales les plus grandes et les plus somptueuses jusqu'ici connues dans le Proche Orient à l'époque cananéenne.

Il est consacré justement à la publication des textes accadiens et hourrites qui ont été ramassés dans ce vaste bâtiment.

Le livre débute par une préface très intéressante de M. Schaeffer lui-même qui attribue les textes accadiens à ses campagnes de 1951, et de 1952, et les divise en Archives Ouest, Archives Centrales, et Archives Est, d'après les lieux de leur découverte dans le palais royal. Parmi les documents des Archives Ouest trouvées à gauche de l'entrée principale du palais se trouvent deux catégories de textes juridiques, économiques et scolaires. D'une part les documents administratifs concernant les villes et campagnes du royaume d'Ugarit, et d'autre part les lettres adressées au roi, à la reine ou aux hauts fonctionnaires.

Les Archives Est trouvées à l'extrémité opposée du vaste bâtiment comprennent surtout des documents économiques et scolaires, et relatent les affaires métropolitaines relatives à la capitale et à sa banlieue.

Enfin les Archives Centrales découvertes au centre du palais dans les pièces attenantes à la cour IV sont constituées d'actes juridiques, de textes économiques et administratifs.

C'est M. Jean Nougayrol qui, dans la première partie de l'ouvrage se consacre au déchiffrement et à l'explication de ces textes accadiens. C'est toute la société d'Ugarit qui est passée en revue sous sa plume. Ses rois Niqmadu (I), Yaqarum (I), Ibira (I), Ammistamri (I), Niqmadu

(II), Niqmepa Ammistamru (II), Ibira (II), Niqmadu (III), dont les règnes s'échelonnent du XVIII^e jusqu'au XIII^e siècle montrent la permanence de cet état amorrhéen et la solidité de ses institutions politiques et sociales. Leurs relations avec leurs voisins les rois de Carkemis, de Sidon, de Beyrouth, de Parga, d'Amurru, des rois Hittites attestent le rayonnement qu'ils avaient dans la Syrie du II^e millénaire. Les actes juridiques de trois types différents et assez nombreux montrent le perfectionnement de la justice de leur époque. La multiplicité de ces actes, dons, achats, ventes, échanges, partages, testaments, distribution des fiefs, affranchissements, etc... éclaire d'une vive lumière le milieu économique d'Ugarit et nous fait connaître la vie de tous les jours des grands navigateurs qu'étaient les phéniciens. De ceux-ci en plus des rois nous connaissons maintenant les grands personnages comme Takhulinu, Abdimilku, Ummihibi et beaucoup d'autres.

M. Nougayrol présente dans la suite les textes économiques, scolaires et autres. Il nous familiarise avec la condition des femmes d'Ugarit. Depuis cette époque la femme orientale était libre, elle disposait de ses biens à sa guise et jouissait de conditions juridiques enviables.

M. G. Boyer termine cet extraordinaire exposé par une étude non moins brillante sur la place de ces textes dans l'histoire de l'ancien droit oriental. Tour

à tour sont analysés, l'intervention de l'autorité publique dans le droit privé, le droit des fiefs, le statut des personnes et le droit de la famille, les garanties et les sûretés.

Une conclusion s'est imposée. Les institutions d'Ugarit pourraient se rattacher directement à l'ensemble de la culture juridique de Proche Orient au cours du 11^{ème} millénaire à cause de la parenté ethnique, la prédominance de l'élément sémitique dans cette région, les relations commerciales, et la similitude de vie et de besoins joints à la parenté de la race.

Enfin la deuxième partie du livre est consacrée à l'étude du bilingue accado-hourrite par MM. J. Nougayrol et E. Lacoste.

C'est un exposé intelligent et clair sur ce problème difficile que pose la petite tablette d'argile crème et rouge contenant ce bilingue. Le sens du texte se dégage de la version accadienne qui comprend des extraits d'un recueil de maximes éthico-religieuses, très voisin des « sagesses » déjà connues. Cette version accadienne et la version hourrite sont abondamment expliquées et commentées.

Enfin l'étude de huit textes hourrites, ramassés à travers plusieurs campagnes de Ras-Shamra, par M. Laroche termine le tome III d'Ugaritica en nous laissant sur l'impression de l'immense travail accompli par M. Claude Schaffer et ses

savants collègues, dans la résurrection du passé prodigieux de l'une de nos capitales d'un monde disparu.

S. A.

★ ★ ★

Georges Tchalenko : *Villages antiques de la Syrie du Nord. Le Massif du Bélus à l'époque Romaine*, 2 vol., un vol. de texte de 442 p. et un vol. de CCXII planches. Institut Français d'Archéologie de Beyrouth, Bibliothèque Archéologique et Historique. Tome L. Paris, 1953.

Cet intéressant ouvrage, attendu depuis longtemps, vient de nous arriver. On peut en dire qu'il est un monument de travail intelligent et discipliné justifiant les longues années dépensées par son auteur pour le composer.

Le massif calcaire du Bélus est une région qui forme un ensemble extrêmement cohérent de tous les points de vue. M. G. Tchalenko a été appelé avant et durant la guerre pour effectuer des réparations savantes dans ses principaux monuments. Ces circonstances lui ont permis de ramasser d'innombrables documents qu'il a étudiés et interprétés plus tard dans cet ouvrage.

Le premier chapitre est consacré à l'étude de ce massif dans l'antiquité. Ses caractéristiques, son architecture empreinte d'influences grecques et orientales, ses habitations, sanctuaires, couvents, bazars, auberges, bains, etc. . . sont cités

tour à tour. Le deuxième chapitre étudie les conditions naturelles de la région, en abordant la topographie du sol, le régime des eaux, la végétation, les vicissitudes du peuplement et en concluant à son unité géographique et humaine. Ensuite le chapitre III pénètre dans les détails des éléments qui composent le massif. La physiomie des sites anciens disséminés sur ses abords ou dans les plaines fertiles qui y sont englobées est minutieusement peinte. Parmi ces sites Qal'at Sam'an occupe une place de choix. Les débuts du grand sanctuaire, les étapes de sa construction, le programme poursuivi, la technique de l'exécution, les caractéristiques de cette architecture vraiment impériale qui s'étend sur environ 10.000 m² sont étudiés avec une pertinence digne de tout éloge.

Ensuite le IV^{ème} chapitre traite le problème des villages des montagnes. Des agglomérations agricoles qui avaient groupé des fermes, une église, des pressoirs à huile constituaient depuis le IV^e siècle des centres comme Bamuqqa, Qirqbize, Behyo, où se développait la monoculture par morcellement de la propriété, et pullulait des monuments de toutes sortes. Enfin le 5^{ème} chapitre s'efforce

de présenter un essai de classement de l'habitat rural dans la région de Bélus en plusieurs catégories, qui ont atteint leur apogée sous le règne de Zénon (476-491) et Anastase (491-518). Les guerres de Byzance avec les Perses, les tremblements de terre, les impôts écrasants, les persécutions religieuses, les épidémies ont préparé leur ruine qui se précipita au VII^e siècle, non par la violence, non plus par les destructions. Cette ruine a été consommée par la destruction de l'organisation romaine de la Méditerranée. Les paysans ne pouvaient plus vivre de la monoculture de l'olivier, ils descendaient vers les terres à céréales, et les villages et les plantations des crêtes sont devenus déserts.

Ainsi le milieu naturel, l'organisation sociale, et les circonstances économiques et politiques pourraient expliquer les monuments prodigieux de ce massif de Bélus. Depuis le temps de Melchior de Vogüé et celui de Butler, la richesse archéologique de cette région n'a pas été étudiée, analysée et présentée avec autant de science et de savoir que l'a fait M. Georges Tchalenko.

S. A.

A PROPOS D'UNE INSCRIPTION

D'AL-MALIK AL-MU'AZZAM 'ISA

CONTRIBUTION À L'ÉTUDE DE SON RÈGNE

par

NIKITA ELISSÉEFF

Faisant récemment l'inventaire des inscriptions de Nûr ad-Dîn dans le cadre des travaux que je poursuis (1), mon attention fut attirée par une pierre qui se trouve encastrée à plusieurs mètres du sol dans la face interne de Bâb Šarqî, juste au-dessus de la voûte. On pouvait deviner que cette pierre portait une inscription, mais le texte en était recouvert d'une épaisse couche d'un enduit déjà ancien. Le nettoyage de cette inscription présentait certaines difficultés, car tout dispositif pour l'atteindre devait nécessairement arrêter la circulation de cette voie très passagère. Je dois à l'obligeance du Docteur Sélim Abd-ul-Haqq, Directeur Général du Service des Antiquités de Syrie et à son collaborateur Monsieur Zeki Amir d'avoir pu obtenir un très bel estampage de l'inscription qu'ils sont parvenus à mettre au jour; je les prie de trouver ici l'expression de mes vifs remerciements pour l'aide efficace qu'ils ont toujours bien voulu m'accorder dans la poursuite de mes travaux.

En voyant le texte quelle ne fut pas ma surprise: ce n'était pas l'inscription de Nûr ad-Dîn, no 3254 du *RCEA*, que j'avais devant les yeux mais le texte arabe d'une inscription d'al-Malik al-Mu'azzam 'Isâ dont seule la traduction était connue par la mention qu'en avait faite Sauvaire (2).

(1) Cf. *La titulature de Nûr ad-Dîn d'après ses inscriptions*, dans *BEO*, T. XIV, pp. 155—196.

(2) H. SAUVAIRE. *Description de Damas JA*. Sept. — Octobre 1894, p. 319 n. 172.

Voici comment se présente cette inscription :

A Damas , Bâb Šarqî, sur la face intérieure de la porte, au-dessus de la voûte à plusieurs mètres du sol, 56 x 68 ; dans un cadre, sept lignes en naskhi ayyoubide, plus une huitième ligne plus grande (0,76) mutilée ; petits caractères ; signes et points.

- 1 — وَمَا التَّعْزِيرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ التَّعْزِيرُ الْحَكِيمُ (Cor. III, 122) امر بتجديد
- 2 — هذا الصور المبارك والحمدق مولانا السلطان
- 3 — الملك المعظم العادل العالم المجاهد شرف
- 4 — الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين [مين]
- 5 — محي العدل في الملين عيسى بن المولى الساطا
- 6 — ن الشهيد الملك العادل ابي بكر ايوب خلد الله
- 7 — ملك [هـ] تقربا الى الله وابتغاء مرضاته بتولى العبد الله
- 8 — [قبر الى] رحمة ربه محمد بن قرسق (?) المعظمى وذلك في سنة ثلاث و
عشرين [وستمائة]

C. III, 122 — A ordonné de renouveler ce rempart béni et le fossé notre maître le sultan al-Malik al-Mu'azzam, le juste, le savant, le champion de la Guerre Sainte, Šaraf ad-dunya wa'd-Din, le sultan de l'Islam et des musulmans, le vivificateur de la justice dans les mondes, 'Isâ fils du maître le sultan martyr, al-Malik al-'Adil Abû Bakr b. Ayyûb — que Dieu éternise sa royauté — pour se rapprocher de Dieu et obtenir Sa satisfaction, sous la direction de l'esclave avide de la miséricorde de son Seigneur, Muḥammad b. Qarsaq (?) al-Mu'azzamî. Et cela (a été exécuté) en l'année 6(2) 3 (1226).

Pour apprécier l'activité architecturale, si l'on peut dire, du sultan al-Malik al-Mu'azzam 'Isâ b. al-Malik al-'Adil Abû Bakr b. Ayyûb nous avons jugé utile de dresser la liste chronologique des textes épigraphiques à son nom. Cette liste s'établit comme suit :

- 1 — 601/1205 — JERUSALEM. Restauration à Bâb an-Nâzir — en naskhi, RCEA, T. IX, No 3592.
- 2 — 604/1207 — JERUSALEM. Construction de la Madrasa Nakhwiya —

- en coradin (1). RCEA, T. X, No 3629.
- 3 — 604/1207 — JERUSALEM. Construction ou restauration à la Şakhra — en coradin. RCEA, T. X, No 3630.
- 4 — 607/1210 — JERUSALEM. Construction d'une citerne — en coradin. RCEA, T. X, No 3661.
- 5 — 608/1211 — JERUSALEM. Restauration au Haram — en coradin. RCEA, T. X, No 3685.
- 6 — 610/1213 — JERUSALEM. Construction à la Citadelle, — en naskhi. RCEA, T. X, No 3717.
- 7 — 610/1213 — JERUSALEM. Restauration au Harâm — en coradin. RCEA, T. X, No 3718.
- 8 — 610/1213 — MONT THABOR. Construction à la Citadelle — en naskhi (?). RCEA, T. X, No 3721.
- 9 — 610/1213 — MONT THABOR. Construction d'une barbacane — en naskhi. RCEA, T. X, No 3722.
- 10 — 610/1213 — MONT THABOR. Construction d'un bassin — en naskhi. RCEA, T. X, No 3723.
- 11 — 611/1214 — MONT THABOR. Construction d'un *manâzil* — en coradin. RCEA, T. X, No 3744.
- 12 — 612/1215 — HEBRON. Construction et waqf au Haram — en coradin. RCEA, T. X, No 3752.
- 13 — 612/1215 — MONT THABOR. Construction d'un saillant — en coradin. RCEA, T. X, No 3753.
- 14 — 613/1216 — JERUSALEM. Construction du Sabil Şa'lân — en coradin. RCEA, T. X, No 3790.
- 15 — 614/1217 — JERUSALEM. Construction de la Mu'azzamiya — en coradin. RCEA, T. X, No 3801.
- 16 — 614/1217 — JERUSALEM. Construction de portique à al-Aqsâ — en coradin. RCEA, T. X, No 3802.
- 17 — 615/1218 — JERUSALEM. Fondation de waqf à la Zawiyat ad-Dargâh — en coradin. RCEA, T. X, No 3817.
- 18 — 617/1220 — MEZZÉ (Damas). Restauration du tombeau d'al-Musaggif — en coradin. RCEA, T. X, No 3848.

(1) Van Berchem appelle ainsi la variété de naskhi des inscriptions d'al-Mu'azzam. Ce sont de petits caractères arrondis gravés en creux d'un trait un peu mou mais élégant et très soigné (CIA. Jérusalem. I, 123 n. 3).

- 19 — 623/1226 — DAMAS. Restauration au rempart à Bâb Šarqî — en naskhi. RCEA, T. X, No 3954 (Notre inscription).
- 20 — 623/1226 — DAMAS. Restauration au rempart à Bâb Šâgûr — en naskhi (?). RCEA, T. X, No 3955 (texte disparu).
- 21 — 624/1227 — KARAK. Construction d'une porte à la citadelle — en naskhi. RCEA, T. X, No 3965.
- 22 — sans date — HEBRON. Construction de portique au Haram — en coradin. RCEA, T. X, No 3967.
- 23 — 624/1227 — BETHLÉEM. Construction d'une porte à la basilique — en naskhi. RCEA, T. X, No 3968.
- 24 — sans date — *AĞLÛN. Confection de deux seaux à la Mosquée — en naskhi. RCEA, T. X, No 3970.
- 25 — 624/1227 — DAMAS (au Midân). Restauration du minaret au tombeau de Šuhaib — en naskhi (?). RCEA, T. X, No 3972.
- 26 — 624/1227 — DAMAS (au Midân). Restauration de la mosquée au tombeau de Šuhaib — en naskhi (?). RCEA, T. X, No 3973.

Parmi ces inscriptions nous devons distinguer trois catégories :

- a) les inscriptions commémorant des travaux faits sur l'ordre du sultan al-Malik al-Mu'azzam 'Isâ, ce sont les numéros 2, 6, 8, 9, 10, 12, 13, 15, 19, 20 et 24.
- b) les inscriptions mentionnant des travaux effectués grâce à son appui — sans doute avec son aide financière — من نعمة — ce sont les numéros 4, 14, 25 et 26.
- c) enfin les inscriptions des travaux exécutés sous son règne et dans lesquelles figurent son nom et une partie de son protocole : ce sont les numéros 1, 3, 5, 7, 11, 16, 18, 21, 22, et 23.

*
* *

A la lecture de cette liste chronologique nous sommes frappés par le fait que le nom d'al-Mu'azzam apparaît dans l'épigraphie en 601/1205, alors qu'il n'est que lieutenant de son père al-'Âdil, à Damas (1), et gouverneur de la province de Palestine ; les inscriptions qui le mentionnent se trouvent exclusivement en Palestine, à Jérusalem et au Mont Thabor jusqu'en 615/1218, date de la mort de son père et de son accession au pouvoir à Damas. Dès lors nous

(1) Al-Mu'azzam occupait ce poste depuis 596/1199—1200.

trouverons des inscriptions à son nom dans la capitale syrienne et quelques unes en Palestine, dont une seule à Jérusalem (no 22). La répartition chronologique et topographique de ces inscriptions s'éclaire lorsque nous revoyons l'histoire de son règne.

BIOGRAPHIE D'AL-MALIK AL-MU'AZZAM

Al-Malik al-Mu'azzam Šaraf ad-Dīn 'Isā, le second des seize fils d'al-Malik al-'Adil Abū Bakr b. Ayyūb (1) naquit en 576/1180 (2) au Caire où son père gérait, en sa qualité de lieutenant, les affaires égyptiennes pendant que son illustre frère était occupé à régler à son bénéfice le sort de la Syrie.

Lorsque Saladin meurt en safar 589/1193, al-Mu'azzam se trouve avec son père à Kérak. Dès la disparition de Saladin, ses fils al-'Azīz qui se trouve en Égypte, al-Afdal dont Damas est le fief depuis 582/1186, et az-ẓāhir, le seigneur d'Alep, s'engagent dans une lutte fratricide qui sera fatale à la dynastie. Leur oncle al-'Adil, père d'al-Mu'azzam, va jouer entre eux le rôle d'arbitre ; désormais l'histoire des Ayyoubides n'est plus qu'un récit tourmenté des intrigues et des luttes des princes de la famille (3).

Hanté par la gloire de son frère Saladin dont il avait été l'auxiliaire dévoué, Al-Malik al-'Adil Abū Bakr va chercher à reconstituer sous son égide personnelle l'unité de l'empire ayyoubide.

En 590/1193 al-'Azīz se déclare indépendant de son aîné al-Afdal et décide d'aller s'emparer de Damas, mais al-'Adil parvient à reconcilier ses deux neveux. L'année suivante le souverain d'Égypte fait une nouvelle tentative, mais ses troupes l'abandonnent près de Damas, et al-Afdal le poursuit, soutenu dans son action par al-'Adil. Les adversaires aboutissent à une réconciliation : al-Afdal revient à Damas et al-'Adil reste au Caire auprès d'al-'Azīz.

Bientôt la guerre va reprendre, al-'Adil, ambitionnant de s'installer à Damas, soutient cette fois al-'Azīz contre al-Afdal. En 592/1195 al-Afdal vaincu est éloigné de Damas, où al-'Adil s'installe en tant que vassal d'al-'Azīz; al-Mu'azzam devient nominalement gouverneur de Kérak et va rejoindre son père dans la capitale syrienne. Pendant toutes ces luttes, az-ẓāhir d'Alep réussit habilement

(1) ZAMBAUR, *Généalogie et Chronologie de l'Islam*, 97—99 et tableau HA.

(2) IBN KHALLIKAN (trad. de SLANE) II, 428.

(3) G. WIET, *Histoire de la Nation Égyptienne*, T. IV, 337.

à se maintenir indépendant: écoutant les avis d'al-'Adil, il fut tantôt d'un côté tantôt de l'autre, sauvegardant ses intérêts.

Al-'Aziz, souverain de l'Égypte et suzerain de la Syrie, fut à ce moment reconnu chef de la famille ayyoubide. Il avait une nette préférence pour son jeune cousin et, en 594/1197, tandis qu'al-'Adil se trouvait en Mésopotamie, il envoya même à al-Mu'azzam une robe d'honneur, un *sangak* et un *liwa* (1), ce geste équivalait somme toute à une investiture d'al-'Mu'azzam au gouvernement de Damas.

Le 27 muharram 295/29 nov. 1198 al-'Aziz meurt au Caire (2) laissant le pouvoir à son fils mineur al-Mansûr. Les émirs égyptiens, contrairement à ce qu'espérait al-'Adil, appellent alors al-Afdal pour lui servir de tuteur. En revanche, les émirs de Jérusalem offrent la Ville Sainte au frère de Saladin (3). Immédiatement al-Afdal songe à récupérer Damas, pour ce faire il obtient l'appui de son frère az-Zâhir; al-'Adil arrive précipitamment de Mardin au secours de son fils (4) et parvient à brouiller les alliés; az-Zâhir se retire vers le Nord, tandis qu'al-Afdal est poursuivi et battu par al-'Adil qui le contraint à lui livrer le Caire où il rentre le 21 rabi' II 596/9 fév. 1200 en qualité de tuteur du jeune al-Mansûr, al-Afdal s'installe à Sarkhad.

En 597/1200 al-'Adil prend le titre de *Sultân* et se pose en chef de la famille ayyoubide, il règne sur l'Égypte, la Syrie et une partie de la Mésopotamie. Son rêve est réalisé: à l'exception d'Alep, il a reconstitué sous

(1) *Kitâb ar-Raudatâin* in *HOC*, V, 117. Les drapeaux sont les attributs essentiels de la souveraineté. Ils ont pour origine une tradition seldjoukide qui fut conservée par les Ayyoubides et les Sultans Mamelouks. Le *sangak* est le signe de l'investiture donné par le grand sultan seldjoukide ou par son successeur légal, il indique le rassemblement de l'armée sous le commandement d'un prince dont il porte le nom brodé en lettres d'or. Le *liwa* est la marque de l'investiture du calife ou de celui qui s'enarroge le pouvoir. Nous pourrions traduire le premier par «étendard» et le second par «fanion». Sur la question des drapeaux voir Qalqaşandi, *Subh al-A'şâ*, IV, 8; Van Berchem, *CIA*, Égypte I, 611; Jean Dénys dans *E I* IV, 154—156; Jean Dénys, *Sommaire des Archives Turques du Caire*, 434; Jean David-Weil, *Bois à épitaphes du Musée arabe du Caire*, T. II, 57 sq; Jean Sauvaget, *Remarques sur les monuments omeyyades dans Mélanges Asiatiques (JA)* 1940—1941, 40 sq. et 42 n. 1.

(2) *Kitâb ar-Raudatâin* in *HOC*, V, 119.

(3) *CIA*, Jérusalem, I, 113.

(4) ABUL-FIDA. *HOC*, I, 76.

son égide l'empire de Saladin. Dès qu'il a imposé son autorité sur ces vastes territoires il répartit l'empire entre ses fils qu'il nomme comme lieutenants des différentes régions (1) ; lui-même, lorsqu'il ne sera pas en campagne, partagera son temps en séjournant tantôt à Damas l'été, tantôt au Caire l'hiver. L'aîné al-Kâmil reçoit le Caire, al-Mu'azzam est confirmé à Damas, al-Fâ'iz Ibrâhîm se voit confier les provinces à l'est de l'Euphrate (2) al-Awhad Nağm ad-Dîn Ayyûb s'installe à Mayyâfâriqîn (3), enfin al-Ašraf Mûsâ est placé en Djéziré, il recevra plus tard les provinces de son frère al-Fâ'iz.

Les états d'al-Mu'azzam vont au nord jusqu'à la limite de la province de Homs, au sud jusqu'à al-'Ariš ; ils comprennent donc toute la Syrie du Sud et la Palestine avec Jérusalem et les citadelles de Kérak, Sawbak et plus tard Sarkhad.

Devant l'accroissement de la puissance d'al-'Adil ses neveux vont réagir vigoureusement, le plus violent sera az-Zahir qui se sent menacé à Alep. Il convoite Damas qu'il voudrait soustraire à la suzeraineté d'al-'Adil, aussi dès la fin de 597/1200 parvient-il à mettre dans ses vues al-Afdal et tous deux vont assiéger Damas que défend al-Mu'azzam. Dès la nouvelle de cette attaque al-'Adil quitte Naplouse où il se trouvait et vient pour dégager son fils. Il se rend rapidement compte que son armée n'est pas de taille à battre les coalisés ; il use alors de diplomatie, sa tâche est facilitée par le fait qu'al-Afdal et az-Zahir sont en désaccord pour la possession de Damas. al-'Adil gagne à sa cause un certain nombre d'émirs des troupes assiégeantes, ainsi devant la défection de leurs principaux officiers il ne reste plus aux deux frères qu'à lever le siège le 1er muharram 598/10 octobre 1201. Az-Zahir regagne Alep, tandis qu'al-Afdal se rend à Homs. Dès lors al-'Adil se présente comme le chef incontestable de la famille ayyoubide, az-Zahir lui-même le reconnaît pour suzerain.

Les deux années à venir vont être calmes pour al-Mu'azzam et son père ; la prise de Constantinople par les Croisés en 600/1203 n'a pas de graves répercussions en Syrie sinon une tentative des Croisés d'Acre pour marcher sur Jérusalem ; al-'Adil se trouve à Damas, il rassemble des troupes et va prendre position au pied du Mont Thabor, les deux adversaires restent sur l'expectative et finissent par conclure une trêve en 601/1204 (4).

(1) ABUL-FIDA, HOC. I, 78. *Bidayya*, XIII, 2-22.

(2) *EI*, I, 140.

(3) *EI*, III, 237.

(4) VAN BERCHEM. *Les inscriptions du Mont Thabor et la trêve entre Malik Adil et les Francs*, 607-612, dans *MIE*, III, 459-463.

En 603/1206 al-'Adil vient retrouver al-Mu'azzam à Damas, de là il s'en va faire une incursion contre le territoire de Homs et saccager la province de Tripoli; jusqu'en ša'bân 604/ mars 1207, il reste dans la région de Qadech, puis regagne Damas (1). Peu après son retour, il reçoit de Bagdad la reconnaissance officielle de son autorité, le calife, an-Nâsir lui envoie des robes d'honneur et l'appelle *khalil amir al-mu'minîn* «l'ami de l'émir des croyants», titre qu'il portait déjà en 579 (2), al-Mu'azzam et al-Ašraf, ainsi que le vizir Saḫī ad-Dīn Ibn Šukr ne sont pas oubliés pour les cadeaux honorifiques : chacun d'eux reçoit une robe.

Dès 604/1207 al-'Adil commence d'importants travaux à la citadelle de Damas (3) moins peut-être pour se protéger des Francs que pour se défendre contre les convoitises familiales. Al-Mu'azzam ne joue alors qu'un rôle effacé à Damas où il n'est que le second de son père; son domaine propre, si nous en jugeons par les inscriptions, est à cette époque Jérusalem.

En 607/1210, au retour d'une campagne en Djéziré, al-'Adil passe par Damas et va s'installer au Caire (4), il entreprend alors la construction d'une citadelle au Mont Thabor. Cette place est un important point stratégique au bord de la grande plaine de l'Esdreton, l'installation d'une forteresse à cet endroit avait pour but d'arrêter plus aisément les incursions des Francs qui d'Acre auraient voulu envahir la Palestine. La trêve conclue avec Jean de Brienne en 608 vint interrompre les travaux qui furent repris l'année suivante par al-Mu'azzam, sur l'ordre de son père (5). Cette même année al-Mu'azzam va mener sa première campagne, elle est dirigée contre 'Izz ad-Dīn Usâma, à qui il prend la citadelle de 'Aglūn et Kawkab qu'il rase, contre Ġahârkas à qui il enlève Baniyas pour le donner à son frère coutérin al-Malik al-'Azīz 'Utmân et contre Ibn Qarâġâ qu'il chasse de Sarkhad où il installe un de ses émirs

(1) C'est au retour de cette expédition que meurt l'*isfahsalâr* Abû Sa'īd Qarâġâ, mamelouk de Saladin.

(2) G. WIET, *Les inscriptions de Saladin*, Syria, III, 318 et RCEA, T. IX 3380.

(3) J. SAUVAGET, *La citadelle de Damas*, Syria, XI, 1930, 59—90 et 216—241.

(4) ABU'L-FIDA. *HOC*, I, 85.

(5) H. LAMMENS, *Inscriptions arabes du Mont Thabor*, *Mélanges de la Faculté Orientale*, III, 1908, 481—492.

'Izz ad-Dîn Aibak, celui-ci gardera la place jusqu'en 644/1247 (1).

Les relations avec Alep semblent bonnes en 608 puisque az-Zâhir demande la main d'une des sœurs d'al-Mu'azzam, Daifa Khatûn, qu'il épousera au début de l'année suivante (2).

Le 11 dû'l-qa'da 611/12 mars 1215, al-Mu'azzam part de Kérak en pèlerinage, il est accompagné de 'Izz ad-Dîn Aibak et de 'Imâd ad-Dîn b. Mûsik ; à la Mecque, ils sont accueillis par az-Zâhir b. Sonqor al-Halabî qu'a délégué l'émir de la ville pour leur rendre hommage (3).

En ragab 614/octobre 1217, les Croisés d'Acre rompent la trêve conclue avec al-'Adil, ils occupent Baisân pendant que le sultan se trouve à Marg Soffar (4). Les Francs prennent la direction du Nord, al-'Adil voyant l'infériorité de ses troupes se décide à battre en retraite et, tandis qu'il envoie al-Mu'azzam vers Naplouse pour défendre l'accès de Jérusalem, il donne l'ordre à l'émir al-Mu'tamid, gouverneur intérimaire de Damas, de mettre la ville en état de défense ; la population damasquine s'affole, quitte la cité, les vivres se raréfient, il faut attendre l'arrivée des renforts d'al-Mugâhid As'ad ad-Dîn Širkûh de Homs pour voir les habitants reprendre courage. Mais les Francs brusquement changent de direction et obloquent vers le Sud, en ša'bân 614/fin novembre 1217 ils viennent mettre le siège devant la citadelle du Mont Thabor (5). La garnison se défend avec énergie, les attaques des Croisés restent vaines et l'assaillant finit par se retirer après 17 jours de siège. Al-Mu'azzam vient féliciter et récompenser les héroïques émirs puis ordonne l'évacuation de la place et commence à démanteler la citadelle afin qu'elle ne tombe pas en bon état aux mains de l'ennemi en cas de nouvelle attaque plus rude (6) ; les places de Tibnîn, Baniyas et Safad sont à leur tour démantelées pour la même raison.

Ayant subi un échec en Palestine, les Francs décident d'effectuer un débarquement à Damiette ; au début de 615/1218 ils réussissent à prendre pied sur le sol égyptien, la campagne va être dure pour al-Kâmil qui se trouve

(1) ABU'L-FIDA. *HOC*, I, 86. *Dail ar-Raudatain*, *HOC*, V, 156 mentionne cette expédition en 607 et signale que Sibṭ Ibn al-Gawzi y participa.

(2) ABU'L-FIDA, *HOC*, I, 86.

(3) H. SAUVAIRE, *Desc. Damas*, *JA*, sept.-oct., 1894, 318 n. 171 ; IBN KHALLIKAN, II, 428.

(4) R. GROUSSET, *Histoire des Croisades*, III, 196 sqq.

(5) *Dail ar-Raudatain*, *HOC*, V, 160 sq. ; Kâmil *HOC*, II, 2 113 ; ABU'L-FIDA, *HOC*, I, 88.

(6) H. SAUVAIRE, *Desc. Damas*, *JA*, sept. oct. 1895, 250 ; Kâmil, *HOC*, II, 2 114.

seul au Caire, il lance un appel à son père qui répond par un envoi de troupes (1). Faisant une manœuvre de diversion, al-Mu'azzam s'empare du château de Césarée et le fait raser, puis s'en va attaquer Athlith, mais il doit finalement renoncer à prendre cette forteresse vigoureusement défendue par les Templiers (2).

La situation de l'empire ayyoubide est peu brillante. Le 7^e gumâdâ II 615/31 août 1218 elle est ébranlée par la disparition subite d'al-'Adil qui meurt à 'Aliqîn en se rendant à Damas. Al-Mu'azzam prévenu accourt de Naplouse, cache le décès du sultan, place le corps dans une litière et le ramène à Damas. Une fois dans la citadelle, il se fait prêter le serment d'allégeance comme régent et notifie officiellement le décès d'al-'Adil à ses frères (3). Il reconnaît la suzeraineté de son frère aîné al-Kâmil et fait dire la khotba en son nom. Al-Kâmil chante alors les louanges de l'accord qui règne dans la famille (4), il espère ainsi avoir peut-être un écho aux appels qu'il lance à ses frères pour venir l'aider en Egypte.

La mort d'al-'Adil, tout comme l'avait fait le décès de Saladin, va déclencher parmi ses fils une série de luttes fratricides qui meneront les Ayyoubides à leur perte ; les mêmes causes avaient déjà fait disparaître les Seldjouqides.

Immédiatement après la mort de son père, al-Mu'azzam part pour le Nord, il s'empare à son profit du trésor paternel qui était déposé à Qal'at Ġa'bar et essaye, mais en vain, de convaincre al-Ašraf de venir à la rescousse de leur frère al-Kâmil.

Le 19 dû'l-qa'da 615/6 fév. 1219 (5) des troupes syriennes arrivent en Égypte, la situation d'al-Kâmil est très mauvaise. En effet, tandis que les renforts tardaient, la rébellion avait éclaté parmi les émirs ; le chef du mouvement était un kurde, l'émir 'Imâd ad-Dîn Ahmad b. 'Alî Ibn al-Maštûb, qui comptait de remplacer al-Kâmil par al-Fâ'iz Ibrâhîm et gouverner en son nom. Rapidement al-Mu'azzam rétablit la situation compromise de son frère aîné ; il fait partir Ibn Maštûb en Djéziré, et éloigne d'Égypte al-Fâ'iz qui mourra l'année suivante en allant retrouver al-Ašraf en Haute Mésopotamie (6).

(1) Pour les détails voir *Kâmil*, HOC, II, 2, 114—116.

(2) R. GROUSSET, *Histoire des Croisades*, III, 212.

(3) *Kâmil*, HOC, II, 2, 114 ; ABU'L-FIDA, HOC I, 89—90 ; cf. *Bidayâ* XIII, 75—106 et 121—122.

(4) *Kâmil*, HOC, II, 2, 149—150.

(5) IBN KHALLIKÂN, III, 240.

(6) *Kâmil*, HOC, II, 2, 117—118 ; *Dail ar-Raudatâin*, HOC, V, 171, 175.

La pression franque en Égypte reste très forte; al-Mu'azzam craint de ne pouvoir défendre victorieusement Jérusalem et, estimant qu'il valait mieux céder une ville dépourvue de défenses, donne l'ordre de la démanteler; en muharram 616/ mars 1219 (1) il envoie des sapeurs exécuter le travail sous la surveillance de son frère al-'Azîz 'Utmân, devenu gouverneur de Jérusalem; seule la Qal'a — la tour de David — sera épargnée; la population est affolée, nombreux sont ceux qui abandonnent la ville et qui, comme Muḥammad b. 'Umrâh al-Mawsilî (2) et Taqîy ad-Dîn b. as-Salâh (3), vont chercher refuge à Damas.

L'arrivée d'al-Mu'azzam en Égypte n'empêcha pas les Croisés de prendre Damiette le 10 ramadân 616/5 novembre 1219. Dès lors va commencer une longue série de négociations et de marchandages auxquels participeront le légat Pélage et Saint François d'Assise; les Ayyoubides proposent l'échange de Damiette contre certaines conquêtes de Saladin sur les Croisés, ce qui ne satisfait pas les Francs; deux ans durant on assiste à une véritable guerre des nerfs qui aboutira à l'échec de la Cinquième Croisade et à la reprise de Damiette par les Musulmans.

Tandis que les négociations se déroulent péniblement, les Francs font une légère avance vers le Caire, une fois de plus al-Kâmil lance un appel à ses frères. En 618/1221, al-Mu'azzam va retrouver al-Aṣraf Mûsâ à Harrân et parvient à le persuader de venir appuyer leur frère aîné qu'al-Aṣraf haïssait (4). D'ailleurs, dès le début de la campagne d'Égypte, al-Aṣraf se désintéresse de la question, et ne se préoccupe que des affaires de Djéziré qu'il veut toute entière mettre sous son autorité. En 617/1220, il guerroye en Mésopotamie pour raffermir sa position; n'ayant pas de fils, il désigne cette même année comme héritier présomptif son frère al-Muzaffar Ġâzî, prince d'Edesse et de Sarûğ (5).

En été 618/1221 de nouveaux renforts syriens parviennent en Égypte, mais avant d'attaquer les Musulmans font encore une tentative de conciliation: ils renouvellent leur offre d'échanger Damiette contre Jérusalem et les régions

(1) ABU'L-FIDA, *HOC*, I, 91; *Dail*, *HOC*, V, 175; *Kâmil*, *HOC*, II, 2, 119 donne *dû'l-qa'da* 616/janvier 1220; *CIA*, *Jérusalem* I, 121.

(2) *Dâris*, II, 82.

(3) *Dâris*, II, 20.

(4) *Dail*, *HOC*, V, 180; ABU'L-FIDA *HOC* I, 96—97; IBN KHALLIKAN, II, 488.

(5) *Kâmil*, *HOC*, II, 2, 164.

côtières que Saladin avait prises, mais la proposition est à nouveau rejetée par les Francs qui réclament une forte indemnité en compensation des défenses détruites de Jérusalem. Lassés de ces pourparlers les troupes syro-égyptiennes passent à l'attaque et s'aidant d'un précieux auxiliaire, le Nil, dont ils ouvrent certaines digues, provoquent une inondation partielle qui met les Croisés dans une situation critique. N'ayant pas d'autre voie de salut, les Francs implorent la capitulation le 6 ragab 618/27 août 1221, la ville est remise aux musulmans le 9 et quelques jours plus tard, le 17 ragab/7 septembre, al-Kâmil revient à Damiette (1). Les Francs doivent, sans aucune compensation, évacuer l'Égypte, la Cinquième Croisade a échoué, et al-Kâmil peut fêter le ramadân (oct.—nov. 1221) au Caire.

Retour d'Égypte, al-Mu'azzam porte ses regards vers la Syrie Centrale ; depuis la mort d'az-Zâhir (2), Alep est au pouvoir d'un jeune prince, al-Malik al-'Azîz Muhammad, et al-Mu'azzam sait qu'il ne réagira pas ; il part en campagne contre Hama en 619/1222 et se livre à des déprédations dans la région. Al-Ašraf, qui se trouve encore au Caire à cette époque, insiste auprès d'al-Kâmil afin qu'il intervienne dans cette affaire et use de son droit d'aînesse pour arrêter al-Mu'azzam dans ses desseins. Les deux frères tombent d'accord pour empêcher le seigneur de Damas d'agrandir son territoire vers le Nord, ils craignent, en effet, de voir al-Mu'azzam acquérir trop de puissance et pouvoir attaquer chacun des frères isolément pour reconstituer, à son bénéfice, l'unité syrienne dont Nûr ad-Dîn avait été le premier champion. Al-Kâmil adresse un blâme à al-Mu'azzam qui obéit à son aîné et rentre non sans rancœur à Damas (3).

Les querelles familiales vont s'envenimer, et nous assistons aux mêmes luttes que celles qui suivirent la mort de Saladin. Chez les fils d'al-'Adil, la rivalité n'éclata que plusieurs années après la mort de leur père car l'affaire de Damiette les avait obligés à s'unir contre l'ennemi franc.

Al-Mu'azzam, furieux contre ses deux frères, va saisir la première occasion pour manifester son mécontentement. En 612/1224, al-Malik al-Muzaffar Gâzî, seigneur d'Edesse, qu'al-Ašraf venait de désigner comme héritier présomptif, se révolte contre son frère, sans doute à l'instigation d'al-Mu'azzam qui s'empresse

(1) Kâmil, HOC, II, 2, 122—124.

(2) Le 24 gumâda II 613/8 octobre 1216.

(3) ABUL-FIDA. HOC, I, 98—99.

de le soutenir. Muzaffar ad-Dîn Kükburi, beau-frère d'al-Mu'azzam, apporte aussi son appui au révolté (1) mais Ġâzî est finalement vaincu car al-Mu'azzam n'a pu lui venir efficacement en aide, ayant été menacé d'une intervention d'al-Kâmil.

Bientôt la situation dans les provinces orientales va devenir critique. En effet, si Ġingiz Khân et ses troupes mongoles sont reparties vers la Chine sans avoir touché à l'empire califien, Ġalal ad-Dîn Mangubirti, lui, peut alors quitter sa retraite de l'Inde (2). Le Khwarezm Šâh retrouve son pays dévasté et se voit contraint de chercher d'autres pâturages pour ses troupes nomades, il arrive donc en Iran où, en tant que prince musulman, il est accueilli en libérateur. Ne se contentant pas de l'Iran, Mangubirti effectua une poussée vers l'Iraq en 622/1225, menaçant directement le califat de Bagdad et les possessions mésopotamiennes d'al-Ašraf. A Bagdad, le calife Nâsir li Dîn Illah b. al-Mustadi' meurt et son fils az-Zâhir bi Amr Illah lui succède à ce moment dramatique de l'histoire (3)

Al-Mu'azzam va profiter des circonstances pour se venger de ses frères. L'année 623/1226—celle de notre inscription—va être cruciale non seulement pour le règne d'al-Mu'azzam, mais encore pour l'histoire de la Syrie. Une intense activité diplomatique se manifeste alors, le Calife et al-Ašraf viendront faire des démarches auprès d'al-Mu'azzam qui restera sourd à leurs appels.

Six personnages sont en scène: al-Mu'azzam, Mangubirti, le Calife, al-Ašraf, al-Kâmil et Frédéric II. Al-Mu'azzam qui ressent vivement l'hostilité de ses frères va rechercher l'alliance de Mangubirti, il ira même jusqu'à lui offrir une de ses filles en mariage. Il envoie à Ġalal ad-Dîn, en ambassade, le cadi de Damas, le Khwarezm Šâh, de son côté, envoie auprès du souverain de Damas 'Izz ad-Dîn al-Qazwinî, cadi de Tabriz, qui, loin de chercher à resserrer les liens entre les deux souverains, déconseille l'alliance à al-Mu'azzam, ce qui le fait révoquer à son retour (4). Les deux souverains s'allient et al-Mu'azzam cite même, à partir de 623/1226, dans la khotba le nom de Mangubirti à la place de celui d'al-Kâmil.

(1) ABU'L-FIDA, *HOC*, I, 91 et 99

(2) HOUDAS, *Histoire du Sultan Djelal Ed-Din Mankobirti, prince du Kharezm par Mohammad an-Nesawi*, Paris, 1895.

(3) ABU'L-FIDA, *HOC*, I, 100

(4) HOUDAS, *op. cit.*, 200.

Le calife az-Zâhir bi Amr Illah, inquiet de la pression exercée par Mangubirti, cherche alors de son côté à gagner la sympathie d'al-Mu'azzam ou l'appui d'al-Kâmil; il envoie à Damas et au Caire en qualité d'ambassadeur le hanbalite Muhyi ad-Din Yûsuf b. Sarh Gamal ad-Din Abû'l-Farag Ibn al-Gawzi al-Bakri (1). Ce dernier arriva en 623/1226 à Damas chargé de robes d'honneur et porteur de diplômes califiens, mais sa mission n'eut pas de résultats tangibles en Syrie et échoua en Égypte (2). D'ailleurs az-Zâhir mourut à la fin de 623/1226 et fut remplacé par al-Mustansir billah.

Al-Ašraf, de son côté, reproche à al-Kâmil de n'être pas venu à son secours, il va tenter un renversement des alliances en se tournant vers al-Mu'azzam. Celui-ci le reçoit fort courtoisement à Damas, mais le traite un peu comme un prisonnier et ne fait rien pour lui.

Tandis qu'al-Ašraf se trouve à Damas, Mangubirti attaque sa capitale Khilât, Kûkburi s'empare de Mossoul, les Seldjoukides de Konia marchent sur Diarbekir et menacent Alep. Al-Mu'azzam va profiter des circonstances qui lui paraissent favorables—al-Ašraf est neutralisé, al-Kâmil isolé—pour aller tenter sa chance contre Homs, son armée est alors inopportunément décimée par la maladie et il doit se résoudre à battre en retraite (3).

En 624/1226, al-Ašraf, toujours retenu à Damas, finit par promettre à al-Mu'azzam de l'aider mais une fois libéré, s'empresse de renier ses serments.

En Égypte, al-Kâmil se sent menacé par les visées de son frère; débordant de haine contre al-Mu'azzam, il va rechercher l'alliance de Frédéric II, l'empereur excommunié. En šawwal 625/ sept. 1227, al-Kâmil, ayant acquis la neutralité bienveillante de Frédéric, décide de marcher contre Damas mais ses émirs, qui voient d'un mauvais œil l'alliance avec les Francs, ne sont pas sûrs; il doit renoncer à l'attaque et demande à Frédéric de faire pression sur al-Mu'azzam. Celui-ci se sent assez fort pour éconduire l'envoyé de l'Empereur (4), toutefois,

(1) Son père avait construit en 580-1184-1135, l'année de la naissance de Yûsuf, la madrasa Gawziya au marché au blé.

(2) Muhyi ad-Din Yûsuf était depuis 515/1218 Muhtasib de Bagdad, en 632/1234 il fut nommé professeur hanbalite à la Mustansiriya, puis fut *ustadar* du calife al-Musta'sim et mourut exécuté par Hulagu en 656/1258 (H. SAUVAIRE, *Descr. Damas*, JA, nov.—déc. 1894, 483 n.l.; *Dâris* II, 30-31).

(3) ABU'L-FIDA, *HOC*, I, 101.

4) *Dail*, *HOC*, V, 185.

par prudence, il va chercher à se réconcilier avec al-Ašraf pour faire bloc contre la coalition sicilo-égyptienne (1).

Telle est la situation lorsque al-Mu'azzam meurt à 46 ans, d'une dysenterie, dans la nuit du 30 dû'l-qa'da au 1er dû'l-higga 624/11-12 novembre 1227 (2). D'abord inhumé à la Citadelle de Damas, son corps sera plus tard transféré, conformément à ses dernières volontés, à la madrasa Mu'azzamiya qu'il avait bâtie au flanc du Qasiyûn; la cérémonie, présidée par al-Ašraf, eut lieu le 1er muharram 627/20 nov. 1229.

A la mort d'al-Mu'azzam, son fils al-Malik an-Nâsir Dâ'ûd, né en gumâdâ II 603/ déc. 1206, lui succède sous la tutelle de l'émir 'Izz ad-Dîn Aibak al-Mu'azzamî. La soudaine disparition du seigneur de Damas ne va pas clarifier la situation. En effet, à l'Est, les Khwarezmiens poursuivent leurs attaques contre les possessions ayyoubides, à l'Ouest, les Francs s'apprêtent à passer en Palestine et al-Kâmil se trouve seul en face de l'Empereur qu'il avait sollicité contre al-Mu'azzam; celui-ci disparu, l'alliance n'avait plus de raison d'être et devenait gênante. Au lieu de s'entendre contre les Francs, al-Kâmil et al-Ašraf vont se disputer pour savoir qui des deux possédera Damas. Ibn Khallikân se fait l'écho de ces querelles et de ces marchandages (3). Dès la mort d'al-Mu'azzam, Dâ'ûd est combattu par al-Kâmil, il fait alors appel à son oncle al-Ašraf, mais celui-ci est circonvenu par son aîné et finalement les deux frères arrivent à un accord; en ša'bân 626/juillet 1229, al-Ašraf s'empare de Damas, évince son neveu qui reçoit en dédommagement Kérak, aš-Šawbak et quelques autres places; 'Izz ad-Dîn Aibak retourne à sa citadelle de Sarkhad d'où il sera chassé en 644/1246. Al-Ašraf est reconnu souverain de Damas sous la suzeraineté d'al-Kâmil. Entre temps, les Croisés débarquent sur la côte et ravagent la Palestine; Jérusalem, démantelée il est vrai, est livrée en 626/1229 à l'empereur Frédéric (4). Les luttes fratricides entre Ayyoubides continueront jusqu'à ce que les Mongols, puis les Mamelouks, les aient complètement éliminés de la scène politique.

(1) ABU'L-FIDA, *HOC.* I, 102.

(2) Le *Mir'ât az-Zamân* précise que le décès intervint le 1er dû'l-higga
Cf. IBN KHALLIKÂN II, 428.

(3) IBN KHALLIKÂN, III, 488.

(4) CIA, *Jérusalem.* I, 133.

LA PERSONNALITÉ D'AL-MALIK AL-MU'AZZAM

La formation intellectuelle d'al-Mu'azzam fut celle d'un lettré de son temps. Comme tout bon musulman, il commença par apprendre par cœur le Coran, puis commenta le *Ġami' al-Kabîr* du hanafite Abû Yûsuf Ya'qûb b. Ibn al-Habîb al-Kûfî (1). Il fut le seul ayyoubide à suivre le madhhab d'Abû Hanîfa alors que le reste de la famille restait fidèle au Chaféisme.

D'après Dahabî, notre prince étudia aussi le *Musnad* d'Ahmad b. Hanbâl sous la direction de Hanbâl b. 'Abd Allah ar-Rusafi (2), il aurait même manifesté quelque sympathie pour ce madhhab si nous en croyons Ibn Katîr (3). Ne construisit-il pas sa madrasa Mu'azzamiya à l'Ouest du Qasiyûn, c'est à dire tout près du quartier où se dressait la plupart des édifices hanbalites ? N'installa-t-il pas en 617/1220 un mihrab pour les hanbalites à la Grande-Mosquée des Ommeyyades ?

Alors qu'il n'était que le lieutenant de son père à Damas, il suivait ponctuellement les leçons de Tâg ad-Dîn al-Kindî et n'hésitait pas à se rendre à pied, son livre sous le bras, de la Citadelle à la maison que le cheikh hanafite habitait dans le darb al-A'gam (4). Élève assidu de Ġamal ad-Dîn Mahmûd al-Hasirî, il écouta ses leçons de lecture coranique à la madrasa Nûriya à partir de 611/1214 (5), ce fut plus particulièrement ce cheikh, cadi de Damas, qui l'instruisit dans le hanéfisme. Il connut aussi le *Šarh abyât Islâh al-mantiq* du hanafite Sa'id b. 'Ali b. Marzuban as-Sirâfî (6).

En dehors du fiqh, al-Mu'azzam s'intéressait aussi beaucoup à la philologie, il savait par cœur le *Mufaṣṣal* de Zamakhšarî, il en avait lu le commentaire, connu sous le nom d'*Idâh*, d'Abû'l-Baqâ al-'Uqbarî (7) et connaissait fort bien le *Kitâb* du grammairien Sibawaihi. Son admiration pour Zamakhšarî était si grande qu'il accordait des primes à ceux qui le connaissaient par cœur, même partiellement.

(1) Auteur du IIe siècle H. cf. *GAL*, 1,172.

(2) Cité par Saïh Duhmân, *Târîkh as-Salîhiya*, 143; *Dâris*, 1,589

(3) *Dâris*, 1,580. Sur la situation du hanbalisme à Damas à cette époque cf. l'introduction de H. LAOUST, *Précis de Droit d'Ibn Qudama*, I. F. D., 1951.

(4) H. SAUVAIRE, *Descr. Damas, JA*, sept.-oct. 1894, 295 n. 15 et 320 n. 176; *Dâris*, 1,589

(5) H. SAUVAIRE, *Descr. Damas, JA*, sept.-oct. 1894, 288, 329 n. 229.

(6) *GAL*, S. I. 175.

(7) H. SAUVAIRE, *Descr. Damas, JA*, sept.-oct., 1894, 318 n. 170.

Lui-même d'ailleurs rédigea plusieurs ouvrages dont nous avons conservé un *Šarḥ al-Ġami'* (1) et une œuvre de polémique hanafite : *as-Sahm al-Musīb fi'r-radd 'ala'l-Khatib* (2).

Ibn Khallikân nous dit (3) que cet ami des lettres, chanté par les poètes de son temps, était respecté pour son esprit, sa résolution, son courage et son habileté, son humilité et sa bienfaisance; chacun, renchérit l'auteur, trouvait en lui un patron et un ami. Ce portrait nous semble toutefois un peu flatté car plus d'une fois al-Mu'azzam s'écarta des préceptes d'une vie musulmane exemplaire. Sans doute est-ce pressé par les besoins financiers qu'il accapara pour lui tout seul le trésor de son père sans le partager équitablement avec ses frères (4); le même motif, nécessité d'obtenir des crédits pour équilibrer son budget, a dû le pousser à rétablir dès la mort d'al-'Adil des perceptions iniques à Damas, d'autoriser l'entrée des boissons fermentées qui, frappées d'impôt, étaient une source de revenus appréciables, bref, à rétablir toutes les taxes que son père avait supprimées (5).

D'autre part, en ce qui concerne les boissons fermentées il ne semble pas que ce fut le seul souci d'en obtenir des revenus qui poussa al-Mu'azzam à en autoriser l'entrée : en effet, d'après certains auteurs, il aurait eu quelque penchant pour l'ivresse ce qui lui valut un jour de vifs reproches de Fakhr ad-Dîn Ibn 'Asâkir, cadi chaféite de Damas; le prince prit ombrage de ses remontrances et le révoqua de la chaire qu'il occupait à la madrasa Ṣalāhiya à Jérusalem et de celle de la madrasa Taqawiyah de Damas ne lui laissant le droit d'enseigner qu'à la madrasa Ġarukiya, au dâr al-hadîth de Nûr ad-Dîn et au mašhad d'Ibn 'Urwah (6). Une autre fois, al-Mu'azzam demanda à Šams ad-Dîn b. Fulûs de déclarer licite l'usage des boissons enivrantes; celui-ci refusa d'accéder à la prière du souverain et fut chassé du poste qu'il occupait à la madrasa Tarkhaniya (7).

(1) *GAL*, I, 380, No 33.

(2) *GAL*, S. I, 563.

(3) IBN KHALLIKÂN (édit. de Slane), II, 428.

(4) H. SAUVAIRE, *Descr. Damas*, *JA*, sept.—oct., 1895, 252.

(5) *Dail ar-Raudatain*, *HOC*, V, 171.

(6) H. SAUVAIRE, *Descr. Damas*, *JA*, mars—avril, 1894, 302 n. 62, cite Nu'aimi.

(7) H. SAUVAIRE, *Descr. Damas*, *JA*, sept.—oct., 1894, 313 n. 122, cite Nu'aimi.

Ces quelques défauts n'en font pas moins qu'al-Mu'azzam fut un des plus remarquables Ayyoubides de son époque. A sa culture littéraire s'ajoutait un talent militaire qu'il manifesta à maintes reprises au cours de son règne ; il eut de plus un sens aigu de la diplomatie qui facilita notamment le succès des musulmans à Damiette et lui permit de maintenir intactes ses positions pendant l'année cruciale de 623/1226.

LE PROTOCOLE D'AL-MU'AZZAM

Parmi les inscriptions d'al-Mu'azzam celle dont nous donnons le texte comprend le protocole le plus développé de ce prince, encore qu'il soit fort réduit par rapport à celui des grands émirs du siècle précédent.

En effet, au VIe/XIIe siècle, un protocole normal comporte :

- a) un titre initial suivi de son adjectif épithète,
- b) une série d'épithètes de seconde ligne,
- c) le surnom en *ad-Dîn* qui sert de trait de séparation d'avec les titres composés,
- d) une série de titres composés dont le premier doit obligatoirement être le titre en *al-Islâm*,
- e) la *kunya* et le nom propre suivi d'une brève généalogie remontant habituellement jusqu'au grand-père,
- f) le dernier élément de protocole qui est toujours le titre en *amîr al-mu'minîn*.

Le protocole d'al-Mu'azzam est beaucoup plus sobre.

Le titre initial est *maulânâ* « notre maître » ; ce titre, à l'époque ayyoubide, n'a plus le caractère souverain qu'il avait à son origine et qu'il reprendra sous le Mamelouks.

Le titre de *Sultân* est ici suivi immédiatement du titre en *malik*, tout comme dans la première inscription d'al-Mu'azzam de 601/1205 (2) et dans la

(1) Pour les détails concernant les titres nous renvoyons une fois pour toute à notre article : *La titulature de Nûr ad-Dîn d'après ses inscriptions*, dans *BEO*, XIV, pp. 115—196.

(2) *RCEA* T. IX No 3592. Nous pouvons reculer la date de la première apparition du titre de *sultân* suivi immédiatement d'*al-malik* que G. Wiet donnait en 605/1208—9 avec al-Malik al-'Adil (Cf. *Les inscriptions de Saladin* dans *Syria*, III, 1922, 314).

majorité des autres textes épigraphiques ; cette séquence n'est pas encore une règle absolue puisque à deux reprises dans le protocole de notre prince nous trouvons le titre de *sultân* suivi de l'épithète *al-'âlim* (1). Le premier en date des Ayyoubides qui se décerna ce titre fut az-Zâhir Ġâzî, en 589/1201—1202, dans une inscription de Mambig (2). Son exemple fut suivi par al-Awhâd Ayyûb dès 599, al-Mu'azzam en 601, al-'Adil en 605, et par al-Amġad Bahrâm Šâh en 611 (3).

Le titre en *malik* fut, à l'origine, attribué à des princes lorsque le calife de Bagdad reconnaissait leur suzeraineté sur une région ; ces grands feudataires suivaient alors immédiatement le sultan dans la hiérarchie. Mais après Saladin le titre évolua, il fut porté par les héritiers présomptifs et même des enfants royaux qui ne régnèrent jamais (4).

'Isâ reçut le titre d'*al-Malik al-Mu'azzam* «le roi auguste» ; ce titre, ou plutôt ce surnom personnel (5), semble avoir été particulièrement répandu chez les princes ayyoubides, il fut en effet porté par Šams ad-Dîn Turân Šâh I b. Ayyûb, le frère de Saladin, par Fakhr ad-Dîn Turân Šâh II Abû Mansûr b. Šalah ad-Dîn, puis par Turân Šâh III b. Nâsir Yûsuf et par Turân Šâh IV b. as-Sâlih b. al-Kâmil.

Notre inscription est l'un des deux textes épigraphiques au nom d'al-Mu'azzam dont le protocole (6) renferme une série d'épithètes.

Les trois épithètes que nous avons ici font partie de ce que Van Berchem appelle «le cycle sunnite». La première est *al-'âlim* «le savant», elle se retrouve dans maints protocoles et sert à affirmer aux yeux du monde la connaissance que le titulaire possède de la religion, du hadith et de la Sunna, elle souligne l'orthodoxie du prince.

La seconde, *al-'âdil* «le juste», marque une des préoccupations majeures de tout souverain : le respect et l'application de la justice. Cette affirmation du

(1) RCEA T.X No 3658 et 3718.

(2) RCEA T.X No 3543. Cf. WIET, *Une inscription de Malik Zâhir Ġâzî à Latakîeh*, BIFAO, XXX, I, 1931, 281.

(3) G. WIET, *loc. cit.*

(4) VAN BERCHEM, *CIA, Égypte*, I, 82 sq.

(5) VAN BERCHEM, *CIA, Égypte*, I, 82, 165

(6) L'autre est le No 21 = RCEA, 3965.

goût de la justice est particulièrement intéressante dans le protocole d'al-Mu'azzam qui, comme nous l'avons vu plus haut, n'a pas toujours appliqué, au cours de son règne, les préceptes de la loi.

Enfin la troisième, *al-mugâhid* «le combattant de la Guerre Sainte», souligne le caractère de musulman militant de son titulaire, et fait ici allusion aux combats qu'al-Mu'azzam livra victorieusement aux Francs.

Les épithètes qui se trouvent dans le second texte épigraphique — notre No 21 — sont: *al-mu'ayyad* «l'assisté de Dieu», *al-muzaffar* «le victorieux», *al-mansûr* «le vainqueur». Ces trois épithètes appartiennent à ce que nous pourrions appeler le «cycle guerrier» et il est parfaitement normal de les trouver dans une inscription placée sur une forteresse soumise aux assauts fréquents de l'ennemi (1), d'autant plus qu'elles ont un caractère précatif. Elles forment une triade que l'on rencontre le plus souvent complète.

Les épithètes sont suivies du surnom en *ad-dunya wa'd-Din*; al-Mu'azzam est *šaraf ad-dunya wa'd-Din* «l'honneur de ce bas monde et de la Religion». Au Ve/XIe et au début du VIe/XIIe siècle cette forme de surnom ne figure généralement que dans le protocole des sultans seldjoukides (2); Saladin fut le premier à inaugurer cette forme chez les Ayyoubides (3), après lui toute la famille se para de surnoms semblables, mais lorsque, après la prise de Bagdad par les Mongols, le calife abbasside se sera réfugié au Caire, ces surnoms reprendront leur caractère souverain et ne seront plus concédés qu'aux Mamelouks régnants.

Le surnom en *ad-Din* est habituellement suivi de titres composés dont le premier est obligatoirement un titre en *al-Islâm*. Notre inscription est la seule qui comporte des titres composés, partout ailleurs le protocole d'al-Mu'azzam est réduit au minimum, c'est à dire aux titres de *maulânâ* et *sultân*, au titre en *al-malik* avec une épithète, au surnom en *ad-dunya wa'd-Din*, au nom et à la généalogie.

Nous avons ici deux titres composés. Le premier est *sultân al-Islâm wa'l-muslimîn* «l'autorité de l'Islam et des musulmans»; ce titre fut l'apanage

(1) L'inscription se trouve sur une porte de la Citadelle de Kérak et date de 624/1227. RCEA T. X No 3965.

(2) G. WIET, *Les Soiries persanes*, MIE, T. LII, 77 et note rectificative.

(3) G. WIET, *Les inscriptions de Saladin dans Syria*, III, 314.

des sultans seldjouqides jusqu'en 576/1180, date à laquelle Saladin l'inaugure dans son protocole (1).

Le second titre composé est *muhyi al-'adl fi'l-'alamîn* «le vivificateur de la justice dans les mondes». Ce titre vantant le goût de la justice est intéressant dans le protocole d'al-Mu'azzam. En effet, il a tout l'aspect d'un slogan, d'une formule de propagande. Cette insistance particulière sur la justice ne semble-t-elle pas chercher à faire oublier les injustices — notamment le rétablissement de certaines taxes — et à attirer les mécontents chez lui ; nombreux, en effet, furent les transfuges qui abandonnèrent ses frères pour trouver protection auprès du prince de Damas.

Les titres composés sont suivis immédiatement du nom propre du prince : 'Isâ, lui-même suivi d'une généalogie remontant à Ayyûb, son grand-père.

Il faut noter dans notre inscription l'absence de *kunya*. Mais bien que ce surnom en *abû*, dont la place est toujours après le surnom en *ad-Dîn*, manque dans le texte que nous venons d'analyser, il ne nous paraît pas inutile de faire quelques remarques sur les différentes *kunya* d'al-Mu'azzam dont les variantes semblent suivre un ordre chronologique. Peut-être, comme le suggère Van Berchem dans son *Corpus*, pourrait-on expliquer ces changements successifs «en rattachant chaque surnom à un événement de la vie du titulaire» (2).

Neuf des inscriptions d'al-Mu'azzam mentionnent une *kunya*, sept d'entre elles sont de Jérusalem (3), une d'Hébron (4) et une de Damas (5),

La première *kunya* est *Abû'l-Mansûr*, elle apparaît en 604/1207 ; à cette date al-'Adil venait de terminer une campagne militaire dans la région de Homs et Tripoli, nous pouvons supposer que son [fils ait fait partie de l'expédition puisqu'il se trouve à ses côtés à Damas à la fin de cette même année lorsque le calife de Bagdad envoie des robes d'honneur au sultan ayyoubide et à ses fils. Cette *kunya* pourrait donc faire allusion aux récents succès remportés en Syrie Centrale.

En 608/1211 une nouvelle *kunya* figure dans le protocole d'al-Mu'azzam,

(1) G. WIET, *Les inscriptions de Saladin dans Syria*, III, 314.

(2) CIA, *Jérusalem*, I, 171 et 463, CIA, *Égypte*, II, 114—115.

(3) Nos 2, 5, 6, 7, 14, 15 et 16.

(4) No 12.

(5) No 26.

il devient *Abû'l-Fath* et portera ce surnom encore en 610/1213. Ce changement pourrait être en relation avec la première campagne victorieuse que le prince mena seul, en 608, contre certains émirs musulmans et au cours de laquelle il conquiert plusieurs places-fortes.

Une trêve intervient avec les Francs à la fin de 608/1221, l'année suivante al-Mu'azzam reprend les travaux de fortification au Mont Thabor, et en 610/1213 il fait figurer dans son protocole le surnom d'*Abû'l-Muzaffar* qui fut la *kunya* de son oncle Saladin. Ce surnom, peut-être, fait-il allusion à ses différents succès et, si l'on accorde une valeur précatrice à certains termes du protocole, nous serions tentés d'y voir un appel du titulaire pour obtenir d'autres victoires.

Enfin, en 613/1216 et 614/1217, nous voyons apparaître le *kunya* d'*Abû'l-'azâ'im*. Tandis que les années précédentes le surnom faisait allusion à des activités guerrières, la nouvelle *kunya* met en évidence la piété du titulaire, nous pourrions la traduire par: «celui qui a accompli les devoirs prescrits par Dieu». Pourquoi ce nouveau changement dans le protocole? Ne serait-ce pas en rapport avec le fait qu'al-Mu'azzam tient alors à souligner qu'il a rempli ses devoirs religieux en faisant le Pèlerinage en 611/1214? La mention de cette nouvelle *kunya* dans les inscriptions de deux Villes Saintes, Jérusalem et Hébron, ne nous semble pas être un simple effet du hasard.

Plus tard, en 624/1227, nous voyons reparaître à Damas le surnom d'*Abû'l-Muzaffar*. Al-Mu'azzam souligne alors son activité militaire. N'est-ce pas l'époque critique de son règne où il lutte contre ses frères et où, allié du Khwarezm Šâh, il tente d'agrandir ses états?

Ces remarques sommaires appellent des recherches plus approfondies qui dépassent le cadre de cet article; il serait fort intéressant de reprendre la suggestion de Van Berchem et d'étudier sur un plan plus vaste les relations qui peuvent exister dans le protocole des princes entre leurs *kunya* et les événements de leur existence.

Nous constatons donc que l'inscription de Bâb Šarqî est d'une importance primordiale pour l'étude du protocole d'al-Mu'azzam car, bien que ne donnant pas de *kunya* ni de titre en *amîr al-mu'minîn* (1), elle nous offre la titulature la plus complète de ce prince ayyoubide.

(1) Il convient de signaler qu'aucune des inscriptions d'al-Mu'azzam ne renferme de titre en *amîr al-mu'minîn*.

LES MONUMENTS D'AL-MALIK AL-MU'AZZAM

Si nous regardons la liste chronologique des inscriptions d'al-Mu'azzam nous nous apercevons que la plupart des monuments sur lesquels figure son nom sont bâtis hors de la Syrie proprement dite.

En effet, c'est surtout à Jérusalem que nous trouvons des traces de son œuvre de bâtisseur (1). Il effectua des travaux à l'enceinte et à la Citadelle, fit des restaurations à la Qubbat as-Sakhrâ, au Haram et dota la Mosquée al-Aqsâ d'un portique ; on lui doit enfin dans cette ville la construction de deux madrasas : la Nakhwiya (2) et la Mu'azzamiya (3) qui subsistent de nos jours.

Il édifia, sur l'ordre de son père, la Citadelle du Mont Thabor (4) qu'il devait raser peu après son achèvement.

Il fit construire une des portes de la citadelle de Karak (5), s'occupa de la basilique de Bethléem (6), de la mosquée de 'Aglûn (7) et du Haram d'Hébron (8).

Nous savons par des textes qu'il fit bâtir une maison des hôtes (*dâr al-mâdif*) et deux bains à Ma'an, une des stations du Pèlerinage, et que, d'autre part, se préoccupant du confort et de la sécurité des pèlerins, al-Mu'azzam avait résolu de construire un gîte d'étape (*makân*) à chaque station du Pèlerinage (9).

Son œuvre monumentale n'est toutefois pas négligeable à Damas, bien que peu d'édifices y portent sa marque. Ceci provient peut-être du fait que jusqu'en 615/1218 il ne fut que le lieutenant de son père dans la capitale syrienne ; c'est au nom d'al-Malik al-'Adil Abû Bakr que l'on exécutait alors les travaux importants.

(1) Nos 1, 2, 3, 4, 5, 6, 7, 14, 15, 16, 17, 22.

(2) VAN BERCHEM, *CIA, Jérusalem*, II, 59—66. H. SAUVAIRE, *Desc. Damas, JA*, —sept. oct., 1894, 279.

(3) VAN BERCHEM, *CIA, Jérusalem*, I, 168—173. H. SAUVAIRE, *op. cit.*, 319 n. 173.

(4) Nos 8, 9, 10, 11.

(5) No 21.

(6) No 23.

(7) No 24.

(8) No 12.

(9) H. SAUVAIRE, *Descr. Damas, JA*, sept. — oct. 1894, 279. *Dâris* (édit. GA'FAR AL-HASANI), I, 584.

Du temps où il était régent à Damas, son père le sultan mit à contribution toute la famille pour participer aux travaux de restauration à la Citadelle; chacun apporta sa pierre à l'édifice et al-Mu'azzam, pour sa part, fit construire la *Târîma* qui surmontait Bâb al-Hadîd, l'entrée septentrionale de la Citadelle (1). A la Grande Mosquée des Omeyyades il fit installer, en 617/1220—1221, un mihrab pour les hanbalites. Il acheva, en 619/1212, la construction de la grande madrasa al-'Adiliya qui avait été commencée par Nûr ad-Dîn et continuée par son père al-'Adil (2).

En 621/1224, al-Mu'azzam fait élever à Salhié, sur le penchant du Qasiyûn, une madrasa funéraire aujourd'hui disparue : la Mu'azzamiya. Cette madrasa hanafite semble avoir été construite à côté du turbé où furent inhumés sa mère, morte le 20 rabi' I 602/4 nov. 1205, et son frère al-Malik al-Mûgit Fath ad-Dîn 'Omar, décédé en 606/1209. Cette hypothèse s'appuie sur un texte où il est dit qu'al-Mu'azzam fut transféré dans sa madrasa et enterré à la porte du turbé à coupole de sa mère le 1er muharram 627/20 nov. 1229 (3). Plus tard on y enterra notamment son frère co-utérin al-Malik al-'Aziz 'Utmân, seigneur de Subaiba, mort en 630/1233 (4) et on y déposa en 641/1243—44 le corps de son neveu al-Malik al-Gawad Yûnis b. Mawdûd al-'Adil (5).

En 623/1226, il restaura, ainsi que nous l'apprend notre inscription, les remparts de la ville dans leur partie sud-est. Ces travaux étaient, semble-t-il, moins dirigés contre les Francs que pour parer aux attaques éventuelles de ses frères.

-
- (1) H. SAUVAIRE, *Descr. Damas*, JA, sept.—oct. 1894, 279. Dâris, I, 584. J. SAUVAGET, *la Citadelle de Damas*, Syria, XI, 1930, 75—79. La *târîma* désignait une loggia généralement placée au dessus de l'entrée principale d'une citadelle où le souverain venait prendre place pour contempler les défilés militaires ou pour se présenter au peuple et à l'armée. Cf. G. WIET, *Notes d'épigraphie syro-musulmane* dans Syria, VII, 1926, 170 n. 3 (bibliographie sur les acceptions de ce terme). J. SAUVAGET, *Citadelle de Damas*, loc. cit. 80—81. *IDEM*, *Remarques sur les monuments omeyyades* dans *Mélanges Asiatiques* (JA) 1940, 45.
- (2) H. SAUVAIRE, *Descr. Damas*, JA, mai—juin 1894, 424 ; J. SAUVAGET, *Monuments Ayyoubides de Damas*, II, 77—91. N. ELISSEFF, *Les monuments de Nûr ad-Dîn*, BEO, XIII, 26—27 No 81.
- (3) H. SAUVAIRE, *Descr. Damas*, JA, sept.—oct. 1894, 268, 269, 312 n. 119, 320 n. 178.
- (4) H. SAUVAIRE, *Ibid.* 312 n. 112.
- (5) H. SAUVAIRE, *Descr. Damas*, JA, sept.—oct. 1895, 303 n. 120

Enfin, il nous faut signaler les restaurations qu'il effectua au Midan à la mosquée funéraire de Suhaib ar-Rûmî et Hasan b. Tabit al-Ansârî (1).

*
* *

Si al-Mu'azzam n'a pas été lui-même un grand bâtisseur à Damas, son époque y vit surgir des monuments remarquables témoins éloquents d'une brillante architecture damascaine qui subira plus tard, sous les Mamelouks, l'influence du Caire et perdra de sa personnalité. Nous citerons ici, à titre indicatif, et dans l'ordre chronologique de leur construction, ceux de ces monuments qui subsistent encore aujourd'hui.

La Muzaffariya, grande mosquée hanbalite bâtie entre 599/1203 et 614/1217 au penchant du Qasiyûn par les soins de Muzaffar ad-Dîn Kûkburi, seigneur d'Irbil (2).

La madrasa Šamiya intra-muros, appelée aussi Iqbâlîya. Cette madrasa hanafite fut bâtie par Sitt aš-Šâm, sœur de Saladin, en 603/1207 (3).

La madrasa Maridâniya, construite à Ġisr Abyad par la femme d'al-Mu'azzam : 'Azîzat ad-Dîn Akhšâ'û Khatûn, en 610/1213—1214 et constituée waqf par elle en 624/1227 (4).

La madrasa Ġahârkasiya bâtie en 608/1211 par Khuṭluba à Salhié (5) pour Fakhr ad-Dîn Ġahârkas, *amîr isfahsalâr kabîr* qui, chassé de Baniyas cette même année par al-Mu'azzam, revint mourir à Damas.

L'année 621/1224 fut marquée par la construction de quatre intéressants édifices : la madrasa Rukniya, élevée à Salhiyé par Rukn ad-Dîn Mankuwiriš (6), la madrasa hanafite 'Izziya extra-muros, bâtie par Abû'l-Fadail 'Izz ad-Dîn Aibak

(1) H. SAUVAIRE, *Desc. Damas*, JA, mai—juin 1896, 416 n. 61.

(2) J. SAUVAGET, *Les Monuments Historiques de Damas*, 95, No 90. H. LAOUST, *Précis de droit d'Ibn Qudama*, XXII.

(3) Cette madrasa est située un peu au Nord du Maristân de Nûr ad-Dîn.

(4) J. SAUVAGET, *M. H. D.* 100, No 96. IDEM, *Les Monuments Ayyoubides de Damas*, III, 119—130.

(5) J. SAUVAGET, *M. H. D.* 96, No 91; IDEM, *Les Monuments Ayyoubides de Damas*, I, 41—50. *RCEA*, No 3687, 3688, 3689.

(6) J. SAUVAGET, *M. H. D.* 98, No 95.

al-Mu'azzamî, et achevée en 624/1228—1229 (1), le tombeau de Sabiq ad-Din Mitqal, *gandar* de Saladin (2) et le mausolée d'al-Farantî (3). Enfin en 623/1226, l'année de notre inscription, sont édifiés par Šibl ad-Daula Kafûr, la madrasa et le turbé Šibliya (4) dont il ne reste malheureusement que fort peu de chose.

NIKITA ELISSÉEFF



(1) J. SAUVAGET, *M. H. D.*, No. 33; IDEM, *M. A. D.* 64, II, 65—75. Le même fit d'importants travaux à la citadelle de Sarkhad en 617/1222 et 619/1220.

(2) J. SAUVAGET, *M. H. D.*, 96, No 92; Idem, *M. A. D.*, III, 113—117.

(3) J. SAUVAGET, *M. H. D.*, 97, No 94.

(4) J. SAUVAGET, *M. A. D.*, III, 131—136.

LA DIXIÈME CAMPAGNE DE FOUILLES A MARI

(OCTOBRE — DÉCEMBRE 1954)

par

ANDRÉ PARROT

Conformément à nos plans, nous avons pu conduire à Mari une dixième campagne de fouilles qui s'est déroulée comme les précédentes, d'octobre à décembre 1954. Le temps nous a été moins favorable, en ce sens que la saison particulièrement pluvieuse nous a fait perdre plusieurs journées et nous a condamnés pendant plusieurs semaines à un isolement qui aurait pu être catastrophique, si nous n'avions réussi à évacuer, non sans difficultés, de Mari, à Alep, un des membres de la mission le dessinateur B. Vincent, atteint d'une crise d'appendicite aigüe. Disons immédiatement qu'à cette occasion, le Professeur H. Fruchaud a donné une fois de plus la preuve de sa virtuosité au cours d'une opération qui a parfaitement réussi.

La Mission s'est retrouvée à Mari au début d'octobre, composée comme l'an dernier: le professeur G. Dossin, épigraphiste; MM. Jean Brusson architecte, B. Vincent, dessinateur, G. Tellier, chef de chantier. Ma fille Marion Parrot était, pour la deuxième fois, chargée d'assurer la marche de la maison. Un nouveau membre, M. J. Margueron recevait la tâche photographique, tout en nous assistant fréquemment sur le chantier. Comme les précédentes années, M. S. Mugdad représentait la Direction Générale des Antiquités et nous ne pouvons que redire à son sujet ce que nous avons précédemment écrit: M. Mugdad est plus qu'un collaborateur attentif et toujours empressé, c'est un véritable ami pour chacun des membres de l'expédition. Celle-ci a trouvé une fois encore dès son arrivée en Syrie, le plus charmant accueil des autorités syriennes:

le Directeur Général des Antiquités, le Dr. Selim Abdulhak nous a prêté son appui et son concours à plusieurs reprises; le général Choucair, chef d'Etat-Major général, a bien voulu nous accorder pour notre transport de retour,

Abou-Kémal — Damas, transport au cours duquel nous ramenons au musée syrien toutes nos caisses d'antiquités, un camion militaire qui procurait la sécurité absolue, garantie indispensable en un pareil cas. A Abou-Kémal, nos rapports avec les autorités et la population ont été plus [que jamais de la plus grande cordialité et il n'est pas exagéré [de dire que « la Mission a la sympathie de tous » et dans ce « tous » nous entendons non seulement les représentants officiels du gouvernement, mais dans la ville, les artisans, les commerçants, nombre de notabilités, qui sont toujours empressés à nous rendre service et à tout simplifier à notre intention(1).

Qu'on nous permette enfin de remercier nos compatriotes de l'accueil qu'ils nous ont réservé cette année encore et de la sympathie agissante dont ils nous ont environnés, à Damas comme à Alep, où nous retrouvons les mêmes amis fidèles que nous mettons souvent à contribution et qui nous y encouragent, avec une bonne grâce qui nous remplit toujours de confusion.

Le programme des travaux de cette dixième campagne nous fut dicté par les résultats finaux de la précédente saison (2). Nous l'avions achevée en dégageant le temple de Nini-Zaza et en opérant un sondage dans un secteur (R. 28) de la ville, distant de quelque cinquante mètres. Ce dernier avait révélé une importante construction d'époque présargonique qui paraissait en bon état de conservation. Il nous semblait indiqué, d'une part de réunir ces deux chantiers et d'autre part d'élargir le sondage de 1953, de façon à identifier si possible le monument repéré. C'était là le programme initial et nous écrivions dans notre premier rapport : « la suite de la fouille dépendra forcément des résultats que nous obtiendrons ici et là et qui dicteront, s'il y a lieu, les élargissements indispensables ».

La jonction de deux chantiers fut réalisée en traçant une bande de 70 m x 15 m, orientée N. O. — S. E., qui fut explorée à une profondeur moyenne de trois mètres. Des installations privées, séparées par une rue large de quatre mètres

(1) Nous avons aussi à mentionner le dîner du 20 décembre 1954 offert à Alep par le Directeur des Antiquités de la Syrie du Nord et le déjeuner officiel présidé le 23 décembre, au club d'Orient à Damas, par S. E. Muñir Aflani, ministre de l'Instruction publique. Quand nous rédigeons notre article (le 15 décembre 1954), nous ignorions ces deux manifestations de sympathie, aux quelles nous avons été particulièrement sensible.

(2) Ceux-ci ont été exposés dans les *Annales archéologiques de Syrie* (nous citons *AAS*), III, pp. 71—80.

environ, furent dégagées : en bon état de conversation dans la zone Sud, infiniment plus ruinées dans la partie Nord. La céramique assurait une chronologie facile : les plus récentes constructions appartenaient à l'époque du Palais (début du 11^{ème} millénaire); les plus anciennes remontaient aux temps présargoniques. A travers tout le secteur exploré, une nécropole apparaissait. Plus dense aux environs de R. 28, elle allait nous obliger à un dégagement lent et minutieux. Si quelques tombes se rapportaient à la période hammurabienne, la plupart était de date beaucoup plus récente, puisqu'elles étaient celles des gens de l'époque séleucide. Nous retrouvions des sépultures identiques à celles déjà dégagées (hiver 1933-34, hiver 1951-52) (1), mais un certain nombre nous permettaient des constatations des plus intéressantes, soit à cause de la forme ou du type des jarres funéraires, soit à cause du mobilier bien conservé. Nous avons de ce fait, pu recueillir sur le corps d'une défunte, un panier en paille tressée retourné sur un coffret en bois. Les deux offrandes réapparaissaient intactes et nous avons réussi à les retirer, sans aucun dommage, de la tombe où elles avaient été déposées, avec une poignée de fleurs, il y a quelque deux mille ans. Une céramique abondante, quelques bijoux en bronze et en argent, constituaient l'essentiel du mobilier funéraire déposé auprès des cadavres. Dans l'ensemble, cette nécropole était pourtant pauvre, en tant que valeur marchande des objets et c'est bien pour cela que nous l'avons retrouvée absolument intacte. Il n'en était pas de même d'autres tombes, plus anciennes (début du 11^{ème} millénaire av. J. C.), réapparues entièrement pillées et certainement parce que très riches. Nous ne mentionnerons qu'un seul exemple, celui fourni par un magnifique tombeau rectangulaire (n° 443) en brique cuites, retrouvé non seulement dévasté mais à moitié détruit. Il avait été complètement dépouillé aussi bien de tous les objets précieux qu'il contenait, que du ou des cadavres qu'il abritait. Nous en dirions tout autant de plusieurs sépultures de même époque, en cuves de céramique, où les voleurs antiques avaient dédaigné les poteries mais avaient fait main basse sur les bijoux, s'acharnant même sur les corps disloqués sinon disparus (2).

Le tracé de ce premier chantier correspondait sans que nous l'ayions

(1) *Syria*, XVI (1935), p. 11; *AAS*, I (1951), p. 195 et pl. I (où il y a lieu d'intervertir les légendes).

(2) Nous avons déjà fait la même constatation en 1951 aux environs du «massif rouge» où des tombes identiques n'avaient gardé que leur céramique.

voulu, à l'emplacement d'une rue que nous avons suivie sur quelque quarante mètres. Deux états d'urbanisme ont été reconnus : le plus ancien remontant à l'époque présargonique ; le plus récent datant de la grande période du Palais, au cours de laquelle la ville dut connaître dans ses aménagements un éclat tout particulier. Déjà les ingénieurs avaient su non seulement opérer de grandes percées rectilignes (1) mais assurer une solidité durable aux artères qui voyaient la circulation intensive d'où les chars n'étaient certainement pas absents. Un solide radier de galets et de grandes dalles de pierre, procuraient cette résistance d'autant plus nécessaire dans une région où les pluies hivernales transformaient instantanément en un borbier infranchissable, un terrain alluvionnaire particulièrement spongieux. On comprend aisément que les fonctionnaires responsables des Travaux Publics du temps, aient voulu remédier de leur mieux à un état de choses qui apportait régulièrement une gêne évidente à la circulation et qu'ils aient d'abord songé à la rendre facile à l'intérieur de la ville et aux abords des monuments importants (2). Or la rue que nous avons partiellement dégagée, aboutissait à un carrefour très passant, puisqu'on s'y trouvait face à deux des sanctuaires les plus vénérés, ceux de Shamash et de Ninhursag et que de là, on pouvait monter vers la ziggurat, qui depuis près d'un millénaire sans doute, dominait la cité de sa masse grise et rouge.

Dans une rue les trouvailles ne peuvent guère être abondantes, car on n'y saurait ramasser que des objets abandonnés. Aussi n'arrivons-nous pas à expliquer pourquoi c'est pourtant dans la rue (à son niveau présargonique) que nous avons découvert une magnifique maquette architecturale en terre cuite, bourrée de petite céramique. Cet objet représente en réduction mais à une échelle encore importante (largeur 0m53) une maison de neuf pièces (chambres et cours). Enfermé dans une enceinte circulaire, cet édifice dont le portail unique à linteau rectiligne était aussi conservé, est une étonnante illustration de l'architecture présargonique (III^e millénaire). Comment et avec quoi identifier une aussi étrange construction, qui n'a rien de commun avec les autels d'Assur (de même époque) ou les maisons de Beisan et de Sélimyé (musée d'Alep) (de date plus récente), par exemple ? Aucun attribut figuré ne permet d'y reconnaître un temple. La présence de céramique à l'intérieur des salles et devant le portail,

(1) Nous l'avions précédemment noté dans un autre quartier de la ville fouillé en 1935, cf. *Syria*, XVII (1936), p. 12 avec le plan.

(2) Par exemple au Palais cf. *Syria*, XIX (1938), pl. V.

nous avait incité à voir là un mobilier funéraire d'un type absolument nouveau en Mésopotamie. Avec cette maquette ainsi garnie et dotée, on aurait déposé, auprès d'un défunt, une «maison éternelle». Malheureusement à cette explication, la base essentielle fait défaut: aucun cadavre n'a été retrouvé aux alentours immédiats. Il ne s'agit donc pas d'un mobilier funéraire. On ne peut pas non plus penser que l'objet ait été jeté et abandonné dans la rue, car il a été recueilli *intact* et surtout on avait déposé les céramiques à l'intérieur comme à l'extérieur, avec le plus grand soin et si certaines pièces furent cassées par la suite, ce fut à cause du poids des terres accumulées ultérieurement. Cette présence d'objets associés à l'architecture, donne à penser qu'il s'agit d'une offrande votive, mais que celle-ci ait été sous une rue nous demeure inexplicable. D'autant, nous le verrons plus loin, qu'un document identique fut retrouvé ailleurs, cette même année et dans un tout autre contexte archéologique. Le problème n'en est donc pas simplifié, mais bien plutôt compliqué.

La «maison rouge» (R. 28). L'élargissement du sondage exécuté en décembre 1953 a révélé une construction moins étendue que nous ne l'avions escompté d'après l'état de perfection dans l'exécution, que révélaient des murs dressés avec le plus grand soin. Cela ne signifie nullement que l'architecture réapparue ait ici manqué d'intérêt. Bien au contraire, puisqu'elle allait nous permettre de faire, outre des constatations archéologiques précieuses, une découverte de la plus haute importance, avec une série de bronze inscrits.

En ce secteur, plusieurs niveaux de construction sont superposés, qui, de haut en bas, appartiennent aux périodes sargonique et présargonique. Une fois de plus on rencontre, en surface, une nécropole séleucide particulièrement dense, installée dans les fondations de maisons de dates plus anciennes.

L'une de ces dernières a été dégagée entièrement, qui remonte à l'époque présargonique. Nous l'avons appelée la «maison rouge», car ses chambres portaient encore la marque particulièrement colorée des flammes de l'incendie qui y avait fait autrefois rage. Contraste d'ailleurs saisissant avec d'autres maisons voisines elles, parfaitement indemnes. Cet habitat de six pièces fut retrouvé dans un état de conservation remarquable, puisque ses murs étaient encore hauts de quelque deux mètres. La salle centrale devait servir à la réception, avec ses banquettes et nous ne savons pas s'il faut voir une installation rituelle dans les quatre cavités creusées irrégulièrement dans la masse d'une des banquettes. C'est le seul

trait d'aménagement qui pourrait suggérer une utilisation religieuse mais il y a cependant une différence sensible entre ces cavités et les «barcasses» retrouvées dans la plupart des sanctuaires présargoniques de Mari. D'ailleurs la première salle de cette maison est aménagée en cuisine et rien dans les autres chambres ne suggère un temple. Nous pensons donc que tout conduit à identifier cet ensemble avec la résidence d'un particulier. Petite par la superficie, mais très soigneusement construite, elle a pu abriter un personnage occupant un poste important dans la ville, ce qui expliquerait qu'à la ruine de la cité, elle ait été inscrite, comme les temples, sur la liste des monuments à incendier ... Nous avons encore d'autres arguments à invoquer pour proposer pareille interprétation, qui tiennent au fait que nous croyons pouvoir établir que la dite maison était placée sous la surveillance attentive de gardiens, à poste fixe.

Peu d'objets proviennent de cet habitat, preuve supplémentaire qu'il fut sévèrement pillé. Seules avaient échappé, un peu de céramique (la plupart des pièces étaient pourtant cassées), une statuette acéphale d'adorant au chevreau et pour nous, beaucoup plus précieux que tout le reste, trois tablettes économiques, qui comme l'a reconnu M. Dossin, sont des compte d'orge, avec ceci de caractéristique que l'onomastique qui y est consignée, indique une population mélangée, composée de Sumériens. La date de ces documents ne faisait pas de doute, ces trois tablettes d'époque présargonique (1ère moitié du III^{ème} millénaire) constituent donc les plus anciens documents de ce genre, jusqu'ici recueillis à Mari. Ils confirment à nouveau la place occupée par la civilisation sumérienne (le système d'écriture est en effet sumérien) en cette ville du Moyen-Euphrate, dont l'art atteste, nous l'avons souvent écrit, et cette influence et cette inspiration, toutes deux nuancées par le génie local.

Ajoutons que dans la «maison rouge», nous avons ramassé de gros fragments appartenant à une «maquette architecturale» identique à la première. Malheureusement, à cause des manques, elle ne pourra être remontée intégralement. L'état d'éparpillement dans lequel ce monument gisait ne permet pas non plus d'avancer plus loin dans son interprétation.

Avant d'aboutir à ce niveau présargonique, nous avons dû dégager une installation plus récente, dont rien à vrai dire ne permettait de soupçonner la valeur. C'est dans ses murs ruinés, que nous avons mis au jour deux lots de bronze, hétéroclytes comme genre (serpettes, houe, bols, étriers (?), plateau etc), passablement oxydés. Le nettoyage exécuté sur trois pièces seulement a fait apparaître sur chacune d'elles, une inscription dont l'importance historique est

éclatante : deux des textes mentionnent en effet, ainsi qu'a pu le reconnaître immédiatement M. Dossin, deux des filles du roi d'Accad, Narâm-Sin. Le troisième se rapporte à un scribe mais malheureusement le nom de la divinité à laquelle il avait offert cet objet (un gobelet aux parois épaisses) avait disparu sous l'oxydation et il ne semble pas qu'on puisse jamais le retrouver.

La découverte est lourde de conséquences. D'une part elle nous assure une datation archéologique pour des ensembles architecturaux et une série d'objets que nous nous refusions à considérer comme présargoniques mais aussi à reporter à une période aussi basse que celle du temps des rois de la III^{ème} dynastie d'Ur, pour ne pas dire de la I^{ère} dynastie de Babylone. D'autre part, elle confirme les campagnes agadéennes, de Sargon sans doute (1), de Narâm-Sin certainement (2), vers les pays du Nord. Mais surtout et ceci est capital, elle révèle la présence d'Accad à Mari même. Tout cela jette une lumière inattendue sur une phase historique que nous pressentions depuis longtemps à Mari (cylindre de Nam-Zi; cylindre du dieu An, etc) (3) mais qui n'était pas rigoureusement établie. Cette fois elle se trouve fondée comme il n'était pas permis de mieux l'espérer et avec une garantie rigoureuse de certitude totale. Que viennent faire ici les filles de Narâm-Sin ? On nous permettra de méditer sur cette question avec des loisirs que ne nous laisse pas la vie d'un chantier, avant de proposer une ou plusieurs explications, car il y a de multiples façons de rendre compte de la présence à Mari, de ces ustensiles marqués au nom des filles d'un des plus grands rois mésopotamiens.



Le dégagement de la « maison rouge » et du quartier résidentiel auquel cette dernière appartenait (secteurs S. 29 et U. 30) pour aussi intéressant qu'il pût être, ne devait pas nous retenir pendant toute la campagne. Nous avions aussi l'intention de poursuivre le déblaiement du secteur sacré de la ville, en commençant par évacuer d'énormes remblais sur lesquels nos voies decauville prenaient leur base de départ. Travail ingrat, mais indispensable si l'on veut procéder systématiquement, sans laisser aucune zone inexplorée. Travail

(1) Pour cette expédition, voir entre autres DHORME, dans *RB*, 1924, pp. 19 — 32.

(2) Pour la campagne de Narâm-Sin, A. BOISSIER, dans *RA*, XVI, p. 161. Narâm-Sin avait un palais à tell Brak, ainsi que l'a établi M. E. L. Mallowan.

(3) *AAS*, I, p. 198; III, p. 74.

stérile, puisque les objets sont absents, mais qui rend à la ville sa vraie physionomie, puisqu'il permet aux rues et aux places, de réapparaître. Nos ouvriers furent donc fixés pendant les dernières semaines, aux abords des sanctuaires de Nini-Zaza, Shamash, Ninhursag et Dagan.

Il nous semblait fort intéressant de suivre la rue signalée plus haut, jusqu'à l'endroit où elle devait en rencontrer une autre, celle qui limitait au Sud-Est le temple de Shamash. Le calcul s'est vérifié exact et une nouvelle grande artère a été retrouvée. Plus large encore que la première (elle mesure 8 m 40), elle est d'un tracé rectiligne mais on s'était contenté de la couvrir d'une couche de gravillons, sans aucune dalle de pierre. Cette voie sur laquelle quatre chars pouvaient facilement s'avancer de front, longeait les temples de Shamash, de Ninhursag et montait vers la ziggurat. On comprend aisément qu'on lui ait donné pareille ampleur puisqu'elle desservait toute la zone sacrée. Établie à l'époque du Palais (début du 11^{ème} millénaire), elle en recouvrait une autre, datée l'époque présargonique, par les très rares objets recueillis à ce niveau, en particulier la tête endommagée d'un adorant barbu, le devant d'un buste de grande statue, épaves d'un des sanctuaires tout proches.

Si les demeures d'Ishtar et de Nini-Zaza avaient été entièrement dégagées en 1952 et 1953, les temples de Shamash et de Ninhursag étaient encore partiellement recouverts. Il convenait donc de reprendre l'étude en profondeur, puisque partout ce sont des superpositions de constructions.

Dans la zone de Ninhursag et sous un cône de déblais évacué comme les précédents, plusieurs installations sont réapparues : habitats aux niveaux supérieurs I et II ; cour au niveau inférieur III. Ces installations viennent avantageusement compléter un sanctuaire que nous avions repéré dès 1938 (1) et qui prend une extension infiniment plus grande que nous ne l'avions soupçonné initialement. Si le niveau supérieur correspond au dernier temple et remonte à l'époque de Hammurabi, si le niveau inférieur est sans doute aucun de l'époque présargonique, il reste quelque incertitude pour fixer chronologiquement le niveau médian, caractérisé par une très belle céramique incisée, mais aussi pensons-nous par un magnifique autel de briques crues, orné de pilastres et de rentrants, autel adossé au mur extérieur de la cour du temple (2). Une autre

(1) *Syria*. XXI (1940), p. 5 sq.

(2) Cet autel rappelle tout à fait les installations des temples « anonymes », (où nous avons retrouvé les mêmes blocs à ressaut, ornements semblablement (pilastres et rentrants). Cf. *Syria*. XXI (1940), pl. III — IV et fig. 7.

salle voisine nous a permis de revoir des peintures que nous avions déjà notées en 1938 (1) (sans savoir alors à quel sanctuaire elles appartenaient) et qui se poursuivaient antrefois sur la muraille. Ce qui en subsiste ne donne rien de cohérent et d'utile. Mais nous constatons que la pièce qu'elles décoraient était une petite chapelle, puisque dans son sol on avait enfoui quatre «barcasses» de terre cuite, à proximité de quatre foyers. Dans une pièce voisine, contigüe, nous avons ramassé de gros morceaux appartenant à un énorme vase rituel, en schiste vert, ornementé extérieurement et qui jonchaient un sol marqué par l'incendie. Cette salle n'a pu être dégagée entièrement car elle s'enfonce en direction du Nord sous la terrasse du temple de Dagan. Pareille constatation avait déjà été faite par nous en 1953 et pour une installation voisine, appartenant ce semble au même sanctuaire (2).

L'exploration se poursuivant alors vers le Sud-Ouest, nous permettait de retrouver la limite précise de ce que nous avions naguère appelé le «bourrage» du «massif à redans» (3). Il s'agit en réalité d'un encastrement parfaitement dessiné, qui enserrait étroitement le massif. Nous en avons sondé deux angles (au N. et à l'O.) sans trouver les dépôts de fondation que nous espérions et qui nous auraient sans doute permis de sortir de notre incertitude en nous procurant une identification sûre. Puisque le monument reçoit du fait de cet encastrement, une extension et un volume encore plus grands, la recherche devra s'élargir en fonction de ces nouvelles et importantes données. Chose qui faute de temps ne pouvait être envisagée pour cette saison.

En effet, nos dernières journées avaient été réservées pour l'exploration profonde du temple de Shamash, contigü au «massif à redans» et sans doute solidaire. Notre investigation a révélé que sous le niveau présargonique atteint en 1952, deux autres se trouvaient encore cachés, tous deux appartenant à la même longue période (début du III^e millénaire). En effet, sous la cour appelée antrefois par les coordonnées P. 25 (4), une autre est apparue avec une magnifique façade ornée de redans, à la base de laquelle des barcasses en terre cuite avaient été enfouies, suivant le rituel qui se retrouve si souvent à Mari. Sous cette installation, une autre s'est annoncée, puisque le haut des murs a encore

(1) *Syria*, XXI (1940), p. 20 où nous indiquions déjà la date présargonique.

(2) *AAS*, III (1953), p. 79.

(3) *AAS*, III (1953), p. 78.

(4) *AAS*, II (1952), p. 140; *Syria*, XXX (1943), p. 200.

pu en être dégagé cette année, mais il s'agit d'une toute autre ordonnance. L'un et l'autre de ces sanctuaires anciens, étaient caractérisés par l'offrande de centaines de récipients en terre (petites coupes d'une pâte très mince et très fine) qui semblent avoir été cassés volontairement de façon à ce que le don fût plus complet. Seule une demi-douzaine à peine, avait échappé à cette destruction rituelle. Il ne manque pas d'intérêt de constater que non seulement les barcasses rappellent les trois états du temple d'Ishtar, mais que des cornets-soutpours (tous retrouvés cassés et incomplets) sont quasi identiques à ceux recueillis par nous il y a vingt ans dans le dit sanctuaire.

L'existence des trois temples présargoniques superposés, consacrés à Shamash, vient confirmer non seulement la vénération dont on entourait la divinité, mais la durée considérable de l'époque présargonique à Mari. Nous l'avions déjà établi l'an passé, en fouillant la grande fosse apparue au cœur du sanctuaire (1). Elle se trouve donc illustrée à nouveau, architecturalement, non seulement en un emplacement sacré, mais ce qui est sans doute encore plus important peut-être, dans la zone résidentielle fouillée au cours de cette campagne. En effet la « maison rouge » et toutes les habitations de ce quartier (R.28 et S.29), recouvrent des installations aussi bien conservées, nous voulons dire avec des murs qui ont encore souvent quelque deux mètres de hauteur. La moisson documentaire et architecturale que l'on peut attendre de nouvelles investigations dans ses secteurs est donc à peu près certainement impliquée par ce qui se laisse entrevoir. On n'y rencontrera sans doute aucune statue mais une fouille ne doit pas seulement avoir comme objectif de découvrir de belles pièces artistiques, parures futures du musée qui les abritera, car c'est toute la vie antique qu'elle doit faire revivre, avec sa complexité et sous tous ses aspects. Jamais nous ne l'avons si bien comprise peut-être que cette année qui, dans l'histoire de la Mission, restera sans doute celle des Agadéens à Mari.

Mari, 15 Décembre 1954.

ANDRÉ PARROT

(1) *AAS*, III (1953), p. 77.

LE SCEAU-CYLINDRE DE DÊR-KHABIYEH

par

GEORGES DOSSIN

Le sceau-cylindre, dont on trouvera ci-dessous une photographie (fig. 1), un dessin (fig. 1) et une copie de l'inscription (fig. 2), appartient aux collections du *Musée National des Antiquités* de Damas. Son existence m'a été obligeamment signalée par Mr. Chafiq Imam, attaché technique à ce musée (1). Je dois, d'autre part, au Dr. Sélim Abdul-Hak², Directeur général du "Service des Antiquités de Syrie", l'autorisation de le publier. Je le prie de trouver ici mon vif remerciement.



Fig. 1



Fig. 2

(1) Mr. Chafiq Imam a bien voulu m'en remettre en même temps une empreinte et une photographie, ce dont je lui sais grand gré.

Ce sceau-cylindre en hématite mesure 3cm. de longueur sur 1cm. 2 de diamètre; il présente la perforation habituelle dans le sens de la longueur pour le passage du lien de suspension. De conservation parfaite, il permet d'apprécier pleinement le soin et la finesse de la gravure. Si le traitement des deux personnages est quelque peu sommaire, le travail de l'inscription, au contraire, est d'une netteté et d'une sûreté de main remarquable. On peut même se demander si la gravure de l'inscription n'est pas l'œuvre d'un artisan différent.

La scène représentée sur ce sceau-cylindre est bien connue; on la retrouve en de nombreux exemplaires dans la glyptique de la première dynastie babylonienne. Elle comprend habituellement trois personnages, dont le premier est le dieu «Amurru». Devant lui se tient le personnage qui lui est «présenté», suivi d'une déesse qui lève les mains à hauteur du visage en signe d'intercession. C'est la scène classique dite de «présentation». Elle a été si souvent traitée dans les ateliers de glyptique, elle était devenue si banale et si connue que le graveur a cru pouvoir laisser tomber le personnage «présenté» et que, seules, les deux divinités ont été retenues; c'est le cas de la scène du présent sceau-cylindre, où le dieu à la masse d'armes, debout, fait face à une déesse qui lève les deux mains à hauteur du visage en signe d'intercession.

Derrière le dieu «Amurru» est disposée une inscription de trois lignes (fig. 3):



Fig. 3

(il) *Nin — gir — su — ib — ni — šu*
mār Ilu — šu — ib — bi
warad (il) En — ki
 « Ningirsu — ibnišu,
 fils de Ilušu — ibbi,
 serviteur du dieu Enki ».

Le nom propriétaire du sceau *Ningirsu — ibnišu* « (Le dieu) Ningirsu l'a engendré » et celui de son père *Ilušu — ibbi* « Son dieu (1) a nommé » sont d'origine nettement babylonienne. La mention du dieu des eaux, *Enki*, dont *Ningirsu-ibnišu* se dit le serviteur, nous ramène aussi en Babylonie. On notera également la présence du dieu *Ningirsu* dans le premier nom propre ; elle est un fait plutôt rare dans l'onomastique babylonienne elle-même. Quoi qu'il en soit, la scène représentée, le type d'écriture et celui de l'inscription, le nom des personnages et celui de la divinité protectrice invitent à considérer ce sceau-cylindre comme originaire de Babylonie. S'il avait été acquis par la voie du commerce, son examen imposerait cette conclusion.

Or, il n'en est rien. Il tire précisément tout son intérêt de sa provenance. C'est en effet sur un tell proche du petit village de Dêr-Khabyeh, situé à une vingtaine de kilomètres au sud-ouest de Damas qu'il a été découvert. La trouvaille a été faite à peu de profondeur, au rebord sud-est du mur d'enceinte, au printemps de 1948, lors de la réfection de la route, qui devait couper le pied de cette enceinte. L'Emir Djafar Abd-el-Kader, alors Directeur-général du Service des Antiquités et Mr. Chafiq Imam ont assisté à la découverte. C'est le premier sceau-cylindre de la première dynastie babylonienne qui, à ma connaissance, apparaît dans la région de Damas nanti de « circonstances de la découverte » aussi précises et aussi incontestables.

Pour autant qu'on puisse raisonner sur une trouvaille isolée, y a-t-il lieu d'être surpris de la présence à cet endroit d'un sceau-cylindre si typiquement « première dynastie babylonienne » ? A la vérité, aucune recherche systématique et exhaustive n'a encore été entreprise sur les tells qui se dressent aux alentours de Damas. C'est seulement au cours de l'hiver 1952 — 1953 qu'une mission suédoise dirigée par Mr. A. Haldar, qu'accompagnaient Mr. et Mme. H. H. von der Osten, a procédé à une coupe stratigraphique au tell es-Salihyeh, à une quinzaine de kilomètres à l'est de Damas. Cette prospection a établi que le site avait été occupé depuis le début du II^e millénaire jusqu'à l'époque byzantine (1). Aussi bien les *Archives de Mari* ont-elles montré que les relations politiques et économiques entre la Mésopotamie et les pays de la côte méditerranéenne étaient fréquentes sinon régulières au XVIII^e siècle avant notre ère (2).

(1) Cf. *Annales archéologiques de Syrie*, II (1952), p. 264.

(2) Cf. *Syria*, XX (1939), p. p. 110 — 113.

A cet égard, la *Correspondance de Baḥdi-Lin, préfet du palais de Mari* que Mr. J. R. Kupper vient d'éditer en texte cunéiforme et en traduction dans le volume VI des *Archives royales de Mari* (1) est fort suggestive. Elle nous fait connaître le passage à Mari de messagers qui voyagent des pays riverains de la Méditerranée, de Carkémiš, d'Alep, de Qatna et même de villes du nord de la Palestine aux bords de l'Euphrate et du Tigre, à Mari, à Babylone, à Arrapha, à Karanâ, à Ešnunna et en Elam, en suivant déjà la grande voie de communication tracée par la vallée de l'Oronte et par la vallée de l'Euphrate (5). A titre d'exemples, mentionnons ici les lettres 23 et 78 de cette correspondance.

— N° 23. — [A mon seigneur dis] ceci : [Ainsi] (parle) Baḥdi-Lim, mon serviteur. (2) La ville de Mari, le palais et le district vont bien. Comme ton seigneur m'en avait chargé, [moi] et Iašim-Sumû, nous sommes arrivés à Mari et nous avons procédé au partage du paturage. (19) [Autre affaire. Des messagers, de passage, (20) [(venant) de Baby] lone, Ešnunna, Ékal-lâtum, Karanâ, Qabrâ et Arrapha, lesquels sont envoyés à Iaḥhad, Qatna, Hašôr (3) et., vont arriver. (25) Dois-je les laisser aller, dois-je les retenir ? En outre, si des messagers (venant) de Iaḥhad, de. . . ., de. . . et de Carkémiš (ici, quatre lignes perdues qui mentionnaient les pays où ils se rendaient), (31) [dois-je les laisser aller], dois-je les retenir ? [Ceci ou ce] la, que mon seigneur m'envoie une décision ! »

— N° 78. — [A] mon seigneur dis ceci : [Ainsi] (parle) Baḥdi-Lim, [ton serviteur]. (5) [Un groupe est arriv] é de [Hâšôr] r [et de Qatna]. [Un tel et un tel], [serviteur de mon sei] gneur, (10) [et un tel, homme de Hâ] šôr [leur] homme d'escorte, (se rendent) chez mon seigneur. Deux messagers babyloniens qui résident depuis longtemps (15) à Hâšôr et un homme de Hâšôr, leur homme d'escorte, sont passés en direction de Babylone. Lawi-El, serviteur de mon seigneur, et Habdu-Bablâ, homme de Qatna, (20) son homme d'escorte,

(1) *Textes cunéiformes du Musée du Louvre — Département des antiquités orientales*, t. XXVII, Paris, Librairie orientaliste Paul Geuthner, 1953 (= ARM, VI), *Correspondance de Baḥdi-Lin, préfet du palais de Mari*, transcrite par J. R. Kupper, Paris, Imprimerie nationale, 1954 (= ARMT, VI).

(2) Lettres nos. 19, 23 et 78; cf. p. II.

(3) Il s'agit très probablement de l'importante cité cananéenne de Hâšôr de Nephtali qui a joué un rôle politique important au temps des «Juges», de Tell-el-Amarna et du royaume de Mari. Voir sur cette ville, *Comptes rendus de la première Rencontre assyriologique internationale*, Leyde, 1951, p. 21; *Orientalia*, XIX (1950), p. 509.

(se rendent) chez mon seigneur. [Autant de] messagers babyloniens [et un homme] de Qatna, leur homme d'escorte, sont passés [en direction de] Babylone.

Aux temps d'El-Amarna, trois siècles plus tard, Damas était un centre politique important. La ville devait déjà avoir à ce moment un long passé. Les eaux du Barada n'étaient pas demeurées sans emploi, comme le montre la fouille stratigraphique pratiquée à Tell-es-Salihiyeh par la mission Haldar-von der Osten (1). Il est étrange que le nom de Damas n'apparaisse pas dans les *Archives de Mari*. Aurait-elle porté un autre nom ou cette omission ne serait-elle que le fait du hasard? On doit poser la question, puisque la bourgade actuelle de Qaryateïn, située à quelque cent et trente kilomètres au nord-est de Damas, sur la route Damas-Palmyre, existait déjà à l'époque de la première dynastie babylonienne, ainsi que l'attestent deux lettres de Mari. Dans l'une d'elles adressée par un fonctionnaire à son maître Iasmah-Addu, vice-roi de Mari, il est question de deux mille nomades sutéens qui sont partis pour razzier le désert du pays de Qatna et d'une autre bande d'une soixantaine de ces nomades qui avaient déjà tenté une razzia dans la région de Palmyre (*Tadmer*) et de Qariyateïn (*Našalâ*). L'autre lettre, encore inédite, mentionne cette même ville de *Našalâ* sous la forme *Nazalâ*, celle-là même qui se retrouvera telle quelle, deux mille ans plus tard, sur des inscriptions grecques du II^e siècle de notre ère (2). On connaît donc à Mari le triangle désertique compris entre Qatna, Palmyre et Qariyateïn. La route du désert, qui reliait le moyen-Euphrate aux pays de l'Ouest, passait par Palmyre, avec bifurcation sur Qatna et sur Qaryateïn. Il est difficile d'admettre que la piste qui permettait de joindre Qariyateïn en partant de Palmyre s'arrêtait à cette localité et ne se prolongeait pas vers la plaine de la Goutha et les eaux du Barada.

A l'époque de la première dynastie babylonienne existaient donc déjà les deux grandes voies de communication qui mettaient en contact la Babylonie, la Mésopotamie et les royaumes d'Amurru: celle de l'Euphrate et de l'Oronte et celle du désert par Palmyre, Qatna ou *Nazalâ*. Messagers et commerçants les parcouraient, assurant les relations politiques et l'échange des marchandises. Le sceau-cylindre de Dêr-Khabyeh, qu'il ait été la propriété d'un habitant de la ville

(1) Voir ci-dessus, p. 41.

(2) Sur cette ville de *Našalâ* / *Nazalâ*, voir *Archives royales de Mari*, t. V, (Paris Imprimerie nationale, 1952), p. 130.

ou celle d'un voyageur de passage, est un premier témoignage archéologique et épigraphique des rapports qui unissaient la vallée du Barada et la Mésopotamie au XVIII^e siècle avant notre ère ? Souhaitons que des recherches aux tells de la région de Damas nous en apportent bientôt beaucoup d'autres aussi suggestifs.

GEORGES DOSSIN



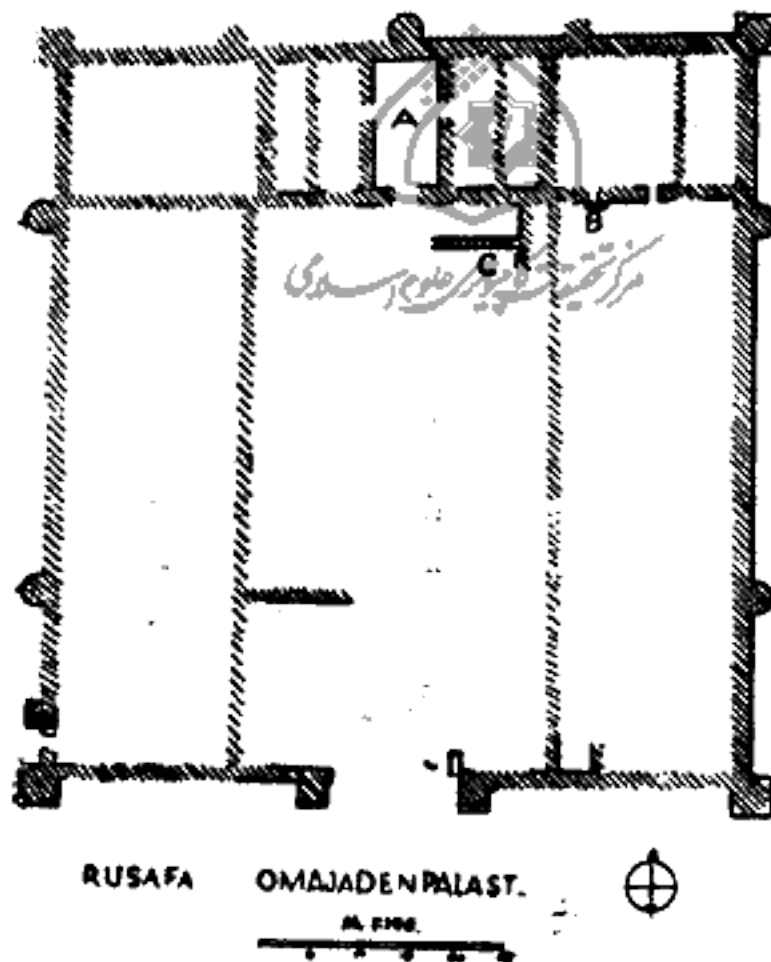
BERICHT ÜBER DIE GRABUNG IM ISLAMISCHEN RUSafa

von

KATHARINA OTTO-DORN

Der Plan zu einer Grabung in Rusafa war von A. M. Schneider ausgegangen, der die einzigartige Bedeutung der Ruinenstätte, sowohl für die frühchristliche wie für die islamische Archäologie erkannte. Seiner Initiative ist denn auch das Zustandekommen des Unternehmens zu verdanken und letzten Endes gebührt ihm das Hauptverdienst an den Ergebnissen, die während der Kampagne 1952 erzielt werden konnten. Sein allzufrüher Tod kurz vor Inangriffnahme der neuen Arbeit, der menschlich und wissenschaftlich eine unausfüllbare Lücke riss, traf die Teilnehmer des Rusafa-Unternehmens besonders hart, er beraubte sie des erfahrenen Ausgräbers. Hinzu kam die zeitliche Bedrängnis — es blieben kaum drei Wochen zur Grabungsarbeit —, so dass der ursprüngliche Arbeitsplan nur in äusserst beschränktem Masse und dazu mit einer sehr niedrigen Arbeiterzahl — etwa 13 Mann im christlichen und islamischen Grabungsabschnitt — durchgeführt werden konnte. Diese erste Kampagne kann daher nur als Vorarbeit für eine weitere, umfassendere Grabung betrachtet werden. Ein besonderer Glücksfall war es, dass sich in dieser Bedrängnis H. Lenzen eine Woche lang zur Verfügung stellte. Seiner Beobachtung ist, vor allem im islamischen Grabungsabschnitt, ausserordentlich viel zu verdanken. Von ihm wurde auch der Plan der islamischen Ruine aufgenommen, wobei ihm der Grabungsarchitekt W. Müller-Wiener assistierte. Die Erforschung des islamischen Rusafa hat sich mit zwei Aufgaben zu befassen: einmal mit der Aufdeckung des omayyadischen Rusafa, zweitens mit der Untersuchung der islamischen Schichten im antiken Stadtgebiet. Für mich ging es zunächst darum, Spuren des frühislamischen Rusafa aufzufinden. Nach den

Berichten einer Reihe arabischer Geographen des Mittelalters war Rusafa-Sergiopolis die Residenz des Omayyaden-Kalifen Hišam (724—743). Die Stadt trug nach der Überlieferung ausdrücklich den Namen Rusafat-Hišam (1). Jedoch ist nirgends Näheres darüber ausgesagt, wo in Rusafa-Sergiopolis sich das Rusafa des Hišam befand. Das antike Stadtgebiet kann dafür nicht in Frage kommen, da Rusafa-Sergiopolis bis zum Ende des 11. Jhs. Bischofssitz blieb (2). Einen Fingerzeig für die Residenz des Hišam geben die Luftaufnahmen A. Poidebards, die ein weites Ruinengebiet vor allem im Süden von Rusafa-Sergiopolis erkennen lassen (3). Südlich der Mauern der antiken Stadt wurde die Grabung angesetzt. Ich wählte einen der dem alten Rusafa nahegelegenen, mittleren Ruinenhügel als Grabungsobjekt aus. Wir stiessen an dessen Südhang sehr bald auf eine Lehmziegelmauer und auf einen Tortrakt. Weitere Suchstellen im Osten, Norden und Westen der Ruine ergaben, dass wir ein durch Rundtürme gegliedertes Scheinkastell mit zentralem Hof vor uns hatten, das im Typ den ommayyadischen Schlossanlagen entspricht. (Abb. 1).



(1) al-Tabari (Tarikh) II 1467, 172 ff., 1737 (ed. de Goeje). Al-Baladhuri 179 f 186 (ed. de Goeje); Fragmenta I 101 (ed. de Goeje). Yakut II 660 (s. Sauvaget, J. Asiat. 231, 1939, und EI. III 1279 ff.).

(2) EI. III 1279 (der letzte Bischof ist 1039 bezeugt). Sauvaget, J. Asiat. 231, 1939, 2 Anm. 2.

(3) A. Poidebard, La Trace de Rome dans le Désert de Syrie, P 82. Taf. 75. 76.

BAUBESCHREIBUNG

Freigelegt wurden von dem Bau die Ostmauer, Teile der Nord—und Westmauer und die Tortürme, d. h. soviel als zur Planbestimmung der Anlage erforderlich war. Das Innere musste infolge Zeitmangels weitgehend ungeklärt bleiben. Hier wurde lediglich der Mittelsaal des nördlich an den Hof angrenzenden Raumtraktes freigelegt; ferner wurden Schürfungen im Nordost-Teil und im Hof vorgenommen. Die Verschüttung betrug im allgemeinen etwa 1.50 m., am Tortrakt 2.00—2.50 m., im Hof etwa 0.30 m. Die Mehrzahl der Innenräume, der Tortrakt und die Ausdehnung des Hofes bleiben noch zu klären. Die Seiten des aus Lehmziegeln erbauten Palastes verlaufen entsprechend den vier Himmelsrichtungen. Der Bau ist in der Anlage annähernd quadratisch. Die Länge der Seiten beträgt im Osten 80.51 m., im Westen etwa 79.50 m., im Süden etwa 74.50 m. Die Ecken sind durch Rundtürme, deren Durchmesser 3.80 m. beträgt, betont. Die Türme sitzen auf etwa 0.80 m. hohen quadratischen Sockeln, die 2.60 m. vor die Front vorspringen. Die Aussenmauern zeigen durchschnittlich eine Stärke von 1.50 m. Auf der Nordfront ist die Wand durch drei Rundpfeiler von etwa 3.10 m. Durchmesser gegliedert; ihr Abstand voneinander beträgt 14.50 m. Die Ost- und Westmauer zeigen lediglich zwei Rundpfeiler, die im Durchmesser nur 2.60 m. messen. Der Abstand vom Sockel des Nordost-Turmes bis zum ersten Pfeiler beträgt 15.60 m., von Pfeiler zu Pfeiler 35.50 m., vom Pfeiler zum Nordwest-Turm 17 m.

Der stark zerstörte Torteil in der Mitte der Südseite öffnet sich zwischen zwei ebenfalls auf Sockeln sitzenden Rundpfeilern zur ungewöhnlichen Breite von 13.40 m. Neben dem Ostpfeiler ist im Mauerwinkel eine Krippe für Pferde angebracht. Zu dieser verhältnismässig grossen Toröffnung gibt es bisher keine Parallele. Es ist vorläufig noch völlig ungewiss, wie der Tortrakt ursprünglich aussah. An Torflügel, von denen jeder über 6 m. breit hätte gewesen sein müssen, ist kaum zu denken, ebenso nicht an Pfeilerstellungen. Nach dem jetzigen Stand der Grabung ist am ehesten zu erwarten, dass diese 13.40 m. breite Toröffnung in einen grossen Saal oder Hof führte, der etwa 30 m. lang und etwa 17.20 m. breit gewesen wäre. Möglicherweise ist jedoch mit Gewölben zu rechnen, denn der Schutt, der heute diesen Teil der Ruine bedeckt, unterscheidet sich wesentlich von dem des Nordtraktes. Während er dort hauptsächlich aus geflossenem Lehm und Gipsstückresten besteht, ist hier die bis zu 2.50 m. hohe Schuttmenge aus Backsteinen, Gips und Lehmmörtel und zu einem geringen Teil aus

Bruchsteinwerk zusammengesetzt. Welcher Art die Gewölbe gewesen sein mögen, die man hier vermuten kann, wird erst der Fortgang der Arbeiten klären. Tonnengewölbe — soviel steht wohl fest — sind bei den schwachen Mauern nicht zu erwarten. Am ehesten ist an einen Iwan als Eingangshalle zu denken.

Dicht neben dem Südwest-Turm befindet sich ein kleinerer, 2.25 m. breiter Durchgang. Nördlich davon waren in das Lehmziegelwerk der Mauer zwei grosse, gut gearbeitete Gipssteinblöcke eingelassen, zwischen denen eine Wasserrinne aus dem Innern ins Freie führte. Die Rinne bog nach 1 m. nach Norden um und konnte noch etwa 3 m. weiter verfolgt werden. Dies lässt vermuten, dass sich in diesem Teil der Anlage ein Bad befand.

Der Hof von einer Breitenausdehnung von 30 m. wird seitlich von Raumreihen begrenzt, die 16.40 m. bzw. im Süden 17.20 m. tief sind. Von ihnen sind bisher nur im Nordtrakt einige Räume festgestellt worden und zwar ein Mittelsaal mit symmetrisch sich anlegenden schmaleren Seitenräumen — mindestens zwei an jeder Seite —, die möglicherweise noch unterteilt waren. Der Mittelsaal ist durch einen Durchgang an der Schmalseite mit dem Hof, durch zwei weitere Durchgänge an den Breitseiten mit den Seitenräumen verbunden. Östlich des Hauptsaaes sind zwei weitere Durchgänge freigelegt worden, von denen der eine zweistufig ist; sie führen zu den Anschluss-Räumen.

Dem Nordtrakt ist zum Hof hin ein Einbau von geringer Tiefe vorgelegt, der sich in seinem Mauerwerk von der übrigen Anlage deutlich unterscheidet. Er ist nicht aus Lehmziegeln, sondern aus Backsteinen von 0.22 m. x 0.22 m. x 0.004 m. aufgeführt. Die Ziegel sind teilweise in Lehmörtel aber auch in Gipsörtel verlegt. Die Räume hatten — wie im übrigen bisher allgemein festgestellt werden konnte — einen Gipsestrich. Möglicherweise war der ganze Hof mit dem gleichen Gipsestrich belegt. Von den Mauern dieses Einbaues ist ein nord-südlich verlaufender Mauerzug erhalten, vor den ein Pfeiler vorspringt, dessen Fuss von etwa 0.54 m. Breite sich erhalten hat. Er ist mit schön geglättetem Gipsputz bedeckt. Das westöstlich verlaufende Mauerstück ist nur noch im Negativ sichtbar. Vor dem zweiten Abschnitt der Nordsüdwand liegt Mauerwerk von nur einer Schicht Höhe auf dem Hofestrich auf, das ebenfalls mit Gipsörtel bedeckt ist. Ob es sich hierbei um eine Stufe handelt und wohin sie geführt hat, ist noch nicht geklärt. Die Verwendung von Backstein für den Einbau lässt auf eine spätere Bauperiode schliessen.

Die Hauptmauern der Anlage sind, wie schon erwähnt wurde, aus ungebrannten, quadratischen Lehmziegeln von 0.38 m. x 0.38 m. x 0.10 m. x 0.12 m.

errichtet. Die Ziegel sind in Lehmörtel verlegt und haben einen Lehmörtel-Verputz von 0.04 m. bis 0.6 m. Dicke. Darüber sitzt ein weisser Kalk — oder Gipsörtelverputz, der sorgfältig geglättet ist. An manchen Stellen liegt dieser Verputz in mehreren Schichten übereinander, was auf eine längere Benutzung des Baues hinweist. Gelegentlich kommt jedoch neben dem Lehmziegelwerk auch Backstein vor. So fanden sich gut erhaltene, quadratische Backsteine im Schutt bei der Ostmauer, die möglicherweise von der Mauerbrüstung stammen. Ebenso war der Schutt am Tortrakt stark von Backsteinbrocken durchsetzt. Vereinzelt konnten auch gut bearbeitete Gipssteinblöcke festgestellt werden, so bei der Wasserrinne in der Nordwest-Ecke und am Sockel des nordöstlichen Eckturmes.

Eine besondere Überraschung boten die reichen Funde dekorierten Stucks und die Reste von Wandmalerei, die an verschiedenen Stellen zutage kamen. Stuckfragmente fanden sich bisher am Tortrakt, im Mittelsaal, im Ostteil des Nordtraktes und im Hof. Wandmalerei kam ebenfalls im Mittelsaal und am Einbau in der Nord-Ecke des Hofes zum Vorschein. Es ist danach anzunehmen, dass auch andere Innenräume Stuck und Malerei enthalten.

An den reichen Stuckfunden, die im Schutt des Nordtraktes zutage kamen, lassen sich zwei verschiedene Techniken unterscheiden. Es kamen einmal mit Formen hergestellte Stücke vor, die mit einer feinen Gipschicht überzogen waren und damit wohl gegen Witterungseinflüsse besser geschützt werden sollten; von ihnen ist anzunehmen, dass sie sich an der Aussenwand befanden. Von dieser Gruppe haben sich Stücke bester Qualität in einigen Friesfragmenten mit Darstellungen von Granatapfelzweigen und Weintrauben (Abb. 2. 3) erhalten. Bei der zweiten Gruppe ist der Dekor geschnitten. Hierzu gehören Fragmente mit Palmett-, Rosett- und Weinblattmusterung. Ausserdem kamen an der gleichen Stelle eine Anzahl verschieden dekorierte Blendbogenfragmente zum Vorschein. Sie zeigten Schrägkantprofilierung, Flechtband- und Blattkranzmusterung. Auffällig waren einfache oder doppelte Zackenbögen (Abb. 4), die im omayyadischen Bereich bisher unbekannt sind. Ferner fanden sich halbsäulchenartige Wulstfragmente, ebenfalls mit gezackten Randleisten. Endlich kamen noch Konsolen (?) mit Wulstprofilen vor. Bogenstücke und Halbsäulchen sind aller Wahrscheinlichkeit nach zu dem im Omayyadischen sehr beliebten Motiv der Blendnischen zu ergänzen. Es wird noch darauf zurückzukommen sein.

Auch im Mittelsaal gab es reiche Ausbeute an dekoriertem Stuck. Soviel bisher festgestellt werden konnte, war dort nur geschnittener Stuck verwandt worden, der jedoch, wie Farbspuren an einzelnen Stücken erkennen lassen, schwarz,

rot und gelb bemalt war, also reicheres Gepräge trug als der Stuck am Tortrakt. Auch die Motive schienen vielfältiger zu sein als dort. Verschlungene Kreise — das Motiv der sasanidischen Seidenstoffe — mit verschiedenartiger Rosettfüllung, sich spiralig einrollende Palmetten (Abb. 5), Bordüren aus sasanidischen Herzblättern (Abb. 6), Kyma-, Mäander-, Wellen- und Flechtbandmuster kamen vor. Daneben fanden sich Bruchstücke von durchbrochenem Stuck-Gitterwerk, die ohne Frage den in der omayyadischen Architektur häufigen Fenster-Gittern zugehörten. Auch das Weinlaub- und Traubenmotiv, das uns bereits im Stuck des Tortraktes begegnete, kehrte hier wieder, allerdings zeigten die Trauben tiefe Bohrlöcher im Unterschied zu den glatten Formen des Torstucks (Abb. 7).

Hier im Mittelsaal liess sich auch Wandmalerei feststellen, von der Reste an der Nord-, z. T. auch noch an der Ostwand in situ erhalten waren. Die Malerei auf dem Sockel der Nordwand, die auf eine fein geglättete, weisse Gipsschicht aufgetragen war, liess Fragmente von schräg kannelierten und palmstammartigen Säulen erkennen auf den im Omayyadischen häufig vorkommenden flachen Basen, die bis auf etwa 0.88 m. erhalten waren. Diese Säulenreste stellen aller Wahrscheinlichkeit nach Blendnischen dar. Zwischen ihnen sassen vier grössere Mittelfelder und zwei schmalere Seitenfelder. Sie waren mit Rauten-, Kreuz und Diagonalmustern gefüllt, die sich schwarz von weissem Grund abhoben. Auch die Säulen waren schwarz bemalt und von einem roten und schmaleren schwarzen Kontur umzogen. Ein Netz aus Doppelrauten, die miteinander durch Kreise verbunden waren, füllte eines der Zwischenfelder der Ostwand. Neben dieser in situ erhaltenen Malerei fanden sich zahlreiche kleine Fragmente weiterer Wandmalerei, die sich bisher zu keiner klaren Musterfolge zusammenfügen liessen. Dargestellt waren auch hier wieder wie im Stuck das Herzmotiv, die verschlungenen Kreise, Rosetten, vegetabilische und geometrische Muster, daneben Bordüren mit Kreismustern (in Weiss auf Schwarz) und ein Zinnenmotiv (Abb. 8). Die Malerei ist in hellen, leuchtenden Tönen gehalten. Hellgelb, Hellgrün, Hellblau und ein Kirschrot überwiegen. Diese Einzelfunde erweisen, dass sich über dem bemalten Sockel eine weitere Zone von Wandmalerei befand. Darüber kann dann erst der Stuck gesessen haben. Tatsächlich wird eine derartige Gliederung des Wandschmucks durch ein Stuckfragment erwiesen, das aus einem Flechtbandfries besteht, an den unterhalb ein Stück Wandmalerei ansetzt. Wir müssen annehmen, dass dieser reich ausgestattete Saal im Nordtrakt repräsentativen Zwecken diente.

Auch im Ostteil des Nordtraktes fanden sich an dem zweistufigen Durchgang mehrere Stuckfragmente von bester Qualität mit doppelreihiger Blattmusterung, wie wir sie bisher aus dem omayyadischer Ornamentschatz nicht kennen. Sie konnten im Museum in Damaskus zu einem Hufeisenbogen zusammengesetzt werden. (Abb 9) Reste von Gitterwerk an der Bogenlaibung weisen das Stück einwandfrei als Gitterfenster aus, das demnach über dem zweistufigen Durchgang sass und wohl von einem etwas tiefer gelegenen Hof Licht empfing. An der Nordost — Ecke des Zentralhofs kamen die gleichen Halbsäulchen — Fragmente zum Vorschein wie am Tortrakt.

Der auf Grund seines Backsteinwerks später anzusetzende Einbau im Hof wies ebenfalls Wandmalerei auf, die wie die flüchtige Untersuchung wahrscheinlich macht, noch weitgehend in situ erhalten sein dürfte. Einige losgebrochene Fragmente liessen erkennen, dass es sich hier um eine andersartige Malerei als im Mittelsaal handelt, mit einfacherer Mustergebung — meist Rauten und Quadrate — und satteren, kontrastreicherer Farben: Ziegelrot etwa war abgesetzt gegen Ockergelb, Karminrot oder Gelb gegen Schwarz; ein anderes Motiv zeigte aus Kreisen zusammengesetzte Rauten in Weiss auf schwarzem Grund. Der verschiedene Charakter dieser Malerei von der des Mitteltraktes bestätigt die Annahme, dass es sich hier um einen Einbau aus späterer Zeit handelt.

Diese zweite Bauperiode dürfte noch in omayyadische Zeit fallen, denn wir wissen, dass die Nachfolge des Hišam, Marwan II., Suleyman ibn Hišam und Mohammed ibn-Walid ebenfalls Rusafa als Wohnsitz wählten (1).

KLEINFUNDE

Wie bei allen omayyadischen Grabungsstätten sind Kleinfunde äusserst selten. Das liegt wohl in der Hauptsache an der Zerstörungswut der Abbasiden, der Nachfolger der Omayyaden, die diese verfolgten, wo immer sie konnten. Auch im Falle von Rusafa ist uns überliefert, dass der Abbaside Abd Allah ibn 'Ali Khan, der 749/50 nach Rusafa kam, dort die einbalsamierte Leiche des Hišam schänden und verbrennen liess (2).

Bisher fanden sich 7 Münzen, die im Museum in Damaskus untersucht werden, ein kleiner, bronzener Fingerring, Fragmente von Glasgerät und ein bearbeitetes Stück Knochen. An Keramik kamen Scherben der unglasierten spätrömisch-frühbyzantinischen Ware zum Vorschein, deren grauer, brauner oder ziegelroter Ton

(1) EL III 1280.

(2) Ebenda.

hart gebrannt ist und die mit Rillenbändern gemustert ist. Sie ist an verschiedenen omayyadischen Fundstätten anzutreffen und erweist also ihre Beständigkeit bis in islamische Zeit hinein (1). Interessant waren einige Fragmente einer grauen steingutartig Ware mit aus Rauten und Kreisen bestehendem Ritzdekor, für die mir bisher im Omayyadischen keine Parallele bekannt ist. Besonders bemerkenswert aber war die Scherbe eines Barbotin-Gefäßes bester Qualität mit Wellenband — Dekor, die wie die Mehrzahl der Kleinfunde westlich des Tortraktes in der untersten Schuttschicht aufgefunden wurde. Damit ist eine bestimmte Variante der islamischen Barbotin-Ware, von der man bisher nur vermutete, dass sie in omayyadische Zeit hinabreichen müsste, einwandfrei als omayyadisch erwiesen (2).

DER RUSAFA-PALAST

UND DER OMAYYADISCHE SCHLOSSBAU

Im Planschema — ein durch Rundtürme gegliedertes Scheinkastell mit Zentralhof — und in ihren Ausmassen von etwa 80 m x 74 m entspricht die Ruine in Rusafa dem Typ der omayyadischen Schlösser, als deren Hauptvertreter wir Qasr Kheir el-Gharbi (südwestlich von Palmyra), Qasr Kheir es-Sarki (nordöstlich von Palmyra), Khirbet el-Mefdjir (bei Jericho), Khirbet el-Minje (am See Genezareth) und Qasr et-Tuba (in Transjordanien) betrachten müssen (3).

Auch die Unregelmässigkeit des nur annähernd quadratischen Grundrisses ist für die omayyadischen Baumeister typisch (4). In der Ausgestaltung des Hofes folgt der Rusafa-Bau den Palästen Tuba, Kheir es-Sarki und Khirbet el-Minje, bei denen ebenfalls der Hof durch seitliche Raumreihen abgeschlossen und nicht wie im Falle

(1) Wir finden die Keramik in Khirbet el-Mefdjir (Baramki, *OuAntPal* 10, 1940, 65 ff., ebenso in der omayyadischen Siedlung auf dem Burgberg von Rabbat 'Amman (Harding, *Annual of the Department of Antiquities of Jordan* 1, 1951 7 ff. Taf. 1 — 5); auch in Mschatta konnte die gleiche Keramik beobachtet werden. Sie entfällt also als Beweismittel zur Frühdatierung von Mschatta, für die A. M. Schneider erneut eingetreten war (Bericht über eine Reise nach Syrien und Jordanien, *NGG*, 1952 Nr. 4.).

(2) Reitlinger, *Ars Islamica* 15, 1951, 14 f.

(3) Zu Qasr es-Sarki s. K. A. C. Creswell, *Early Muslim Architecture* I 333 ff.; für Khirbet el-Mefdjir s. C. Baramki *OuAntPal*, 8, 1938, 51 ff.; 10, 1942, 65 ff.; 12, 14, 1950, 120 ff.; für Khirbet el-Minje s. A. M. Schneider-O. - Puttrich-Reignard, *Ein frühislamischer Bau am See Genezareth*; zu Qasr et-Tuba s. Creswell a. O. 376 ff.; zu Qasr Kheir el-Gharbi s. Schlumberger, *Syria* 20, 1939 324 ff.; 25, 1946-48, 89

(4) Schlumberger, *Syria* 20, 1939, 345.

von Kheir el-Gharbi oder Khirbet el-Mefdjir ringsum von Arkaden begrenzt ist. Über die Gliederung der einzelnen Raumtrakte ist bisher nicht viel auszusagen. Wir können lediglich den dem Tor gegenüber liegenden Mitteltrakt mit dem entsprechenden Raum in Khirbet el-Mefdjir vergleichen, der sich ebenfalls in einen breiteren Mittelsaal und in schmalere, hier klar unterteilte Nebenräume gliedert. Die Badeanlage, die wir in der Süd-Westecke vermuten dürfen, hat aller Wahrscheinlichkeit nach ihre Entsprechung in Khirbet el-Minje (1). Im Mauerwerk geht der Bau mit seinem Mischmaterial aus Lehmziegeln, gebrannten Ziegeln und behauenen Steinen eng mit Kheir el-Gharbi zusammen (2), das ausserdem noch Holz verwendet, was aber auch in Rusafa noch aufgefunden werden kann. Allerdings scheinen hier Backsteine und Steinmaterial eine geringere Rolle zu spielen als in Kheir el-Gharbi. Für gewisse Einzelformen hingegen liessen sich bisher keine Parallelen auffinden. So liegt der Haupteingang entgegen der sonst bevorzugten Ostrichtung im Süden: er ist zwar darin mit Machatta zu vergleichen, jedoch nimmt dieser Bau schon auf Grund seiner Überdimensionalität gegenüber den übrigen Omayyaden-Schlössern eine Sonderstellung ein. Vor allem fällt der Eingang durch seine ungewöhnliche Breite von 13.40 m auf. Von dem bisher noch ungeklärten Tonn soviel ausgesagt werden, dass er der im omayyadischen Palastbau verschiedentlich zu beobachtenden Tendenz folgt, den Tortrakt — ganz abgesehen vom dekorativen Schmuck — auch architektonisch besonders hervorzuheben. Wir finden etwa in Qasr et-Tuba den Eingang von mächtigen Vierecktürmen flankiert — hierher gehört übrigens auch Mschatta mit seinen polygonalen, reich dekorierten Tortürmen — im Palast von Debel Seis eine Betonung durch halb zylindrische Torpfeiler (3). Khirbet el-Mefdjir hingegen ist durch einen Torturm ausgezeichnet, der Eingang von Khirbet el-Minje durch eine überkuppelte und avsidenartig geschossene Tornische hervorgehoben. Sonst noch nicht nachgewiesen sind die auf Vierecksockeln sitzenden runden Ecktürme. Wir kennen bisher nur einfache Vierecktürme, die allerdings — abgesehen von Qasr el-Hosob im Wadi Araba — für Anlagen von geringerem Umfang typisch sind (4). Die Anzahl von drei Rundpfeilern an der West- und Ostseite entspricht den Schlössern Tuba und Kheir es-Sarki, während die Gliederung der Nordwand durch fünf Rundpfeiler bisher ohne Parallele ist. Besonders augenfällig ist die Verwandtschaft

(1) Sauvaget, JAsiat. 231, 1939, 36 f.

(2) Schlumbergers, Syria 20, 1939, 347.

(3) Sauvaget, Syria 20, 1933, Abb. 3.

(4) Sauvaget, JAsiat, 231, 1939, 46.

zwischen der Rusafa-Anlage und dem omayyadischen Schlossbau im Hinblick auf die Wandausstattung. Stuckverkleidung und Wandmalerei nebeneinander lassen sich ebenfalls in Kheir el-Gharbi und in el-Mefdjir nach weisen. Während bei den beiden letzteren Beispielen figürliche Darstellungen stark im Vordergrund stehen, scheint im Rusafa-Palast der figürliche Dekor keine Rolle zu spielen. Die Stuckfunde am Tortrakt, Blendbogen und halbsäulchenartige Wulstfragmente, lassen auf einen Blendarkaden-Schmuck schliessen. Damit wäre eines der beliebtesten Motive omayyadischer Kunst auch für Rusafa erwiesen. Parallelen dazu finden wir im Schlossbau an der Fassade von Kheir el-Gharbi und an den Tortürmen von Kheir es-Sarki. In letzterem Fall sind die Nischen noch besonders reich mit Weinlaub, die Bögen mit Akanthus gefüllt. Der für Rusafa charakteristische einfache oder doppelte Zackenbogen allerdings ist an dem bisher bekannten Dekor omayyadischer Paläste nicht anzutreffen. Um so mehr überrascht es, das gleiche Ornament, zwar in Stein ausgeführt, jedoch in auffälliger Wiederholung am Torbau auf der Zitadelle in Rabbat 'Amman zu beobachten (1). Hier sind in zwei Zonen tiefe und flachere Blendnischen übereinandergestellt, die sämtlich die doppelten Zackenbögen aufweisen und auf glatten gekuppelten Säulchen aufruhren (Abb. 10). Die Übereinstimmung mit den Zackenbogen und glatten halbsäulchenartigen Wulstfragmenten von Rusafa ist offensichtlich. Der Vergleich lässt sich noch weiter führen. Die Bögen in Rabbat 'Amman zeigen Hufeisenform. Nun sind aber auch Hufeisenbögen, — die im Omayyadischen verschiedentlich auftreten — in Rusafa nachgewiesen, zwar noch nicht für den Tortrakt, jedoch in einem Stuckbogen des Nordost-Traktes (Abb. 10). Hinzu kommt der reiche Fülldekor, der die Nischen von Rabbat 'Amman auszeichnet: Blatt- und Herzrosetten, die sich z. T. in den Zwergnischen erhalten haben, kandelaberartig aufsteigendes Rankenwerk mit Palmett- und Rosettfüllungen und daneben Weinlaubmuster in den Flachnischen. Blendnischen-Füllungen sind im omayyadischen Dekor häufig, wir finden sie nicht nur in der Architektur (Fassade von Kheir es-Sarki und Gharbi), sondern auch in der Kleinkunst, wie etwa die Bronzekanne des Kalifen Marwan II. zeigt (2). Einen ähnlichen Nischenschmuck lassen die Einzelfunde am Tor von Rusafa mit Palmett-, Rosett- und Weinlaubmotiven

(1) Schulz, JPrKS. 25, 1904 f. J. Strzygowski, *Asiens bildende Kunst in Stichproben* 107. f. Abb. 10. 192. 381.

(2) Sarre, *Ars Islamica* I, 1934, Abb. 2. 5.

vermuten. Die Wahrscheinlichkeit ist also gross, dass die Fassade des Palastes in Rusafa in ähnlicher Weise wie der Torbau von Rabbat 'Amman ausgestattet war. Vergleichen wir den Stuck des Mittelsaales mit den omayyadischen Denkmälern, so fällt der enge Zusammenhang vor allem mit dem Stuckdekor aus el-Mefdjir auf. Verschlungene Kreise, das stark gerippte Weinblatt, die Trauben mit tiefen Bohrlöchern, das spiralig eingerollte Palmettblatt, Herzblatt- und Flechtbandbordüren kehren hier wie dort in gleicher Formensprache wieder (1). Für das Stuck-Gitterwerk endlich, das in Bruchstücken im Mittelsaal, vor allem am Stuckbogen des Nordosttraktes zum Vorschein kam, finden sich in den vielfältig gemusterten Gitterfenstern in Kheir el-Gharbi die reichsten Beispiele (2). Auch die Wandmalerei im Mittelsaal des Palastes von Rusafa trägt omayyadischen Charakter. Nach der in situ erhaltenen Malerei von Säulendarstellungen auf dem Wandsockel sind rings umlaufende Blendnischen zu ergänzen, die wir uns in der Art der Malereien in Kuseir 'Amra vorstellen müssen, die ebenfalls die schräg kannelierten Säulen kennen (3). Aber auch die in Hufeisenbögen geschlossenen Doppelnischen auf dem Jagdgemälde von Kheir el-Gharbi sind hier anzuführen. (4) In den beiden letzteren Fällen stehen allerdings Figuren in den Nischen, während in Rusafa die Felder mit geometrischen Mustern, Rauten- und Kreuzmotiven gefüllt sind, die augenfällig Marmorinkrustationen nachahmen sollen. Auch hierfür bietet Kheir el-Gharbi in einem Teil seiner Räume reichlich Parallelen (5). Ohne Frage hat man in den Omayyaden-Palästen mit diesen Imitationen berühmten Vorbildern — etwa dem Felsendom von Jerusalem oder der grossen Moschee in Damaskus —, die kostbare Marmorausstattung tragen, nachzueifern wollen. Die einzelnen, im Schutt des Mittelsaales aufgefundenen Bruchstücke von Wandmalerei mit verschlungenen Kreisen, Rosett- und Herzmustern sowie Perlbändern haben ihrerseits sowohl in Kheir el-Gharbi wie in el-Mefdjir ihre Entsprechung (6).

(1) *OuAntPal.* 14 1950 Taf. 35-38.

(2) Salim Abdul-Hak, *La Reconstitution d'une Partie de Kasr el-Hair al Gharbi au Musée de Damas, Les Annales Archéol. de Syrie* I, 1951 Taf. 5-24.

(3) E. Diez, *Die Kunst der islamischen Völker* Abb. 28.

(4) Schlumberger, *Syria* 25, 1946-48 Taf. 25.

(5) Selim Abdul-Hak a. O. Taf. 12, 13. Schlumberger, *Syria* 20, 1939 Taf. 39. 4.

(6) Baramki, *OuAntPal.* 10, 1942 Taf. 34.

RUSAFAT-HİŞAM

Die Gegenüberstellung der Ruine von Rusafa mit den omayyadischen Schloss-Anlagen ergibt nach Plangebung, Mauertechnik und Ausstattung einwandfrei, dass wir auch hier einen omayyadischen Palast vor uns haben. Der enge Zusammenhang mit den als Hišam-Bauten bestimmten Denkmälern — Qasr Kheir eš-šarki, el-Gharbi und Khirbet el-Mefdjir — erlaubt auch in unserem Fall eine Zuweisung in die Zeit Hišams. Über diesen Denkmälervergleich hinaus spricht jedoch noch ein weiterer ebenso entscheidender Grund dafür, dass wir uns hier auf den Spuren Hišams bewegen. Die Ruine steht nämlich nicht isoliert, sondern befindet sich, wie eingangs erwähnt wurde, inmitten weiterer Ruinenhügel. Nach der Beobachtung von Lenzen ist damit zu rechnen, dass sich ein Ruinengebiet von einem Umfang von etwa 3 km ringförmig um das antike Rusafa-Sergiopolis legt. Nichts liegt näher, als diese Ruinenstadt vor den Mauern des alten Rusafa mit der von den arabischen Geographen nach Rusafa-Sergiopolis lokalisierten Residenz des Hišam zu identifizieren. Die Quellen erwähnen in Rusafat-Hišam sogar zwei Paläste des Hišam, deren einen wir aller Wahrscheinlichkeit nach aufgefunden haben. Der zweite muss besonderer Repräsentation gedient haben, denn wir hören, dass Hišam hier "unter einer grünen Kuppel sitzend" seine Audienzen erteilte (1). Möglicherweise lässt sich dieser zweite, grösser und prunkvoller zu denkende Palast mit der in nächster Nähe der Ruine gelegenen grösseren Hügelgruppe in Verbindung bringen. Ebenso muss in einer derart ausgedehnten Residenz eine Moschee grösseren Ausmasses, eine Freitagsmoschee also, erwartet werden. Sie wird tatsächlich im Zusammenhang mit dem Karmaten-Einfall im Jahre 902 erwähnt, wobei Moschee und Stadt niederbrannten (2).

Auch Gräberstätten waren vorhanden. Wir wissen, dass Hišam nicht nur in Rusafa residierte, sondern auch dort starb und beigesetzt wurde (3). Es ist anzunehmen, dass sich eine Gräberstätte südlich des Mundhir-Baues befand, nach den Notizen E. Herzfelds zu schliessen, der dort zwei islamische Türben sah (4). Ob wir allerdings das Glück haben, hier auf omayyadische Gräber zu stossen, von denen uns bisher noch keine Beispiele erhalten sind, ist abzuwar-

(1) Sauvaget, *JAsiat.* 231, 1939, 2. 5.

(2) *El.* III 1280.

(3) *Ebenda* 1279.

(4) F. Sarre-E. Herzfeld, *Archäologische Reise im Euphrat- und Tigris-Gebiet* 11 43.

ten. Bis in den Anfang des 10. Jhs. hinein muss die Stadt des Hišam besiedelt gewesen sein, denn sie wird kurz nach dem Karmaten-Einfall im Jahre 908 wieder als "blühende Stadt" geschildert (1). Mit dem Ende des 11. Jhs., nachdem Rusafa-Sergiopolis aufgehört hatte, Bischofssitz zu sein, muss die islamische Bevölkerung Rusafat-Hišau verlassen haben und nach Rusafa-Sergiopolis übersiedelt sein. Mit Sicherheit lässt sich eine ausgedehnte islamische Wohnstadt im Innern von Rusafa nachweisen, die z. T. über die christlichen Ruinen hinweg geht. Ihre Lehmziegelhäuser waren mit Ziegelkuppeln überdeckt, wie Müller-Wiener beobachten konnte, die heute sämtlich eingestürzt sind, und ihre Schuttschicht ist voll von seldschukischer Keramik der verschiedensten Gattungen (u. a. Barbotin-Ware, syrische Ware mit Unterglasurmalerei und Lüster-Keramik).

Die Bedeutung des Ruinenfeldes vor den Mauern des antiken Rusafa liegt auf der Hand. Zunächst ist mit der aufgedeckten Ruine ein weiterer Omayyaden-Palast zu den bisher bekannten Denkmälern hinzu gewonnen, der dazu in Plangebung und Dekor unsere Kenntnis vom omayyadischen Schlossbau um neue Züge bereichert. Die Festlegung der Anlage auf Hišam gibt darüber hinaus ein Mittel an die Hand, unter den Omayyaden-Anlagen eindeutiger als dies bisher möglich war eine Hišam-Gruppe abzugrenzen. Endlich ergibt die enge Übereinstimmung des Torbaues von Rabbat 'Amman mit der Rusafa-Anlage und weiteren omayyadischen Palästen sowohl in der Plangebung an sich (betonter Tortrakt) wie im Dekor (gefüllte Blendnischen mit Zackenbögen und gekuppelten Säulchen) die sichere Zuweisung dieses bisher umstrittenen Denkmals in omayyadische Zeit. Zu dieser Bestimmung kommt noch die auf dem Burgberg von 'Amman nachgewiesene omayyadische Siedlung (2), zu der aller Wahrscheinlichkeit nach der Torbau gehörte.

(1) EL. III 1280.

(2) Harding, *Annual of the Department of Antiquities of Jordan* 1, 1951, 7 ff. Auch am Torbau selbst haben Grabungen stattgefunden. Nördlich schliesst sich an den Tortrakt ein grosser Hof an, an dessen Schmalseiten Kammern angebaut sind, ferner eine atriumartige Anlage, beides ist aus wiederverwendetem römischem Material gemauert. Eine Klärung dieses weiteren, dem Torbau zugehörigen Komplexes ist erst mit der noch nicht vorliegenden Grabungspublikation zu erwarten. Aus dem vorläufigen Bericht geht nur hervor, dass der Torbau aussen mit einer einfachen Stuckarkatur dekoriert war, woraus sich noch engere Übereinstimmungen zu Khirbet el-Mefdjir ergeben, das ebenfalls Stuck- und Steinpartien aufweist. Der Ausgräber datiert den Torbau vorläufig in das Ende 7. Jhs. (Barbottini, *Bollettino del Reale Istituto di Archeologia e Storia dell'Arte* 3, Ser. 28 '1934/35, 275 ff.). Wir dürfen aber m. E. mit der Datierung bis in das 1. Drittel des 8. Jhs. hinaufgehen.

Über diese Einzelergebnisse hinaus, die wir der Ruine von Rusafa verdanken, erbrachte die Untersuchung die Identifizierung der Ruinenstadt vor den Mauern von Rusafa-Sergiopolis mit der Residenz des Hišam. Damit hat die Streitfrage um die Lokalisierung von Rusafat-Hišam, wie wir glauben dürfen, ihre Lösung gefunden. Es wurde bereits oben dargelegt, dass sich die allgemein übliche Auffassung, wonach sich Rusafat-Hišam im Innern der antiken Stadt befand, schon deshalb nicht aufrechterhalten liess, da Rusafa-Sergiopolis auch noch nach der islamischen Eroberung — und zwar wie wir sahen bis zum Ende des 11. Jhs. — Bischofssitz blieb (1), also nicht zugleich Residenz des Omayyaden-Herrschers gewesen sein kann. Aber auch der Versuch von J. Sauvaget, den Komplex von Qasr Kheir eš-Šarki als Rusafat-Hišam zu deuten, stellt sich nun nach dem Ruinenbefund in Rusafa-Sergiopolis als eine Fehlinterpretation der Quellen heraus (2).

Mit der Residenz des Hišam ist uns in Rusafa ein Objekt an die Hand gegeben, wie wir es in einem derartigen Ausmass aus omayyadischer Zeit noch nicht kennen. Die weitere Erforschung dieser Ruinenstätte lässt also ein äusserst aufschlussreiches Material für die islamische Archäologie erwarten.

(Katharina Otto-Dorn, Ankara)

KATHARINA OTTO-DORN

(1) Diese erstaunliche Tolerierung des Christen — hier in Rusafa sogar über Jahrhunderte hinweg — ist im omayyadischen Bereich nicht ohne Parallelen; man vgl. dazu etwa die christlichen Mosaiken in der Geburtskirche in Bethlehem mit der Darstellung der Kirchenkonzile, die unter omayyadischer Herrschaft entstanden sind (Stern, Byzantion 11, 1936, 101 ff.).

(2) Sauvaget, JAsiat. 231, 1939, I ff.

LES GISEMENTS OSSIFERES DE KHIRBET EL-UMBACHI ET DE HEBARIYE (SAFA) ET LES INSTALLATIONS CORRESPONDANTES

NOTE PRELIMINAIRE

par

LOUIS DUBERTRET

et

MAURICE DUNAND

Au Sud de Damas, s'étend un vaste pays volcanique, parsemé de cratères; son centre est constitué par le massif druze, sa périphérie par des plateaux: à l'Ouest, le Hauran couvert de limons, à l'Est le Diret et Touloul, dans lequel les coulées sont à nu. Le volcanisme remonte jusqu'au Miocène, mais quelques appareils sont restés en activité jusqu'à une époque récente. Les dernières grandes coulées sont celles du Ledja, du Qra, des Dhers, des Rhailé et du Safa. Ce vaste pays volcanique n'est habité par des populations sédentaires que dans sa partie occidentale, où les conditions de vie sont cependant très dures. La partie orientale est une contrée de nomadisme, parcourue surtout en hiver.

Les laves sont basaltiques. Elles ont atteint la surface à un état de grande fluidité et se sont répandues en larges nappes, parfois en édifiant des cônes surbaissés autour des bouches de sortie. Deux nappes tardives se sont répandues sur les pentes Nord du massif druze: le Ledja vers le Nord-Ouest, le Qra vers l'Est-Nord-Est. A l'est du Qra les coulées des Dhers, des Rhailé et du Safa ont formé des cônes de lave: celui du Safa, posé sur un pays de 670 m. d'altitude, a une base circulaire de 20 km. de diamètre et culmine à 776 m. (sa pente moyenne est de 20 m. au km.).

La coulée du Qra est issue de deux buttes de scorie rouge à peine

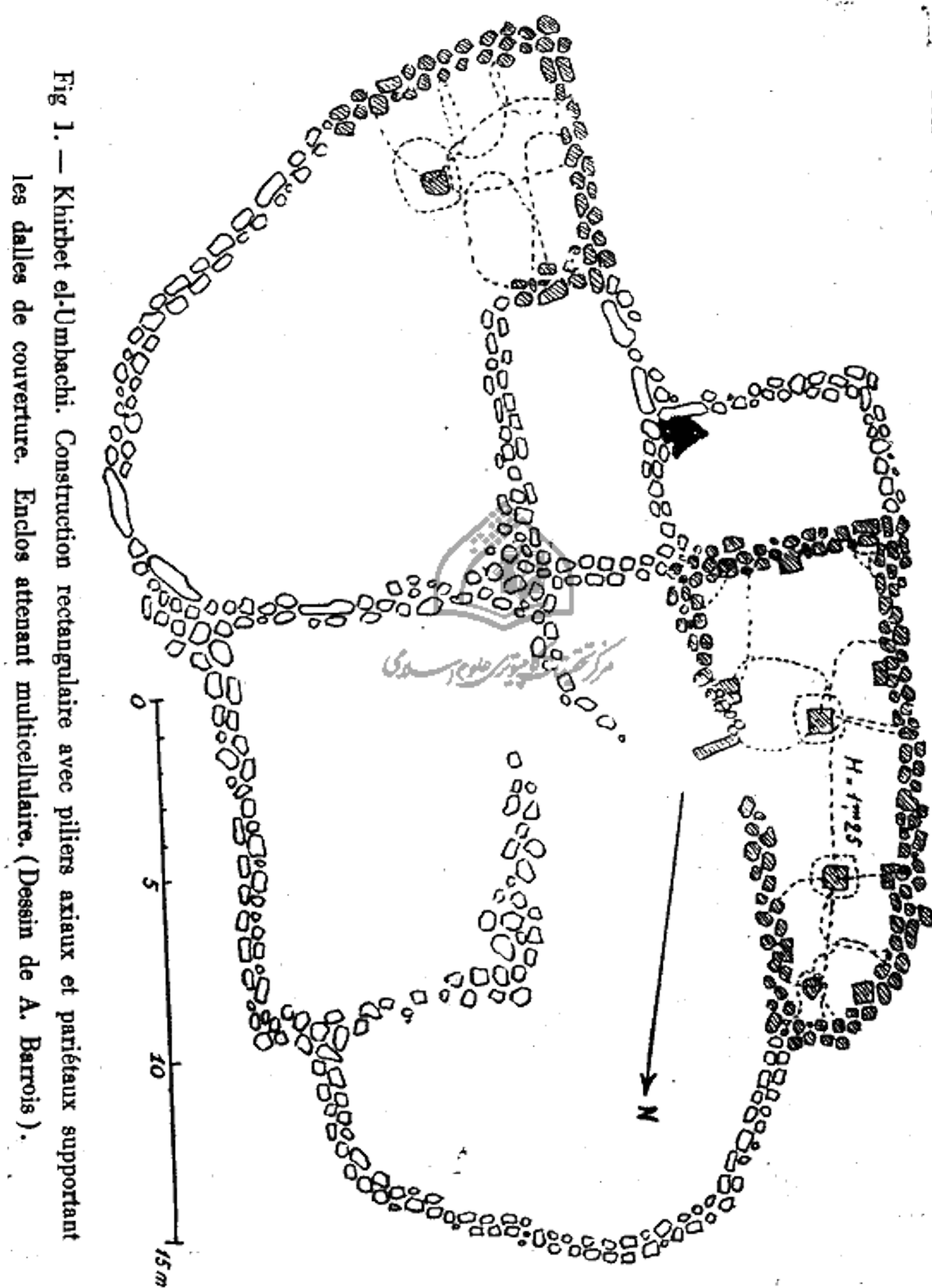


Fig 1. — Khirbet el-Umbachi. Construction rectangulaire avec piliers axiaux et pariétaux supportant les dalles de couverture. Enclos attenant multicellulaire. (Dessin de A. Barrois).

perceptibles, contre lesquelles s'appuie le village de Rdemé Charpiyé. Elle s'est répandue jusqu'à 40 km. de distance, en recouvrant d'abord largement le terrain, puis se divisant pour suivre les lits de cinq ouadis: elle a ainsi l'aspect d'une main, s'étendant sur 160 km. carrés. Les extrémités de ses digitations s'enfoncent sous les cônes de lave des Rhailé et du Safa.

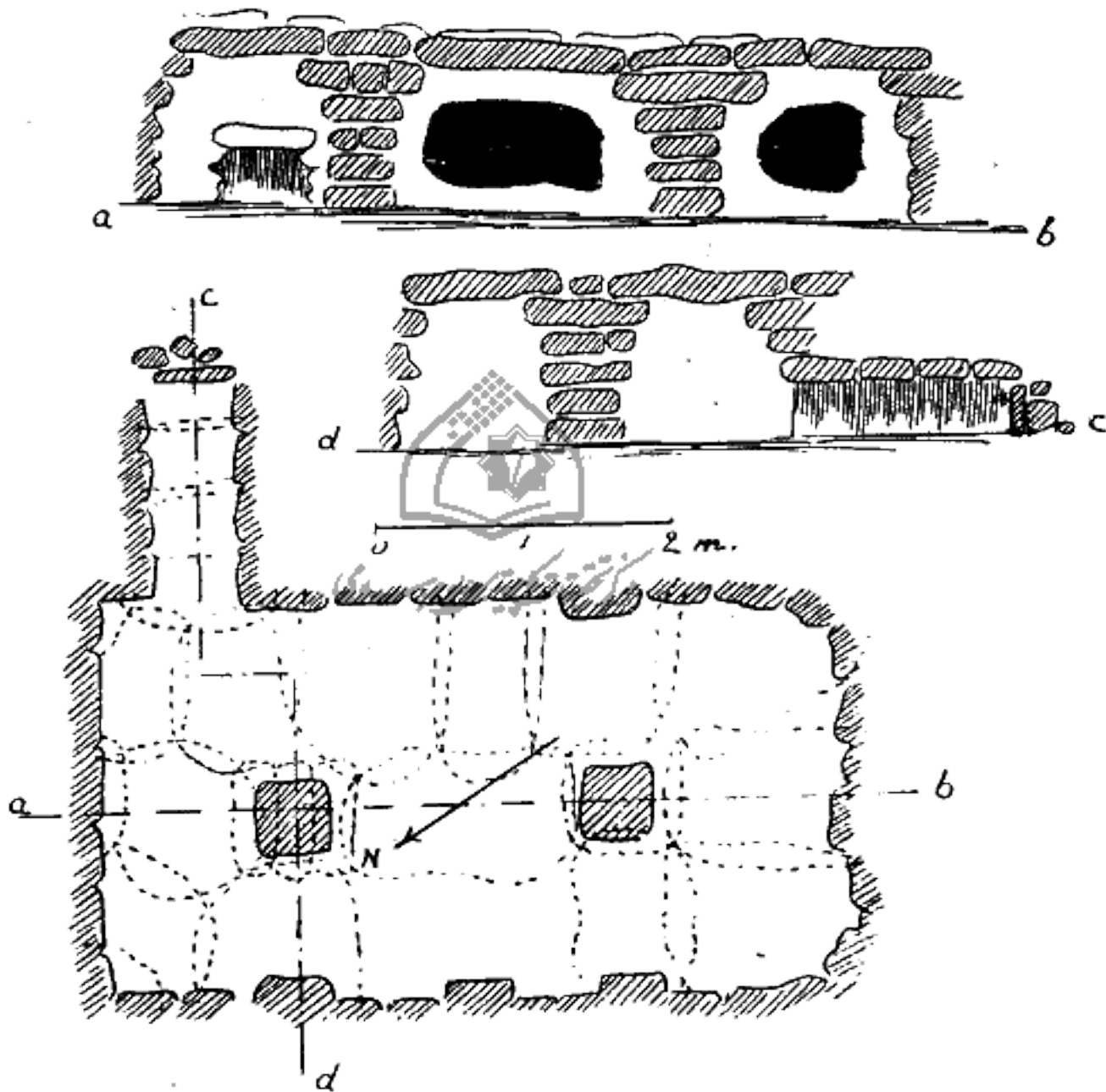


Fig. 2. — Khirbet el-Umbachi. Construction à deux piliers axiaux et couloir d'accès. (Dessin de A. Barrois).

Khirbet el-Umbachi et Hebaryé sont les ruines de deux localités situées dans la partie orientale de cette coulée digitée du Qra. Khirbet el-Umbachi, à 90 km. de Damas, est campé sur la digitation septentrionale, Hebaryé, 7 km. plus au Sud, entre la deuxième et la troisième. Ces sites présentent l'un et l'autre un groupe de constructions encombrées de blocs basaltiques épars et un im-

portant gisement d'os calcinés. Ils furent découverts en 1857 par Cyril C. Graham (1), le premier explorateur du Safa, qui rapporta aussi les premières copies d'inscriptions safaitiques. Par la suite J. C. Wetzstein, Consul de Prusse à Damas, donne une note sur le gisement d'Hebaryé d'après les dires d'un Sheikh de tribu qu'il rencontra près de Sale au Djebel Druze (2). De Vogüé (3), puis Dussaud et Macier (4) passèrent à Hebaryé et signalent Khirbet el-Umbachi, mais sans apporter aucune documentation nouvelle.

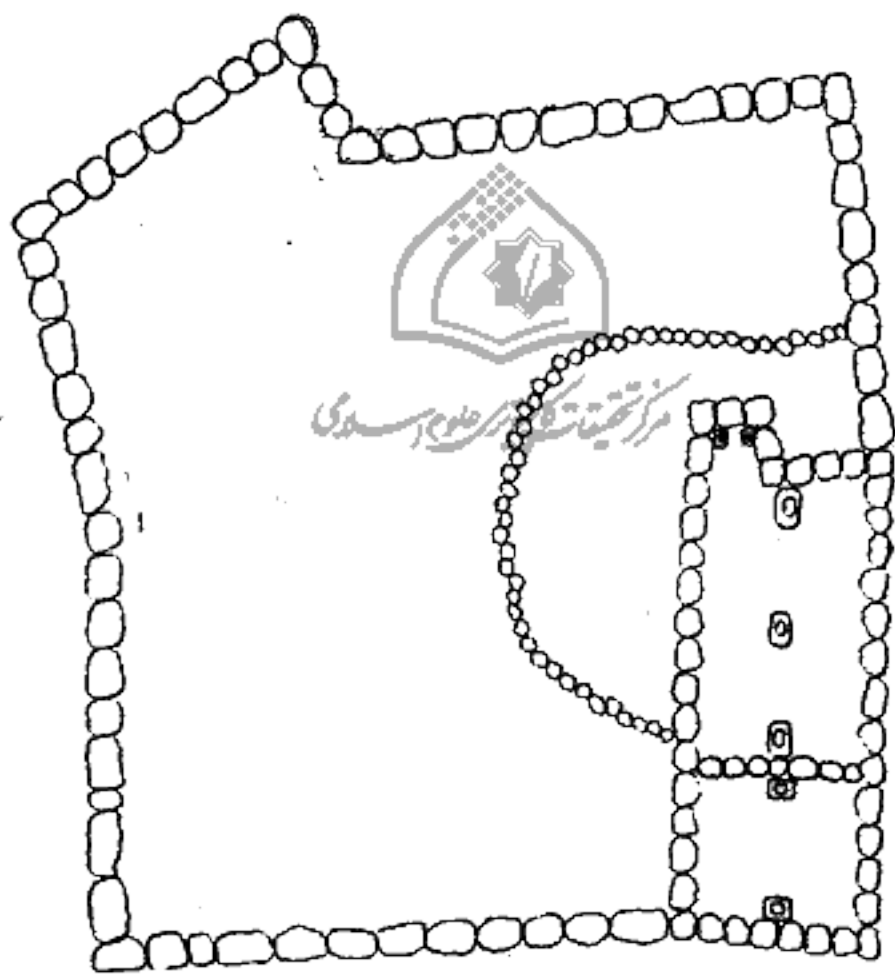


Fig. 3. — Khirbet el-Umbachi. Construction à cinq piliers axiaux et double enclos. (Dessin de J. Pétras).

(1) *Journal of Royal Geographical Society*, t. XXVIII, p. 226—263.

(2) *Reisebericht über Hauran und die Trachonen*, Berlin 1860, p. 20, note I. Son voyage est de 1858.

(3) *La Syrie Centrale, Inscriptions sémitiques*, Paris 1868-1877, p. 142.

(4) *Voyage archéologique au Safa et dans le Djebel ed-Druz*, Paris 1901, p. 121.

F. Herbette (1) fut le premier à rapporter quelques observations précises : « Tout indique une série d'éruptions échelonnées pendant les temps quaternaires. Il est même établi qu'elle a continué jusque dans l'holocène. La preuve en est dans les brèches à versements de Houbbarriyyé, restées inexplorées dans le désert, à mi-chemin entre le Djebel Druze et le Safa, jusqu'à notre passage en juin 1914. Les échantillons prélevés au hasard dans cet énorme ossuaire d'animaux enrobés dans la lave n'ont décelé que des espèces actuelles et représentées encore dans le Djebel : chèvres, moutons, bovidés » (déterminations par M. Boule). Ainsi Herbette croyait, comme d'autres l'ont cru après lui, que la coulée du Qra avait surpris des animaux, que la brèche basaltique à ossements était naturelle ; et du caractère de la faune enrobée dans la lave, il déduisait l'âge holocène de la coulée.

D'une visite rapide des lieux, en 1928, l'un de nous, L. Dubertret, (2) retira au contraire l'impression que la brèche basaltique à ossements était le produit d'une activité humaine. Un échantillon en fut soumis à A. Lacroix, directeur du laboratoire de minéralogie du Muséum national d'Histoire Naturelle (Paris). Il vit immédiatement l'intérêt de ce curieux gisement, dont certains os avaient été cuits au point de cristalliser sous forme d'apatite (phosphate de chaux cristallisé), tandis que d'autres enrobés dans le basalte et partiellement digérés par lui, avaient donné lieu à des phénomènes d'endomorphose. Une subvention accordée par l'Académie des Sciences (Paris) Fondation Loutreuil, sur sa proposition, nous permit de commencer des fouilles en juin 1933, avec le concours de l'archéologue A. Barrois et du géologue H. Vautrin. Une autre subvention de la Caisse des Recherches Scientifique (Paris), nous donna la possibilité de les compléter en fin de la même année.



Les ruines de Khirbet el-Umbachi présentent une superficie que l'on peut estimer à 20 hectares. Toute cette aire est couverte de monceaux de blocs de lave polis ou éclatés. Par places ces amoncellements laissent entre eux de petits espaces sablonneux. Le groupement principal se trouve sur les

(1) *Le Djebel Druze. Ann. de géographie*, 1914, XXXV, p. 51-57.

(2) *Etude des régions volcaniques du Haouran, du Djebel Druze et du Dîret el-Touloul (Syrie)*, dans *Rev. Géogr. phys. Géol. dyn.*, 1929, t. II, F. 4.

derniers épanchements du doigt septentrional du Qra, le long de la rive droite d'un ouadi orienté d'Est en Ouest. Des ruines plus clairsemées s'étendent sur la rive gauche.

Un canal, un barrage et un mur d'enceinte, des constructions et des tombeaux se dégagent à première vue de ce chaos de pierres noires au milieu desquelles ressort la masse claire des ossements entassés

Le canal et le barrage. — Le barrage coupe le ouadi à l'orée Est du groupe principal des ruines. Il a été emporté, mais il en subsiste les tronçons sur les rives. Il servait à retenir l'eau des pluies hivernales. Pour parer à leur insuffisance éventuelle, un canal collectait en outre les eaux de l'aire caillouteuse qui s'étend au Nord-Ouest de l'agglomération. Un barrage semblable, apparemment de l'époque romaine, a été retrouvé dans le Ouadi Cham, en aval de Zéla.

Le mur d'enceinte. — Le barrage n'est qu'une portion du rempart de la ville. De place en place des amas de pierres écroulées indiquent l'emplacement de tours, lesquelles se détachaient apparemment en relief sur les deux faces de la muraille. Au Nord et au Nord-Ouest, le ouadi probablement conservé plein d'eau une partie de l'année, formait un obstacle suffisant; on ne l'a pas doublé d'un rempart. Par places cependant en remarque des massifs de pierres qui peuvent être des restes de tours. A l'Ouest et au Sud le rempart n'est pas visible (pl. II, 1).

Les tombeaux. — Dans toute l'aire méridionale des ruines on voit un très grand nombre de tombeaux. Ils sont en dehors de l'enceinte. Ce sont des massifs de maçonnerie de plan carré, mesurant environ de 1 à 2 mètres de hauteur. Un parement de pierres appareillées à sec sert de coffrage à un remplissage de cailloux. A l'intérieur de cette masse sont réservés un ou deux loculi, parfois trois, formés de dalles de grandes dimensions; ils sont disposés parallèlement sur un même plan horizontal. Deux grandes dalles les oblitèrent. Tous ceux que nous avons examinés étaient vides et paraissent avoir été pillés dès l'antiquité (pl. II, 2, 3).

Les habitations. — Un peu partout sont des constructions extrêmement curieuses, aux murs constitués par des blocs de lave empilés, sans mortier ni apprêt. De plan rectangulaire, avec une seule porte ouvrant sur un des grands côtés, elles sont couvertes par d'énormes dalles prenant appui sur les murs et un pilier central, parfois sur deux piliers disposés selon l'axe longitudinal. Les

angles sont recoupés par des pierres ordinairement disposées en encorbellement. De place en place également, surtout sur les grands côtés, des pierres formant corbeau diminuent l'espace entre les points d'appui des dalles de couverture. Dans les constructions particulièrement soignées, des pilastres en saillie sur les parois et appareillés avec soin correspondent aux piliers médians. La faible hauteur de ces bâtiments, qui ne dépasse pas 1 m. 20, leur donne un étrange aspect dolmenique. Ce sont sans doute, malgré leur inconfort, des abris temporaires. En avant, du côté où s'ouvre l'unique porte, sont construites des enceintes en pierres sèches très comparables aux parcs à moutons que l'on rencontre à toutes les époques et un peu partout dans le désert. Dans l'une d'elles nous avons trouvé un mortier à grains (pl. I et fig. 1, 2, 3).

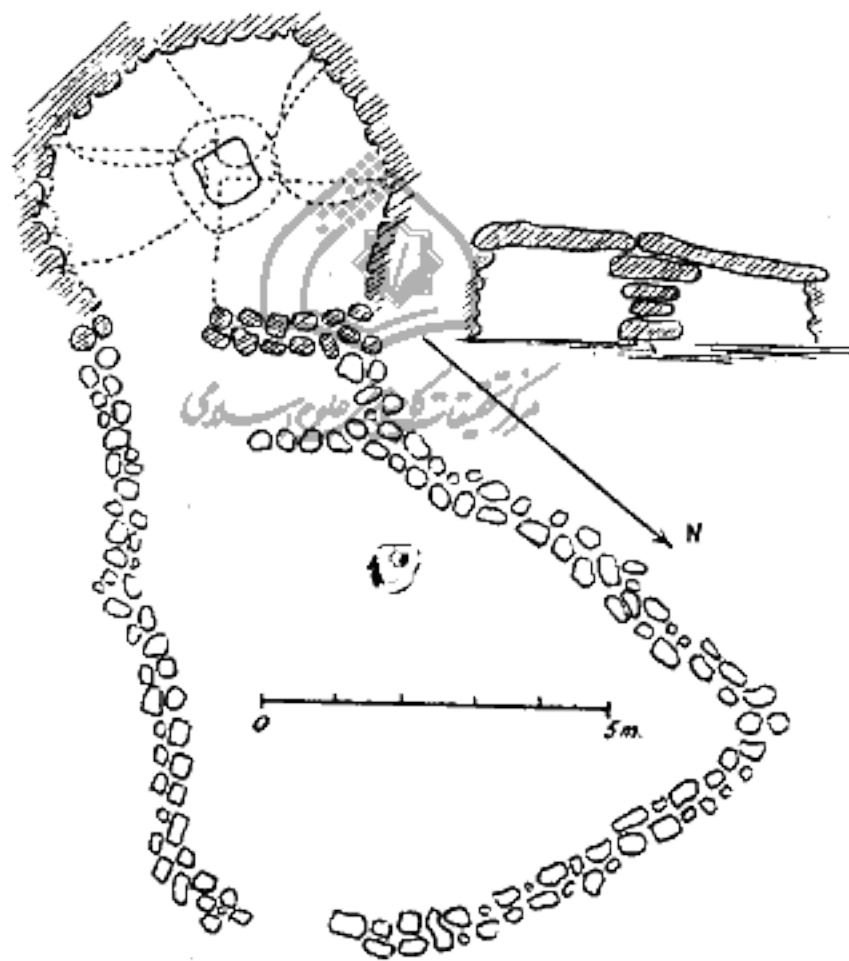


Fig. 4. — Khirbet el-Umbachi. Construction circulaire avec pilier central supportant les dalles de couverture, et enclos attenant. (Dessin de A. Barrois).

D'autres constructions sont de plan circulaire, avec une seule pile au centre pour soutenir les dalles de la couverture (fig. 4). Ces dalles rectangulaires laissent entre elles de longs triangles vides qui sont recouverts par des dalles prenant appui sur celles de dessous. Souvent des enceintes de petites pierres sont également accolées à ces logis.

En trois endroits apparaissent des aires rocheuses creusées de cupules irrégulièrement disposées; l'une d'elles présente en outre une rigole d'écoulement (fig. 5). Il n'y a pas lieu de retenir le caractère rituel qu'on attache parfois sans grandes raisons aux installations semblables; elles s'accommodent aussi bien d'un usage ménager. Certaines cupules profondes de plus de 20 cm. offrent des parois polies par le battement du pilon.

Les ossements calcinés. — Ces ossements, qui ont intrigué tous les visiteurs de ces deux localités, couvraient à Khirbet el-Umbachi une superficie d'environ dix ares. Le gisement formait un tertre à l'intérieur de l'enceinte, vers le milieu de la partie Nord-Ouest. Notre première exploration en juillet 1933 nous permit d'en étudier la couche superficielle et d'exécuter un sondage dans la masse. Revenus sur le site quelques mois plus tard, nous avons pu faire des dégagements beaucoup plus étendus pour l'examen des parties profondes du gisement ossifère (pl. III, IV).

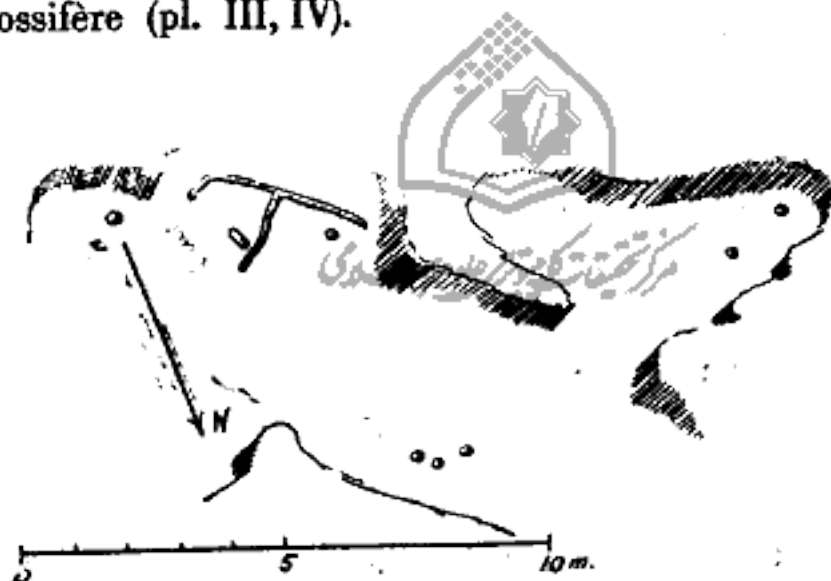


Fig. 5 .— Khirbet el-Umbachi. Aire à cupules.

Le déblaiement de ce tertre a fait apparaître à sa base tout un système d'alvéoles irrégulières, de forme allongée, construites en pierres sèches. Les murs sont grossiers, constitués par des blocs de lave simplement empilés. Leur hauteur varie de 0.50 m. à 1 m. au maximum. Le remplissage de ces alvéoles offre toujours la même succession de couches bien nettes, à savoir :

- a) — En surface, blocs de basalte de la dimension du poing. Environ 40 cm.
- b) — Os brûlés, parfois fendus en long, jetés pêle-mêle et n'adhérant pas les uns aux autres; quelques cornes noires. Tessons de poterie. 40 cm.
- c) — Os aplatis, déformés sans se casser; ils sont collés les uns aux autres et font bloc; quelques-uns ont cristallisé et leur surface est blanchâtre,

verte ou rosée. Tesson de poterie, deux casse-têtes piroïdes en calcaire et une lamelle d'os ornée de traits incisés (fig. 6). 40 cm.

d) — Os pulvérulents (8 — 10 cm.), puis cendres noires ou brunes (2 — 3 cm.)

e) — Basalte en place.

Par places ce remplissage s'appuie contre des blocs de basalte de 30 à 50 cm. de diamètre, dessinant une voûte irrégulière. Des parois de ces blocs se détachent des gouttelettes qui s'accrochent à la face inférieure ou tombent sur les blocs sous-jacents, où elles constituent un lit de matière bulleuse englobant des os et cimentant les blocs entre eux. Stalactites ou stalagmites de lave sous ce lit.

La couche de cendres gris-noir ou brunes mêlées à quelques restes de végétaux ne paraît pas pouvoir être le résidu de combustion du foyer qui calcina les os et porta le basalte à son point de fusion, lequel varie entre 1200 et 1400 degrés. Nous n'avons observé aucun fragment de bois charbonné, rien qui indique autre chose que des brindilles végétales (1). Il ne s'y trouve aucun indice d'une installation de soufflerie. Les blocs constituant les parois des alvéoles ne portent pas de traces révélant qu'ils auraient été portés à une haute température. La masse des ossements pulvérisés et calcinés au-dessus du radier de ces alvéoles les déborde et s'élève par places jusqu'à deux mètres (pl. V, 1, 2). Elle peut être évaluée à 700 ou 800 mètres cubes et donne l'impression d'un tas de déchets industriels. Ces ossements proviennent à première vue de bovidés, d'ovins et de capridés. Il n'a pas fallu moins de trente à quarante mille animaux domestiques ou du désert syrien pour la formation d'une telle masse osseuse. Nous n'y avons jamais rencontré d'ossements dans leur connexion anatomique. En règle générale, ils paraissent avoir été entassés dans un état de décharnement à peu près complet. La présence d'alvéoles construites en pierre pour les recevoir donne la preuve que cet entassement est le travail de l'homme, travail considérable qui a pu durer longtemps, et pour une fin bien définie, apparemment d'ordre industriel. En tout état de cause, l'hypothèse de troupeaux surpris par la coulée est formellement contredite par les faits.

Au terme de cet examen, deux questions majeures se posent. Comment et pourquoi les os de cet énorme cheptel ont-ils été ainsi rassemblés, entassés. Quelle

(1) La région avoisinnante est totalement dépourvue de bois et manque d'eau la moitié de l'année.

est l'origine du foyer qui les a calcinés et a produit cette brèche basaltique à ossements ?

• • •

La fouille du gisement ossifère de Khirbet el-Umbachi a livré quelques tessons de poterie, les casse-têtes reproduits (pl.VII, 4) et une lamelle d'os décorée de traits incisés (fig. 6). Ces documents permettent d'exclure d'emblée cette masse d'ossements calcinés de la préhistoire et de l'inclure dans l'archéologie historique. Le casse-tête ovoïde à trou d'emmanchement cylindrique apparaît en Syrie dès les temps énéolithiques. Mais il a duré longtemps. Dans la steppe iraquienne on le voyait encore aux mains des bergers il y a quelques dizaines d'années. C'est donc un mauvais critère chronologique dans ces confins occidentaux



Fig. 6. — Khirbet el - Umbachi : casse-têtes et plaque d'os gravée.
(Dessin de B. Khatcherian).

du désert syrien. La lame d'os au décor incisé pourrait être de l'Antique ou du Moyen Bronze si l'on s'en tient aux documents semblables du domaine syro-palestinien. La poterie est uniformément d'une pâte rouge, très cuite, à sonorité métallique (pl. VII, 1, 2). Très souvent l'intérieur de la masse est noir jusqu'à la surface de la paroi interne. Le dégraissant est du calcaire ou du basalte pulvérisés. De nombreux tessons de cette nature sont disséminés sur toute l'étendue des ruines ; il s'en trouve aussi dans la masse des ossements pulvérisés et l'un d'eux a été trouvé incorporé à la lave fondue. Cette poterie est donc commune à toute l'installation. On observe des fragments de grandes jarres à fond plat, des éclats à surface lustrée en longs traits plus ou moins épais mais jamais croisés, ou au contraire finement striée sur le tour, des fragments d'anse de section aplatie en forme d'ellipse (anses de pichets et de jarres), des

fragments de grandes jarres ornées d'un cordon mouluré. L'anse horizontale au bord largement replié est bien attestée. Tous ces détails techniques appartiennent, en gros, à la céramique du Bronze Ancien. Les fragments ornés d'un cordon mouluré pourraient descendre jusqu'au Bronze Moyen, car les incisions sont parfois fines et comme faites avec une lame aiguë. Pour justifier ces diverses particularités, c'est au Bronze Ancien 3 que nous attribuerons l'ensemble de l'installation et le gisement d'os calcinés. Mais le site ne fut pas abandonné par la suite. Quelques tessons recueillis en surface nous ont paru plus tardifs, quelques-uns sont de l'époque romaine. Des lettres safaitiques et de vagues dessins ont été observés uniquement sur des blocs de surface. Sur un tas de pierres situé non loin au Nord — Est et qui domine les ruines, vingt-sept graffites ont été relevés. Ils sont de la même économie verbale que les quelques milliers d'autres copiés dans la région et ne livrent pas un mot se rapportant à notre propos (1). Ceci prouve que les ruines étaient encore occupées, au moins temporairement, par des nomades au cours des premiers siècles de notre ère, sans qu'aucun souvenir d'une installation antérieure ne hanta les esprits. Des enclos à troupeaux adossés à l'intérieur des remparts peuvent être de cette époque ou sont encore plus tardifs.

Le plan de certaines maisons à piliers axiaux et pilastres pariétaux pour soutenir la couverture n'est pas sans analogie avec celui des maisons de Byblos du Bronze Ancien initial (2). Mais ce rapprochement n'a peut-être pas grande valeur chronologique, car la couverture de dalles de pierre impose toujours la nécessité de rapprocher le plus possible leurs points d'appui.

Cette installation du Bronze Ancien 3 avec ses logis et ses remparts, en plein désert volcanique, l'énorme cheptel qui s'y trouve associé dans des conditions pour le moins surprenantes, attestent une occupation dense. Cette époque est celle où les Amorites forcent ou vont forcer les limites des territoires des villes syriennes. Serait-ce là une installation ayant servi de point d'appui à quelque tribu de leur nom? On ne peut aujourd'hui que poser la question sans trop grande invraisemblance.

(1) Ces inscriptions ont été publiées par le Chanoine Ryckmans, de l'Université de Louvain, dans le *Corpus Inscriptionum Semiticarum*, V, tomes 1, fasc. primum, no 862—888.

(2) La disposition des piliers axiaux et pilastres pariétaux apparaîtrait comme une combinaison des implantations de poteaux des logis giblites de l'installation III et de l'installation IV (*Rev. Bibl.*, 1950, p. 591—594, fig. 5).

Le caractère nettement mégalithique de certaines constructions impose le rapprochement avec les constructions étiquetées de même et qui se rencontrent toutes sur des plateaux indifféremment arides (Transjordanie) ou aujourd'hui fertiles (Hauran). Pendant longtemps on a attribué ces monuments au néolithique. Les fouilles récentes ont donné la preuve que le mobilier trouvé en place parmi eux descendait jusqu'au Bronze Moyen (1). Khirbet el-Umbachi le démontre une fois de plus.

Voici donc une série d'installations apparentées par le mégalithisme des matériaux mis en œuvre, l'aspect primitif de leurs constructions, réparties sur une aire allongée et peu profonde dans la zone des plateaux qui bordent le désert dans sa partie contiguë à la Palestine et à la Syrie (2), et relevant de la fin du III^e millénaire et du début du second selon les données des sites les mieux explorés. Si ces rapprochements ne sont pas illusoires, il ne paraît pas douteux qu'une étude plus complète de l'installation de Khirbet el-Umbachi apporterait quelques lumières sur ce qu'on appelle parfois la civilisation des mégalithes. Elle fixerait dans une époque bien délimitée des monuments actuellement en errance dans le temps et établirait leur rôle dans le déroulement de l'histoire des pays syriens.

• • •

Détermination de la faune par C. Gaillard

La détermination de la faune d'après les ossements de Khirbet el-Umbachi a été faite par C. Gaillard, directeur des laboratoires du Muséum de Lyon. Voici les résultats de son étude sommairement résumés.

Ces ossements ne sont que très légèrement déformés, aussi est-il possible de les identifier sans grande difficulté. Parmi eux il a été reconnu quatre espèces de mammifères.

1. — Le bœuf primitif, *Bos primigenius*. Il n'est représenté que par une vertèbre cervicale, l'axis. Elle a subi l'action du feu, mais elle est assez bien conservée et ses caractères typiques apparaissent nettement. Toutefois il n'est pas possible de dire si cette vertèbre est d'un individu sauvage ou d'un animal domestiqué. Le *Bos primigenius* était domestiqué depuis longtemps au commen-

(1) Voir les observations de Jean Perrot, *Syria* XXIX, 1952, p. 405.

(2) Liste partielle dans l'étude du R. P. Nasrallah, *Tumulus de l'âge du Bronze dans le Hauran* in *Syria*, XXVII, 1950, p. 330, n. 1.

cement de l'Empire babylonien (1) et il a été reconnu parmi les espèces quaternaires de l'Afrique du Nord et de la Haute Egypte (2).

2. — Le bœuf à courtes cornes, *Bos brachyceros*. On a pu lui attribuer plusieurs fragments de crânes et de très nombreux os longs, en particulier des métatarsiens et des métarapiens. C'est l'espèce la plus abondamment représentée dans le gisement. Ses os offrent toutes les particularités de ceux du Bœuf brachycère actuel de Syrie, race bien attestée dans le Nord de l'Afrique et dans toute l'Europe depuis l'époque quaternaire jusqu'à nos jours.

3. — Le chèvre mambrine, *Hircus mambrinus*, représentée par plusieurs métatarsiens et métarapiens, est tout à fait semblable à la chèvre mambrine actuelle de Syrie, mais son métarapien est un peu plus long. Cette chèvre, comme la plupart des chèvres domestiques, est de taille assez variable. Ses ossements indiquent également des individus de dimensions un peu différentes. Ces variations sont plus fréquentes dans les races domestiques que chez les espèces sauvages.

4. — Le mouton à grosse queue, *Ovis aries* ou *Ovis platyura syriaca*, représenté également par plusieurs métatarsiens. Son métarapien est un peu plus grêle que chez le mouton moderne de Syrie. Ces différences, toutefois, ne dépassent pas la limite des variations individuelles et sexuelles assez fréquentes dans la plupart des races domestiques.

Une particularité commune au bœuf brachycère, à la chèvre et au mouton de Khirbet el-Umbachi, est la faible longueur de leurs trochlées digitales. Il s'agit là d'un caractère important qui permet de distinguer les espèces domestiques des espèces sauvages. Sans l'ombre d'un doute on peut affirmer que ces animaux étaient domestiqués.

Ainsi, aux espèces déjà reconnues par M. Boule, C. Gaillard ajoute-t-il seulement le *Bos primigenus*, qui vraisemblablement disparut de Syrie dans les premiers siècles de notre ère. Les autres espèces sont les mêmes, quoique de taille un peu plus petite, que celles vivant actuellement au Djebel Druze.

Examens pétrographique des os et du basalte, par A. Lacroix

L'examen des matériaux de Khirbet el-Umbachi par A. Lacroix a été fait

(1) ULRICH DURST, *Notes sur quelques bovidés préhistoriques*, dans *l'Anthropologie*, Paris 1900, t. XI, p. 155.

(2) GAILLARD, *Contribution à l'étude de la faune préhistorique de l'Egypte*, dans *Archives du Muséum de Lyon*, 1934, t. XIV, p. 33, pl. IV, fig. 2.

dans l'hypothèse d'une calcination des os par des foyers entretenus par l'Homme. L'éminent minéralogiste s'est attaché à suivre sous le microscope d'une part les effets de la chaleur sur la structure des os et des blocs de basalte juxtaposés, d'autre part les transformations subies par le basalte du fait de l'absorption d'une plus ou moins grande quantité d'os (transformation endomorphique) (1).

Le gisement de Khirbet el-Umbachi présente toute la gamme d'intermédiaires entre des os calcinés à basse température, 600°, et ayant conservé leur structure microscopique et des os qui, portés à plus haute température, ont passé à un certain moment par un état de faible plasticité et ont cristallisé en apatite (phosphate de chaux cristallisé). L'intégrité de la forme de la plupart des os prouve qu'il n'y a cependant pas eu fusion (la température de fusion de l'apatite est voisine de 1.600°).

Le basalte englobant les os mais non contaminé par eux reproduit les particularités minéralogiques et structurales du basalte ordinaire. Les stalactites et stalagmites en particulier, sont identiques à celles qui tapissent les parois des tunnels de lave (Safa). Beaucoup d'entre elles ne révèlent aucune modification minéralogique. Leur refroidissement a été lent, ce qui les différencie des stalactites obtenues en laboratoire (par M. Jourdain) en chauffant à 1.200° C. un fragment de basalte intact. — L'endomorphisme du basalte varie selon qu'il a absorbé seulement des éclats d'os isolés ou qu'au contraire il en a digéré de grandes quantités, voire des os entiers. Des cornes de boeufs ont produit un endomorphisme particulièrement intéressant.

Examen des os aux rayons X, par G. Chaudron et R. Wallaëys (2).

Le mystère qui continuait à peser sur les sites de Khirbet el-Umbachi et de Hebariyé nous conduisit à chercher à préciser les conditions de cuisson des os.

Un essai de calcination d'os frais dans un four à céramique donna simplement des produits blancs et légers tels ceux qui se trouvent dans la couche la plus superficielle des alvéoles de Khirbet el-Umbachi.

M. G. Chaudron, Directeur du laboratoire de chimie appliquée de la Sorbonne et M. R. Wallaëys, qui venait de faire d'importants travaux sur les

(1) Les résultats des recherches de A. Lacroix seront publiées par ailleurs.

(2) Application des rayons X à l'étude d'un amas d'ossements mis au jour en Syrie par MM. Louis Dubertret et Maurice Dunand. *Bull. Soc. Fr. Minér. Crist.* (1955), LXXVIII, 116 — 112.

phosphates, acceptèrent alors d'examiner nos os aux rayons X, au Centre d'Études de Chimie métallurgique de Vitry-sur-Seine (1951). Ils ont résumé leurs conclusions ainsi :

« Les diagrammes des rayons X montrent donc que dans leur presque totalité ces ossements ont été fortement calcinés. La température qu'ils ont subie est très différente suivant le degré de contact avec le basalte ».

« En ce qui concerne les échantillons qui contiennent du basalte, la température a été maintenue au moins à 1.200° C. En général, le traitement thermique en présence de lave a été prolongé et il s'est produit une dissolution superficielle des os qui ont formé un conglomérat très poreux composé d'hydroxyapatite et de phosphate tricalcique anhydre ».

« En certains endroits du gisement, un refroidissement sans doute plus rapide a formé autour de certains os une croûte de basalte compacte qui a retenu le gaz carbonique dans le phosphate pendant le traitement thermique, ce qui a produit l'apatite carbonatée ».

« Les ossements qui n'ont pas été en contact avec la lave ont été généralement transformés vers 800° C. en hydroxyapatite par action de la chaleur rayonnée ou apportée par des gaz chauds. Ces échantillons peu nombreux, qui sont constitués de phosphate tricalcique anhydre très bien cristallisé, ont subi une température de l'ordre de celle du point de fusion de la lave ; ils proviennent des cavités très proches de la zone contenant le basalte ».

En 1954, Monsieur W. L. Van Liere, spécialiste des sols dans la *Food and Agriculture Organization*, a visité le site de Khirbet el-Umbachi. Son propos était d'étudier l'âge des coulées volcaniques de la région. A cette fin, le gisement ossifère de ce site en contact avec le basalte fondu lui parut pouvoir donner des précisions. De ses prélèvements dans leur masse deux analyses ont été effectuées (1).

Les ossements ont été examinés par le Dr. E. A. Malhau, vétérinaire de l'organisation. Il reconnut le bœuf, le mouton, la chèvre et en outre la gazelle et une rotule de chameau.

Une partie de ce matériel osseux a été étudié par le professeur Hl. de

(1) Mis au courant de nos recherches, Monsieur Van Liere voulut bien nous livrer sa documentation et nous permettre d'en faire état dans la présente étude. Nous l'en remercions vivement.

Vries et G. W. Barendsen, de l'Université de Groningen (1).

« ... The present samples came from Kheurbet el Ambachi. Generally, bones are not very suitable for carbon 14 measurements; but part of the present material had obviously been charred with absence of oxygen. It was nearly black and it contained as much as 25 per cent of carbon. The age was found to be 4.075 ± 160 years » (2).

Les ruines de Hébariyé situées à 7 km. environ de Khirbet el-Umbachi couvrent une surface beaucoup moindre sur la croupe d'un mamelon (pl. V, 2 et VI). Elles relèvent de la même architecture. Les logements sont en général plus ruinés. On ne distingue guère que cinq ou six constructions dont le plan soit encore lisible. Les pierres employées sont d'un plus fort module que celles de Khirbet

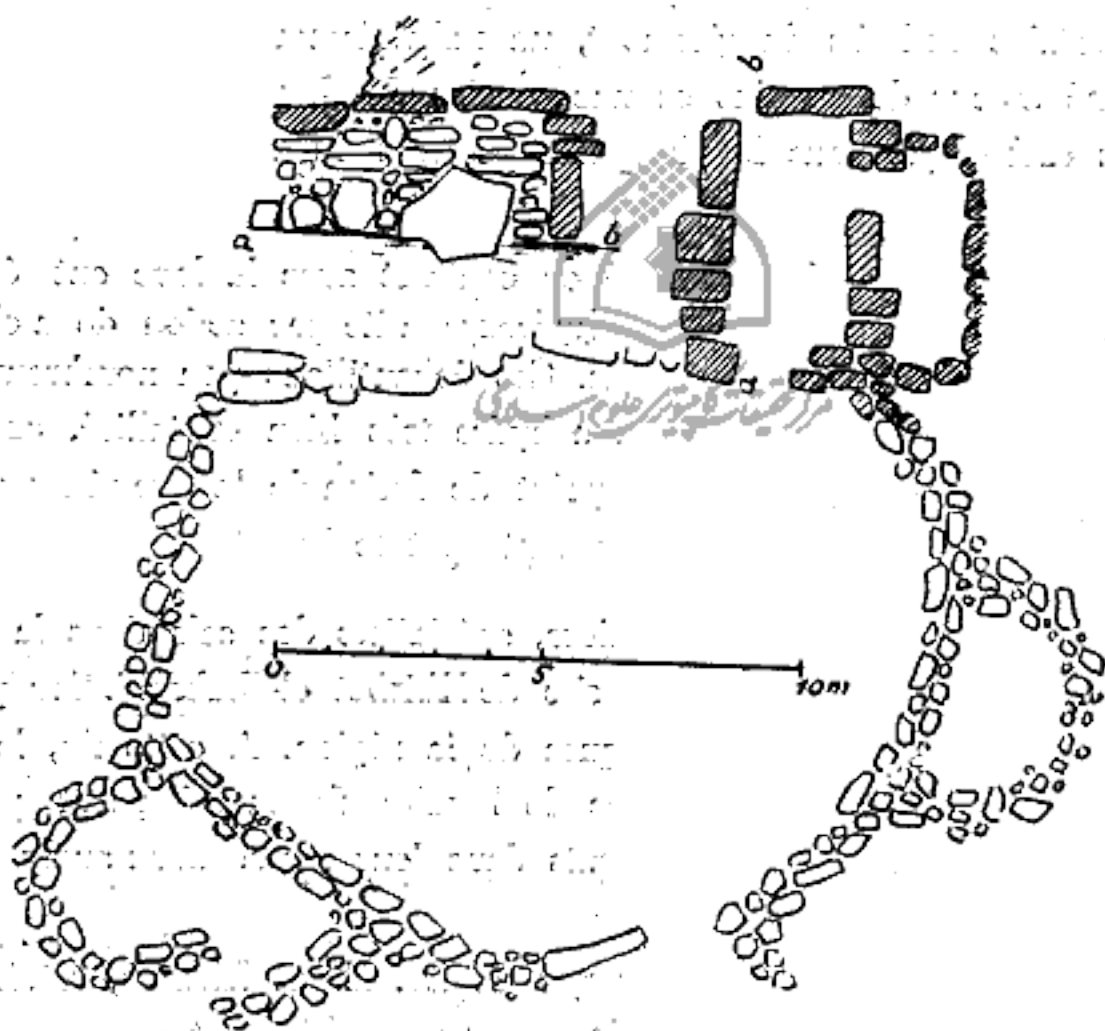


Fig. 7 . — Hébariyé. Construction et enclos attenant.
(Dessin de A. Barrois).

(1) Measurements of age by the Carbon — 14 technique. *Nature*, Vol. 174, p. 1138, 18 Décembre 1954.

(2) Moyenne de deux mesures.

el-Umbachi et les dalles de couverture, autant qu'il est possible d'en juger sans faire de déblaiements, ne paraissent point étayées par des piliers (fig 7). Le plan des édifices paraît également moins régulier. A côté des habitations on discerne aussi de grands enclos dans lesquels on pénétrait par une large porte : constituée par deux pied-droits monolithes supportant une énorme dalle (pl. V, 2, VI, 1 et fig. 8).

On trouve également à Hebaryé des os calcinés qui recouvrent une surface bien délimitée mais d'une étendue beaucoup moindre qu'à Khirbet el-Umbachi.

Dans les ruines les graffites sont aussi rares, mais dans les environs nous en avons trouvé plusieurs groupes. Nous n'avons pas reconnu une seule tombe.

Les deux installations sont probablement contemporaines. Toutefois nous avons relevé un peu en dehors du champ de ruines principal de Hébariyé un bâtiment carré flanqué d'une cour dont les murs sont construits suivant une autre technique (fig. 9). Ils sont formés de deux parements de blocs appareillés à sec avec blocage interne, procédé qui dans tout l'Orient caractérise les constructions romaines des III^e et IV^e siècles de notre ère (pl. VI, 3).

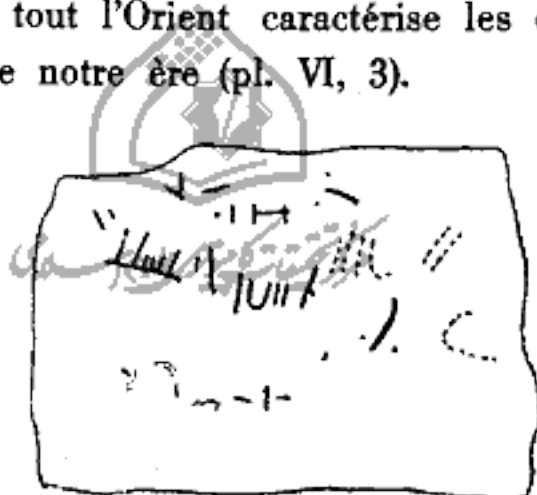


Fig. 8. — Hebaryé, marques sur le linteau de l'entrée du grand enclos de la pl. V, 3.

Au terme de ces études, rien n'est élucidé des raisons qui ont pu provoquer une telle accumulation d'ossements d'animaux. En revanche, l'origine des foyers qui les ont calcinés, l'hypothèse de troupeaux surpris par la coulée du Qra étant exclue, se ramène à deux possibilités.

1) ou bien la cuisson des os est le fruit d'une activité humaine, d'une industrie, échelonnée dans le temps. Dans cette hypothèse on s'explique mal une cuisson à 1.200° environ prolongée. Le pays est dépourvu totalement de tout combustible et aucun résidu de bois n'a été trouvé parmi les cendres d'os formant la base des alvéoles. Aucune dispositif de soufflerie n'est visible. Enfin, le produit du traitement est resté sur place, enseveli sous une couche de 0.32 m. de caillasse basaltique.

2) Ou bien la cuisson est due à un phénomène naturel. Dans ce cas c'est dans le volcanisme même qu'il faut chercher l'origine de la chaleur et aussi du basalte qui, tombant en stalactites, à envahi les os et se les est incorporés : le site de Khirbet el-Umbachi aurait été construit sur la coulée du Qra, encore toute fraîche, encore incandescente et fluide sous sa carapace déjà figée ; celui de Hebariyé, campé sur une hauteur au dessus des digitation du Qra, aurait été édifié autour d'un petit uppareil adventif. Des laves fraîches se trouvent en effet en abondance aux deux sites, et l'on sait qu'une coulée peut rester chaude pendant des semaines sous la protection de sa carapace solide.

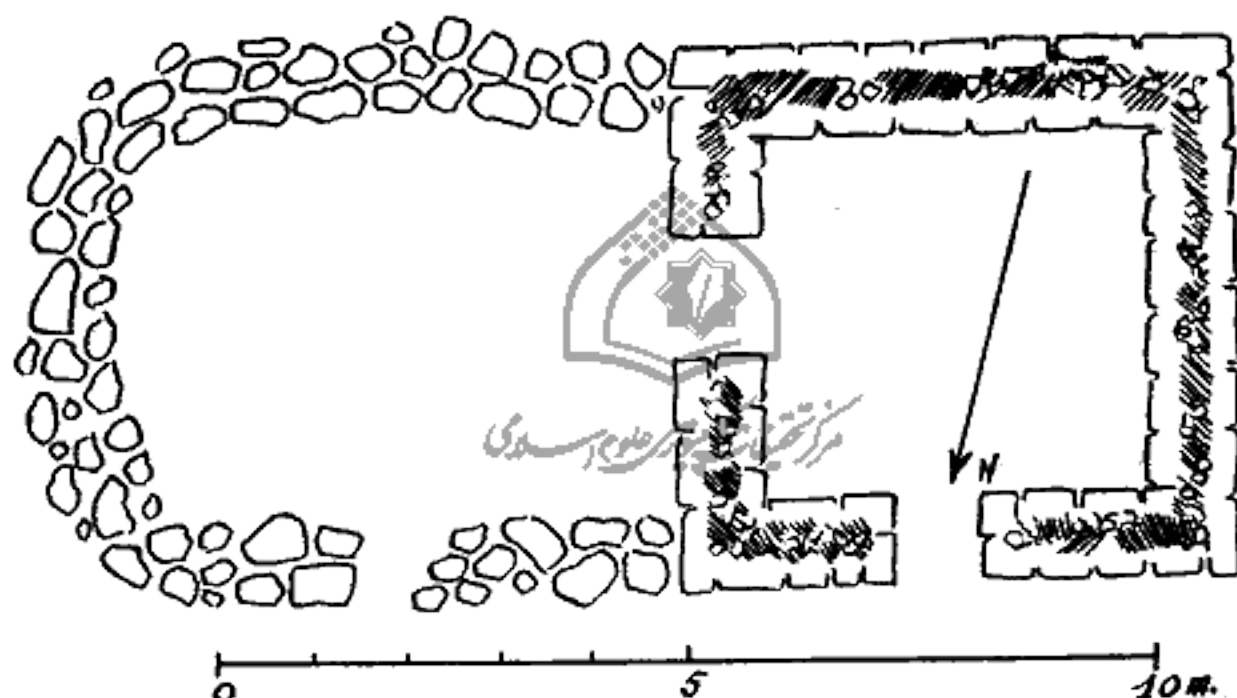


Fig. 9, — Hebariyé. Construction romaine avec enclos attenant. (Dessin de A. Barrois).

Mais alors comment expliquer l'immense cheptel, évalué à 40.000 têtes, rassemblé sur le seul site de Khirbet el-Umbachi ? Dans le cadre de cette hypothèse les dernières éruptions basaltique de Syrie se trouveraient datées et les séismes de l'antiquité apparaîtraient comme leurs dernières manifestations.

DIE GRABUNGEN IN RESAFA

HERBST 1952

VON JOHANNES KOLLWITZ

MIT EINER BAUBESCHREIBUNG

VON WOLFGANG MÜLLER-WIENER

Im Oktober des Jahres 1691 reiste eine Gruppe englischer Kaufleute von Alep nach Palmyra. Auf ihrem Wege zwischen dem Euphrat und Palmyra stiessen sie in der Wüste auf eine grosse Ruinenstätte, über die einer der Teilnehmer, Rev. M. W. Halifax, in einer englischen Zeitschrift berichtete (1). Es ist die erste Erwähnung Resafas in der modernen Literatur. Trotzdem blieb sie lange Zeit unbeachtet, bis V. Chapot von neuem darauf hinwies (2). Unsere eigentliche Kenntnis Resafas beruht auf zwei Werken, dem grossen Reisewerk von Sarre und Herzfeld (3), die 1907 Resafa besuchten, und den Aufnahmen, die H. Spanner 1918 während eines kurz befristeten Aufenthaltes machte (4). Beide Male schrieb S. Guyer den kunsthistorischen Teil. Ihre Beobachtungen werden ergänzt durch A. Musil (5), der seinem Bericht zugleich eine Sammlung aller erreichbaren Quellen zur Geschichte der Stadt beifügte.

Die Bedeutung Resafas beruht auf seiner Lage an einer uralten Karavannenstrasse, die in der Gegend von Sura den Euphrat verlässt und über

(1) Ein Auszug bei V. Chapot, BCH. 27, 1903, 280 f.

(2) V. Chapot, Resapha — Sergiopolis BCH. 227, 1903, 279.

(3) F. Sarre — E. Herzfeld, Archäologische Reise im Euphrat — und Tigrisgebiet 1, 1911, 136; 2, 1920, 1. Ein Vorbericht erschien in den Monatsheften für Kunstwissenschaft 1909, 107.

(4) H. Spanner — S. Guyer, Rusafa 1926.

(5) A. Musil, Palmyrena 1928, 155 u. 260; ebd. 299 die Rekonstruktionsversuche von A. Mendl.

Palmyra — Damascus quer durch die syrische Wüste zum Mittelmeer führt. Die ältesten Zeugnisse einer Siedlung gehören noch dem 9. Jahrhundert v. Chr. an. (1) Die römische Herrschaft baut diese Strasse weiter aus und sichert sie durch eine Folge von Kastellen; Resafa wird eines der Kastelle des arabischen Limes (2). Aber auch jetzt wäre Resafa einer der vielen kleinen Plätze dieser Linie geblieben, wenn nicht ein zweites hinzugekommen wäre: Hier stirbt Sergius als ein Opfer der letzten Verfolgung (3). Sein Grab wird zum Mittelpunkt eines schnell aufblühenden Kultes, Sergius zum viel verehrten Heiligen der Wüste und der angrenzenden Landschaften Syriens und Mesopotamiens (4).

Die Akten, die über den Tod des Heiligen berichten sind legendär, enthalten aber einige wertvolle topographische Erinnerungen. Danach wäre Sergius ausserhalb der Siedlung an der Stätte seines Todes begraben. Über seinem Grab entstand wohl noch im 4. Jahrhundert eine kleine Memoria (5). Sie wird nach einiger Zeit durch eine zweite ersetzt, nach der griechischen Passio, die hier wohl mehr Vertrauen verdient, innerhalb des Kastells (6). Und wieder danach entsteht (neben diesem Martyrion?) eine erste Kirche des Heiligen. Es ist der erste Bau, den wir nun auch zeitlich fixieren können; ein Brief seines Erbauers, des Bischofs Alexander von Hierapolis, ist in die Akten des Konzils von Ephesus aufgenommen (7). Das endende 5. und das 6. Jahrhundert bringen die grösste Blüte der Stadt und des Kultes. In schneller Folge entstehen jetzt drei Grossbauten: im späten 5. Jahrhundert die Basilika B (8), in den ersten Jahren des neuen Jahrhunderts die Basilika A (9) und in den zwanziger Jahren des 6. Jahrhunderts

(1) Musil 262.

(2) A. Poidebard, *La trace de Rome dans le désert de Syrie* 1934, 82. R. Mousterde — A. Poidebard, *Le Limes de Chalcis* 1945, 131.

(3) *Acta Sanctorum Oct.* III 833; dazu die griechische *Passio antiquior*, *Anal. Boll.* 14, 1895, 373.

(4) H. Delehay, *Les origines du culte des Martyrs* 2 1933, 210. A. Poidebard — R. Mousterde, *A propos du S. Serge*, *Anal. Boll.* 67, 1949, 109. B. Kötting, *Peregrinatio religiosa* 1950, 132.

(5) *Passio* 29.

(6) *Passio* 30.

(7) *Acta Conc. Oecum.* ed. E. Schwartz I 4, 163, 185.

(8) Zur Datierung siehe unten.

(9) Der Bau führt entwicklungsgeschichtlich über Kal'at Si'mān hinaus, Kal'at Si'mān wird man mit Rücksicht auf seine Kapitellplastik — seine windbewegten Kapitelle wiederholen sich fast identisch in Basufān — um 490 ansetzen müssen.

das sog. Martyrion. (1) Schliesslich ersetzt vor 542 Justinian die Erdwälle, die bis dahin die Stadt umgaben, durch die heute noch stehende feste Mauer (2).

Von den genannten Bauten gab vor allem die Basilika B der Forschung besondere Probleme auf. Ihr Erhaltungszustand ist ein besonders schlechter; aufrecht stehen nur mehr die SW- und die SO-Ecke. Die stark voneinander abweichenden Rekonstruktionsversuche bei Guyer und Mendl beweisen besser als alles andere die Schwierigkeit des Befundes (3). Nur eine Grabung konnte hier weiterbringen. Sie kam im Herbst 1952 mit Unterstützung der Deutschen Forschungsgemeinschaft zustande, nachdem bereits eine Reise im Herbst des vorhergehenden Jahres die Möglichkeiten geklärt hatte (4). Ein besonderer Dank gebührt auch an dieser Stelle dem Direktor der syrischen Antikenverwaltung, Herrn Selim Abdul Hak, der in der liebenswürdigsten Weise unsere Arbeiten förderte, ebenso den Herren seiner Verwaltung und des Museums in Alep. Eine wesentliche Hilfe war für die Grabung die Teilnahme von Herrn S. Saouaf.

Die Grabung begann auf der Ostseite des Ruinenkomplexes im SW der Basilika (Vgl. den Grundriss Taf. 1). Die Verschüttung betrug hier etwa 1 m. Sie wächst langsam nach O und erreicht im Trichoros eine Höhe von 4.0 m. In der lockeren Füllerde fanden sich an der genannten Stelle oberflächlich Scherben einer grünen schmucklosen Ware, in grösserer Tiefe Scherben seldschukischer Reliefkeramik und von Raqqaaware. Die Fortsetzung der inneren Kirchenmauer über die NO-Ecke hinaus ist bis in die Fundamente hinein zerstört. An ihre Stelle setzt sich eine Quadermauer von geringerer Stärke; Queranschlüsse konnten zunächst nicht verfolgt werden, lassen sich aber im ganzen Areal der Kirche beobachten. Nach ihrer Zerstörung scheint die ganze Fläche der Kirche mit Wohnhäusern überbaut zu sein. Da die jüngeren Mauern auf dem Niveau der Kirche stehen, darf man annehmen, dass diese Bebauung bald nach der Zerstörung erfolgt ist. Dies muss spätestens im beginnenden 9. Jahrhundert der Fall gewesen sein; Al-Asma'i kennt unsere Kirche nicht mehr (5).

(1) Musil 160

(2) Procop. de aedif. 2, 9, 3 ff. (Haury).

(3) Spanner — Guyer 63 Abb. 15. Musil 303 Abb. 102.

(4) A. M. Schneider, Bericht über eine Reise nach Syrien und Transjordanien Nachr. Gött. 1942, Nr. 4, 16. A. M. Schneider war es nicht mehr vergönnt, an der Grabung teilzunehmen. Er starb auf der Anreise kurz vor Aleppo.

(5) Die Stelle bei Sarre — Herzfeld I 140.

Aus einer halbrunden Vorlage an der SO-Ecke des gleichen Komplexes hatte schon Spanner den naheliegenden Schuss gezogen, dass sich hier eine Säulenvorhalle anschloss. Die Grabung bestätigte seine Vermutung; in der Flucht der Südwand wurden zwei Basen freigelegt.

In dem aufrechtstehenden Teil selbst liessen sich zwei Bauphasen feststellen. Die Nordwand dieses Bauteils zeigt auf ihrer Südseite die typische Ausengliederung syrischer Kirchen: ein in halber Höhe der Fenster umlaufendes Gesimsband, das über den Fenstern aufbricht (Abb. 9). Türwand und Querbögen der Halle sind ohne Verband gegen die Nordwand gelehnt, wobei die Bögen das Gesimsband verdecken. Ein erster Bau wurde hier durch einen späteren Anbau, zu dem auch die Säulenhallen im S und W der Kirche gehören, erweitert.

Ein zweiter Abschnitt der Grabung galt der Innenteilung der Kirche. Ihre Dreischiffigkeit und die Weite des Mittelschiffes ergab sich aus zwei Vorlagen rechts und links der Hauptapsis. Im Norden konnte der Fundamentzug der Stützenreihe festgestellt werden; angearbeitete Platten im Abstand von 3, 3 m lassen auf Säulen schliessen. Vom Aufgehenden wurde nichts gefunden. Die Füllerde barg hier keine Scherben.

Der dritte Abschnitt galt der Klärung der Ostpartie. Wichtigstes Ergebnis war hier die Freilegung eines dreiapsidalen Nebenraumes neben der Hauptapsis (Abb. 1-4). Die Zerstörung ist hier nicht so weit gegangen wie in der übrigen Kirche; unter der schützenden Schuttschicht haben sich die Mauern teilweise bis zum Kämpfergesims erhalten. Der Raum war mit einer starken Lage von Ziegelbrocken gefüllt von jener leichten gelben Art, wie sie in Resafa zur Hinterfütterung der Apsidenwölbungen verwandt wird; darauf sassen auch hier jüngere Einbauten. In der Füllerde dieser oberen Schicht fand sich ein Zwickelstein des Hauptgewölbes, ferner ein Stein aus einer der Nebenapsiden, ausserdem zahlreiche Mosaikwürfel. An Farben notierte ich Grün, Blau, Bernsteingelb, Dunkeloliv, Gold. Spuren einer roten Einfärbung liessen sich an dem Kämpfergesims feststellen; der Unterbau zeigt das blendende Weiss der Quadern.

Hier fand sich nun in der Ostapsis die unten beschriebene Basisplatte (Abb. 3). Vor ihr lag eine grössere rechteckige Platte, ringsherum ein unregelmässiges Plattenpflaster. Vorläufige Tastungen an der Rückseite der Basis und an ihrer rechten vorderen Ecke ergaben eine Bettung von faustgrossen Ziegelbrocken der oben beschriebenen Art. Zwischen ihnen und auf dem Boden fanden sich graue und schwarze Mosaikwürfel, wohl von einem älteren Tretmosaik. Klein-

funde wurden nicht gemacht, ebenso fehlt bisher jede Inschrift. Zu erwähnen ist schliesslich noch eine Brunnenanlage im Winkel zum nördlich anschliessenden Nebenraum (Abb. 4).

Es handelt sich bei dem Trichoros um einen ungewöhnlich reich ausgestatteten Raum. Welchem Zweck hat er gedient? Schon oft ist über die Nebenkammern syrischer Kirchen gehandelt worden (1); seit dem vorgeschrittenen 4. Jahrhundert gehören sie zum regelmässigen Bauprogramm dieser Kirchen. Die Bedeutung der einen ist durch die frühen Liturgiebeschreibungen hinlänglich deutlich: hier bereiteten die Diakone die Opfertaben und trugen sie dann in feierlicher Prozession zum Altar. Über die Verwendung der anderen Kammer schweigen die Quellen. In Anlehnung an eine Stelle bei Paulin von Nola (2) hielt man sie für den Aufbewahrungsort der Hl. Bücher und Geräte. Nun hat J. Lassus vor einigen Jahren eine neue Auffassung begründet. In einer ganzen Reihe von derartigen Kammern konnte er, gemeinsam mit M. Tschalenko, die Reste eines Heiligengrabes feststellen (3). Ein Sarkophag umschloss die heiligen Gebeine. Meist stand er flach auf dem Boden, gelegentlich auch etwas erhöht auf zwei Böcken (4). Eine kleine Schale, die sich bei einigen erhalten Stücken auf dem Deckel findet, fand ihre Erklärung durch H. Delehay (5). Sie diente der Aufnahme von Oel, das von hier mit Hilfe eines Röhrchens an den heiligen Gebeinen vorbeifloss und unten als wundertätiges Oel wieder aufgefangen wurde.

Einen solchen Märtyrerraum möchte ich auch in dem Trichoros erkennen. Die Basis hat einst den Sarkophag des verehrten Heiligen getragen; er wird, worauf die beiden Einlassungen deuten, auf zwei Böcken gestanden haben. Die Rinne und das mittlere Loch mögen mit der Oelspende zusammenhängen. Auch die Brunnenanlage gehört zur regelmässigen Ausstattung solcher Märtyrerräume. Schon Butler hat für Syrien die Parallelen zusammengestellt (6). Auch anderwärts finden sich solche Brunnen in Verbindung mit dem Heiligengrab (Meriamlik,

(1) Zuletzt A. M. Schneider, Liturgie und Kirchenbau in Syrien. Nachr. Gött. 1949, Nr. 3.

(2) Paul. Nol., ep. 32, 16 (CSEL. 29, 291).

(3) J. Lassus, Sanctuaires chrétiens de Syrie 1947, 173. Ders. in: Neue Beiträge zur Kunstgeschichte des 1. Jahrtausends 1952, I 45.

(4) Sanctuaires Abb. 82.

(5) H. Delehay, Saints et reliquaires d'Apamée. Anal. Boll. 53, 1935, 225. Lassus, Sanctuaires 163.

(6) H. C. Butler, Early churches in Syria 1929, 216.

Grotte unter der Theklakirche ; Konstantinopel. Blachernenkirche ; Saloniki, Demetriuskirche). Ungewöhnlich und in Syrien bisher einzigartig bleibt nur die Form des Trichoros (1). Bei allen bisher bekannt gewordenen Beispielen handelt es sich um schlichte, rechteckige Räume ohne besonderen architektonischen Schmuck. Dagegen hat der Trichoros resp. Vierpassbau als selbständige Bauform gerade in Syrien seine eigene reiche Geschichte. Es sei nur erinnert an die Bauten dieses Typs in Antiochia, Apamea und Aleppo (Halawije). In Resafa selbst bietet das Martyrion eine Durchdringung von basilikalem Schema und Trichoros.

Es erhebt sich natürlich die Frage, wer in dem Trichoros beigesetzt war. Es braucht nicht unbedingt ein Heiliger des Ortes zu sein. In dem einzigen Fall, in dem ein Sarkophag der oben genannten Gruppe eine Inschrift bietet, dem Sarkophag von Apamea, nennt sie eine Gruppe von ortsfremden Heiligen (2). Mit dieser Möglichkeit ist auch in Resafa zu rechnen. Und doch spricht vieles dafür, dass hier einmal der Heilige Resafas, Sergius, beigesetzt war. Es ist nicht nur die besonders reiche Form des Mausoleums, die dies nahe legt. Auch die Kirche selbst mit ihren grossen absoluten Massen — mit den Hallen ist sie die grösste Resafas — und mit der ungewöhnlich reichen Ostpartie spricht dafür, dass es sich hier um ein viel besuchtes Grab handelt. Gewissheit darüber werden allerdings erst weitere Funde geben können.

Eine Datierung der Kirche muss sich bei dem Fehlen aller Inschriften allein auf den stilgeschichtlichen Vergleich stützen. Sie geht am besten aus von dem aufrecht stehenden Teil im SW. Ein Vergleich seiner Kapitelle (Abb. 5-6) mit denen des Martyrions (Abb. 7) und des Nordtores (Abb. 8) zeigt die gleichen fleischigen Blätter mit dem Überfall der Blattspitze und der Spitzenberührung der seitlichen Lappen. Und die gleiche Verwandtschaft wiederholt sich in dem Dekor der Bögen (Abb. 9-10). Hier wie die dort begegnet die gleiche phantasievolle Häufung der einzelnen Glieder, dabei ist ihre Abfolge bei allen drei Bauten fast die gleiche. Das Martyrion lässt sich heute mit einiger Sicherheit den zwanziger Jahren des 6. Jahrhunderts zuweisen (3). Bald danach entstand auch das Nordtor (4). In etwa der

(1) Ein Trichoros neben der Hauptapsis ist mir nur bekannt in den Kirchen von Apollonia und Tolemaide : Atti del IV. Congresso di Archeol. Crist. 1, 1940, 274 u. 279.

(2) Delehayé aO. Unsicher bleibt Brad : Laussus, Sanctuaires 171.

(3) Mustil 160.

(4) Oben S. 79 Anm. 2. Die Mauer scheint im Ganzen einheitlich ; grössere Ausbesserungen finden sich im SW.

gleichen Zeit wurde die Basilika B um die Vorhallen im S und im W erweitert. Von den genannten Baugliedern setzen sich deutlich ab die entsprechenden Stücke des Apsidenraumes im SO der Chorpartie. Die Akanthusblätter der Kapitelle sind flach und trocken, Spitzenberührung ist vermieden. Kämpfergesims und Archivolte (Abb. 11) scheinen neben den reichen Bögen der Westhalle dürftig und phantasielos; umsonst sucht man hier die reichen Hell-Dunkelkontraste der jüngeren Stufe. Immerhin wird man den Abstand zwischen beiden nicht zu gross annehmen dürfen. Das Kämpferkapitell der Hauptapsis (Abb. 14) ist von dem gleichen Kapitell des Martyrions (Abb. 13) nicht gar so verschieden und das zweite Kapitell des Apsidenraumes (Abb. 11 rechts) mit seinen wie durchgeschnittenen Blättern und den keulenförmigen Eintiefungen kehrt fast gleich in den Pilasterkapitellen des Innenhofes des Nordtores wieder (Abb. 14).

In die gleiche Richtung weist noch eine zweite Beobachtung. Es war oben die Rede von der Aussengliederung der ersten Kirche durch ein umlaufendes Gesimsband. Wir können das Auftreten derartiger Gesimsbänder in der syrischen Architektur ziemlich genau verfolgen. Die erste Hälfte des 5. Jahrhunderts kennt sie noch nicht. Ihre Dekoration beschränkt sich auf die Türgewände, Mauern und Fensterrahmen bleiben glatt. Das erste Beispiel einer Fensterrahmung bieten die Thermen von Serdjilla (473); es handelt sich um ein Doppelfenster in der Ostfassade (1). Aus der gleichen Zeit dürfte das Doppelfenster in der Apsis von Mshabbak stammen; die übrigen Fenster sind noch unprofiliert (2). Ein über die ganze Wand fortgeführtes Gesimsband, dazu ein zweites Band, auf dem die Fenster stehen und ein Sockelprofil begegnet zum ersten Mal in Baṣūfān (492) (3). Von da an kehrt es an allen Grossbauten der Jahrhundertwende wieder. Die Basilika B mit ihrer relativ sparsamen Gliederung steht noch ganz am Anfang dieser Entwicklung. Eine Entstehung in den achtziger Jahren des 5. Jahrhunderts dürfte für sie das Wahrscheinlichste sein. Damit entfällt nun aber auch jede Möglichkeit, sie mit dem Bau Alexanders zu identifizieren. Es wird das Ziel einer weiteren Grabung sein, gerade auch die Frühgeschichte des christlichen Resafa zu klären.

JOHANNES KOLLWITZ

★ ★ ★

Nach den Untersuchungen im Herbst 1952 konnte zunächst in den wesentlichen Punkten der Grundriss der Kirche geklärt werden (TAFEL I), in dem sich zwei Bauphasen abzeichnen, : eine ältere dreischiffige Basilika mit reich

(1) Princ. Exped. II B 3 Abb. 134.

(2) Ebd. II B 6 Abb. 391.

(3) Ebd. II B 6 Abb. 307.

ausgebildetem fünfteiligem Ostteil und als Erweiterung Hallenbauten auf der Süd- und Westseite der älteren Kirche. Die gesamte Bauanlage besteht aus dem gleichen Material wie auch die übrigen Bauten der Stadt, einem grob- und feinkristallinen Gips. Der Stein ist gegen Witterungseinflüsse ausserordentlich empfindlich; an allen Teilen des Baues, vor allem an den reicher profilierten und ornamentierten Fenster- und Türumrahmungen sind grössere Flächen ausgebrochen und abgewittert. Darüberhinaus sind sämtlich noch aufrechtstehenden Teile durch Erdbeben, Senkungen u. ä. mehr oder weniger stark aus ihrer ursprünglichen Lage gebracht und gegeneinander verschoben.

Insgesamt sind die Steine recht sorgfältig bearbeitet und verlegt, die Schichten sind in sich imallgemeinen gleich hoch, untereinander aber schwanken die Schichthöhen zwischen 50 — 85 cm. Die Quadern liegen meist flach, doch sind quadratische oder hochkantstehende Blöcke nicht selten.

Die ältere Basilika besitzt ein einfaches, dreischiffiges Langhaus (Breite des Mittelschiffs 13,87 m, Breite der Seitenschiffe 5,07 m im Norden, 5,14 m im Süden) mit einer Gesamtbreite von ca. 28 m und einer Gesamtlänge von 43,05 m. Die Aussenwände des Langhauses sind bis auf die Fundamente und ein etwa 6,5 m hohes, 10,10 m langes Stück im Südwesten verschwunden und wahrscheinlich zum Bau von Wohnhäusern und bei den Sicherungsarbeiten an der sogen. Sergiusbasilika verwendet worden. In der noch stehenden Langhauswand haben sich zwei Fenster mit Resten der bei syrischen Kirchen üblichen Aussengliederung erhalten (Abb. 9 ;) ein 60 cm breites profiliertes Band zieht sich in der Kämpferhöhe der Fenster über die Mauer und wird in gleicher Breite um die Rundbögen der Fenster und um die noch stehende Mauerecke herumgezogen.

Mit Ausnahme der mit dem noch stehenden Ostteil im Verband gemauerten Wandpfeiler sind auch die Innenstützen des Langhauses verschwunden; es wurde lediglich ein 1,07 m breiter Fundamentstreifen gefunden, der an der mutmaßlichen Stelle der nördlichen Stützenreihe liegt und auf dem einzelne etwa quadratische Standplatten von Innenstützen festgestellt werden konnten. Die Arbeiten an dieser Stelle sind jedoch noch nicht abgeschlossen.

Ebenso fehlen auch alle Reste einer wohl mit Rundbögen aufliegenden Oberwand. Unter dem westlichen Ende des Langhauses sind unter dem Niveau der Kirche die Reste von vier tonnengewölbten Kammern erhalten, die durch Türen in der Westwand zugänglich waren. Eine dieser Kammern ist noch unversehrt die übrigen sind eingestürzt; der Zweck dieser Kammern lässt sich bisher noch nicht ermitteln.

Wesentlich klarer wird die Form der Räume im Osten (TAFEL 2 A und B): An die in der Mitte liegende halbrunde Apsis schliessen sich auf beiden Seiten je zwei weitere Räume an, im Süden liegt zwischen der Apsis und der folgenden Raumgruppe noch eine Wendeltreppe. Die Apsis wird zum Langhaus hin durch flache, aus der Ecke nach zwei Seiten hervortretende Pilaster mit korinthisierenden Kapitellen und einem darüberliegenden stark profilierten und ornamentierten Bogen abgeschlossen. Durch die aus der halbkuppelförmigen Überdeckung stammenden Steine ist die Apsis stark verschüttet. Die Mauer sind bisher nur annähernd feststellbar, doch lässt sich erkennen, dass die Tiefe der Apsis grösser als ihr Radius ist, dass der Mittelpunkt des Apsishalbkreises also innerhalb der Apsis selbst liegt. Der inneren Kreisform entspricht auch im Äusseren ein kreisförmiger Abschluss; die Rückwand wird hier durch mehrere (wahrscheinlich drei) Fenster durchbrochen. Die Apsiswand und die darüber liegende, nach den vorhandenen Resten sehr sorgfältig gearbeitete Halbkuppel werden durch ein breites ornamentiertes Gesims auf Kämpferhöhe geschieden; dieses Gesims stösst am Ende allerdings recht unorganisch an das um die Ecke herumgeführte Pilasterkapitell an (Abb. 12). In den Resten der Überwölbung hat sich eine grössere Flickstelle mit gebrannten Flachziegeln erhalten.

An die Apsis schliesst sich im Süden zunächst ein massiger Mauerblock an, der heute noch am höchsten herausragende Teil des Baues, in dem eine Wendeltreppe und mehrere übereinander liegende tonnenüberwölbte Gänge erhalten sind. Im untersten Teil dieses Mauerblockes führt ein kurzer gerader Gang aus der Apsis in die erste Nebenkammer, in der Mitte dieses Ganges zweigt rechtwinklig dazu der Zugang zur Treppe ab. Die Treppe selbst ist mit einer mässigeren Spindel von 74 cm Durchmesser bei einer Laufbreite von ebenfalls 74 cm so gearbeitet, dass je zwei Trittstufen aus einem Block von 43 — 50 cm Höhe gehauen sind; die Schichthöhen des Mauerwerks der umgebenden Wände richten sich dabei nach der Höhe der Stufenblöcke. Über dem untersten Durchgang liegt als Zugang zum ersten Obergeschoss ein rechtwinklig geknickter Gang, in dem von der Treppe aus einige Ausgleichstufen zur Höhe des ehemaligen Geschossfussbodens emporführen. In der zum Langhaus gekehrten Wand dieses Ganges ist ein schmales, halbrund überdecktes Fensterchen angeordnet, von dem aus das Mittelschiff überblickt werden konnte. Über diesem Gang liegt ein zweiter ähnlicher Gang, bei dem drei Ausgleichstufen nach unten führen, der aber sonst weitgehend zerstört ist.

Neben diesem Treppenblock folgt die erste Nebenkammer, ein etwas schiefwinkliger Raum von 4,86 x 5,05 m Grösse, zum Seitenschiff hin durch eine breite, rundum reich profilierte Tür mit halbrundem Entlastungsbogen

darüber geöffnet. In der Ostwand liegenverhältnismässig hoch — zwei rundbogig überwölbte Fenster, die nur nach innen die übliche Profilrahmung besitzen. Dicht über diesen Fenstern liegt eine Reihe von 11 Balkenlöchern, deren Grösse zwischen 17 . . 26 x 30 cm. schwankt. Die auf die Schicht mit diesen Löchern folgenden Quaderschichten sind nur mehr 0,6 m stark (statt 0,99 m im unteren Geschoss). Auch im ersten Obergeschoss erscheinen zwei Fenster in der Ostwand, etwas näher zusammengedrückt als die unteren Fenster und ohne jede Profilierung. Das über den Fenstern folgende Mauerwerk ist abgestürzt, Balkenlöcher einer nächsten Geschossdecke sind infolgedessen nicht mehr feststellbar. Lediglich in der nach Süden gerichteten Wand des Treppenblocks erscheinen in der viertletzten Schicht des noch stehenden Mauerwerks drei Balkenlöcher, die entweder die Balken einer weiteren Geschossdecke oder Sparren zur Abdeckung des zweiten Obergeschosses aufnehmen sollten.

Im Anschluss an diesen Raum, der mit einiger Sicherheit als Prothesis gedeutet werden muss, folgt nach Süden zu ein ebenfalls nahezu quadratischer Raum von 5,28 x 5,06 m Grundfläche, der nach Osten durch eine halbrunde Apsis, nach Süden durch eine flache rechteckige Nische erweitert wird. Der einzige Zugang zu diesem Raum ist kleine Tür in der Wand zwischen diesem Raum und der Prothesis. In der nach Westen gerichteten Wand sind zwei flache Nischen ausgespart, etwas höher liegen darüber zwei Fenster: in der Nische der Südwand befinden sich ebenfalls zwei Fenster, die nach aussen die übliche Profilkronung zeigen. Die Apsis ist mit einer sehr sauber aus Werksteinen gearbeiteten Halbkuppel überdeckt; wie in der Hauptapsis sind auch hier senkrechte Mauer und Wölbung durch ein profiliertes Gesims getrennt, das — wie dort — an die auf den Ecken stehenden Kapitelle der flachen Pilaster stösst. Ebenso wird die Bogenform der Halbkuppel zum Raum hin durch einen breiten Profilstreifen abgeschlossen, der hier auch noch um die Ecke herum über den Bogen der flachen Rechtecknische in der Südwand weitergeführt wird. Auch hier liegt der Bogen wie der über der Apsis auf gedrunghenen Pilastern mit korinthisierenden Kapitellen und stark profilierten ziemlich hohen Basen auf. Im Schlussstein der Apsishalbkuppel erscheint neben den aus dem antiken Formenkreis stammenden ringsum laufenden Ornamenten das christliche Symbol des Kreuzes (TAFEL 2).

Im Norden sind die an die Apsis anschliessenden Räume wesentlich stärker zerstört; vor der Grabung lagen sie völlig verschüttet unter der Erde. Durch einen kurzen, horizontal überdeckten Gang mit der Hauptapsis verbunden,

reicht sich hier zunächst ein Dreikonchenraum an. An einen nahezu quadratischen Innenraum von 5,01 x 5,10 m sind im Süden und Norden zwei gleichgrosse halbrunde Nischen mit einem Halbmesser von 1,37 m, im Osten eine etwas kleinere mit einem Radius von 1,43 m angeschoben. Bei sämtlichen Apsiden ist die Tiefe etwas grösser als der Radius, sie zeigen also die gleiche Grundform wie die Haupt- und südliche Nebenapsis. Seitlich werden die Apsiden in der üblichen Form durch flache Pilaster flankiert, Kapitelle sind nicht erhalten, aber mit einiger Wahrscheinlichkeit zu ergänzen. Die Trennung zwischen der senkrechten Wand und den an Hand der Funde zu ergänzenden Halbkuppeln über den Apsiden erfolgt auch hier wieder durch einen umlaufenden profilierten Gesimsstreifen, der im Gegensatz zu den übrigen ähnlichen Teilen aus einem weicherem Material mit glatterer Oberfläche gefertigt ist, wie ein noch in situ befindliches Stück in der südlichen Apsis zeigt (Abb. 2).

Mit dem nördlichen Seitenschiff des Langhauses ist der Trikonchenraum durch eine breite, aussen stark profilierte Türe verbunden, mit dem weiter nördlich anschliessenden Rechteckraum durch eine breite Türe in der Nordapsis und zusätzlich durch einen rechtwinklig abgelenkten Gang, in dessen östlichem Ende eine kleine Brunnennische erscheint (Abb.).

Der mit unregelmässig verlegten Steinplatten belegte Fussboden wurde nur in der östlichen Apsis erreicht; hier erschien, in dem Boden eingelassen, eine langrechteckige Basisplatte mit vier flachen, nahezu quadratischen Einlassungen in den Ecken (Masse der Platte 0,75 x 1,52 m). Von der Mitte des östlichen Randes der Platte führt eine schmale Rinne zu einem runden Loch in der Mitte (Abb. 3).

Der im Norden anschliessende Rechteckraum von 3,62 m Breite besitzt an der Ostwand ebenfalls Spuren architektonischer Zierglieder, konnte aber bisher noch nicht näher untersucht werden.

An diesem älteren Bau wurden im Süden und Westen Vorhallen und Kammern angebaut. Im Westen wurden vor die im Untergeschoss liegenden Kammern sieben neue, kleinere Kammern gesetzt (TAFEL 1), auch diese tonnengewölbt. In ihrer Mitte liegt eine an die alte Westwand angeschobene Halbtonne, wahrscheinlich der Unterbau einer grosszügigen Freitreppe. Die Kammern sind — ähnlich wie die älteren — mit Türen und je einem schmalen Fenster auf jeder Seite der Tür versehen und stehen mit den älteren Räumen in Verbindung. Infolge der starken Verschüttung der ganzen Westseite und der einzelnen Kammern kann über die Lage zur Strasse, über die Verwendung

und Konstruktion der Räume noch nichts ausgesagt werden. Auch an der Südseite konnte der Anschluss der Kirche an die umliegende Bebauung noch nicht geklärt werden; vermutlich sind der dortigen Halle Stufen vorgelegt, die zu einer Strasse oder einem Hof führten.

Über den Kammern der Westseite erhebt sich eine Säulenstellung, deren stark verwitterte Basen festgestellt werden konnten. Der nördliche Abschluss dieser Säulenhalle konnte noch nicht eindeutig geklärt werden; es sind Reste eines kurzen Mauerstücks mit einer Dreiviertel-Säule vorhanden. Weiter nördlich schliesst sich an die nördliche Aussenwand des Altbaues ein nach Osten und Westen offener, überwölbter Raum mit reich profilierten äusseren Bögen an, der völlig verschüttet und in seiner Bestimmung noch ungeklärt ist.

In des Südwestecke wurde an die alte Basilika ein schmaler langer Raum von 13,98 m Länge und zwischen 4,25 m bis 4,39 m schwankender Breite angebaut, der durch zwei reich profilierte und ornamentierte Traversalbögen in drei kleinere Räume unterteilt wurde. Diese Bögen sind nur auf der Ostseite profiliert (Abb. 9); leider sind sie erst in jüngster Zeit eingestürzt. Die Aussenwände dieses Raumes sind über die Ecken hinaus vorgezogen und enden in Dreiviertel-Säulen, die den Übergang zu den anschliessenden Säulenstellungen der Vorhallen bilden. Die Südwestkammer ist von diesen beiden Vorhallen aus durch grosse Türen zugänglich; die Türe zur Südhalle ist besonders reich profiliert und mit einem Entlastungsbogen überwölbt. Die Südhalle liegt in einer Breite von 4,44 m zwischen der Südwestkammer und dem südlichen Apsisraum des Ostteiles; zwei noch in situ befindliche Basen ergeben einen Säulenabstand von 6.5 m, der Stützweite des Langhauses entspricht. An der westlichen Aussenwand des Apsisraumes lassen sich Anschlusspuren infolge der starken Verwitterung des Steinmaterials nicht nachweisen, doch wurden hier noch die Fundamente der Säulenstellung mit einer Breite von 1,09 m gefunden.

Nähere Angaben über den Aufbau der Kirche sowie über ihre Dekoration und konstruktive Einzelheiten lassen sich auf Grund der ersten Aufnahme noch nicht machen; es steht zu erwarten, dass die Fortsetzung der Grabungen und Untersuchungen im Herbst 1954 weitere Klärungen des Baubestandes bringen wird.

RECHERCHES HISTORIQUES ET ARCHÉOLOGIQUES SUR LA VILLE DE CYRRHUS

par

EDMOND FRÉZOULS

La ville antique de Cyrrhus n'a guère attiré jusqu'ici les historiens ni les archéologues. Ses ruines, à quelque 70 km. d'Alep (1), ne sont accessibles qu'à la belle saison et par des pistes inconfortables. Le voisinage de la frontière turque, joint aux difficultés du terrain, achève de mettre le site à l'écart des voies de communication modernes. Aussi n'avait-il été exploré que de loin en loin et très partiellement; on trouvera plus loin la bibliographie de ces visites rapides (2).

En 1952, un accord intervenu entre l'Institut français d'archéologie de Beyrouth et la Direction générale des Antiquités de Syrie ouvrit le site à une reconnaissance détaillée, suivie, en 1953, d'une première campagne de fouilles. Les travaux ne sont pas terminés et d'autres campagnes suivront. Une publication d'ensemble en présentera les résultats définitifs; mais on peut sans l'attendre se faire une idée de ce qui est déjà acquis: nous donnons ici un compte-rendu sommaire des travaux de 1952 et 1953. Et, comme les données archéologiques ne prennent tout leur sens que replacées dans leur contexte historique, nous exposerons d'abord les grands traits de l'histoire de Cyrrhus, telle que les sources littéraires et extra-littéraires invitent à la reconstituer.

(1) Au Nord/Nord - Ouest. On peut atteindre Cyrrhus soit par Azaz, puis la piste d'Arab Viran et Der Souan, soit, en continuant vers Afrin, par la route de Bulbul et la piste de Dourakli, qui commence un peu après le passage de l'Afrin à Meidanké

(2) Cf. plus bas, II.

I — APERÇU HISTORIQUE

Cette histoire ne nous est guère connue que par des allusions éparses, à travers plus de dix siècles, dans des écrits grecs, romains, syriaques et arabes (1). Il s'agit presque toujours de passages fort courts, qui mentionnent la ville incidemment et sans s'intéresser directement à elle. Seul le célèbre évêque Théodoret, qui occupa longtemps, au V^e siècle, le siège de Cyrhus, lui porte un intérêt plus personnel et livre quelques renseignements sur elle ; mais il ne s'agit encore que de la ville byzantine, et surtout des activités édilitaires de l'évêque. De même Procope consacre à Cyrhus un paragraphe, mais uniquement pour énumérer les travaux que Justinien y fit exécuter (2). A ces sources littéraires, bien avaries en dehors des V^e et VI^e siècles et particulièrement pour l'époque romaine, il convient d'ajouter quelques données numismatiques et épigraphiques. Outre des monnaies d'Alexandre Bala, datées de 148 av. J. C., on connaît des émissions romaines qui s'échelonnent de Trajan aux Philippes (3). Des inscriptions, grecques et latines, honorifiques et surtout funéraires, celles qui se laissent dater avec quelque précision se groupent en deux périodes : une vingtaine des II^e et III^e siècles, quatre de la fin du V^e au milieu du VI^e siècle. Ainsi la numismatique et l'épigraphie, un peu moins pauvres pour l'époque romaine, tendent à rétablir - avec encore bien des lacunes - l'équilibre de notre documentation.

A Cyrhus à l'époque hellénistique (env. 300 — 65 av. J. C.)

Aucun texte ne mentionne la fondation de Cyrhus et il semble bien que dans l'antiquité même les origines de la ville aient été mal connues. Du moins Procope ne recule-t-il pas devant une étymologie fantaisiste qui ferait d'elle une ville préhellénistique : Cyrhus — ou plutôt Cyrus — aurait été fondée par les Juifs à leur retour de la captivité de Babylone et son nom aurait été choisi en signe de gratitude pour le monarque qui les libéra (4). Plus sérieusement, on a pu se demander si la ville, qui n'a jamais porté de nom dynastique, n'est pas antérieure à l'arrivée des Séleucides et si le sien n'est pas une simple transcription analogique. Mais Cyrhus semble bien être, plutôt une fondation

(1) La plupart de ces textes ont été étudiés par E. HONIGMANN dans l'article *Kurros* de la *RE*, qui aborde les problèmes essentiels relatifs à l'histoire de Cyrhus.

(2) Cf. plus bas, I, C.

(3) *Catalogue of the Greek Coins of the British Museum, Seleucid Kings of Syria*, p. 56 ; *ibid.*, *Galatia, Cappadocia and Syria*, p. 133 sqq.

(4) *PROCOPE. De aedificiis*, II, 11.

macédonienne (1). Le nom est celui d'une localité de Macédoine (2) et il n'existe aucun indice d'une occupation antérieure.

L'identité du fondateur reste douteuse. Appien ne range pas la ville dans sa liste des fondations de Seleucus 1er Nicator (3) et la première mention de Cyrrhus est bien tardive ; elle ne la concerne même pas directement mais donne seulement un témoignage implicite de son existence. Il s'agit du passage de Polybe relatant la mutinerie qui s'était produite en 221 au camp d'Apamée, parmi les troupes qu'Antiochus III préparait pour l'expédition contre Molon. Selon Polybe, Hermias parvint à apaiser les divers contingents, à l'exception des Cyrrestiens qui, au nombre d'environ 6.000, restèrent dans la rébellion, provoquèrent bien des désordres et durent finalement être réduits par les armes (4). Le nombre des soldats est évidemment trop élevé pour qu'il s'agisse de citoyens de Cyrrhus : ce sont là des hommes levés dans toute la *Cyrrestique*. Mais l'existence de l'ethnique suffit à prouver celle de la ville, puisque c'est cette dernière qui a donné son nom à la contrée environnante.

Cyrrhus existait donc en 221. Rien n'indique qu'elle vint d'être fondée ; on a même argué d'un autre texte pour montrer que la Cyrrestique et par conséquent sa capitale remontaient beaucoup plus haut. C'est le passage de Plutarque (5) où l'on voit le Poliorcète passer de nuit la crête de l'Amanus et dévaster son versant oriental.

L'événement se passe en 286, ce qui conférerait à l'argument une portée considérable. Mais le texte de Plutarque n'a pas la même valeur que celui de Polybe : le second désigne un contingent de troupes et le nom qu'il lui donne, essentiel au récit, est forcément celui qui le désignait à l'époque de l'événement ; Plutarque ne mentionne la Cyrrestique que par souci de précision géographique, pour faire comprendre la manoeuvre de Demetrius. Son témoignage porte essentiellement sur les opérations ; rien n'y est changé si, commettant un anachronisme, il baptise Cyrrestique une région qui ne portait

(1) Cf. A.H.M. JONES, qui après avoir douté dans ses *Cities of the Eastern Roman Provinces*, p. 245, de l'origine macédonienne de Cyrrhus, revient, dans *The Greek City from Alexander to Justinian*, sur son opinion : *I was perhaps too sceptical about Cyrrhus and Arethusa; though their Macedonian names have been suggested by their native names, they may none the less have been genuine colonies.*

(2) On ignore si le célèbre *ANDRONIC* de Cyrrhus, qui construisit à Athènes la « tour des vents » était originaire de cette localité de Macédoine ou de la ville de Syrie.

(3) *APPIEN*, XI (Syr.), 9, 57.

(4) *POLYBE* V, 50, 7 et 57, 4.

(5) *PLUTARQUE*. *Demetrios*. 48, 4.

pas encore ce nom en 286, mais le porte depuis longtemps au moment où il écrit. On ne peut donc retenir la mention de la province chez Plutarque comme une preuve de l'existence de la ville à cette date : c'est tout au plus un indice.

Il n'en existe pas beaucoup d'autres et par exemple il est peut-être imprudent de conclure du silence d'Appien que Cyrrhus a dû être fondée par Antigone : Appien prétend moins à citer toutes les fondations de Séleucus qu'à donner des exemples des divers types de dénomination (1). Surtout Antigone ne paraît pas avoir fondé tant de villes en Syrie que le souvenir ait pu si facilement s'en perdre. Au moins l'argument *ex silentio* vaut-il autant contre l'un que contre l'autre. Ce n'est donc qu'à titre d'hypothèse et sur de faibles indices qu'on peut accepter une date haute pour la fondation de Cyrrhus — plutôt, selon nous, sous Séleucus que sous Antigone. Tout d'abord, sans rien apporter de sûr, le texte de Plutarque et celui de Frocope suggèrent l'idée d'une ville fort ancienne. Son nom macédonien confirme cette impression : on sait qu'il n'y eut plus de fondations macédoniennes après la fin du III^e siècle et qu'elles furent fort rares après la mort du créateur de la dynastie (2). Ajoutons que la valeur stratégique de la ville, prédominante par la suite et qui a dû en déterminer la fondation, laisse elle aussi supposer une date assez ancienne. L'étude géographique montre bien la position privilégiée de Cyrrhus et par ailleurs aucune autre cité de Cyrrestique, en dehors des villes voisines de l'Euphrate, n'est connue comme une place militaire (3). Il est bien vrai qu'au III^e siècle l'ennemi principal était au Sud et que la couverture d'Antioche au Nord-Est était très suffisamment assurée par l'Euphrate ; mais une entreprise comme celle du Poliorcète avait pu néanmoins convaincre Séleucus d'installer, dans une région vaste et accidentée, vraisemblablement peuplée de gens assez instables, et dont l'axe naturel conduisait aux portes d'Antioche, au moins une place solide et un noyau de colons militaires. On verra du reste que le rempart

(1) APPIEN cite d'abord les villes dont le nom dérive de celui de Séleucus ou de membres de sa famille, et poursuit : *Aux autres il donna des noms originaires de Grèce ou de Macédoine, ou se rapportant à ses propres exploits, ou encore choisis en l'honneur du roi Alexandre.* La liste de villes qu'il cite ensuite paraît être plutôt une illustration de ces divers types de dénomination qu'une énumération exhaustive des fondations — la manière dont elle est introduite confirme cette impression : . . . c'est de là qu'en Syrie et, au delà, dans les pays de l'intérieur beaucoup de villes tirent leurs noms grecs et macédoniens...

(2) Cf. A. H. M. JONES, *The Greek city*., p. 23 sqq.

(3) Sur Gindarus « acropole de la Cyrrestique », cf. plus bas, p. 83.

de la ville comporte en plusieurs endroits un appareil polygonal analogue à celui de l'enceinte de Séleucie ; c'est là un sérieux indice d'ancienneté (1).

Si l'on est ainsi tenté d'accorder à Cyrrhus quelque deux siècles et demi d'existence avant l'occupation romaine, on sait mal quelle importance la ville pouvait avoir ou de quelle circonscription administrative elle dépendait. Son cas n'est pas unique et la pauvreté ou l'ambiguïté des sources font qu'on connaît fort mal la géographie administrative de la Syrie du Nord hellénistique. On sait que le cœur du royaume était constitué par la Séleucide, divisée en quatre satrapies et qui comprenait certainement les quatre grandes villes de la tétrapole : Antioche, Séleucie, Apamée et Laodicée. Mais, selon l'étendue qu'on accorde à la Séleucide, Cyrrhus s'y trouve ou ne s'y trouve pas incluse. Trois thèses se sont affrontées là-dessus et le cœur du litige est l'interprétation d'un texte de Strabon, que nous avons essayé à notre tour d'élucider. Les auteurs les plus anciens, mais aussi Rostovzeff lisent dans Strabon que la tétrapole formait en quelque sorte l'ossature des quatre satrapies, qui s'étendaient, du côté qui nous intéresse, jusqu'à l'Euphrate : Cyrrhus appartenait donc à l'une d'entre elles, sans doute à celle d'Antioche (2).

M. U. Kahrstedt, se fondant à la fois sur les limites des satrapies pré-hellénistiques et sur l'ordre du texte de Strabon, réduit les quatre satrapies au voisinage immédiat des villes de la tétrapole et en exclut donc Cyrrhus, qui serait la capitale d'une « Mésopotamie » — en fait ciseuphratéenne — nommée plus tard Cyrrestique. Contre cette Mésopotamie d'entre l'Euphrate et l'Amanus et contre l'attribution des satrapies aux quatre villes de la tétrapole, M. A. H. M. Jones a des arguments assez forts. Il inclut la Cyrrestique dans la Séleucide et, suspectant Strabon d'avoir mal compris Posidonius, fait de Cyrrhus un des chefs-lieux, concurremment avec Antioche, Apamée et une quatrième ville (3). Ces conclusions nous paraissent les plus vraisemblables — et même il est sans

(1) Cf. plus bas, II.

(2) Cf. STRABON, XVI, 2, 4, et les interprétations qu'en donnent J. BELOCH, *Griechische Geschichte* 2, IV, 2, p. 356. CORATTA, *Rendiconti dell' Accademia dei Lincei*, X, 1901, p. 161. E. BIKERMAN, *Institutions des Séleucides*, p. 201. M. ROSTOVZEFF, *Social and Economic History of the Hellenistic World*, I, p. 478 et III, p. 1436, n. 265.

(3) Cf. U. KAHRSTEDT, *Syrische Territorien in hellenistischer Zeit*, p. 48 sqq. et A. H. M. JONES, *Cities of the Eastern Roman Provinces*, p. 243 et n. 21, p. 449 sq.

doute superflu de charger Strabon d'un contre-sens (1).

Qu'elle fût ou non capitale d'une satrapie, Cyrrhus, que Strabon ignore, dut être néanmoins une cité importante. Chez Strabon, c'est Gindarus qui occupe la première place dans la description de la Cyrrestique et passe pour « l'acropole du pays » (2). Cette étrange assertion s'explique d'un côté par le souvenir de la défaite de Pacorus et d'autre part, très probablement, par un déclin de Cyrrhus à la fin de l'époque hellénistique. Mais ce déclin n'a pas dû commencer avant la fin du II^e siècle av. J. C. puisque la ville bat monnaie sous Alexandre Bala : on a deux types de monnaies de bronze de 148, portant au droit la tête du roi et au revers l'un Zeus et l'autre Athèna.

Il est fort possible que ce soient là les premières monnaies de Cyrrhus et cette date relativement tardive conviendrait bien à une cité qui n'est pas négligeable, mais demeure néanmoins de second ordre : les quatre villes de la tétrapole et Hiérapolis, mais elles seules en Séleucide, avaient déjà battu monnaie sous Antiochus IV. L'autorisation accordée à Cyrrhus ne permet d'ailleurs pas de conclure à une promotion quelconque de la ville ; car Alexandre Bala, usurpateur installé par Rome et Pergame, dut, à son avènement, multiplier les concessions aux villes pour assurer son pouvoir et les émissions qu'il autorisa, à Cyrrhus et ailleurs, s'intègrent bien dans une telle politique (3). Mais ces concessions ne furent apparemment octroyées qu'à des cités qui en valaient la peine : seules, en dehors des cités phéniciennes, les villes de la tétrapole partagèrent avec Cyrrhus le bénéfice des émissions monétaires.

On est donc fondé à croire qu'au milieu du II^e siècle av. J. C. Cyrrhus était encore assez prospère. L'affaiblissement des Séleucides consécutif au traité d'Apamée (188) n'avait pu qu'accuser son rôle militaire en rapprochant les

(1) Car l'expression *oikeiós tē tétrapole*, qu'utilise STRABON à propos de la division du pays en quatre satrapies, n'indique pas obligatoirement que les villes de la tétrapole soient les capitales de ces satrapies : la signification précise de l'adverbe *oikeiós* invite plutôt à penser à une simple ressemblance ou même à une sorte d'harmonie arithmétique — qui n'implique pas une correspondance géographique exacte. Il y a quatre satrapies comme il y a quatre grandes villes primitives et comme la plus grande d'entre elles, Antioche, comporte elle-même quatre quartiers qui sont autant de petites villes (STRABON, XVI, 2, 4).

(2) STRABON. XVI, 2, 8.

(3) Cf. A. H. M. JONES *Cities...*, p. 253 sq. et U. KAHRSTEDT, *op. cit.*, p. 84.

objectifs et les menaces : dans la campagne d'Antiochus IV en Arménie (164), lors de la reconquête de la Commagène par Démétrius 1^{er} sur Timarque (vers 160), lors de la lutte entre Alexandre Bala et Ptolémée (145), lors de la grande expédition d'Antiochus VII contre les Parthes en 130, Cyrrhus eut probablement l'occasion de servir de lieu de concentration pour les troupes. Et l'importance que la stratégie séleucide accordait aux places fortes et aux garnisons, compensant par la solidité des villes la faiblesse numérique des effectifs, accrut son intérêt pour le maître d'Antioche, aussi longtemps qu'un système cohérent demeura possible. Mais dès le dernier tiers du II^e siècle, la Syrie tomba dans le chaos ; l'état séleucide, déchiré par les querelles dynastiques et par la succession des soulèvements juifs, harcelé par les Arabes, bientôt à la merci des forces arméniennes ou romaines, devint incapable de toute défense organisée. Aussi l'abandon de la Commagène au dynaste Mithridate, à la fin des règnes concurrents d'Antiochus VIII et d'Antiochus IX (vers 96), qui faisait presque de Cyrrhus une ville-frontière et qui eût pu en d'autres circonstances accroître son importance, dut-il au contraire précipiter son déclin. En 88, l'accession au trône de Tigrane et l'annexion temporaire de la Syrie à l'Arménie faisait perdre tout sens aux données anciennes. La Cyrrestique fut particulièrement touchée par l'anarchie ; le brigandage s'y développa librement et l'on en trouve un écho dans le qualificatif appliqué par Strabon à Gindaros : *acropole de la Cyrrestique et excellent repaire de brigands* (1).

De même que le premier terme tire selon nous son origine de la bataille de 38, le second doit s'appliquer également au passé récent. Des tyrans locaux s'installèrent, qui n'étaient sans doute pas autre chose que des chefs de brigands. On en connaît sous Antiochus Grypus, puis en 88 à Bérée (2), mais il y en eut évidemment bien d'autres et c'est avant l'arrivée de Pompée que s'instaura l'émiettement anarchique décrit plus tard par Pline, qui nomme, après Cyrrhus, plusieurs populations voisines — sans compter, parmi les 17 tétrarchies aux noms barbares qu'il renonce à citer, celles qui pouvaient se trouver en Cyrrestique (3). Nous ne savons rien de Cyrrhus même à cette époque, mais elle ne put que partager le sort misérable de toute la contrée. Était-elle encore,

(1) STRABON, XVI, 2, 8.

(2) Cf. JOSÈPHE, *Antiquités Juives*, XIII, 13, 4 et 14, 3; STRABON, XVI, 2, 7.

(3) PLINE, *H. N.*, V, 81 — 82.

si elle l'avait jamais été, chef-lieu de satrapie ? On l'ignore et, de toute manière, cela ne devait plus avoir une grande importance. S'il est inexact de dire que la Cyrrestique se sépara de la Séleucide, à l'instar de la Commagène (1) — car il n'y eut, semble-t-il, rien d'aussi formel — on peut admettre qu'elle cessa d'exister, comme entité administrative, au plus tard dans le premier tiers du I^{er} siècle av. J. C. Et Cyrhus, exposée à pâtir des désordres pour les mêmes raisons qui avaient fait son importance, ne devait plus être, à l'arrivée des Romains, qu'une ville squelettique, vidée de sa population macédonienne par d'innombrables levées de troupes et sans doute occupée un moment en 88-87 par les Parthes de Mithridate Sinakès (2). On comprend aisément le silence de Strabon à son sujet.

Des trop rares textes mentionnant Cyrhus nous aimerions pouvoir tirer quelque connaissance de son statut ; mais ici encore on en est réduit à des conjectures et, comme le régime des villes séleucides est mal connu, c'est chose fort malaisée. L'émission de monnaies de bronze sous Alexandre Bala, qui semble ne s'être jamais renouvelée par la suite, ne prouve rien en ce qui concerne ce statut. Par ailleurs elle n'a jamais reçu le nom dynastique qui était peut-être, pour une ville, le signe de la situation la plus indépendante — mais ce critère est incertain, surtout en dehors de l'époque la plus ancienne. Si vraiment Cyrhus était capitale d'une satrapie, et en tout cas, d'après les monnaies d'Alexandre Bala comme d'après d'autres indices, l'une des premières villes de Séleucide, elle devait jouir de certaines prérogatives.

Sur la vie de la cité à l'époque hellénistique, le seul domaine où existent quelques indices est le domaine religieux. Les pièces frappées sous Alexandre Bala portent au revers les unes un Zeus debout, tenant une couronne de la main droite, avec une chouette à ses pieds, les autres une Athèna debout tenant dans sa main droite une Nikè et dans la gauche un javelot dont la partie basse est cachée par un bouclier rond. On retrouvera un Zeus sur les monnaies romaines, mais tout différent et accompagné d'un aigle, non d'une chouette, et de la légende : ZEUS KATAIBATES. Il n'est donc pas du tout certain que le revers hellénistique ait un rapport avec ce qu'on pourra considérer plus tard comme le culte principal de la ville (3). Le choix de l'effigie de Zeus est banal sous

(1) Cf. par exemple A. BOUCHÉ-LECLERCQ, *Histoire des Séleucides*, I, p. 427

(2) JOSEPHÉ, *loc. cit.*, XIII, 14. 3.

(3) Cf. plus bas, B. p. 105

les Séleucides et notamment sous Alexandre Bala. Mais ce qui l'est moins, comme veut bien me le faire remarquer M. H. Seyrig, c'est la chouette qui sert d'attribut au dieu (1). Plus encore que l'Athèna armée et nicéphore — que l'on trouve, elle aussi, ailleurs (2), cette chouette invite à penser que Cyrrhus se distinguait par un culte d'Athèna. Or Etienne de Byzance attribuera formellement à la ville l'Athèna Cyrrhestis (3) et, chose plus importante, Strabon, qui ignore Cyrrhus, mentionne le temple de la déesse. Il le mentionne, il est vrai, dans un contexte géographique où l'on a peine à reconnaître la ville. Selon lui, le sanctuaire ne serait qu'à vingt stades d'Héraclée (4), que l'on tend à placer beaucoup trop près d'Alep pour que le moindre rapport puisse exister avec Cyrrhus (5). A vrai dire, les données de Strabon sont suspectes : XVI, 2 parle d'un temple voisin appelé *Héracléion*, tout proche de Gindarus et l'on peut se demander avec M. U. Kahrstedt (6) s'il ne s'agit pas d'un seul et même sanctuaire. La confusion serait un peu grosse et d'ailleurs Gindarus n'est pas non plus tout près de Cyrrhus. Mais il n'importe : même si l'information de Strabon est erronée ou son texte corrompu, l'existence d'un temple d'Athèna Cyrrhestis ne paraît pas douteuse et cela éclaire les données numismatiques : il y avait à Cyrrhus un temple d'Athèna et c'était le temple principal de la cité.

B Cyrrhus à l'époque romaine (65 av. J. C. — fin du IV^e siècle ap. J. C.).

Malgré l'incertitude des origines, il a paru raisonnable d'attribuer à la fondation de Cyrrhus des raisons avant tout militaires et le déclin où la ville semble entrer vers la fin du II^e siècle av. J. C. s'explique parfaitement dans

(1) Cf. *Catalogue of Greek Coins in the British Museum, The Seleucid Kings of Syria*, loc. cit., et E. BABELON, *Catalogue des monnaies grecques...*, *Les rois de Syrie...*, p. 115 sqq. E. BABELON, *ibid.*, p. CXXX, hésitait, pour rendre compte de la chouette, entre deux explications peu satisfaisantes : Cyrrhus colonie d'Athènes ou Zeus infernal époux d'Athèna.

(2) Fr. CUMONT, *Etudes Syriennes*, p. 222, voit en elle l'Athèna Cyrrhestique — sans raison décisive semble-t-il.

(3) ÉTIENNE DE BYZANCE. s. v. *Kurros*.

(4) STRABON, XVI, 2, 7 : .. et Héraclée est séparée par vingt stades du sanctuaire d'Athèna Cyrrhestis.

(5) Cf. E. HONIGMANN, *Historische Topographie von Nordsyrien im Altertum*, no 210 (cf. no 183) et R. DUSSAUD, *Topographie historique de la Syrie antique et médiévale*, p. 470. La localisation de la ville est à vrai dire incertaine, mais aucune ruine proche de Cyrrhus ni aucune vraisemblance historique n'autorise à loger si près l'une de l'autre deux villes de quelque importance. Dans ces conditions l'assertion de STRABON, tirée de POSIDONIUS, est vraisemblablement erronée ou son énoncé corrompu.

(6) U. KAHRSTEDT. *op. cit.*, p. 49.

cette perspective. L'annexion de la Syrie à l'empire romain ne change rien à cette vocation : c'est encore comme un centre militaire que les sources nous présentent Cyrrhus et c'est parce qu'elle l'est redevenue qu'elle va reprendre une place importante en Syrie du Nord. Et si nous sommes amenés à distinguer plusieurs périodes dans l'histoire de la ville jusqu'à la fin du IV^e siècle — terme, ici arbitraire, de l'époque proprement romaine —, on ne s'étonnera pas de voir les limites de ces différentes périodes déterminées avant tout par des faits militaires.

De 65 av. à 70 ap. J. C. :

L'organisation pompéienne de la Syrie romaine ne dut pas modifier la situation réelle de Cyrrhus : à supposer qu'elle eût été et que par impossible elle fût encore la capitale d'une satrapie, la ville ne perdait en cessant de l'être qu'un titre devenu vain. On ignore quel statut lui fut accordé, mais il paraît évident que Pompée consacra l'émiettement de la Cyrrestique : la description de Plin^e correspond à l'état des choses à la fin du I^{er} siècle av. J. C., mais aucun changement notable n'était alors survenu en Syrie du Nord depuis Pompée (1). Le nouvel ordre confirmait donc le déclin de l'ancienne colonie macédonienne et l'état de la Cyrrestique ne dut pas, de longtemps, permettre un relèvement. Le brigandage ne cessa pas du jour où la Syrie devint romaine ; Cicéron nous a gardé le souvenir des opérations qu'il fut contraint d'entreprendre contre les bandes de l'Amanus durant son proconsulat de Cilicie (2). Comme jadis Demetrius Poliorcète, elles devaient ravager alternativement les pays situés à l'Est et à l'Ouest de leur repaire. Les dynastes de la région ne reconnaissaient l'autorité romaine que sous la contrainte : Dion Cassius et Frontin en citent un — auquel ils ne donnent pas le même nom — qui s'entendit avec les Parthes contre Ventidius Bassus (3). La population n'était guère plus favorable (4). Surtout, après le désastre de Carrhae (53), les invasions parthes durent ruiner le pays. Une première, de 52 à 50, conduisit Pacorus et Osakes jusque sous Antioche et son échec dut être particulièrement ruineux pour Cyrrhus, puisqu'il amena Pacorus à se retirer en Cyrrestique et à y passer l'hiver 51-50. En 40, profitant de la guerre civile et de l'appui de Labienus, les Parthes envahirent pour la seconde fois la Syrie et l'occupèrent tout entière (5). Sans doute

(1) Cf. A. H. M. JONES, *Cities...*, p. 261.

(2) Cf. notamment *Ad Atticum*, V, 20, 3 et *Ad Familiares*, XV, 4, 8 sq.

(3) DION CASSIUS, XLIX, 19, 2; FRONTIN, *Stratagèmes*, I, 1, 6.

(4) Le récit de DION CASSIUS, XLIX, 19, 2-3, le laisse entendre.

(5) Cf. DION CASSIUS, XL, 12-30. et XLVIII, 25-26.

ne firent-ils d'abord que traverser la Cyrrestique, mais elle eut davantage à souffrir lorsque Pacorus, après avoir évacué le pays en 39, revint l'année suivante. Car elle fut cette fois le théâtre des opérations et Cyrrhus, la ville la plus proche de Gindarus, fut évidemment occupée un certain temps par les envahisseurs. On a déjà vu comment la victoire de Ventidius Bassus faussa, quelques décades plus tard, les idées de Strabon sur la géographie de la région ; mais les séjours successifs des Parthes sont probablement pour quelque chose dans l'oubli complet où tomba l'ancienne place séleucide.

Quarante ans plus tard, le silence est rompu par la première mention directe que nous ayons de la ville : Tacite rapporte que Germanicus et Pison se rencontrèrent — en 17 ou 18 ap. J. C. — *Cyrrhi.. apud hiberna decumae legionis* (1). Ce texte est notre seule raison, mais décisive, de croire que la Xe légion — Fretensis — tint garnison à Cyrrhus, dont s'explique ainsi le réveil à l'époque romaine. Il est également le plus ancien témoignage du séjour de la Xe Fretensis en Syrie. On ne peut donc savoir de façon sûre à quelle date la ville reçut sa garnison. La Xe légion était certainement en Orient dès 6 ou 7 ap. J. C. (2), peut-être avant, mais le silence de Strabon sur Cyrrhus n'invite pas à penser que l'installation soit très ancienne (3). Du reste la position était bien proche de la frontière et convenait peu à des quartiers d'hiver. Aussi, plutôt qu'à une redistribution des troupes syriennes en 6 ou 7, sommes-nous tentés de lier l'installation de la Xe Fretensis à Cyrrhus à l'annexion de la Commagène, qui précède d'un an la rencontre mentionnée par Tacite (4). Car, après cette annexion, Cyrrhus, admirablement placée, de toute manière, pour couvrir Antioche et pour surveiller l'Euphrate, est elle-même couverte par la nouvelle marche. Inversement la rétrocession de celle-ci à son prince légitime par Caligula, en 38, ne dut entraîner aucun changement : c'était une simple — et éphémère (5) — complaisance du prince à l'égard d'Antiochus IV et la Commagène restait pratiquement sous le contrôle de Rome.

Le séjour de la Xe Fretensis, qui ne nous est connu que par le texte de Tacite, donna évidemment à la ville un nouvel essor. Venant bien après

(1) TACITE, *Annales*, II, 57.

(2) Cf. RITTERLING, *RE*, s. v. *Legio*, col. 1235 et 1672.

(3) Cf. plus haut p. 81 sq.

(4) A la mort du roi Antiochus III.

(5) Caligula déposa Antiochus presque aussitôt, mais Claude le remit sur le trône en 41. L'annexion définitive se fit en 72, sous Vespasien.

l'organisation de la Syrie romaine, il ne modifia probablement pas le statut de Cyrrhus ; celle-ci ne pouvait être, bien entendu, qu'une cité payant tribut et dépourvue du *jus italicum*. A la différence des villes de la tétrapole, Cyrrhus ne battit pas monnaie sous la dynastie julio-claudienne.

De 70 au milieu du III^e siècle ap. J. C. :

Après avoir pris part aux campagnes de Corbulon, à partir de 57, et envoyé une *vexillatio* en Judée en 66 (1), la dixième légion fut confiée toute entière, la même année, à Vespasien pour la guerre de Judée. Cette guerre finie, elle ne fut pas renvoyée à Cyrrhus mais affectée à la garde de la nouvelle province. Fut-elle remplacée à Cyrrhus et par quelle unité ? Question difficile, sur laquelle des inscriptions récemment découvertes pourront peut-être apporter quelque lumière. Mais Fr. Cumont notait déjà que *les inscriptions de sous-officiers et de soldats forment une portion considérable de celles qui ont été découvertes jusqu'ici à Cyrrhus* (2), et cette constatation est encore plus vraie aujourd'hui. Qu'elle ait ou non reçu une légion permanente, Cyrrhus a certainement joué un rôle militaire important au delà de 70. Un camp situé à quelques heures, près de Meidan, sur les bords du Kara Sou, et dont l'enceinte est assez bien conservée, devait dépendre, comme l'a noté V. Chapot (3), de la place de Cyrrhus et abriter une partie de sa garnison : cela confirme l'impression d'une occupation militaire de longue durée. Par ailleurs une dédicace au préfet de la flotte de Misène, Q. Marcius Turbo, découverte en 1952 (4), montre notamment que Cyrrhus a dû servir d'étape et peut-être de lieu de concentration à l'armée de Trajan lors de l'expédition de 114 contre l'Arménie. D'autre part la ville était assez importante pour qu'un amiral, conseiller intime de l'empereur, s'y trouvât en rapport avec un citoyen romain — habitant ou non Cyrrhus — et que ce dernier lui dédiât *sur place* une inscription honorifique.

On mesure là le chemin parcouru depuis Strabon — et pour des raisons essentiellement militaires. Les données stratégiques de l'époque hellénistique avaient à peu près repris leur valeur, après la période de chaos et d'effritement que la Syrie du Nord et singulièrement la Cyrrestique avaient traversée avant l'occupation romaine (5). Cyrrhus gardait une des voies traditionnelles

(1) Cf. JOSÈPHE, *Guerre des Juifs*, II, 18, 9.

(2) Fr. CUMONT, *op. cit.*, p. 225, n. 2.

(3) V. CHAPOT, *La frontière de l'Euphrate* . . . , p. 345 sq.

(4) Cf. *Syria*, XXX, 1953, 3—4, p. 246 sqq.

(5) Cf. plus haut, p. 83 sq.

d'invasion et constituait inversement un point de concentration ou un gîte d'étape idéal pour des troupes allant d'Antioche à Zeugma. On connaît l'importance de cette Séleucie fondée sur l'Euphrate, «Séleucie du pont», bientôt appelée, par un raccourci symptomatique, «le pont» — *Zeugma*. Elle était, avec Apamée, sa correspondante sur l'autre rive, la porte de l'Osrhoène et de la Haute-Mésopotamie et c'est vers elle que se dirigeaient, au moins jusqu'à la fin du II^e siècle, les troupes romaines qui voulaient gagner le Haut-Euphrate (1). Or deux routes, confondues jusqu'à Gindarus, menaient d'Antioche à Zeugma : la plus courte, au Sud, s'éloignait du cours de l'Afrin et devait traverser tout le Nord du Djebel Seman ; celle du Nord, par Cyrrhus et Ciliza (Killis), était un peu plus longue, mais suivait longtemps la vallée et continuait ensuite en terrain moyennement accidenté. C'était certainement la plus commode, d'autant que l'existence de Cyrrhus, à mi-chemin entre Antioche et Zeugma (2), simplifiait le problème des approvisionnements et que le voisinage de l'Afrin permettait aux cavaliers, sur un trajet appréciable, d'abreuver leurs montures.

Toutefois le rôle militaire de Zeugma s'estompa, à partir d'une date qu'il n'est pas facile de déterminer exactement, mais dont nous avons tout de même quelque idée. Fr. Cumont a montré qu'au III^e siècle le point de concentration normal des troupes sur l'Euphrate était Hiérapolis et non plus Zeugma et que le facteur décisif de ce transfert fut sans doute la construction sous Septime-Sévère de la route Bérée-Hiérapolis, qui prolongeait Antioche-Bérée. Le trajet d'Antioche à l'Euphrate était ainsi plus court et aussi plus aisé, car la nouvelle route traversait beaucoup moins de régions accidentées — et la pacification du désert la rendait sans dangers (3). Cyrrhus dut souffrir

(1) Cf. Fr. CUMONT, *op. cit.*, p. 17.

(2) A deux journées de marche de l'une et de l'autre.

(3) Fr. CUMONT, *op. cit.*, p. 16 sqq : ... trois milliaires trouvés l'un à Sheik-Nedjar, entre Alep et Bâb, les deux autres à Ariméh, entre Bâb et Membij... sont de Septime Sévère, et l'un d'eux peut être daté avec précision du printemps ou de l'été de l'année 197. C'est donc au moment où il préparait sa grande expédition contre les Parthes que l'empereur... ordonna la prompte exécution d'une route nouvelle, qui lui permit de conduire rapidement ses troupes et ses convois jusqu'en Mésopotamie et assurât ses communications avec Antioche et la mer... Le grand chemin qui conduisait d'Antioche en Mésopotamie était auparavant celui qui, se dirigeant vers le nord — est, allait chercher le fameux pont de Zeugma, jeté sur l'Euphrate par Séleucus Nicator et reconstruit par les ingénieurs romains. Ce chemin faisait un long détour et, de plus, son tracé à travers un pays tourmenté obligeait à y voyager par monts et par vaux. Seulement il évitait l'approche du désert et les caravanes ou charrois n'y étaient pas exposés aux coups de main des pillards sarrazins. Mais à la fin du II^e siècle, l'administration romaine avait assuré la sécurité de la vaste plaine qui s'étend à l'est d'Alep. Toute la région qui entourait la grande ville d'Hiérapolis avait été pacifiée et de nombreux villages... y prospéraient. Il n'était plus hasardeux d'y faire passer les marchands....

de ce changement et c'est probablement au début du III^e siècle qu'elle céda sa prépondérance militaire à Hiérapolis avant de lui abandonner, quelque cent ans plus tard, lors de la création de la province d'Euphratésie, la première place administrative (1). Sous les Sévères cependant, Cyrrhus avait conservé une grande importance : elle est une des villes de Syrie et de Mésopotamie qui frappèrent, notamment au moment de la guerre parthique, des tétradrachmes à l'effigie de Caracalla puis de Macrin ; et ses émissions sont, après celles d'Antioche, de Laodicée et d'Édesse, et à égalité avec celles de Hiérapolis, les plus nombreuses (2). Il est plus intéressant encore de constater avec M. H. Seyrig, que sur les tétradrachmes de Cyrrhus comme sur ceux d'Hiérapolis, d'Édesse et de Carrhes, l'empereur est parfois représenté en armes, avec la lance et le bouclier. Cette représentation est sans doute particulière, ajoute M. H. Seyrig, aux villes des *districts que l'empereur a traversés et où les populations ont justement pu le voir en armes, soit sur le chemin de la guerre, soit plutôt au cours de parades et*

(1) Cf. plus bas, p. 107 sq. On a parfois admis que Cyrrhus avait perdu beaucoup plus tôt au profit d'Hiérapolis son rôle militaire. Ainsi G. TCHALENCO, *Villages antiques de Syrie du Nord*, p. 87, fixe à 72 le moment où la défense de l'Antiochène se déplace vers l'Est, de Cyrrhus vers Hiérapolis — Membig. . Cette date de 72 est celle de l'annexion définitive de la Commagène et M. TCHALENCO suit là l'opinion de Fr. CUMONT, *op. cit.*, p. 224 sq. : La Cilicie orientale et la Commagène avaient été réunies à l'empire, en 72, par Vespasien; Cyrrhus cessait ainsi d'être une place frontière, et il n'était plus nécessaire d'y entretenir une forte garnison pour couvrir Antioche vers le Nord. Cumont avait un autre argument, qu'il ne reproduit pas parce qu'il en a parlé quelques lignes plus haut : le départ de la Xe légion pour la Judée, peu avant 72 ; mais on ignore si cette légion n'a pas été remplacée à Cyrrhus par une autre et il est même assez vraisemblable qu'elle l'ait été. Quant à l'annexion de la Commagène, elle ne pouvait avoir aucune influence réelle sur la stratégie romaine : on a vu (cf. plus haut, p. 99) que la souveraineté rendue par Caligula à Antiochus IV, à tout moment révocable, ne saurait masquer la tutelle exercée par Rome sur le pays. La Commagène état vassal était tout autant sous la coupe de Rome qu'après l'annexion. Si d'autre part on compare l'épigraphie de Cyrrhus à celle d'Hiérapolis, on aboutit, malgré leur égale pauvreté, à des résultats assez suggestifs : pour nous en tenir aux *Inscriptions grecques et latines de la Syrie*, de L. JALABERT et R. MOUTERDE, Hiérapolis a livré un seul texte relatif à un soldat, sur 22 connus, et Cyrrhus 5 sur 16 connus. E. Honigmann, *RE, S. V. Hierapolis* (Suppl. IV) col. 7639, semble admettre que le rôle stratégique d'Hiérapolis ne s'affirma qu'au III^e siècle. Plutôt, donc, que d'admettre, assez gratuitement, une décadence militaire rapide de Cyrrhus, nous préférons adopter les vues exposées par Cumont lui-même dans le premier chapitre de ses *Études Syriennes* (cf. p. 101 n. 3) : pourvu qu'on accepte de lier Cyrrhus au sort de la route Antioche - Zeugma, ces vues conduisent à prolonger de plus d'un siècle sa prépondérance militaire.

(2) Cf. A. R. BELLINGER, *The Syrian Tetradrachms of Caracalla and Macrinus* (Numismatic Studies n. 3) et H. SEYRIG, *Antiquités syriennes, IV* p. 19 sqq. (- Syria, XXVI, 1949, p. 17 sqq.).

d'inspections (1). Il n'est donc pas impossible qu'à l'instar de Trajan, (2) Caracalla soit passé par Cyrrhus dans sa marche contre les Parthes (3); et il est du moins certain que Cyrrhus était encore en 215 — 217 une des principales places militaires de la Syrie du Nord.

Elle n'était d'ailleurs pas seulement une ville forte et la route de Zeugma était aussi une route commerciale. L'intégration de la Syrie à l'Empire et l'équilibre assez stable qui s'était instauré entre Rome et les Parthes avaient donné au commerce entre les deux états une importance considérable. Sans doute une bonne partie du trafic se faisait-elle à partir de Séleucie du Tigre, par le désert, vers Palmyre, et d'autre part, le long de la rive droite de l'Euphrate, par Europos, vers Bérée et Antioche. Mais le rôle de Zeugma est également attesté et ce « pont », le plus important et sans doute souvent le seul qui franchît le fleuve à proximité relative des grands centres de l'ancienne Séleucie et des ports d'exportation, voyait passer, outre les diplomates et les pèlerins à destination d'Hiérapolis, un trafic commercial intense entre la Haute-Mésopotamie et la Syrie (4). Un texte de Strabon nous invite à penser que ce courant ne s'était jamais interrompu, même dans les temps troublés du I^{er} siècle av. J. C. (5); la paix romaine avait dû en accroître singulièrement le volume. Là confluaient, du côté mésopotamien deux grandes pistes caravanières: celle qui longeait la rive gauche de l'Euphrate et celle qui, par Édesse et le désert, descendait plus à l'Est vers la Babylonie (6). Or on a vu que du côté syrien la route de Cyrrhus était la plus commode pour gagner Antioche. Il y avait même, pour des marchands, un avantage certain à trouver, à peu près à mi-chemin, une ville d'étape assez confortable qui fût en même temps une ville absolument sûre — dans une province naguère encore

(1) H. SEYRIG, *loc. cit.*, p. 21.

(2) Cf. plus haut, p. 100

(3) On sait que l'empereur s'avança jusqu'à Arbèles, mais on ignore par quelle route. Cf. H. SEYRIG, *loc. cit.*, p. 20.

(4) Cf. E. HONIGMANN, *R. E.*, s. v. *Syria*, col. 1623 sq. Sur le rôle de Zeugma dans le commerce avec le Moyen Orient, cf. encore E. H. WARMINGTON, *The Commerce between the Roman Empire, and India* p. 1.

(5) STRABON, XVI, 2, 1, prend « le pont de l'Euphrate » comme point de référence géographique dans sa description des limites de la Syrie. Cette expression suggère bien la place privilégiée qu'occupaient peu avant son époque le pont et la ville.

(6) Cf. M. ROSTOVZEFF, *op. cit.*, II, p. 866.

réputée pour ses brigands : rappelons que, jusqu'à la fin du II^e siècle, le désert à l'Est d'Alep n'était pas considéré comme vraiment pacifié (1). Peut-être le désir de garantir la sécurité de la route de Zeugma n'avait-il pas été étranger à l'installation à Cyrrhus de la Xe légion : non seulement la place était, en cas de guerre, facile à défendre, mais c'est d'elle qu'on pouvait le mieux, en temps de paix, contrôler l'ensemble du trafic entre Antioche et l'Euphrate, car elle se trouvait à mi-distance, sur l'artère principale, et à un carrefour important, d'où l'on pouvait rayonner dans toutes les directions. De pareilles conditions durent favoriser, notamment au second siècle, le développement et la prospérité de la ville; sans qu'on puisse établir de parallèle avec les grandes cités caravanières ou les ports exportateurs, le rôle commercial de Cyrrhus ne fut certainement pas négligeable.

Sans doute la fortune d'Hiérapolis dut-elle, dans le domaine commercial comme dans les autres domaines, porter ombrage à Cyrrhus. Mais tous les produits n'avaient pas intérêt à passer par Hiérapolis et ceux de l'Arménie, de la Commagène du Nord et de l'Osrhoène durent, au moins en partie, continuer à emprunter la route de Zeugma et de Cyrrhus. Ajoutons que la ville n'était pas seulement une étape sur la route d'Antioche; elle constituait un nœud d'où divergeaient six routes connues soit par l'Itinéraire d'Antonin et la Table de Peutinger, soit par les vestiges archéologiques : Cyrrhus — Nicopolis au Nord-Ouest vers la Cilicie, Cyrrhus-Germanicia au Nord, Cyrrhus-Doliché et Cyrrhus-Giliza-Zeugma au Nord-Est, Cyrrhus-Bérée au Sud-Est et enfin au Sud, Sud-Ouest les routes Cyrrhus-Apamée et Cyrrhus-Gindarus — Antioche, confondues à leur début (2). Ce fait ne pouvait qu'augmenter l'importance du marché local.

Il faut toutefois reconnaître que, si les conditions historiques et géographiques autorisent à conjecturer pour la ville romaine une certaine activité commerciale, les indices positifs sont beaucoup plus rares que les signes de l'importance militaire de Cyrrhus. Les textes littéraires sont muets — mais il y en a bien peu — et l'on n'a encore trouvé aucune inscription de caractère économique; l'exploration, il est vrai, n'en est qu'à ses débuts et l'on ne possède en tout

(1) Cf. plus haut, p. 101, n. 3

(2) Cf. E. HONIGMANN, *RE*, s. v. *Syria*, col. 1645 sqq. (*Itinerarien und Römerstrassen*), et les cartes de G. TCHALENCO, *op. cit.*, II, pl. XXXVII et XXXIX. — Sur l'existence et l'importance de la route Apamée — Cyrrhus, ignorée jusqu'ici, Ed., *ibid.* I, notamment p. 83 sqq

qu'une trentaine de textes épigraphiques. Peut-être la source principale de prospérité était-elle en réalité l'agriculture, florissante, de nos jours encore, dans la vallée de l'Afrin et sur les pentes des collines du Kurd Dagħ. Quelle qu'en fût l'origine, cette prospérité est attestée par les nombreuses émissions de monnaies qui se sont succédé durant un siècle et demi, de Trajan aux Philippines. La numismatique de Cyrrhus est plus riche, plus continue et s'étend sur une plus longue période que celle de n'importe quelle autre cité de Commagène ou de Cyrrestique, Hiérapolis exceptée — mais non Zeugma ni Bérée (1). Comparées aux émissions du reste de la Syrie du Nord, les siennes ne le cèdent qu'à celles d'Antioche, de Laodicée et, pour l'époque sévérienne, de Séleucie de Piérie (2).

Comme on l'a déjà noté, ces monnaies attestent l'existence d'un culte local de Zeus Kataibatès. Peut-être faut-il, comme l'a proposé M. H. Seyrig, voir dans leur légende le signe que la ville appartenait au dieu et constituait un de ces domaines sacerdotaux dont on connaît maint exemple en Syrie (3). En tout cas, on serait tenté de croire que le dieu reçut peu avant le milieu du III^e siècle une nouvelle demeure, car ce temple figure exclusivement au revers des monnaies des Philippines. Si cette interprétation est correcte, on peut voir dans cette construction un indice de la prospérité de la ville avant la crise du III^e siècle. Il est également significatif qu'au II^e siècle, Cyrrhus ait compté parmi ses citoyens les deux Avidii Heliодorus et Cassius. On ignore les origines lointaines du célèbre rhéteur et philosophe, ami d'Hadrien, qui gouverna l'Égypte sous Antonin (4), mais il est certain qu'il venait de Cyrrhus et que son fils, l'illustre général et le compétiteur malheureux de Marc-Aurèle, était lui-même né à Cyrrhus (5). Leur culture et leur carrière impliquent l'existence d'une bourgeoisie locale d'un niveau assez élevé — et le naturel de toutes les témoignages qui nous les font connaître interdit de les tenir pour des paysans ou des soldats parvenus. L'intimité de Cassius avec l'impératrice Faustine, que Dion Cassius et l'Histoire Auguste entre autres présentent comme une chose naturelle, serait incompréhensible s'il ne s'était agi d'un homme formé comme on pouvait l'être dans une ville de quelque importance (6). Que l'on songe à la

(1) Cf. *Catalogue of the Greek Coins, Galatia, Cappadocia and Syria*, p. 193 sqq.

(2) *Ibid.*, p. 151 sqq.

(3) Cf. H. SEYRIG, *Antiquités syriennes*, III, p. 18, n. 3.

(4) Cf. *Vita Hadriani*, 16, 10.

(5) Cf. *Vita Marci Antonini*, 25, 12.

(6) Cf. *Vita Avidii Cassii*, 7, 1 et *Vita Marci Antonini*, 24, 6 — 8; *DION CASSIUS*, 22, 2 sqq.

figure telle qu'elle nous a été transmise, de Philippe l'Arabe, malgré son succès (1). Au second siècle, les distances eussent été encore plus fortement senties : or il n'a paru inconcevable à personne qu'un homme de Cyrrhus devint empereur. C'est qu'apparemment Cyrrhus était autre chose que la bourgade qui devint plus tard Philippopolis et qu'elle avait retrouvé, et bien au delà, toute sa prospérité de l'époque séleucide. De ce lustre, bientôt perdu, on trouvera un dernier écho dans deux lettres de Libanius qui opposent à la ville des environs de 400 le souvenir de ce qu'elle fut : *Cyrrhus, ville aujourd'hui toute petite, mais autrefois considérable* (2). C'est évidemment à la cité du II^e et du III^e siècles et non à la colonie séleucide que pense Libanius et ses termes confirment assez bien l'idée qu'on peut s'en faire d'après ce qui précède.

Du milieu du III^e à la fin du IV^e siècle :

L'époque des derniers Sévères, capitale pour l'expansion de l'influence syrienne en Occident, fut aussi marquée par un événement très important pour l'histoire de la Syrie : le renversement de la vieille monarchie arsacide par Ardachir et le début de la domination sassanide (227). Dès 231, Ardachir attaquait la Mésopotamie et la Cappadoce, neutralisé bientôt par les campagnes de Sévère Alexandre (3). Mais dix ans plus tard, sous Sapor I^{er}, les Perses reviennent à la charge et s'avancent jusqu'à Antioche. Repoussés par l'armée de Gordien, ils attaquent de nouveau en 252, prennent Antioche (256) et, malgré ses succès, l'empereur (259/260), puis réoccupent le pays. La hardiesse d'Odeinath et la poigne d'Aurélien conjurèrent le péril, mais la Syrie du Nord n'avait pas subi moins de trois invasions et de trois retraites. Il semble qu'elle en ait gravement pâti et Cyrrhus notamment dut être rudement touchée. Nous savons que la ville fut prise par l'armée perse en 256 car Cyrrhus figure dans la première des deux listes de villes contenues dans les *Res gestae Divi Saporis* — groupe d'inscriptions gravées sur les parois de la Ka'ba-i-Zardost, à Naqs-i-Rustam, près de Persépolis (4). Elle ne figure pas dans la seconde liste, mais Rostovze a montré que les deux listes étaient complémentaires, Sapor ne tenant pas à signaler qu'il avait

(1) Cf. *Epit. de Caes.*, 28, 4, dont on a d'ailleurs mis en doute l'exactitude — mais qui prouve du moins que le rang social de la famille impériale ne la mettait pas à l'abri des insinuations désobligeantes.

(2) *LIBANIUS*, lettre 991.

(3) Cf. E. HONIGMANN. *RE*, s. v. *Syria*, col. 1687.

(4) Cf. E. HONIGMANN et A. MARICQ. *Recherches sur les Res gestae Divi Saporis*, p. 10 sqq.

repris des ville déjà nommées, ce qui eût été avouer qu'il les avait perdues (1). Rien n'empêche donc d'admettre et il est au contraire vraisemblable — que la ville a été occupée une seconde fois. Sur les dommages infligés à la Syrie du Nord, il suffit de lire le texte : Sapor se vante d'avoir *brûlé, vidé et conquis* villes et campagnes (2). Sans doute est-ce là avant tout une formule, pleine de jactance barbare, d'ailleurs reprise à peu de chose près pour la campagne de 259/260 ; mais il est difficile de croire que l'invasion fut bénigne quand l'envahisseur rapporte le contraire et quand il présente l'expédition comme punitive et justicière (3).

Après cette mention funeste, le silence tombe sur Cyrrhus. Les dévastations perses n'en sont pas seules responsables : on a vu que la grande voie militaire était dès le III^e siècle celle de Bérée et d'Hiérapolis (4). De plus en plus, Cyrrhus se trouva mise à l'écart par une stratégie aux nécessités plus impérieuses. La menace sarrasine obligea Dioclétien à renforcer les défenses en bordure même du désert « et au Nord - Est » c'est la ligne de l'Euphrate et l'Osrhoène que l'on fortifia : les Perses contraignaient désormais Rome au contact qu'elle avait évité jusque là (5). Cyrrhus perdit de plus en plus son rôle militaire. Sa signification commerciale ne put, elle aussi, que s'amenuiser : la tension qui subsistait entre Perses et Romains, aggravée après Constantin, d'une irréductible opposition religieuse, ralentissait le trafic commercial, d'autant que l'insécurité croissante et la fragmentation de l'empire diminuaient les possibilités d'exportation des ports syriens. D'un autre côté la politique perse en Asie centrale ne favorisait pas non plus les échanges et le Moyen-Orient, la Chine même, étaient à la fin du III^e et au IV^e siècles en proie aux invasions et à de graves crises (6). Il est probable que Cyrrhus quitta rapidement dans les décades suivant l'invasion perse la place privilégiée que lui avaient conférée en Cyrrestique sa position naturelle et l'établissement séleucide, et que lui avait rendue la présence d'une légion romaine.

En tout cas ce déclin était consommé avant le milieu du IV^e siècle, car la nouvelle division territoriale créant la province d'Euphratésie, avec pour capi-

(1) Cf. M. ROSTOVZEFF, *Res gestae Divi Saporis and Dura*, Berytus, VIII, I (1943), p. 30 et p. 40, n. 54.

(2) Cf. E. HONIGMANN et A. MARICQ, *op. cit.*, p. 12.

(3) Id., *ibid.*

(4) Cf. plus haut.

(5) Cf. E. ALBERTINI, *L'Empire romain*, p. 325 sq.

(6) Id., *ibid.*, pp. 276 et 408 sqq.

taie Hiérapolis, est certainement antérieure à 350 (1). Cyrthus y était comprise et achevait ainsi de perdre son ancien rang. La Cyrrestique se trouvait du même coup démembrée (2). Ces transformations, qui s'expliquent avant tout par l'intention de rendre plus aisée la défense de l'Euphrate en rapprochant du fleuve le centre de la province, trahissent aussi l'essor d'Hiérapolis et la décadence de Cyrthus (3). Dans la seconde moitié du siècle, en dehors du passage si formel de Libanius, déjà cité (4), d'autres indices négatifs mais significatifs, confirment cette décadence : la ville n'est mentionnée ni dans le récit de la marche de Constance vers Édesse en 361 ni dans la *Notitia Dignitatum*. Les raids des Perses et des Huns à la fin du siècle (5) et les querelles religieuses, si vives en Syrie du Nord (6), sont-ils eux aussi pour quelque chose dans cette quasi-disparition ? On ne le sait même pas ; mais le vœu de Libanius pour une résurrection de Cyrthus n'est que pieuse rhétorique : lui-même la croit bien morte.

Dans un domaine pourtant s'affirme la permanence de la cité et se trouve préfigurée sa renaissance : on connaît avant 423 quatre évêques de Cyrthus, dont le premier est mentionné en 325 (7). D'autre part, au siècle suivant, les écrits de Théodoret mentionnent un bon nombre d'ascètes et d'ermites qui ont vécu dans la région de Cyrthus à partir du règne de Valens — soit du dernier tiers du IV^e siècle. Cette affirmation précoce du christianisme est-elle à mettre en rapport, comme on l'a proposé (8), avec le caractère militaire de la ville ? C'est possible même si ce caractère s'est effacé dès le III^e siècle : une tradition avait pu se créer assez tôt et demeurer un certain temps obscure. En tout cas elle s'affirme au grand jour au IV^e siècle et la continuité de l'épiscopat est, avec l'essor de la vie érémitique vers la fin du siècle, le seul signe de survie que nous ayons pour cette époque.

(1) Cf. E. HONIGMANN, *RE*, s. v. *Kurrestiké*, col. 193 sq.

(2) La plus grande partie de l'ancienne province était attribuée avec Cyrthus à l'Euphratésie, mais la région d'Alep, la plus fertile, demeurait en Coelésyrie.

(3) Cf. E. HONIGMANN, *RE*, s. v. *Kurros*, col. 200.

(4) Cf. plus haut, p. 106.

(5) Cf. E. HONIGMANN, *RE*, s. v. *Syria*, col. 1700.

(6) Théodoret en donne un écho au siècle suivant.

(7) Sirikios, mentionné encore en 329 ; on a encore gardé la trace de l'Arien Augaros en 359, d'Astérios sous Valens et d'Isidore en 381. C'est en 423 que Théodoret serait devenu évêque de Cyrthus.

(8) Cf. E. HONIGMANN, *RE*, s. v. *Kurros*, col. 200.

C Cyrrhus à l'époque byzantine (début du Ve siècle — 637) :

Avec le Ve siècle, on aborde la période la moins mal connue de l'histoire de Cyrrhus, la seule du moins où des textes assez consistants prennent la ville comme centre d'intérêt. C'est que Théodoret a consacré de longs développements à l'histoire religieuse et ecclésiastique de son diocèse (1). Cyrrhus apparaît là comme la centre naturel de toute une région, comme le point de référence, vite familier, auquel on revient toujours. Mais le caractère de l'œuvre restreint la portée de cette familiarité : s'il mentionne souvent la ville, Théodoret ne nous renseigne que sur un seul aspect de sa vie, celui qui touche au développement du christianisme et spécialement du monachisme. Cet aspect est certes fort important ; même si l'on fait la part de l'intérêt personnel que porte l'évêque à son diocèse, il paraît bien que le christianisme sous ses diverses formes y a connu, à la fin du IV^e et dans la première moitié du Ve siècles, un développement remarquablement intense (2). Le nombre des saints personnages, leur célébrité, l'enthousiasme et les prises de position du peuple, le nombre des édifices et des pèlerinages mentionnés l'attestent. Mais en dehors du domaine religieux les renseignements sont rares et souffrent toujours du manque de points de comparaison : à lire Théodoret, on en vient insensiblement à prendre Cyrrhus pour un centre important, mais cette impression, faute de références possibles, n'est guère positive. D'ailleurs l'évêque lui-même nous avertit qu'il l'a trouvée presque ruinée ; mais il ne parle qu'en passant des travaux qu'il y a fait faire et si ces renseignements sont précieux, ils ne permettent pas néanmoins de se faire une idée complète de la ville ni de soupçonner ce qu'étaient ses activités ou ses liens avec le monde extérieur. C'est donc comme des documents bruts qu'il faut traiter les textes de Théodoret : pour qui cherche à retracer l'histoire de Cyrrhus, il n'est rien moins qu'un historien. Ajoutons que ses textes ne nous renseignent que sur une période assez courte du IV^e et du Ve siècles. Postérieurement d'autres sources et les conditions historiques générales invitent à considérer qu'une nouvelle période s'ouvre pour Cyrrhus vers l'avènement de Justinien.

Cyrrhus avant Justinien (400 — 527) :

C'est, semble-t-il, en 423 que Théodoret occupa le siège, qu'il devait

(1) Cf. *Lettres* 32, 42, 81 113, 114, etc. , *Histoire ecclésiastique*, 11, 803, V. 1020. *Histoire religieuse*, *passim*.

(2) Cf. S. SCHIWETZ, *Das morgenländische Mönchtum*, III, p. 238 *eqq.*

garder une trentaine d'années, et l'on connaît encore deux autres évêques de Cyrrhus avant Justinien, Johannes I en 478 et Sergios I avant 518 — date à laquelle il fut chassé. L'importance relative de Cyrrhus se marque par deux faits : les conditions historiques générales invitent à considérer qu'une nouvelles période s'ouvre pour Cyrrhus vers l'avènement de Justinien.

Cyrrhus avant Justinien (400 — 527) :

C'est, semble-t-il, en 423 que Théodoret occupa le siège, qu'il devait garder une trentaine d'années, et l'on connaît encore deux autres évêques de Cyrrhus avant Justinien. Johannes I en 478 et Sergios I avant 518 — date à laquelle il fut chassé. L'importance relative de Cyrrhus se marque par deux faits : un synode s'y tint, vers 480 (1) et d'autre part la ville devint à une époque difficile à déterminer mais peut-être antérieure à Justinien « métropole autonome » (2). Le témoignage de Théodoret atteste, pour son temps et pour la génération antérieure, une fièvre intense de vocations monastiques, d'après controverses, avec une participation de tout le peuple au développement du christianisme. Théodoret sent bien la différence d'ampleur entre ce petit centre [et Antioche, par exemple, mais il s'attache à montrer comment une tradition s'était créée et comment les saints ermites se formaient, s'éclairaient et se reconfortaient les uns les autres. Ailleurs il qualifie la région de Cyrrhus de véritable paradis — grâce à la floraison de vertus qu'y a suscitée l'exemple de Maron (3). De Cyrrhus même ou de la région toute proche sont originaires Markianos, célèbre moine du désert de Chalcis et Abraames (4). cependant que plusieurs autres s'installent au voisinage immédiat de la ville : Maron lui-même très vraisemblablement, Maris, Thalassius, Jacobus, etc. . . Au moment où Théodoret écrit son histoire, les ermites sont nombreux dans son diocèse et il y a même parmi eux une femme, Domnina. Pour tous la ville fait figure de centre et à côté d'elle ne sont mentionnés (5) que des villages ; même Gindarus, pourtant dotée d'un évêque, est simplement qualifiée *gros bourg dépendant d'Antioche* (6), alors que Cyrrhus a dans son ressort huit-cents paroisses, sur un territoire de quarante mille de long et d'autant de large Théodoret men-

(1) Cf. HEFELE, *Conciliengeschichte*, II, p. 602.

(2) Cf. E. HONIGMANN, *RE*, s. v. *Kärros*, col. 200.

(3) THÉODORET, *Histoire religieuse* ; 1223.

(4) Id. , 1136 et 1224.

(5) Id. , *ibid.* , 1126 B.

(6) Id. , lettres 42 et 113.

tionne plusieurs bâtiments religieux dans Cyrrhus même : basilique des Saints Côme et Demien, chapelle des apôtres, chapelle des prophètes et cloître voisin et autour de Cyrrhus : chapelle bâtie dans un village voisin, monument funéraire de Jacobus, chapelle de Marcianus, chapelle de Maron, etc. . . (84) Sur la population de Cyrrhus il donne aussi quelques indications intéressantes. Dans le récit des interventions populaires avant la mort de Jacobus, il fait intervenir des soldats, ce qui montre que la ville n'avait pas absolument perdu tout rôle militaire. Plus instructives encore sont les allusions à la famille de Marcianus : c'était, dit Théodore, un patricien de Cyrrhus à qui les splendeurs de la cour n'étaient pas étrangères (2). Sa famille apparaît en effet comme riche et considérée ; son neveu Alypius occupe à Cyrrhus la première place et cela semble impliquer une grande richesse et une position sociale éminente (3). Il y avait donc à Cyrrhus des classes nettement séparées, dont une aristocratie provinciale, susceptible de frayer avec la cour.

Malgré tout cela, Théodore ne cache pas qu'au regard d'Antioche tout est à petite échelle (4) ; surtout, lorsqu'il décrit succinctement les travaux qu'il y a fait effectuer, il est clair que pour lui comme pour Libanius la ville était en déclin. Elle n'avait apparemment pas de bains publics ni d'aqueduc ; or tout cela avait dû exister précédemment de même pour les deux ponts qu'il « construisit » (5).

Au total donc, plus de souvenirs que de réalités actuelles et une situation présente assez humble, que confirme le nouvel agencement des limites territoriales. On se souvient que vers le milieu du IV^e siècle s'était créée la pro-

(1) Cf. *THEODORET, Sinodic. adv. I enaei tragœd.*, Migne G. LXXXIV 747 et les textes de l'*Histoire religieuse* relatifs à Jacobus, Markianos, etc. . . Cf. aussi S.

S. SCHIWETZ, *op. cit.*, pp. 243 et 250.

(2) *THEODORET, Histoire religieuse*, 1136 sqq.

(3) Marcianus reproche à sa sœur et à son neveu, qui viennent à sa rencontre pour lui offrir l'hospitalité, de ne pas avoir fait don de leurs richesses à quelque monastère (*Histoire religieuse* 1145).

(4) *THEODORET, Histoire religieuse*, 1216.

(5) *THEODORET, Lettres* 81 : *J'élevai des portiques publics, payés par les revenus de l'église ; je construisis deux très grands ponts et pris soin d'établir des bains publics. A mon arrivée, la ville n'était pas en eau approvisionnée ; je fis installer une conduite à partir de la rivière qui coule auprès d'elle la cité privée d'eau en eut en abondance.*

vince d'Euphratésie ; or la frontière entre cette province et la Syrie première coupait Cyrrhus d'une partie de sa région naturelle. L'ancienne Cyrrestique était divisée en deux : alors que Cyrrhus dépendait d'Hiérapolis, avec la plus grande part du pays, le Sud-Est demeurait en Syrie première (6) ; ainsi se trouvait consacrée la croissance de Bérée, devenu le centre de cette nouvelle Cyrrestique qui, seule, continuait à porter le nom. De même à l'Ouest, certaines régions avaient dû être rattachées à Antioche : ainsi Gindarus selon Théodoret (93).

Ce partage aboutissait à isoler Cyrrhus — avec son « territoire » proche, bien distinct de la Cyrrestique (95) — dans une position excentrique en Euphratésis-même relativement prospère, la ville n'est plus le centre provincial important des premiers siècles, pourvu d'une forte garnison, mais le chef-lieu d'un petit canton périphérique isolé et sans doute à peu près désarmée au milieu du cloisonnement général. Du reste le développement des hérésies et leurs luttes intestines constituaient un grave obstacle au relèvement de la cité ; c'est l'aspect négatif de son histoire religieuse. Théodoret se vante d'avoir défendu son diocèse contre les Ariens, les Manichéens, les Marcionites, etc... Lui-même baptisa 10.000 Marcionites ; les prières de Julianus firent mourir un évêque hérétique ; peu avant Justinien, une prédication monophysite, celle de Sévère d'Antioche (513/514) rencontra un grand succès à Cyrrhus. On devine sans peine tout ce qu'une pareille effervescence comportait de violences, de désordres et d'entraves à un développement normal. L'invasion étrangère avait beau faire trêve — car le Ve siècle fut assez calme du côté perse et les Sarrasins victorieusement repoussés (96) — : les luttes religieuses accaparaient ou entravaient l'activité de la population et faisaient régner un climat défavorable.

Cyrrhus de Justinien à la conquête arabe (527 — 637) :

La restauration de l'autorité impériale et la stabilisation de l'empire sous Justinien ont-elles permis à Cyrrhus de se relever ? En dehors des témoignages archéologiques, sur lesquels on reviendra, nous avons la chance de pos-

(1) Cf. E. HONIGMANN, *RE*, s. v. *Kurrestiké*, col. 194 sqq.

(2) Qui qualifie Gindarus de *gros bourg rangé sous la dépendance d'Antioche* (*Histoire religieuse*, 1126).

(3) La région de Cyrrhus est d'ordinaire désignée par une périphase, telle que le *district de Cyrrestiens* (*Kurestôn énoría*), mais jamais par le nom de Cyrrestique.

(4) Cf. E. HONIGMANN, *RE* s. v. *Syria* col. 1702 et G. OSTROGORSKY, *Geschichte des byzantinischen Staates*, p. 31.

séder un texte du plus précieux historien de Justinien : Procope en effet consacre à Cyrrhus un paragraphe du *Du aedificiis*. Comme Libanios et plus nettement que Théodoret il insiste d'abord sur la décadence : à l'avènement de Justinien, Cyrrhus n'était plus selon lui qu'une très petite cité (1). Il peut y avoir là quelque exagération, car Procope cherche à mettre en valeur l'œuvre de Justinien et il donne sur Cyrrhus d'autres renseignements assez fantaisistes pour qu'on hésite à la croire sur parole (2) — mais il s'agit ici d'une constatation très positive, non d'une hypothèque étymologique et cette constatation correspond assez bien à ce qu'on pouvait attendre, même après le gouvernement de Théodoret.

Or Justinien à une date que nous essaierons de préciser fortifia la ville, la munit d'une garnison, y construisit de grandioses édifices publics, un aqueduc, bref l'orna de toutes les manières (3). Beaucoup plus que d'honorer Saint Côme et Saint Damien, il s'agissait pour lui — c'est la seconde raison alléguée par Procope — de *prendre soin de l'état*. Cyrrhus a donc retrouvé dans l'essai d'affermissement général de l'empire, une valeur stratégique ; redevenue une ville militaire, elle a construit de nouveaux édifices. Il n'est pas absolument impossible que Procope ait attribué à Justinien quelques travaux accomplis par Théodoret, mais cela n'entame pas, pour l'essentiel, la valeur de son témoignage. On en trouve une confirmation sur le site, non seulement dans certains monuments qui semblent bien, en effet, dater du VI^e siècle (4), mais surtout dans les acclamations qui de part et d'autre de la porte Nord/Est de l'enceinte de l'acropole, mentionnent Justinien, Théadora et Bélisaire (5).

Une renaissance militaire et municipale ne put que favoriser la fortune religieuse de la ville. C'est sans doute sous le règne de Justinien qu'elle accéda au rang de métropole (6) et qu'elle changea son nom pour celui d'Ha-

(1) PROCOPE *De aedificiis*, II, II.

(2) Cf. plus haut, p.

(3) PROCOPE s'étend surtout, avec complaisance, sur l'aqueduc, mais mentionne également l'importance des édifices et l'extrême magnificence de toutes les installations. Ce sont là des termes vagues et qui désignent peut-être parfois des embellissements ou des réfections plutôt que des constructions absolument nouvelles, mais qui trahissent néanmoins un renouveau sous Justinien.

(4) Notamment les deux basiliques. Cf. plus bas, p. et p.

(5) Cf. L. JALABERT et R. MOUTERDE, *Inscriptions grecques et latines de la Syrie*, I, p. 90, no. 145 — 147.

(6) Cf. plus haut, p.

giopolis, en raison des nombreuses sépultures de saints qu'elle possédait — celles notamment des Saints Côme et Damien. Si l'on ne connaît guère ses évêques sous Justinien ou après lui deux seulement, en 536 et 629 on sait qu'elle ne cessa d'être fréquentée par les pèlerins, jusqu'à la conquête arabe et même probablement au delà.

Quelle put être l'ampleur de ce réveil et dans quel ensemble de circonstances faut-il replacer le témoignage de Procope et les confirmations qu'il rencontre ? Le VI^e siècle a-t-il vraiment refait de Cyrrhus — Hagiopolis ce qu'elle avait été ? Un premier point semble certain : cette renaissance ne put se doubler d'une reprise commerciale. Le trafic avec l'Est demeurait mince : les efforts de Justinien pour se créer sa propre « route de la soie » et le développement de la production byzantine de soie (1) indiquent suffisamment que le moment n'était pas à l'accroissement des échanges. Plutôt que le résultat d'une politique délibérément choisie, cette antarcie était la conséquence des guerres avec les Perses et des conditions générales du Moyen Orient. A l'inverse du précédent, le VI^e siècle, ou plus exactement la période qui va de l'avènement de Justinien à la victoire d'Héraclius (628), fut celui des grandes guerres perso-byzantines. Aucun autre, dans l'histoire de Rome ou de Byzance, ne vit sur la frontière orientale de luttes aussi longues, de raids aussi profonds, de déportations et de sacres aussi considérables. Non seulement donc la restauration de Cyrrhus ne se doubla pas d'une reprise commerciale, mais il est très probable que la ville ne profita pas longtemps de son renouveau, surtout à la date que nous croyons pouvoir assigner à ce dernier.

Sous Anastase déjà, des Arabes clients du roi de Perse Kavahd avaient franchi l'Euphrate, mais pour peu de temps et apparemment sans grand danger pour la Cyrrestique (503) : la guerre s'était jouée surtout en Mésopotamie. C'est là encore et en Arménie, avec toutefois deux raids des Arabes et des Huns Sabires sur Antioche, en 529 et 531 (2), que se déroula surtout la guerre qui marqua le début du règne de Justinien (528 — 532). La « paix éternelle » signée en 532 entra en vigueur en 533 et c'est probablement dans ses premières années que se plaça la fortification de Cyrrhus. Elle entraînait dans un vaste programme oriental qui tenait compte des nouvelles nécessités stratégiques : l'insuffisance des effectifs et la mobilité des irréguliers arabes et huns obligeaient à fortifier un grand nombre de places, non seulement sur les con-

(1) Cf. A. A. VASILIEV, *Histoire de l'Empire byzantin*, I, p. 213 sqq.

(2) Cf. E. HONIGMANN, *RE*, s. v. *Syria*, col. 1714 sq.

fins mais aussi à l'intérieur. Les précautions de Justinien étaient sages car la paix « perpétuelle » fut rompue par Chosroès dès 540, mais elles se révélèrent inopérantes en Syrie du Nord : après avoir réduit Bérée en cendres, l'invasion perse prit et saccagea aussi Antioche (juin 540) (1). On ne sait rien du sort de Cyrrhus pendant cette campagne, mais on peut l'imaginer. Vingt années s'écoulèrent encore avant que fût conclue, en 562, une paix de 50 ans (2). Elle ne dura pas au delà de 572 et ce fut, jusqu'en 591, la plus longue (3) des guerres d'Orient au VI^e siècle. Antioche et tout ce qui était au Nord-Est eurent encore une fois à souffrir — notamment en 574, lors du raid d'Adarmahan. L'accalmie qui succéda à la restauration de Chosroès II prit fin quand, en 602, l'empereur Maurice fut assassiné et le début du VII^e siècle connut de nouvelles dévastations et surtout, malgré les succès d'Héraclius, une occupation prolongée du pays (4). La Syrie du Nord fut tenue vingt ans par les Perses (608 — 628) et, la paix à peine signée (630) — une paix pleinement victorieuse pour Byzance —, ce fut l'attaque islamique. En 636, la bataille d'Al-Gabija décida du sort de la Syrie et, l'année suivante, an 16 de l'Hégire, les cavaliers d'Abu Ubaidah s'emparèrent de Cyrrhus.

Dans ces conditions, la renaissance de Cyrrhus comme place byzantine ne fut ni décisive ni bien durable. Quelle qu'ait été la fortune militaire de la ville, les conditions du moment ne pouvaient pas lui permettre un développement considérable : non seulement elle put fort bien être saccagée fort peu après sa restauration, notamment en 540 ou en 574, mais de toute manière, privée de signification commerciale, située dans une zone toujours occupée ou menacée de l'être, où la vie demeura précaire pendant des décades, elle n'était pas non plus une place de premier rang. Cyrrhus s'est probablement contentée de survivre tant bien que mal, tirant son renom de ses précieuses reliques plutôt que de son développement actuel. Quand, sous la domination islamique, ce prestige religieux s'effacera à son tour, le déclin se précipitera. Mais il était irrémédiable depuis le jour lointain où Cyrrhus, au III^e ou au IV^e siècle, s'était trouvée dépossédée à la fois de son rôle de centre provincial et de camp retranché de la Cyrrestique et privée du trafic commercial qui, dans les temps de sécurité, avait contribué à l'enrichir. Et Procope,

(1) Id., *ibid.*, col. 1715 et G. OSTROGORSKY, *op. cit.*, p. 44.

(2) Cf. A. A. VASILIEV, *op. cit.*, p. 182.

(3) Id., *ibid.*, p. 221 sqq. et P. GOUBERT, *Byzance avant l'Islam*, I, p. 63 sqq.

(4) Cf. A. A. VASILIEV, *op. cit.*, p. 257 sqq.

qui nous semble naïf quand il allègue la piété de Justinien pour expliquer la restauration de la ville, avait pourtant raison d'attirer par là notre attention sur la fonction avant tout religieuse de la nouvelle Hagiopolis : plus que les vues stratégiques de l'empereur, ce sont sans doute les églises et les reliques de la ville qui apportèrent pour un siècle un correctif à la constatation attristée de Libanius. Déjà réel au temps de Théodoret, ce prestige, comme le suggère le changement de nom, a dû atteindre son maximum au VI^e siècle — et profiter d'ailleurs de l'éphémère réveil sous Justinien.

D Cyrrhus après la conquête arabe (637) :

Les circonstances de la prise de Cyrrhus par les Arabes nous sont assez bien connues (1), notamment par le récit de Baladuri (2). C'est un certain Iyad qu'Abu Ubaidah avait envoyé à la tête de l'avant-garde contre la ville. Un moine se présenta en plénipotentiaire, l'accord se fit et la population eut la vit sauve. Qurus (3) devint dès lors une forteresse arabe et reçut d'abord chaque été un détachement venu d'Antioche (4), puis, à titre permanent, une fraction des troupes du ressort de cette ville. Baladuri ajoute qu'un fort de Qurus reçut le nom de Salman, officier renommé qui l'aurait occupé ou du moins aurait campé au voisinage (5). La destination militaire de la ville fut confirmée sous Haroun al Rachid, qui sépara du district de Qinnasrin un certain nombre de villes, dont Qurus, et les groupa en une province militaire, le *Djound* des *Awassim* (6). Vers le milieu du IX^e siècle, Ibn Hurdadbi nomme Qurus parmi les places fortifiées de la frontière syrienne (7).

C'est au début du Xe siècle, soit près de 300 ans après la conquête, que les Byzantins, en 905, reprirent la ville. Andronic, après des combats sanglants, brûla la mosquée et fit prisonniers les habitants, qu'il déporta (8). Qurus

(1) Je remercie vivement ici D. et J. Sourdel — Thomine, dont le concours amical m'a permis d'utiliser les sources arabes concernant l'histoire de Cyrrhus.

(2) BALADURI, 149.

(3) C'est la forme arabe du nom ; la forme arménienne est Guris. Un souvenir du nom antique demeure dans celui que porte actuellement le village de Cheikh Khoros, voisin du site.

(4) Cf. BALADURI, loc. cit. : Chaque année y venait un détachement d'Antioche avec des hommes prêts au combat.

(5) BALADURI se fait sur lui l'écho de deux traditions : selon la première, c'est au moment de la conquête que Salman ibn Rabi'ah aurait campé près du fort ; selon l'autre, c'est plus tard, avant d'entreprendre une expédition contre l'Arménie.

(6) Cf. BALADURI, 132.

(7) IBN HURDADBIH in BGA, VI, p. 70 — 72, cité par E. HONIGMANN, *Die Ostgrenze des byzantinischen Reiches*, p. 42 sq.

(8) Cf. IBN AL ATHIR, VII, 378 ; TABARI, III, 2298

n'en fut pas pour autant rayée de la carte : l'empereur Romain Argyre s'y réfugia en 1030 lors de la retraite malheureuse qui lui fit quitter la région d'Azaz (1) et le nom de la ville apparaît à mainte reprise chez les historiens arméniens et latins des Croisades. C'est par rapport à Guris que Matthieu d'Édesse situe les états du prince arménien Pakrad (Pancrace), qui fut ruiné vers 1118 par Baudouin (2); il rapporte encore comment, dans la lutte contre les Perses en 1125 — 1126, le roi de Jérusalem laissa ses bagages en sûreté à Guris, où il s'était d'abord établi, pour se porter au devant de l'adversaire près d'Azaz (3). Lors de l'organisation du patriarcat latin d'Antioche, par Bernard de Valence, élu en 1100, Cyrrhus reçut un évêque, qui semble avoir d'abord dépendu de l'archevêque de Dolichè — Hiérapolis (4), mais apparaît rapidement comme un métropolitite *per se subsistens*. L'évêché de Cyrrhus figure dans l'appendice à la *Chronique du Connétable Sempad* (5) et surtout à plusieurs reprises chez Guillaume de Tyr : dans la liste des métropolitites indépendants et à propos de diverses querelles de personnes (6). Guillaume de Tyr nous apprend en outre que, lors de son mariage, Baudouin d'Édesse donna à son cousin Joscelin de Courtenay, qui était démuné de terres, une partie de son fief, y compris les villes de *Coricium* (Cyrrhus) et *Tulupa* (7). Mais, deux siècles et demi après la reconquête, Cyrrhus revint aux Musulmans : après avoir fait prisonnier Joscelin d'Édesse, Nour ad Din se porta en hâte vers les places que détenait ce prince, parmi lesquelles Ibn al Athir mentionne Qurus, qui tomba en juin 1150 (8). Nour ad Din la donna peu après en fief à l'aventureux prince arménien Mleh qui, à la suite de sa mésentente avec son frère, était entré au service du sultan (9). Guillaume de Tyr se lamente sur le triste sort des églises de ces régions, tombées malgré elles

(1) Cf. E. HONIGMANN, *Die Ostgrenze...*, p. 112, d'après KAMAL AD DINE.

(2) MATTHIEU D'ÉDESSE, LXXIV (HAC, I, p. 117).

(3) Id., XCVII (HAC, I, p. 143).

(4) Cf. Cl. CAHEN, *La Syrie du Nord à l'époque des Croisades...*, p. 315. On connaît au moins un titulaire du siège, Géraud, mentionné en 1139 et qui mourut en 1152, après la reconquête musulmane (Id., *ibid.*, p. 322).

(5) HAC, I, p. 675.

(6) GUILLAUME DE TYR, XV, 14 et 16, et, dans la liste des prélats du Siège d'Antioche, parmi les *metropolitani per se subsistentes* (H Occ C, I A, p. 1136).

(7) Id., X, 24 (H Occ C, I A, p. 437).

(8) Cf. Cl. CAHEN, *op. cit.*, p. 387.

(9) Cf. *Chronique du royaume de Petite Arménie* (HAC, I, p. 622) et *Extrait de la chronique de Michel le Syrien* (HAC, I, p. 362).

aux mains des infidèles (1).

Au delà du XII^e siècle, on n'entend plus parler de Qurus ni de Guris, si ce n'est par des chroniqueurs qui reproduisent des témoignages plus anciens. On sait par Michel le Syrien que la région connut, en 1140, un tremblement de terre, dont les effets précipitèrent peut-être la décadence de la ville (2). Un passage de Yakut, qui date du début du XIII^e siècle, semble bien indiquer que la ville était à son époque complètement morte (3). Du reste Ibn Chaddad, qui ne parle pas de Mleh l'Arménien, précise que Nour ad Din ruina Qurus (4). Il semble bien en effet qu'il ait du moins donné l'ordre de la démanteler, comme une place indéfendable, en 1159, à un moment où les Arabes craignaient un retour offensif des Francs (5). M. Honigmann note que par la suite Cyrrhus est passée sous silence en diverses occasions où elle n'eût pas manqué d'être mentionnée si elle avait eu encore un semblant d'existence (6).

Chez les nombreux auteurs qui, du VIII^e ou du IX^e au XII^e et au XIII^e siècles, ont parlé de Qurus, on chercherait en vain des renseignements précis sur la vie de la cité. Les historiens et chroniqueurs arméniens et latins ne s'intéressent qu'à des détails militaires ou ecclésiastiques, en rapport étroit avec les vicissitudes du temps. Les historiens et géographes arabes manifestent une curiosité un peu moins étroite, mais on ne trouve pas, chez eux non plus, grand' chose d'autre que l'affirmation de l'importance militaire de Qurus, avec quelques

(1) GUILLAUME DE TYR, XVII, 17 (H Occ C, I B, p. 789) : ... quorum ecclesiam etiam nunc infidelitas detinet et gentilis superstitio licet invito.

(2) Cf. MICHEL LE SYRIEN, III, 251.

(3) YAKUT, IV, 199, cité par LE STRANGE, *Palestine under the Moslems*, p. 489 : Qurus est une ancienne ville près d'Alep, qui possède auprès d'elle de nombreux restes antiques. Elle est aujourd'hui ruinée, mais il y a là beaucoup de beaux vestiges du passé...

(4) Voici la traduction, inédite, du texte d'IBN CHADDAD, que D. Sourdel a bien voulu me communiquer : *Cyrrhus resta entre les mains des Musulmans jusqu'à sa prise par Joscelin... elle resta entre les mains de Joscelin jusqu'à ce que Nour ad Din en prit possession après avoir tué Joscelin et la ruinât. Et à notre époque son district est une région qui comprend des terres dont le revenu alimente quarante Mamelouks avec leur commandant particulier. A chaque Mamelouk reviennent quatre mille dirhem et au commandant le quart du revenu de l'impôt foncier* (f. 241b) Un autre manuscrit d'IBN CHADDAD donne une précision sur laquelle nous reviendrons : *A Cyrrhus se trouve la tombe d'Uri Ibn Hannan, dans un mausolée situé au Sud de la ville. L'histoire d'Uri avec Daoud (David) est bien connue* (f. 44b).

(5) Cf. Cl. CAHEN, *op. cit.*, p. 403.

(6) E. HONIGMANN, *RE*, s. v. *Kurros*, col. 203.

rappels de sa grandeur passée. Plusieurs auteurs confirment son appartenance aux Awasim et Ibn Haouqal la cite parmi les villes qui lui servent à tracer la frontière septentrionale de la Syrie — ce qui suppose qu'elle avait une certaine importance : *L'une des extrémités de la Syrie va de l'Euphrate par le pont de Manbij à Manbij, puis par Qurus à la frontière de Qinnésrin et les Awasim à la frontière d'Antioche* (1). Mais dès une époque ancienne Qurus passe pour une ville remarquable surtout par ses ruines. Al Harawi mentionne les mausolées de la nécropole Sud-Ouest, qu'il interprète, on ne sait pourquoi, comme la tombe d'Uriya ibn Hannan (2) — on a vu que le nom de Nabi Uri est resté jusqu'aujourd'hui au monument, auquel les lettrés du pays se plaisent à accorder une ancienneté qui correspond à cette légende. Divers auteurs reproduisent l'information d'Al Harawi, qu'ils agrémentent de quelques commentaires. Ibn Chaddad rappelle quelque part que *l'histoire de David et d'Uri est bien connue* (3) et c'est probablement encore lui qui, à la suite d'une citation de Yakoubi, précise que *le prophète David... dirigea une expédition contre la ville de Qurus, où fut tué Uri fils de Hannan* (4). Yakut mentionne également le tombeau et ajoute : *Qurus... possède auprès d'elle de nombreux restes antiques*. Mais alors qu'Ab ul Fida la tient encore, d'après des sources périmées, pour *une grande ville et la capitale de son district* (5), Yakut montre clairement que ses vestiges antiques constituent le seul intérêt de la ville : *elle est aujourd'hui ruinée, mais il y a là beaucoup de beaux vestiges du passé* (6). C'est là certainement, plutôt qu'une survie médiocre, ce qui a valu à Qurus sa relative célébrité parmi les auteurs arabes, et il n'est pas de signe plus éloquent de la réputation acquise par la ville morte qu'un passage des *Perles choisies* d'Ibn ach Chihna (7), relatif à la grande mosquée d'Alep : *On dit aussi qu'elle fut construite par Al Walid, car*

(1) IBN HAOUQAL, résumé par EL OMARI, cité par GAUDEFROY-DEMOMBYNES, *La Syrie à l'époque des Mamelouks*, p. 10, n. 1.

(2) AL HARAWI, éd. J. SOURDEL-THOMINE, p. 5 : *A Qal'a Qurus la tombe de Uriya ibn Hannan*. Cf. J. SOURDEL-THOMINE, *Annales Archéologiques de Syrie*, II, 1952, p. 134 sqq.

(3) Cf. plus haut p. 118 n. 4.

(4) YAKOUBI, *Les pays*, éd. G. WIET, p. 230 sq.

(5) Cf. LE STRANGE, *op. cit.* p. 489.

(6) Cf. plus haut, p. 118, n. 3. On connaît une seule monnaie musulmane de Qurus, un *fals* cité par J. G. STICKEL, *Das grossherzogliche orientalische Münzcabinet (Handbuch zur morgenländischen Münzkunde II)*, p. 37, no 23.

(7) J. SAUVAGET, « *Les perles choisies* » d'Ibn ach-Chihna, p. 57.

il y fit transporter le matériel de l'église de Cyrrhus, qui était une des merveilles du monde. On dit que l'empereur de Byzance offrit pour trois des colonnes la somme de 70.000 dinars, mais Al Walid refusa.

II L'EXPLORATION ET LES FOUILLES DE CYRRHUS

Délaissé depuis la visite de V. Chapot et celle de Fr. Cumont (1), le site de Cyrrhus a été l'objet depuis 1952 d'une investigation systématique. L'initiative des travaux revient à M. H. Seyrig, Directeur de l'Institut Français d'Archéologie de Beyrouth, à qui l'intérêt du site n'avait pas échappé. Le projet rencontra auprès du Dr S. Abdulhak, Directeur général des Antiquités de Syrie l'accueil le plus compréhensif et une concession d'exploration, puis de fouille, fut accordée par les autorités Syriennes. Avec le concours des architectes W. Forrer, en 1952, et P. Coupel, en 1953, l'auteur de cet article a pu ainsi entreprendre l'exploration du site et l'étude, directe ou précédée d'une fouille, d'un certain nombre de ses monuments (2).

La mission a tout d'abord procédé à un relevé, par visées tachéométriques et par chaînage, des principales ruines, qui a permis d'obtenir une vue claire de la situation de la ville et des grandes lignes de son urbanisme, dans la mesure où elles se laissent percevoir aujourd'hui (pl. I). Le choix de l'emplacement a été sans nul doute déterminé par le confluent de l'Afrin et du Saboun-Souyou, mais la ville ne s'est pas logée entre les deux cours d'eau : la plaine, inondable, ne convenait pas. Mais il existait, sur la rive droite du Saboun-Souyou, protégées par une vaste courbe de la rivière, deux collines escarpées. L'acropole s'est établie sur la plus proche du Saboun-Souyon, qui est aussi la plus basse et la moins vaste ; un ensellement assez marqué la sépare

(1) Les voyages archéologiques du XIX^e siècle ont négligé Cyrrhus et l'on dispose seulement de deux anciennes relations : celles de MAUNDRELL, *A Journey from Aleppo to Jerusalem at Easter A. D. 1697*, p. 210 sq. de l'édition de Londres, 1810, et DRUMMOND, *Travels through Different Cities of Germany... and Several Parts of Asia as far as the Bank of the Euphrates*, Londres, 1754, p. 200 sq. A la fin du siècle dernier, V. CHAPOT a visité le site et l'a décrit sommairement dans *La frontière de l'Euphrate...*, p. 340 sqq. Enfin Fr. CUMONT a consacré à Cyrrhus et à ses environs un chapitre de ses *Etudes Syriennes : Cyrrhus et la route du Nord*, pp. 221-245.

(2) Le relevé topographique a été effectué, en 1952, par W. Forrer avec le concours de MM. A. Salatyán, et N. Partamian, commissaire de la Direction Générale des Antiquités. M. A. Kirichian, commissaire en 1953, a collaboré très activement aux travaux de la mission. A tous, nous exprimons ici notre reconnaissance.

de la seconde. La ville proprement dite, de plan grossièrement triangulaire, s'étend entre cette colline basse et le cours du Saboun-Souyou, de sorte qu'une notable partie du rempart suit la falaise qui domine, parfois de très haut, le lit de la rivière. Au Nord-Ouest et au Sud-Ouest, soit à l'opposite du Saboun-Souyou, s'étendent deux vastes nécropoles.

Les communications de la ville avec l'extérieur se laissent aisément saisir, car trois ponts antiques, dont deux encore en usage et le troisième assez bien conservé quoique effondré au milieu, jalonnent le tracé de la route principale sur laquelle se trouvait la ville. En venant d'Azaz, on traverse en effet l'Afrin, puis le Saboun-Souyou, sur deux ponts byzantins qu'empruntait la route avant de pénétrer par le Sud dans la ville (pl. VII). Au Nord, cette route quittait Cyrrhus et retraversait le Saboun-Souyou sur le pont en partie effondré, avant de gravir en lacets la rive gauche, escarpée, de la rivière (pl. VI, 3-4). Nous avons pu suivre sur une certaine distance au delà du pont le tracé, nettement visible, de la route antique.

L'enceinte de la ville s'est révélée particulièrement intéressante, (1) et tout d'abord par la diversité de ses appareils : un *opus* polygonal, certainement fort ancien, apparaît dans trois secteurs — à la base d'un grand pan du rempart Sud-Ouest de l'acropole, entre cette acropole et la porte Sud, enfin au milieu du rempart oriental, sur la falaise dominant le Saboun-Souyou. Le tracé de la fortification, partout visible même lorsqu'aucune assise n'émerge de l'accumulation des terres, suit sur une moitié de son périmètre l'escarpement naturel de cette falaise. Au Sud-Ouest de la ville, l'acropole constitue à peu près un rectangle dont les côtés Nord-Ouest et Sud-Ouest sont communs avec l'enceinte de la ville, et les faces Nord-Est et Sud-Est propres à la citadelle. A l'intérieur de celle-ci existe encore un ultime réduit, à peu près rectangulaire, dans l'angle Ouest. L'ensemble de l'enceinte, outre de nombreuses tours, de plan tantôt demi-circulaire tantôt rectangulaire, et des poternes, possède au moins cinq portes, dont deux sur l'acropole : une, bien conservée, sur le tracé commun aux deux enceintes, l'autre propre à la citadelle et s'ouvrant au Nord-Est sur la ville basse. Des trois portes de la ville elle-même, l'une regarde le Sud et livre passage à la route qui traverse l'Afrin et le Saboun-Souyou sur les deux ponts conservés ; l'autre, tournée vers l'Est, donne sur la vallée du Saboun-Souyou et la troisième, au Nord, laisse passer la route qui gagne le troisième pont et retraverse le Saboun-Souyou.

(1) Pendant l'impression du présent article, M. D. Van Berchem vient de faire connaître, dans ses *Recherches sur la chronologie des enceintes de Syrie et de Mésopotamie*, Syria, XXXI, 1954 3-4, p. 254 sqq., les observations que lui a suggérées une visite à Cyrrhus.

Le plan de la ville, qui se laisse assez bien deviner malgré les destructions, suit un quadrillage rectangulaire dont l'axe principal, une large voie bordée de portiques et conservée en un bon nombre de points, semble aller de la porte Sud à la porte Nord, suivant donc la grande ligne de communication qui traverse toute la ville (cf. pl. I).

Le monument qui attire le plus l'attention, et dont les murs sont conservés jusqu'à une hauteur de 3 m., est un vaste rectangle parallèle à la colonnade et s'adossant à l'Ouest à l'enceinte. Ses faces Sud et Est, les mieux conservées, comportent chacune une entrée monumentale, flanquée de tours rectangulaires couronnées d'une corniche; d'autres tours existent aux deux angles tournés vers l'intérieur de la ville. Au milieu de l'espace ainsi délimité, on distingue le plan, conservé seulement au niveau de l'assise de réglage, d'une église à trois nefs, dotée à l'Ouest d'un *nartex* à six colonnes cannelées — de remploi —; à l'Est se dessine une abside semi-circulaire flanquée de deux sacristies carrées. Des fragments de mosaïque en place, mais non figurée, ont été dégagés. L'ensemble ainsi découvert interdit d'interpréter la place rectangulaire comme une *agora*, ainsi que l'avaient fait Chapot et Cumont (1). Sur la face Nord du rectangle, où rien n'était visible, nous avons retrouvé l'alignement, qui comporte lui aussi les vestiges d'une entrée; en un point le sommet d'une voûte s'insère dans cet alignement: il s'agit sans doute d'une canalisation.

Contigues à la colonnade, mais sur sa rive Est, au Nord-Est de l'ensemble qui vient d'être décrit, deux rangées de quatre piliers rectangulaires et l'assise inférieure du mur latéral Nord avec les seuils en place sont les vestiges d'une importante basilique. L'emplacement de l'abside est recouvert de terre, mais, 35 mètres à l'Est des derniers piliers conservés, on trouve les assises inférieures de trois absidioles dissymétriques entre elles. Au sud de l'espace qui s'étend entre ces absides et la partie Est de la basilique, un ensemble complexe, avec de nombreux seuils, s'appuie à l'Est et au Sud sur un mur important, qui domine une forte dépression de terrain - d'ailleurs elle aussi habitée. A une trentaine de mètres à l'Est du «bâtiment aux absides», une rue Nord-Sud conduisait à un carrefour, centre d'importants vestiges, parmi lesquels plusieurs salles se distinguent aisément et où certains éléments sont enfouis sous de fortes accumulations de terre.

Dans l'alignement de la façade Sud de la l'«*agora*», le sol du grand *cardo*

(1) V. CHAPOT, *op. cit.*, p. 341; Fr. CUMONT, *op. cit.*, p. 234.

subit un décrochement de deux mètres ; au début du tronçon bas se produit le croisement avec un important *decumanus*, sur lequel donne la face Sud de l'*agora*. Vers le Sud, le *cardo* forme boulevard et domine une pente très raide qui descend vers le fleuve ; une rue Est-Ouest, qui devait presque certainement comporter des escaliers, suit cette pente quelque 100 mètres après le carrefour précédent, entre deux alignements de vestiges très ruinés.



A une soixantaine de mètres de la colonnade, adossé à la colline de l'acropole et tourné presque exactement vers l'Est, le théâtre est certainement le monument le plus ancien dont une partie fût directement visible. Il est entouré de vestiges de constructions assez difficiles à identifier, dont une salle voûtée à plusieurs entrées, — mais qui n'ont probablement pas de rapports avec lui. Dès 1952, des nettoyages avaient montré que le *proscenium* les *parascaenia* et et les entrées latérales ou *parodoi* étaient assez bien conservés. Mais la campagne de 1953, qui avait pour but le dégagement systématique du monument, devait s'attaquer d'abord à la *cavea*, (pl. II. pl. III, 1).

Or celle-ci s'est avérée en bien meilleur état que les observations faites l'année précédente ne pouvaient le laisser prévoir. Certes la partie supérieure du *maenianum* conservé n'a pas gardé les bancs de pierre sur lesquels s'asseyaient les spectateurs : ces bancs ont été pillés au cours des siècles ou ont tout simplement glissé le long de la pente, comme en témoignent les sièges retrouvés d'une part dans la pseudo-*agora* et d'autre part dans la partie basse du théâtre. Mais là où les sièges ont disparu, leurs soubassements sont demeurés : car on ne posait pas la pierre à même le sol, mais sur des gradins construits qui constituaient une base stable. A Cyrrhus, ces soubassements sont remarquablement bien conservés. Ils ont été bâtis selon deux techniques différentes : dans la partie centrale, où la pente naturelle donnait déjà un solide soutien, on s'est contenté d'un médiocre blocage ; mais aux deux extrémités de l'hémicycle, où il avait fallu remblayer pour compléter la pente, le soubassement n'est plus de petit blocage irrégulier, mais de blocs de calcaire tendre bien taillés, assez volumineux et fort bien joints. Le *maenianum* comporte 24 rangs, ce qui est considérable.

Au dessus du dernier rang une galerie plus large que les gradins (environ 1m.20) fait le tour du théâtre. Sur une faible distance, elle est encore bordée à l'extérieur par la partie inférieure d'un abrupt (pl. IV, 4) qui la séparait du second *maenianum*, dont les gradins ont tous disparu. Reste-t-il du moins quelque trace des substructions ? La suite des fouilles l'apprendra. Quoi qu'il en soit, la destination de la galerie supérieure n'est pas douteuse : il s'agit d'une *précinctio* permettant le

passage des spectateurs et leur répartition dans tous les *cunei*. Le fait qu'il n'existe de précinction qu'au sommet d'un très important *maenianum* est déjà intéressant. Mais le dispositif offre un détail plus rare : sous le dallage — non conservé — de la précinction passaient des canalisations de terre cuite, destinées à approvisionner le théâtre en eau (pl. IV, 3 — 4). Ces canalisations, en parfait état, existent encor sur une bonne partie de leur trajet. Elles débouchent face à trois escaliers rayonnants et c'est dans ces escaliers que devait s'écouler leur eau. Elles partent toutes du même endroit : un distributeur situé au centre même de l'hémicycle et constitué par un gros bloc de pierre de forme cubique. L'eau arrivait derrière le théâtre et devait descendre par une canalisation souterraine à flanc de colline ; de cette canalisation on ne connaît encore que le débouché dans le distributeur — ménagé de telle sorte que l'eau pût se décanter au fond du cube de pierre.

C'est certainement à l'avant de la précinction qu'il faut placer les sièges à dossier, dont plusieurs sont demeurés visibles au théâtre même ou dans d'autres monuments de la ville, où leur bel aspect les avait fait réemployer. Ces sièges sont ornés, au voisinage des escaliers rayonnants, d'accoudoirs figurant des dauphins et posant sur le gradin intérieur par des pieds en forme de pattes de lion. Plusieurs de ces sièges portent gravé, au sommet du dossier, le nom du personnage qui l'occupait. C'étaient évidemment des places privilégiées.

La *précinction*, conservée au centre de l'hémicycle, ne l'est pas aux extrémités. Au Sud, la dégradation de l'édifice fait qu'on arrive très vite à un niveau nettement inférieur à celui de la précinction : on distingue seulement des substructions de blocage très grossier, séparées par un mur de gros appareil qui suit la courbe du théâtre — et justement sous l'emplacement de la précinction. Au Nord, la conservation du blocage est meilleure, alors que le mur a été démonté jusqu'à son assise de fondation, qui descend du centre de l'hémicycle à la *parodos* par une série de décrochements. Il en résulte une sorte d'étroit couloir artificiel prolongeant la précinction entre deux parois de blocage — qui n'ont évidemment pas de parement puisqu'existait entre elles, sans solution de continuité, le mur de gros appareil. Cette trouée met en évidence la grande hauteur de blocage rendue nécessaire par la configuration du terrain : la pente naturelle est forte, mais droite et non en fer à cheval. La poussée devait être considérable : d'où l'épaisseur du mur.

Le nombre des rangs de gradins conservés *in situ* varie suivant les régions de l'édifice. Au centre il est de 14 — et c'est le maximum (pl. I, 3) ; dans ce secteur le nombre de rangs de soubassement sans siège conservé est de 10, sièges à dossier non compris. Le profil des gradins est sobre et soigné. Les

escaliers rayonnants (pl. IV, 1 - 2) sont exceptionnellement nombreux : 12 et peut-être même 14, ce qui est à rapprocher de l'étendue du *maenianum*. Près de certains escaliers, des rangées verticales de cavités rectangulaires ménagées dans les gradins font penser qu'on avait pu installer des rampes amovibles de bois.

Le dernier gradin proprement dit est suivi, en bas, d'un passage un peu plus large, sorte de *précinctio* basse, qui domine l'orchestre de plus d'un mètre. En correspondance avec chaque escalier rayonnant, ce passage bas est traversé par de petits escaliers qui descendent jusqu'au niveau de l'orchestre ; les deux marches inférieures de ces petits escaliers débordent sur l'orchestre (pl. IV, 1).

Jusqu'ici ce dernier n'a pu être exploré qu'en partie (pl. III, 1). Non seulement l'épaisseur des terres à enlever était considérable — jusqu'à 4 m. 50 —, mais l'orchestre, eomme la partie basse de la *cavea*, avait fait l'objet d'une réutilisation à l'époque arabe et peut-être déjà byzantine; la nécessité de conserver ou de démonter avec précaution des murs ou un dallage ralentissait la fouille. (cf. pl. VI, 2). En outre, la terre accumulée dans l'orchestre était truffée d'éléments venus aussi bien de la *cavea* (sièges, ordinaires ou à dossier, marches d'escalier) que du mur de scène. Les seconds sont naturellement les plus intéressants ; un grand nombre de pièces d'architecture, intactes ou plus souvent fragmentaires, ont été dégagées et, pour une part, transportées au Musée d'Alep. Cette récolte est fort utile pour la restitution de la *frons scaenae* : bases, colonnes, chapiteaux, architraves, frises, corniches, tout est représenté, et toujours à plusieurs exemplaires (pl. II). Dans l'orchestre encore a été dégagé un monument assez énigmatique : il s'agit d'une base ou d'un autel, de section hexagonale et dont les six faces sont ornées de bustes — quatre d'hommes et deux de femmes — qui ont malheureusement beaucoup souffert (pl. VI, 1). S'il s'agit vraiment d'un autel, ce pourrait être celui qui occupait parfois le centre de l'orchestre, non encore dégagé à Cyrrhus.

Si l'exploration de l'orchestre demeure incomplète, tout le pourtour a du moins été mis au jour. On y distingue nettement deux zones : la ceinture extérieure, large de 1 m. 20 environ, est soigneusement dallée, alors que tout le reste est seulement revêtu d'un béton très dur. La séparation est marquée par un évidement, qui fait tout le tour de l'orchestre (pl. IV, 1), mais qui n'a conservé qu'à l'extrême Sud ce qu'il était partout destiné à recevoir : une haute balustrade de pierre, qui délimitait ainsi une corte de corridor extérieur à l'orchestre proprement dit. Cette balustrade, qu'on rencontre dans d'autres théâtres — et notamment, en Syrie, à Palmyre — paraît avoir été à Cyrrhus d'une hauteur inusitée.

Le mur de scène et les entrées latérales ou *parodoi* étaient les seuls éléments de l'édifice quelque peu visibles avant la fouille. Celle-ci n'est pas achevée dans cette partie du théâtre, mais on peut déjà se faire une idée de l'organisation du bâtiment de scène et des accès à l'orchestre. Les *parodoi* se distinguent par leur tracé à angle droit, qui faisait arriver les spectateurs parallèlement à l'axe du théâtre (pl. III, 2), puis les invitait à tourner vers l'orchestre. Leur dégagement n'est pas encore terminé, mais il apparaît déjà que la *parodos* Nord a subi des remaniements qu'il faut mettre en rapport avec la réutilisation de l'orchestre et des gradins les plus bas. La *parodos* Sud semble avoir été respectée ; on a atteint en quelques points son sol, couvert d'une mosaïque non figurée.

Le plan du mur de scène est maintenant bien visible (pl. III, 3) : la porte centrale occupe le fond d'une exèdre rectangulaire, entre deux autres semi-circulaires pour les *valvae hospitales*, flanquées elles-mêmes encore de deux nouvelles exèdres rectangulaires. Les nombreux fragments dégagés dans l'orchestre et sur l'emplacement de la scène permettent de se faire une idée de la décoration de la *frons scaenae*. A première vue se dégage une impression de richesse un peu emphatique, mais aussi d'unité de style et de soin dans l'exécution. Plusieurs fragments rappellent de très près des motifs similaires du théâtre de Daphné et l'ensemble paraît pouvoir être daté des environs de 150 ap. J. C. Le *proscenium* répond à la *frons scaenae* par une alternance similaire de niches semi-circulaires et rectangulaires, accompagnées de petites niches secondaires dans les parois et soulignées par une bordure continue (pl. III, 4). L'estrade, assez étroite, était peut-être couverte d'une mosaïque ; du moins de nombreux fragments découverts le laisseraient croire. Un canal longe l'arrière du mur du *pulpitum*. Quant aux salles annexes ou *parascaenia*, elles s'ordonnent par rapport à la scène suivant un plan très classique. Derrière le mur de scène, le *postscaenium* est encore mal connu : en raison de la forte pente, c'était la partie la plus exposée à s'effondrer ; apparemment, il n'en reste plus que le dallage.

La réutilisation arabe des parties basses du théâtre, à laquelle on a fait allusion, présente un intérêt architectural médiocre : on s'est borné à tirer de l'édifice, déjà envahi par les terres et les blocs éboulés, un parti économique et précaire : murs grossiers fondés partie sur les gradins partie sur la terre accumulée dans l'orchestre, dallages hétéroclites, posés à même la terre. Le matériel recueilli dans ces couches hautes est abondant et divers : nombreux fragments céramiques, avec même quelques vases entiers, objets domestiques de verre et de métal, quelques monnaies. Parmi les lampes de terre cuite, assez nombreuses, l'une porte une inscription.

Le matériel antique, moins abondant, offre moins d'intérêt que les fragments d'architecture : céramique bien pauvre, quelques objets de métal. Parmi les monnaies hellénistiques, romaines et byzantines, quelques unes seulement ont quelque titre à retenir l'attention.

★ ★ ★

A l'extérieur de la ville, la mission a pu étudier, en dehors des ponts déjà mentionnés, diverses constructions d'intérêt varié. A une distance de deux à trois km. à l'Ouest de Cyrrhus ont été découverts trois ponceaux, dont un ou deux étaient peut-être destinés à un aqueduc franchissant deux petits cours d'eau. Assez bien conservés, ils méritent une étude particulière ; mais leur intérêt principal serait de fournir des indications sur le trajet de l'aqueduc, si c'en est bien un. Cet ouvrage, mentionné notamment par Théodoret (1), n'avait pas encore été retrouvé.

Au sommet de la colline qui domine à l'Ouest, d'environ 50 mètres, celle de l'acropole, se trouvent deux citernes et les restes bouleversés d'une construction en partie souterraine, dont il est bien difficile, au moins sans fouille, de reconnaître si elle est ou non un temple — comme le voulait Cumont.

Mais les ensembles extra-urbains les plus importants sont constitués par les deux nécropoles du Nord-Ouest et du Sud-Ouest. La seconde a été réoccupée en partie par un cimetière arabe, qui a utilisé des matériaux antiques et notamment des colonnes. Au contraire la nécropole Nord-Ouest a été parfaitement respectée ; elle comporte à la fois des tombes creusées dans le roc et des tombes construites, selon des plans variés et à des échelles diverses. Un bon nombre de sarcophages et de stèles portent des reliefs, généralement assez frustes, et certains des inscriptions, que la mission a commencé à relever. La nécropole du Sud-Ouest possède actuellement moins de monuments directement visibles, mais renferme l'édifice funéraire de loin le plus intéressant à Cyrrhus : un grand mausolée hexagonal, déjà visité et décrit — assez inexactement — par Cumont (2). Ce tombeau a dû d'être conservé, au milieu de la dévastation générale, à sa réutilisation comme lieu saint musulman. Le cénotaphe de bois qui y est encore actuellement vénéré porte une inscription de l'an 703 de l'Hégire (3). L'édifice, appareillé avec soin, est construit sur un plan hexagonal et comporte deux étages, dont le plus bas a des murs lisses, avec aux

(1) Cf. plus haut, p. 111, n. 5.

(2) Fr. CUMONT, *op. cit.*, p. 212 (Ch. VI : *Mausolées de Commagène et de Cyrrhus*) : ... mausolée, construit sur plan non plus carré mais octogonal.

(3) Cf. J. SOURDEL-THOMINE, *Annales Archéologiques de Syrie*, II, 1952, p. 134 sqq.

angles des pilastres (pl. VIII, 1-2). Au dessus d'un entablement qui fait tout le tour, l'étage supérieur a lui aussi six pilastres corinthiens, mais chaque face de l'hexagone est percée en son milieu d'une fenêtre. L'entablement comporte ici des mufles de lion. Ces deux étages sont surmontés d'une pyramide élancée, sommée d'un chapiteau à feuilles d'acanthé, historié, dont les dimensions sont telles qu'on peut se demander s'il ne supportait pas une statue.

Une des faces de l'étage inférieur est percée d'une porte (pl. VIII, 3) qui donne accès au caveau, pièce voûtée aux murs nus, où se trouve aujourd'hui le cénotaphe dont il a été question. Un escalier tortueux conduit à la lanterne qui constitue l'étage supérieur. Entre les fenêtres, six colonnes corinthiennes correspondent aux pilastres extérieurs et supportent un entablement intérieur soigné, qui fait tout le tour de l'hexagone (pl. VIII, 4). Tout cet ensemble, particulièrement bien conservé, présente des caractères architecturaux intéressants et mérite une étude détaillée, qui a été entreprise.



Des inscriptions découvertes, et dont la publication interviendra ultérieurement, nous dirons seulement que les plus intéressantes enrichissent le dossier militaire de Cyrrhus : en mentionnant des corps de troupe, déjà connus ou nouveaux, elles renforcent l'impression que la ville n'a jamais cessé, avant le III^e siècle en tout cas, d'avoir une garnison. Il faut mettre à part un *cursus* du futur préfet du prétoire *Q. Marcius Turbo*, dont la présence à Cyrrhus à l'occasion de la guerre parthique de Trajan, en 114 probablement, est ainsi attestée. L'intérêt de ce texte, comme nous l'avons montré ailleurs (1), débord largement l'histoire de la ville.

La mission poursuivra ses travaux, dans les divers secteurs abordés ici. On voit dès maintenant ce qu'il est raisonnable d'attendre d'une entreprise comme la sienne, aux objectifs limités : non pas sans doute l'élucidation de tous les points obscurs que comporte la longue histoire de Cyrrhus, mais une compréhension plus complète de ses caractères originaux de ville fortifiée, un aperçu de son évolution urbanistique et une connaissance précise de certaines de ses réalisations monumentales. Ce dernier point doit permettre, par des comparaisons avec d'autres centres d'architecture, d'entrevoir les relations de Cyrrhus avec l'extérieur ; d'ores et déjà l'étude des fragments du théâtre fait apparaître comme prépondérante l'influence d'Antioche — ce qui n'a rien de surprenant.

EDMOND FRÉZOULS

(1) Cf. *Syria*, XXX, 1953. 3-4. pp. 246 - 278.

NOUVELLE PROSPECTION ARCHEOLOGIQUE DANS LA HAUTE JEZIREH SYRIENNE

(Compte-rendu provisoire)

par

W. J. VAN LIERE * ET J. LAUFFRAY **



La confrontation de points de vue différents en face de mêmes données est toujours féconde. Le Docteur Sélim Bey Abdul Haq l'a bien compris, lorsqu'il nous pria de comparer les résultats de nos missions respectives auprès du gouvernement syrien et de présenter en collaboration une nouvelle étude des tells et des antiquités de la Jézireh syrienne. Nous ne saurions trop l'en remercier.

Ce nous est un agréable devoir de signaler l'aide efficace qui nous a été apportée dans nos recherches par MM. Abdel - Kader Rihawi, Inspecteur du Service des Antiquités, Béchir el-Aass et Ismael Jisri, fonctionnaires des Services Agricoles. Nous tenons également à dire combien nous fut précieuse une documentation recueillie naguère par P. Hamelin et qu'il a bien voulu nous communiquer.

Les prospections archéologiques entreprises en Haute - Jézireh ont été

* Spécialiste de la F. A. O. pour l'étude et la cartographie des sols auprès du Gouvernement Syrien.

** Chargé de mission par le Service des Antiquités Syrien.

nombreuses depuis une centaine d'années (1). Il reste cependant beaucoup à découvrir. Aucun inventaire total et systématique de sites n'a encore été effectué (2). La plupart des découvertes passées furent faites par accident (3) et des sites importants situés entre les itinéraires des voyageurs ont assez fréquemment échappé aux recherches (4). Grâce à l'observation aérienne, le R. P. Poidebard avait pu entre les deux guerres combler bien des lacunes. Mais lorsqu'il suivit par avion la « Trace de Rome » dans la steppe syrienne, il utilisait une méthode d'observation directe et ne photographiait que des sites isolés : la vision d'ensemble du pays n'était pas fixée.

Les techniques actuelles, grâce à l'amélioration des systèmes optiques et des émulsions, permettent l'obtention à une altitude de 3.500 à 4.000 m. de clichés photographiques verticaux extrêmement fouillés. Ils s'assemblent par recouvrement et l'échelle de l'image obtenue est exactement déterminée. Il devient donc possible au chercheur d'étudier une contrée entière à loisir, sur sa table de travail, et, pour qui sait utiliser un stéréoscope, de noter une masse de renseignements de détails qui n'eussent jamais été observée sur le terrain tels que des routes, des canaux, des fermes isolées invisibles au sol, mais clairement discernables sur les photographies aériennes. Ces détails se différencient — il n'est pas inutile de le faire remarquer — moins par le jeu des ombres portées que par des variations de la couleur des sols ; elles sont produites, soit

(1) — Rappelons entre autres : H. LAYARD, *Niniveh and Babylon* Londres 1882 ; CHESNAY, *The Expedition for the Survey of the rivers Euphrates and Tigris*, Londres 1850 ; SACHAN, *Reise in Syrien und Mesopotamien*, 1883 ; VON OPPENHEIM, *Vom Mittelmeer zum Persischen Golf durch den Hauran die Syrische Wüste und Mesopotamien*, 1899-1900 ; LE STRANGE, *The Lands of the Eastern Caliphate*, 1905 ; CHAPOT, *La frontière de l'Euphrate de Pompée à la conquête arabe*, 1907 ; SARRE et HERZFELD, *Archaeologische Reise in Euphrat und Tigris Gebiet*, 1911 ; A. MUSIL, *The middle Euphrates*, 1927 ; A. POIDEBARD, *Syria* VIII, p. 55 s. ; IX, p. 216 s. ; XI, p. 33 s. ; *La trace de Rome, dans le désert de Syrie*, 1934 ; MALLOWAN, *An Archaeological Survey of the Habur Region*, Iraq IV, 1937.

(2) — Les listes des tells publiées par MALLOWAN, *loc. cit.* se limitent aux tells visités ou fouillés ; de même pour la région du Sinjar les listes données par SETON LLOYD in *Iraq* V p. 126 s.

(3) — Ce sont rappelés - le des trouvailles fortuites qui attirèrent l'attention sur Mari, Ougarit, tell Halaf et Doura Europos.

(4) — Par exemple tell Khoueyrah, tell Hamoukar, Kherbet Slaje

par des apports de matériaux hétérogènes au terrain naturel ; soit par des différences d'humidité et de végétation dépendant de la qualité de la terre. L'interprétation de ces variations de couleur exige un entraînement et une formation spéciale de l'observateur. Notons enfin que le stéréoscope, exagérant l'impression du relief, accuse les moindres mouvements de terrain. Il devient inutile d'utiliser l'éclairage rasant du matin et du soir. Les clichés peuvent être pris à n'importe quelle heure de la journée (1).

On peut dire que les nouvelles méthodes de prospection éliminent une partie des aléas des anciens procédés. Elles ont fait leurs preuves dans divers pays (2). Mais cette méthode n'avait pas encore pu être utilisée en Syrie. Or, au cours des dernières années, la totalité du Mohafazat de la Haute Jézireh a été photographiée, à l'échelle de 1/20.000 ème pour les besoins du Cadastre et des Services de l'Agriculture. Les clichés obtenus servent actuellement de document de base à la fois pour étudier la qualité des sols, inventorier les terres productives, déterminer leur meilleure utilisation et fixer la limite des propriétés (3). Des milliers de sites antiques, tells, villes, villages, fermes isolées, travaux de défenses, routes, canaux d'irrigation et de drainage, apparaissent clairement. L'attention est immédiatement attirée vers eux.

Un des aspects les plus remarquables de l'interprétation de ces clichés est la possibilité qu'ils offrent d'établir un inventaire vraiment exhaustif des installations antiques. En effet, en Jézireh, les antiquités apparaissent avec une particulière netteté en raison de la rareté de la végétation, de l'absence d'érosion, de la faible densité de la population actuelle et surtout du fait que cette contrée, jusqu'à une époque récente, était pratiquement déserte depuis des siècles, en sorte que les fouilles clandestines pour la récupération de matériaux de construction ont été peu nombreuses (sauf à Ras el'Ain et à Nissibin). Ces conditions sont très favorables à la mise en œuvre des nouvelles méthodes d'exploration.

Les photographies dont nous avons pu disposer — 10.000 clichés — couvrent une aire s'étendant de tell Dehlis à l'Ouest jusqu'à 'Ain Divar à l'Est,

(1) — Sur la méthode de photographie aérienne par éclairage rasant, voir A. POIDEBARD, *op. cit.* chapitre 1 ; *Méthode de recherches en géographie historique, dans la géographie* 1932 p. 1 et *Comptes rendus de l'Académie des Inscriptions* 1929, p. 91-91.

(2) — Entre autres en Tunisie.

(3) — W. J. VAN LIERE, ouvrage en préparation.

et de la frontière turque jusqu'au Sud de Jebel Sinjar (1). Elles permettent de reprendre immédiatement de nombreux problèmes tels que l'étude des voies de communication, les relations entre les divers types de sites archéologiques, et, d'une part la nature du sol, d'autre part la géographie et l'hydrographie ; toutes choses qui peuvent être observées sur un même cliché. L'observation des hameaux, des fermes isolées, des anciens champs cultivés, de leur répartition et de leurs relations avec les rivières et les travaux d'irrigation ou de drainage attire, vers l'étude de l'organisation rurale d'une région, l'attention de l'archéologie, attention jusqu'à présent plus particulièrement orientée vers les capitales, les temples, les palais et les tombes. Un nouveau matériel d'information nous est ainsi proposé ; moins spectaculaire sans doute que les œuvres d'art mises au jour par les grandes fouilles, son importance n'est pas moindre pour la juste compréhension des civilisations antiques, l'étude de la répartition des peuplements et aussi l'interprétation du contenu des textes géographiques cunéiformes (2). D'un mot cher aux urbanistes, la « planification » de la Jézireh antique peut être désormais étudiée.

Un préalable et sommaire examen des clichés a été suivi d'un mois de prospections au sol durant lequel des échantillons des céramiques de surface et des inscriptions ont été recueillis sur une centaine de sites (voir ci-dessous la liste de ces sites). Un premier résultat pratique de ces recherches fut de permettre le choix d'un site qui va être fouillé, par le Service des Antiquités au cours des prochains mois : le tell Khoueyrah (3).

Les lignes qui suivent résument nos observations. Une étude plus approfondie permettra sans doute de résoudre quelques uns des problèmes qui se posent dès à présent. Nous nous proposons de reprendre et de développer dans une publication ultérieure les conclusions provisoires exposées ci-dessus.

La carte présentée sur la planche I donne un schéma de localisation simplifié des vestiges antiques visibles sur les clichés.

(1) — Soit la totalité du Mohafazet de la Jézireh.

(2) — DOSSIN, *Archives royales de Mari*, t. XV, donne une liste de toponymes avec des localisations approximatives ; A. GOETZE, *An old babylonian itinerary*, *Journal of cuneiform studies*, VII, 1953, p. 52 sq. Nos clichés doivent permettre de préciser les localisations proposées.

(3) — Ce tell figure sur la carte au 200.000 du Service topographique de l'armée sous le toponyme erroné de *Dahr ech Chouéira*.

Des tells majeurs fortifiés dont dépendent, par un système de routes rayonnantes, des tells secondaires que nous appelons Satellites ; parmi eux des tells de dimensions exceptionnelles nous semblent être des chef-lieux de district et, les plus vastes, des capitales de petites principautés.

Les tells satellites non fortifiés les plus importants.

Des villes fortifiées ou *ouvertes*, dont les ruines ne forment pas des tells et qui sont pour la plupart grecques, romaines ou arabes.

Les principaux *villages* et *fermes* isolées, fortifiés ou non.

Les ouvrages militaires les plus saillants, *camps*, *fortins* ou *khans* ; ceux-ci souvent difficiles à distinguer des fermes fortifiées.

Les *routes* les plus apparentes.

Les *canaux* d'irrigation primaires et les plus grands réservoirs.

Le simple examen de cette carte permet de nombreuses remarques qui éclairent l'économie générale de la région.

1) — *Morphologie des sites observés.*

La forme des agglomérations antiques et le tracé de leurs fortifications — qu'il est impossible de distinguer au sol — permettent de les classer en plusieurs catégories bien distinctes. Nous connaissons les dangers des méthodes typologiques qui parfois associent des documents étrangers les uns aux autres par suite de simples ressemblances extérieures. Mais les catégories que nous reconnaissons sur les clichés s'imposent avec une telle netteté à l'examen stéréoscopique que l'on ne peut les passer sous silence. Le classement morphologique que nous proposons n'a d'ailleurs d'autre prétention que sa commodité. Il évitera des redites dans les descriptions.

Tells fortifiés

Type I : Une plateforme en tronc de cône avec ligne extérieure de défense en bordure du tell ou à proximité.

Deux variantes :

a) *Tracé de la ligne de défense à plan central*, cercle ou polygone régulier (Ex. : à l'Est du Khabour, tell Assouad el Fogani ; à l'Ouest, tell Qle'iat).

b) *Tracé de la ligne de défense quelconque*, curviligne ou polygone irrégulier (Ex. : tell Bati (1))

(1) — Le tell rond publié sous le nom de tell Bati par A. POIDEBARD, *op. cit.* pl. CXXXIX et CXL. p. 150 correspond en réalité au tell Assouad el Fogani de notre assemblage photographique.

Type II : Une plateforme avec ligne extérieure de défense éloignée du tell, le plus souvent constitué par un simple ou double fossé.

Mêmes variantes que ci-dessus a et b (Ex. : tell Brak, tell Hanafiz).

Type III : Deux plateformes étagées avec deux remparts implantés en bordure de la dénivellation.

Mêmes variantes a et b (Ex. : tous les plus grands tells à l'Ouest du Khabour. Khoueyrah, Mouazar, Malha).

Type IV : Deux plateformes étagées avec des défenses extérieures très éloignées du pied du tell (Ex. : tell Hamoukar, tell Hamidi).

Tells non fortifiés (satellites).

Type V : Tronc de cône simple.

Type VI : Plan ovale avec une pente plus abrupte d'un côté.

Type VII : En forme de croissant (s'observent en général autour d'une source dans la région basaltique située à l'Est de Qoubour el Bid).

Type VIII : Carrés, certainement des tells du type V remodelés.

Villes entourées d'un rempart (classiques ou arabes).

Type IX : Plan quadrangulaire ou polygonal.

Type X : Plan curviligne.

Camps, castella, fortins (classiques ou arabes)

Type XI : Camps avec double fossé et rempart de terre ou brique de terre cuite. Mesures de 100 x 100 à 400 x 400 m.

Type XII : Castella avec murs de briques et tours. Mesure très courante est environ 120 x 120 m.

Type XIII : Fortins et bâtiments fortifiés. Ils apparaissent de plan carré sur les clichés. Mesures 20 x 20 à 100 x 100 m. Nous sommes convaincus qu'une grande partie de ce dernier groupe correspond à de grandes fermes (Hosh).

2) — *Relations entre les zones d'habitation des sédentaires, le climat et la productivité des terres (1).*

Depuis la ruine de la Jézireh par les Tartares et jusqu'à une époque récente, la presque totalité des terres cultivées dans l'antiquité avait été envahie

(1) — Sur la climatologie de la Jézireh, consulter L. DUBERTRET et J. WEULERSSE, *Manuel de géographie, Syrie, Liban et Proche-Orient*, Beyrouth 1940, p. 29 sq. ; MALLOWAN, *The Excavation at tell Chagar Bazar, Iraq* III et IV, voir aussi la Revue Biblique, 1952, p. 272.

par la steppe et par les nomades. Deux types de culture y étaient possibles, autrefois comme de nos jours : des cultures irriguées en bordure du Khabour ; des cultures sèches dès que la pluviométrie est suffisante, c'est-à-dire au dessus de l'isohyet des 200 mm. Dans cette dernière zone les cultures sèches alternent avec des pâturages occupant les terres les moins fertiles.

Les clichés aériens nous font connaître l'expansion la plus septentrionale des anciennes cultures. La plupart des vestiges archéologiques s'observent dans une zone bien délimitée par les isohyets de 350 à 400 mm. au Nord et des 200 mm. au Sud. Plus au Nord, on ne distingue que des tells ; les routes, les villages, les fermes isolées, ne sont plus discernables, sans doute parce que les ruissellements les ont érodés et fait disparaître, alors qu'au dessous des 350 mm. la plus grande partie des eaux pluviales est absorbée par le sol ou évaporée sans provoquer d'érosion. Ce fait explique que, sur notre carte, les tells situés le long de la frontière turque, à l'Est de Ras el 'Ain — zone de plus haute pluviométrie —, n'ont pas de routes rayonnantes ; mais, il est hors de doute, qu'ils en possédaient dans l'antiquité.

Au Sud de l'isohyet des 200 mm., les cultures sèches deviennent impossibles ; seuls les nomades peuvent subsister ; toutes les installations sédentaires de quelque importance se localisent le long du Khabour sur les terres irrigables des deux terrasses inférieures ; les agglomérations, devenues par endroits presque continues aux époques classiques et arabes sont, presque sans exception, situées en bordure du léger escarpement qui sépare la première terrasse de la seconde. Des seuils rocheux qui barrent la rivière à chaque synclinal, permettaient en ces points le passage à gué et facilitaient les prises d'eau ; ces conditions favorables ont provoqué à proximité le développement de villes et villages antiques notamment près de Sabaskour, Taban, Mtariyeh, Sheddade (1).

Sur le plateau, dans la région des cultures sèches, les rares tells qui se rencontrent dans la steppe désertique, légèrement au Sud de l'isohyet des 200 mm., sont peu élevés et paraissent avoir été abandonnés dès l'époque préhistorique. Il semble donc qu'il y ait eu au début des temps historiques un léger retrait des zones cultivables vers une ligne de plus haute pluviométrie. Cette observation confirme l'opinion généralement admise que le climat dans

(1) — Sur ces sites voir R. DUSSAUD, *Topographie historique de la Syrie antique et médiévale* ; POIDEBARD, *op. cit.* CANARD, *Histoire de la dynastie des Hamdanides de Jazira et de Syrie*

ces régions n'a guère subi de variations depuis le néolithique, tout au plus un léger dessèchement. Deux autres observations vont dans le même sens : la population paraît avoir été plus dense sur les plateaux à culture sèche durant les temps préclassiques qu'aux périodes suivantes ; toutes les villes et bourgades byzantines ou arabes s'établissent, non plus en rase campagne, mais de préférence près des sources, des rivières ou des wadis ; en dehors de ces points d'eau, on n'observe que des fermes isolées ou des postes militaires.

Si l'on compare la carte de la planche avec les cartes des Services Agricoles donnant la répartition des terres suivant leur fertilité, on remarque que la densité des installations antiques est proportionnelle à la qualité des sols ; tous les tells se trouvent dans des bassins d'alluvions fertiles. Parfois, comme c'est le cas au Sud du Jebel Abd el-Aziz, à chaque îlot de bonne terre correspond un tell ; mais jamais on ne rencontre de tell dans une zone improductive.

Cette répartition des agglomérations suffirait à prouver que les populations primitives de ces régions étaient purement agricoles à l'origine. La naissance des grands tells, aussi bien que de leurs satellites, fut fonction d'une économie rurale et jamais de contingences commerciales ou militaires, même si, dans la suite des temps, ils sont devenus place-forte ou lieu d'échange. La distribution des routes rayonnantes montre que les transports d'un district à l'autre existaient à peine. Chaque groupe avait une vie autonome.

La population totale des divers districts paraît donc avoir été en relation directe avec la productivité du sol. Ils ont, au moins à certaines époques, nourri un maximum d'habitants. Les périodes de dépopulation et d'abandon, discernables dans les sondages stratigraphiques, sont la suite d'incidences historiques indépendantes de la fertilité. Quelques exceptions locales le long du bas Khabour proviennent d'une augmentation progressive de la salinité des terres qui, par endroits, a rendu improductives des régions fertiles auparavant (1).

3) — Répartition géographique des divers types d'installation

Examinons les données des clichés aériens. Deux catégories de vestiges archéologiques s'opposent par leur aspect : les tells, dont le relief est plus ou moins arrondi ; les ruines d'époque classique ou arabe, dans lesquelles on reconnaît le plan des rues et parfois celui des édifices. Les ruines recouvrent rarement les tells. Elles sont pour la plupart des fondations nouvelles dont la

(1) — Le coton, qui fut l'une des principales cultures de la vallée du Khabour au moyen-âge, d'où il était exporté vers Mossoul, supporte une certaine salinité des terres.

durée n'a pas été suffisante pour former des tells. Chacune de ces deux catégories possède des réseaux routiers distincts qui s'ignorent l'un l'autre, marquant un net hiatus dans la continuité historique.

a) *Les tells (période préhellénique).*

Nous avons déjà indiqué que durant les temps préhelléniques, les agglomérations se groupent par districts autour de tells majeurs de dimension exceptionnelle. Plusieurs villes ont pu d'ailleurs à tour de rôle avoir la préminence politique. On est conduit à distinguer trois régions bien distinctes, comprenant chacune une ou plusieurs villes qui ont pu être des capitales, de grands tells fortifiés et un nombre considérable de satellites.

A l'Occident du Khabour, se situe une région de tells presque tous à plan central (types Ia, IIIa, V) dont le plus grand est le tell Khoueyrah.

A l'Orient du Khabour, région la plus prospectée avant nous, la densité des tells a frappé depuis longtemps les voyageurs. Leurs formes sont très diverses (types Ia et b, II b, IV, V, VI, VII, et VIII). Ils se répartissent en au moins quatre districts : le premier entre le Khabour et le Jagh-Jagh a pour ville principale le tell Brak (1) ; le second, entre le Jagh-Jagh et le Jarrah, tell Farfara (2) ; le troisième, dans le bassin du Jarrah, tell Leylan (3) ; le quatrième, à l'Est du Jarrah, tells Roumeylan el-kebir (4) et Hamoukar. Ce dernier tell est un des plus vastes de toute la haute Jezireh — 1 kilomètre carré —. Un fossé l'entoure à une centaine de mètres du pied du tell proprement dit. Cette disposition, visible seulement sur les clichés, est assez fréquente dans cette région (5). Pour la localisation des autres tells connus ou inédits, on se reportera pour l'instant à la carte.

Les tells situés au Sud d'Hasseké, le long du Khabour, présentent, quand on les observe au stéréoscope, des ressemblances morphologiques qui invitent à les grouper en une troisième région. La plupart s'étendent en longueur parallèlement au fleuve et conservent sur leur grand axe, mais non pas en son milieu, les vestiges d'un massif de terre de plan carré, peut-être les restes d'une ziggourat. Compte tenu des érosions produites par les changements du cours du Khabour, les plus importants sont les tells Fadghami, Shamsani,

(1) — Fouillé par MALLOWAN, *Excavations at Brak Chagar Bazar Iraq*, IX, 1947.

(2) — DUSSAUD, *op. cit.*

(3) — A. POIDEBARD, *op. cit.* At. pl. CLX, p. 160.

(4) — DUSSAUD, *op. cit.* p. XV.

(5) — On la retrouve à tell Hanafiz, tell Hamidi, tell Brak, et plusieurs autres.

Shaykh Ahmed et Fudein. Tous sont situés au centre des zones les plus largement irrigables. Les tells Arban, Sheddadé, Marqadah et Souwar paraissent plus petits (1). Les clichés aériens permettent de comparer les grandeurs relatives de ces tells.

Entre les deux premières régions, sur les terres irrigables qui bordent le Khabour, on observe un chapelet de tells le plus souvent fortifiés et de formes irrégulières. La plupart sont bien connus. Les routes qui les relient aux tells des plateaux sont rares. Il semble qu'ils ont eu peu de relations avec les tells des zones de culture sèche. Il est à noter que ni le tell d'Hasséké, ni ses proches voisins au Sud, ne paraissent remarquables, bien que la proximité du confluent du Khabour et du Jagh-Jagh ait fait attribuer à ce lieu géographique, une grande importance historique. L'absence de gué praticable en ce point suggère qu'à une époque où le pont n'existait pas, il ne se soit probablement pas formé près d'Hasséké le noeud de communications que l'on a supposé et qu'au surplus nos clichés ne montrent pas (2). L'intérêt économique de la région était d'ailleurs secondaire. Elle se situe sur des terrains peu productifs où le sous-sol rocheux affleure. Pour rencontrer des tells importants, il faut sortir de cette zone et atteindre au Nord tell Majdal, au Sud tell Arban, l'un et l'autre situés dans des îlots de bonne terre. A Boueida par contre une étoile de routes marque un point de passage très utilisé.

Sur presque tous ces tells, des tessons d'une poterie vernissée verte sont la signature d'une réoccupation arabe.

Le contraste entre l'aspect des tells des deux premières régions paraît plus accusé que les spécialistes de l'archéologie de la Jézireh ne l'avaient exprimé (3). Il convient d'insister sur ce point qui paraît important.

Notons que ce contraste ne résulte pas d'une différence de fertilité des terres ni de la pluviométrie. La région située entre Ras el Ain et tell Dehliis était et demeure cultivable, quoiqu'on ait écrit (4). Elle demeurait très habitée au Moyen-Age. De nombreuses ruines arabes en témoignent.

(1) — Sur tous ces tells voir les ouvrages cités, surtout SARRE et HERZFELD ; R. DUSSAUD ; A. POIDEBARD *op. cit.*

(2) — A. POIDEBARD. *op. cit.* p. 142 et plus récemment CANARD. *op. cit.* p. 98, 101.

(3) — MALLOWAN. *Excavations in the Balikh valley, Iraq* VIII, 1946 p. 119.

(4) — *Ib. loc. cit.* Il est affirmé qu'à l'Ouest du Khabour, la région dans l'antiquité comme de nos jours avait une population clairsemée et que les tells qui s'y rencontrent avaient surtout un rôle défensif contre les nomades pillards. Le nombre des installations agricoles non fortifiées visibles sur les clichés aériens oblige à nuancer ce point de vue. Tout au plus peut-on dire qu'à voir la céramique de surface la région semble s'être dépeuplée à la fin de l'âge du bronze, mais elle avait retrouvé sa prospérité ancienne et une population nombreuse à l'époque arabe.

Les tells situés à l'Est du Khabour de formes diverses, souvent irrégulières, se sont développés au hasard des occupations successives, à quelques exceptions près — par exemple, le tell Beydar qui possède deux enceintes circulaires et le tell Assouad el-Fogani —. La céramique de surface varie. On trouve fréquemment en surface des tessons peints de la « Khabur ware » du moyen bronze (1) et, sur quelques tells, des tessons assyriens, plus rarement d'époques romaine ou byzantine. Les tells reliés par un même réseau routier ont en général la même céramique de surface.

A l'Ouest du Khabour, il semble que l'on pénètre dans un autre monde, un monde différent, organisé et discipliné. Aussi bien au Nord qu'au Sud du Jebel Abd el Aziz, tous les grands tells présentent des plans « centraux » conçus suivant un même principe de poliorcétique et des mêmes techniques de construction (types I a, III a. V). Les anciens tells préhistoriques ont été remodelés le plus souvent suivant un tracé circulaire parfois en forme de pentagone ou d'hexagone (tell Bogha et tell Moughr). Partout s'observent une ou deux plateformes étagées, bordées chacune d'un rempart (2). Le rempart supérieur culmine souvent en un mamelonnement abrupt qui doit marquer l'emplacement d'une tour. Vers le centre de la seconde plateforme, on remarque fréquemment une partie plate qui se ramifie en valonnements axés vers les portes principales, indice de la présence d'une place publique et d'un tracé préconçu tout à fait remarquable à l'ancien Bronze qui semble être l'époque de l'aménagement de ces tells. La pierre est utilisée pour la construction des portes, parfois même pour les fondations des murs d'enceintes et des bâtiments principaux. Les tessons de surface sont identiques sur tous ces tells. Pratiquement jamais on n'y trouve de « Khabur ware ». Les fragments de bols ou de sèbilles à bord droit et mince, à fond bombé ou plat, sont abondants, comme aussi les

(1) — Sur cette céramique, MALLOWAN, *Iraq* ; *White painted Subartu Pottery in Mélanges syriens offerts à M. R. DUSSAUD* ; W. V. SETON WILLIAMS, *A painted Pottery of the second millenium from Southern Turkey and Northern Syria, Iraq*. XV, 1953, p. 56, 68.

(2) — SETON LLOYD, *Iraq* VI, p. 126 et VII, p. 19, rapproche ces tells des deux tells Khochi et Hadhair, situés au Sud du Jebel Sindjar. A voir les photographies publiées, ils sont d'un type différent. MALLOWAN, *Iraq* VIII, p. 119 les compare au tell Baldar, situé à l'est du Khabour. La ressemblance est incontestable, mais le rempart extérieur de ce tell ne borde pas une plateforme, il s'implante à une certaine distance du pied du tell, ce qui le classe dans notre catégorie II a.

tessons d'une céramique très bien cuite à pâte grise ou noire, que Mallowan, à l'occasion d'un voyage de Ras el'Ain à tell Abiad, a signalée et identifiée comme sargonide (1). Des tessons du moyen bronze — pieds de gobelets — indiquent une survie de ces tells dans la première moitié du second millénaire. Ils n'ont en règle générale pas été réoccupés à l'époque arabe, sauf parmi ceux que nous avons visités au sol, Kharab - Sayar et Abou Jeradé.

Toutes ces villes fortes qui ne se retrouvent pas à l'Est, paraissent appartenir à une même civilisation. Il semble que seul un pouvoir politique autoritaire, disposant d'une nombreuse main d'œuvre, ait pu être capable d'imposer un urbanisme aussi systématique à toute une région. Les plus importants de ces tells sont, au sud du Jebel Abd-el' Aziz les tells Malha, Mouazar, Makhroum et Metiaha ; au Nord les deux tells Mabtouh, Bogha, Khanzir, Abou Shaykhat, Qleyat, Delhis et surtout l'immense tell Khoueyrah. Il n'y a pas de doute que ce type de tells déborde en Turquie et à l'Est du tell Delhis, hors de la zone actuellement photographiée.

Le tell Khoueyrah, avec sa double enceinte, ses deux plateformes, ses 900 mètres de diamètre et ses affleurements d'édifices en pierre, nous paraît avoir été le centre politique qui commandait tout le système des tells circulaires. Nous y avons effectué deux sondages. Ils seront publiés en même temps que les comptes-rendus des fouilles actuellement entreprises sur ce site.

Les auteurs qui ont signalé des tells de ce type les ont considérés comme mitaniens, à vrai dire sans preuve (2). Les fouilles en cours, espérons-le, trancheront cet important problème.

b) *Les sites d'époque classique et arabe*

L'aspect particulier qui permet sur les clichés de distinguer les ruines de ces deux époques a été décrit ci-dessus. Mais il demeure difficile, sans prospection sur le terrain, de reconnaître les sites appartenant à chacune d'entre elles, et même un sondage est souvent indispensable pour vérifier si une installation arabe n'oblitére pas un strate byzantin. Sur un même site d'ailleurs, la ville arabe ne se superpose pas toujours à l'installation antérieure. A Ras el'Ain,

(1) — *Ib.*

(2) — A. POIDEBARD, *op. cit.* p. 149 note 2, suppose que la ville forte mitannienne était à double plateforme bordée d'enceintes polygonales concentriques. Ce type s'opposerait aux villes circulaires comme Arslan Tash et Abra qui seraient assyriennes. MALLOWAN admet comme vraisemblable l'appartenance des villes à plan central au Mitani.

par exemple, elle est au Nord des sources ; la ville byzantine plus au Sud, recouvre le vieux tell Fkhériya que Von Oppenheim identifiait avec la Washshoukani mitanienne (1). Quand une occupation arabe couvre un site classique, on rencontre d'ordinaire des fragments de colonnes, de chapiteaux ou de linteaux remployés.

Nous allons examiner tout d'abord la répartition des villes et villages. L'organisation de la défense du pays et les camps militaires seront décrits dans un paragraphe spécial.

A l'Ouest du Khabour, région qui dépendait à l'époque arabe du Diyar Modar (2), quatre villes importantes, entourées de remparts sont visibles sur les assemblages photographiques. Les trois premières se situent à proximité de l'ancienne route Raqqa - Calinicum à Nissibin par Ras el'Ain : Kharab Saiyar probablement le Beni Siar des itinéraires (3) englobe un tell préhellénique ; son enceinte dessine un carré de 625 m. de côté. Kherbet Slajé à 4 kilomètres à l'Ouest de tell Khanzir, près de la frontière turque est beaucoup plus vaste (1 kilomètre carré environ) ; son rempart extérieur suit un tracé polygonal irrégulier. Dans l'angle N. O. un quartier est isolé par un second mur. Sur ces deux sites, la céramique arabe vernissée est abondante. Au pied du tell Khanzir, une troisième ville s'est développée. Une enceinte curviligne la ceinture. Elle paraît trop proche du Kherbet Slajé pour avoir vécu en même temps. Une quatrième ville fortifiée, à l'Est des deux précédentes, occupe autour du tell Abou Jéradé une surface d'environ 42 hectares. On est tenté de l'identifier avec la Djaroud des itinéraires. (4).

Parmi les villes ouvertes les plus vastes de cette région, citons : Kherbet Ajl, à 7 kilomètres à l'Est du Kharab Saiyar et un grand Kherbet que nous n'avons pas encore pu visiter et dont nous ignorons le nom ; il se situe à quelques kilomètres à l'Ouest du Khabour sur le même parallèle.

(1) — VON OPPENHEIM. *Tell Halaf, une civilisation retrouvée en Mésopotamie*, 1939 p. 39, 48, 52.

(2) — Sur les divisions de la Jezireh à l'époque arabe, LE STRANGE *op. cit.* ; CAHEN, *La Jazira au milieu du XIII^e siècle*, *Revue Etudes Islamiques*, 1934, p. 107 - 128 ; CARNARD, *op. cit.*

(3) — Le site de Beni Siar est porté sur diverses cartes anciennes avec des variantes de nom (Ms. Bologne et Paris : Beni Siar ; Leningrad : Beni Saibar ; Londres et Gotha : Bini Shaiban) Sur toutes ces cartes il est situé entre Raqqa et Ras el'Ain. L'actuelle Kharab-Saiyar étant encore parfois appelée Boulaid Beni Seyar, l'identification ne paraît pas douteuse (note due à des renseignements de M. Hamelin).

(4) — On peut aussi penser pour localiser Djaroud à Abou Jelaid, mais le site ne paraît pas marqué par des ruines assez importantes, voir M. DUSSAUD, *op. cit.* p. 495

Entre ces villes, des centaines de hameaux et de fermes isolées sont éparpillés, surtout nombreux en bordure des wadis et le long des pentes septentrionales du Jebel 'Abd el'Aziz. Dans cette dernière région pierreuse, les limites des champs demeurent marquées par des alignements de pierres. La ville la plus importante est Maghlouja. Au Sud du Jebel, les villages et les fermes sont moins nombreux. Une importante agglomération s'est développée entre le camp et le tell préhellénique de Mouazar (1). La céramique y est exclusivement arabe en surface. Plus à l'Est et au Nord du tell Toueynan une assez vaste ruine, peu visible sur le terrain, est parsemée de quelques tessons d'époque romaine et byzantine. Enfin, au Sud, le site connu de Oumm Madfa est peut être moins vaste qu'il ne paraît. Des murs, qu'un examen sommaire peut faire prendre pour des vestiges de maisons, sont en réalité les restes des clôtures des jardins. Le faible débit de la source qui les irriguait ne permettait pas, en l'absence de citerne, à une agglomération importante de se développer. La céramique est arabe, mais quelques linteaux conservés près de la source pourraient être byzantins.

Alors que les installations dont nous venons de parler se localisent le plus souvent en dehors des tella, ceux de la vallée du Khabour ont été presque tous réoccupés. Des villes basses se sont développées à leur pied, quelques-unes entourées de remparts, ce sont : tell Jnediyé à 9 kilomètres de Ras el'Ain, sur la rive droite ; au Sud d'Hasséké, les tells Hussein, Shaykh-Ahmed, presque en vis à vis l'un de l'autre, de chaque côté du Khabour (2). Ces trois villes conservent un tracé préislamique de rues en damier. Le tell Marqada au contraire, avec ses rues en labyrinthe paraît avoir été réoccupé seulement à l'époque arabe (3). Entre ces villes fortifiées, on trouve des agglomérations ouvertes, par endroits presque continues. La population fut sans aucun doute très nombreuse. La prospérité de la vallée était due dans les temps islamiques à la culture du coton et à son exportation vers Mossoul (4).

(1) — POIDEBARD, *op. cit.* p. 149 sq. et pl. CXXXIII — CXXXV Mouazar est identifié p. 156 avec Haste de Peutinger.

(2) — SARRE et HERZFELD, *op. cit.* p. 179, fig. 82

(3) — CANARD, *op. cit.* p. 102, propose d'identifier Marqada avec Makisin. Toutefois il indique que Shaykh Ahmed pourrait aussi convenir.

(4) — Le coton y était cultivé, probablement dès les temps préhistoriques. MALLOWAN, Iraq, VIII, p. 113.

A l'Est du Khabour, dans le Diyar Rabia des textes arabes, villes ouvertes, hameaux et fermes sont peu nombreux et le plus souvent groupés près des camps militaires (environs de tell Brak). Les quelques rares villes reconnues sur les clichés et aussi les fermes isolées sont fortifiées. A 10 kilomètres environ à l'Ouest d'Amouda, un vaste champ de ruines de plus d'un kilomètre carré est entouré d'un rempart curviligne ; le tracé quadrillé des rues indique une origine byzantine. A 3 kilomètres au Sud de tell Haddad, à l'Est du Wadi Jarrah, se situe une autre ville romaine ou byzantine de 48 hectares environ et que nous croyons inédite. Ses murailles dessinent un parallélogramme. De nombreuses routes la desservent. Des rues en damier et un monument à abside sont reconnaissables. Nous l'identifierions volontiers avec Thebeta (1). A tell Rmeylan el Kebir que de Goeje voulait identifier avec la Barqa'id arabe, nous n'avons pas trouvé de céramique médiévale (2).

Les quelques sites cités ci-dessus sont les plus apparents sur les clichés. Un examen plus approfondi en fera certainement découvrir d'autres. Ils suffisent à montrer que bien des localisations devront être rectifiées lorsque nos 10.000 clichés seront tous étudiés en détail. Dès à présent quelques problèmes d'ordre général se posent. Pourquoi les villes ouvertes, les villages et les fermes isolées, nombreuses à l'Ouest du Khabour, sont rares à l'Est qui fut la région la plus peuplée à l'époque préhellénique ? Cette constatation ne peut s'expliquer par le seul fait que, la population actuelle étant plus dense dans cette dernière région, les villages modernes oblitéreraient les sites antiques. On est amené à penser qu'à l'époque romaine la proximité du Limes y rendait la sécurité moins grande et limitait le nombre des installations isolées en rase campagne. La population peu nombreuse restait groupée dans des villes fermes fortifiées qui ressemblent à des fortins. Qu'il en ait été de même à l'époque arabe à un moment où des échanges nombreux existaient entre Mossoul et la vallée du Khabour, prouve que la région n'était pas sûre. Nous le savions déjà par un texte de Ibn Shaddad (3). Il nous semble que dans cette dernière époque, la vie sédentaire était impossible au Nord de la ligne Khabour — Brak — Radd, sauf dans des villes fortifiées. Autre problème, la rareté des fragments d'époque classique et byzantine sur les nombreux champs de ruines à l'Ouest

(1) — A. POIDEBARD, *op. cit.* p. 161.

(2) — CANARD, *op. cit.* p. 106.

(3) — *ib.*

du Khabour. On ne les rencontre en abondance qu'à Qantari — site situé hors du mohafazat de Jézireh où nous avons relevé des inscriptions syriaques inédites sur des poteaux de cancel — et à Ras el'Ain. On ne peut s'empêcher de penser que l'occupation gréco-romaine et byzantine, succédant dans ces régions à la période de dépopulation du Récent Bronze à l'âge du Fer, n'a pas réussi à leur rendre la prospérité économique qu'elles avaient connue à l'Antique Bronze et que les Arabes, à l'inverse de ce qui s'est passé dans les jebels des environs d'Alep, ont mieux su, avant la ruine définitive du pays par les Tartares, remettre en exploitation au moins les terres situées à l'occident du Khabour. Les textes des historiens arabes confirment la prospérité de ces régions à leurs époques. Toutefois rappelons qu'un texte d'Ibn Shaddad attribue à presque toutes les grandes villes dont il parle, une origine préislamique (2).

La défense du pays a été étudiée par le RP. Poidebard (2). Nos clichés permettent de préciser et de nuancer ses points de vue. La plupart des camps militaires reconnaissables s'étendent entre les jebels Abd el Aziz et Sinjar. Une double ligne de camps, parfois complétée par de longs murs, court de Mouazar au Jebel Tchamba, contrefort occidental du Sinjar, (en passant par Hatouniye, *Lacus Berberaci*) et de Maghlouja jusqu'à tell Brak, (voir planche). Le camp signalé tout près de tell Arban se trouve en réalité à Marazza situé vers le N. O. à 6 kilomètres. Celui de tell Leilan est invisible sur nos clichés. On distingue un grand fossé qui ne nous semble pas circonscrire un camp. La dimension de tous ces camps semble être en relation avec les quantités d'eau disponibles. Marazza, qui était alimenté par un canal venant du Khabour, plusieurs fois refait, a une surface de 16 hectares. La taille des autres camps varie entre 8 et 4 hectares. Il est à noter que presque tous sont situés à une distance considérable des grands centres de population.

En dehors de cette double ligne de défense, on rencontre quelques autres camps dans la région de Kharab Saiyar; l'un d'eux à 2 kilomètres 500 au Nord de tell Khoneyrh. Leur céramique de surface est arabe. Enfin entre les camps, il y avait de nombreuses tours de garde et petites forteresses; il est difficile sur les clichés de les distinguer, tant elles ressemblent, nous l'avons dit, aux ruines des fermes et des villes. Il semble que de simples fermes fortifiées de plan carré — nous en avons reconnu un grand nombre — ont été à tort incluses dans le système de défense.

(1) — CAHEN, *La Jazira au milieu du XIII^e siècle d'après Isr ad-Din Ibn Chaddad*. *Rev. Et. Islamique*, 1934. p. 109 - 128.

(2) — *op. cit.* pl. CXL.

Il convient de signaler encore l'existence d'enceintes parfaitement circulaires. Elles ne paraissent pas enclorre de constructions. L'une d'elles a été notée à Awan (1). Nous n'avons pas pu nous y rendre pour recueillir des tessons.

Pour bien comprendre ces organisations défensives, il serait indispensable de déterminer celles qui sont exclusivement arabes. Certains fortins paraissent des créations postérieures. De plus il ne faut certainement pas se représenter le Limes romain comme une ligne frontière telle que nos états modernes la conçoivent ; les défenses s'organisaient en profondeur, sans limite territoriale fixe ; elles étaient précédées de zones d'influence favorables à Rome ou à l'adversaire.

Des ouvrages constitués par des murs divergeant et conduisant vers des enclos curvilignes ont été souvent signalés. On les considère comme étant des parcs à bestiaux. Nous en avons reconnu un grand nombre inédits. Presque tous sont situés en bordure de la troisième terrasse parallèle au Khabour.

4) — *Les réseaux routiers*

Les routes anciennes observables sur les clichés se présentent sous deux aspects distincts : soit des trainées sombres larges et un peu floues qui, examinées au stéréoscope, paraissent en contre bas des terres avoisinantes et recueillent par suite plus d'humidité ; soit des lignes également sombres mais fines et plus nettes. Les routes modernes que la poussière fait apparaître comme des lignes blanches ne peuvent se confondre avec ces chemins antiques,

En règle générale, les trainées du premier type sont toujours en connexion avec les tells. Elles rayonnent en ligne droite des grands tells fortifiés vers les petits tells satellites. Les lignes fines du second type relient les villes byzantines et arabes. Les unes et les autres très apparentes à proximité des ruines s'estompent en s'en éloignant. Ce fait est facile à expliquer : près des agglomérations les chemins plus fréquentés se sont davantage creusés. De même, si les routes en relation avec les tells préhelléniques sont plus larges et plus profondes, c'est parce qu'elles ont été utilisées pendant une période plus longue, alors que celles des temps classiques et arabes ont relativement eu une courte existence.

La nature du sol joue un rôle important dans la préservation des anciens tracés. Dans les régions gypseuses, les routes demeurent beaucoup plus visibles que dans les bassins d'alluvion, car la poussière y est plus abondante. Elle se soulève au vent et le chemin se creuse davantage.

(1) — A. POIDEBARD. *op. cit.* pl. CXL.

On peut distinguer des routes principales et des routes secondaires, d'après leur largeur et leur creux.

Cette distinction ne peut toutefois pas se faire pour les chemins préhelléniques. Il ne semble pas en effet qu'il y ait eu alors, tout au moins dans la région que nous avons étudiée, des voies de grande communication : toutes les routes paraissent conçues pour les besoins locaux de populations agricoles vivant en économie fermée, sans soucis de relations extérieures. Les déplacements de principautés à principautés étaient exceptionnels. Ils s'effectuaient par des cheminements de tells à tells empruntant les routes rayonnantes, sans itinéraire fixe. La grande route signalée par les itinéraires assyriens devait passer plus au Nord au pied des montagnes.

Toutes les grand'routes que nous avons reconnues paraissent d'origine classique. On distingue celle qui reliait Raqqa à Ras el'Ain par Qantari et Kharab Saiyar ; plusieurs voies d'aspect stratégique au Sud du Jebel Abd el Aziz et se dirigeant vers le Sinjar ; deux routes suivant chaque rive du Khabour. La traversée de la rivière pouvait se faire facilement à Sabaskour, Ajaja, Sheddade, Fadrami, Sheykh Ahmed. Au Nord d'Hasseké qui, répétons-le, ne paraît pas avoir été un lieu de passage important, le point de traversée le plus fréquenté se situe à Boueida, entre Thellaba et Majdal.

Nous avons cherché vainement certaines routes restituées théoriquement par des commentateurs des anciens itinéraires.

5) — *Les canaux d'irrigation et de drainage*

Les canaux apparaissent sur les photographies, tout comme les routes, sous l'aspect de lignes sombres ; la végétation y demeure plus vigoureuse. Un canal abandonné ressemble en effet aux routes creusées par un long usage. On les distingue toutefois aisément, car celles-ci franchissent les accidents de terrain, alors que les canaux suivent les méandres des courbes de niveau, tout au moins les plus grands. Les canaux secondaires et tertiaires se reconnaissent par leurs connections avec les primaires dont ils dépendent.

Dans les champs emblavés, canaux et routes se discernent mieux que dans les terres en jachère ou fraîchement labourées ; lorsque les moissons sont sur pied, les différences dans le développement de la végétation accusent leur tracé. On voit alors parfois apparaître jusqu'au parcellement les terres ; parfois même deux systèmes de parcellement se superposent. Cette étonnante conservation nous permettra dans notre publication ultérieure d'étudier la distribution des terres cultivées.

Presque tout le réseau des anciennes irrigations se trouve sur le long du Khabour. Ainsi que de nos jours, on distingue deux types différents d'irrigation.

a) *Des ouvrages de petite irrigation* qui alimentaient de modestes fermes isolées, probablement au moyen de norias à aube ou à chaîne avec distribution par gravité. Toutes les terres basses de la terrasse inférieure pouvaient être irriguées par ce procédé.

b) De grands canaux qui irrigaient les terres plus élevées de la seconde terrasse.

Ces vastes ouvrages alimentaient plusieurs grosses installations agricoles. Trop importants pour être l'oeuvre de simples particuliers, ils laissent supposer une intervention des pouvoirs publics et l'existence d'un plan d'aménagement. Le tracé des canaux secondaires et tertiaires est en effet très régulier et prémédité. Leur conception présente un parallélisme frappant avec les projets d'irrigation modernes. Toutefois à présent les motopompes permettent des prises d'eau plus indépendantes de la configuration du terrain que lorsqu'on n'utilise que la gravité.

Les quatre grands canaux indiqués sur la carte sont tous situés au Sud d'Hasséké. Leurs dimensions permettent d'estimer leur capacité entre 2 et 5 m³ par seconde. Un calcul approximatif de leur longueur et des superficies qu'il pouvaient irriguer donne les chiffres suivants :

Canal I	longueur 27 k.	3.900 hectares
• II	• 35	4.750 •
• III	• 32	8.000 •
• IV	• 12.500	1.750 •
TOTAUX	106 500	18.400 hectares

Terrains effectivement irrigués 80 %, 15.500 hectares

Les zones irriguées de la terrasse inférieure peuvent s'estimer de 12 à 15.000 hectares, ce qui fait un total de 30.000 hectares environ de cultures irriguées dans l'antiquité entre Ras el'Ain et Sheykh Ahmed.

En comptant les cultures irriguées situées entre Sheykh Ahmed et Tell Souwar, la presque totalité des eaux du Khabour devait être utilisée en été.

Les canaux ne servaient pas seulement à l'irrigation : le canal I devait alimenter en eau potable le vaste camp militaire de Marazza, et le canal IV desservir la ville fortifiée située près de Sheykh Ahmed.

Il est probable que tous ces canaux n'ont pas servi en même temps. Le canal II a été reconstruit plusieurs fois avec des variantes de tracé. Les investigations ultérieures permettront sans doute de déterminer la date d'utilisation de chacun d'eux, d'après celle des agglomérations qu'ils desservaient.

Tel est le très sommaire bilan d'un premier examen des clichés aériens et de nos prospections au sol. Ce bilan suffit à montrer l'intérêt de méthodes qui, nous le souhaitons, seront appliquées un jour à l'ensemble du territoire syrien. Dans quelques mois nous disposerons des photographies de la vallée de l'Euphrate et du Balikh. Elles nous permettront d'élargir les limites géographiques de notre étude sur la Jézireh syrienne.

Damas, mai 1955



RÉSUMÉ DES RÉSULTATS

DE LA XVIII^e CAMPAGNE

DE FOUILLES A RAS SHAMRA - UGARIT, 1954

par

C.F.A. SCHAEFFER,

MEMBRE DE L'INSTITUT

PROFESSEUR AU COLLÈGE DE FRANCE



مرکز تحقیقات کلاسیک و باستان‌شناسی

La XVIII^e campagne de fouilles de la Mission Archéologique de Ras Shamra a eu lieu d'octobre à décembre de l'an dernier (1954). Nos travaux et voyages furent de nouveau facilités par la bienveillante attitude du Gouvernement de Damas et de ses services. En particulier, le Dr. Selim Abdul-Hak, Directeur Général des Antiquités de Syrie a dans toute la mesure possible contribué au succès de nos fouilles.

Comme par le passé, ont assisté aux recherches Madame Schaeffer et mon collaborateur technique des campagnes précédentes, M Forrer. Se sont joints à nous aussi deux volontaires: MM. Kuschke et J. C. Schaeffer. Nous remercions aussi MM. Sheffik Imam, Abdul Kader Rihawi, Adnan Bouni et Raïf Hafez de la Direction des Antiquités de leur concours.

Les fouilles de l'automne dernier ont été consacrées exclusivement à l'exploration des ailes est et sud du palais. Nous y mîmes au jour un nombre considérable de pièces et de salles disposées autour de deux cours intérieures ce qui porte à six le nombre de ces flots de lumière et d'air aménagés à l'intérieur du vaste bâtiment.

A l'état actuel du dégagement, la surface du Palais d'Ugarit, non com-

pris la forteresse à l'ouest et les communs au sud, atteint 9000 m². Elle dépassera largement cette surface, quand les ailes est et sud-ouest déjà repérées sur le terrain auront été fouillées. Toute Notre-Dame de Paris, sa clôture vers les quais comprise, y tiendrait donc à l'aise.

A titre de comparaison, je rappelle la surface de deux palais contemporains de celui d'Ugarit : le palais d'Atchana - Alalakh couvre moins de 2000 m², celui des rois hittites à Boghaz-Keuy, si nous doublons la surface jusqu'ici dégagée, ce qui correspond au développement maximum compatible avec la topographie des lieux, couvriraient 3000 m². C'est un tiers de la surface du palais d'Ugarit.

La cour intérieure mise au jour dans l'aile est du palais mesure 40 sur 25 m ; elle contient au centre un enclos rectangulaire qui retenait les terres d'un jardin. Le muret est interrompu dans l'angle nord-est par l'entrée d'un pavillon ornée de deux colonnes et qui, à en juger d'après les grandes installations hydrauliques destinées à l'arrosage, devait servir de logement au jardinier.

Le jardin était bordé tout autour d'une allée sur laquelle s'ouvrent les portes ou portiques des pièces ou salles voisines du palais. Lors de l'incendie qui détruisit cette partie du palais au cours du XIII^e s. av. notre ère, ce fut dans cette allée qu'on avait hâtivement évacué ou jeté une partie du mobilier sauvé des pièces voisines ou retiré en hâte de quelques-uns des grands dépôts et celliers que nous sommes en train d'examiner à l'angle sud-est du palais.

Nous y retrouvâmes aussi des restes de divers meubles plaqués de feuilles d'or, de gros lingots de plomb argentifères, des vases en albâtre, des paquets à moitié calcinés de fourrures retenus par des fils de plomb. Parmi les débris noircis par le feu nous retrouvâmes aussi plusieurs séries de poids, depuis la fraction du sicle de 9 gr. ou ses multiples 2, 3, 5, 10, 20, 30, et 50 jusqu'au gros poids pesant 300, 500 et 1000 sicles.

La plupart de ces poids répondent donc à un système pondéral décimal, différent du système sexagésimal en usage à la même époque en Mésopotamie. Quelques-uns des poids du palais d'Ugarit correspondent aux poids en usage en Egypte.

Dans l'entrée d'une des pièces en bordure de l'allée sud du jardin, nous retrouvâmes, dispersée sur le sol, une partie de la comptabilité de l'intendant chargé d'enregistrer les entrées et sorties des magasins du palais. Il y est question de livraisons d'huile, de distributions de vêtements à des fonctionnaires ou serviteurs du palais, de diverses dettes ou créances. Deux documents juridiques

attestent que ces affaires économiques du palais ne s'arrangeaient pas toujours sans l'intervention du juge.

Pour ainsi dire perdu parmi ces papiers d'affaires et documents administratifs, nous trouvâmes les fragments d'une grande tablette liturgique en cunéiforme alphabétique. Sa présence ici rappelle un texte analogue recueilli parmi les armes et équipements des archers chargés de la garde du palais ou le rituel suméro-accadien rencontré parmi la comptabilité d'un marchand installé dans une des belles maisons mise au jour en 1953, à l'est du palais. Seraient-ce là des tablettes religieuses que des individus conservaient auprès d'eux, comme nous détenons aujourd'hui un livre de prière ?

Dans l'angle nord-ouest de cette même allée, non loin de l'accumulation de meubles qui nous a livré déjà les restes d'un lit de repos et d'un guéridon ornés de plaquettes sculptées et gravées, nous trouvâmes, en novembre dernier, deux autres remarquables pièces en ivoire.

Il s'agit d'une part d'un triple cadre de 75 sur 80 cm de développement, fait de multiples plaquettes en ivoire habilement assemblées. Dans le creux central était enchassé un relief ou image disparu aujourd'hui. Il fut probablement en or, à en juger d'après des lamelles qui adhèrent encore au cadre.

Cette pièce de taille exceptionnelle vu sa fragilité, a beaucoup souffert du long séjour dans la terre. Il a fallu un travail de plusieurs semaines par l'un de mes collaborateurs techniques, M. Hafez, pour la sauver dans des conditions permettant sa restauration ultérieure au Musée de Damas.

A côté du cadre, a été préservée une belle tête en ivoire massif de 15 cm. de hauteur qui figure l'un des rois d'Ugarit, exemple rare d'un portrait en ronde bosse de cette haute époque. On serait tenté d'y reconnaître l'un des deux rois les plus remarquables de la maison royale d'Ugarit, Niqmad ou Ammistamru II. En tout cas, il s'agit d'un souverain autre que celui qui est représenté avec sa jeune épouse sur l'une des plaquettes sculptées du lit de repos trouvé auparavant non loin du même emplacement. Les yeux, les sourcils et l'entaille pour la jugulaire étaient incrustés de lapislazuli, d'or et d'électrum. Le casque est bordé de fil d'or et surmonté d'un cimier tronconique.

Cette belle pièce après le dégagement, a dû être immédiatement mise à l'abri de l'air pour éviter de se fendiller et de tomber en poussière.

Profitant de la surface du jardin, nous avons exécuté dans l'aile est du palais, un sondage en profondeur. Après avoir percé les couches du second ni-

veau où un charnier du début du II^e millénaire avec sa poterie caractéristique visible sur cette projection fut rencontré, nous atteignîmes les couches de la fin du III^e millénaire sans rencontrer aucun mur d'un palais antérieur. Nous allons pousser cette recherche stratigraphique cette année jusqu'au sol vierge à la base de la colline, haute ici de 12 m. Mais dorénavant et déjà, il est acquis que le palais primitif dont nous avons rencontré ailleurs quelques vestiges de murs, devait être plus petit que la vaste et somptueuse demeure des Niqmad et Ammistamru que nous explorons actuellement.

Au centre de l'aile sud, nous mîmes au jour une cour entourée de plusieurs pièces qui, sans exception, ont servi à la conservation et au classement des tablettes en cunéiforme.

Le mur extérieur du palais, est élevé entièrement en pierres de taille et présente un bossage qu'on a considéré jusqu'ici comme caractéristique de l'architecture des Croisés, de près de trois millénaires plus récente.

La cour qui se trouve derrière ce mur contient au centre un bassin rectangulaire mesurant 6 sur 8 m. Après une semaine d'effort, le grand cube de terre et de pierres tombé dans la cour ayant été extrait, nous avons mis au jour l'ensemble du bassin ornemental avec son fond soigneusement cimenté et encore étanche, pourvu d'un trop plein qui se déverse dans une canalisation souterraine reliée au grand égout collecteur du palais.

Le bassin avait un encadrement double en pierres de taille. Il est alimenté par une canalisation en pierres aménagée sous le sol des pièces voisines et qui passe sous le mur d'enceinte du palais pour se perdre dans le terrain non encore fouillé au sud du bâtiment. Il sera intéressant d'établir par quel moyen l'eau pour le bassin fut obtenue alors que le palais est établi sur le sommet d'une colline, où la nappe souterraine se trouve selon les saisons entre 12 à 15 m. de profondeur. Nous voyons ainsi que les bassins d'eau qui ornent les palais syriens actuels sont la suite d'une longue tradition remontant jusqu'aux temps d'Ugarit.

Sur la figure, montrant la cour et son bassin ornemental vu de l'angle nord-ouest, l'on voit l'un des puits du palais dont la margelle entourée d'un pavage est restée intacte. Dans l'angle de la cour à droite, derrière le puits, un petit muret posé sur le fond de la cour nous a réservé une découverte assez surprenante.

Dangereusement déversé comme le montre la photographie, le mur ouest, s'était écroulé à l'intérieur de la cour, ses blocs avaient recouvert le puits.

et écrasé l'auge qui se trouvait à côté. Le bord de la margelle du puits est creusée d'un trou, pour attacher l'extrémité de la corde à laquelle était fixé le seau.

L'effondrement de cette partie du palais a dû survenir assez subitement ce qui entraînait la perte d'un nombre considérable d'objets enfouis sous les décombres. Parmi ces objets, je ne signale que quelques bronzes dont une belle épée à poignée incrustée d'argent. Sur l'une des plaquettes en ivoire retrouvées dans la palais, où l'on voit le roi en train de menacer un chef ennemi tombé à ses pieds, une épée exactement du même type est représentée.

A la base de la masse de décombres provenant du mur écroulé, un peu au-dessus du niveau de la cour, nous fûmes intrigués par un dépôt de terre glaise partiellement cuite provenant de la voûte d'un four en forme de cloche. Il ne s'agissait cependant pas d'un four à pain, mais d'un four à cuire des tablettes dont la dernière fournée fut découverte *in situ* au fond de la chambre de cuisson.

Depuis 100 ans que l'on trouve dans le Proche-Orient des tablettes en cunéiforme, on n'a jamais eu la chance de rencontrer un four et ce qui est plus surprenant, l'opération de cuisson n'est jamais mentionnée sur aucun des textes sumériens, babyloniens ou assyriens jusqu'ici connus.

Vu sa fragilité et la nature de la catastrophe, le four de Ras Shamra n'est préservé qu'en partie. Sa voûte notamment tomba en poussière en cours de dégagement. Ses dimensions ont cependant pu être prises : sa hauteur ne dépassait pas un mètre, son diamètre à la base était de 1 m 20.

Le four était adossé à un petit muret formant angle qui part d'un contrefort intérieur de l'enceinte de la cour. Dans l'angle du contrefort était établie une fosse où furent accumulées les cendres des opérations de cuisson précédentes.

Sur la photographie, l'on voit M. Hafez et un autre de mes collaborateurs en train de photographier le fond du four. Ce fond était revêtu de pierres réfractaires sur lesquelles étaient déposées des tablettes de grandes dimensions représentant des registres nominatifs classés par profession. Sur ce fond ont été empilées les autres tablettes de taille moyenne ou petite, le tout imprégné de cendres et de charbons de bois.

Au milieu de l'accumulation, nous observâmes un noyau de tablettes peu cuites ou pour ainsi dire crues. Dans cette masse informe, fondue ensemble, quelques signes seulement sont reconnaissables. De toute évidence la cuisson a été interrompue par la chute du mur voisin, accident auquel nous devons cependant d'avoir retrouvé le four.

La dernière fournée était composée de quelques 75 textes dont une trentaine en bon état autant de légèrement endommagés et des centaines de fragments. Ces fragments ajoutés à la masse de textes informes et illisibles non cuits doivent correspondre à une vingtaine de tablettes. Les scribes du palais avaient donc attendu d'avoir rédigé une centaine de textes avant de procéder à leur cuisson.

Selon l'analyse que notre confrère M. Ch. Virolleaud a présenté de cette trouvaille, la nature des textes retrouvés dans le four est extrêmement variée. Il y a plusieurs lettres ou des copies de lettres dont l'original a dû être en accadien ; l'une de ces traductions mentionne le nom du dernier roi d'Ugarit qui portait le nom célèbre de Hammourapi. Au cours de son règne a dû survenir la destruction du four et de cette partie du palais. D'autres tablettes du même ensemble constituent des registres nominatifs, des listes de cadeaux, des registres de corporations, des inventaires de matières diverses. Dans quatre textes il est question de navires de la flotte commerciale d'Ugarit ou de celle du roi de Beyrouth. Tous ces documents, sans exception, sont rédigés en cunéiforme alphabétique ou ougaritique, alors qu'à deux mètres plus loin, dans la même cour se trouve l'entrée des Archives Sud où étaient conservées quelque 200 textes exclusivement rédigés en accadien. Une fois de plus, l'observation confirme le rigoureux classement des tablettes dans les Archives du palais d'Ugarit.

A la fin de la campagne, nous avons commencé à examiner deux pièces dont les entrées s'ouvrent sur le côté ouest de la cour au bassin et qui semblent constituer le secrétariat où furent rédigés les textes alphabétiques retrouvés dans le four. Nous reprendrons ici les recherches en septembre prochain.

Dans l'angle sud-est de la même cour, nous avons pu achever les fouilles dans les Archives Sud du palais. Il se confirme que ces Archives ne contenaient exclusivement que des tablettes accadiennes provenant de la chancellerie des rois hittites à Bozhaz-Keuy ou de leurs alliés au nord d'Ugarit. Ces tablettes par la teinte rouge ou brique de leur terre se distinguent des textes rédigés à Ugarit qui sont en terre grise ou noire. En plus, elles portent imprimés sur la face ou sur la tranche des cachets royaux hittites ou des sceaux gravés au nom des hauts fonctionnaires de la cour. Parmi les tablettes provenant de Karkemish, il y en a qui sont scellées à l'aide de cylindres-sceaux selon la tradition mésopotamienne et syrienne.

Dans deux communications récentes, M. Nougayrol a analysé devant l'Académie les documents essentiels de cette correspondance internationale retrouvé dans les Archives Sud : lettres, traités et accords commerciaux qui éclairent les relations entre Ugarit et les pays hittites pendant la seconde moitié du

2^e millénaire, c'est-à-dire la période critique de la tension entre l'Égypte et le Hatti à propos de la Syrie du Nord.

D'autre part, M. Laroche, professeur à la Faculté des Lettres de Strasbourg va publier sous peu dans *Ugarica* III, une étude sur les gains substantiels qu'on peut tirer pour le déchiffrement de l'écriture hiéroglyphique hittite de l'examen des sceaux bilingues imprimés sur ces tablettes.

Pour terminer ce rapport, je voudrais signaler rapidement le résultat d'un examen analytique des sceaux relevés sur les tablettes des Archives Sud, maintenant que nous avons retrouvé l'ensemble des textes qui ont échappé à la destruction du palais. Cet examen permet d'obtenir quelques lumières sur les traditions sigillographiques des Hittites et de les comparer à celles observées dans la chancellerie du palais d'Ugarit.

Les empreintes sur les tablettes hittites du temps de Suppiluliuma retrouvées dans nos Archives Sud attestent l'existence de 3 matrices du grand sceau au nom de ce roi et de sa corégente, la reine Tawananna

En examinant, d'autre part, les empreintes du sceau sur les documents des Archives de Boghaz-Keuy publiés par M. Güterbock, on s'aperçoit que dans la chancellerie de la capitale hittite, il existait, en outre, au moins quatre grands sceaux à la gravure légèrement différente au nom de Suppiluliuma et d'une reine, fille du roi de Babylone, qui doit être la Tawananna mentionnée sur les sceaux des tablettes d'Ugarit.

A côté de ces sceaux de grand format, les empreintes de Boghaz-Keuy révèlent l'existence d'au moins quatre petits sceaux au nom de Suppiluliuma et de la reine Hinti, une autre de ses trois épouses successives.

Du fils et successeur de Suppiluliuma, Mursil II, nous connaissons maintenant de Ras Shamra les empreintes de deux grands sceaux différents, ainsi qu'un troisième] grand sceau dont nous avons retrouvé la matrice originale en pierre dans un coin de la cour d'honneur du palais d'Ugarit. De Boghaz-Keuy on n'a publié que des fragments d'empreintes, mais on ignore le nombre de sceaux dont elles étaient tirées.

Des rois hittites Muwatallu et Urhi-Teshoub dont aucun document ni sceau n'a été trouvé dans les Archives Sud d'Ugarit, l'on connaît par des empreintes de Boghaz-Keuy quatre grands sceaux différents et trois du petit format au nom de Muwatallu et de son épouse, la reine Danuhepa. Parmi les cachets d'Urhi-Teshub on peut d'autre part identifier à Boghazkeuy une dizaine de sceaux légèrement différents entre eux.

Dans nos Archives Sud, les cinq empreintes au nom du roi Hattusil et et de la reine Puduhepa, dont voici un exemple, proviennent de 3 sceaux différents, un quatrième du petit format est gravé au nom de la reine seule. De leur côté, les Archives de Boghaz-Keuy ont fourni les empreintes de trois sceaux du même couple royal dont l'un est sûrement du grand format, et de quatre grands sceaux au nom de Hattusil seul. Ils sont tous différents entre eux et différents par rapport aux sceaux imprimés sur les documents contemporains de Ras Shamra.

Du fils et successeur de Hattusil, Tudhalija IV, les Archives Sud de Ras Shamra n'ont restitué qu'un seul document portant l'empreinte du grand sceau. Il s'agit là d'un des plus beaux exemples de la glyptique hittite.

De Boghaz-Keuy, l'on a signalé six sceaux du grand format différents entre eux et différents par rapport au sceau de Ras Shamra. En plus, il y existait deux sceaux du petit format.

Il n'a cependant pas été possible d'établir avec certitude auxquels des trois ou quatre rois du Nouvel Empire hittite portant le nom de Tudhalija appartenaient les sceaux de Boghaz-Keuy.

Parmi les empreintes postérieures à Tudhalija IV, l'on a pu identifier à Boghaz-Keuy le grand sceau de son fils et successeur Arnuwanda. Les Archives Sud d'Ugarit ne le mentionnent pas.

Pour ce qui est du nombre de sceaux dont se sont servis les rois de Karkemish ou d'Amurru et les princes ou hauts fonctionnaires hittites maintenant connus par les empreintes sur les tablettes de nos Archives Sud, le relevé montre que chez eux l'utilisation de plusieurs sceaux semble aussi avoir été pratique courante.

Ainsi Ini-Teshub, roi de Karkemish, possédait deux sceaux du grand format, fig... et trois cylindres sceaux.

Shaushga-Muwa, roi d'Amurru, se servait de deux sceaux de format moyen, et, en plus, d'un cylindre-sceau dynastique déjà utilisé par son trisaïeul, le roi Aziru, puis par son bisaïeul, le roi Du-Teshub ce qui est confirmé par un document de ce dernier retrouvé à Ras Shamra.

De son côté, Arma-Ziti, prince hittite, possédait un grand sceau et un sceau du petit format. Un autre prince hittite, Taki-Sharruma, signait ses messages par l'empreinte de sa bague à cartouche ovale ; il possédait en outre un cachet circulaire de petit format.

Enfin, l'ambassadeur de Karkemish, Amanmashu, d'origine égyptienne, un transfuge politique d'Amurru, qui a trahi son maître, le pharaon, pour épouser la cause hittite, signait un document retrouvé dans nos Archives Sud par un cylindre-sceau et par un cachet en forme d'empreinte de scarabée.

L'étude combinée des documents d'Ugarit et des tablettes de Boghaz-Keuy permet ainsi de constater que les rois hittites se sont servis pour sceller des traités et autres instruments diplomatiques de sceaux de grand format, tandis que les documents de moindre importance furent pourvus de sceaux de taille inférieure et d'aspect plus simple. Ainsi, dans nos Archives Sud, les traités et accords de frontière conclus entre les rois Suppiluliuma et Mursil II avec les rois d'Ugarit, ainsi que l'importante convention entre Tudhalija IV et Ammistamru à propos de son divorce avec la fille du roi d'Amurru, ont reçu des sceaux du grand format. Par contre les réglementations commerciales ou juridiques du temps de Hattusil III ne portent que l'empreinte de petits sceaux.

Cette organisation entraînait l'utilisation simultanée d'au moins deux sceaux du temps de chaque souverain, un grand sceau et un petit sceau. Elle ne saurait cependant expliquer la multiplication des sceaux de chacun des deux formats au nom du même roi ou du même couple royal que nous venons de constater : sept sceaux du grand format et quatre du petit pour Suppiluliuma, quatre grands sceaux pour Mursil II, six grands sceaux de Murwatallu, plus de cinq sceaux d'Urhi-Teshub, neuf grands sceaux et deux petits de Hattusil III et environ trois grands sceaux pour Tudhalija. Et ce sont là des minima, car notre documentation tant de Ras Shamra que de Boghaz-Keuy est forcément incomplète.

Même ainsi, et en tenant compte des cas d'usure ou de fêlure qui nécessitaient le remplacement de certaines matrices, le nombre de sceaux paraît trop élevé pour pouvoir s'expliquer autrement que par l'utilisation simultanée au cours du même règne d'un assez grand nombre de sceaux royaux du même type.

Cette conclusion entraîne l'hypothèse que les rois hittites ont dû user de délégations de pouvoir en confiant à l'occasion un exemplaire du sceau royal à leur représentant, hypothèse renforcée par la découverte dans le palais d'Ugarit de la matrice d'un sceau original de Mursil II.

On a déjà remarqué que le royaume hittite, essentiellement fédéral, s'est constitué par le rattachement au Hatti primitif d'une série de petits Etats avec lesquels furent conclus des pactes de caractère international. De là la préoccupation des rois hittites de faire préciser par écrit les liens avec leurs voisins. D'autre part, né de la guerre, le Hatti ne pouvait se maintenir que par la guer-

re et les rois passaient une bonne partie de leur vie en campagne à la tête de leur armée. Selon des sources hittites, Suppiluliuma serait resté ainsi quelques vingt années absent de sa capitale. Des princes furent nommés gouverneurs des provinces éloignée du royaume avec le titre de « petit roi » ; je ne rappelle ici que la carrière d'Hattusil. Le gouvernement fut cependant toujours exercé au nom du grand roi, le gouverneur ou petit roi ne possédait aucun droit souverain, un serment de fidélité lui fut imposé par écrit.

On comprend que cette organisation entraînait de nombreuses occasions qui devaient obliger les rois hittites à faire régler des affaires d'état par personne interposée. Le grand nombre de sceaux royaux de grand et petit format maintenant révélé par les empreintes sur les textes hittites découverts à Ras Shamra et antérieurement à Boghaz-Keuy, semble être ainsi en harmonie avec la forme gouvernementale des Hittites.

Du point de vue sigillographique, l'usage adopté par les rois hittites de se servir de grands et petits sceaux et, comme la trouvaille à Ras Shamra du grand sceau original de Mursil II l'indique, de confier leur sceau à leurs plénipotentiaires, pourrait être rapproché de la situation telle qu'elle existait en France après la création du parlement au XIV^e siècle, lorsqu'on distinguait entre le grand et le petit sceau ainsi que le sceau dit des grands jours que le roi confiait à ses commissaires envoyés en province.

L'organisation hittite aux XIV^e - XIII^e s. av. n. è., à ce point de vue, paraît plus moderne, si j'ose dire, que celle connue en Occident au Moyen Age, lorsqu'il n'y avait par règne qu'un seul sceau royal, dont la matrice fut solennellement brisée à la mort du souverain pour être remplacée par le sceau de son successeur.

Un mot enfin, pour préciser l'usage que firent les rois d'Ugarit du sceau royal. Les souverains d'Ugarit n'avaient pas adopté la forme du sceau circulaire hittite qu'on imprimait sur les tablettes. Ils se sont tenus à la tradition du cylindre-sceau mésopotamien qu'on déroulait sur le document. Or les empreintes sur les tablettes des Archives Centrales du palais de Ras Shamra dont nous avons retrouvé encore quelques exemplaires pendant la dernière campagne, révèlent l'existence de deux exemplaires du même cylindre utilisés parallèlement pour sceller les documents officiels pendant au moins quatre règnes successifs.

La question se pose si cette utilisation simultanée de deux cylindres-

sceaux royaux à Ugarit est comparable aux pratiques sigillographiques que nous venons de constater chez les rois hittites. La réponse doit être négative.

L'usage qu'on faisait du sceau royal et la conception même de sa fonction furent différents chez les rois d'Ugarit par rapport aux souverains hittites. Chez ces derniers, chacun des multiples sceaux grands ou petits dont ils se servaient au cours de leurs règnes portait le nom du roi en fonction, et, le moment venu, l'ensemble fut remplacé par une collection de sceaux gravés au nom du nouveau souverain.

A Ugarit, au contraire, le grand sceau royal servait pendant le règne de plusieurs rois successifs. Il ne portait pas le nom du souverain en fonction, mais celui d'un roi antérieur, probablement le fondateur de la maison royale. Il s'agit donc effectivement d'un sceau dynastique.

Les jugements, édits, donations et autres décisions des rois d'Ugarit furent ainsi publiés non pas en vertu du pouvoir du roi régnant. Celui-ci dérivait son autorité légale de la conception d'un pouvoir qui s'attachait à la maison royale toute entière et au prestige qu'elle tirait de son ancienneté et de sa stabilité.

En un mot, chez les Hittites la fonction du sceau royal correspond à la structure féodale de leur gouvernement, tandis qu'à la même période, à Ugarit, nous rencontrons déjà l'idée ou du moins son germe, du pouvoir royal détaché de la personne du souverain laquelle n'en est plus que l'incarnation temporaire. La légalité des décisions royales fut garantie par une sorte d'acte magique : l'apposition du sceau dynastique par laquelle le pouvoir exercé par la maison royale dans les siècles passés et depuis son origine se trouve associé à l'acte du souverain en exercice renforçant ainsi son autorité.

Les rois d'Ugarit devaient donc prendre les plus grandes précautions pour assurer la conservation du sceau de leur ancêtre, fondateur de leur lignée et garant de leur autorité. L'un des sceaux dynastiques utilisés dans la chancellerie d'Ugarit présente, en effet, un style très fidèlement babylonien auquel, à l'état actuel de nos connaissances de la glyptique mésopotamienne et syrienne, il n'est guère possible d'attribuer une date postérieure au XVIII^e s. av. n. è. Comme l'a remarqué M. Nougayrol (1) les souverains d'Ugarit des XIV^e et XIII^e siècles se sont ainsi servis pour authentifier leurs documents officiels d'un sceau antérieur de quatre siècles au moins à leurs règnes respectifs.

(1) CREAL 1951. p.

Dans ces conditions est-il admissible qu'ils aient pu autoriser la confection d'un second sceau dynastique et permettre l'utilisation de cette réplique simultanément avec l'original ? Quelle valeur aurait-on pu attacher à cette réplique récente si officielle qu'elle fut ? Et pour quelles raisons aurait-on décidé de doubler ainsi le sceau original dont le prestige n'aurait guère pu gagner à l'opération ?

Il suffit de poser ces questions pour éprouver de l'inquiétude à l'égard de l'hypothèse de la confection officielle à Ugarit d'une réplique de l'ancien sceau dynastique.

Une comparaison des deux cachets permet de constater que le second sceau dynastique donne l'impression d'une copie fidèle certes, mais dont le graveur n'a pas su rendre la fermeté de style ni certains détails de l'original babylonien.

A quelle époque remonte cette copie ? Le traducteur de nos textes accadiens a admis qu'elle est vraisemblablement contemporaine des tablettes qui en portent la marque, c'est-à-dire des XIV^e et XIII^e s. av. n. è. Or si l'on applique à la copie l'argument du style qui a servi à fixer la date de l'original, nous nous trouvons devant une sérieuse difficulté.

Au cours de nos dix-huit campagnes de fouilles à Ras-Shamra, nous avons recueilli plus de 400 cylindres dont la date est assurée par leur situation stratigraphique et le contexte archéologique, parfois par leurs inscriptions.

A l'exception de quelques pièces recueillies dans les couches de la fin du IV^e et du III^e millénaire, à la base de la colline, de beaucoup le plus grand nombre de ces cylindres appartient aux deux périodes les plus récentes de l'histoire d'Ugarit : d'une part le niveau II contemporain du Moyen Empire égyptien, autrement dit les XX^e, XIX^e et XVIII^e s., de l'autre, le niveau I correspondant au Nouvel Empire, c'est-à-dire à la période s'étendant de 1550 env. à 1200 av. n. è.

Or, le second cylindre-sceau dynastique n'entre ni dans l'une ni dans l'autre des deux catégories de cylindres jusqu'ici observées à Ugarit. A en juger d'après son style et les particularités de sa gravure, il doit être postérieur aux cylindres du niveau II, donc postérieur à 1750 av. n. è. environ, et antérieur à ceux du niveau I, donc antérieur à 1550 en chiffres ronds.

Nous devrions ainsi l'attribuer à la période intermédiaire qui à Ras-Shamra, comme dans la plupart des sites archéologiques de Syrie et d'Asie Occidentale en général est caractérisée par une extrême pauvreté des couches archéologi-

ques et, généralement, par une absence de monuments épigraphiques.

C'est l'époque de l'invasion des Hyksos et de l'éclipse du pouvoir pharaonique en Egypte, de la chute de la dynastie babylonienne après Hammourapi et de la prise de pouvoir des Kassites en Mésopotamie, de l'affaiblissement de l'ancien Empire hittite suivi d'une période d'anarchie en Anatolie.

Partout entre 1750 et 1500, nous voyons l'ordre ancien balayé, les pays et empires plongés dans une période de détresse économique et de désordre civil pendant laquelle les arts s'appauvrissaient ou même dégénéraient.

En particulier, la glyptique, on l'a constaté depuis longtemps, montre alors un déclin de la technique, témoins les cylindres dits hyksos et, en ce qui concerne les productions mésopotamiennes ou babyloniennes, les cylindres tardifs de style moins ferme de l'époque kassite.

C'est dans cette catégorie, que, selon son style, il faudrait, je crois, classer le second exemplaire du cylindre dynastique du palais d'Ugarit. Ainsi notre réplique serait encore de deux ~~sinon~~ de trois siècles antérieures aux documents sur lesquels elle a été apposée.

Il s'agirait donc, en réalité, non pas d'une réplique contemporaine de ces documents, mais d'un second cylindre ancien de la dynastie d'Ugarit, d'un siècle ou de deux plus récent que le prototype babylonien, mais auquel s'attachait néanmoins le prestige d'un original ancien. La chancellerie d'Ugarit, comme nous le constatons, pouvait l'utiliser concurremment avec l'original babylonien pour authentifier les tablettes royales publiées par Niqmadu II et ses successeurs entre 1400 et 1250 av. n. è.

L'hypothèse que je viens de proposer, car il ne s'agit ici que d'un essai d'interprétation d'une trouvaille particulièrement surprenante, semble avoir sur l'explication précédemment formulée l'avantage de mieux justifier l'usage simultané de deux sceaux dynastiques qui seraient tous les deux des originaux anciens par rapport aux documents qui en ont reçu l'empreinte, de s'accorder avec le style de la gravure du second exemplaire jusqu'ici considéré comme une réplique contemporaine des documents et de reporter la confection de la réplique à une époque de trouble et de désordre économique et civil ayant appauvri le pays d'Ugarit et obligé ses rois à s'exiler temporairement, autant que nous puissions le deviner d'après la documentation archéologique actuellement disponible.

Par contre, l'obscurité qui voile pour nous cette période, si elle est fa-

vorable à l'hypothèse selon laquelle le sceau babylonien original était devenu temporairement inaccessible, ce qui amena les souverains d'Ugarit à le remplacer, en revanche, elle ne nous permet pas d'éclaircir définitivement le mystère.

Nous devons évidemment poursuivre nos recherches sur le terrain et continuer à interroger les documents et trouvailles qu'il nous livrera.

C. F. A. SCHAEFFER



مرکز تحقیق و پژوهش دنیای باستان

RAPPORT PRÉLIMINAIRE SUR DES OBJETS

PROVENANT DE LA NÉCROPOLE ROMAINE SITUÉE A PROXIMITÉ DE

NAWA (Hauran)

par

SÉLIM ABDUL-HAK

Au mois de Juin 1955 arrivèrent jusqu'à la Direction Générale des Antiquités de Syrie, des rumeurs concernant des objets intéressants qui auraient été découverts dans une fouille clandestine, et qui se seraient trouvés entre les mains des paysans habitant le village hauranais de Tafas (1). J'ai prié, tout de suite, M. Abdel - Kader Rihawi, notre jeune inspecteur, de se rendre sur le lieu indiqué pour enquêter. Peu de temps après le départ de M. Rihawi, un antiquaire de Damas ayant pu entrer en possession d'une partie de ces objets, eut l'heureuse idée de me les apporter dans le dessein de les céder au Musée National. Il s'agissait d'un timbre de casque romain décoré de figures en relief (en mauvais état), que j'appellerai casque (A), un frontal de cheval, une lampe et une pelle en bronze, des armes de fer rouillé, des disques et boutons en bronze incrusté d'argent, des vases en verre, et une série d'autre objets de moindre importance.

Les renseignements fournis par l'antiquaire sur la provenance de ces objets, furent complétés par l'enquête menée par M. Rihawi à Tafas et dans

(1) Le village actuel de Tafas est situé au Sud du village Chaïkh Saad ; et une route vicinale de 19 km. le relie par ce dernier centre, au village de Nawa situé au Nord. C'était un centre antique intéressant (Cf. René Dussaud, *Topographie Historique de la Syrie Antique et Médiévale*, Paris, p. 345). Tafas a fait partie de la tétrarchie de Philippe mort en 34 ap. J. - C., et a passé à Agrippa II au milieu du 1er s. ap. J. - C. (Cf. Schürer, *Ccsch. d. iüd. Vol. es*, 4e, 69, I pp. 405, 425)

le village voisin de Nawa (1). Nous apprîmes ainsi que d'autres objets se trouvaient encore, entre les mains de paysans non identifiés. Le bataillon de gendarmerie du Hauran dirigé par le Lieutenant-Colonel Youssef Tahhan, fût aussitôt alerté. Grâce à l'efficacité de son intervention, les coupables furent vite reconnus et obligés de nous livrer les objets qu'ils détenaient encore. C'étaient un masque en bronze teinté d'argent appartenant au premier casque, un deuxième casque sans masque que j'appellerai désormais casque (B) un trousseau de bain de bronze, des armes de fer, et autres disques et boutons en bronze incrustés d'argent.

Dès que nous fûmes entrés en possession de ces objets remarquables notre premier soin fut de nous renseigner sur le lieu de leur trouvaille, et sur les circonstances de leur acquisition par les paysans. Ces derniers nous renvoyèrent à quelques fouilleurs clandestins de Nawa habitués, dans les années de sécheresse et de mauvaise récolte comme l'année 1955, à piocher dans le tell Oum Hauran assez connu pour contenir des tombes appartenant à une nécropole ancienne. Là, ils ramassèrent comme un précieux butin, les objets en question pendant l'une de leurs razzias nocturnes.

Comme l'indique son nom, le tell Oum Hauran, se trouve dans le Hauran entre Nawa, et un autre village du nom de (Jassem). De forme à peu près ovale, se prolongeant par une mamelle au Sud, il mesure 600 m. de longueur, sur 500 m. de largeur. Son point culminant ne dépasse pas 30 m. d'altitude. MM. Adnan Bonny et Nazmi Kheir de notre Section des Fouilles y procédèrent tout de suite à la reconstitution de la découverte clandestine. Ses auteurs amenés sur le lieu signalèrent l'emplacement d'une grande tombe à puits fraîchement déblayée et située à l'extrémité Est du tell (fig. 1).

Tout le secteur fut prospecté et nous nous aperçûmes de l'existence de plusieurs autres tombes à puits, fouillées à des époques plus ou moins récentes. Nous prîmes donc la décision de fouiller systématiquement le tell. Cette tâche fut confiée à mes deux collègues déjà cités qui menèrent pendant 80 jours une dure campagne dans tous les secteurs du tell, refouillant les tombes déjà

(1) Situé à 14 km. au Nord-Est de Cheikh Meskine par lequel passe la route Damas-Déra. C'était une ville de la Décapole et les sources historiques dont les sources arabes le signalent comme la ville de Job (cf. René Dussaud *Topog. Hist.*... p. 341-2); les Ghassanides occupaient la place forte d'al-Djābiya située un peu au Nord de Nawa (cf. René Dussaud, *Missions dans les régions désertiques*, p. 441 — 443; et la *Pénétration des Arabes en Syrie avant l'Islam*, Paris 1955, p. 70).

mises à jour par les clandestins, et déblayant environ 250 nouvelles tombes retrouvées intactes. Le plupart de ces sépultures consistent en de simples fosses aménagés sur les flancs du tell, en tombes à puits, et en un certain nombre de sépulcres à *loculi*.

Toutes ces sépultures étaient creusées à des hauteurs qui varient entre 1—8m. du sol, dans le roc ou dans la terre, sur toutes les pentes du tell. Une grande richesse d'instruments, d'outils en bronze, d'armes, d'objets en ivoire et en verre y fut recueillie. J'espère que bientôt nos fouilleurs pourront mettre au net leurs observations et études, et nous donnerons dans cette revue, un rapport sur la tâche qu'ils ont si bien exécutée.

Dans les pages qui suivent, il ne m'est possible que de procéder sommairement et provisoirement à la description des trouvailles effectuées par les fouilleurs clandestins (1). Les nouvelles de ces découvertes ayant été diffusées par la presse et la radio dans beaucoup de pays, il m'est un devoir d'alimenter la curiosité qu'elles ont suscitée par les détails qui m'ont été révélés lors d'une étude préliminaire.

La tombe à puits qui contenait le corps du défunt propriétaire de ces objets ne se différencie guère d'autres tombes similaires de la nécropole. Creusée dans la terre à 5m. 22 de profondeur, elle est à ciel ouvert et se compose comme les tombes de la nécropole d'Emèse fouillées en 1936 (2), de deux étages. La partie haute est une fosse creusée sommairement dans la terre et mesure 2m. 44 de profondeur, 4m. 14 - 3m. 90 de longueur et 3m. 72 - 3m. 63 de largeur. Quant à la partie basse, la tombe proprement dite, c'est une fosse également rectangulaire, dont les parois sont construites avec cinq assises de pierres en basalte bien taillées d'une profondeur de 2m. 34, d'une longueur de 2m. 08, et d'une largeur de 0m. 93. Il y avait ici dans cette fosse, le cercueil du défunt dont il ne restait que quatre appliques en bronze de 32cm de diamètre, sculptées d'une tête de lion avec un anneau servant de poignée à la partie supérieure.

(1) Je me sers dans cette description sommaire du peu d'ouvrages de base que contient notre petite bibliothèque archéologique de Damas.

(2) Par l'ancien Directeur Général des Antiquités l'Emir Djaafar al-Hassani, M. Henri Seyrig et M. Daniel Schlumberger (cf. M. H. Seyrig, *Antiquités syriennes, Antiquités de la nécropole d'Emèse* (1ère et 2ème parties) Syria, tome XXIX, 1952, 3-4 p. 204 et s. et tome XXX, 1953, 1-2, p. 12 et s.

Six poutres en basalte grossièrement équarries couvraient, avant l'arrivée des clandestins cette partie basse de la tombe, reposant sur le sol de la partie haute en retrait, et formant grâce au mortier une masse unie. Sur les poutres était déposé, selon les dires des clandestins, le matériel funéraire déjà énuméré. Au premier abord nous ne les avons pas crûs et nous avons été enclins à contester cette étrange pratique funéraire (1). Mais nos recherches ultérieures dans la même nécropole, nous ont montré avec évidence, que la plupart des objets funéraires découverts étaient posés sur les poutres en basalte d'autres tombes. Et ces tombes ne contenaient aussi que des ossements et parfois des appliques en bronze appartenant à des cercueils. Il reste à trouver l'explication logique de cette pratique.

Aucun ordre, toujours d'après les clandestins, ne présidait à la disposition des objets recueillis sur les poutres en basalte. Ils y avaient été jetés pêle-mêle, intentionnellement mutilés et entourés de quelques petites pierres dégrossies pour qu'ils ne soient pas écrasés par la masse de terre avec laquelle la partie haute de la tombe avait été comblée après l'inhumation (2).

Nous avons aussi été intrigués par le fait que parmi les objets trouvés sus les poutres de la tombe en question, étaient placés deux casques, des fragments de cuirasse à écailles, et un frontal de cheval que l'on a pris au premier abord pour un pectoral en bronze car sa forme originale ressemble à celle d'un soutien gorge, de femme. Cela nous permettait de supposer qu'il y avait ici deux défunts, un homme et une femme de condition princière, enterrés ensemble. Mais les dimensions de la tombe ne se prêtaient à recevoir qu'un cercueil et pour un seul occupant (3). De même, la terre de la partie basse criblée minutieusement par nos ouvriers n'a révélé que des restes d'os d'un même

(1) Dans la plupart des nécropoles fouillées par la Direction Générale des Antiquités notamment celles d'Emèse, de tell Nabi Mind, de Khesfne, de Zawié, le matériel funéraire était à l'intérieur des tombes (Les découvertes résultant de ces fouilles sont décrites sommairement dans notre livre : S. et A. ABDUL-HAK, *Catalogue illustré du département gréco-romain du Musée de Damas*, Damas 1951).

(2) Des vases en verre irisé assez fragile, furent trouvés intacts sur les poutres en basalte d'autres tombes mises à jour par les fouilles de MM. Bonny et Kheir dans cette nécropole.

(3) Les appliques en bronze qui furent ramassées par les clandestins à l'intérieur de cette tombe, appartiennent à un seul cercueil.

squelette. Ce qui nous a amené à affirmer que tous les objets découverts y compris le soi-disant pectoral en bronze et les deux casques appartenaient à un seul défunt. D'ailleurs les dimensions identiques de ces casques, leur ressemblance frappante, et les scènes en relief qui décorent leurs timbres et se complètent, ont consolidé l'hypothèse que nous sommes en présence d'un armement très riche appartenant à un illustre guerrier originaire de Nawa (1). Cet armement peut être daté de la fin du 1^{er} ou du début du deuxième siècle ap. J. - C. comme nous le verrons un peu plus tard.

Voici la description des pièces maitresses de cette étonnante découverte :

Le casque (A)

Ce casque est le premier qui fut apporté au Musée mais sans son masque lequel fut saisi chez les paysans de Tafas (2). Il est en très mauvais état, car l'oxydation du bronze dont il est fait, est très avancée. Elle a causé le détachement de plusieurs fragments de son timbre qu'heureusement, nous avons pu recueillir dans la terre de la tombe. D'autre part les parois du timbre sont pliées l'une sur l'autre, et il s'est avéré impossible, vu la friabilité de l'oxyde et son manque de souplesse, de les redresser pour le moment. Cependant nous espérons arriver un jour à restaurer ce timbre avec la collaboration et l'obligeance des ateliers de musées mieux équipés techniquement que notre atelier de réparation, et sur lesquels nous sommes amicalement habitués de compter (3).

Peut-être serait-on tenté de se demander pourquoi ce casque a été conventionnellement endommagé par ceux qui avaient inhumé le défunt. D'ailleurs le casque (B) a été aplati et rendu aussi inutilisable que les autres objets notamment les armes qui ont été tordues. Je crois qu'en signe de deuil, ou dans le dessein d'empêcher des voleurs éventuels d'être tentés de les exhumer, on avait voulu leur enlever tout caractère utile, après la disparition de celui qui s'en servait.

(1) Une preuve de la sincérité des clandestins sur ce point est fournie par le fait qu'ils avaient attribué le masque à visage du casque (A) au casque (B), trouvés tous les deux ensemble. Notre atelier technique a réparé cette erreur, et restitué le masque à son casque original.

(2) Voir p. 164 de cet article.

(3) Le British Museum, à qui nous devons la réparation très savante de notre casque d'Emèse nous proposa avec un esprit scientifique et professionnel, une gentillesse et une cordialité sans bornes par les voies de MM. Ashmole et Haynes d'intervenir auprès de M. Plenderleith le grand réparateur britannique, pour qu'il veuille bien restaurer nos deux nouveaux casques. Nous les prions tous d'agréer l'expression de notre profonde gratitude.

La hauteur du casque dans son état actuel est de 25 cm. son poids est de 2kg., 440 (1) et son épaisseur ne dépasse pas un millimètre (2). Il est après le casque d'Emèse, le deuxième casque à visage que le sol syrien nous ait révélé. Sans vouloir aucunement dénigrer la grande valeur du premier qui par son parfait état de conservation, la matière précieuse dont il est fait et sa beauté exceptionnelle reste le chef-d'œuvre du genre, notre nouveau casque s'en distingue par les figures en relief de son timbre qui lui donnent par leur signification et leur beauté un caractère tout-à-fait spécial. Ainsi quoiqu'il s'apparente à la série nombreuse des casques à visages qui a été récemment bien étudié (3) il appartient à une fraction rare de cette série dont quelques uns ont été découverts en Grande-Bretagne, en Allemagne et en Bulgarie et qui devaient servir aux légionnaires romains dans les parades lors de certains exercices, ou comme masques funéraires lors du décès (4). Notre casque comme celui de Ribchester conservé au British Museum (5) se compose de deux pièces : le timbre et le masque.

1. Le timbre (6).

Le timbre de forme ovale presque ronde de 20 et 18 cm. de diamètres est d'une seule pièce de bronze qui se prolonge par un couvre-nuque large de 4cm. 5. Une bordure large d'un centimètre, et d'un millimètre en retrait sur l'ensemble est percée de quelques orifices sur le frontal pour recevoir peut-être une tresse de cuir servant à amortir le choc du masque sur cette bordure. Le pied médian d'une charnière est aménagé au milieu du frontal. Les deux autres éléments se trouvent fixés sur le front du masque. Le couvre-nuque est serti à la partie inférieure et sur les deux côtés d'un rebord métallique de 0cm. 5. Sur le devant au-dessus de la bordure prennent naissance un motif végétal tressé de 0cm. 7 de largeur, et deux lignes parallèles de grénétis séparées par 0cm. 5 de

(1) Avec le poids de son masque. De sorte que le timbre pèse 1kg. 720 et le masque 720gr.

(2) Notre réparateur M. Wafa Dejjani eut l'heureuse idée de fabriquer une maquette en plâtre pour ce casque (A), et une autre pour le masque (B).

(3) Par M. H. Seyrig, lors de son étude sur le casque d'Emèse (cf. *Op. cit.*, *Syria* : tome XXIX, 1952, 3-4, p. 214).

(4) H. B. Walters, *Select Bronzes, Greek, Roman, and Etruscan, in the Departments of Antiquities*. Pl. LXXII.

(5) H. B. Walters, *op. cit.*...

(6) J'adresse mes amicaux remerciements à mes deux éminents collègues MM. Harold. Ingholt, et Ernest Will, qui de passage à Damas, ont attiré mon attention dans les deux casques (A) et (B) sur maints détails utiles.

distance. Enfin un ensemble de figures en relief repoussé s'étend sur toute la surface du timbre, avec un sens mesuré de la composition, et un désir manifeste de faire une œuvre vraiment originale. Ces figures atteignent jusqu'à 17cm. de longueur, et leur relief 2cm. 7 de profondeur.

Au sommet du timbre c'est-à-dire au centre de la composition se trouve le buste radié du Soleil occupant une surface de 12cm. 5 de longueur, et 7cm. 5 de largeur. Les radiations triangulaires émanent tout autour de la tête du dieu qui se détache avec 2cm. 7 de relief. Sa chevelure épaisse pend de chaque côté d'un visage jeune et sans expression, et son cou court joint la poitrine couverte d'une robe drapée dans un système de plis en diagonale. Il est intéressant de constater que la figure du Soleil occupe le centre de cette composition. Ceci est un reflet de la grande faveur dont jouissait le culte de ce dieu en Syrie (1), faveur qui s'est manifestée notamment aux premiers siècles ap. J. - C. à Héliopolis et que les empereurs du III^e siècle ont essayé d'acclimater à Rome et à laquelle ils ont dédié des temples imposants (2).

Sous le buste du Soleil est un deuxième buste de moins grande échelle ayant 6cm. 5 de longueur et se détachant en un relief qui atteint jusqu'à 1cm. 7. Il représente une Victoire élevant le bras (dont la main manque) pour couronner un combattant romain figuré entièrement au-dessous, sur une longueur de 12 cm. 5 en un relief de 2 cm. 5. Ce combattant est barbu. Il s'appuie du bras droit sur une longue lance, et pose la main gauche sur son épée enfermée dans une gaine maintenue à l'horizontale. Sa cuirasse droite se compose de deux pièces à épaulières avec deux rangées de lambrequins rectangulaires faits de lanières de cuir, et un chlamyde autour du cou. C'était la cuirasse réservée chez les Romains aux officiers qui exerçaient un haut commandement, aux *tribuni*, aux *legati*, surtout à l'*imperator* (3). On la retrouve figurée sur les combattants romains représentés dans les bas-reliefs de l'époque impériale notamment ceux de la colonne Trajan et aussi sur les combattants romains représentés sur le du casque (B) dont il sera question un peu plus tard. Ainsi nous pouvons con-

(1) Pourtant M. Dominique Sourdel relate dans son intéressant livre, *les cultes du Hauran à l'époque romaine*, Paris 1952 p. 53, que le culte solaire ne connut dans le Hauran qu'une vogue locale et tardive et mentionne une dédicace du II^e siècle de notre ère, adressée à Zeus - Hélios, et relevée près de Qanawat.

(2) Voir, H. Seyrig, *la Triade héliopolitaine et les temples de Baalbeck*, Syria 1929, p. 336 et s.

(3) cf. Saglio et Daremberg, *Dic. des Ant. grecq. et Rom.* Art. *Lorica*. Deux. partie (L. M) p. 1302 et s.

clure que le Romain recevant la couronne de la Victoire devait être un officier de rang très important, et qu'il s'agit ici de glorifier l'un de ses succès militaires.

Le fragment où le guerrier est figuré s'est détaché de l'ensemble du timbre. De même le fragment qui représente la tête s'est séparé de la partie qui figure le corps. Il nous faudra intégrer les deux pièces à l'ensemble lors de la restauration du casque.

Il est à rappeler que le thème du couronnement d'un vainqueur par la Victoire n'est pas nouveau. Grâce à son double caractère symbolique et réaliste, il a été fréquemment représenté dans l'art gréco-romain. Bien avant et pendant l'époque hellénistique, il a eu de nombreuses applications notamment dans la numismatique (1). La numismatique romaine impériale aussi s'en est emparé (2), et de là il a commencé à apparaître dans la sculpture monumentale. Un bas-relief de l'Arc de Constantin à Rome, datant de l'époque de Trajan, représente le couronnement de cet empereur par une Victoire en présence de Minerve, et devant ses soldats (3). Mais ce qui est nouveau dans notre casque c'est que le couronnement de l'officier vainqueur a lieu sous la protection du Soleil. Certainement la Victoire doit être considérée comme une émanation de la puissance de ce dieu. L'artiste a complété cette idée, et l'a rendue plus claire, en ajoutant au groupe précédent et de chaque côté un aigle superbe de 7cm. 5 de hauteur, avec un relief de 1cm. 5. Il est inutile de faire remarquer que l'aigle était considéré comme l'oiseau favori et le symbole du dieu solaire (4).

(1) Cf. Saglio et Daremberg, *Dic. des Ant. Grecq. et Rom. Art. Corona* p. 1933 et s. tome I, 2ème 4 partie (C), et *Art. Victoria*, tome 5ème (T-Z) p. 830 et s.

(2) La numismatique romaine impériale du 1er et du 2e siècles représente notamment sous Vespasien, Domitien, Trajan, et Marc-Aurèle, des thèmes de couronnement des empereurs par la Victoire (cf. Péter Gustav Hamberg donne dans *Studies in roman imperial art*. Upsala 1945 p. 59 et s. plusieurs exemples de ces scènes avec des références aux pièces conservées au British Museum).

(3) Cf. E. Strong, *Roman sculpture from Augustus to Constantine*, London, 1937, fig. 91, M. Pallottino, *Il grande fregio di Traiano* p. 30. *Studi Materiali del Musée dell Impero Roman*. I. Roma 1938 XX, et Per Gustav Hamberg, *Studies in roman imperial art*. p. 59, Plate 8.

(4) L'aigle, oiseau de Zeus s'est allié aux Ba'als syriens — déjà assimilés au dieu solaire — lorsque ceux-ci furent identifiés au Zeus grec avant l'époque hellénistique (cf. René Dus-saud, *Notes de Mythologie Syrienne*, Paris 1903, p. 16).

Cependant cette innovation n'est pas sans rapport avec les représentations figurées de la Syrie à cette époque, et nous devons penser que notre artiste connaissait le thème du Soleil porté par ses deux aigles (1), et qu'il a mélangé ses éléments avec les éléments du thème du couronnement par la Victoire.

D'autre part l'allusion faite au couronnement du vainqueur, qui devait être selon toutes probabilités le porteur du casque, sous la protection du Soleil doit nous indiquer que l'artiste et son client adoraient cette divinité qui était une divinité syrienne, et que nous devons les considérer tous les deux comme des Orientaux de Syrie.

Sur les deux parois latérales du timbre figurent deux groupes identiques. Celui de gauche est très abîmé et s'est effrité en plusieurs fragments détachés que nous avons heureusement recueillis. Quant à celui de droite, il est intact et il est aisé de le décrire. Un personnage de 15cm. de hauteur est figuré entièrement, nu, barbu, tenant une lance dans la main droite et les rênes d'un quadriges de la main gauche; il est vu de trois quarts comme s'il se dirigeait à droite au moment où il monte en quadriges. Un manteau dont le relief est de 2cm. 5 (2) se déploie au-dessus de sa tête, constituant ainsi comme une sorte d'auréole. Enfin le quadriges est représenté de profil, une seule de ses roues est visible avec un cheval entier de 17cm. de longueur emporté dans un mouvement impétueux, les têtes des autres coursiers et leurs pattes antérieures alignées et échelonnées les unes au-dessus des autres. La scène du côté gauche est identique et se place symétriquement par rapport à un axe passant au milieu de la nuque.

L'interprétation de ces deux groupes me paraît difficile, car il est très malaisé d'identifier le personnage barbu et nu dans le quadriges qui déploie dans un effet plastique saisissant, son manteau au-dessus de sa tête. On sait que le manteau ainsi déployé par une figure masculine (3) à mi-corps est l'at-

(1) Nous ne savons pas si le Musée de Berlin possède toujours le bas-relief archaïque provenant de Baalbeck sur lequel est représenté le Soleil radié sous un arceau, et porté par deux aigles (cf. René Dussaud, *op. cit.* p. 20, fig. 6 : H. Seyrig, *la Triade héliopolitaine et les temples de Baalbeck*, Syria 1929, p. 336).

(2) C'est le relief le plus saillant sur le timbre de ce casque.

(3) Les figures féminines dont celles des Néréides, ont des manteaux simulant des voiles ainsi déployés. Un sarcophage au Musée du Vatican représente les Néréides avec les mêmes voiles sur la croupe des monstres marins (cf. Ch. Picard, *le rôle des Néréides*, *Revue Hist. des religions*, CIII, 1931, p p. 5 — 28).

tribut du dieu du ciel Caelus (1). Nous connaissons plusieurs représentations où cette divinité apparaît ainsi avec son voile. La première se développe sur la partie supérieure de la cuirasse d'Auguste de Prime Porta (2) où l'on voit Caelus barbu et nu avec une draperie en vol semblant découvrir la voûte céleste pour permettre au Soleil figuré sur son quadriga à côté de s'y élancer (3). La seconde se trouve sur un sarcophage du Musée du Vatican, où devant le quadriga du Soleil est étendue Tellus et à côté d'elle Caelus retenant comme de coutume une étoffe qui s'enfle en forme de voûte (4). Enfin un troisième exemple est donné par un médaillon de terre cuite trouvé à Vienne, représentant Tutela protectrice de la Cité et de l'Univers inscrite dans une couronne de laurier portée par des Victoires ailées au-dessus du Ciel qui est un vieillard barbu représenté à mi-corps avec le voile dessinant une voûte au-dessus de sa tête (5).

Ainsi le voile en forme de voûte est l'attribut du dieu du ciel Caelus. Mais on pourrait rencontrer aussi des représentations figurant d'autres divinités masculines avec le même voile. En effet il y a dans la 24ème scène de la colonne Trajan, érigée à Rome au milieu de la place Trajane (6), des légionnaires romains opposés aux soldats daces dans une bataille meurtrière, au-dessous de la figure de Jupiter qui apparaît émergeant du ciel, tenant une lance et entouré d'un voile en vol formant un arc, ou un nuage, ou un nimbe rond (7) autour de sa tête. Jupiter intervient ici dans la mêlée en faveur des Romains pour

(1) La liste des représentations de Caelus a été dressée par F. Cumont, *Recherches sur le symbolisme funéraire des Romains*, Paris, 1942 p. 85.

(2) Cf. A. von Domaszewski, *der Panzerschmuck der Augustus Statue von Prima Porta in Strena Helbigiana* 1900. pp. 51 sqq. ; Br. Ashmole, *J. R. S.* XVIII, 1928, p. 179 sq. , Pl. XVII.

(3) Le Soleil est précédé ici par la Rosée avec sa cruche et par l'Aurore tenant sa torche. Au milieu de la cuirasse c'est un Barbare personnifiant la nation parthe ; il remet un aigle légionnaire à un officier romain qui représente Auguste. Enfin la zone inférieure représente des figures mythologiques dont Apollon et Diane (cf. Ed. Courbaud, *le bas-relief romain à représentations historiques*, Paris 1899 p. 79 et s. pl. I).

(4) Dans F. Cumont, *op. cit.* p. 78, pl. III, 2. il y a description de ce sarcophage avec des références s'y rapportant.

(5) F. Cumont, *op. cit.* p. 172 fig. 34.

(6) Qui fut conçue et exécutée par le grand architecte Apollodore de Damas (cf. Léon Homo Hist. Rom. Tome III, le Haut Empire, dans Hist. Gén., Paris 1941 p. 443).

(7) Lehmann — Hartleben. K., *Die Trajanssäule. Ein römisches Kunstwerk zu Beginn der Spätantike*. Text, Tafeln. Berlin und Leipzig 1926. Taf. 14 ; Per Gustaw Hamberg, *Studies in Roman Imperial Art*, p. 117 (Pls. 18 and 19).

leur attribuer la victoire. De même le dieu Pluton enlevant Proserpine dans un quadriges est figuré aussi sur un sarcophage du Musée des Thermes (1) avec le manteau s'enflant comme celui de Caelus.

Il résulte de tous ces exemples que les artistes de l'époque impériale voulaient en représentant le voile en vol autour de la tête d'une divinité masculine, signifier l'action des souffles de l'air, et que la scène où la divinité en question paraît, se passe dans le ciel. Mais ces exemples ne peuvent pas nous aider à identifier le personnage barbu et nu avec le voile en vol portant une lance et montant sur un quadriges figuré sur notre casque. Car ni Caelus, ni Jupiter, ou Pluton n'ont rien à faire ici. On ne connaît pas, d'une part, de représentations qui montrent l'un de ces dieux dans un thème de ce genre. Et d'autre part, ce groupe comme nous l'avons précisé est reproduit une autre fois sur le timbre de notre casque, et les deux guerriers symétriques montant en quadriges doivent être en rapport avec les représentations déjà décrites (2). D'ailleurs aucun thème mythologique ne pourrait compléter heureusement ces représentations à notre avis, à moins que l'artiste qui a fabriqué le casque ait voulu voir et suivre dans les deux figures en question les renseignements de la mythologie traditionnelle les représentations de Séléné et d'Hélios qui, nous sommes le premier à en convenir diffèrent d'habitude beaucoup de nos groupes, ou celles de Phosphoros - Azizos et d'Hespéros - Monimos (3), où les deux divinités sont placées de chaque côté de l'aigle solaire, mais c'est toujours en éphèbes (4), et parfois en cavaliers, et jamais dans un quadriges comme dans le cas de notre casque.

(1) F. Cumont, *op. cit.* p. 95, fig. 14.

(2) C'est-à-dire le buste du Soleil, la Victoire, le guerrier couronné, et les aigles qui sont des symboles solaires.

(3) On pourra penser aussi aux Dioscures qui sont les représentants des deux hémisphères célestes dont la rotation produit toutes les natiuités diurnes et nocturnes. Mais leurs représentations les figurent comme de jeunes cavaliers imberbes sauf dans le thème du rap des Leucippides (cf. S. Reinach, *Rep. reliefs* III p. 228, I; F. Cumont, *op. cit.* p. 100 fig. 16).

(4) L'étoile du matin Azizos-Phosphoros était chez les Arabes une divinité guerrière mâle et l'étoile du soir Monimos-Hespéros avait un rôle effacé. Ils revêtaient un aspect masculin sous les formes de deux éphèbes encadrant un aigle sur plusieurs bas-reliefs syriens (Baetocécé, Baalbeck, Palmyre, Emèse, et Mas'ad) (cf. Dominique Sourdél, *les cultes du Hauran à l'époque romaine*, Paris 1952 p.75 et s.). Quelquefois Azizos est figuré comme un cavalier sur un bas-relief de Palmyre (cf. H. Ingholt, *Studier*, p. 22 pl. VII, 1, reproduit aussi dans Berytus III, 1936, pl. XXIV, 2; Daniel Schlumberger, *la Palmyrène du Nord-Ouest*, Paris 1951, p. 125).

Est-ce un personnage réaliste que l'artiste a voulu représenter ? Franchement nous sommes plus enclins à le croire. Mais nous nous demandons pour quelle raison l'artiste l'a fait figurer deux fois ? Est-ce par besoin de symétrie ou parce qu'il y avait deux personnages à héroïser ? Il est utile de rappeler qu'une scène sur le timbre de l'autre casque (B) dont il sera question représente dans une autre position symétrique deux officiers romains qui assistent à une scène de sacrifice. Serait-il ici encore question de glorifier ces deux hommes et de les montrer en apothéose montant au ciel avec l'attribut du dieu Caelus, dans le quadrigé solaire pour atteindre le séjour des bienheureux à l'instar des empereurs et des héros de la mythologie (1) puisque l'apothéose fut souvent décernée aux personnages célèbres à l'époque impériale (2) ? De toute façon nous devons voir dans ces deux personnages figurés une allusion de l'artiste à une bataille où un ou deux grands officiers syriens servant dans l'armée romaine se seraient distingués (3).

2. Le Masque

Ce deuxième élément du casque (A) teinté d'argent mesurant 15cm. 5 de hauteur et pesant 720 gr. n'est pas moins intéressant que le timbre déjà décrit. Si celui-ci est assez endommagé, par bonheur le masque n'a subi aucune altération, et ceci grâce à son épaisseur de 0cm. 15

Il a été aussi plié intentionnellement en deux. Mais notre habile réparateur M. Raif Hafez à la suite d'efforts tenaces a pu le redresser. Selon toutes les apparences ce masque représente le portrait de l'homme qui le portait. Et en effet le visage triangulaire n'est pas idéalisé (4) mais réaliste avec une

(1) Le relief de la Bibliothèque d'Ephèse, conservé actuellement à Vienne, figure l'empereur Marc Aurèle montant sur un quadrigé solaire, aidé par une Victoire, tandis que Sol qui a cédé son char au mortel divinisé se voit à l'arrière plan pour maintenir l'attelage (cf. Strong, *Apotheosis and After Life*, London, 1915, pp. 90-92, pl. XI). Aussi le monument d'Igel représente sur l'une de ses faces l'apothéose d'Hercule qui s'élève sur un quadrigé au ciel est accueilli par Minerve (cf. S. Reinach, *Rep.* I, p. 168; H. Dragendorff and E. Krüger, *Das Grabmal von Igel*, Trèves, 1924; Bayet, *le symbolisme de l'Hercule funéraire dans l'art romain*, Mélanges, Ecol. fr. de Rome XXXIX, 1922 p. 220 SS., XL, 1923, p. 20, SS., XLVI, 1929, p. I SS.).

(2) G. Boissier, art. Apotheosis, tome première partie (A-B) du Dic. Ant. grec. et rom. p. 323.

(3) Cette bataille eut lieu d'après nos conclusions entre Romains et Parthes. Voir un peu plus tard.

(4) Au contraire du masque appartenant au casque de Ribchester qui d'après H. B. Walters *Select Bronzes...* pl. LXXII, est le type idéalisé du soldat romain.

LES OBJETS DÉCOUVERTS A NAWA

barbe, des moustaches et des joues saillantes, Il s'apparente aux types représentés dans la sculpture palmyrénienne du 2ème siècle ap. J. - C. (1). La barbe en collier est traitée sur chaque côté en deux rangées de petites boucles qui sur le menton se mélangent et deviennent touffues. Les larges moustaches sont traitées en ondes striées. Le nez fin est droit, des narines indiquées par deux orifices, la bouche est petite mais charnue avec une fente sinueuse. Les autres traits de ce visage sont assez conventionnels, y compris les yeux les paupières les arcades sourcilières et les circonvolutions des oreilles. Le front indiqué en partie ne dépasse pas un centimètre de large, le reste est un pli en retrait et devait recevoir probablement ainsi que le pli correspondant du timbre une tresse de cuir destinée à amortir le contact du métal avec le visage de l'homme qui le portait. Enfin au milieu de ce front se trouvent deux pieds de la charnière dont l'élément médian se trouve fixé au milieu de l'extrémité appartenant au timbre.

Pour terminer la description de ce casque, nous devons décrire en quelques mots le trophée représenté sur son couvre-nuque en relief saillant de quelques millimètres. On voit successivement sur une bande large de 4cm. 5 deux boucliers ovales posés l'un sur l'autre, une roue de char, une cuirasse, deux autres boucliers ovales, une deuxième roue, une seconde cuirasse, et enfin deux derniers boucliers.

★ ★ ★

Le casque (B)

Ce deuxième casque pesant 1 kg. 765 (2) ressemble beaucoup au casque (A). Il est aussi en bronze, a les même formes et dimensions et un décor en relief également repoussé. De sorte que l'œil le moins exercé pourrait facilement reconnaître que les deux casques sont le travail d'un même artiste. Cependant quelques différences les opposent notamment l'absence de masque à visage dans le second et son remplacement par deux cache-joues presque triangulaires qui s'étaient détachés (3) du timbre, et qu'il faudrait y joindre lors de sa future restauration.

Ce casque (B) bien que ses parois aient été aussi pliées intentionnellement l'une sur l'autre, est beaucoup moins endommagé que le premier casque, car le

(1) Il faudrait le comparer avec le buste de Neboula du IIème siècle. (Voir notre article L'hypogée de Tal, Annales Archéologique de Syrie, Tome II 1952 p. et s. pl. IX fig. 2).

(2) Le poids du timbre est 1 kg. 485 gr. et celui des deux cache-joues est : 280 gr.

(3) Ou furent intentionnellement détachées lors de l'inhumation.

métal est plus épais et son oxydation n'est pas très avancée. De sorte qu'aucun fragment ne s'en est détaché, et nous sommes sûrs, à la longue, de pouvoir le redresser.

Nous avons dit qu'il est également décoré de scènes en relief repoussé. Ces scènes sont constituées par des figures plus petites que celles représentées sur le timbre du casque (A) et rangées en compositions plus serrées. On y devine en les interprétant, l'intention de l'artiste, qui les a imaginées, de glorifier aussi le personnage pour lequel le casque a été fait et de vanter ses hauts faits.

Tout d'abord, se trouve au sommet du timbre, la figure prophylactique du Gorgoneion considérée comme l'image protectrice et l'emblème du Soleil (1) que les Grecs et Romains avaient l'habitude de faire figurer sur leurs vêtements, bijoux, et armures (2). Deux ailes d'oiseau, une de chaque côté, prennent naissance de ses mèches supérieures traitées comme des vagues (3). Quatre têtes de serpent sont figurées, deux au-dessus de la tête du Gorgoneion, et deux autres au-dessous. Autour de cette tête leurs queues s'enroulent et constituent une rosace à quatre pétales identiques et symétriques, de 11 cm. de longueur.

Au-dessous de cette rosace apparaît un aigle autre symbole solaire ; il déploie ses ailes et tient une couronne de feuillage dans ses serres, dominant ainsi une scène de sacrifice qui se déroule symétriquement sur la partie du timbre surplombant le front. Six figures atteignant chacune 9 cm. 5 de longueur avec un relief profond parfois de 1 cm. 5, composent les éléments de cette scène. Au milieu ce sont deux sacrifiants selon le *ritus romanus* en *velato capite* c'est-à-dire couvrant la tête avec un pan de la longue toge (4); ils présentent

(1) Cf. G. Glotz, *Art. Gorgoneion*, *Dic. des Ant. Grecq. et Rom.* Daremberg et Saglio, Tome II, 2ème partie (G) p. 1618.

(2) La tête du Gorgoneion figure aussi sur les timbres de plusieurs casques en bronze de l'époque romaine qui se trouvent dans la collection du Louvre (Cf. A. de Ridder, *les bronzes antiques*, Paris 1913, p. 93).

(3) Ceci nous rappelle la tête de la Méduse en bronze avec deux ailes d'oiseau qui se trouve conservée au Musée des Thermes à Rome et la tête de la Méduse de Phalera sur une de dix breast-plates de Gaius Flavius Festus (cf. C. T. Seltmen, *The Cambridge Ancient History, Fourth volume of Plates*, 1934, p. 142, fig. (a) et (b)).

(4) Plusieurs bas-reliefs et statues de l'époque impériale nous donnent des exemples célèbres de ce *ritus romanus* notamment les personnages drapés, avec le pan de la toge sur la tête dont le soi-disant Lepidus, le *Pontifex Maximus*, dans un relief de l'Ara Pacis (groupe a) d'après les photographies de l'Institut allemand d'archéologie à Rome, le Tibère drapé devant un autel de la frise de Suovetaurilia, conservée à Paris, le Marc Aurèle sacrifiant de l'Arc de Constantin, la tête d'Auguste du Museo Civico à Ancone, la statue d'Auguste de Via Labicana au Musée des Thermes, le jeune Tibère de Boston etc... (cf. C. T. Seltmen, *The Cambridge Ancient History, Fourth volume of plates*, 1934, p. 114 fig (a), p. 138, fig. a) *op. cit. fifth volume*..., p. 148 fig. (a) et p. 152, fig. (a)).

des actions de grâce aux Dieux et versent le contenu de deux patères au-dessus d'un autel cylindrique qui se trouve au centre de la composition. Viennent ensuite deux légionnaires, un de chaque côté tenant une lance longue dans une main, et un objet indistinct dans l'autre. Enfin deux Victoires, une de chaque côté constituent avec leurs grandes ailes éployées le plus joli encadrement pour cette scène. Il est intéressant de faire remarquer que seulement la Victoire figurée à gauche est en train de déposer une couronne sur la tête de l'officier représenté à côté. Son geste et son attitude nous rappellent ceux de la Victoire qui couronne Trajan dans un bas-relief de l'arc de Constantin à Rome qui date du règne de cet empereur (1). D'ailleurs la position de l'officier, sa cuirasse, sa chlamyde et le pan de son manteau qui descend sur son bras gauche ressemblent étrangement à ce qu'on trouve sur la figure impériale dans le bas-relief en question (2).

Sur les tempes et la partie postérieure de la calotte se déploie l'épisode d'une bataille rangée entre Romains et Barbares (3); les rangs des combattants se sont pénétrés mutuellement, mais on pourrait y distinguer 12 figures de combattants qui s'affrontent, mesurant chacune jusqu'à 13cm. de longueur avec un relief atteignant jusqu'à 2cm. de profondeur. C'est une mêlée confuse (4), qui a toutes les caractéristiques des batailles représentées sur les bas-reliefs historiques de la période impériale (5). Cependant les combattants de chaque armée sont reconnaissables avec leurs costumes et leurs armes distinctifs. Ainsi les Romains quatre au total dont trois fantassins et un cavalier, armés de casques et vêtus de cuirasses comme les deux légionnaires figurés sur le devant de ce timbre, et celui du timbre du casque (A) tiennent des lances, des poignards et des boucliers rectangulaires. Ils luttent victorieusement contre huit combattants

(1) cf. Pallottino, *Il grande fregio*, p. 30; P. G. Hamberg, *Studies*, ... p. 59, Plate 8.

(2) La Victoire figurée à droite à côté de l'autre officier n'a pas de couronne dans sa main levée. Peut-on voir dans cette scène une autre allusion historique à deux vainqueurs dans cette bataille entre Romains et Parthes ? voir la note (3), p. 174 de cet article.

(3) Sur un timbre d'un casque conservé à Naples, les reliefs représentent des scènes de la prise de Troie (cf. S. Reinach, *Dic. des Ant. grecq. et rom. Art. Galea*, Tome II, 2ème partie (F, — G), p. 1450).

(4) De même le timbre du casque de Ribchester représente une bataille qui est une mêlée confuse dans laquelle s'affrontent fantassins et cavaliers (cf. H. B. Walters, *op. cit.*, Plate LXXII).

(5) Cf. Ed. Courbaud, *op. cit.* p. 79 et s.

barbares dont six fantassins et deux cavaliers, tous barbus, avec des bonnets coniques serrés à la tête par un gros bourrelet, vêtus de tuniques et pantalons plissés sans galons ni ornements serrés à la taille par de minces ceintures, leurs pieds dans de simples chaussures et armés de poignards, dagues et boucliers ovales (1).

De toute façon les Barbares se battent ici dans un désordre manifeste, et se sont dispersés à droite et à gauche des légionnaires romains. C'est le moment qui précède la victoire finale, et les groupes qui la narrent sont encore engagés dans des attitudes différentes. Le plus intéressant de ces groupes est celui de gauche qui représente un légionnaire romain portant un coup d'épée à un adversaire barbare qui essaie de s'en parer avec son bouclier. Au centre c'est un cavalier romain avec une draperie qui s'envole derrière la tête, contribuant ainsi à donner à cette scène l'impression d'un mouvement rapide. Ce cavalier braque sa lance contre un barbare effrayé qui culbute entre les pattes du cheval bondissant de son ennemi. Enfin à droite, c'est un autre légionnaire romain se préparant à exécuter, avec son long poignard, un prisonnier barbare dont les mains sont attachées derrière le dos.

Malgré la beauté de la composition, l'équilibre, et le rythme de cette bataille l'artiste n'a pas fait preuve d'innovation et d'esprit inventif dans les attitudes des combattants et leurs positions respectives. Les lignes générales de la lutte figurée restent celles des batailles académiques avec un combattant central, à savoir un cavalier victorieux d'un ennemi piétiné, qui depuis le sarcophage d'Alexandre se répètent avec quelques variations sur les bas-reliefs, les arcs de triomphe, les colonnes Trajane et Marc Aurèle, les sarcophages, etc. . .

On ne trouve sur la scène de notre casque aucun détail anecdotique comme c'est le cas par exemple pour les scènes de batailles figurées sur la colonne Trajane, aucun accident de terrain qui pourrait localiser la lutte figurée dans le temps et dans l'espace. Cependant cette scène ne me semble pas conventionnelle, mais elle me paraît être le souvenir d'une victoire obtenue par les Romains sur les Barbares, grâce peut-être au personnage pour lequel ce casque (B), comme le casque (A) avaient été fabriqués. Et s'il nous est impossible de déterminer avec exac-

(1) Les boucliers ovales des Barbares qui sont représentés dans cette scène ressemblent aux boucliers figurés dans le trophée représenté sur le couvre-nuque du casque (A), ce qui éclaircit l'intention de l'artiste dans le premier comme dans le deuxième casque de faire allusion aux hauts faits ou aux exploits du personnage auquel les casques étaient destinés, dans la guerre contre ces Barbares.

titude de quel événement historique précis il s'agit nous pourrions cependant insérer l'épisode en question dans la série des guerres qui opposaient les Romains à leurs ennemis barbares à l'époque de la fabrication de ses deux casques.

J'ai essayé en vain de trouver dans les documents dont nous disposons à Damas des représentations de Barbares à la période impériale, similaires aux figures des Barbares représentés sur notre casque. Nulle part je n'ai trouvé sur les monuments de cette période des ennemis des Romains vêtus et armés exactement à l'instar des Barbares figurés sur le casque hauranais. Cependant deux séries de représentations ont retenu successivement mon attention. Il s'agit de représentations des Celtes, et de celles des Parthes dans l'art romain et leur reflet dans l'art du Proche-Orient à l'époque impériale.

Les œuvres d'art étudiées par P. Bienkowski (1) fournissent une base commode de comparaison avec les Celtes. En effet les Celtes figurés dans ces œuvres ressemblent par certains détails, sans être d'ailleurs complètement identiques aux Barbares de notre casque. Une des deux plaques de poitrail en bronze conservées au Musée Patrio de Brescia (2) contient huit figurines narrant une bataille entre Romains et Celtes. On y voit un cavalier central victorieux effectuant du bras droit un geste qui pourrait ressembler au geste du cavalier central de notre casque (B) élevant une lance horizontalement. Mais les deux Celtes terrassés, l'un trébuchant devant le cheval, et l'autre implorant pitié, ne sont pas représentés comme nos Barbares. Ils ont la tête nue, et sont vêtus d'une tunique à manches avec un gros bourrelet autour du cou comme s'il portaient une chlamyde. Cette tunique dépasse la ceinture et couvre la partie supérieure d'un pantalon collant dont le bas est serré sur les chevilles dans des bottines à large rebord.

Une statuette de bronze du Musée National de Naples (3), représente un Celte terrassé, la tête nue, avec le même pantalon et la même tunique qui pourtant est ouverte sur la poitrine. Tandis que les Barbares de notre casque ont la tête couverte d'une sorte de calot entouré d'un bourrelet. Leurs blouses ouvertes sur la poitrine s'arrêtent nettement à la ceinture comme si la blouse et le pantalon constituaient un ensemble d'une seule pièce. Leurs bot-

(1) Dans son livre, *les Celtes dans les arts mineurs greco-romains*, Cracovie, M C M XXVIII.

(2) *op. cit.* pp. 3 et s. fig. (1, 3, 4, et 6)

(3) *op. cit.* p. 65, fig. 117.

tines sont invisibles sur les pantalons dont les plis descendent jusqu'aux talons.

D'autres similitudes et différences pourront être relevées entre les représentations de Celtes étudiées par P. Bienkowski et les Barbares de notre casque (1). Quelques figurines de terre cuite originaires d'Asie Mineure, de Syrie (2), d'Egypte, de Rhodes, et de Chypre, représentent des guerriers celtiques. Mais ces guerriers dont quelques-uns se voient nus, sont habillés d'une longue tunique agrafée sur l'épaule, et d'un manteau orné de franges; ils ont la tête nue ou couverte de casques coniques ou de capuchons. Par là ils se différencient de nos Barbares. Ils s'en rapprochent cependant par leurs boucliers ovales (3) et leurs épées courtes. Mais il faudrait noter aussi que les boucliers celtes sont pourvus d'un *umbo* et d'une *spina*, tandis que les boucliers des Barbares de notre casque en sont dépourvus et ornés de motifs géométriques. Quant à leurs épées courtes elles ne peuvent pas constituer de signe vraiment distinctif, car le fabricant du casque en a placé une aussi dans la main d'un guerrier romain (4).

Si nous attribuons les différences précédentes entre les représentations de Celtes et celles de nos Barbares, à la liberté d'interprétation que l'artiste s'est permise, et si nous ne tenons compte que des similitudes signalées, nous devons conclure ou bien que les casques hauranais n'étaient pas de fabrication syrienne, mais importés et enterrés avec le guerrier hauranais de Nawa, ou bien essayer d'expliquer la présence des Celtes sur un casque syrien de l'époque impériale.

La première conclusion nous paraît fausse. Car les deux casques de Nawa ont été fabriqués sûrement en Syrie. Le symbolisme religieux du Soleil, les attributs de cette divinité, sa parenté avec les autres motifs religieux syriens, et la similitude frappante du masque appartenant au casque (A) avec les bustes

(1) *op. cit.* p. 126, fig. 176-179 — 184, 185, 187, 190, 191.

(2) Ces figurines syriennes sont, d'après Bienkowski, *op. cit.*, de l'époque hellénistique.

(3) D'après Bienkowski, *op. cit.* p. 129, qui cite Weege, *Jahrb.* XXIV, 1909, p. 144 sqq., le bouclier ovale est d'origine Osque et surtout samnite.

(4) Les Romains et les Barbares de notre casque se servent sans distinction, des épées courtes et des lances.

palmyréniens en sont les preuves évidentes. D'autre part la deuxième éventualité de l'hypothèse celtique n'est pas aisée car si les Galates c'est-à-dire les Celtes se sont établis au Sud de l'Asie Mineure jusqu'au Taurus, ont menacé la Syrie, et lui ont imposé tribut dans la première moitié du troisième siècle av. J. Ch. (1), ils se sont assagis par la suite et se sont dispersés dans la multitude de races et de communautés de l'Asie Mineure, en adoptant le Grec et en cessant de faire parler d'eux. Les auteurs de l'époque impériale se souviennent à peine de leurs noms (2) et il me semble peu probable que le fabricant du casque hauranais ait voulu faire allusion à des batailles qui leur auraient été livrées par les Romains où il serait question d'un général victorieux ayant joui de l'apothéose.

L'hypothèse de reconnaître des Parthes dans les Barbares de notre casque me paraît plus plausible. Mais l'étude comparée de leurs représentations nous révèle aussi des différences et des similitudes entre les deux partis (3).

Nous connaissons les premiers à travers une série d'œuvres romaines, mésopotamiennes et syriennes. Ils se caractérisent dans ces œuvres par le bonnet conique ou demi-sphérique, les cheveux touffus, la barbe longue, la blouse formant une large jupe et maintenue par une ceinture, le pantalon étroit, uni, et dont les plis forment des anneaux autour des jambes, les chaussures souples et sans semelle etc. . . (4). Si nous admettons que le fabricant du casque s'est permis de traiter ses figures de mémoire, dans un espace réduit, nous

(1) Cf. Henri Hubert, *Les Celtes depuis l'époque de la Tène* . . . Paris 1950, p. 57.

(2) *op. cit.* p. 64.

(3) Dont le Parthe figuré sur la cuirasse d'Auguste de la statue de Prima Porta, celui qui est assis à côté du trône de Tibérus sur le grand Camée de France (cf. Seltman, *op. cit.* Fourth volume of plates pp. 150 et 152 fig. (a)), les Parthes de l'Arc de Sévère (cf. S. Reinach, *Rep. des reliefs grecs et romains*, I, pp. 250 - 270), les Parthes de trois reliefs d'Assur (cf. Andrae und Lensen, *Die Partherstadt Assur*, Leipzig, 1933, pl. 59, a-c), les terres cuites les peintures et les dessins de Doura Europos (cf. Michael 1. Rostovtzeff *Dura and the problem of parthian art*, Yale classical studies, v, 1935, figs. 6, 28, 68, et 71), les monnaies impériales (cf. J. M. C. Toynbee, *The Hadrianic School* Cambridge, 1934, pl. IX, 10 et 22) etc. .

(4) Voir l'influence iranienne sur les reliefs palmyréniens dans (H. Seyrig, *Armes et Costumes iraniens de Palmyre*, Syria 1937, p. 4 et s.).

ne nous tromperons pas en voulant voir dans les Barbares représentés les terribles adversaires orientaux des Romains au premier et au deuxième siècles. Certainement, on aimerait les voir munis des carquois et armés des flèches (1) par lesquelles ils étaient célèbres. Mais peut-être le caractère de la mêlée représentée qui se réduit à un corps à corps a empêché l'artiste traitant son sujet avec liberté d'y penser, et de faire figurer des flèches et carquois sur leurs combattants dont d'ailleurs ceux du premier plan se battent à pied.



Nous nous sommes aperçus, après avoir nettoyé ce casque et enlevé la couche d'oxydation qui le couvrait, que l'inscription suivante était gravée sur la surface triangulaire unie aménagée entre la Victoire et le légionnaire de droite dans la scène du sacrifice :

M. MACTORIUS BARBARUS
F (ECI) T

Ainsi cette inscription nous révèle le nom de l'artiste qui avait fabriqué et décoré ce casque (B) et certainement aussi le casque (A) tant les deux objets se ressemblent et accusent de similitude aussi bien dans la fabrication que dans la conception du décor. Et nous avons le droit de nous demander qui était ce Mactorius Barbarus ?

Tout d'abord ce nom n'est pas romain, quoique l'épithète Barbarus ait été fréquente à l'époque républicaine et pendant la période impériale (2). Il est possible qu'il soit sémitique, ou peut-être arabe, ayant la forme du participe passif (Maqtûr, مقطور) qui veut dire "humecté par la pluie" et qui est de la racine (Qatar قطر) signifiant "tomber goutte à goutte" (3).

(1) On voit les Parthes ainsi sur la coupe de Moore (cf. *American Journal of Archaeology*, 47, 1943, p. 177, pl. XVIII).

(2) Il a été porté comme surnom par des consuls (par ex : C. Atilius Barbarus, cons. suff. en 71 ap. J. 6h. cf. *Pauly-Wissowa*, s. v. *Barbarus*, 1811).

(3) Ryckmans dans (*Les noms propres sudsémitiques*, I, Louvain 1934, p. 190) mentionne ce nom thamoudéen QTR, de la racine قطر. Il serait à le comparer à des noms comme Matar "pluie" dont la tombée est toujours bien considérée en Arabie.

Il ressemble d'autre part à une série de noms arabes dont MUQA'TAR, MUKHTAR, MIKTHAR ou MAKTHUR. En effet le nom (Muqa'tar مقطار) est assez rare. Il a été donné à al ('Abdi العبدى) qui était un chef Kharijite célèbre (1). Il est à mentionner aussi que (Muqaoutar مقوطار) est donné à une tribu arabe de l'Euphrate. Celui de Moukhtâr est plus répandu chez les Arabes avant et après l'Islam (2). Enfin (Mikthar مكثار) ou Makthour est un adjectif qui veut dire généreux, de la racine (Kathura كثر) ou (Akthara أكثر) signifiant : se multiplier ou augmenter.

De toute façon ce Mactorius Barbarus était un des représentants des ateliers syriens de bronze qui ont porté au premier siècle, la perfection artisanale et l'invention créatrice jusqu'au plus haut degré en fabriquant le casque célèbre d'Emèse (3) et par la suite maints autres statuettes et objets décorés (4). Il devait être assez célèbre puisqu'il était fier de signer l'un des deux casques. Les scènes conçues sur des surfaces rondes difficiles à sculpter sont d'une belle facture avec des figures habilement exécutées et judicieusement distribuées. Elles éclairent les idées d'un artiste qui savait choisir ses thèmes pour illustrer son sujet. Un artiste qui avait connu la sculpture monumentale impériale du premier siècle (5), comme les reliefs syriens et palmyréniens de la fin de ce siècle et de la première moitié du deuxième siècle (6). Ainsi le syrien Mactorius Barbarus connaissait l'Occident et l'Orient. Il était de la génération de cet autre grand artiste syrien Appollodore de Damas, dernier grand architecte de l'antiquité, dont le nom a connu un grand éclat sous le règne de Trajan (7).

(1) Mubarrad, *al-Kamil*, édité par W. Wrigth, Leipzig 1892, p. 681 s. 17 p. 683,51, p. 680,516 et 17, et p. 686,55 et 6.

(2) Banu Muqawtar (cf. 'Omar Kahhalé *Mi'jam Qaba'il al-Arab al Qadima Wal Hadiça* p 1133.

(3) Qui date du premier siècle ap. J. -Ch. (cf. H. Seyrig, *Antiquités Syriennes, Antiquités de la nécropole d'Emèse*, Syria, tome XXIX, p. 227).

(4) Nous avons décrit quelques statuettes et objets en bronze qui ont perpétué cette réputation durant l'époque romaine en Syrie (cf. S. et A. Abdulhak, *Catalogue illustré du département greco-romain de Damas*, Damas, 1951, pp. 137-149).

(5) Les thèmes du couronnement d'un prince victorieux par la Victoire, du vieillard entouré de son manteau en vol, de l'apothéose, du sacrifice, et de la bataille entre Romains et Barbares.

(6) Le thème du dieu Soleil porté par les aigles, le masque du casque (A) et les costumes et armes des Parthes le prouvent.

(7) Cf. Leon Homo, *Hist Rom*, Tome. III, *Le Haut-Empire* His. Gen. Paris 1941 p. 449.

Mactorius Barbarus a-t-il travaillé sous sa direction lors de l'aménagement de la place Trajan à Rome? a-t-il participé à la décoration de la célèbre colonne avec laquelle nous avons relevé quelques analogies? a-t-il visité Palmyre lorsque Trajan l'a annexé à l'empire (1) et a-t-il pu se familiariser avec l'art monumental de cette ville et son art funéraire? Il semble malheureusement que toutes ces questions resteront à jamais sans réponse et garderont leur sens hypothétique.

De même nous sommes en droit de nous demander qui était le défunt enterré dans la tombe à puits creusée dans la nécropole de Nawa. Il s'agissait sans doute d'un illustre personnage de cette ville qui servit dans l'armée impériale et se distingua dans la guerre contre les Parthes si les Barbares du casqué (B) sont des Parthes. Cette guerre ne pouvait être que la guerre déclarée par Trajan au roi des Parthes Chosroès et qui a duré de 114 à 117. Car pratiquement la paix régnait durant la deuxième moitié du premier siècle entre les Romains et les Parthes, et la question d'Orient qui s'était assoupie depuis Néron (54 — 68) ne fut réveillée que sous Trajan qui voulut donner de nouvelles gloires à l'empire. Il créa la *Provincia Arabia* et annexa Palmyre (2) avant de s'élancer à la conquête de l'Arménie et de la Mésopotamie. Toutefois les traits de ce défunt reproduits dans le masque du casque (A) montrent d'une façon évidente qu'il était lui aussi oriental, de Syrie.



Deux cache-joues de 18 cm. de longueur triangulaires, identiques, ayant la forme d'une grande oreille appartiennent à ce casque (B) duquel ils se sont disjoint. ils y étaient fixés par de petites charnières aménagées sur les tempes du timbre. Décorés aussi par des reliefs repoussés ils complètent par leurs figures les représentations déjà décrites. Celui de droite représente à l'intérieur d'un décor tressé un guerrier romain debout, vu de trois quarts, portant un casque sur la tête, le torse et les jambes nus, avec un manteau dont les pans s'envolent devant et derrière et tenant une longue lance dans la main droite.

(1) *op. cit.* p. 468 — 9.

(2) Pour plusieurs historiens, Palmyre a perdu sa liberté depuis la constitution de l'Empire romaine (voir une mise au point de cette question dans, Jean Starky, *Palmyre*, Paris 1951 p. 31 et s.)

Le cache-joue de gauche, représente Minerve drapée dans la même attitude et armée d'un casque, d'une lance et d'un bouclier.

★ ★ ★

Enfin le casque en question se prolonge par un couvre-nuque de 4 cm.5 de largeur, serti métalliquement (1). Plusieurs figures animales constituent de gauche à droite son décor qui s'étend sur un espace rectangulaire. On y voit successivement, un lion, un loup, un bouquetin, un autre loup, un arbre, et un deuxième bouquetin.

★ ★ ★

Les autres objets

En plus des objets décrits, les découvertes clandestines du tell Oum Hauran comportent un certain nombre d'autres objets intéressants dont les suivants :

1— *Un buste de Minerve*

C'est une applique en bronze de 13 cm. de hauteur qui représente le buste de Minerve portant le casque à et le bouclier.

2— *Un trousseau de bain*

Plat, mesurant 15 cm. de diamètre, sur 2 cm. de largeur, décoré de grénets et de stries formant des cercles, sauf sur un côté, où apparaît dans un espace de 10 cm. en relief la figure d'Hercule, nu avec des muscles puissants, gisant, s'appuyant sur la peau léonine, portant le canthare dans la main gauche et la massue dans la main droite (2).

3— *Une pelle en bronze*

De 12 cm. de longueur et 28 cm. de largeur, avec un manche se terminant par une pittoresque poignée formée d'un anneau, sur lequel est hissé le protome d'un bélier. Sur les bords de la pelle sont assis deux lions, un de chaque côté. Au point d'attache du manche au corps de la pelle plane un oiseau.

(1) Par une tresse en bronze comme c'est le cas du couvre-nuque du casque (A).

(2) Un autre trousseau de bain de forme circulaire se terminant par deux têtes d'animaux opposées lune à l'autre se trouve mentionné dans Gisela M. A. Richter, *Greek, Etruscan And Roman Bronzes, New York M. C. M. X. V.*, P. 298 —9. fig. 869. Voir, également l'art. de S. Dorigny, art. *Strigilis*, dans Dic. des Ant. Grecq. et Rom. de Saglio et Daremberg Tome (VI) 2ème partie p. 1533, fig. 6648.

4— *Lampe en bronze de forme triangulaire*

Cette lampe, à pied bas de 4 cm. de hauteur, a trois becs prenant naissance à des distances régulières de 19 cm. du corps dont la surface est surmontée d'un disque central. Un anneau correspond à chaque bec.

Cette lampe était certainement destinée à être accrochée avec ces anneaux par une chaîne à un candélabre.

5— *Frontal de cheval en bronze*

Il a 22 cm. 5 de largeur et 38 cm. de longueur, et se compose de trois plaques rectangulaires articulées, reliées les unes aux autres par des charnières s'étendant le long de leur grand côté (1).

Les deux plaques latérales sont identiques, et contiennent chacune au milieu une œillère en demi-sphère bombée et ajourée avec un décor géométrique, de 9 cm. 5 de diamètre. Quant à la plaque médiane, elle porte aussi une demi-sphère décorative mais non ajourée, ayant 4 cm. de diamètre.

6— *Fragments en bronze d'une cuirasse d'écailles*

Plusieurs fragments d'une cuirasse d'écailles sont recueillis dans le secteur de la tombe à puits. Ils sont très oxydés, mais on peut y voir nettement que la cuirasse du guerrier du tell Oum-Hauran, était semblable aux cuirasses adoptées depuis le 1^{er} siècle et devenues communes à l'armée romaine après Auguste (2), et aux cuirasses figurées sur quelques monuments palmyréniens (3). Les écailles de ces fragments sont assez petites et ne dépassent pas 4 cm. de longueur; leurs rangées sont assez serrées et fixées les unes sur les autres par de gros clous. Quelques-uns sont sertis par un rebord métallique qui porte quelquefois les éléments d'une charnière.

L'oxyde de quelques fragments a conservé les traces d'un tissu appartenant peut-être à la chemise que le guerrier devait porter sous la cuirasse. Il ne reste rien par contre des épaulières qui devaient s'ajuster à la hauteur des

(1) Plusieurs exemples de ces frontals sont donnés dans (J. Keim-H. Klumbach. *Der Römische Schatzfund von Straubing*, p. 245; pl. 19, 20, 21. No 15—20 et pl. 32—33 No 21 à 22.).

(2) cf. Paul Coussin, *Les Armes Romaines*, Paris, 1926, p. 341, fig. 106.

(3) Notamment le bas-relief du Louvre représentant la triade palmyrénienne Baalshamine entre Aglibol et Malakbe (cf. A. Parrot, *Bull. des Musées de France* XI, 1946, p. 11—12; et H. Seyrig, *Nouveaux monuments palmyréniens de Baalshamine*, Syria, Tome XXVI, 1949), et le célèbre bas-relief de Shadrafa (cf. Berytus, 1936 p. 137 s.).

seins par des anneaux, non plus des lambrequins qui terminaient le bas de la cuirasse.

7— *Quelques armes*

Des armes en fer rouillé et en très mauvais état ont été trouvées avec les objets précédents. Il faudrait signaler surtout deux poignards dont les longueurs respectives sont 20 et 29 centimètres. Une tête de lance de 11 cm. de longueur, plusieurs pointes de flèches, de 7 cm. 5 de long. une courte épée pliée de 50 cm. de longueur, et une longue épée dont le bout et la poignée manquent et d'une longueur actuelle de 71 cm.

8— *Disques et boutons en bronze incrusté d'argent*

Ces disques et boutons circulaires de divers volumes devaient appartenir à la ceinture et aux lanières des lambrequins de la cuirasse de l'officier et aux harnachements de son cheval. Des agraffes aménagés dans leurs faces postérieures indiquent que des courroies devaient les unir les uns aux autres. Ils sont en bronze incrusté d'argent selon des schémas décoratifs représentant des rinceaux, des feuilles de vigne et des acanthes. On peut les diviser d'après leurs formes en trois catégories :

1ère catégorie :

Est représentée par cinq grands disques circulaires de 7 cm. 5 de diamètre, avec le décor incrusté déjà décrit sur la face antérieure, et des anneaux ronds ou carrés pour les courroies sur la face postérieure. Ces cinq disques sont identiques. Cependant un seul se prolonge par une pièce ovale (1) se terminant dans le bas par une feuille d'acanthé ajourée entre deux motifs géométriques triangulaires également ajourés ; cette partie constitue comme une sorte de frange à cette première pièce. Sa face antérieure représente à l'intérieur d'un rinceau se divisant en deux courbes symétriques décorées de feuilles de vigne deux satyres nus l'un barbu, portant un *pedum* de sa main gauche et touchant de sa main droite l'anse d'un grand canthare figuré au milieu, et l'autre imberbe touchant le même canthare de la main gauche et y deversant un vase avec la main droite. Les deux satyres avec le décor végétal sont gravés et incrustés de fils d'argent qui n'ont laissé que quelques traces.

Cette catégorie de disques constitue probablement l'essentiel des éléments

(1) A. De Ridder, *les Bronzes antiques*, p. 100 mentionne des plaques ornées de pantheres au galop et d'autres incrustées de lamelles et de médaillons d'argent, qui sont conservées au Louvre.

d'un harnachement appartenant à l'officier enterré dans la tombe du tell Oum Hauran.

2ème catégorie :

Onze disque moins grands que les précédents ayant 4 cm. de diamètre et également en bronze incrusté d'argent. Ils se prolongent tous par une pièce constituant un décor trilobé dont l'élément médian est une feuille d'acanthé.

Cette catégorie de disques devaient peut-être constituer l'essentiel du décor des lanières en lambrequin de la cuirasse.

3ème catégorie :

Enfin d'autres disques au nombre de cinq, et de 41 boutons respectivement de 3 cm. 4 et de 3 cm. de diamètre se terminant par des feuilles d'acanthé, ajustés sur des tiges rectangulaires de 9 cm. 5 de longueur et de 1 cm. de largeur complètent cette série. Ils devaient faire partie de la ceinture de l'officier et étaient assemblés les uns aux autres par une courroie passant par les anneaux aménagés derrière chacun d'eux.



SÉLIM ABDUL-HAK

مرکز تحقیقات کتب و اسناد اسلامی

LES FOUILLES D'AMRITH EN 1954

RAPPORT PRÉLIMINAIRE

par

M. DUNAND, NESSIB SALIBY ET AGOP KHIRICHIAN

Nous avons déjà exposé les raisons qui ont amené la Direction Générale des Antiquités de Syrie à entreprendre des recherches archéologiques à Amrith (1). La Commission Consultative près ce Service s'étant ralliée à ce projet, la fouille de ce site fut officiellement décidée. Les travaux sur le terrain commencèrent le 10 mars. Les autorités administratives locales nous vinrent en aide de mille façons. Aucune difficulté pour le recrutement des ouvriers. La main-d'œuvre abonde en cette saison dans les villages de la région qui n'ont que deux activités majeures dans l'année, la récolte des céréales et celle des olives, qui se font respectivement à partir de la mi-mai et du début d'octobre. Nous eûmes très régulièrement environ 150 ouvriers, dont plus de la moitié était affectés au transport des terres. Ali Agha, le propriétaire des terres d'Amrith, nous donna, après les entretiens d'usage, toutes facilités pour travailler sur son terrain. Grâce à la bonne volonté de tous, rien ne se mit au travers de notre travail et la bonne humeur ne quitta jamais le chantier, ni la maison des fouilles. Nous étions logés dans les bâtiments de l'ancien collège de la Mission Laïque française à Tartous. Une Jeep pour le va et vient entre notre installation et Amrith, qui est à 7 km. au sud de l'agglomération, facilita nos déplacements dans la région et nous permit d'effectuer plusieurs circuits pour étudier les différents sites de la basse vallée de l'Eleuthère.

(1) *Annales Archéologiques de Syrie*, 1953, p. 165-170. A la page 169, note 4 une inadvertance nous fit écrire Tiglatphalasar III au lieu de Tiglatphalasar I.

Le tertre d'Amrith est contigu au côté est du sanctuaire excisé dans le roc et connu sous le nom de *Maabed*. Il est de plan rectangulaire et mesure 110 m. dans l'axe nord-sud et 140 dans l'axe est-ouest(1). Sa plateforme cote de 16.25 m. à l'ouest et au nord, en bordure du temple et de la vallée du Nahr Amrith qui limite son front nord, à 18, 50 m. près de son angle sud-est. Son assiette est le rocher sableux habituel de la côté syrienne, dont la surface s'établit ici entre les cotes de 10 et 11 m. La hauteur des débris et terres rapportés est donc de l'ordre de 7 à 8 m. Le tell est mal délimité à l'ouest où la pente s'abaisse en un premier talus bien marqué, puis par un abaissement peu sensible jusqu'au niveau de la plaine avoisinante. La source qui sort du roc au bas de la pente nord est d'un débit suffisant la plus grande partie de l'année pour les besoins d'une agglomération correspondant à l'étendue du tell. Mais l'eau n'en est pas très bonne et parfois tarit vers la fin de l'été. Les gens préfèrent aller chercher l'eau à 300 m. au nord-ouest à la *source des serpents*, où elle est très agréable et d'un débit constant. Aucun vestige n'apparaissait à la surface du tertre. L'orge y était en herbe et tout autour des champs de fèves et de lentilles s'étendaient. Au bas du côté nord, le large fond du Nahr Amrith était en labour en vue d'une plantation d'arbres fruitiers.

La fouille fut commencée à la cote 16.00, le long du front nord, c'est-à-dire à 1 m. 25 au-dessous de la surface du sol, de manière à n'enlever tout d'abord que les couches superficielles indispensables à la reconnaissance des premiers sols d'habitation. On ne mit au jour dans ces couches que des parties de murs disloqués ou éboulés et aucun sol n'apparut. Il fallut approfondir la fouille pour voir apparaître une première construction avec son sol en place, à la cote 15.25, en l'espèce un grossier dallage de moellons bruts formant une surface très cahoteuse. Le développement des recherches livra trois chambres au sol ainsi pavé, qui représentent la première installation du tertre d'Amrith dans sa partie N.-O. Le haut de ces murs se tenait entre les cotes 15.50 et 16.00. Pendant que se dégagaient ces trois pièces, la poursuite des travaux dans la partie orientale de notre front de fouille amena la mise au jour de murs bien cons-

(1) Le plan topographique du site avec la mise en place des vestiges mis au jour sera publié dans notre prochain rapport.

truits avec pierres d'angles et de chaînage équarries et appareillées. Nous atteignons là la partie nord de la construction majeure dégagée au cours de nos travaux. La crête des murs conservés s'éleva progressivement de 16.40 près de la bordure nord du tell jusqu'à 17.70 près de l'angle nord-est du bâtiment. Puis le développement de la fouille vers les parties centrales de la surface du tell amena sur sa lisière ouest le dégagement d'un mur épais, se développant sur une grande longueur. On pensa à un rempart. Enfin, entre la limite méridionale du grand bâtiment dont nous avons parlé et la limite des fouilles au terme de cette présente campagne, huit curieuses tombes en forme de puits circulaire ressemblant à des silos aériens ont été découvertes.

Nous allons présenter successivement ces quatre complexes architecturaux, les objets mobiliers qu'ils ont livrés et tenter leur mise en place chronologique.

La première construction est très mal conservée, ses murs sont rompus de toutes parts. De grossières adjonctions plus ou moins tardives brouillent la vue d'ensemble. Et comme les murs originaux sont de construction grossière et articulés entre eux d'une manière peu orthogonale, il est difficile de préciser ce qui fait partie du plan primitif, ce qui en est un remaniement, ce qui enfin a été construit plus tard à une époque où le bâtiment primitif ne comptait plus. Avec toutes ces incertitudes, ce bâtiment se composait d'une cour de 7m.80 x 4 m., non dallée, orientée d'E. en O. A son petit côté oriental deux pièces la prolongent, dallées de grosses pierres grossières et communiquant par une porte. Au nord, deux pièces rectangulaires lui sont accolés par leur petit côté. Une troisième pièce s'insère en harpe entre l'une d'elles et la pièce dallée contiguë à la cour à l'ouest. Comme cette dernière elle présente un sol dallé de larges pierres brutes. Elle pouvait mesurer 6.50 x 4.50 m. à l'origine. Son angle N.-O, qui se trouvait sur la pente du tell, semble avoir été remanié et reculé, en sorte qu'il forme aujourd'hui un angle rentrant de construction grossière. Le dallage montre une reprise correspondant à ce remaniement. Les murs intérieurs ont 0.60 m. d'épaisseur. Celle du mur extérieur varie entre 1.90 m. et 1.60 m. en fondation là où nous avons pu les reconnaître. L'élévation était en pierres équarries de 0.25 x 0.50 x 0.30, disposées en deux rangs selon leur longueur, soit d'une épaisseur de 1 m. Nous n'en avons retrouvé qu'un petit tronçon, car de telles pierres sont la proie constante des maçons. Le mur occidental de la dernière salle, au couchant de la cour, est appuyé contre un mur épais orienté N.-S. et situé dans le haut de la pente ouest du tertre. Son

mur sud et celui de la pièce qui la sépare de la cour est en partie recouvert par un gros mur qui se détache perpendiculairement du gros mur précédent. Ce logis se place donc stratigraphiquement entre la construction de ces deux gros murs. Peu de poteries sont apparues dans ce gisement.

Le grand mur le long de la pente ouest du tertre se prolonge sur une longueur de 25 m. et mesure 2.40 m. de largeur. Il est formé de deux parements de blocs bruts avec remplissage interne. Il n'en reste que trois assises dans les parties les mieux conservées (cote la plus haute : 16.56). A son extrémité nord il s'arrête net et son parement se retourne à l'est sur une longueur de 5.10 m. pour former une sorte de tour intérieure, massive, de plan à peu près carré, en saillie de 2.20 m. sur son parement interne. Un autre massif semblable fait saillie pareillement sur le parement externe du mur. Son côté nord est à peu près dans le prolongement du côté sud du massif précédent. Sa longueur est de 5.90 m., sa largeur de 5.45 m. La surface en est arasée et s'abaisse vers l'ouest. On peut donc penser au soubassement d'une rampe aussi bien qu'à la fondation d'une tour. Au nord de ce tronçon de mur, un autre tronçon long de 7.10 m. est accolé. La séparation entre les deux est nette. Ce tronçon est un peu moins large que le précédent, moins régulier aussi (2.10 m. au sud, 2.30 m. au nord), il ne se trouve pas dans son exact prolongement et son arasement s'établit à 0.35 m. plus bas ; mais la construction est la même. C'est contre sa face interne que s'appuie le mur ouest de la dernière pièce du bâtiment présenté plus haut ainsi que le gros mur qui recouvre une partie de son mur sud.

Si on peut voir les fondations d'un rempart dans ces grands murs relevés en bordure du tertre, on expliquera leur séparation nette par l'existence à l'angle nord-ouest d'un ouvrage de défense construit indépendamment d'eux. La fouille de ce gisement a livré plusieurs objets.

La principale construction mise au jour sur le tertre d'Amritli (pl. I, 1) mesure 24 m. 20 sur l'axe est-ouest, et sur l'axe méridien elle est conservée sur une longueur de 21.80 m. que le mur externe ouest prolonge encore au sud de 10.90 m. Le mur sud, seul, est conservé sur toute sa longueur. Les extrémités méridionales des murs est et ouest nous échappent, et du mur nord nous n'avons pas retrouvé le moindre chicot. Le sol, par places pavé grossièrement de grosses pierres (pl. I, 2) s'établit entre les cotes 16.36 et 16.84. Il est surtout attesté dans la

partie sud du bâtiment, la partie nord ayant été totalement détruite hormis quelques tronçons des murs extérieurs.

La construction est d'aspect monumental. Les murs extérieurs ont très régulièrement 1.20 m. de largeur (pl. 1,4). Ils sont construits en gros moellons pour les parements et en caillasse à l'intérieur. Des chaînages soignés sont établis aux angles (pl. 1,3) et sur toute la longueur des murs à des intervalles réguliers de 2.30 m. Ils sont formés d'assises de beaux blocs équarris de 0.20 à 0.30 m. de côté pour une longueur variant entre 0.50 à 0.80 m. On a disposé deux blocs en boutisse en face d'un bloc en parpaing placé alternativement dans le parement intérieur et dans le parement extérieur. La division intérieure n'est conservée que dans les parties sud et sud-est. Au sud, un mur de refend parallèle au mur extérieur et long de 16.40 m. limite des chambres et des cours étroites, dont la largeur varie entre 2.40 et 2.80 m. pour une longueur de 7.40 m. en moyenne. Les murs de refend sont épais de 0.50 à 0.80 m. Les plus soignés sont chaînés par des blocs disposés en boutisse d'un parement à l'autre. Deux autres pièces parallèles aux précédentes et de même largeur s'intercalent entre la dernière celles-ci et le mur de façade ouest. Leur longueur semble avoir été d'environ 11 m. longueur qu'un mur de refend construit vers leur extrémité sud réduirait à 9 m. Toutes ces pièces ne sont orthogonales qu'en apparence : elles présentent un dévers de leurs murs à l'ouest. Des diagonales de 8 m. et 7.80 m., 8.20 et 7.90 m. en donnent la mesure. Dans cette partie bien conservée, aucune porte extérieure n'est attestée, mais les divisions intérieures indiquent une entrée par la façade sud. On aurait ainsi dans le quart sud-est une cour desservant une pièce à gauche et une pièce à droite ultérieurement divisée en deux. La pièce de gauche communiquait peut-être avec la pièce qui lui fait suite, car on a un indice d'embranchement près de l'angle nord-ouest. Peut-être cette pièce, en tout cas les deux autres, paraissent avoir formé une unité dans l'organisation interne de ce bâtiment ; de même les deux longues pièces situées plus à l'ouest. Dans l'angle nord-est on ne voit qu'une petite cour ou une grande salle et deux pièces à elle contiguë au nord, qui jouxtent le premier groupe de pièces que nous venons de présenter. Ailleurs, à l'ouest et plus au sud, les murs retrouvés ont été trop malmenés et leur orientation est trop discordante par rapport aux éléments précités pour qu'on en puisse dire quoi que ce soit.

La destination de ce bâtiment nous échappe. Sa superficie et la puissance de ses murs extérieurs suggèrent un édifice public. On n'ose rien dire de plus pour l'instant. Les objets les plus expressifs qu'il a fourni relèvent de la fin de l'époque perse. Le gisement est à aligner d'une part avec la couche 5 d'El-Mina, près de Séleucie de Piérie (1), de l'autre avec la couche 2 de Tell Abou Hawam (2), près Caiffa. La nécropole d'Athlit explorée par C. N. Johns (3) appartient aussi à cette même époque. Mais c'est la fin du Ve s. et la première moitié du IVe siècle avant J. C. qui justifient le mieux l'ensemble des objets exhumés ici à Amrith.

LES TOMBES

La première tombe (en T 5) a été dégagée non loin de l'angle nord-est du grand bâtiment perse. Elle s'est présentée à nous sous la forme de petites pierres disposées en encorbellement selon un agencement très irrégulier et formant le revers d'un dôme circulaire, bas (pl. II, 3). L'enlèvement de la dernière pierre mise en place jadis nous révéla que ce dôme fermait un puits profond aux parois maçonnées en petites pierres. Puits à section horizontale en fer à cheval, la partie convexe à l'ouest, la partie rectiligne à l'est adossée à un mur dans une partie de sa hauteur. Ce puits nous parut vide et nous avons cru à un silo. Dans le haut, à environ 2 m. du dôme de fermeture, hormis la terre qui s'était infiltrée au cours de notre travail, nous avons rencontré une trentaine de centimètres d'une terre noire, pulvérulente. Sur cette terre et près des parois, quelques ossements humains apparurent dont nous n'avons pas pu reconnaître la position anatomique. La terre a été tamisée, sans qu'aucun objet apparut. Aucun vase intact, mais la valeur de trois couffins de tessons de poteries fut recueillie un peu partout, vers l'ouest principalement, c'est-à-dire dans le voisinage des ossements. Parmi ces tessons on remarque une anse ogivale de bol chypriote, une anse large et plate ornée de gros traits transversaux noirs, une anse plus petite ornée de traits blanc-crème semblablement disposés. Ces trois tessons nous retiennent au Bronze Récent 1 ou 2. Ces restes de squelettes trouvés à la surface des terres qui garnissaient le fond

(1) L. WOOLLEY, *Journal of Hellenic Studies*, LVIII, 1938, p. 1-30 et p. 133-170.

(2) R. W. HAMILTON, *Excavations at Tell Abu Hawâm*, dans *Quart. of the Depart. of Antiquities in Palestine*, IV, 1934, p. 2-5.

(3) *Excavations at Athlit*, *ibid.*, II, 1932, p. 41-104.

d'un puits haut de 2 m. 50 est chose surprenante pour une tombe. Nous avons pensé à un silo dans lequel serait survenu quelque accident. La suite des fouilles nous assura que ce puits, comme ceux découverts par la suite, était bien une tombe. Le terme de " puits " désignant déjà une certaine catégorie de tombes avec chambre funéraire latérale dans le fond, nous avons retenu le terme de *tombe-en-silo* pour désigner le mode de sépulture que nous venions de découvrir et celles du même genre qui ont été découvertes par la suite.

Tombe (?) en silo 2. Rencontrée en R 6, l'embouchure au même niveau que celle de la tombe 1. Le dôme de fermeture était formé de grosses dalles placées en encorbellement selon un agencement rayonnant. Au centre, l'ouverture subsistant était oblitérée par une grosse pierre plate calées avec des cailloux (pl. II, 1). Entre elles les interstices en longs triangles étaient remplis de cailloux fortement coincés. Le puits est profond de 3 m. 50, bien construit, de section horizontale légèrement ovoïde. Dans le fond, une grande épaisseur de terre fine, mais aucun ossement, seulement quelques tessons, tous très petits. Parmi ceux-ci les plus expressifs sont : deux fragments striés horizontalement, un autre à stries un peu plus larges, un fond de gobelet ou de tasse, un bord de vase vertical mais fortement convexe, un fond de jarre large et plat. Les fragments striés pourraient être pris pour des produits du Bronze Ancien, mais on en trouve de semblables dans un gisement de T 6 qui relève du Bronze Moyen 1.

Tombe (?) en silo 3. — Située à côté de la précédente, au sud, son embouchure a environ 0.50 en contrebas. La construction est de même appareil et la forme générale du puits ne diffère pas. Dans le fond il n'y avait qu'une épaisse couche de terre fine.

Tombe en silo 4. — Située au nord-est des deux précédentes, en Q 6. Même genre de couverture que dans la tombe 2, mais beaucoup plus mal appareillée et assez peu bombée. Les parois du puits ont été mal construites, elles sont comme ondulées. On a parfois l'impression d'avoir atteint le bas de la paroi alors qu'il n'en est rien, le mur reprend, un peu en retrait. Dans le fond la surface des terres infiltrées s'établit à 1 m. 30 de l'ouverture. On ne retire d'abord que de menus fragments de poteries et des éclats d'os qui ne nous paraissent pas tous humains. Cependant deux vertèbres et une canine d'homme sont ob-

servées. Plus profond, vers 1 m. 75 de l'embouchure, des squelettes apparaissent au bas de la paroi nord ; ils sont très désorganisés : une tête osseuse à l'ouest puis une autre au-dessous, trois au nord, deux superposées et une à côté vers l'est, une autre encore au bas de la paroi N. E. Les os longs ne sont plus en connexion anatomiques entre eux bien que les os courts qui leur correspondent se trouvent encore à leur place naturelle, et tous sont accumulés dans l'hémicycle nord du puits. En revanche, le mobilier funéraire était dans un parfait état de conservation. Nous donnons (pl. III, 2) les documents principaux de ce gisement. La date des poteries ne fait pas de doute : le Bronze Moyen 3 initial. A 2 m. 50 au-dessous de l'embouchure on ne trouve plus d'ossements ni aucun tesson, les murs cessent mais aucun dallage ni enduit ne marque le sol de la tombe.

Tombe en silo 5. — Située en S 7. Sa couverture était très bien conservée : dôme en encorbellement fait de larges pierres plates et orifice pourvu d'une margelle circulaire (diam. 0.90, haut. 0.25) construite grossièrement avec de petites pierres disposées sur deux assises. La dalle de fermeture manquait, le puits était plein de terre. Dans cette terre nous trouvons de nombreux os d'animaux et des ossements humains, tous très brisés et mélangés.

Tombe en silo 6. — Rencontrée dans la carré 3 6, à environ 1 m. 80 de la surface. Rien n'est conservé de la voûte qui s'est effondrée dans le puits où nous en retrouvons les pierres. Aucun ossement n'a été rencontré bien que nous ayons recueilli un bon couffin de tessons, tous très petits et fort inexpressifs. Pour la date on peut hésiter entre le Bronze Moyen 2 ou 3. L'absence de décoration peinte plaide plutôt en faveur du Bronze Moyen 2.

Tombe en silo 7. — Gisement en T 7. Son dôme de couverture complètement effondré, le puits béant et plein de terre, cette tombe ne présageait rien de bon. (voir pl. II, 2). Son contenu s'est révélé merveilleusement intact (pl. III, 7). A 1 m. 20 de l'orifices deux squelettes étaient allongés de tout leur long sur le dos, les ossements en connexion anatomique, les pieds à l'ouest. Entre leurs têtes, une cruche à fond, pointu, panse ovoïde. Au même niveau, dans la partie sud de la tombe, un troisième squelette d'adulte, la tête au sud-ouest, les pieds vers la poitrine du squelette sud, reposait également sur le dos, un nouveau-né entre les jambes.

Une deuxième couche, contiguë en quelque sorte à la précédente, com-

portait deux squelettes. L'un couché sur le dos, la tête au sud, les jambes repliées et couchées sur le côté, les bras pliés et un peu écartés de chaque côté du corps. L'autre, la tête au nord posée sur une pierre, gisait sur le dos, les jambes également repliées et couchées sur le côté, une poterie contre le zygome droit, une épingle de bronze contre le temporal gauche, une hache fenestrée du type étroit contre un tibia. Aucune poterie intacte, mais de nombreux tessons.

Une troisième couche de squelettes est encore apparue au-dessous de la précédente. Quatre étaient couchés à peu près parallèlement, la tête à l'E. — N.-E., le corps étendu sur le dos, les jambes fléchies. Près de la poitrine du squelette sud, une hache fenestrée étroite, la pointe en bas, et en arrière de la tête, à environ 0 m. 30, deux épingles de bronze disposées tête-bêche. Le troisième squelette était lui aussi accompagné d'une hache fenestrée étroite qui s'est glissée sous sa tête et une épingle s'est rencontrée entre lui et le deuxième squelette; puis une lame de poignard du type léger à talon rectangulaire et courte soie plate, trouvée un peu plus bas, a pu appartenir à un cinquième squelette qui gisait au dessous du troisième. En enlevant le squelette sud, une coupe de terre cuite et une épingle sont apparues au-dessous de sa tête. L'enlèvement de son voisin libéra à ses pieds un squelette d'enfant.

Une quatrième et dernière couche d'ensevelissements se trouvait encore plus profondément enfouie. On dégage d'abord six têtes osseuses dans la moitié sud du puits. Elles sont entièrement exhumées alors qu'aucun des os du tronc n'apparaît. Nous retrouvons ceux-ci un peu plus bas, comme si les cadavres avaient été couchés la tête surélevée; passablement disloqués et mélangés ces individus eux aussi reposaient à-plat sur le dos, les jambes plus ou moins repliées. Nous trouvons une épingle entre les os des deuxième et troisième squelettes, les fragments d'une hache fenestrée du type large étaient mélangés aux trois têtes osseuses de l'ouest (1); en arrière, près des jambes, un grand pot intact. Une fois ces ossements et objets enlevés, vers le centre nord du puits on rencontre une tête de lance du type léger avec douille au bord renforcé par une

(1) Confirmation absolue de l'antériorité de la hache fenestrée semi-circulaire sur la hache fenestrée étroite.

virole. Elle a dû appartenir à un des personnages du groupe. Nous atteignons le fond, non dallé, du puits à 3 m. 60 de l'embouchure. (Pl. III. 4).

Tombe - silo 8. — Rencontrée en R7 en bordure du carré, au nord. Ossements très émiettés et mélangés à toute la terre que nous sortons. Quelques os longs, insuffisants pour préciser la position des squelettes. Le crâne était à l'est. A côté on recueille une cruche, une tête de lance avec nervure médiane et douille d'emmanchement, et vers le milieu de la tombe une hache fenestrée du type étroit. Il y avait un espace libre de 1 m. 70 entre cet ensevelissement et l'orifice du puits.

Ces tombes-en-silo sont une nouveauté à ajouter aux modes d'ensevelissement que nous connaissons en Syrie-Phénicie. Ils posent bien des problèmes. Pourquoi des puits si profonds pour des sépultures réduites parfois à un seul individu? Le mort solitaire de la tombe-en-silo I avait un espace libre de 2 m. au-dessus de lui, le premier individu enterré tout au fond du tombeau 7 environ 3 m. 30, les derniers environ 1 m. 50. L'embouchure de ce dernier tombeau atteint presque le niveau du champ de blé de la plateforme du tell d'avant les fouilles; elle s'élève plus haut que le sol de la grande résidence du temps des Perses. Les autres sont à un niveau plus bas, mais encore au-dessus du niveau de la ville leur correspondant. Pourquoi des puits de forme circulaire et non carrée ou rectangulaires, ce qui eut été mieux en rapport avec leur destination si celle-ci était funéraire dès l'origine? Pourquoi une couverture maçonnée en dôme avec un accès si étroit qu'un vivant n'y passe qu'à grand peine, si ces tombes étaient destinées dès l'origine à des sépultures successives qui devaient entraîner à chaque fois une ouverture et une fermeture difficiles. Le niveau de la ville du Moyen Bronze 3 se trouvant apparemment plus bas que l'embouchure de la tombe 7, on devait être obligé d'escalader cette tombe partiellement développée en hauteur pour y descendre les morts. Pourquoi ne pas avoir ménagé tout simplement une ouverture latérale au niveau convenable dans les parois de ces tombes? De telles ouvertures n'apparaissent nulle part dans aucune des huit tombes-en-silo qui nous avons explorées.

Deux tombes de nouveaux-nés ont été rencontrées en Q 7, à la cote 15.30. L'un d'eux était enfermé dans une jarre, l'autre posé sur un tesson. Deux autres sépultures d'enfants sont apparues en S 7. L'une à la cote 16.90

(0.80 au-dessous de sol avant la fouille) a crevé le sol d'une maison : le petit squelette reposait dans une belle jarre à fond plat, épaule carénée et ornée d'un double ruban strié en chevrons. L'autre sépulture se trouvait au même niveau que la précédente. Ossements et tessons étaient très brouillés, mais on isole de suite, une partie du col évasé et de l'épaule d'une jarre sur laquelle apparaissent trois cordons en relief.

Deux tombes d'une tout autre époque ont été rencontrées en K 5, orientées approximativement nord-sud (pl. IV, 1). Celle de l'ouest a ses longs côtés formés de deux dalles posées de champ, les petits côtés d'une seule dalle à laquelle l'adjonction de deux pierres fut nécessaire pour compléter la paroi nord. Au fond, pas de sol dallé ou préparé, ce n'était que de la terre. Quatre grandes dalles assuraient la fermeture. La tombe de l'est est de même construction : deux dalles pour les longs côtés, une seule pour les petits, quatre pour la couverture ; le fond n'est que de la terre. Ces deux tombes étaient violées, les ossements brouillés, les poteries en menus fragments. Deux tibias avec leur péroné étaient seuls en place près du petit côté nord, disposés selon l'axe de la tombe. On en conclut que les cadavres reposaient sur le dos, la tête au sud. Les tessons retirés de ces deux sépultures sont peu expressifs, mais tout autour et jusqu'à la surface actuelle du sol on rencontre beaucoup de fragments de grandes jarres avec anses en bretelles. La date de ces tombes s'établirait donc entre 450 et 350 (1).

En poursuivant le dégagement en profondeur d'une construction en T 6, nous sommes tombés sur un curieux gisement de poteries (cote moyenne 15.75), près desquelles gisait une paire de cornes de bovidé encore réunies par l'os frontal. Il comportait de très nombreux tessons de céramique en terre commune, ornés de lignes parallèles crèmes, plus rarement brunes, parfois rehaussés de lignes légèrement incisées, en dents de loup. De nombreux gobelets ornés de ces lignes crèmes et deux grandes jarres décorées de dents de loup constituent les poteries typiques du gisement. Est-ce l'indice d'une installation sacrificielle. Seule la fouille poussée en profondeur et en étendue peut nous le dire. La perspective d'une telle installation à ces confins du Bronze Ancien et du Bronze Moyen font vivement souhaiter la suite des recherches en ce point. D'autre part, il est du plus haut

(1) A rapprocher des tombes semblables mises au jour par L. Woolley à El-Mina (*Journal of Hellenic Studies*, t. LVIII, p. 155 - 157).

intérêt pour la connaissance de la pénétration des Amorites en Phénicie de bien étudier la couche correspondant à cette poterie qui paraît avoir été à l'origine une des productions céramiques particulières à cette population. Nous sommes à Amrith dans le débouché maritime de la vallée de l'Eleuthère. A son débouché continental, la région de Michrifé - Qatna a livré en pareille abondance la même céramique (1). Cette vallée apparaît ainsi comme une des grandes voies de cette pénétration amorite.

LES HYPOGÉES MONUMENTALES.

Nous avons repris la fouille de trois de ces hypogées (*Méghazil*) déjà explorés par E. Renan (2) et en avons dégagé un quatrième, sans superstructure monumentale, qui comme tant d'autres dans la région, avait déjà été pillé, mais qui nous parut, pour nos actuels propos, mériter un dégagement.

Hypogée à pyramidion. Nous appellerons désormais ainsi le tombeau à socle cubique surmonté d'un cylindre que coiffe une petite pyramide quadrangulaire. Cette fouille nous réserva quelques surprises.

La descente à l'hypogée était encore partiellement remplie de terres qui n'avaient pas été remuées depuis l'antiquité. On n'avait dégagé que les abords immédiats de l'entrée. Cette descente présente deux marches irrégulières à son extrémité supérieure et trois à son extrémité inférieure, en bordure du petit palier qui précède le seuil de l'entrée. Entre elles, deux autres marches interrompent la descente vers son milieu, la plus haute faisant saillie de toute sa hauteur au-dessus du plan incliné rocheux. Trois mètres plus bas des blocs de pierres non taillés s'entassaient sur le sol de la rampe. Entre eux et les deux marches nous avons recueilli plus de cent objets mêlés à des ossements humains dispersés sur une hauteur d'environ un-demi mètre. Ces objets s'échelonnent chronologiquement entre le début du IV^e siècle, bien représenté par des lampes attiques et la fin du I^{er} siècle de notre ère indiquée par des lampes à couverte rouge-brun, bec caréné à volutes et le dessus orné de scènes diverses. Parmi ces objets voici les plus expressifs :

(1) Du Mesnil du Buisson, dans *Syria*, XI, p. 153, fig 3 et pl. XXXIII ; voir aussi H. Ingholt ; *Rapport préliminaire sur sept campagnes de fouilles à Hama en Syrie (1932-1938)*, p. 29 - 37, pl. VIII, IX, XI.

(2) *Mission de Phénicie*, p. 70 - 80.

Une tête en calcaire, de type chypriote, déjà abondamment représenté par nos trouvailles dans la favissa, une anse rhodienne avec estampille rectangulaire, une marmite globulaire à bord évasé et deux petites anses, sept coupes à couverte rouge et fond plat sur haut rebord, trois plats dont un avec cercle incisé et rang de palmettes vers le fond, neuf fioles à long col, six lampes attiques ou d'imitation, une variante de celles-ci avec saillie en forme de feuille sur le côté. Six lampes en terre cuite sombre ornées de traits épais radiants autour du trou du réservoir et avec une double volute sur une saillie latérale, une lampe semblable avec décor en chevrons entre les traits radiants et une protubérance latérale, une autre lampe de même forme avec volute sur une saillie latérale mais sans décor sur le réservoir, un fragment de lampe du type aux génies ailés, quatre lampes romaines au bec caréné à volutes et couverte rouge livrant : un motif érotique, la louve allaitant, un oiseau, un motif qui a presque entièrement disparu, les fragments d'un autre encore où se voyait peut-être un lièvre. Deux lampes en forme de bougeoir, une lampe à anse plate à trois rainures. Huit petites poteries en forme de théière haute, sur pied étalé. Trois clochettes de bronze et peut-être une quatrième. Deux vases à anse, fond étroit, large épaule, long goulot.

Nombreuses perles en verre, bleu sombre, en pâte jaune ; une vingtaine en bleu sombre ocellées de jaune ; perles cylindriques avec stries colorées de bleu principalement et une ornée de chevrons. Bulles de verre plan-convexes colorées de traits bigarrés en zigzag, perle globulaire, une perle cylindrique et une autre fusiforme en pierre grise.

Quelques amulettes ou pendeloques. Cinq en stéatite tronc-pyramidales, aux faces gravées de signes linéaires peu distincts ; une conique en pâte bleu clair, une autre lacrymoïde à surface striée et bélière terminale ; scarabéoïde en forme de porc-épic ; un autre anthropomorphe aux détails peu distincts.

Nombreux bracelets et anneaux de bronze, quelques-uns d'argent, sans aucun décor. Gros clous en bronze et en fer. Quinze pièces de monnaie en bronze et une en argent, très fortement oxydées. Nombreux fragments de verre irisé.

L'intérieur du caveau, exploré en tous sens et dans tous ses recoins, a livré de nombreux fragments de jarres qui sont en cours de reconstitution. Mais peu de petits objets : une lampe ouverte à large fond plat, bec pincé, large bord oblique, une lampe attique d'imitation, une fiole de terre cuite à long col et bord évasé, une lampe au type des génies ailés et un médaillon représentant l'œil *oudja*.

Les objets les plus anciens de cette collection sont les grandes jarres à anses en bretelles et la lampe ouverte à fond plat. Ces deux type apparaissent,

l'un déjà, l'autre encore à la fin du Ve s. (1) et au début de IVe. Les objets les plus récents sont les lampes à couvercle historié qui sont des Ier et IIe s. de notre ère. Intermédiaires, parmi les documents les plus caractéristiques, sont les lampes attiques d'imitation, les fragments d'amphores rhodiennes et les monnaies. Pour justifier au mieux ces présences on peut dater les premiers ensevelissements, donc l'édification du tombeau, vers le milieu du IVe siècle au plus, un peu avant. Les fragments de jarres rhodiennes sont en gros du IIIe et du IIe siècle, les lampes à décor de bandes radiantes et au type des génies ailés attestent des ensevelissements au IIIe siècle. Enfin on inhumait encore dans le couloir d'accès de l'hypogée au Ier siècle de notre ère (2).

Hypogée à superstructure en dôme. Nous appellerons désormais ainsi le tombeau à socle circulaire flanqué de quatre protomes léonins et que surmonte un cylindre coiffé par un dôme. La rampe conduisant à ce caveau ne semble pas non plus avoir été dégagée entièrement par nos prédécesseurs. Au cours de son déblaiement nous n'avons rencontré aucune poterie ni aucun fragment expressif. Cette rampe présente une plateforme dans le haut, une rampe unie sur la plus grande partie de la descente qui se termine par trois marches. Le caveau avait été soigneusement vidé. La céramique y est rare et du même genre que celle du tombeau à pyramidion.

Hypogée à superstructure prismatique. Nous appellerons désormais ainsi le tombeau à double emmarchement que ne surmonte plus, actuellement, qu'un cube de pierre. Il est situé à 200 m. environ au sud des deux précédents. La rampe d'accès est à escaliers continus. Elle avait déjà été presque complètement dégagée et le caveau ne contenait que très peu de terre. Nous y recueillons : deux anses rhodiennes avec estampille circulaire, quelques fragments d'une jarre à anses en bretelles, une bol profond à couverture orange et fond cerné d'un rebord oblique, quelques fragments d'une marmite à panse globulaire aux parois striées, le col dilaté dans le bas et sous lequel s'insèrent deux anses.

(1) A El-Mina, près de Séleucie de Piérie, niveau III (450-370) ; à Tell Abou Hawwam, près Califa, au niveau II, de part et d'autre en association avec des lampes attiques.

(2) Dans mon étude sur les statuettes de la *favissa* d'Amrith, (*Bulletin du Musée de Beyrouth*, t. V — 7, 1944-1945, p. 89 et s., et t. V — 8, 1946-1948, p. 81 et s.), j'ai eu tort de trop m'appuyer pour dater ces tombeaux sur la poterie romaine des déblais qui avaient été accumulés récemment autour de l'un d'eux. Ces fragments ne donnent que l'époque des derniers ensevelissements. Le plan que Renana donne de ce même caveau ne lui appartient pas, ni à aucun des tombeaux à superstructure monumentale d'Amrith.

Tombeau à superstructure épargnée dans le roc. Nous appelons ainsi un tombeau, dont la bouche s'ouvre dans une masse rocheuse, de forme vaguement cubique, en saillie d'environ 2 m. au-dessus du sol avoisinant (pl. IV, 2). On accède au caveau par un puits rectangulaire, vertical, profond de 5,30 m., dont l'embouchure était oblitérée par quatre grosses dalles disposées transversalement et prenant appui par leurs extrémités dans deux feuillures latérales. Le caveau se compose de deux chambres, l'une à la suite de l'autre, reliées par un passage rectangulaire.

Ce tombeau était certes violé, nous verrons même qu'il fut visité plusieurs fois. Une des dalles de fermeture du puits avait pour cela été déplacée. Mais l'aménagement de son entrée nous garantissait contre toute intrusion. On pouvait être certain qu'aucune de ses poteries communes n'en avait été retirée, que le minimum de terre en avait été extraite. De fait, ce tombeau se révéla riche en choses vulgaires mais précieuses selon nos préoccupations chronologiques. En voici l'inventaire.

Trois lampes attiques d'imitation et deux autres lampes du même genre avec protubérance latérale à la base du bec ; deux lampes à décor en larges traits rayonnants avec une protubérance sur le côté, une lampe romaine à dessus orné d'un lion et une autre dont le sujet a presque en totalité disparu, une lampe à bec à peine saillant avec une anse dont le dessus est cantonné de quatre croix incisées. Onze anses rhodiennes : deux avec estampille ovale, quatre rectangulaires, quatre circulaires et une dernière rectangulaire mais courte, qui n'est peut-être pas rhodienne. Trois fioles et les fragments de plusieurs autres à long col avec large ourlet. Un bol profond en terre cuite fine vernissée rouge, à fond ceinturé d'une haute bordure ; un pot à anse, un tesson de terre cuite fine à vernis rouge et décor de palmettes ; des fragments de verre irisé, quelques perles, clous et fragments de bronze. Les intrusions évidentes sont représentées par une pipe arabe et onze fers d'âne. Ceux-ci ont dû servir de racloirs aux ouvriers qui ont travaillé dans cette tombe avant nous.

Dans tous ces tombeaux monumentaux le mobilier funéraire apparaît presque identique dans sa diversité. Il est à échelonner chronologiquement entre les quatre derniers siècles avant notre ère et le premier de l'ère chrétienne. Peut-être atteint-on le Ve s. av. J. C. avec la jarre à anses en bretelles, mais rien n'oblige à remonter à la date la plus haute dans la durée de cette série céramique. C'est donc dans la première moitié du IVe s. ou peu après que ces tombeaux ont dû être excisés, et ils ont servi jusqu'au Ier s. de notre ère.

FOUILLE DE STADE

Ce stade est bien connu depuis les fouilles d'E. Renan. Nous y effectuons des dégagements pour l'observation de quelques détails : en reconnaître

le sol, vérifier l'existence éventuelle d'une borne vers le centre de l'hémicycle, retrouver quelque traces de la *spina*, étudier l'agencement de son extrémité ouest. Tous ces détails sont nécessaires pour obtenir la date de sa construction.

Nous avons retrouvé au cours du dégagement du fond de l'hémicycle deux anses rhodiennes à estampille rectangulaire, une à épaule arrondie et marquée d'un timbre circulaire. En dégageant l'entrée sud qui forme *parodos*, nous recueillons dans les couches de surface une monnaie de bronze de Lici-nius, dans le bas, presque au fond, une autre pièce de bronze peu distincte et une lampe de terre cuite à décor en traits rayonnants avec une anse à l'opposé du bec.

D'après ces premiers dégagements il semble que nous devions retenir le III^e s. pour la première utilisation du stade. Rien du IV^e s. n'y est apparu. La descente en rampe qui se présente comme un *parodos* débouchant à la naissance de l'hémicycle semble due à une imitation des théâtres romains, car ceux des Grecs et des temps hellénistiques ne connaissent pas cette disposition. Cet emprunt n'est pas à envisager avant la fin du 1^{er} s. av. J. C. Il faut donc admettre que ce *parodos* est un aménagement tardif. Le travail en est grossier et bien des indices montrent même qu'il est resté inachevé.

مرکز تحقیقات باستان‌شناسی

RAPPORT PRÉLIMINAIRE
SUR LA DEUXIÈME CAMPAGNE DE FOUILLES A RAQQA
(AUTOMNE 1952)

par

NASSIB SALIBY

Cette campagne a eu pour objet le dégagement total du palais entrevu au cours des précédents travaux. La photographie aérienne publiée dans le précédent rapport (1) laisse en effet entrevoir le plan d'une vaste résidence mesurant environ 168 m. de longueur sur 74 de largeur. Au cours de ces travaux nous avons pu dégager l'essentiel de cette installation. Nos moyens réduits ne nous ont pas permis d'effectuer le déblaiement complet de toutes les salles qui la composent. Dans les plus grandes nous nous sommes limités au dégagement des murs au moyen de tranchées larges d'environ 1m.50 creusées le long des parois et jusqu'au niveau du sol.

L'évacuation des déblais pose à Raqqa de graves problèmes. Si l'on n'y prend garde, en dégageant une partie du site on risque d'en recouvrir une autre. Nous avons pu, cette année, jeter nos déblais dans un ancien canal qui en sera bien vite comblé. Il faudra envisager des moyens d'évacuation plus rationnels que ceux que permettent couffins et brouettes (2).

Au terme de nos travaux, c'est une vaste demeure (3) qui s'est trouvée

-
- (1) Les travaux de la première campagne de fouilles ont été exposés sommairement dans les *Annales Archéologiques de Syrie*, t. I, p. 111.
- (2) Le dégagement systématique du site de Raqqa abbasside, dont l'étendue ne mesure pas moins de 5 km. de côté, ne pourra se faire qu'avec une voie ferrée pour l'évacuation des déblais.
- (3) Voir les photographies du palais dans des planches avec notre article public dans la partie arabe de ce numéro des *Annales*.

exhumée. Les murs en sont arasés à 1 m. environ au-dessus du sol et toutes les constructions en briques cuites ont disparu, arrachées depuis longtemps par les gens du village en quête de briques pour bâtir leurs maisons. Mais ce qui reste nous livre le plan exact d'une vaste demeure princière du temps de Haroun ar-Rachid, avec la répartition de ses logis, la destination de presque toutes ses pièces et révèle maints usages techniques et partis décoratifs chez les artisans de cette fastueuse Cour des Mille et une Nuits.

Le palais forme dans son ensemble un rectangle orienté N.-S. Il se compose d'un groupe de bâtiments auxquels fut ajouté, du côté nord, un enclos formant une vaste cour (1).

Dans son état final, on n'accédait aux bâtiments résidentiels qu'à travers cette cour. Elle mesure 68 m. d'E. en O. et 50 m. du N. au S. Le mur de clôture est construit en briques crues et ne mesure que 0.70 m. d'épaisseur. Il devait donc n'avoir qu'une faible hauteur. A chaque angle s'élevait une tour cylindrique, creuse, qui servait certainement à la surveillance du domaine et pouvait contribuer à sa défense. Sur le sol de la tour S.-E. nous avons rencontré une épaisse couche de cendres et une teinte rougeâtre sur les parois. Plutôt qu'à un incendie, car le bois, rare dans la région, ne devait pas entrer pour beaucoup dans les constructions, on peut penser à une utilisation de cet ouvrage comme four à plâtre. Celui-ci était, en effet, couramment employé, tous les murs en étaient enduits, même celui entourant la grande cour où nous en avons découvert maintes traces. Chacun des mur N. E. et O. est flanqué à l'intérieur de trois tours semi-circulaires inégalement espacées (2). Comme les tours d'angle, elles sont creuses et un étroit passage les met en communication avec la cour. Deux d'entre elles sont symétriquement disposées de part et d'autre d'une porte que flanquent d'épais pilastres. Ces trois portes constituent les seules entrées du palais (3), dont cet espace clos formait l'avant-cour.

(1) Une partie pouvait servir de jardin.

(2) En employant le terme de tour, nous ne préjugeons pas de leur hauteur. Ce ne pouvait être que de simples cabanes pour remiser du matériel.

(3) Le palais proprement dit n'est accessible directement de l'extérieur que par une petite porte, d'apparence domestique, près de son angle N.-E.

Le palais proprement dit s'enferme dans une enceinte quadrilatérale de 115 m. x 74.60 m. au S. et 69.70 au N. enfermant logis, cours et jardins. Les murs en sont puissants, leur épaisseur est 1.50 m. ; ils pouvaient donc s'élever très haut. Des pilastres semi-circulaires, massifs, en assuraient la solidité. On en compte 5 sur le côté S., 6 sur le côté O., 7 sur le côté E. Sur la façade N. il n'en a été reconnu que 2. En outre, chaque angle de l'enceinte était consolidé par un pilastre cornier également massif. Au fond de l'avant-cour, la façade du château se présentait avec deux tours semi-cylindriques dans sa moitié Ouest.

A cette division bipartite de la façade correspond une division semblable de tout l'ensemble du palais par un mur méridien qui traverse le quadrilatère en son milieu exactement. Dans la moitié orientale se trouve les appartements privés que suit le logement des hôtes puis un jardin. Dans la moitié occidentale on rencontre une cour, le pavillon d'apparat et un jardin également contigu et identique au précédent. Trois portes mettent ces deux moitiés en communication.

L'entrée principale du palais mesure environ 17 m. de largeur, elle s'ouvre juste dans l'axe de la porte Nord de l'avant-cour. Elle est attestée par le tracé des fondations, des emplacements de piédroits des fragments de briques cuites et des morceaux de stuc sculptés recueillis dans les déblais. Les briques cuites formaient sinon le cœur des piédroits de la porte, tout au moins un revêtement et des stucs participaient à la décoration. Cette entrée donnait accès à une vaste cour à peu près carrée (35 x 40 m.) occupant exactement la moitié de la largeur de l'enceinte du palais. Son sol était entièrement revêtu de grands carreaux de terre cuite de 0.40 m. au carré. Le long des côtés E. et O. courait un portique attesté par des marques de piliers de briques qui soutenaient sans doute une couverture. Adossées au côté N. à droite de l'entrée, deux pièces contiguës représentent peut-être des logement de service. Sous les portiques court une banquette adossée au mur de fond, et leur sol ainsi que celui de l'entrée et des chambres contiguës est pavé de carreaux de 0.24 m. de côté seulement recouvert d'enduit de plâtre.

Des fragments de stuc sculptés de pampres recueillis le long des galeries et quelques fragments fortement convexes d'enduit peint révèlent une décoration

(1) En employant le terme de tour, nous ne préjugeons par leur hauteur. Ce ne pouvait être que de simples cabanes pour remiser du matériel.

(2) Le palais proprement dit n'est accessible directement de l'extérieur que par une petite porte, d'apparence domestique, près de son angle N. - E.

qui devait habiller les parois du fond et les fûts des portiques. L'évacuation des eaux était assurée au moyen de buses de terre cuite. Le long du mur méridional, rien n'est conservé qui puisse nous donner une indication sur l'économie des pièces qui s'y rattachaient.

A l'Est de cette cour et sur la même profondeur s'étendaient les appartements privés. Le long mur de fond du portique formait la séparation. Un corridor longeait celui-ci sur toute sa longueur et mettait en communication les trois parties de cette résidence : au N. un large passage ouvrant directement sur l'extérieur ; au centre un couloir perpendiculaire desservant quatre logis ; au Sud une vaste cour.

Le passage N. large de 8 m. à une extrémité, de 7 à l'autre, présente tout le long de sa paroi septentrionale huit niches d'une profondeur commune de deux mètres et d'une largeur variant de 2 m. à 2.50, que séparent de grosses piles. Sur le côté S. deux niches sont visibles à l'extrémité orientale. Les piles qui les constituent devaient supporter un escalier dont le départ se voit à côté et qui conduisait à la terrasse et sur les murs de l'enceinte. Le passage était à ciel ouvert, les niches seules étaient couvertes par des voûtes. La petite niche 29 servait de latrine. La niche 33 a livré une inscription en coufique arrondi au nom du Calife Mou'tasem (218—227 de l'Hégire = 833—842 de notre ère). Ce long passage est peut-être la salle des gardes, qui pouvaient de là gagner directement les terrasses, accourir rapidement n'importe où dans le palais ou à l'extérieur par la porte qui s'ouvre à l'extrémité ouest.

Quatre appartements sont répartis deux par deux de part et d'autre du corridor central.

Quatre grandes chambres au fond de la cour 46, deux plus petites sur chacun des côtés avec un long réduit à leurs extrémités constituent l'ensemble le plus élaboré. Les pièces 16, 17, 22, et 23 présentent dans un coin de leur paroi méridionale un mastaba de plan carré légèrement surélevé : ce sont apparemment des *mihlabs*. Celui de la chambre 17 a livré des restes d'ornementation. Les réduits 21 et 42 ne paraissent avoir eu d'autre destination que le service des chambres 14 et 18. En 45 nous avons une installation de toilette. En face le passage 24 donne accès à la salle de bain 25, au sol revêtu de bitume et percé en son centre d'un large trou circulaire pour l'évacuation des eaux, dans lequel se trouvait un tuyau de verre renflé au centre. Quelques

flacons de verre, des restes de pièces en cuivre, des tessons de poterie ont été recueillis dans les autres parties de ce logis.

Le logis voisin n'a que trois chambres dans le fond et deux à l'ouest, avec une salle de toilette à l'angle N. - O. Entre autres objets mobiliers, nous y avons recueilli les fragments d'une grande jarre en faïence vert foncé à décor en relief.

De l'autre côté du couloir, deux appartements beaucoup plus simples que les précédents ne comportent qu'une grande cour avec trois chambres dans le fond et une latrine dans l'angle N. — E. Les carrelages, celui en particulier de la cour 58 sont bien conservés. Des niches au bas du mur nord paraissent avoir servi de receptacles pour de menus objets. Dans l'une d'elles, à l'angle N. — O. de la chambre 57 nous avons recueillis une dizaine de jetons en verre portant la mention مبارك وکیل رشيد. On peut comprendre: *béni et poids juste*. Ce sont peut-être des tickets de garantie pondérale de marchandises livrées. Au milieu du sol de la chambre 57 nous avons observé la présence d'un foyer et dans l'angle S. — O. ainsi que dans l'angle correspondant de la pièce voisine 56, un mastaba semblable à ceux que nous avons signalés dans les appartements précédents. Dans la chambre 28, deux fours, du type dit *tannûr*, ont été conservés. Dans les débris du voisinage nous avons rencontré un petit chapiteau en albâtre, peint, et des ossements de petits animaux. L'économie de ces deux logis et les trouvailles que nous avons signalées permettent de voir là les cuisines et les logements de la domesticité (1).

On peut restituer au Sud de la grande cour 60, un mur percé de portes et renforcé de pilastres comme au nord. Malheureusement on n'y a retrouvé que des fondations massives et, sur une couche de mortier, les traces de la fin du dallage de la cour. Derrière se trouvait un passage Est-Ouest, large de 4.25 m., terminé à l'ouest par une large niche peu profonde. Son sol était revêtu d'une épaisse couche de plâtre. La niche du fond a livré des restes de peinture et aux angles se voyaient les traces de deux colonnes en plâtre sur base carrée, également peintes. Nous avons déjà présenté ce décor: nous avons mis au jour une sorte de niche, entourée de deux colonnes engagées en plâtre

(1) Cette partie du palais, qui est le bâtiment de réception, ainsi que le logis des hôtes attenant a déjà été présenté dans le premier rapport. Cf. *Annales archéologiques de Syrie*, I, 1951, p. 111 - 121.

et peintes en jaune; chacune de ces colonnes repose sur une base carrée peinte de rouge et noir. Le milieu de la niche est décoré de dessins peints à l'aquarelle en noir, bleu, rouge, jaune et blanc. Il n'en reste que la partie droite, les autres parties ayant été détruites par une fouille clandestine. Une bande large de 15 cm. constitue le cadre inférieur de ce décor. Au-dessus se trouve un médaillon rond duquel se détachent des pendants en forme de petits globes " (1).

Ce passage ouvrait à son extrémité Ouest sur un long corridor perpendiculaire desservant les parties arrière du bâtiment que nous allons maintenant présenter.

Ce bâtiment est très ruiné dans sa partie Nord. Son extrémité orientale donne accès à une salle de bain à deux fosses. Celle-ci est disposée symétriquement par rapport au couloir qui part de son autre extrémité, a la même largeur et une longueur de 12.50 m. Entre ces deux éléments architecturaux, les fondations partiellement mises au jour permettent la restitution d'un hall médian 9 flanqué de deux salles sur ses long côtés. C'est dans ce hall médian qu'ont été trouvés les restes d'un dallage en plaques de verre, déjà signalé dans le précédent rapport (2). Ce hall central et les deux pièces latérales sud ouvraient chacune par une porte sur une grande salle de 23.60 m. de longueur et 8.70 m. de largeur. Nous avons déjà présenté cette salle et signalé les fragments de verre colorés et émaillés transformés en masse informe à la suite d'un incendie (3). Cette grande salle 2 communique avec le couloir 3 par une porte. Sur la paroi opposée, dans le même axe que cette porte, se creuse une niche de même largeur et de profondeur de 15 cm. seulement. Au S., trois portes en vis à vis de celles du mur N. font communiquer cette salle avec un hall occupant toute la largeur du bâtiment dont il formait la façade méridionale. Long de 35.50 m., large de 4.30 m., ce hall s'éclairait par cinq larges baies donnant directement accès à un vaste jardin qui occupe l'extrémité Sud de cette moitié du palais.

La plupart des portes de cet ensemble monumental étaient encadrées d'une bande de stucs sculptés au décor assez uniformément composé d'une guirlande de pampres, quelques-unes encadrées d'une baguette de petites perles (?). Une pièce de bois sculptée, retrouvée dans les déblais avait conservé des traces

(1) *ibid.*, p. 115 s. et fig. 5.

(2) *ibid.*, p. 115 et fig. 4.

(3) *ibid.* p. 116 - 119, fig. 6 à 9.

de dorure. Des éclats de verre présentent des restes de décor floral. Malheureusement, l'incendie qui a détruit cette partie du palais n'a laissé subsister que d'infimes vestiges d'une décoration qui devait être d'une richesse exceptionnelle.

Cet ensemble architectural, d'un plan grandiose, ne présente nullement l'économie d'un logis d'habitation. La pièce essentielle en est la grande salle 2, avec l'entrée 9 et le hall 1. Il faut voir là une salle d'apparat avec sa riche décoration, ses somptueux dégagements et les diverses pièces de service qu'elle exige.

Le hall 1 était desservi par le grand couloir 3. Une salle de bain 4, avec un petit escalier intérieur permettant peut-être de se faire asperger d'eau par un serviteur, ajoutait à son rôle d'apparat de ce bâtiment quelques commodités en faveur des visiteurs. Il donnait accès également à un passage ouvrant au S. sur le jardin 23 et au N. sur la cour 13, entre lesquels s'élèvent une série de chambres précédées d'un portique. L'existence de ce portique sur arceaux n'est révélée que par la fin du dallage de la cour 13, à 3.80 m. en avant de la façade des logis ; par l'existence d'un seuil (?) surélevé en avant de la chambre 8 et par des fragments d'enduit de profil concave détachés apparemment d'arceaux. Les chambres communiquent toutes directement avec l'extérieur et les chambres, 6, 7 et 8 sont en outre en relation l'une avec l'autre par deux passages en enfilade. La chambre 11, isolée, possède un cabinet de toilette particulier. Dans l'angle S. — E. de la chambre 8 s'élève un *mastaba* pour la prière du même genre que ceux que nous avons déjà signalés dans les appartements privés. Il est décoré sur la côté N. de deux bandes de stuc sculpté. Le cabinet de toilette 12 a livré des tessons de verre et des fragments d'ivoire, ainsi qu'un peigne à grosses dents et à dents fines. Des fragments de verre étaient, peints en brun-jaunâtre. Sur un autre on lit *اشرب واطرب : buvez et soyez gais* ; un autre encore donne *سبب رومار : cause pour te satisfaire*. Des éclats de couleurs aujourd'hui blanchis sont gravés de dessins ondulés et portent à l'intérieur un décor incisé.

Nous avons déjà signalé ci-dessus une inscription au nom du Calife Moutasem, qui a régné de 833 à 842 de notre ère. Une pièce de monnaie trouvée dans la galerie 41 donne le nom de Rafiq et doit être attribuée à Haroun ar-Rachid. C'est donc à cette époque qu'il faut placer la construction de cette vaste demeure et sa première occupation. Par la suite elle paraît avoir été habitée par des gens moins soucieux de luxe et d'apparat. Des murs minces et mal construits, en particulier dans le logement des gardes, relèvent de ces temps postérieurs. L'un de ces murs est orné d'une peinture imitant un marbre fortement veiné.

Cette grande construction largement étendue au soleil, au plan très élaboré, est de toute évidence une résidence princière. L'avant-cour Nord est ouverte au va-et-vient incessant qui anime le palais et elle pouvait servir de parc à de nombreux équipages. Toute la moitié Ouest du palais proprement dit est consacrée à l'apparat. On y accède directement en venant de l'avant-cour. C'est une aire de 115 m. de longueur sur 37 de largeur (4255 m²) où les hôtes et les visiteurs avaient leurs allées et venues et où le prince pouvait étaler ses magnificences. Lui-même se contentait pour sa vie domestique d'une surface résidentielle de 1655 m², dont la garde, à elle seule, occupait près du quart. Aire bien resserrée et bien isolée communiquant directement avec le dehors par la salle des gardes. Le jardin attenant au sud appartenait déjà en partie au public familial ou ami du prince. Le faste, ce perpétuel spectacle, ne laissait ainsi aux princes abassides qu'un minimum d'intimité. C'est peut-être là une organisation de la vie héritée de l'existence communautaire qui avait été la leur sous la tente du désert deux siècles plus tôt et pendant les millénaires antérieurs. L'architecture même de cette résidence se rattache à un passé non moins lointain. Indépendamment des servitudes communes imposées par le climat et la construction en briques crues, on ne peut se détourner d'un rapprochement avec les grandes constructions palatines assyriennes. Vastes quadrilatères entièrement clos où l'étage reste exceptionnel, répartition des logis en fonction de très vastes cours, développement des bâtiments d'apparat, accès immédiat par une grande avant-cour sont autant de caractères assez caractéristiques pour ne pas être fortuits qui se retrouvent dans les palais de Raqqa comme dans ceux mis jour naguère en Assyrie, à Nimroud par exemple, l'ancienne *Qalah* une de ses capitales, ou dans les régions où son influence s'est faite sentir pendant un temps plus ou moins long, comme à Arslan Tash, l'ancienne *Hadatu* ou Tell Ahmar, l'ancienne *Til-Barsib*. Il ne paraît pas douteux que la vaste plaine comprise entre le cours supérieur du Tigre et la grande boucle de l'Euphrate ait possédé une architecture marquée dans l'espace comme dans le temps par un ensemble de similitudes remarquables, soit que celles-ci relèvent de la persistance des conceptions monumentales et des technicoles, soit qu'elles apparaissent comme le reflet dans la demeure de genres de vie très semblables. En revanche, le décor, c'est-à-dire ce qui est le plus libre de toute contrainte géographique comme des aboutissement de l'histoire, ce qui flotte le plus au gré de la mode du moment c'est-à-dire une influence sud-mésopotamienne qu'il se rattache. Il suffit de comparer le décor de nos stucs avec la décoration révélée par la fouille de Hira pour s'en convaincre.

NASSIB SALIBY

UNE ÉCRITURE CHYPRIOTE

PARTICULIÈRE A UGARIT

par

CLAUDE F. A. SCHAEFFER

La variété de style et d'origine des antiquités extraites du sol de Ras Shamra aux cours des dix-neuf campagnes de fouilles que nous y avons conduites a mis en évidence et dès les premiers coups de pioche, pour ainsi dire, le caractère international du grand port syrien que fut l'ancien Ugarit.

La richesse qu'ont recélée ses ruines malgré le pillage qu'avait subi la cité, la beauté de ses palais et sanctuaires, le confort des grandes habitations privées mises au jour au voisinage de vastes entrepôts dont certains ont livré leur contenu de marchandises, attestent l'aisance dont Ugarit a joui au deuxième millénaire av. n. è. A n'en pas douter, elle était le fruit de sa remarquable activité commerciale et de ses relations maritimes ou par voie de terre avec tous les pays voisins du Proche Orient, l'Égypte au sud et l'Anatolie hittite au nord compris, et par dessus la Méditerranée avec Chypre, la Crète et la Grèce mycénienne.

Les découvertes épigraphiques illustrent d'une manière particulièrement frappante ce que l'on peut appeler le multinationalisme de la population d'Ugarit. Dès 1939 nous avons identifié à Ras Shamra au total sept langues qui sauf une, le vieil Sumérien utilisé seulement par certains scribes, ont effectivement été parlé dans les rues d'Ugarit, sur ses quais et dans son bazar grouillant de monde (1). D'abord et d'une manière dominante la langue sémitique de la

(1) Voir nos *Cuneiform Texts of Ras Shamra-Ugarit*, Londres, 1939 p. 39

population syrienne indigène, l'Ougaritique ou Cananéen du nord qui constitue une des plus anciennes sources de la langue arabe. On y entendait parler ensuite le Babylonien, le Hourrite, l'Égyptien, le Chypriote et le Hittite, langues qui sont énumérées ici selon l'importance de la documentation épigraphique actuellement disponible et selon certains indices archéologiques.

A la suite de l'exploration en 1953 et 1954 des Archives Sud du Palais, nous commençons à distinguer à Ugarit une huitième langue, étroitement apparentée au Hittite et qui, à cause de la particularité de l'écriture a reçu des philologues le nom de Hittite hiéroglyphique (1).

Pour écrire ces huit langues, les scribes, lapicides et graveurs d'Ugarit se servaient de cinq écritures différentes. Et s'ils ne les connaissaient peut-être pas toutes toujours à fond, du moins étaient-ils capables à l'aide de dictionnaires parfois bilingues, dont plusieurs ont été retrouvés dans les fouilles, de rédiger ou de copier leurs textes sans erreur.

Un scribe d'Ugarit qu'on peut sans exagération qualifier de génial avait réussi l'invention d'une écriture en cunéiforme extrêmement simplifiée ne comportant que trente signes contre cent-cinquante signes environ dans le syllabaire babylonien. Il s'agit, en fait, de la plus ancienne écriture alphabétique jusqu'ici connue puisqu'elle remonte au XIV^e siècle probablement même au XV^e avant n. è. Ainsi nous distinguons à Ras Shamra deux écritures du type cunéiforme, l'alphabétique réservé à l'usage interne de la capitale et du royaume d'Ugarit et le cunéiforme syllabique utilisé pour la rédaction des textes diplomatiques, juridiques et la plupart des documents économiques en babylonien. Le cunéiforme syllabique a servi également pour les tablettes lexicographiques suméro-accadiennes et, dans un cas exceptionnel, pour une tablette en hittite.

L'Égyptien était naturellement écrit à l'aide de ses hiéroglyphes traditionnels qu'on a su tracer très correctement à Ugarit. Pour les hiéroglyphes hittites, les graveurs des cachets à Ugarit semblent avoir eu parfois quelques difficultés, mais, là encore, ils se sont tirés d'affaire assez adroitement.

(1) Cf. notre *Recueil des sceaux et cylindres hittites imprimés sur les tablettes des Archives Sud du Palais de Ras Shamra*, dans *Ugaritica* III, p 1 et s.

Quant à l'écriture linéaire chypriote, elle n'était représentée jusqu'ici à Ras Shamra que par des signes isolés peints ou gravés sur des vases mycéniens importés ou copiés à Ugarit (1) et par une très courte inscription gravée sur un bol d'argent d'un dépôt d'orfèvre trouvé en 1931 près de la maison et de la bibliothèque du grand prêtre (2). Etant donné la fréquence des rapports économiques et politiques entre Ugarit et la grande île voisine que les trouvailles archéologiques ainsi que les textes confirmaient, nous nous attendions toujours à trouver un jour une inscription en chypriote plus importante. Ce jour arriva au début de notre campagne de fouilles de 1953 lorsqu'une de nos porteuses d'eau ramassa en surface, au point topographique 570, à quelques mètres à l'est de l'enceinte du Palais, un fragment de tablette couverte de treize lignes plus ou moins complètes de signes de l'écriture linéaire chypriote (3). Les fouilles ont mis au jour ici l'habitation spacieuse, même luxueuse d'un citoyen d'Ugarit qui possédait une véritable bibliothèque composée d'un assez grand nombre de tablettes en Babylonien et en cunéiforme alphabétique dont plusieurs actes juridiques au nom d'un certain Nergal-Abu, une liste de marchandises provenant de diverses villes, une reconnaissance de dette ou de créance, un traité hippiatric, ainsi qu'un rituel magique suméro-accadien. Dans ce grand texte de près de cent lignes encore conservées des passages accadiens sont mêlés aux passages sumériens écrits phonétiquement et témoignant de quelques confusions (4).

Selon les indices stratigraphiques et céramologiques, cette habitation et les textes qu'elle contenait datent du XIII^e siècle avant notre ère et de la seconde moitié de ce siècle plutôt que de la première. Dans la même rue, l'habitation voisine et contiguë qui ne contenait aucun texte, a restitué un dépôt d'objets en bronze à l'état de neuf dont la belle épée gravée du cartouche de Mineptah (1234 à 1224 ou 1224 à 1204 av. n. é.), cf. nos *Ugaritica* III p. 169

(1) Pour la bibliographie cf. nos *Ugaritica* II (*Corpus* céramique de Ras Shamra) et l'article de M. Masson dans nos *Ugaritica* III.

(2) Cf. notre rapport dans *Syria*, XIV, 1933, p. 22, pl. XVI (1) et fig. 15 et *Cuneiform Texts of Ras Shamra-Ugarit*, p. 38, fig. 7.

(3) Cf. notre rapport préliminaire dans *Syria*, XXXI, 1954, p. 39.

(4) Cf. J. Nougayrol, *Les Archives internationales d'Ugarit*, dans *Comptes Rendus Académie des Inscriptions*, 1954, p. 32.

Selon l'étude consacrée par Monsieur O. Masson à la tablette de Ras Shamra, (cf. *Ugaritica* III p.), il s'agirait d'un texte du type chypro-minoen nettement distinct des écritures minoennes ou mycéniennes actuellement connues. Les caractères ressembleraient à ceux gravés sur les boules d'argile provenant de la cité de l'Age du Bronze découverte par moi à Enkomi en Chypre (1), plutôt qu'à ceux des tablettes trouvées récemment dans le même site.

J'ajoute que notre tablette chypriote à section lentiforme avec trait de séparation profondément gravé sur la tranche se distingue extérieurement de toutes les tablettes jusqu'ici trouvées à Ras Shamra. D'autre part, par sa forme et par le type de ces signes, elle se différencie non moins profondément des tablettes chypriotes d'Enkomi, comme des tablettes minoennes de Crète et mycéniennes de Grèce. Il serait donc prématuré, à mon avis, de vouloir décider s'il s'agit d'un document de provenance étrangère, plutôt que d'un texte rédigé par un scribe chypriote ou versé dans cette langue installé à Ugarit même.

Au terme de son analyse, Monsieur Masson (2) admet que notre tablette ainsi que la courte inscription gravée sur le bol d'argent trouvé en 1931 révéleraient l'existence d'un syllabaire inédit qu'il propose de nommer "chypro-minoen d'Ugarit". Cette hypothèse est évidemment séduisante puisqu'elle soulignera l'importance de l'installation de Chypriotes et probablement de Mycéniens de Grèce qui, je suppose, avait existé dans le port d'Ugarit aux XIV^e et XIII^e siècles av. notre ère (3).

Voilà, où en est actuellement le problème de l'écriture chypriote à Ugarit, ou plutôt en était, car une nouvelle découverte oblige de le reprendre aussitôt le manuscrit de Monsieur Masson remis à l'imprimerie.

Pendant notre campagne de fouilles de l'automne 1955, nous avons mis au jour, au sud du Palais, un vaste bâtiment d'une très belle architecture qui a tout à fait l'aspect d'un second palais. Par suite de l'étendu de la construc-

(1) Cf. notre volume *Enkomi-Alasia* I p. 11 et suiv. et p. 391 (étude de M. Masson); en ce qui concerne les références aux boules trouvées par M. P. Dikaios, associé depuis 1948 à l'exploration d'Enkomi, cf. nos *Ugaritica* III.

(2) Cf. *Ugaritica* III et antérieurement la communication de M. Masson à l'Académie des Inscriptions en 1955.

(3) Cf. Notamment nos *Ugaritica* I p. 99 et suiv.

tion, nous n'avons pu en explorer encore que l'aile nord. Cependant déjà deux grandes portes intérieures larges l'une de 4 m 50, l'autre de 5 m 50 pourvues chacune de deux colonnes ont été mises au jour, ainsi qu'un grand caveau funéraire logé sous le sol d'une vaste pièce ou cour intérieure encore incomplètement dégagée. Deux chambres dans l'angle nord-ouest de ce bâtiment provisoirement désigné sous le nom de Palais Sud, contenaient un assez grand nombre de tablettes en cunéiforme babylonien pour la plupart, et quelques-unes en ougaritique, c'est-à-dire, en cunéiforme alphabétique.

Selon le premier examen par MM. Virolleaud et Nougayrol, il s'agit principalement de textes économiques, de quelques lettres et de listes nominatives de villes ou d'individus. Ce nouveau lot de textes s'apparente ainsi à ceux recueillis dans les Archives Ouest du Palais (1).

C'est parmi cet ensemble que nous trouvâmes, en novembre 1955, deux fragments de tablette du type égéen qui reposaient parmi les cendres du bâtiment incendié et sont de ce fait mal conservés. L'écriture linéaire semble être la même que celle de la tablette dite chyro-minoenne de nos fouilles de 1953, mais elle provient d'un autre scribe. Le fragment le moins abîmé permet de reconnaître qu'il s'agissait d'une tablette plus épaisse et d'un format différent ; elle se rapproche davantage de certaines tablettes en cunéiforme de Ras Shamra. Cependant, tandis que les textes écrits à Ugarit même sont généralement en terre grise ou noirâtre, le morceau à écriture chypriote nouvellement trouvé est blanchâtre ou jaune clair (2), ce qui pourrait indiquer qu'il s'agit d'une tablette d'origine extra-ougaritienne.

Si faible que soit l'apport de ces deux fragments à notre connaissance des textes chypriotes ou chyro-minoens d'Ugarit, pour la première fois des textes de ce genre se sont trouvés mêlés aux archives officielles de la capitale ce qui, évidemment, encourage l'espoir que la suite de nos recherches en produira d'autres exemples.

(1) Cf. *Le Palais Royal d'Ugarit*, vol. III, Paris, 1955, p. XI et suiv.

(2) Lui-même est brisé en deux morceaux qui ont été trouvés à des endroits différents, cependant voisins dans le nouveau bâtiment.

En attendant, on lira avec profit l'analyse que Monsieur Masson a aussitôt entrepris des deux nouveaux fragments, ce qui a permis d'inclure leur publication encore dans le volume sous presse des *Ugaritica III*.

C. F. A. SCHAEFFER



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی

CHRONIQUE DES MONUMENTS HISTORIQUES

TRAVAUX DE RESTAURATION DES MONUMENTS HISTORIQUES

EXÉCUTÉS EN 1954 PAR LA DIRECTION GÉNÉRALE DES ANTIQUITÉS.

1 — *Palais Azem à Damas.* — La Direction Générale des Antiquités a pris possession du Palais Azem à Damas depuis 1947. L'état de cette ancienne demeure des gouverneurs de Damas au XVIII^e siècle était vraiment alarmant. Car en plus des démolitions qu'elle avait subies en 1924 et dont une bonne partie était demeurée sans restauration, ses belles façades intérieures, ses arcades, son dallage, et ses précieuses boiseries avaient un besoin urgent de réparation.

Il nous a cependant été impossible d'entreprendre aucune restauration avant que l'État Syrien ne se soit approprié totalement le palais. Une part assez importante était encore détenue par les membres de la famille Azem. L'opération de l'expropriation fut remise pendant plusieurs années faute de crédits. Enfin la somme nécessaire fut assurée dans le budget de 1953. Nous avons donc commencé l'année suivante nos travaux de restauration qui se poursuivent jusqu'à maintenant et qui dureront encore plusieurs années.

Ces travaux ne nous ont pas empêché de transformer et d'aménager le palais en un musée du Folklore National et des Traditions Populaires. Nous les avons localisés et divisés en tranches à exécuter successivement, de façon à ne pas gêner nos muséographes qui se sont habitués à exécuter leurs plans tout en travaillant avec les maçons et les tailleurs de pierre.

Tout d'abord nous nous sommes occupés des toits des salles situées à l'Est du Haramlek. Ces toits en terre crue laissaient les eaux de pluie s'infiltrer et abimer les belles boiseries de l'intérieur des salles. Ils furent doublés par une couche de 10 cm. en béton armé. De même les façades de la cour de cette partie du palais surtout les façades Nord, Ouest et Sud tombaient en ruine. Leurs assises polychromées en pierres blanches, jaunes et noires s'effritaient et donnaient le spectacle d'une ruine abandonnée. Nous avons démonté, renouvelé les pierres trop abimées et consolidé celles qui fléchissaient. Ceci

nous a amené à effectuer d'autres travaux de consolidation à l'intérieur de la grande salle septentrionale, et de la salle Nord-Est.

Le dallage de la grande cour du Haramlek était aussi très abîmé. Des dalles rangées en motifs géométriques s'étaient affaissées et d'autres s'étaient bombées. De sorte que plusieurs niveaux s'étaient constitués autour de deux grands bassins. Nous avons opté pour la création d'un troisième bassin longitudinal entre le grand bassin rectangulaire, et le bassin polygonal afin d'agréments l'aspect de la cour dont la disposition primitive n'est pas connue et avait subi plusieurs modifications au début de ce siècle. Nous avons ainsi créé des effets hydrauliques qui s'harmonisent merveilleusement dans ce délicieux cadre oriental. Après avoir enlevé le dallage sur une superficie de 320 m², et étendu un radier uni de ciment nous avons déposé les dalles selon le schéma originaire en remplaçant celles très nombreuses qui étaient trop usées.

Plusieurs salles du palais avaient besoin d'un revêtement de boiseries anciennes, car elles avaient perdu les leurs à travers les âges. Mais cette opération assez délicate et très onéreuse s'est limitée cette année, à ajuster un plafond peint et sculpté dans l'une des trois ailes de la grande salle méridionale du Haramlek. Ce beau plafond acheté d'une vieille maison de Damas contemporaine du Palais Azem a été savamment ajusté ici grâce à l'habileté du célèbre artisan damascain M. Ali Khayat (Abou-Souleiman) qui s'est tiré admirablement de cette difficile tâche. Maintenant le plafond en question resplendit avec ses couleurs rouges, jaunes et or dans cette salle de réception et lui rend une partie de l'effet saisissant qu'elle avait autrefois (1).

Notre gros effort s'est porté ensuite au corps de bâtiment consacré au bain. Sa partie extérieure constituant la salle de déshabillage était démolie, rasée et transformée en parterre du jardin, depuis 1924. Patiemment ses façades ses arcs, ses grandes coupoles sur pendentifs, totalement disparus furent refaits grâce à plusieurs groupes de maçons, sculpteurs de pierres et artistes. Les bordures sculptées des fenêtres, les pierres incrustées et richement décorées à l'extérieur et à l'intérieur furent refaites grâce au dévouement et à la bonne collaboration de nos deux techniciens maintes fois éprouvés MM. Nazmi Kheir et Ziki al-Amir.

Toutes les autres parties du bain notamment la salle tiède et les salles chaudes, les couloirs d'accès, la chaudière furent refaites. Les stalactites de ces pièces leurs lucarnes en verre ont subi des restaurations nombreuses avant de redonner son aspect primitif à ce bain qui dès maintenant pourra être considéré

(1) Avant d'être incendié en 1924.

comme un exemple en parfait état de conservation des bains damascains (1).

2 — *La restauration de l'entrée monumentale occidentale de la ville de Bosra —*

Cette porte monumentale datant du 2^{ème} siècle et appelée (Porte du Vent) par les habitants contemporains fut l'objet de soins particuliers à la fin de l'année 1953 et au début de l'année 1954. Il n'en restait que deux piliers dont les blocs risquaient de s'écrouler à tout moment.

Nous avons entrepris sa restauration d'après une photo publiée au début de ce siècle par Butler. Un démontage complet de deux piliers s'avérait indispensable pour la solidité de l'ensemble. De même une opération de déblaiement était aussi nécessaire pour dégager le sol primitif. Ensuite c'était la reconstruction des piliers, les façades des deux tours avec leurs niches et pilastres, et les deux arcs superposés qui surplombent l'ensemble d'une hauteur de 12m.50.

3 — *Consolidation de quelques colonnes à Palmyre.*

Dans la rue à portique entre l'Arc Monumental et le Tétrapyle se trouve l'ensemble le plus imposant de colonnes palmyréniennes. Ces colonnes encore debout avaient besoin d'être réparées. En 1953 et 1954, nous avons trouvé le moyen de nous acquitter de cette tâche.

Un chantier organisé par M. Nazmi Kheir, et dirigé par M. Obeid Taha a travaillé au démontage des frises et architraves, à la consolidation des colonnes et à la restauration de trois ensembles dont le premier se compose de plusieurs colonnes en face du théâtre, le second de sept colonnes à l'Ouest du tétrapyle, et le troisième de trois colonnes à l'Ouest des colonnes précédentes vers l'Arc Monumental.

4 — *Les travaux de restauration dans la citadelle d'Alep.*

Ce chef-d'oeuvre de l'architecture militaire de tous les temps continue toujours à nous préoccuper. A la suite de la grande opération de démontage et de reconstruction de la façade de la salle du Trône (2) qui eut lieu en 1950-1952, il fallut la compléter entre 1954-1955 par la restauration des deux façades latérales Est et Ouest de cette même salle. Notre architecte M. Agob Kirchian a fait enlever les 26 assises de chaque côté et les a remontées avec une habileté et une science dignes de tout éloge. Il reste maintenant à exécuter la troisième tranche de cette grande opération c'est-à-dire la couverture de la salle par un plafond de 25 m. x 12 m. en vue de la transformer en une exposition permanente du folklore septentrional de la Syrie.

(1) A l'heure actuelle les travaux de restauration se sont étendus à la partie du palais appelé Salamiek. Nous espérons les décrire dans un numéro prochain.

(2) Voir, Exposition des découvertes archéologiques de l'année 1952, Damas 1953 p. 43

Dans la même période 1954-1955 la Direction Générale des Antiquités a réparé les quatre façades du minaret de la grande mosquée dans la même citadelle. Car des fissures qui s'aggravaient d'un jour à l'autre y furent observées. La partie haute du minaret fut complètement démontée puis restaurée après avoir renouvelé les blocs de pierre trop abimés et, déposé derrière leurs assises un chaînage de béton armé pour assurer la cohésion du minaret.

Les alvéoles supérieures du minaret dont une partie s'était écroulée furent également consolidées et restaurées. Enfin des blocs de pierres dans les assises de la partie inférieure étaient aussi très effrités. Ils furent remplacés, et une grande quantité de ciment fut coulée dans les fissures intérieures. Et pour compléter cette opération des sondages furent effectués dans les fondations du minaret, et des travaux de nivellement dans le secteur avoisinant furent accomplis pour prévenir des infiltrations nuisibles des eaux pluviales, canaliser ces eaux et les empêcher de miner les fondations.

D'autres travaux de consolidation furent exécutés dans la partie Sud-Ouest de cette grande mosquée qui menaçait de s'écrouler. Les fondations furent consolidées, le pilier de l'angle renforcé avec deux murs de soutènement, enfin les deux parois Sud et Ouest furent fortifiées.

5 — *Quelques travaux de consolidation dans la basilique de Saint-Siméon le Stylite.*

L'ensemble des ruines de Qal'et Sam'an constitue l'un des plus importants sites archéologiques de Syrie. Les soins de la Direction Générale des Antiquités n'ont pas cessé de s'y manifester depuis très longtemps. Presque tous les ans un chantier y travaille durant deux ou trois mois en réparant, consolidant ou en restaurant ses nombreuses ruines. Mais la tâche y est vraiment grande. C'est pour cette raison que nous avons projeté un programme exceptionnel de travaux à exécuter durant les cinq années prochaines, et de les financer grâce aux crédits généreux qui nous ont été accordés par le Parlement.

Néanmoins nos travaux dans ce site durant l'année 1954 peuvent se résumer de la façon suivante :

1 — Consolidation de la façade du narthex de la basilique principale, réparation de sa partie Est et restauration de ses piliers trop abimés.

2 — Restauration de deux arcs situés dans la basilique Ouest, avec la façade sur laquelle ils reposent.

3 — Enfin consolidation de l'étage supérieur de la tour du monastère, à proximité du narthex de la basilique.

6 — *Nos travaux au Krac des Chevaliers.*

Les soins prodigués au Krac des chevaliers (1) depuis 1950, ont continué les deux dernières années sous la direction du même architecte M. G. Kalmakarian.

La tour Nord-Ouest a été complètement démontée. Et après avoir changé les blocs de pierres assez effrités, et remplacé les blocs de petites dimensions gauchement restaurés depuis dix ans, par des blocs appropriés, l'ensemble de la tour fut restaurée. La même opération fut exécutée dans la tour centrale du côté Nord-Ouest.

Les cloisons rudimentaires qui divisaient la Grand'Salle et qui dataient d'une époque récente furent enlevées. La belle façade donnant sur la cour fut l'objet de soins particuliers. La décoration ciselée des portes et fenêtres fut refaite patiemment mais sûrement d'après les traces des anciens modèles qui existaient encore.

Le toit de cette Grand'Salle fut dallé pour supprimer les infiltrations nuisibles des eaux de pluie. La couche des décombres à l'intérieur fut enlevée et le sol primitif dégagé.

Enfin plusieurs travaux de réfection furent exécutés à l'intérieur de la chapelle qui ont abouti à la découverte d'une fresque non complète représentant l'Enfant - Jésus, la Vierge et Saint-Joseph.

7 — *Nos travaux à la cathédrale de Tartous.*

Cette belle cathédrale du XII^{ème} siècle, était depuis toujours en état très délabré. Nous l'avons confiée à M. G. Kalmakarian. Durant les années 1953-1955, il y exécuta de remarquables travaux de restauration qui ne se termineront qu'à la fin de 1956. Le portail de sa façade occidentale qui était rapetissé et gauchement aménagé en une porte de mosquée, logée à l'intérieure, fut restaurée d'après le modèle fourni par le portail occidental contemporain du chateau Marqab. Un grand soin fut prodigué dans la sculpture de ses voussures qui ne présentent actuellement que l'inconvénient d'être trop blanches par rapport à l'ensemble de cette façade toute patinée par les siècles. La partie supérieure du côté droit de cette façade a été refaite aussi.

(1) Cf. Exposition. p. 41

A l'intérieur de la cathédrale, un immense travail de refection fut accompli. Les assises des absides, les bases des piliers, des tambours de ses colonnes engagées furent tour à tour restaurés. De même le sol primitif fut dégagé. Ses portes septentrionales et méridionales refaites. Nous espérons qu'à la fin de l'année actuelle cette cathédrale une fois les travaux terminés pourra servir de musée représentant les antiquités et le folklore de la région côtière de Tartous.

S. A

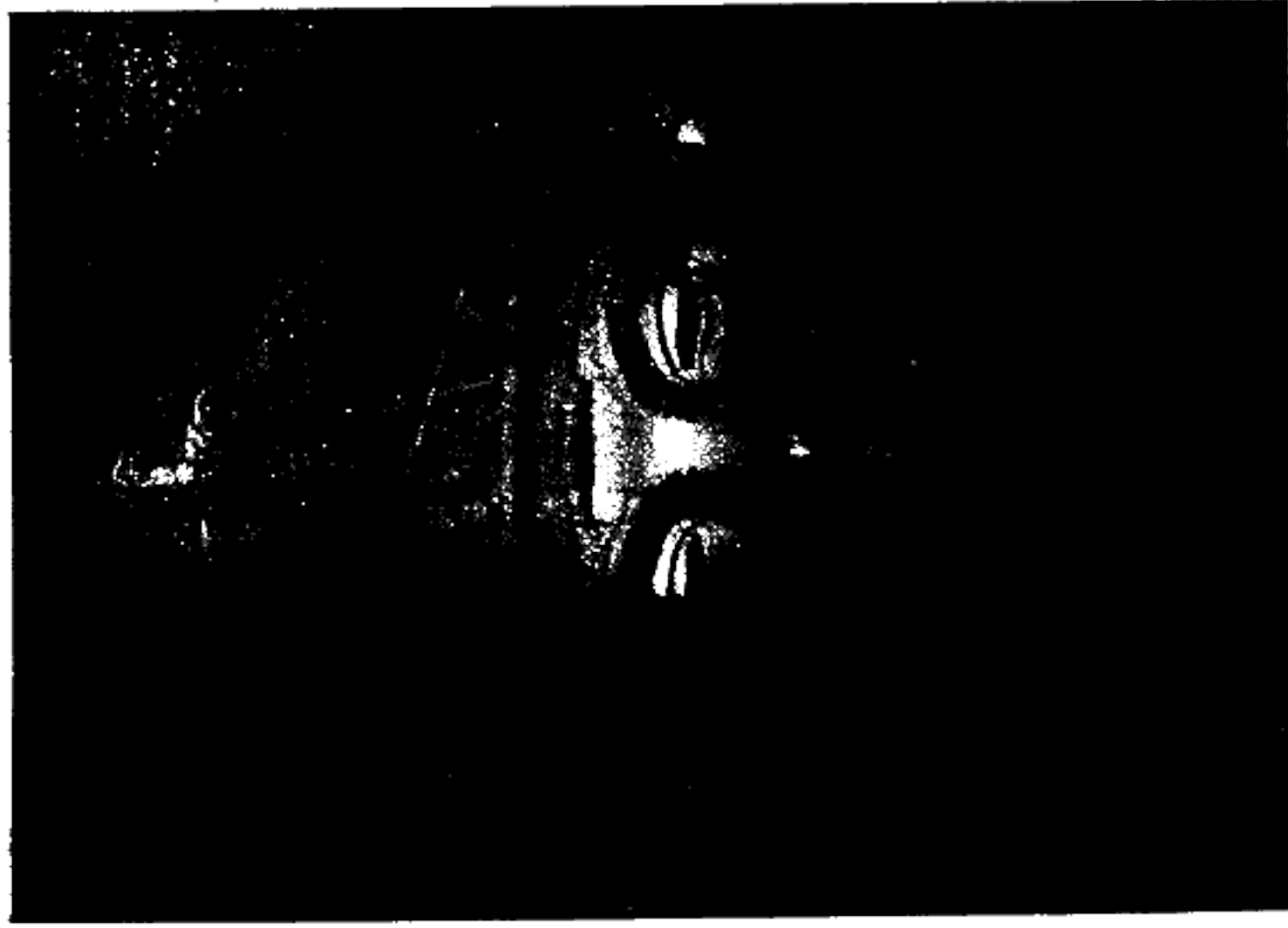




مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



١- صورة وجبهة المجمع الجسمي الذي صنمه الفنان السيد وقاه
الرجائي عن الخطوة (أ).



٢- صورة جانبية للمجمع الجسمي نفسه عن الخطوة (أ).



٢ - صورة جانبية لجسم جهي صنمه أيضاً الفنان السيد وفاء الله جاني عن الطروقة (ب).



١ - صورة خلفية للجسم الجهي نفسه عن الطروقة (أ).

الوح - ٨ -



طبيعة صامتة للفنان هشام المعلم

مركز تحقيقات كميونر علوم إسدري



الحياة في الليل للفنان رويير ملكي



في جبال العلويين للفنان فاتح المدرس



وجه فتاة للفنان خير الدين الابوي

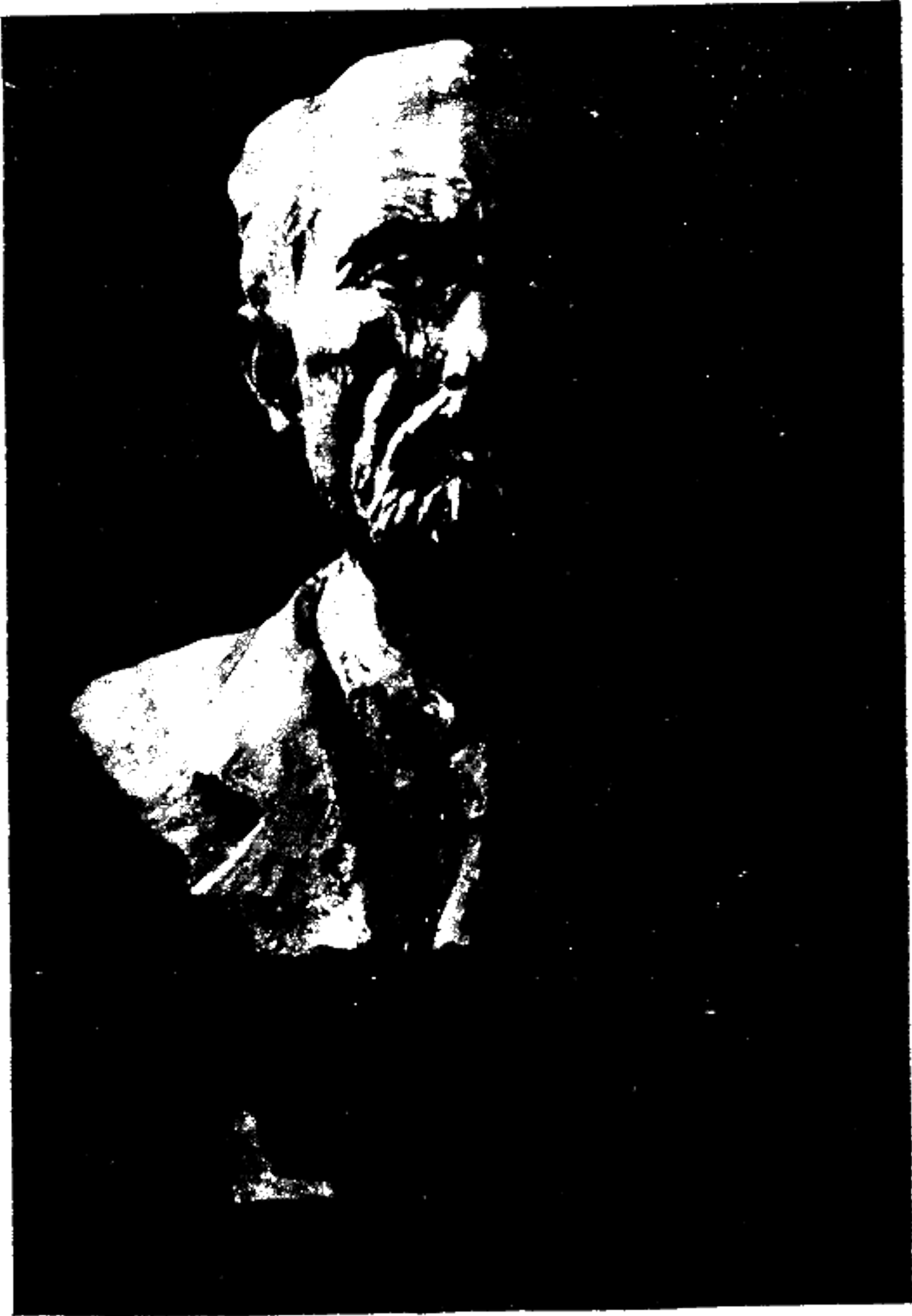
اللوحة - ٦ -

زنوبيا للفنان خالد جلال



اغراء للفنان عدنان النحيلة

الروح - ٥ -



وقار الشيخوخة للفنان عدنان انجيل

الروح - ٤ -



ملولا للفنان نصير شوری



بائع الباذنجان للفنان زهير صبان



طبيعة صامتة للفنان ز. كابلان

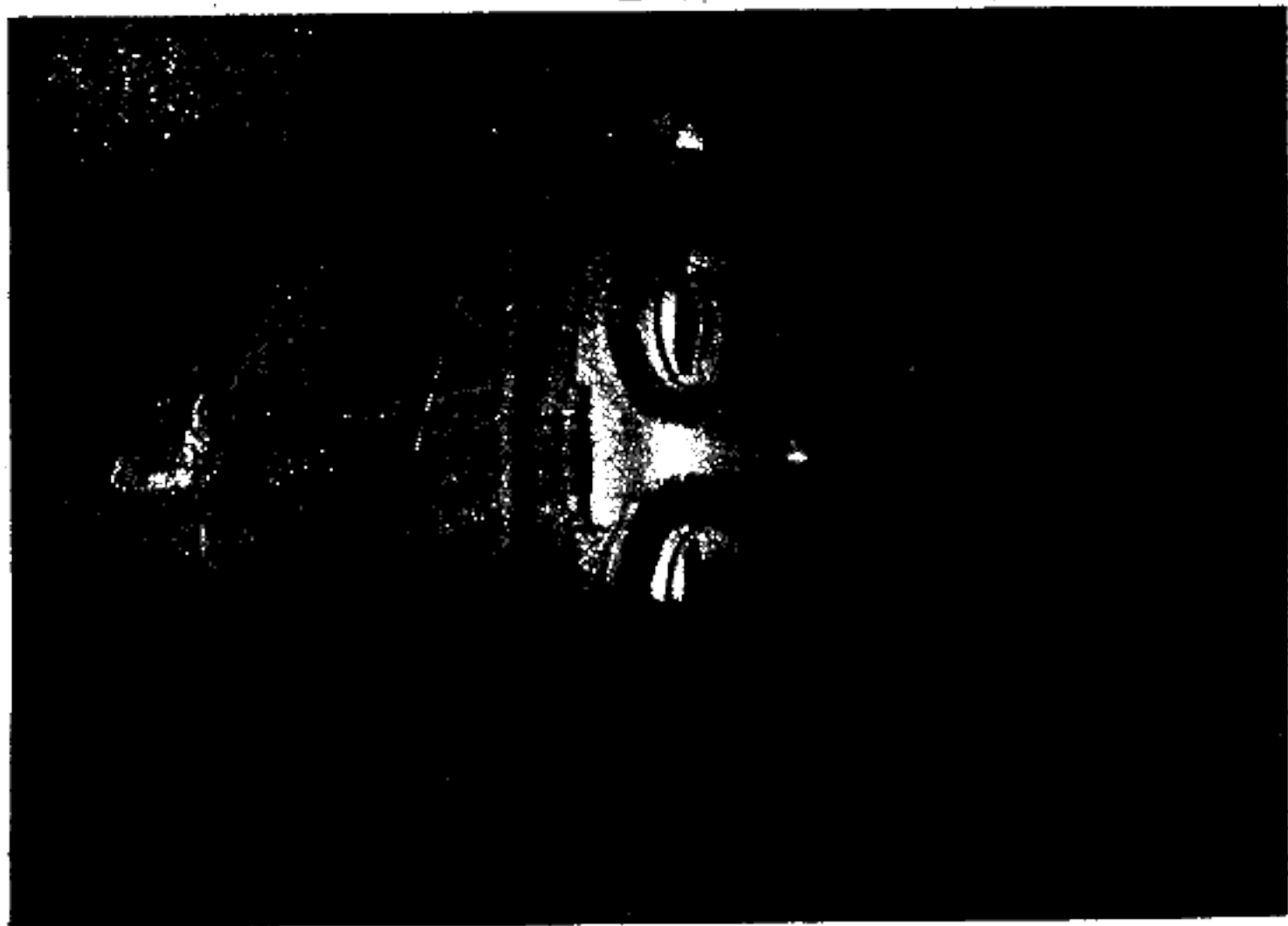
الوجه - ٢ -



القبة للفنانة السيدة شعبي



حي د المقيية ، لعنان ناظم الجعفري



١- صورة وجبهة للمجسم الجصّي الذي صنمه الفنان السيد وفاء
المجاني عن الخطوذة (أ).



٢- صورة جانبية للمجسم الجصّي نفسه عن الخطوذة (أ).



٢ - صورة جانبية لجسم حصي صنمه أيضاً الفنان السيد وفاء
المدجاني عن الطوردة (ب).



١ - صورة خلفية للجسم الجصي نفسه عن الطوردة (أ).



٢ - صورة خلفية للجسم الجهي نفسه عن الخوذة (أ).



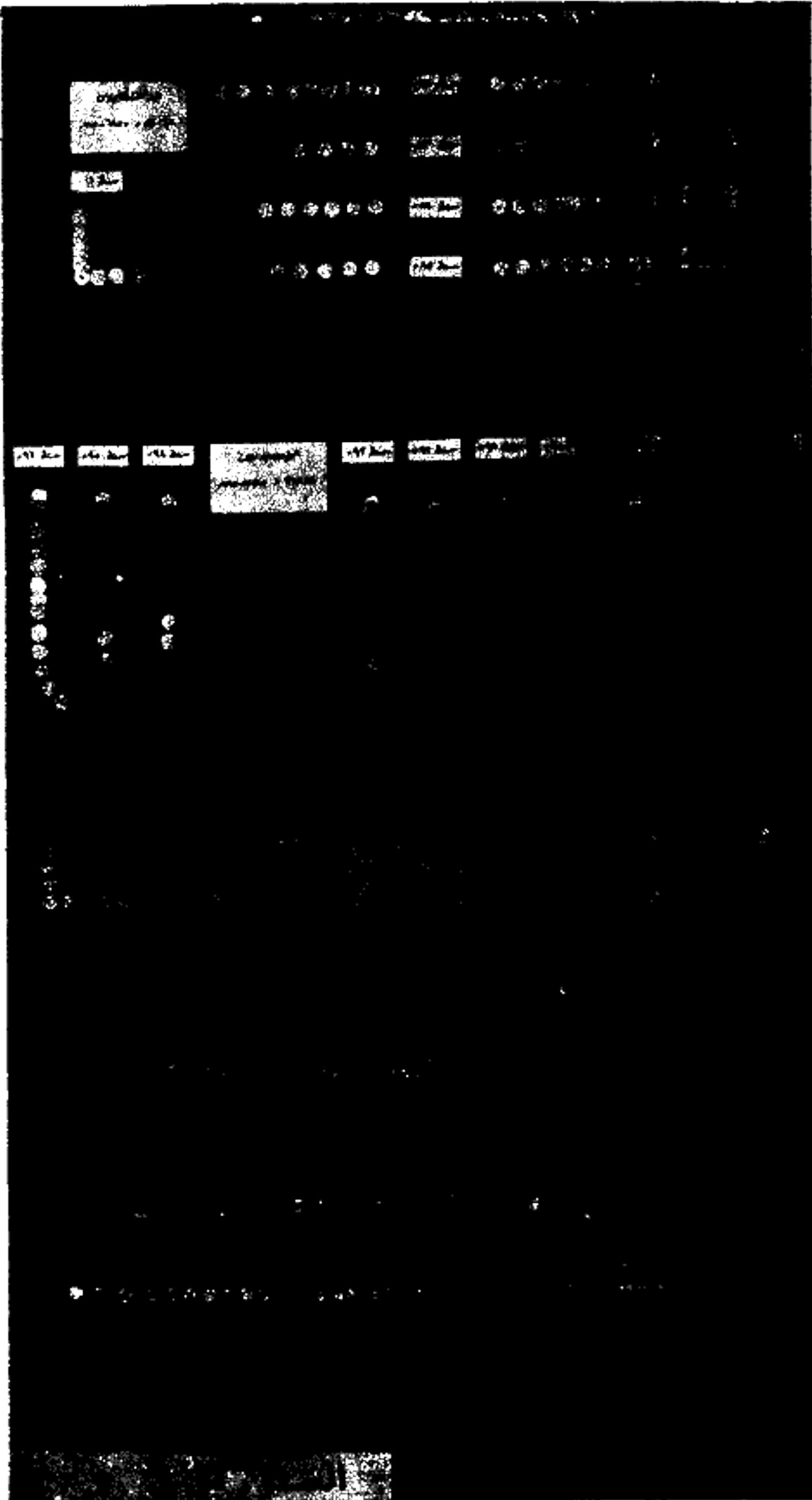
١ - صورة وجبهة للجسم الجهي نفسه عن الخوذة (أ).

الروح - ٤ -

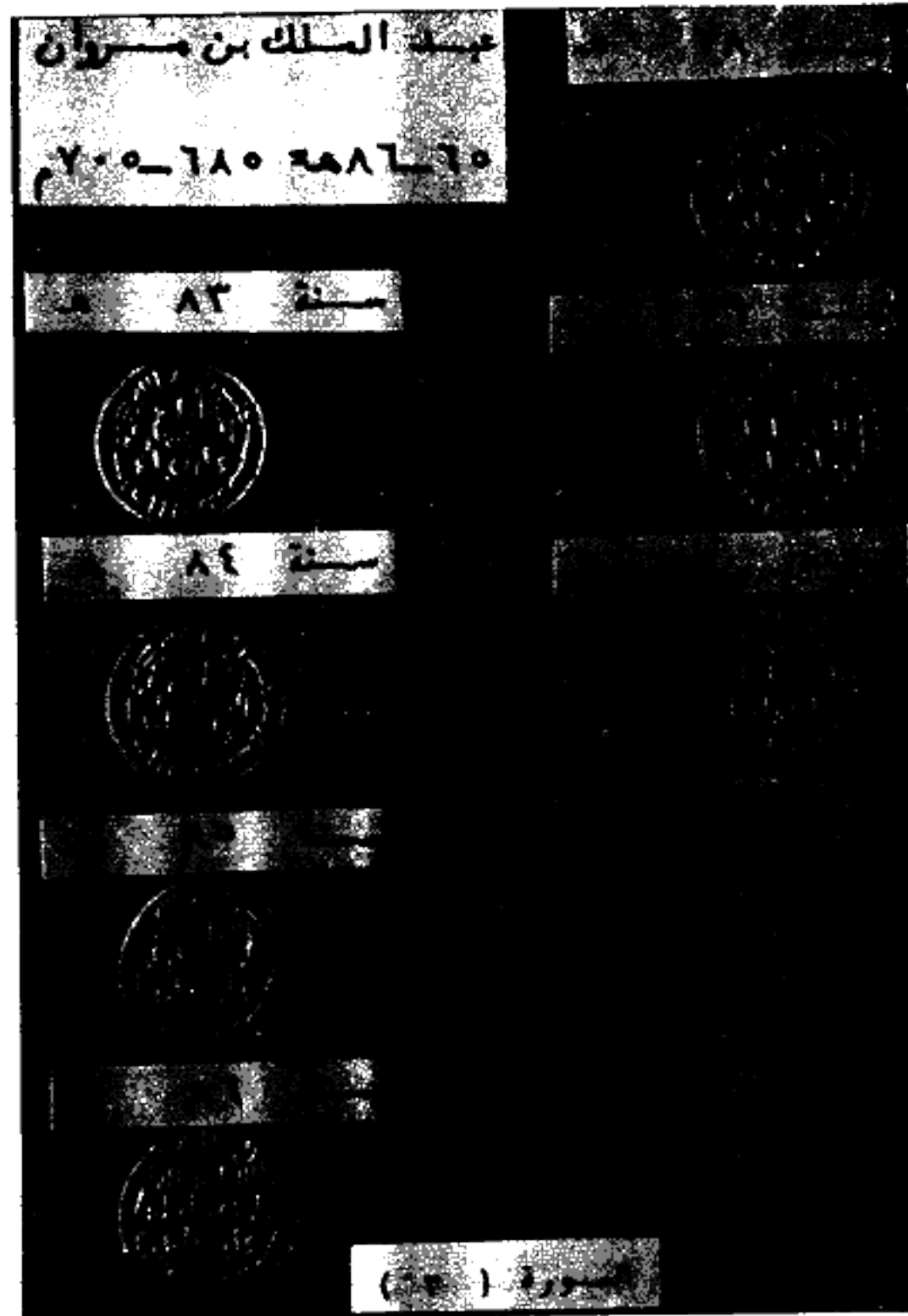


وجه الخوذة (آ)

الوح - ٩ -

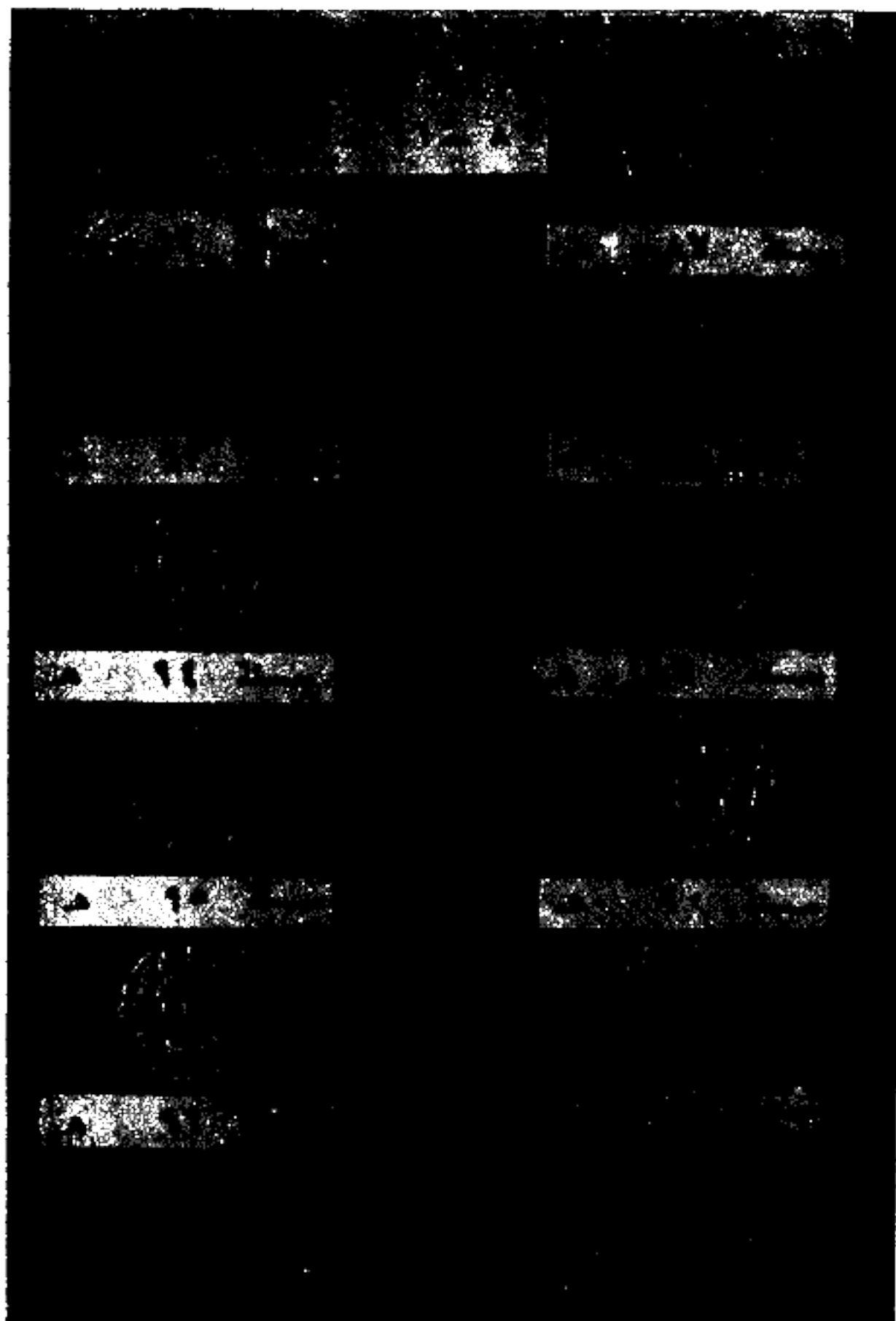


صورة الكنز الاموي الذهبي وقد صُنفت الدنانير بحسب عمود الخلفاء وسُفي حكمهم

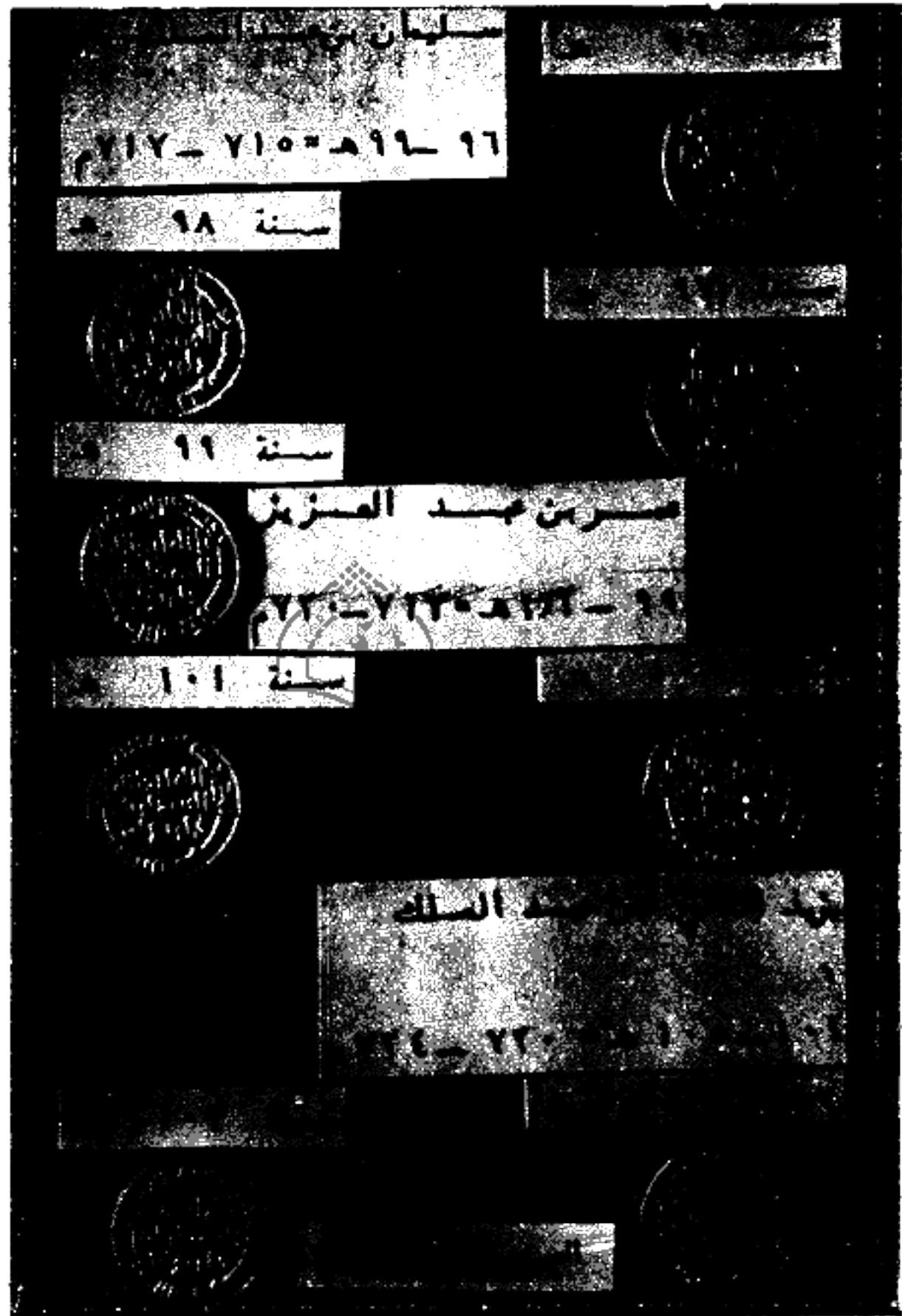


الدرهميات المائدة الى عهد عبد الملك بن مروان (نموذج عن كل سنة من حكمه)

الوح - ٣ -

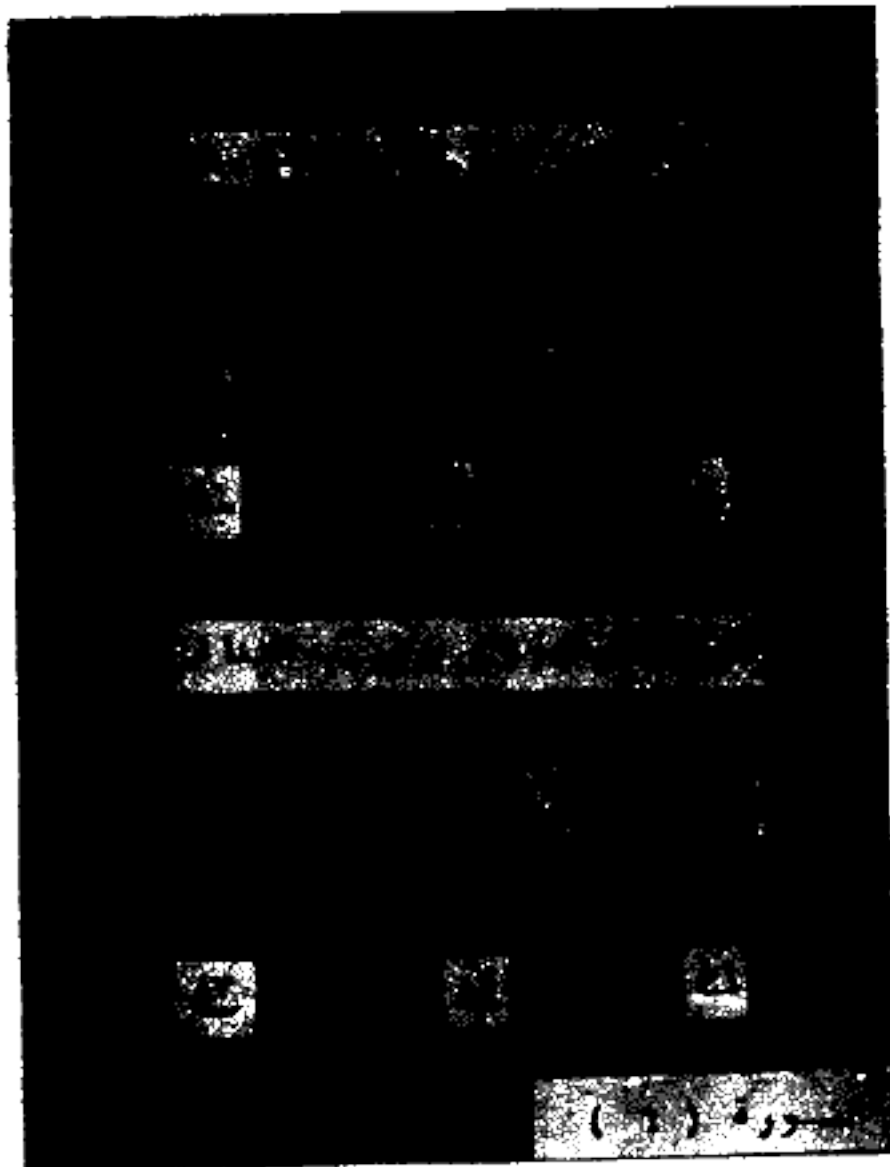


الدنانير المائدة الى عهد الوليد بن عبد الملك (نموذج عن كل سنة من ٤٨٤)



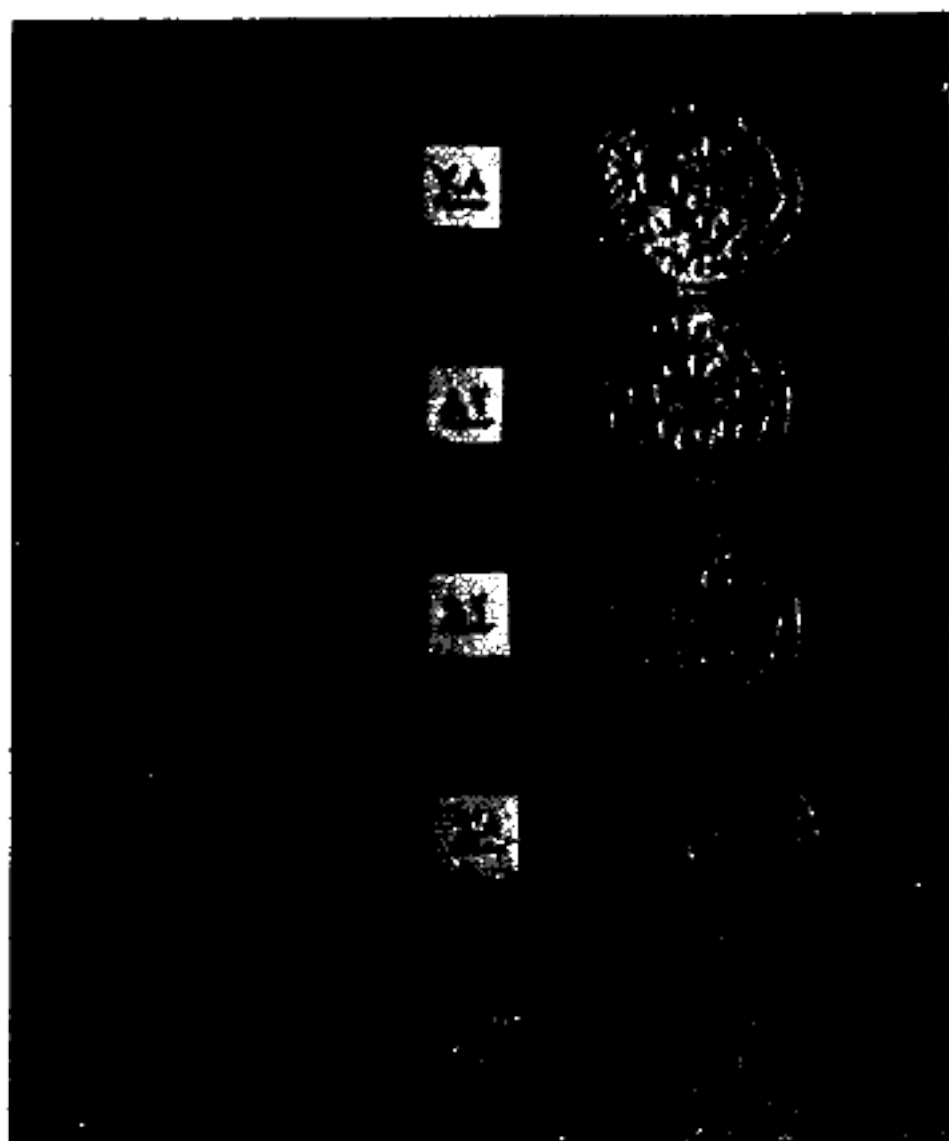
الوثائق العائدة إلى عهود الخلفاء سليمان بن عبد الملك ، عمر بن عبد العزيز ، يزيد بن عبد الملك
(تموزج عن كل سنة من حكم كل منهم)

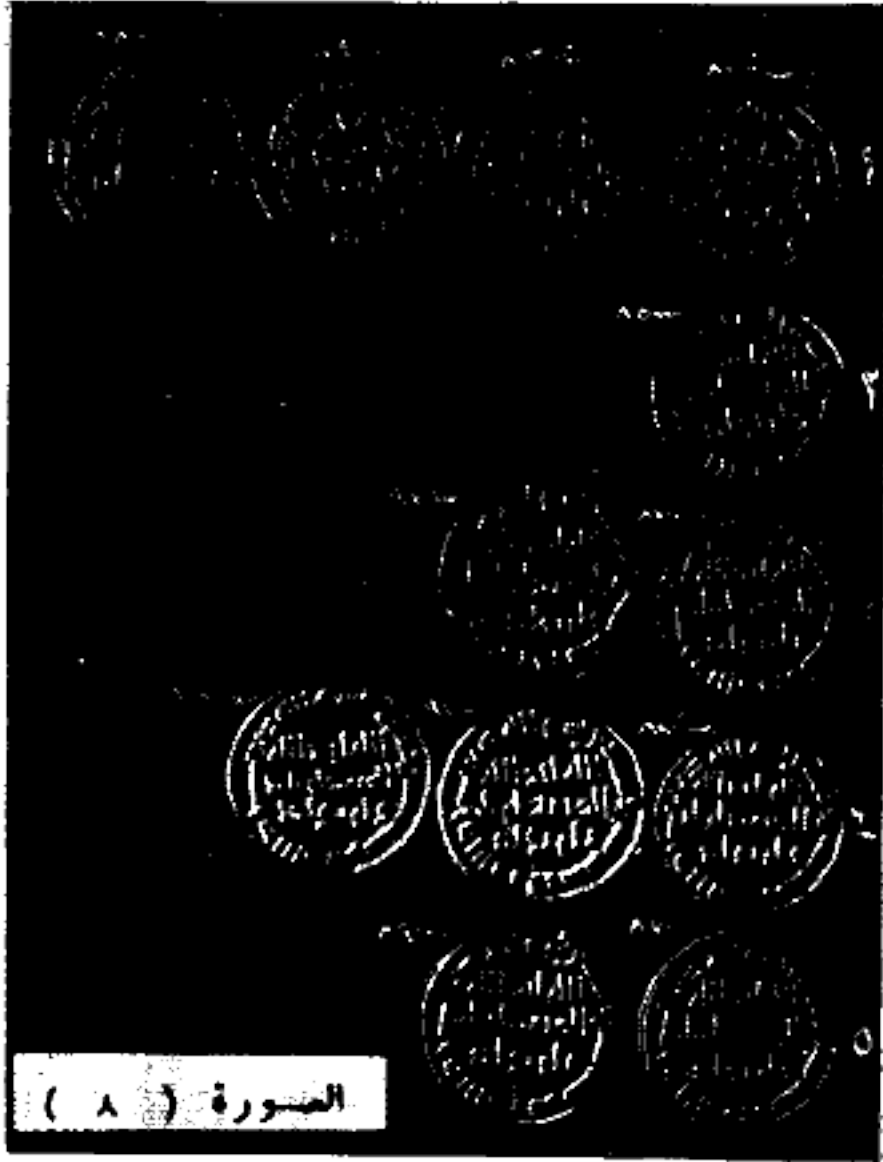
اللوحة - ٥ -



اختلاف النص المكتوب على الدفانير
اللاموية بزيادة كلمة (في) في السنوات
٧٨، ٧٩، ٨٠ هـ وحذف هذه الكلمة
بعد سنة ٨٠ هـ

نماذج من الخطوط المثبتة على
الدفانير يلاحظ فيها اختلاف الخط
كما يدل على تغير الخطاط بين فترة
وأخرى .

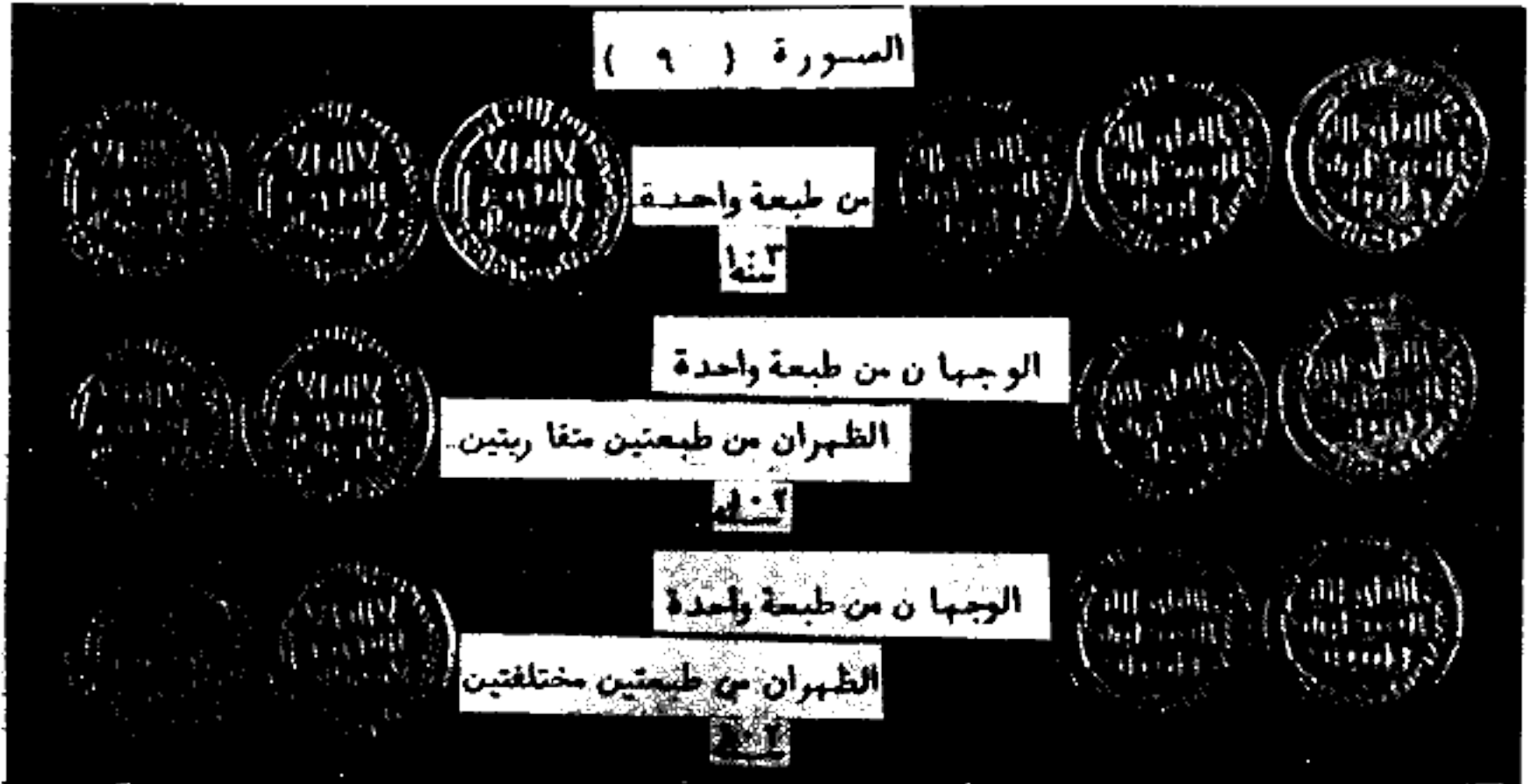




ملاحظات على استعمال النقيط
ولإعماله في الكتابة على النقود الأموية
مع بعض قواعد الإملاء . ←

الدنانير المضروبة في قالب واحد
أو التي ضرب أحد الوجهين في قالب
وضرب الوجه الآخر في قالب آخر
حسبها هو مبين . ↓

الصورة (٨)



الصورة (٩)

من طبعة واحدة

١٢

الوجهان من طبعة واحدة

الظهران من طبعتين متغايرتين

١٣

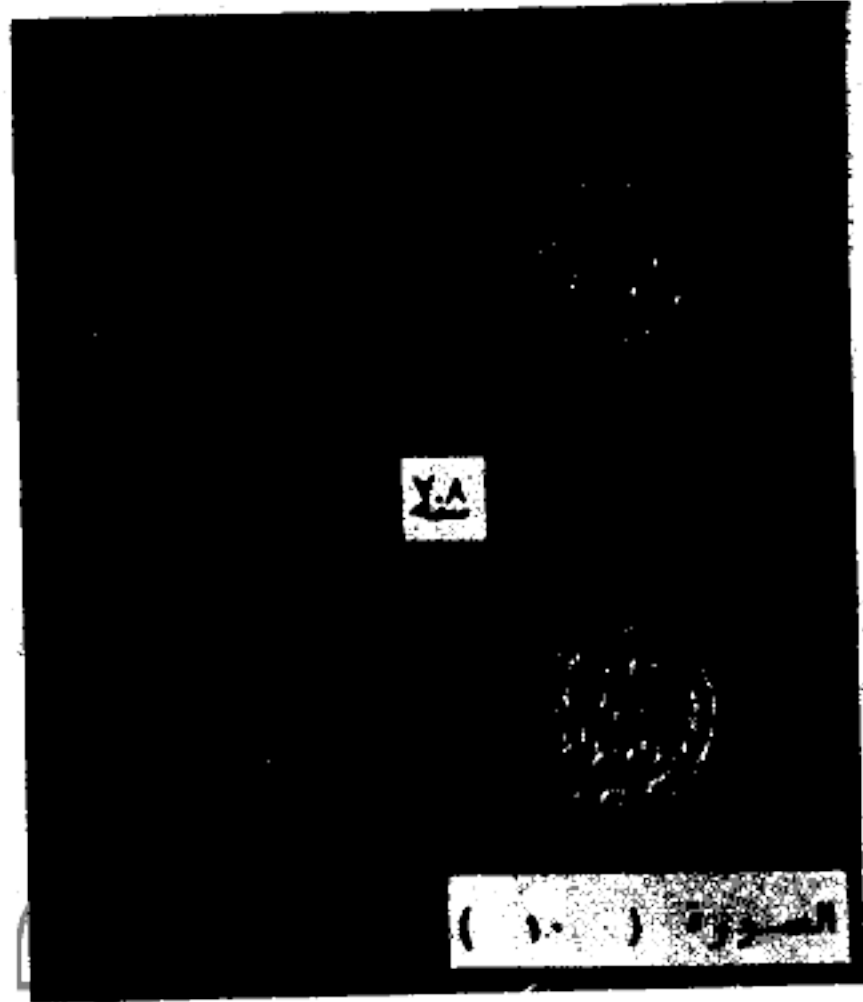
الوجهان من طبعة واحدة

الظهران من طبعتين مختلفتين

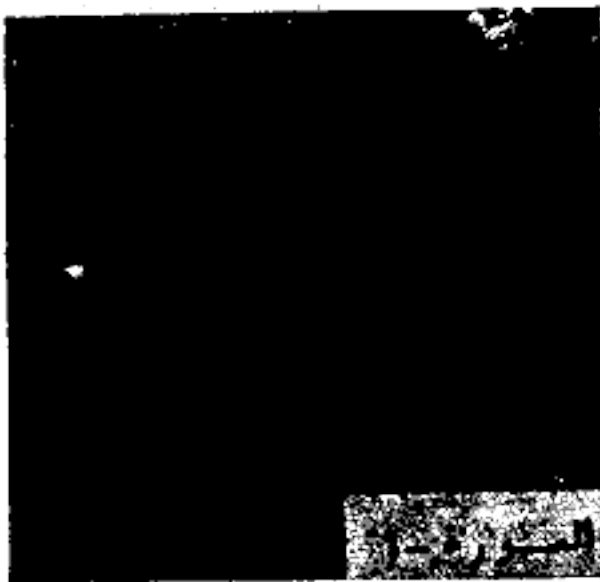
١٤

اللوحة - ٧ -

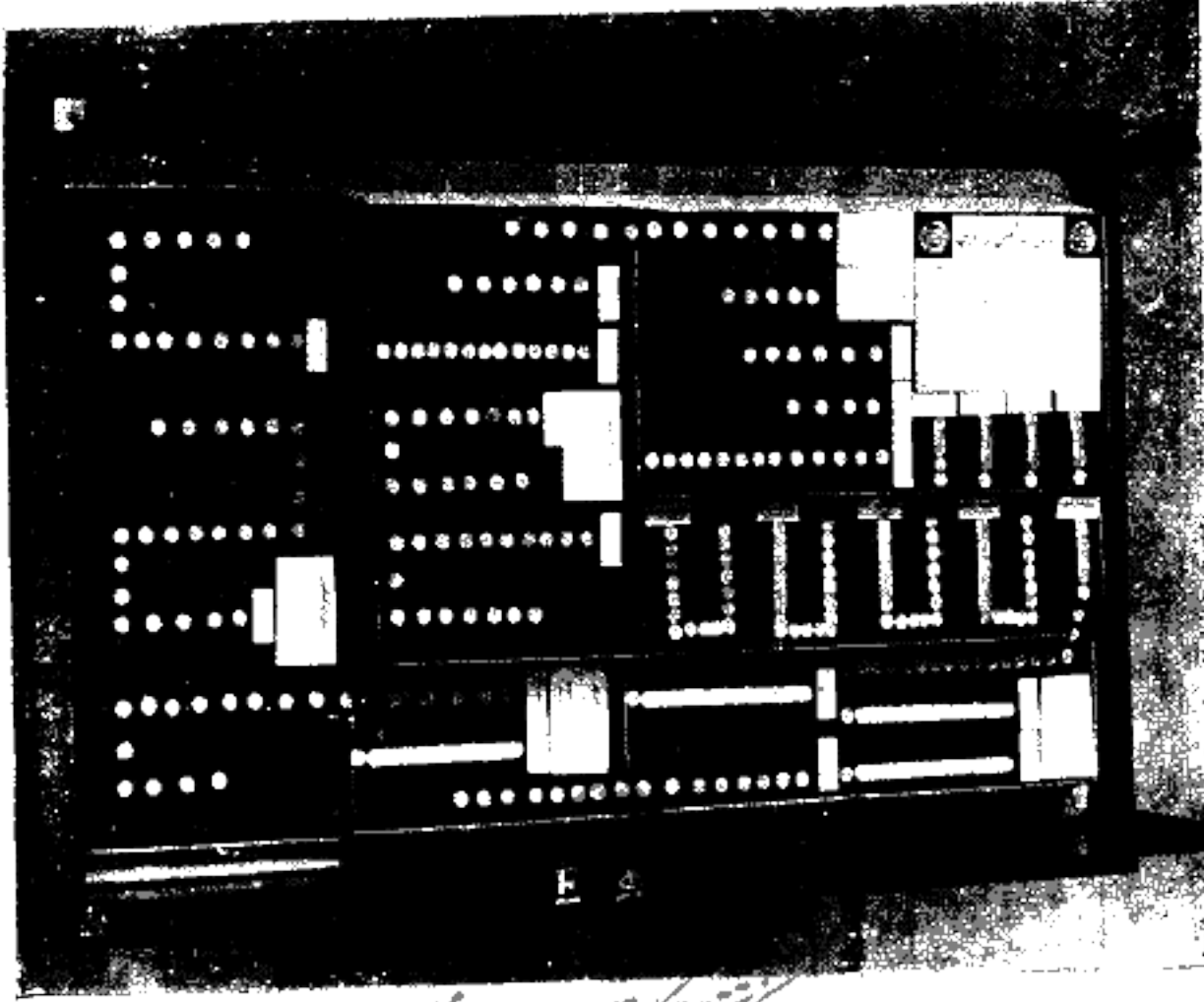
هذان ديناران يمودان إلى سنة ٥٧٨ هـ
يلاحظ أن الخط واحد والكاتب واحد
ولكن لا تنطبق الكتابة على بعضها البعض
بما يدل أن لكل وجه قالب خاص للضرب.



مركز تحقيق تكملة علوم إسلامي



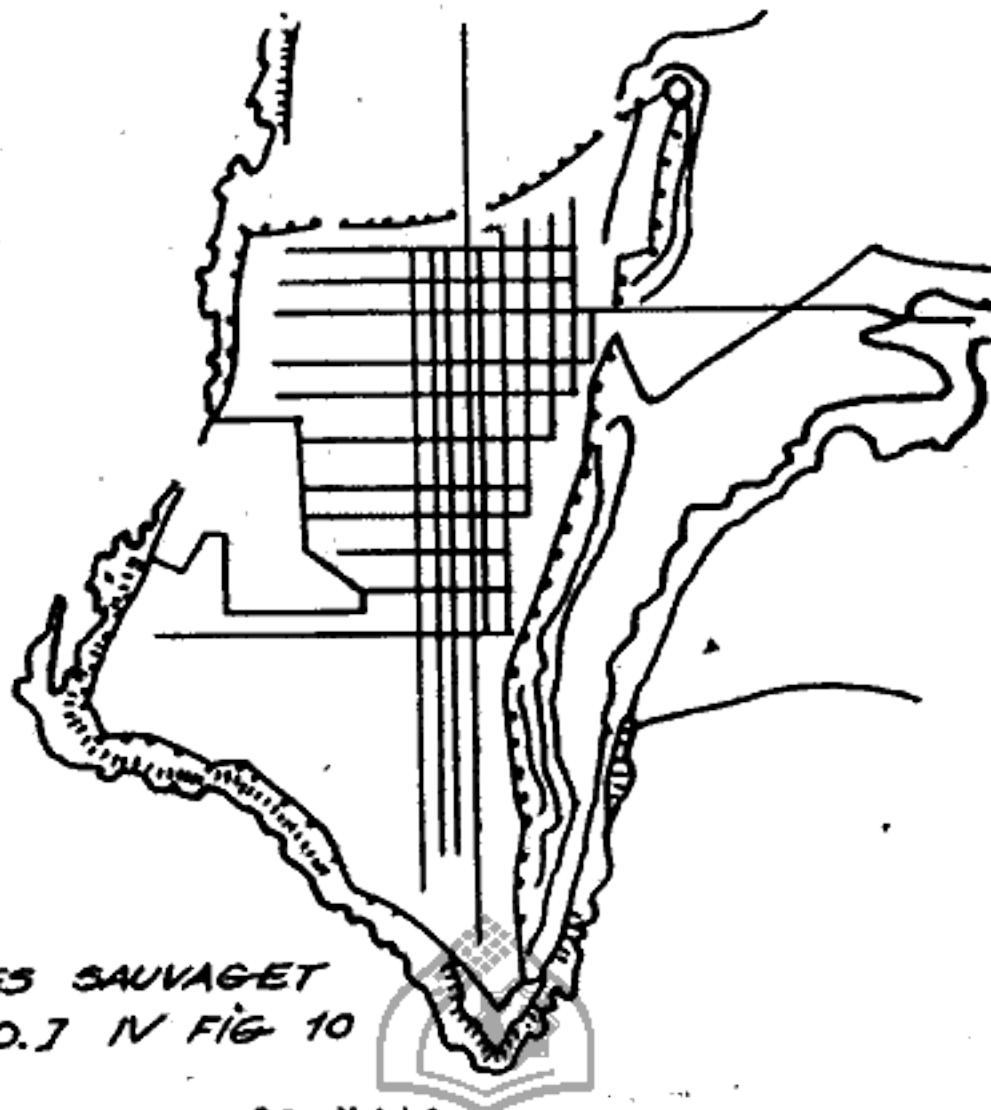
تمثل هذه الصورة موضع وجود الكنز الذهبي . وهو
أمام القلاح الظاهر في الخندق مباشرة ينخفض الموضع
عن مستوى الطريق أربعة أمتار ونصف .



مركز تحقيق تكملة علوم إيسوي

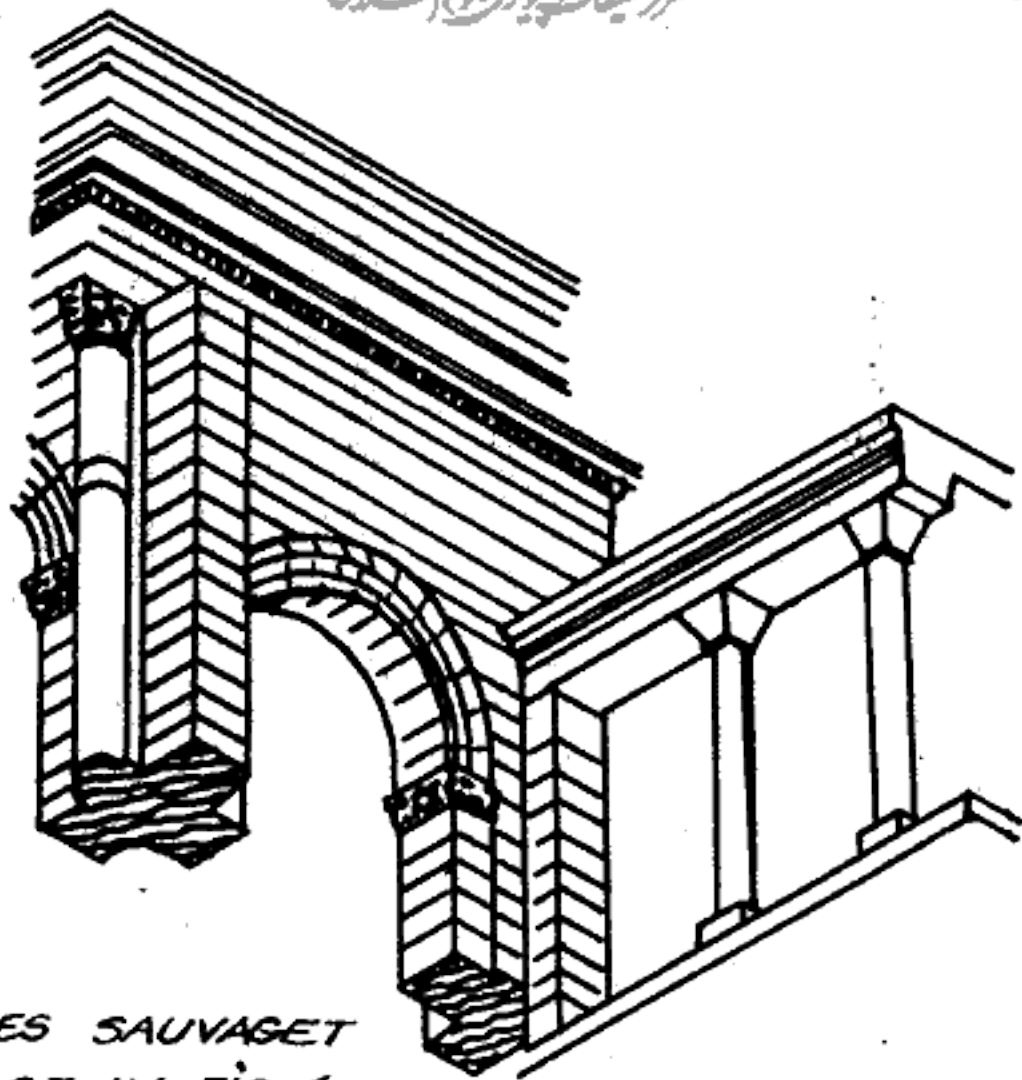
صورة الكنز الذهبي الأموي كما عرض في معرض المكتشفات الأثرية الثاني
لعامي ١٩٥٤ و ١٩٥٥

الوح - ١ -



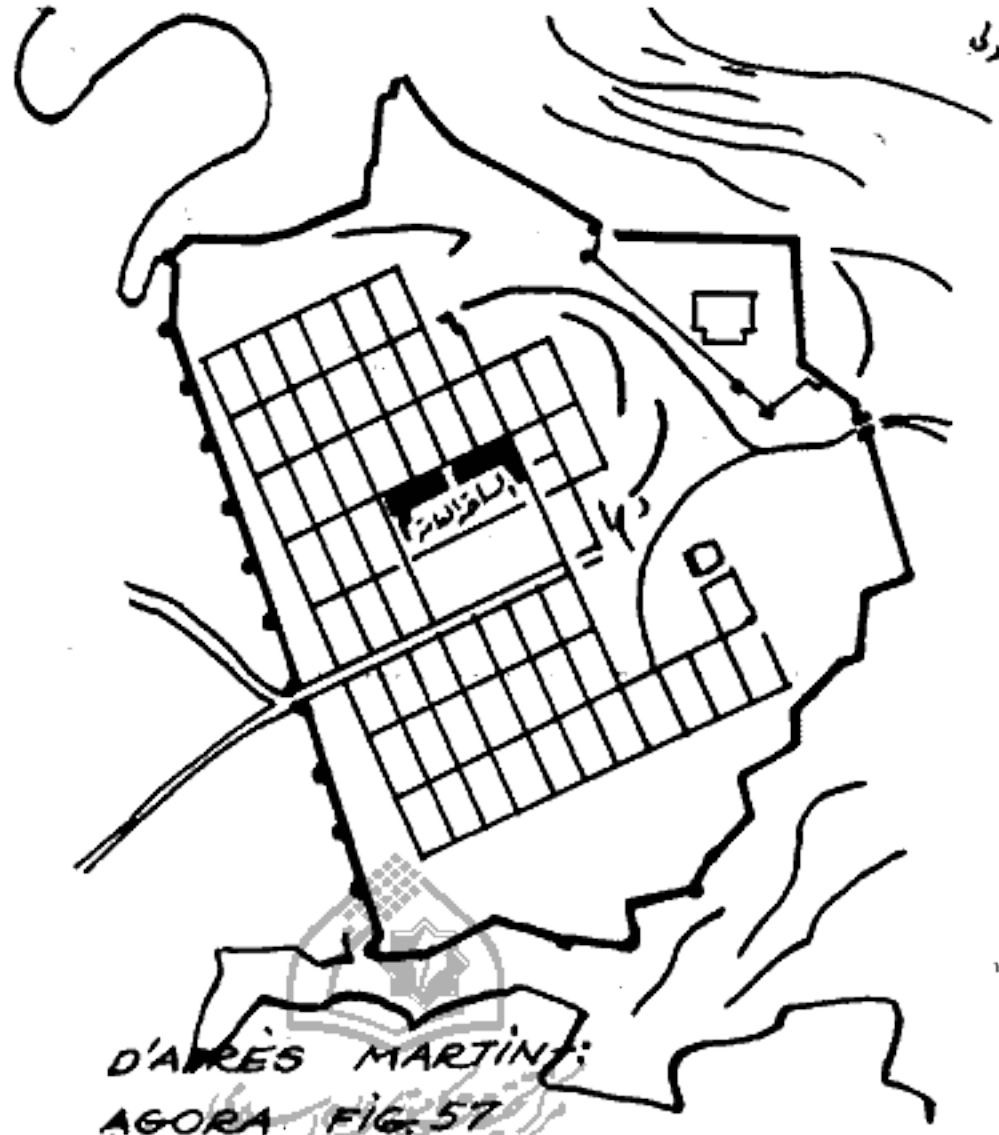
D'APRES SAUVAGET
[B.E.O.] IV FIG 10

١ - مخطط الادقية
مركز تخطيط كوتور علوم و اسدي

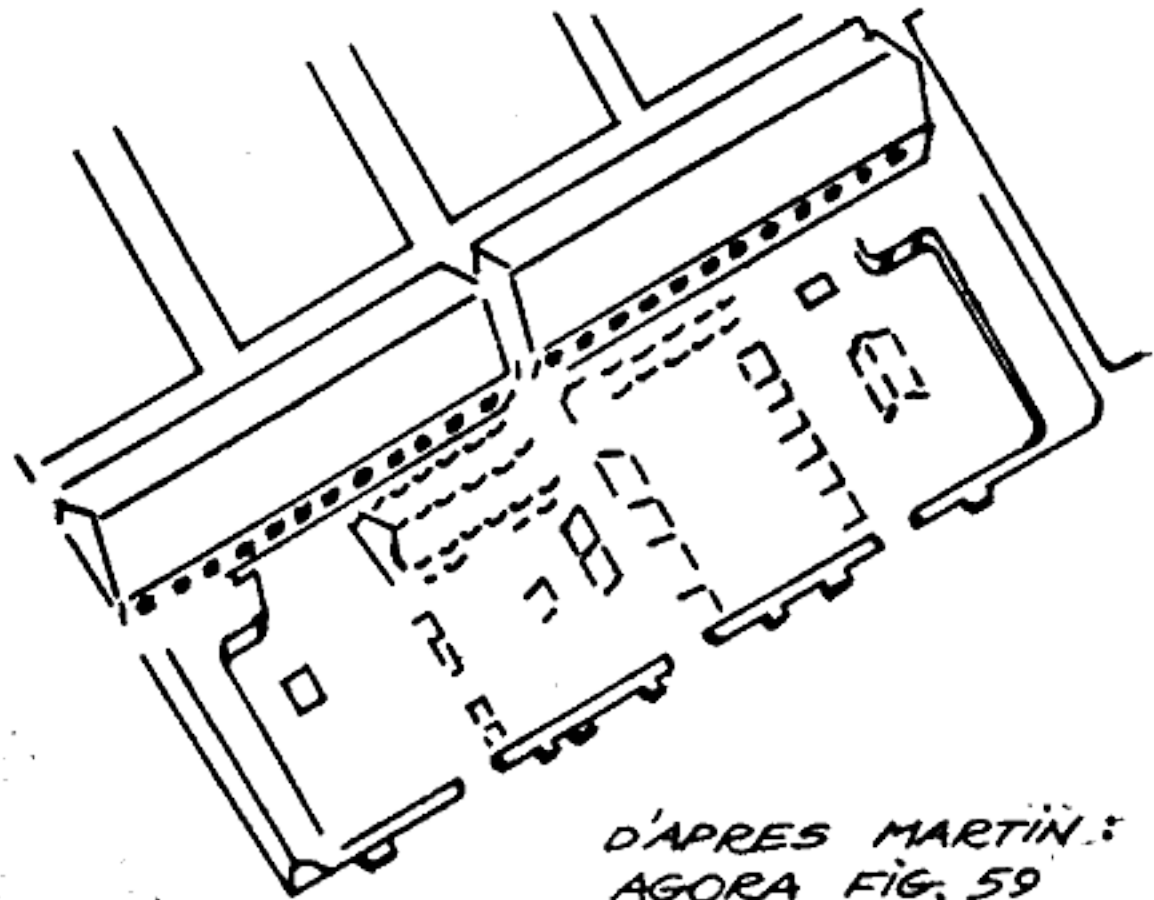


D'APRES SAUVAGET
[B.E.O.] IV FIG 4

٢ - قوس النصر

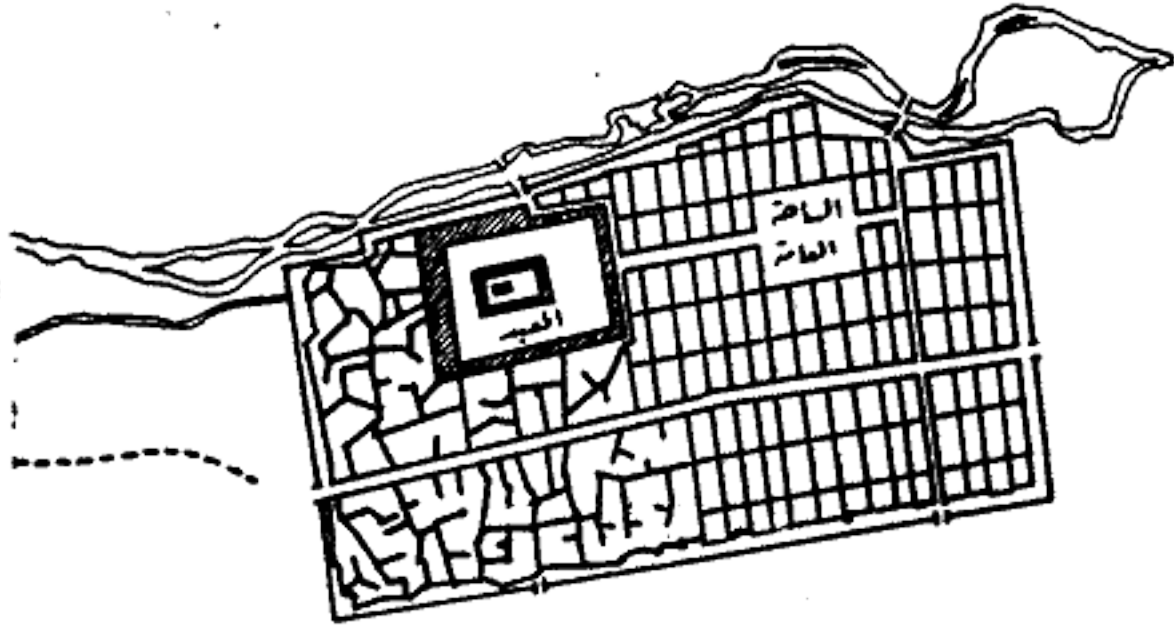


١ مخطط دورا اوروبوس « صالحة القرات »



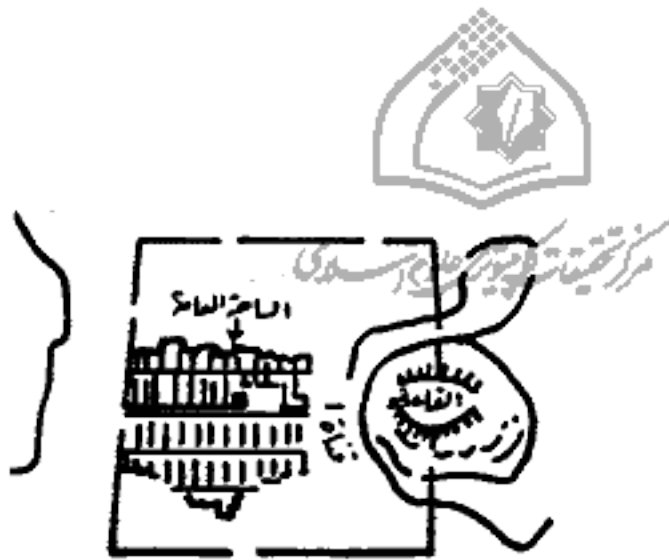
٢ - الساحة العامة والآكورا،

ال لوح - ٣ -



D'APRÈS SAUVAGET [R.E.I.] IV FIG. 6

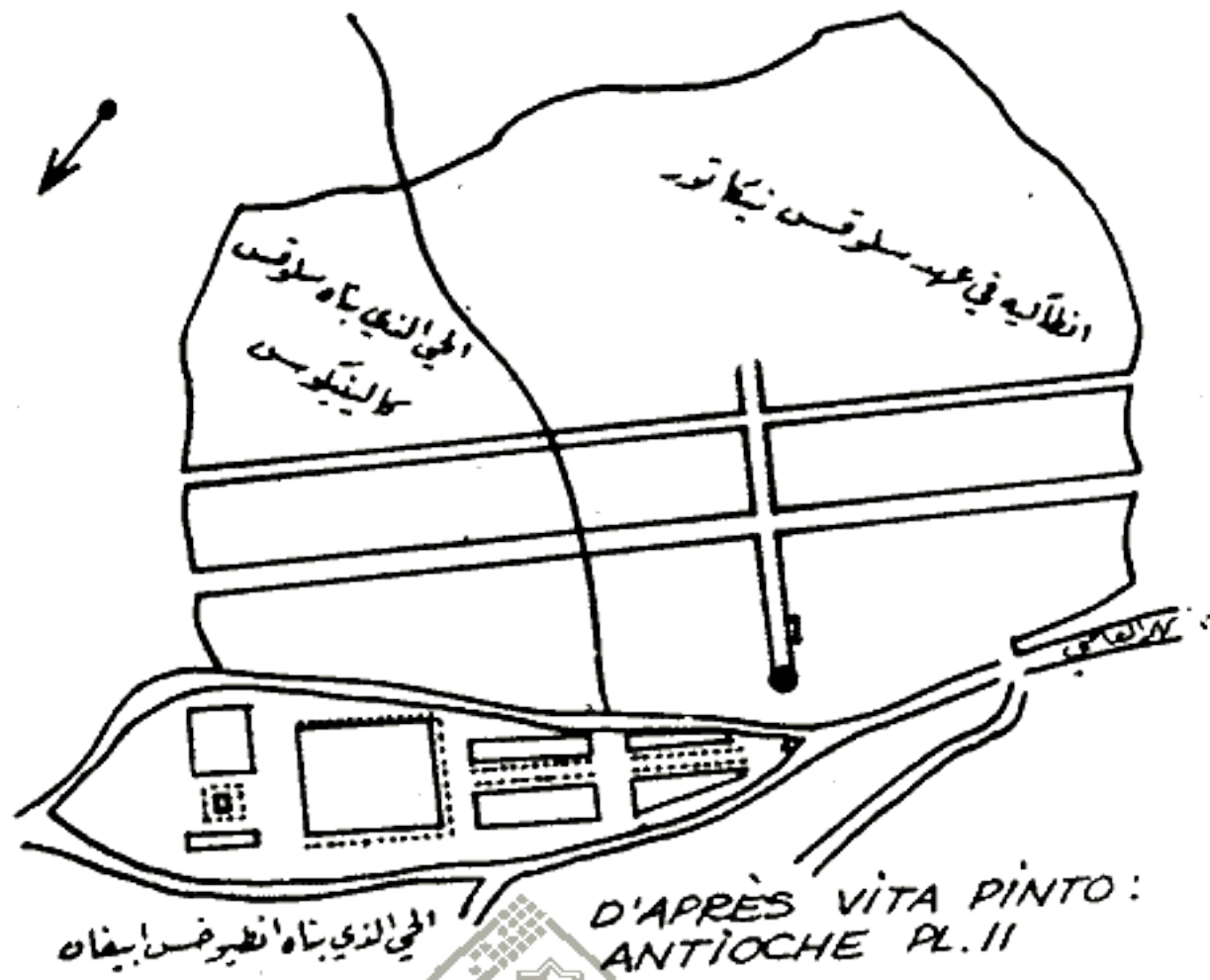
١ - مخطط دمشق



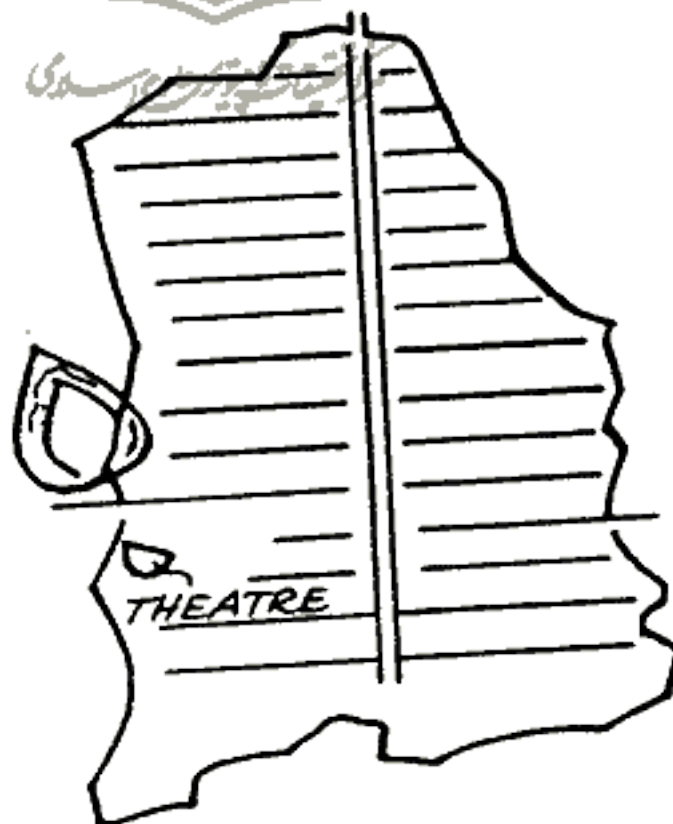
D'APRÈS GUTTON: ALEP p 8

٢ - مخطط يرويا حلب

اللوحة - ٤ -



١ - مخطط القلعة



D'APRÈS SAUVAGET
[B.E.O.] IV FIG. 11

٢ - مخطط القلعة « قلعة المضيق »

اللوحة - ١ -



حي « المعينة » للعنان ناظم الجعفري



القبة للفتانة السيدة شطي

الروح - ٣ -



طبيعة صامتة للفنان ز . كابلان



مملولا للفنان نصير شوري
مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



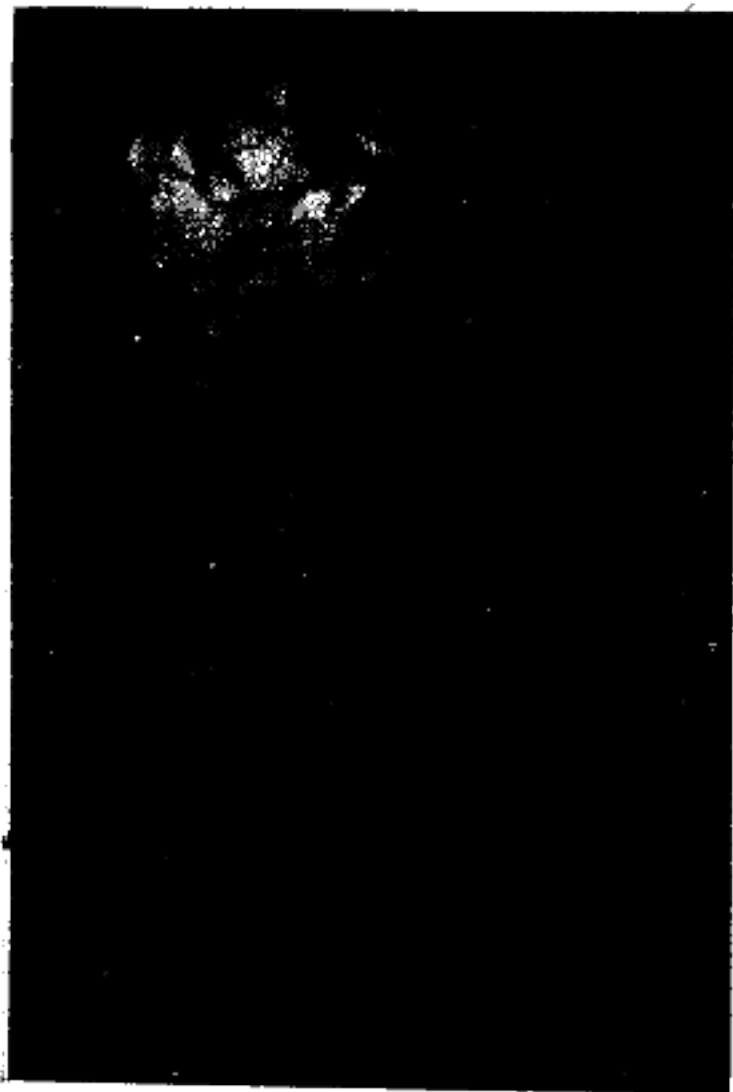
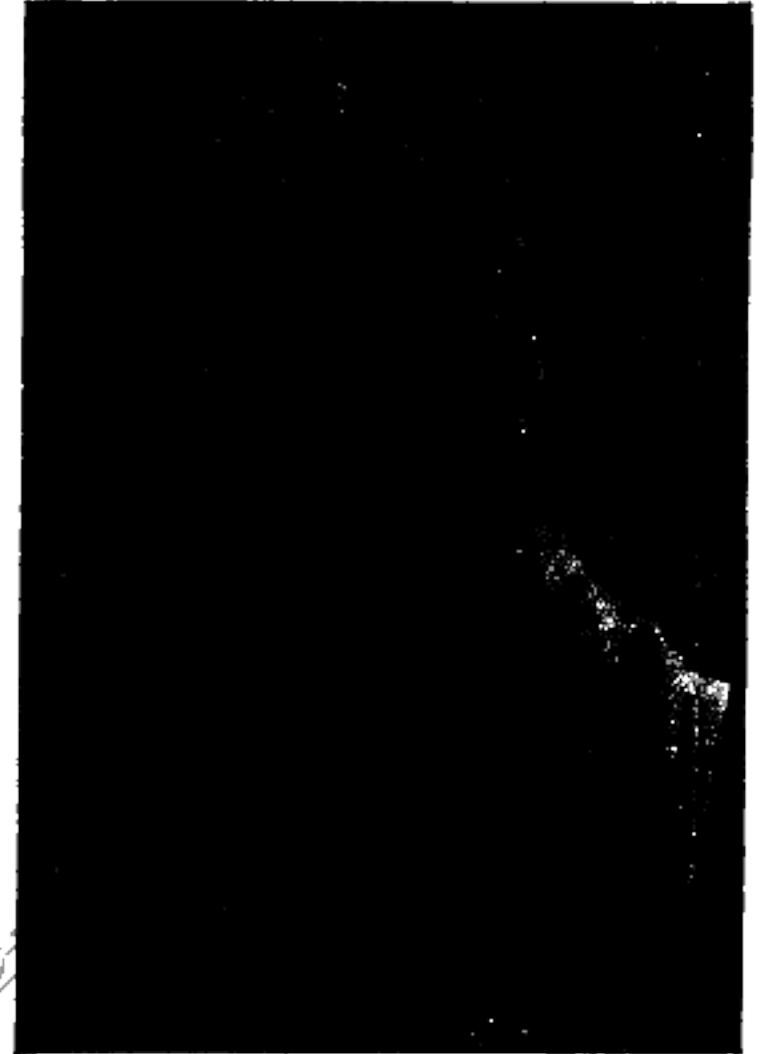
بائع الباذنجان للفنان زهير سبان

اللوحة - ٥ -



وقار الشيخوخة للفنان عدنان النحيلة

زنوبيا لافنان خالد جلال



اغراء لافنان عدنان النجيلة

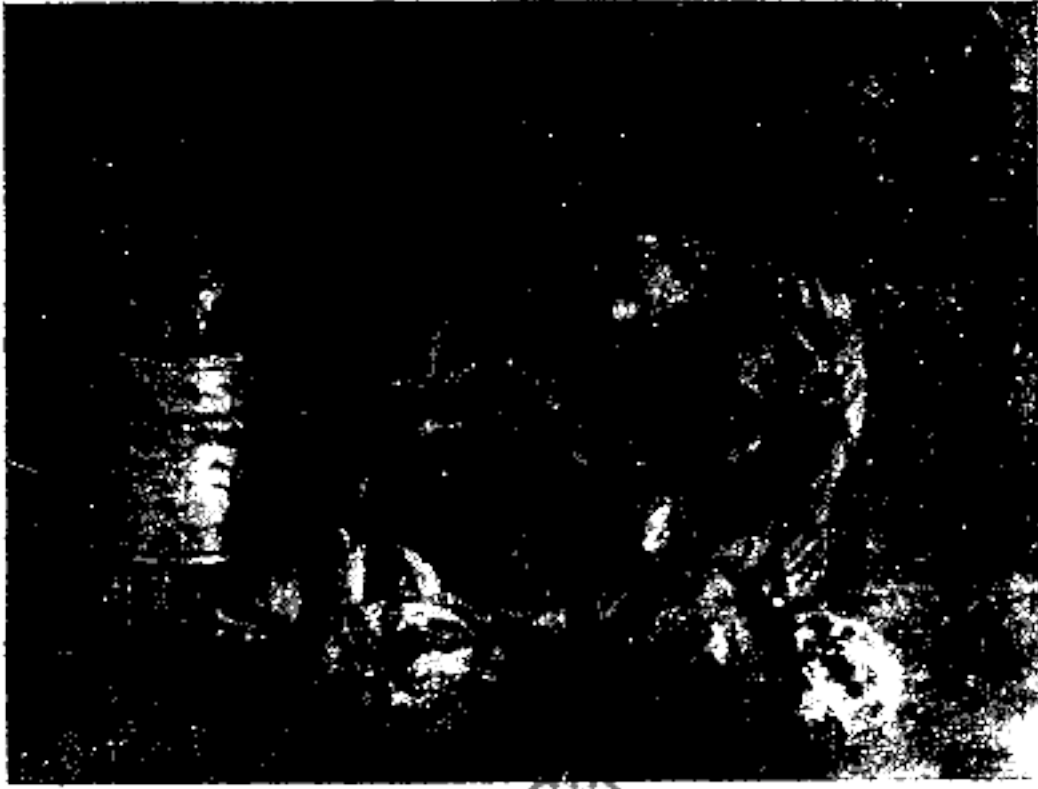


في جبال العلويين للفنان قاتح المدرس



وجه فتاة للفنان خير الدين الايوبي

الروح - ٨ -



طبيعة صائفة للفنان هشام الملم

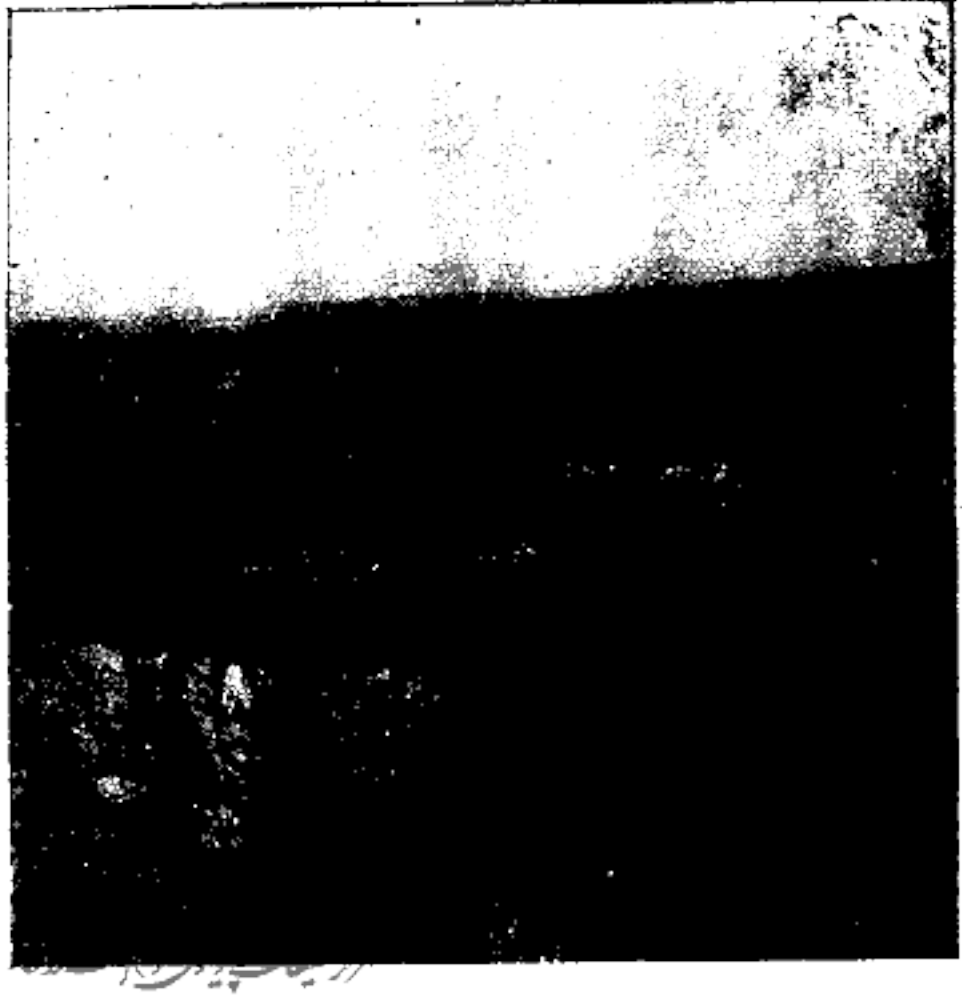
مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي



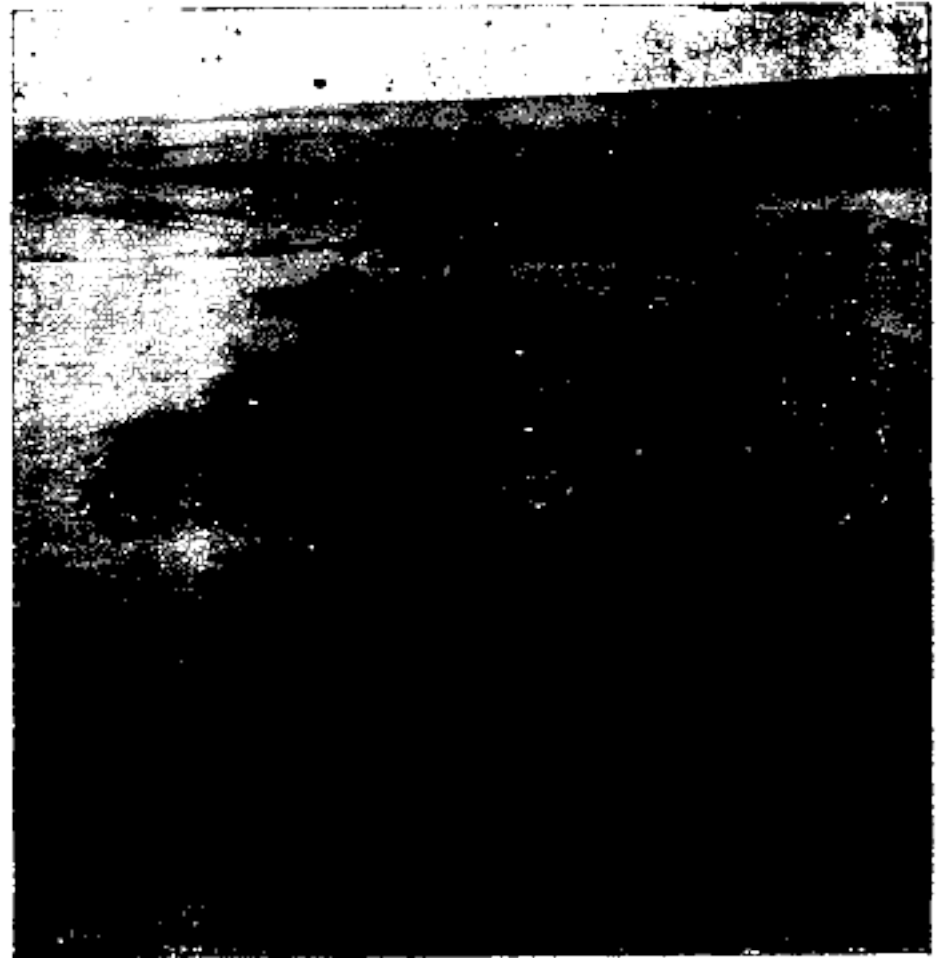
الحياة في الليل للفنان رويير ملكي

اللوحة (١)

١ - باب الحديقة من الجهة
الشرقية وعلى جانبيه دعامتان
صنعتا من مربعات اللبن .



٢ - منظر عام لسور الحديقة
من الجهة الشرقية ويلاحظ على
جانبيه الابراج المربعة .



اللوحة (٢)

٣ - منظر عام لرواق
المدخل الرئيسي للقصر وجزء من
الباحة الكبرى لقسم الشؤون
العامة قبل التنظيف .



مرکز تحقیقات و پژوهش های اسلامی

٤ - أرض الرواق الرئيسي
المرصوفة بمربعات الآجر بعد
تنظيف جزء منها .



ال لوح (٣)

٥ - منظر عام للزاوية
الشمالية القريبة في رواق الباحة
الكبرى ويلاحظ على جانبها آثار
مركز العامود .



مركز تحقيق تكملة علوم إسلامي

٦ - القسم الوسطي من
الرواق الغربي للباحة الكبرى
ويلاحظ المكان الذي ركزت فيه
القناطر الفخارية لتصريف المياه .



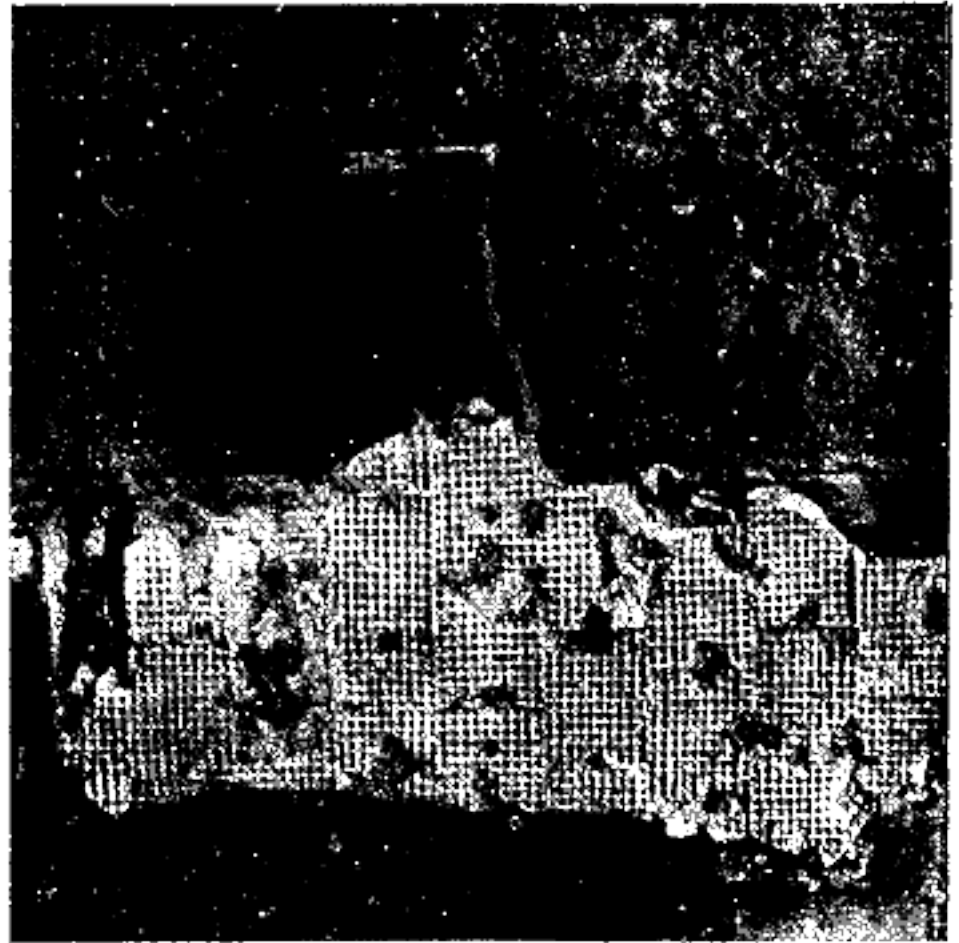
الواح (٤)

٧ - منظر عام لطبقات
مربعات الآجر على الملاط الذي
يشغل أرض الباحة الكبرى .



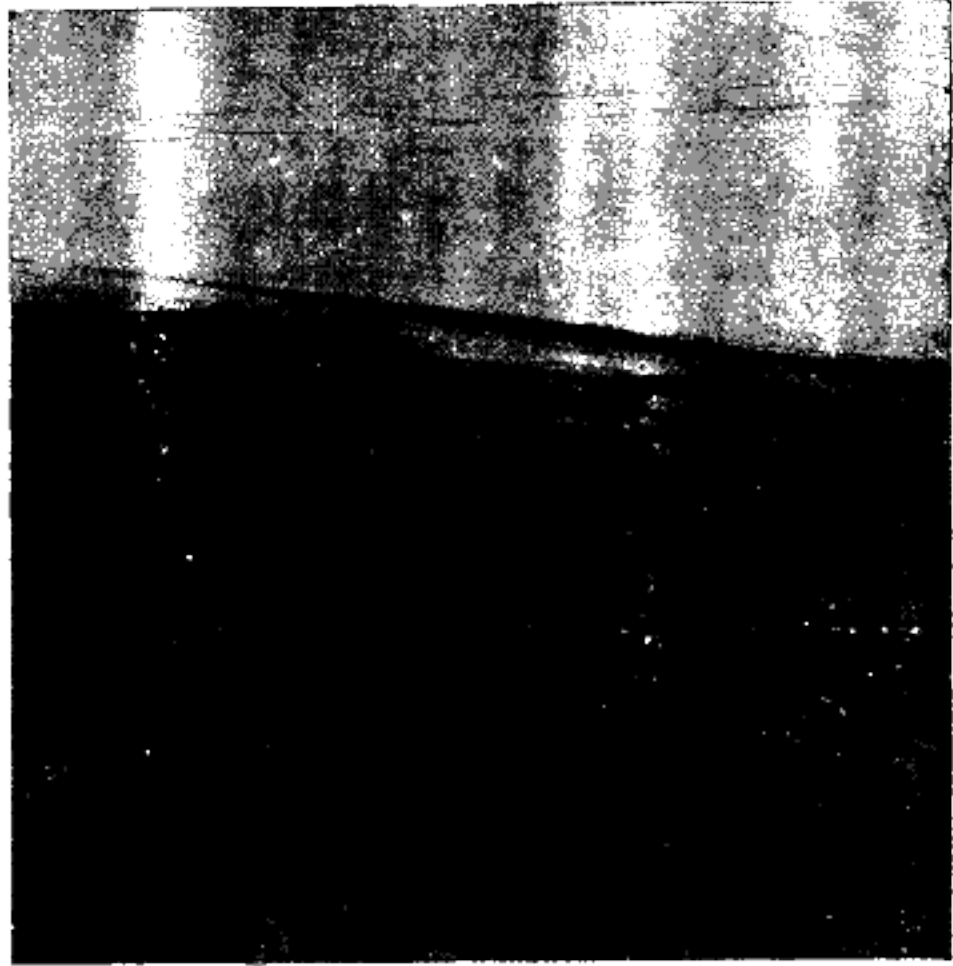
مركز تحقيق كيمياء علوم إسدري

٨ - قطعة من الملاط الذي
وضعت فوقه ألواح الزجاج
الواقعة في القاعة رقم ٩ .



اللوحة (٥)

٩ - منظر عام للجناح الجنوبي
من الدور الخاصة بعد ظهور
المرات . ويلاحظ الى جانبها
المر الذي يفصل بينها .



مركز تحقيق تكاثر وتربية الأسماك

١٠ - أثر طرقة جصية قائمة
على جانبي المصطبة التي أعدت
لإقامة الصلاة .



ال لوح (٦)

١١ - منظر لمر القصر العام
وعلى جانبه الائن الدور الخاصة
وعلى جانبه الایسر الباحة
الكبرى .



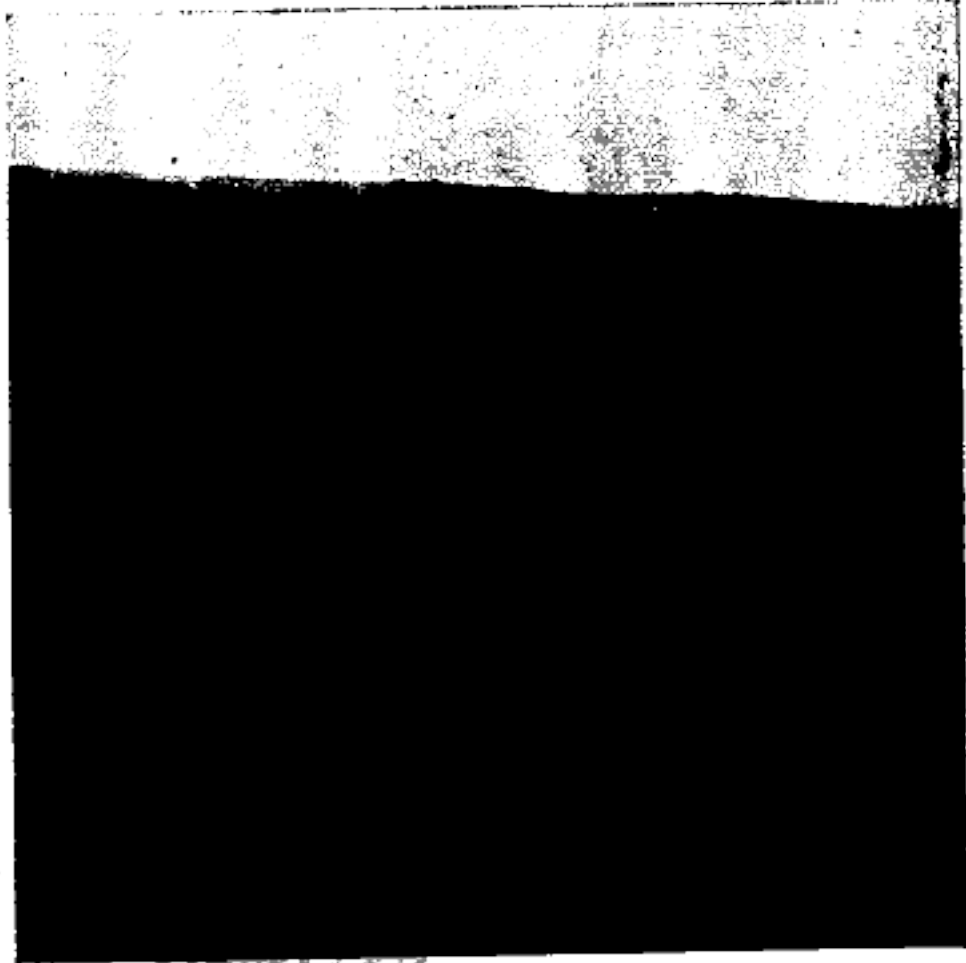
مركز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

١٢ - مشهد الارض باحة
من باحات الدور الخاصة وهي
مرصوفة بتربعات الآجر ذات
الالوان الزاهية .

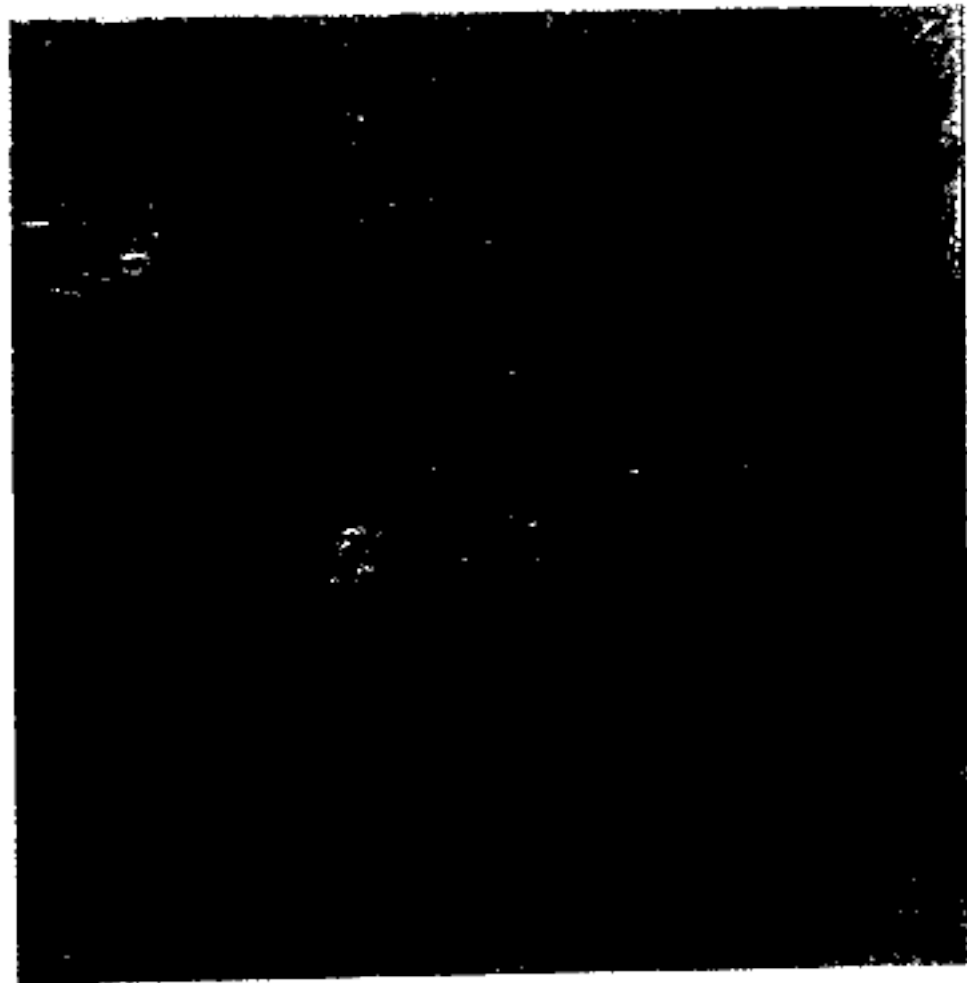


اللوحة (٧)

١٣ - منظر عام للممر
الذي يتوسط مجموعة الدور
الخاصة المعينة في الجناح الشرقي
الشمالي .



١٤ - منظر عام لآحد
التورين وبقربه الموقد المكتشف
في غرفة من غرف دار الطباعة .



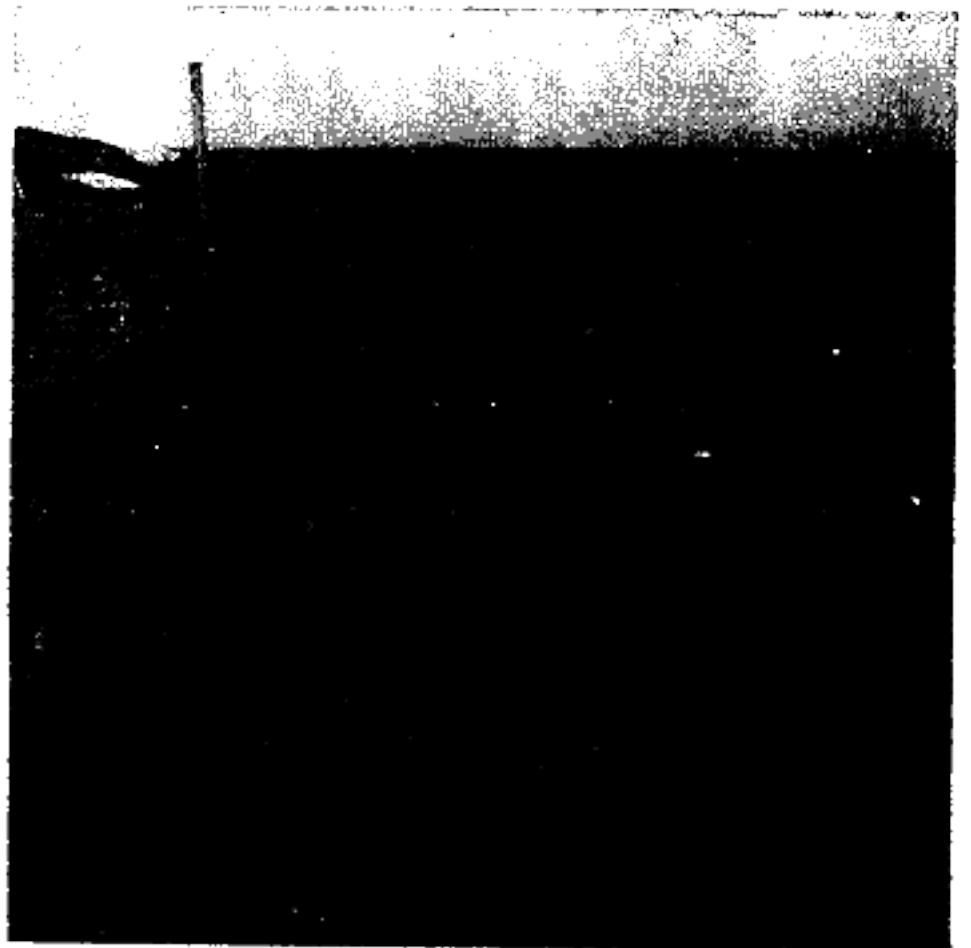
اللوحة (٨)

١٥ - جزء من الكتابة
الكوفية بالحط الاسود على
الجدار الشمالي للفرقة .

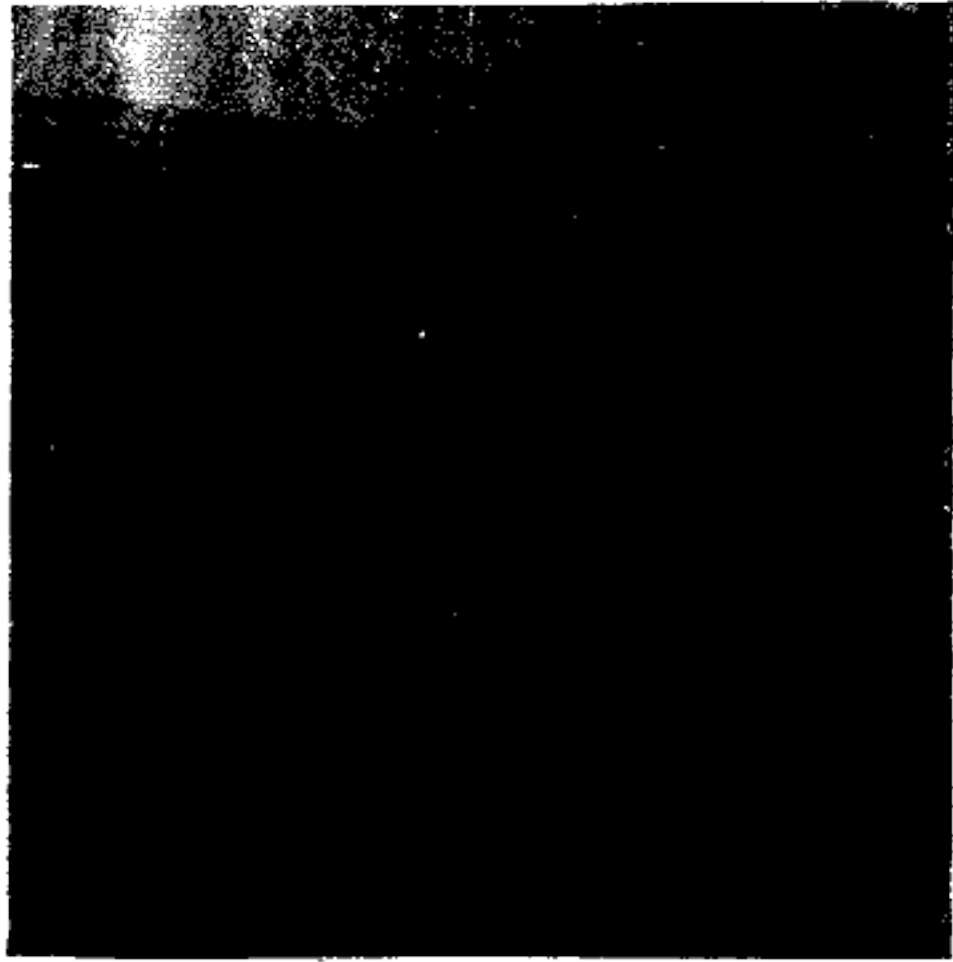


مرکز تحقیقات و پژوهش‌های اسلامی

١٦ - منظر عام بجانب
الباب والبرج الواقعين في الزاوية
الشرقية الشمالية .

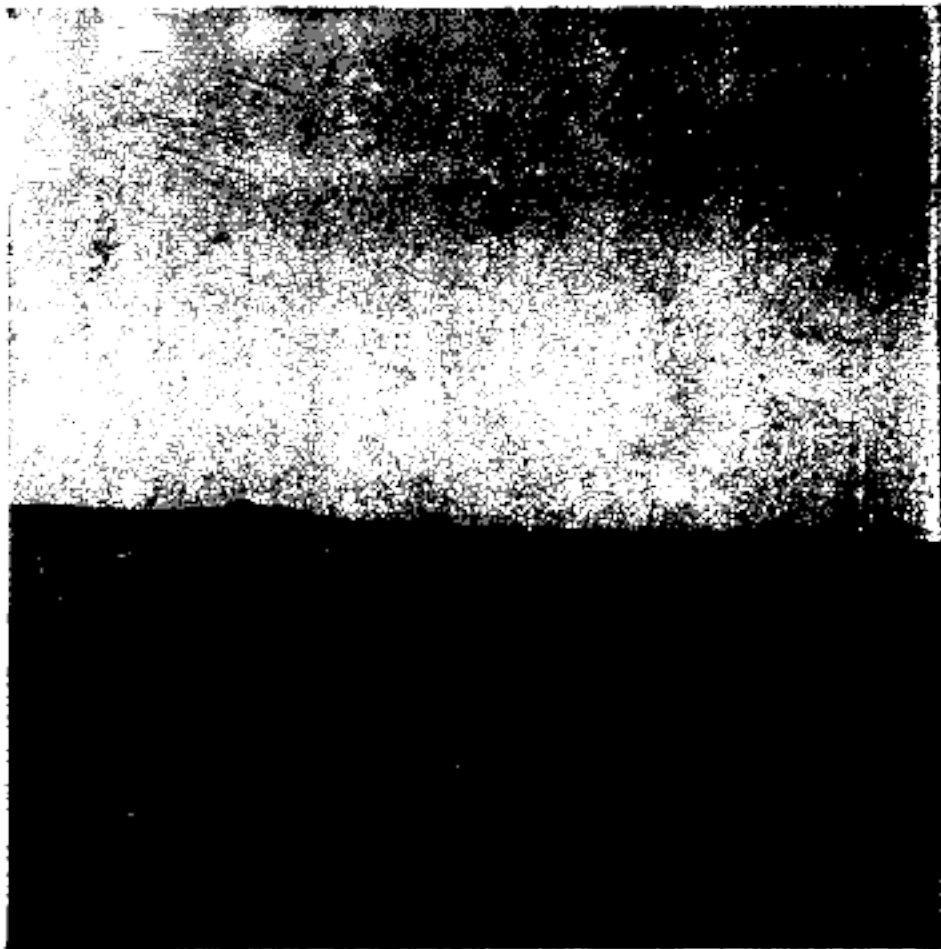


اللوحة (١٩)



١٧ - منظر عام للدور
الخاصة . ويلاحظ في أعلى الصورة
الجانب الغربي للدخل الرئيسي .

مركز تحقيقات كيمياء علوم إسلامي



١٨ - مشهد عام للدخل
الاضافي وعلى جانبه مجموعة
الحلقات الكبرى .



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

مختصرات عن المقالات المنشورة في القسم الغربي

من المجلة

مركز تحقيق وتطوير علوم إرسودي



مرکز تحقیقات کامپیوتر و علوم اسلامی

Pl. VI



1. — Tombeau en bas des pentes ouest du tell.



2 — Hypogée à superstructure brute épargnée dans le roc.



1. — Céramique du gisement du carré T 6.



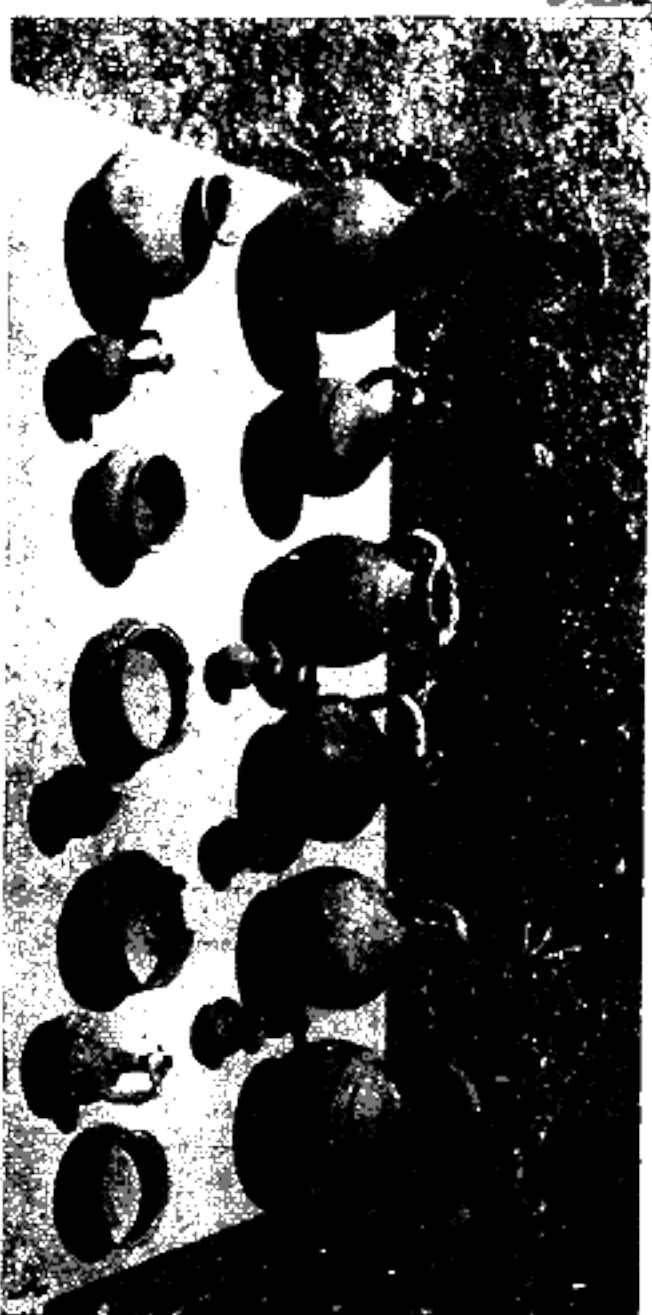
2. — Mobilier funéraire de la tombe-silo (4).



3. — Céramique du gisement du carré T 6.



مرکز تحقیقات پیشینه و تاریخ اسلامی



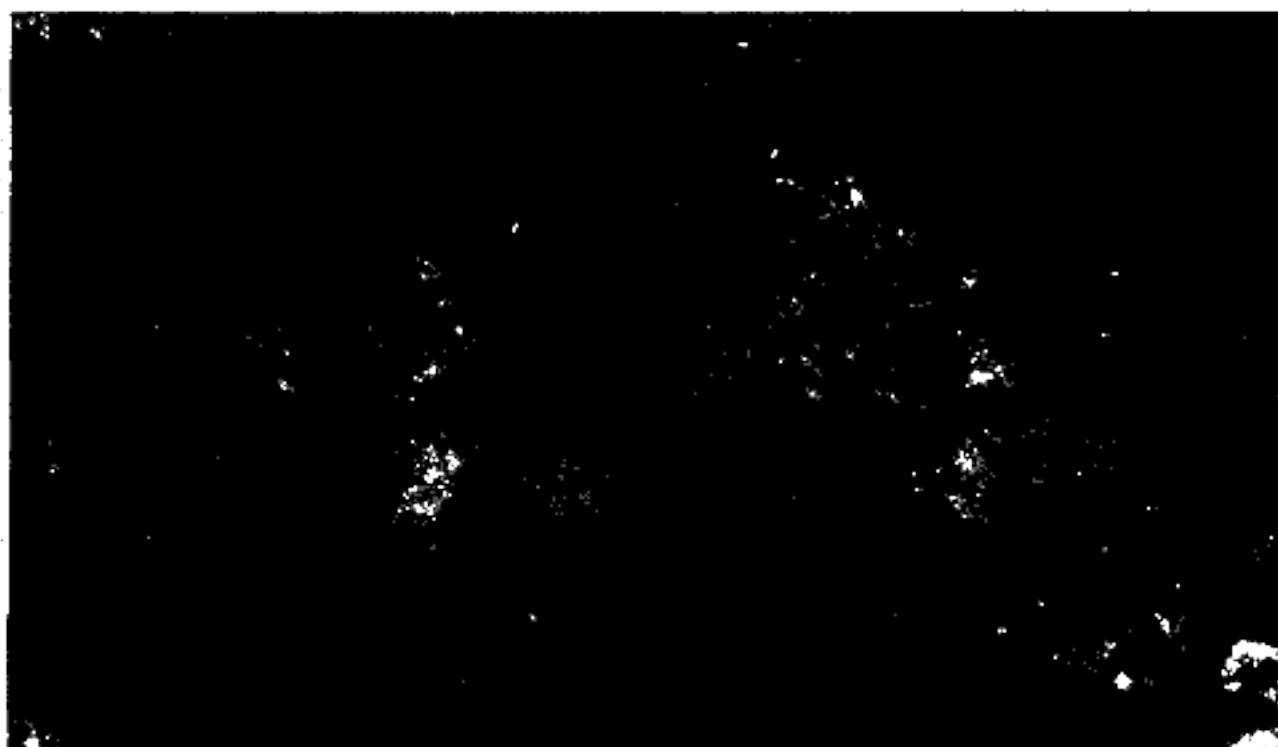
4. — Mobilier funéraire de la tombe-silo (7).



1. — Tombe-silo (2) la couverture en dôme.



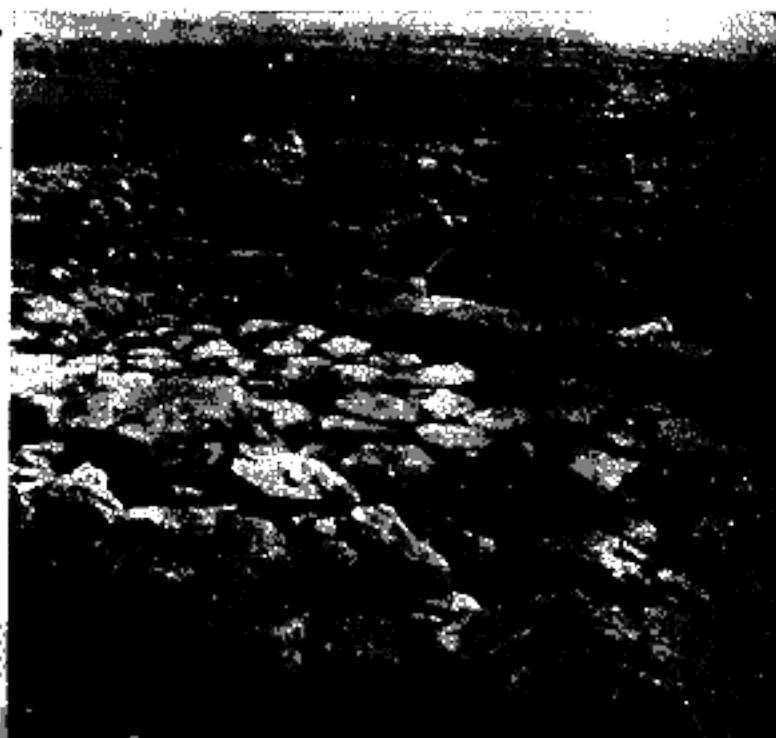
2. — Tombe-silo (7) avec sa couverture effondrée.



3. — Tombe-silo (1) la couverture en place.
Tombes-en-silo.

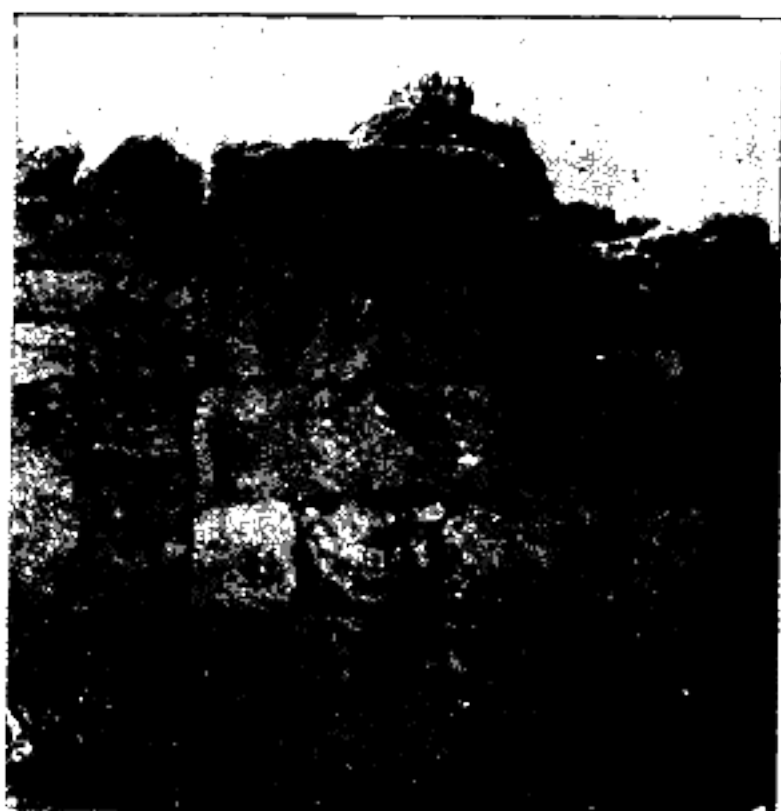


1. — Vue générale du bâtiment.

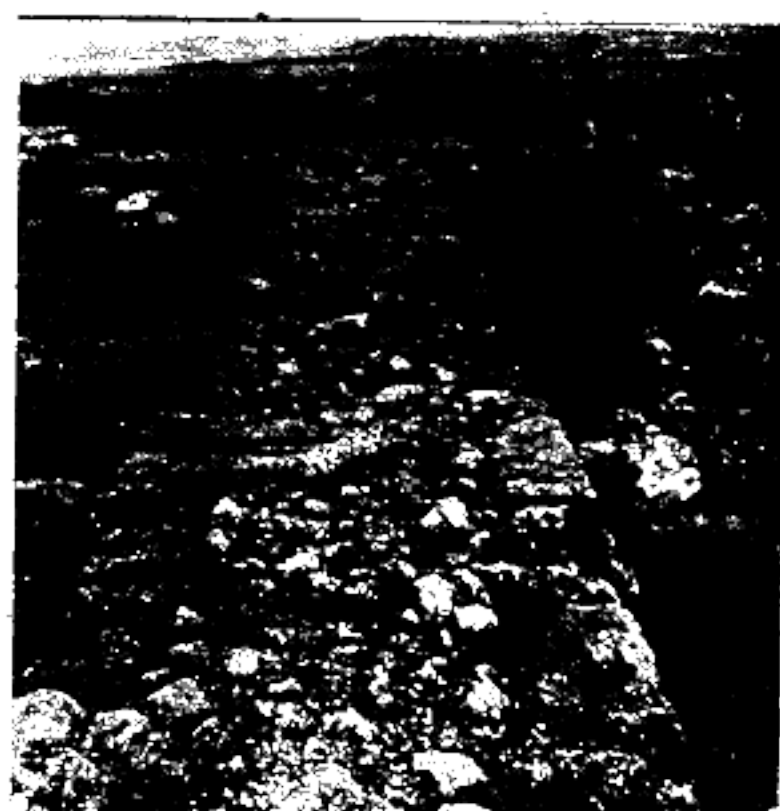


2. — Dallage d'une salle au S. - O.

مرکز تحقیقات کاپیتان علوم اسلامی



3. — Détail d'un chaînage d'angle.

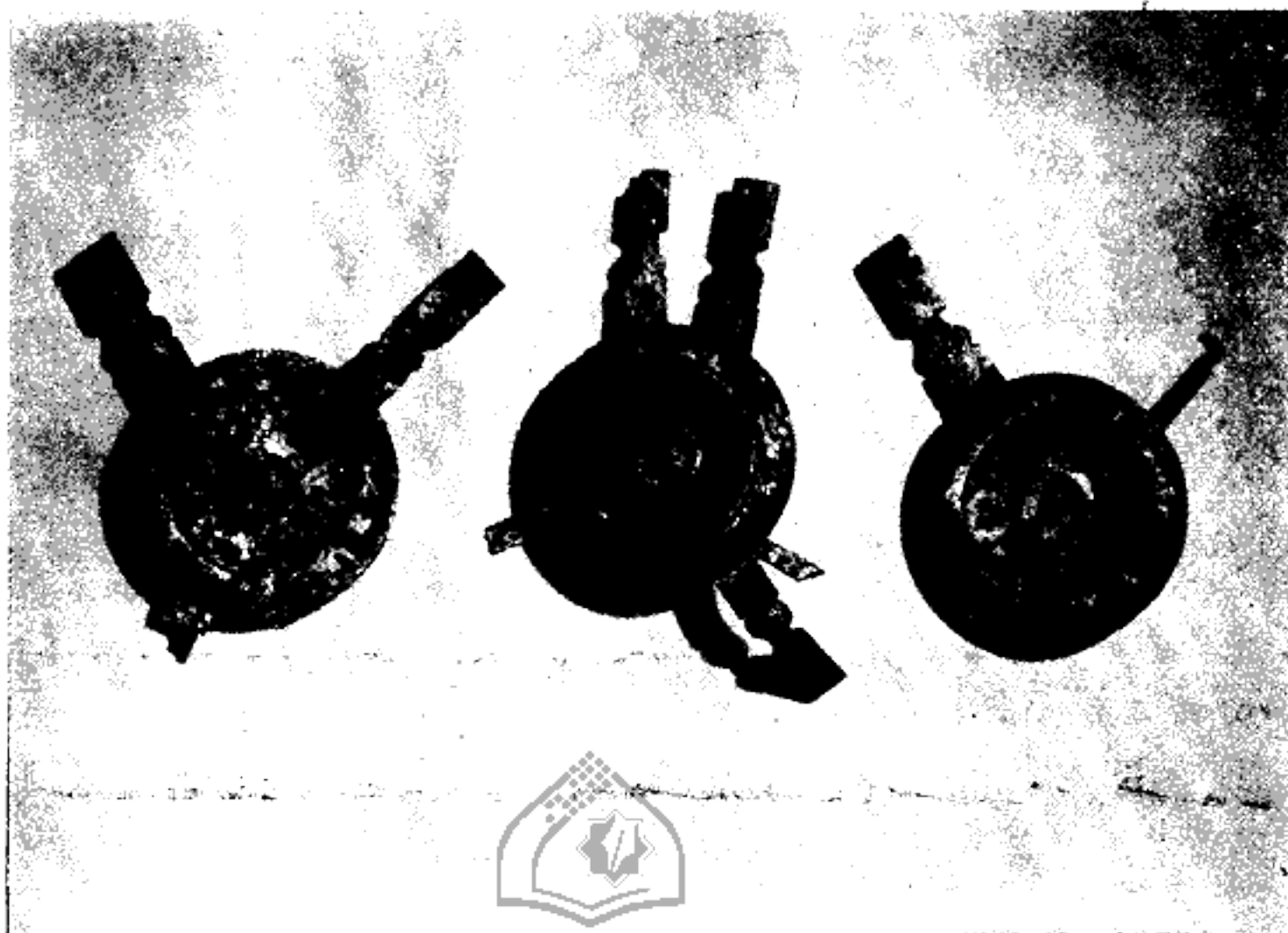


4. — Le mur ouest arasé

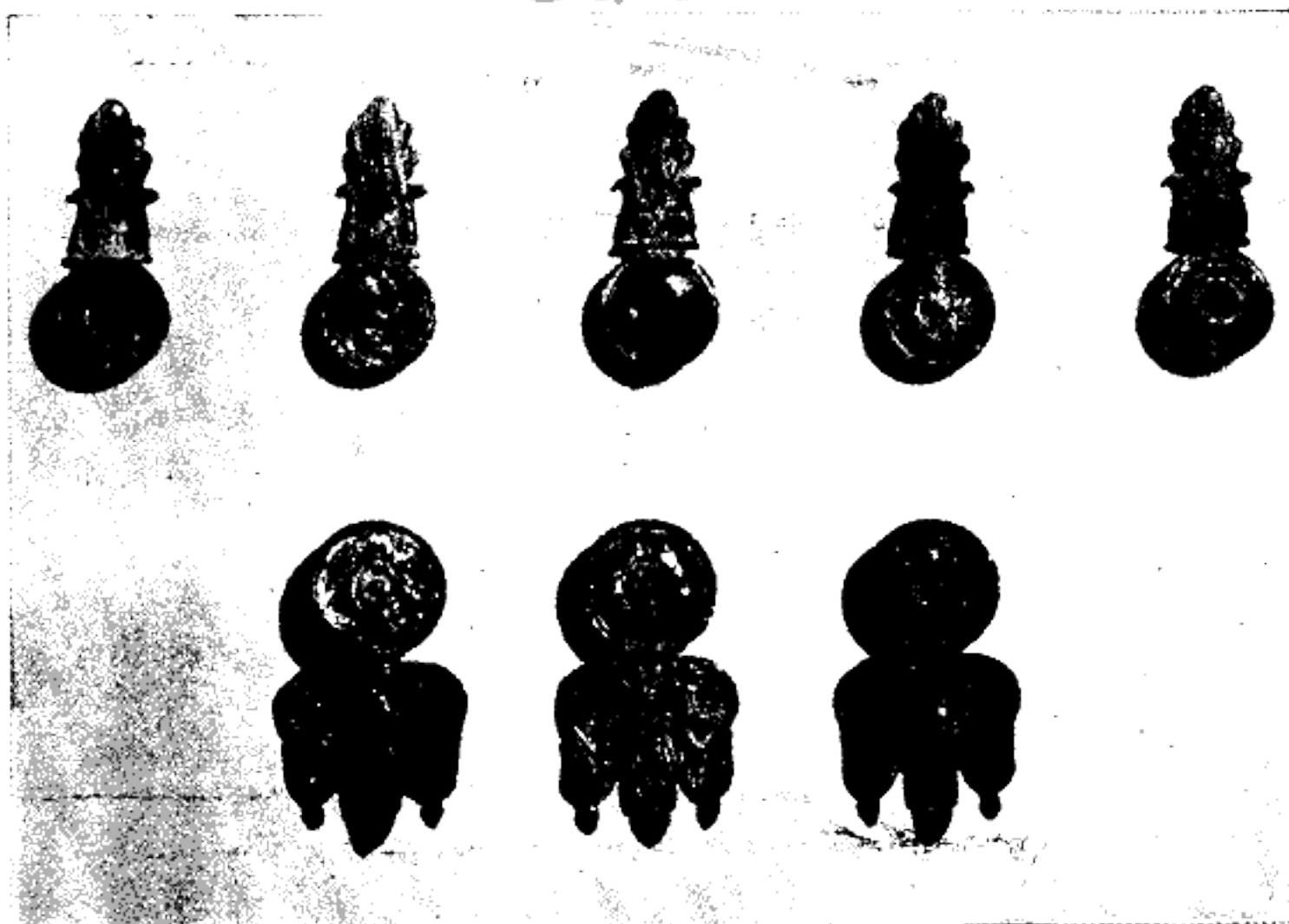
Grand bâtiment de l'époque perse.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

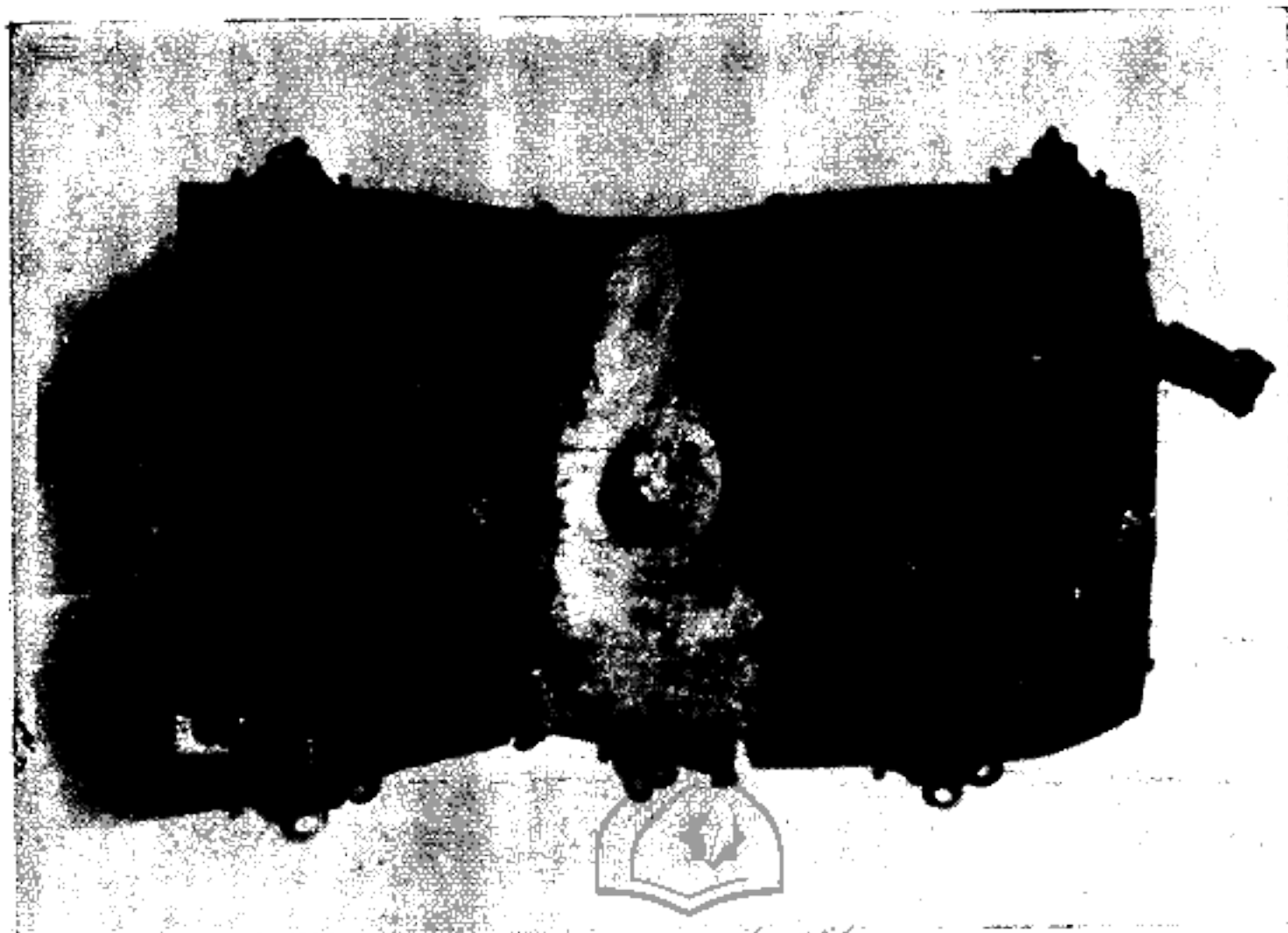


1 — Disques en bronze incrusté d'argent appartenant à la première catégorie.



2 — Disques et boutons en bronze incrusté d'argent appartenant à la deuxième catégorie.

Pl. X



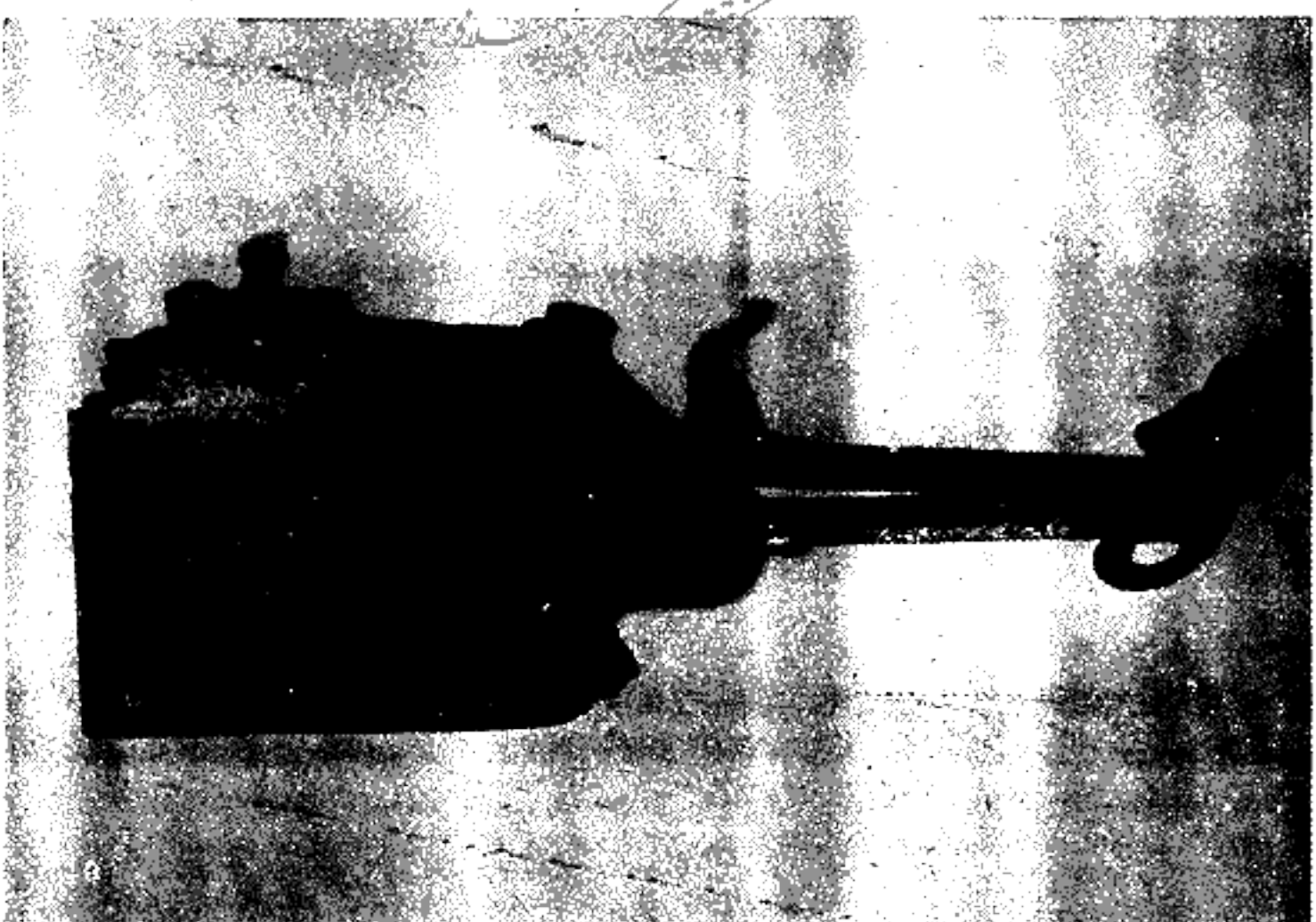
1 — Frontal de cheval en bronze



2 — Lampe en bronze de forme triangulaire.



1 — Applique en bronze, représentant le buste de Minerve

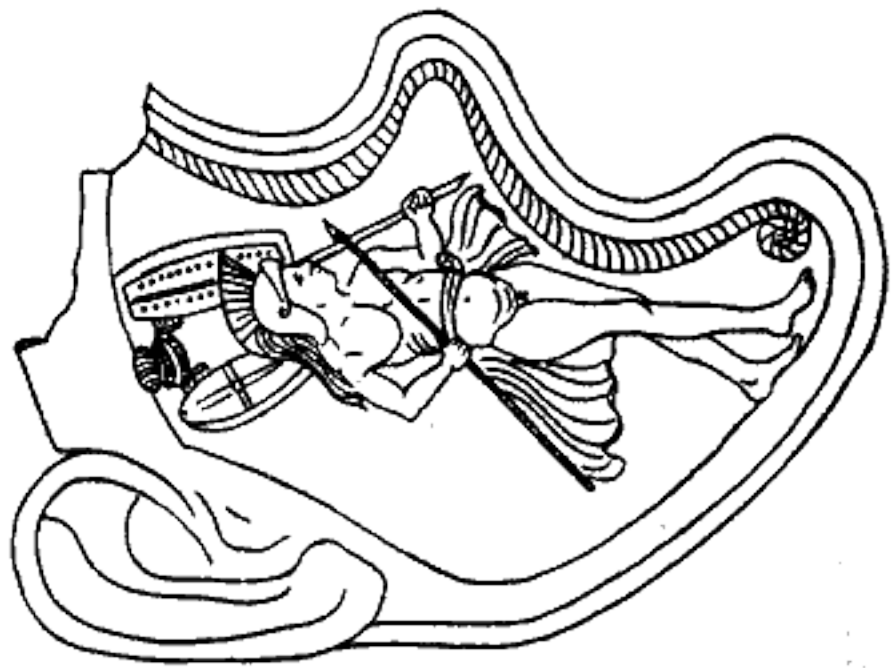
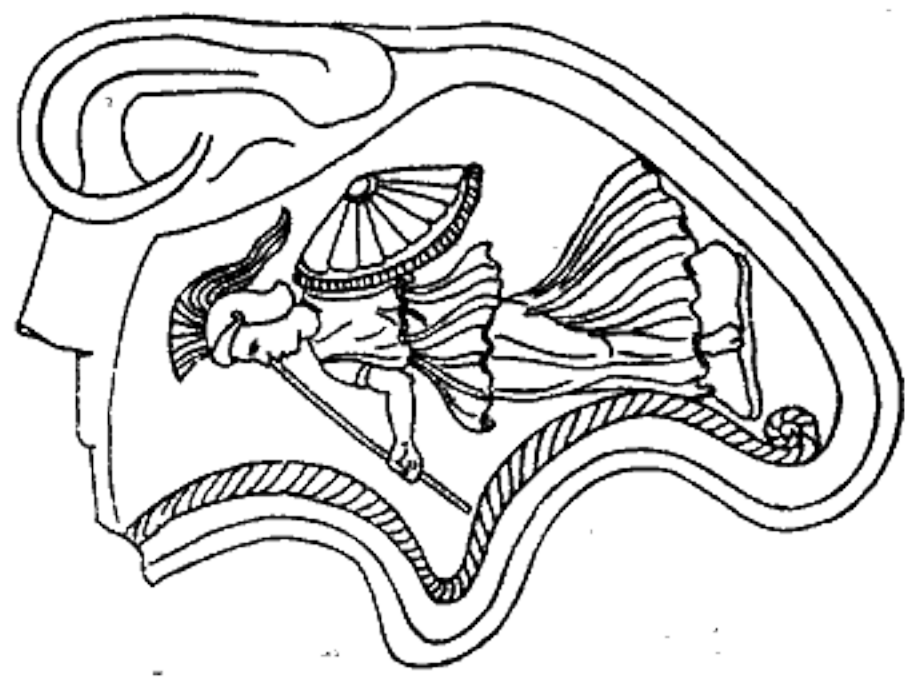


2 — Une pelle en bronze

DIRECTION GENERALE DES ANTIQUITES
MUSEE NATIONAL DE DAMAS
Oum-Houran
L. 211

تفصيل من الزخرفة
Details du casque

مدبرية الآثار العامة
المختار من يد
حفريات وحجرات



مركز توثيق مكتبة بزرطون اسدي



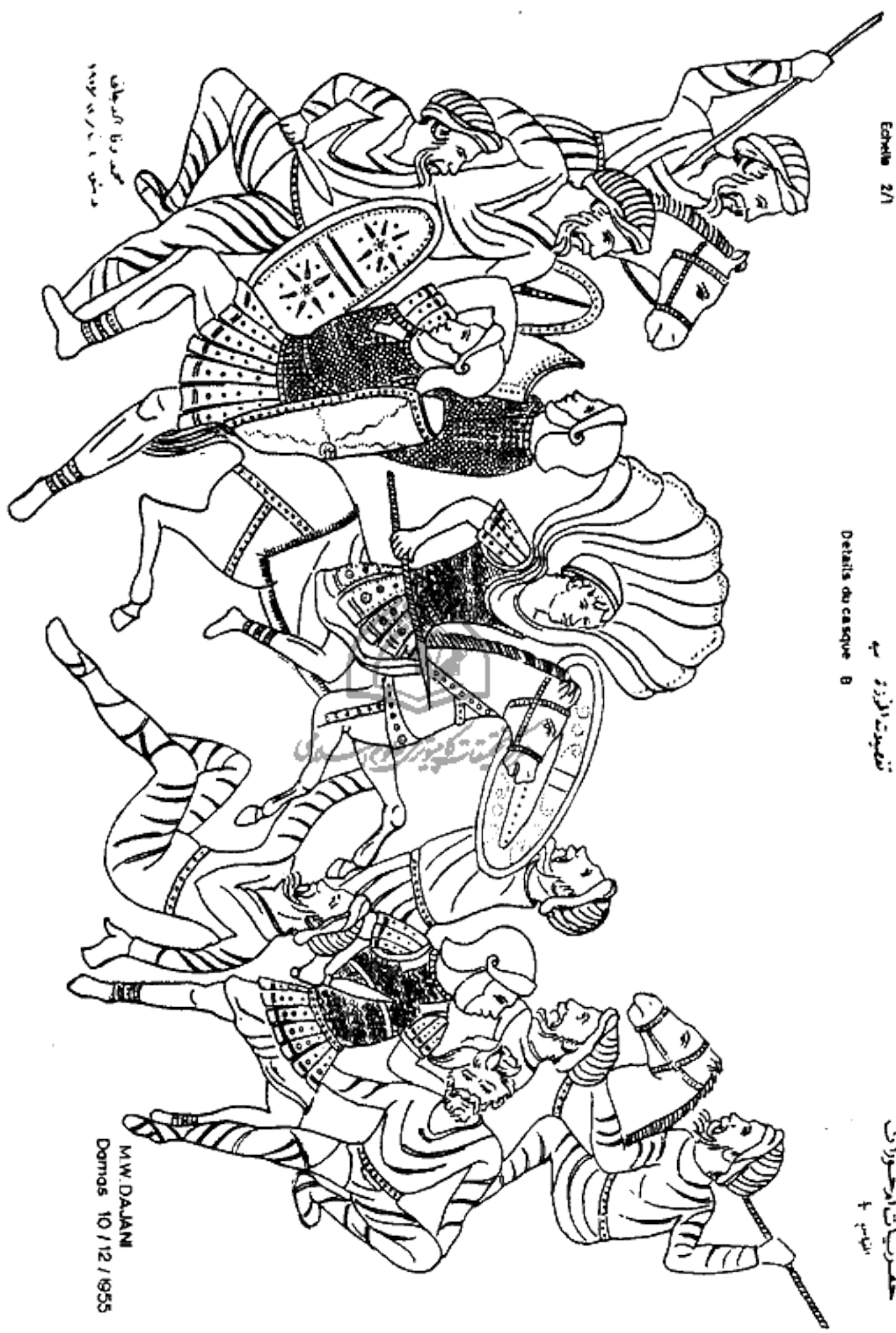
دستور
مكتبة بزرطون

M. G. J. J. J. J.
Damas 10/12/1955

DIRECTION GENERALE DES ANTIQUITES
MUSEE NATIONAL DE DAMAS
Fouilles de Qum-Hauran
Echelle 2/1

تفصيلات الخوذات
Details du casque B

ملابس ربيعة الاشكال
المعاصرة لرومي
حفريات ارجوزان
الشمس



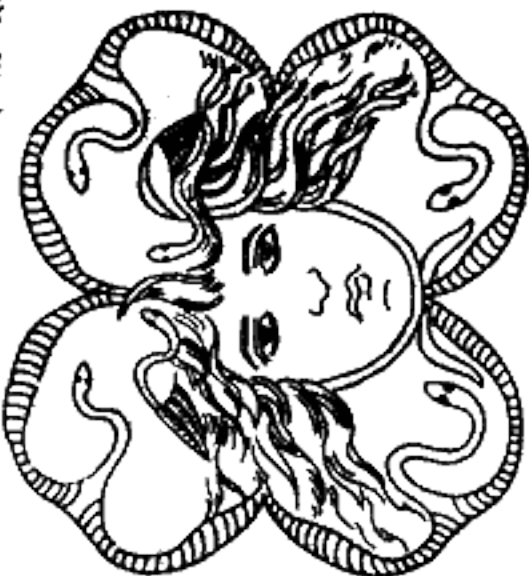
معدنات الخوذات
والتفاصيل
10/12/1955

M.W. DALANI
Damas 10/12/1955

DIRECTION GÉNÉRALE DES ANTIQUITÉS
MUSÉE NATIONAL DE DAMAS
Fouilles de Qum - Hauran
Cahiers 2/1

Detons du casque à

مدبرية الأشرار
التي لا يمكن
حفظها من الحوادث
في

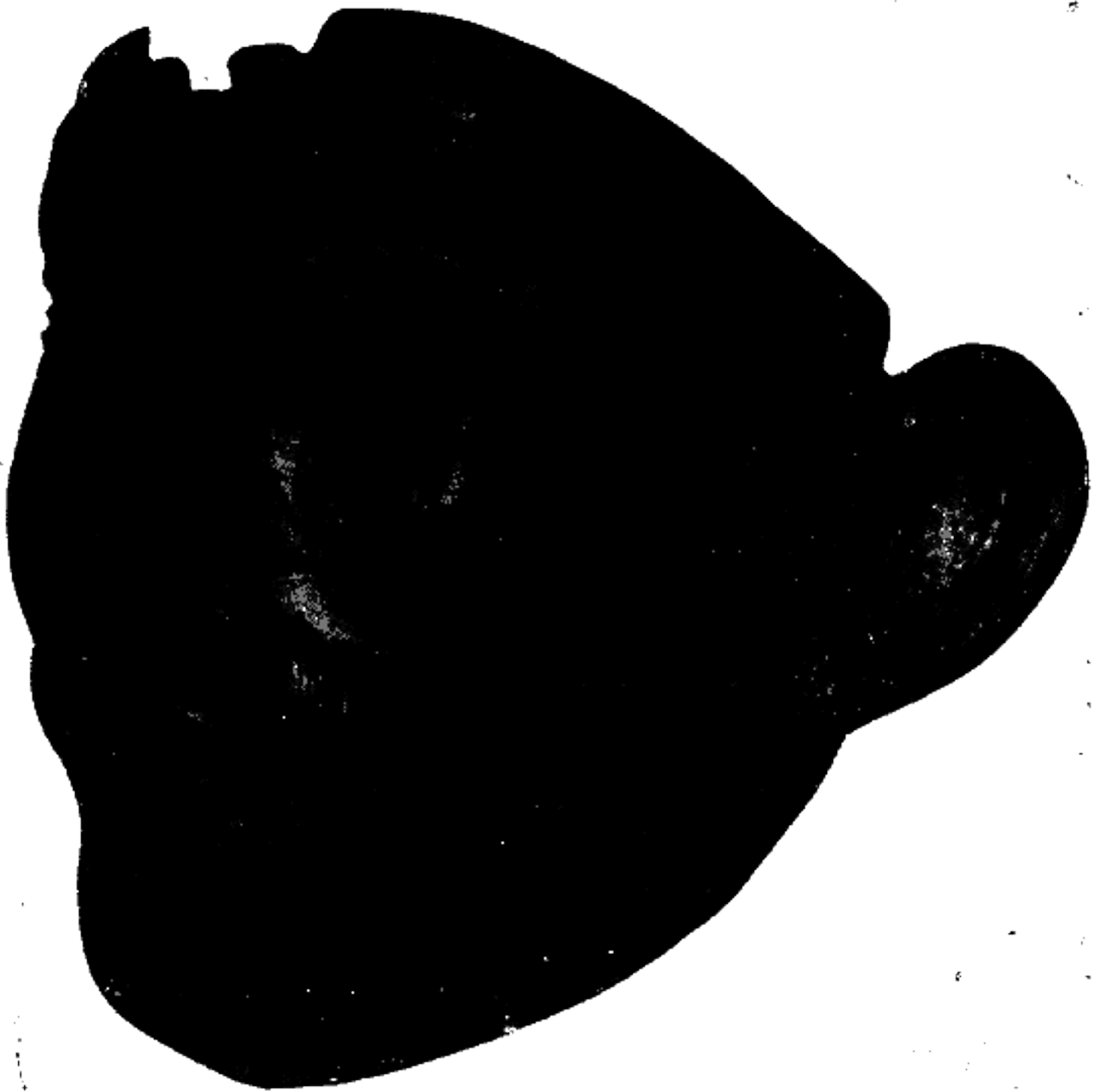


NEW ORIENTAL
Damas 10/12/1935

M. MACTOUR
BARBARAS
P. 317

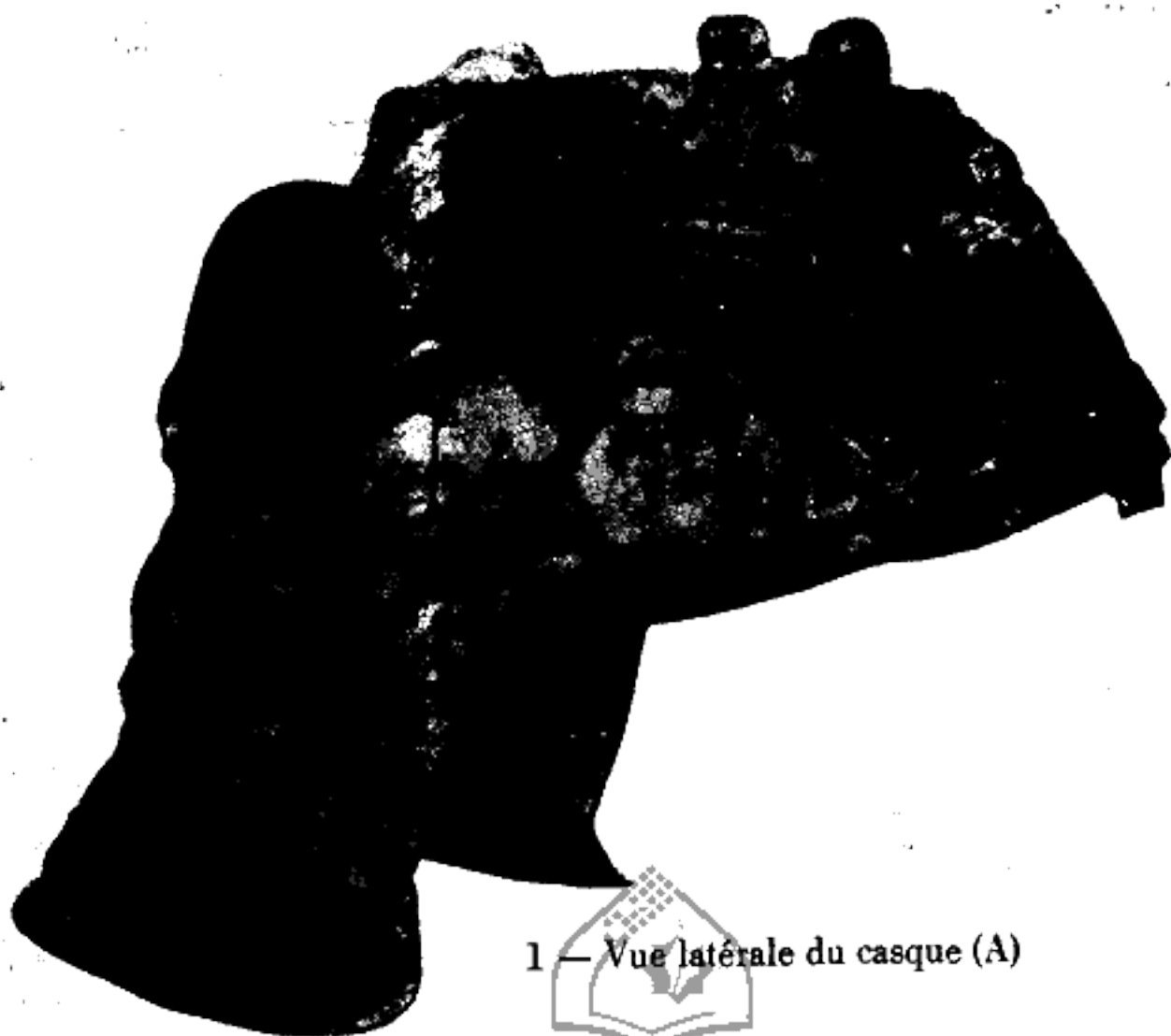


Vue latérale du casque (B).



Le masque appartenant au casque (A).

Pl. II



1 — Vue latérale du casque (A)

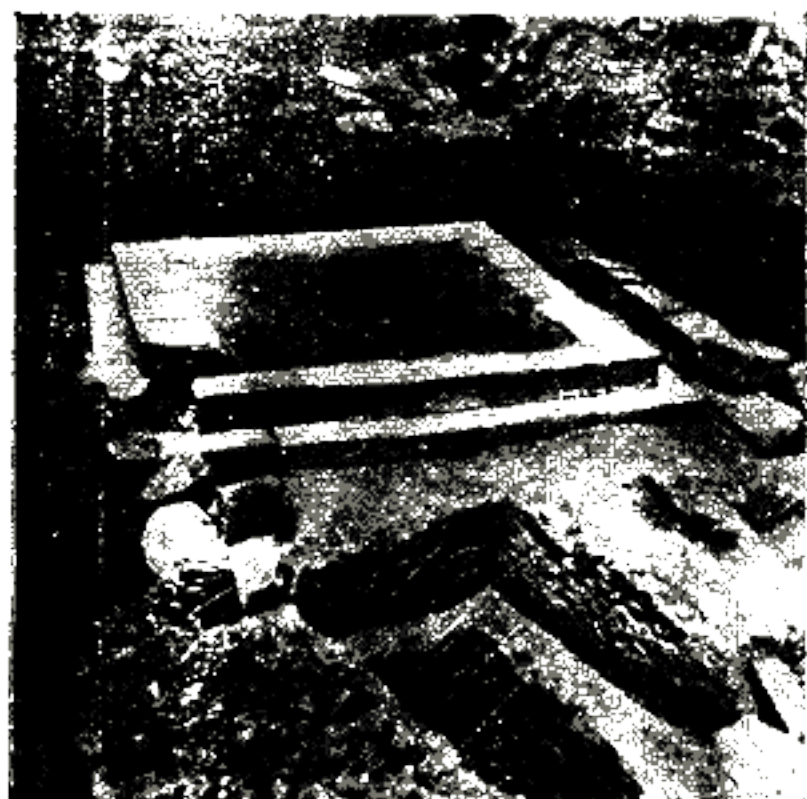


2 — Le sommet du casque (A).

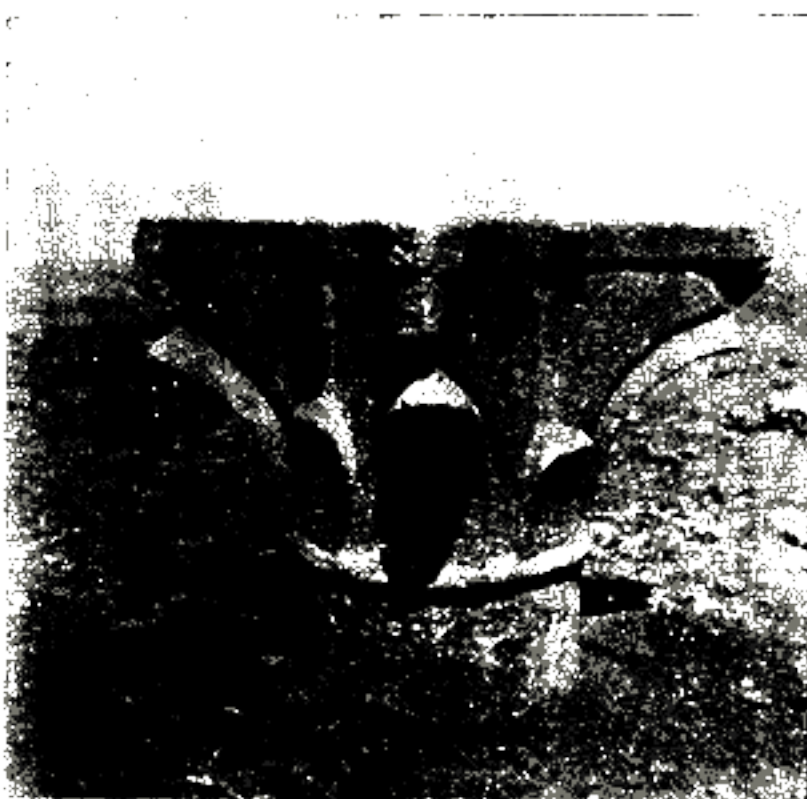


1 et 2 — Deux vues de la tombe à puits, qui a été fouillée par les clandestins sur le tell Oum Hauran. Sur les poutres en basalte qui fermaient ses assises, ils ont ramassé les deux casques et les autres objets.

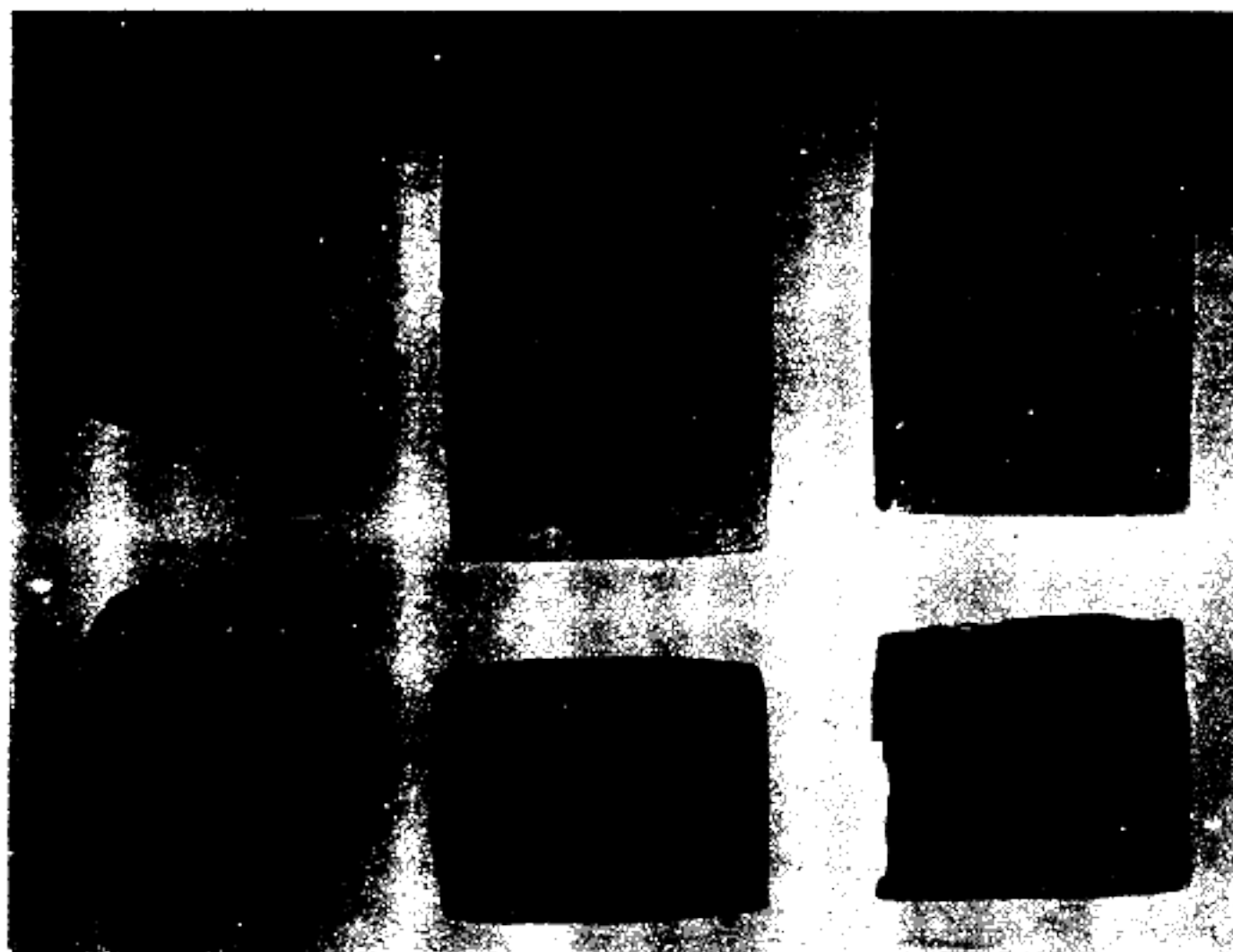
مرکز تحقیقات کتب و اسناد اسلامی



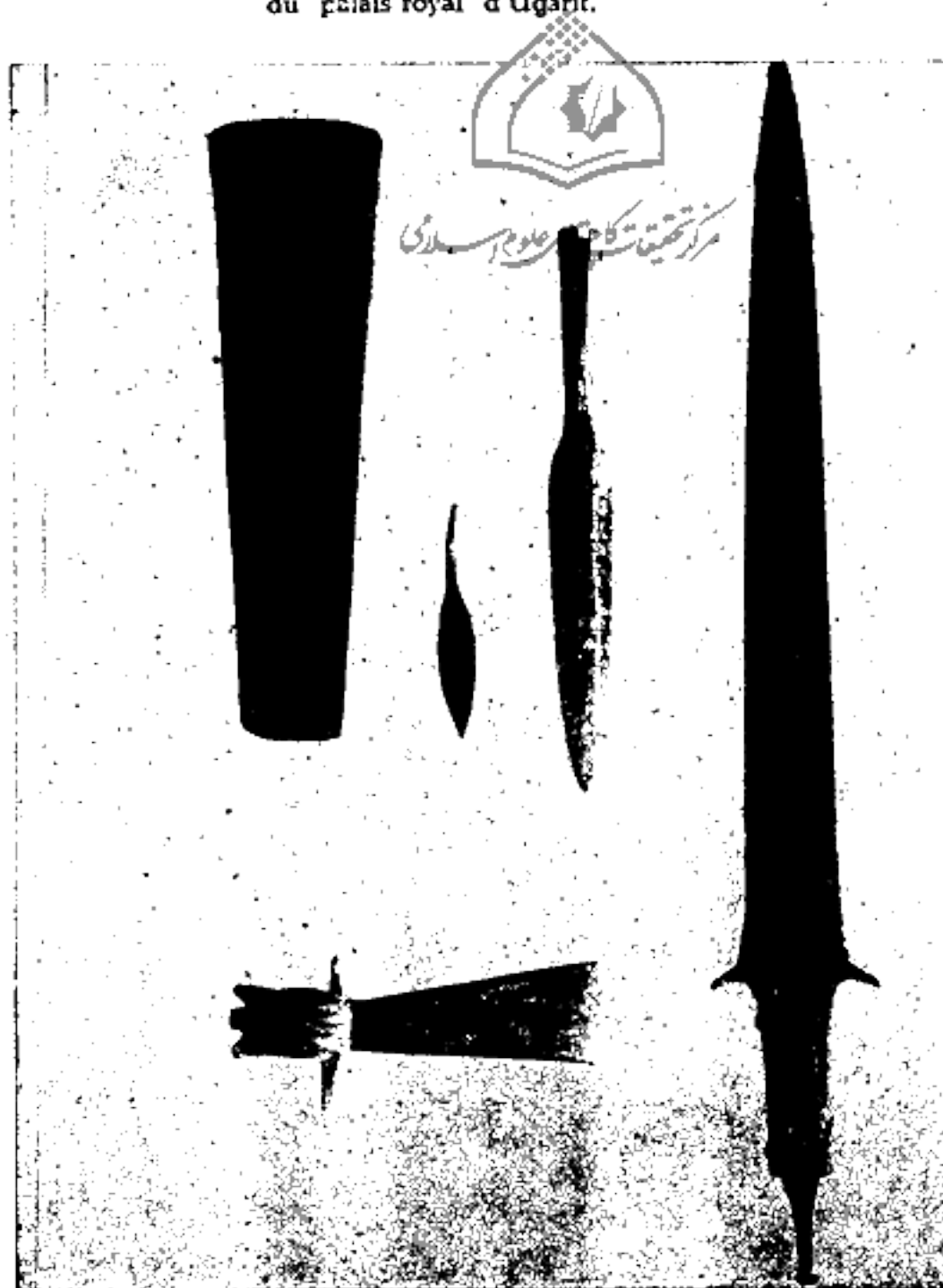
3 — La base d'un monument funéraire et une tombe à puits, au tell Oum Hauran.



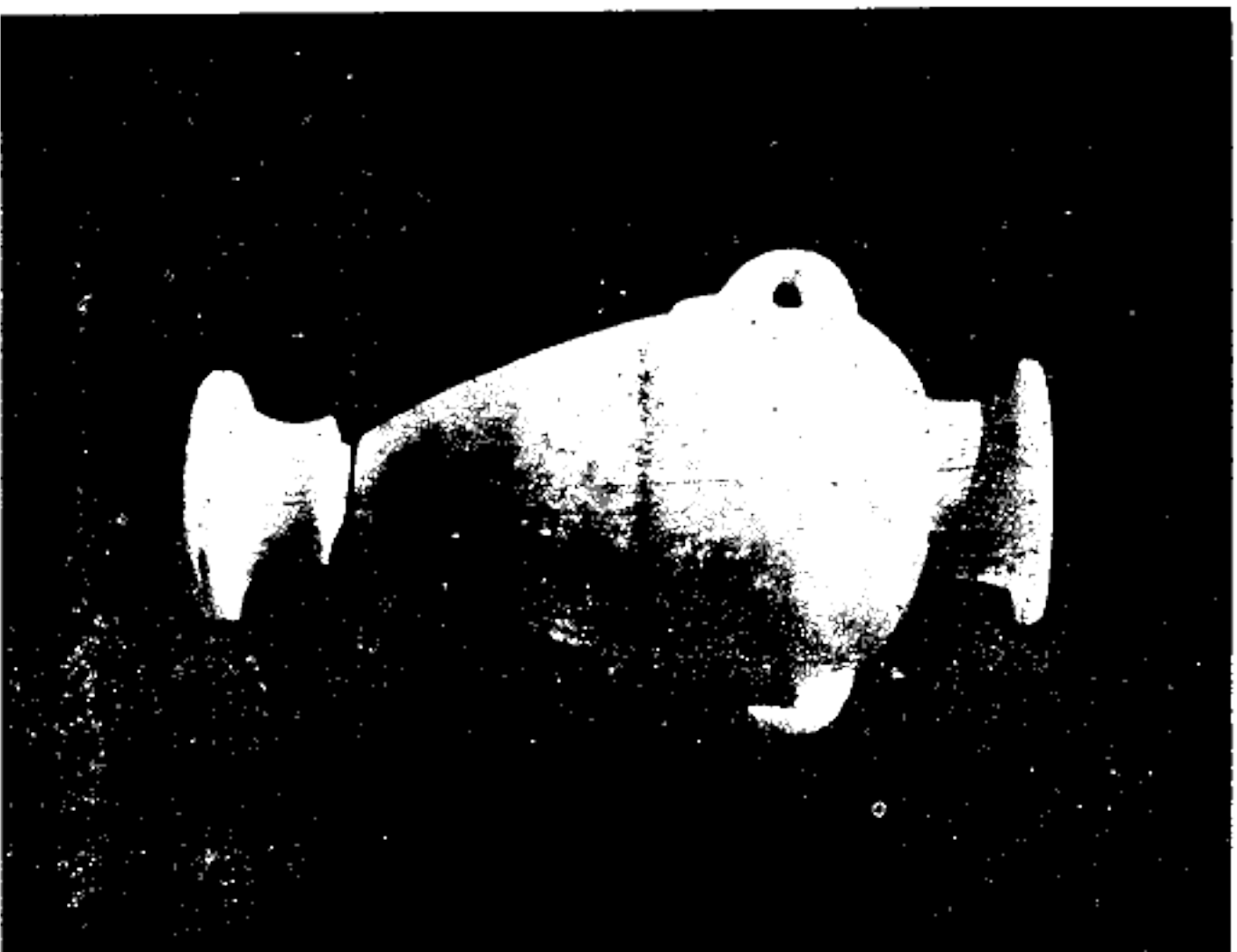
4 — Un chapiteau en basalte mis à jour dans le secteur de la tombe du tell Oum Hauran.



1. — Les tablettes recueillies au fond du four trouvé dans la cour au bassin du palais royal d'Ugarit.



2. — Les Objets en bronze dont une belle épée qui étaient enfouis sous les décombres.

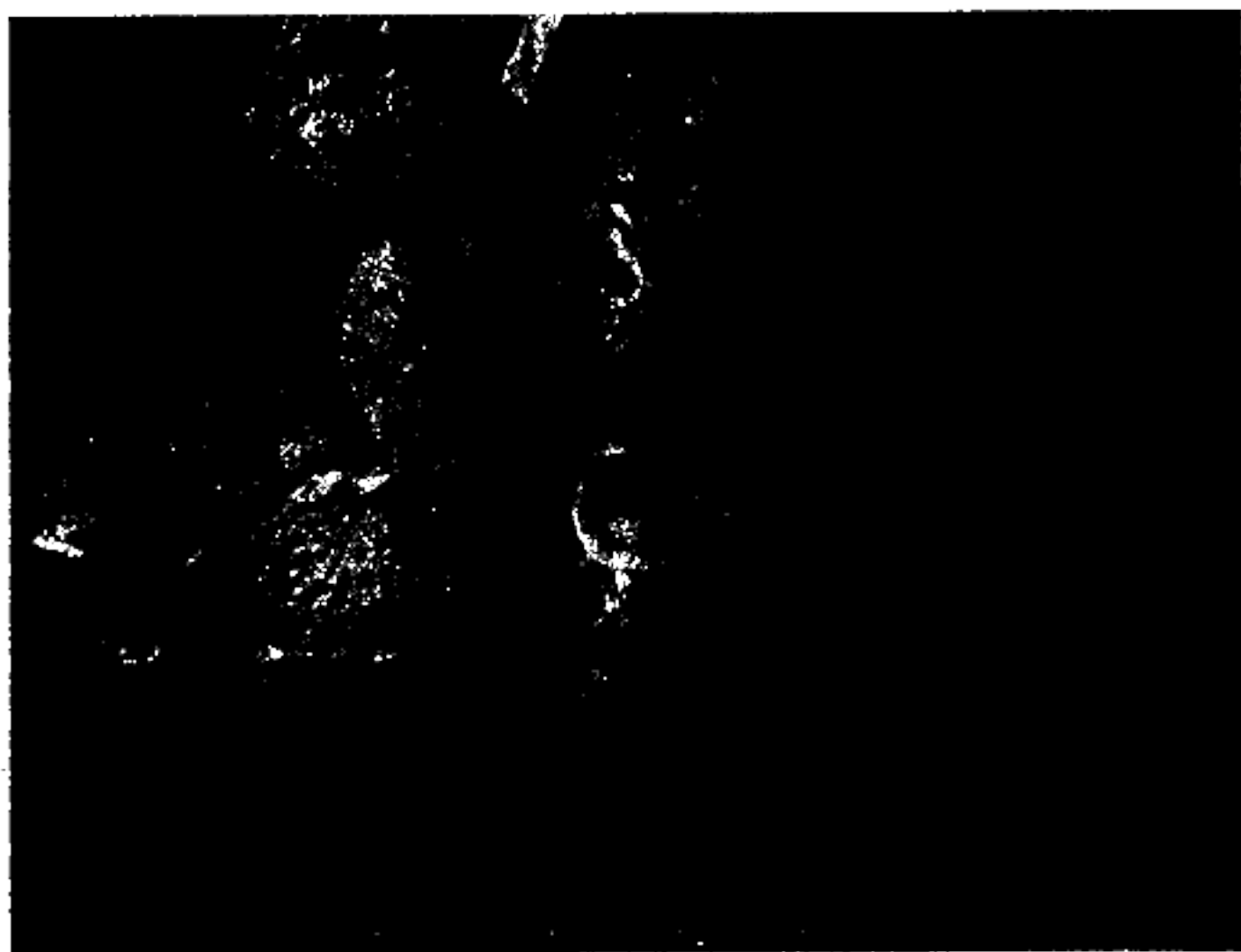


1. — Un vase en albâtre trouvé dans les décombres de la cour
au bassin du palais royal d'Ugarit.

مرکز تحقیقات کتب و تاریخ علوم اسلامی



2. — Deux petites figurines en bronze trouvées dans
la même cour.



1. — La belle tête en ivoire, figurant l'un des rois d'Ugarit.



2. — Plaque en calcaire, trouvée dans les décombres de la cour au bassin. Elle représente le visage schématisé d'un personnage.



1. — M. Claude Schaeffer et ses deux collaborateurs MM. Forrer et Hafez, en train de photographier le fond du four à cuire les tablettes.

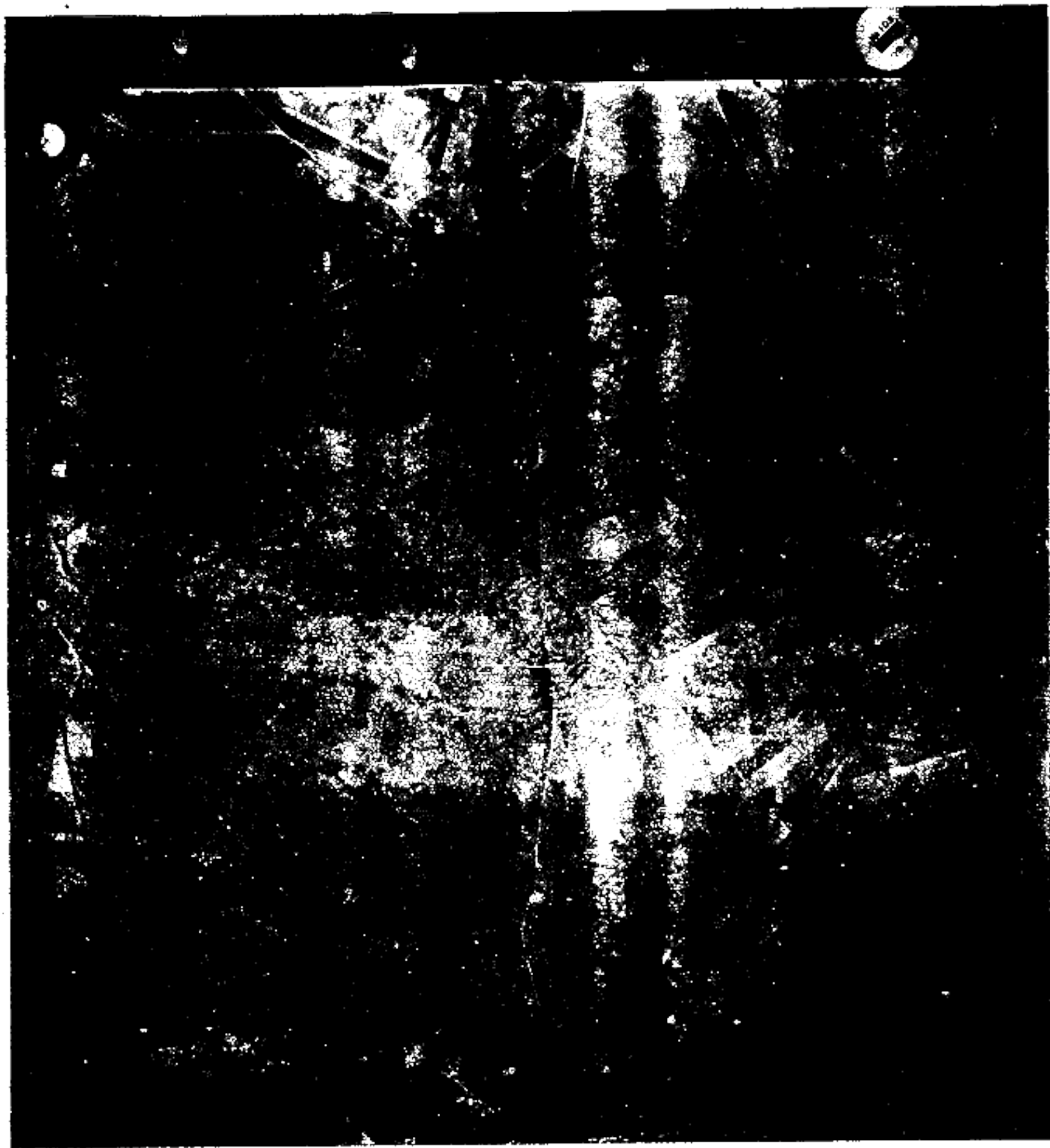


2. — Le bassin rectangulaire au milieu de la cour du palais royal d'Ugarit. 3



IV – Vallée de Khabour, près de Chaddadeh

1. Le Khabour. 2. Terrasse inférieure. 3. Escarpement vers la deuxième terrasse Les installations anciennes partiellement masquées par des tentes et des constructions modernes, sont alignées le long de cet escarpement.
4. Canal principal d'irrigation d'époque antique, avec réseaux secondaire et tertiaire lisibles sur le cliché.
5. Canal d'irrigation moderne. Dans les zones plantées de coton les anciens canaux apparaissent plus clairement qu'ailleurs. 6. Piste antique de Sinjar à Chaddadeh (gué sur le Khabour). 7. Routes antiques sur la rive droite du Khabour. 8. Pont de la route actuelle vers Mossoul,



III — Tell Assouad al Fouqani

1. Tell rond avec grand fossé circulaire.
2. Route rayonnante vers les tells satellites.
3. Route rayonnante d'une autre « principauté ».
4. Satellites, partiellement masqués par des fermes actuelles.



II — Tell Mabtuh al Charqui au Nord du Jebel Abda'Aziz

1. Tell à double enceinte concentrique.
2. Routes rayonnantes de l'époque du Bronze qui apparaissent plus creusées dans les régions gypseuses (partie S. de la photo) que dans les régions alluviales (partie N. de la photo).
3. Installation agricole arabo-byzantine.
4. Camp arabo-byzantin.
5. Foggara ancienne.



I — Tell Bogha

Région de Tell Bogha : terrains plats, très fertiles aujourd'hui comme autrefois. Les grands carrés de teintes différentes représentent des terres labourées à différentes périodes de l'année.

1. Le Tell, avec deux murs concentriques, fossé circulaire, birkets extérieurs.
2. Routes rayonnantes de l'époque du Bronze.
3. Installations agricoles fortifiées d'époque arabo-byzantine.
4. Route actuelle de Ras al'Ain à Raqqa.



1— Le mausolée de la nécropole Sud - Ouest



2— Le mausolée et le mur de la mosquée

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



3 — La porte d'entrée du mausolée.



4 — L'ordre intérieur de l'étage.



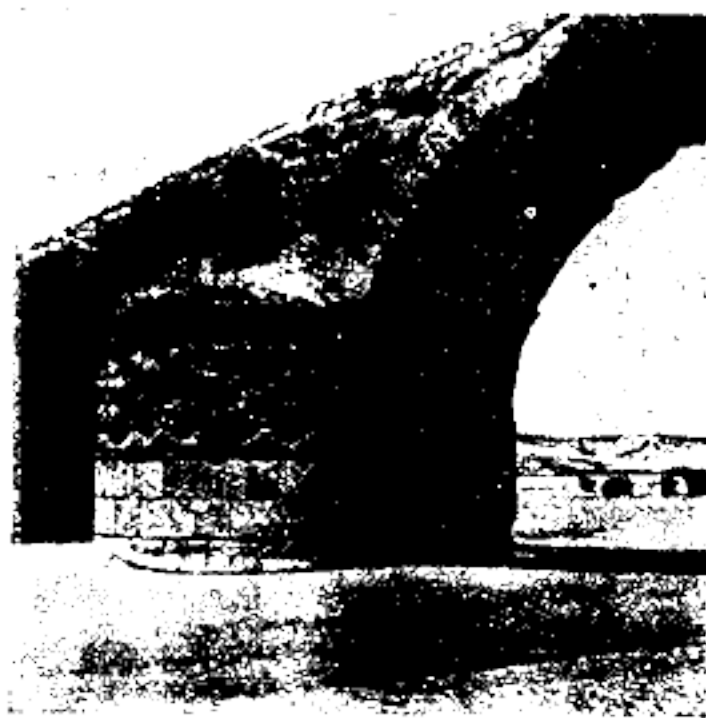
1 — Le pont Sud sur
le Saboun-Souyou (aval).



2 — Le pont Sud sur le
Saboun-Souyou (amont).



— 3 Le pont sur l'Aïrin.



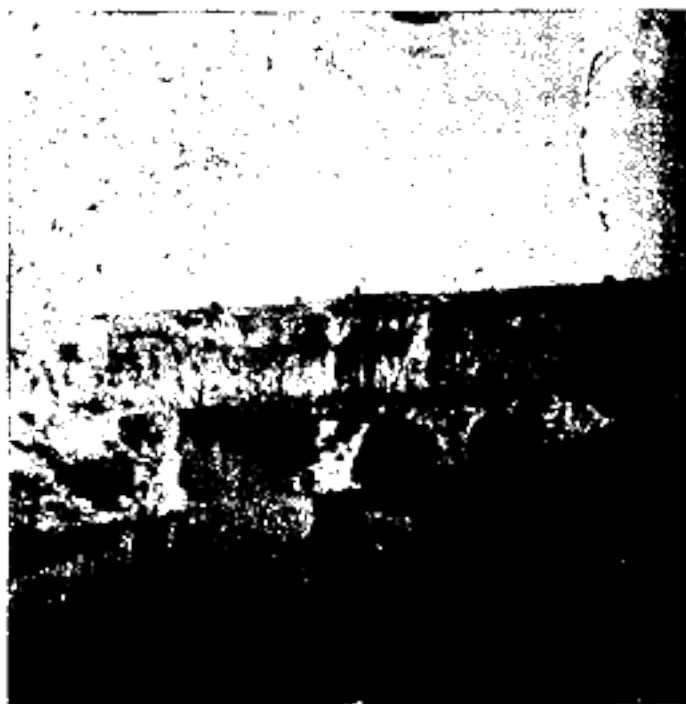
4 — Le pont sur l'aïrin : détail
d'une pile et d'une niche



1 — L' " autel aux bustes " trouvé dans l'orchestre.



2 — Fond de jarre attestant la réutilisation de l'orchestre



3 — Les ruines du pont Nord Sud le Saboun-Souyou



4 — Détail d'une pile

مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



← 1 — Frise droite



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

3 — Chapiteau de pilastre →



← 2 — Chapiteau de colonne.



Pl V.



1 — Frise surmontant un pilastre du mur de scène



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



2 — Architrave courbe à soffite



3 — Corniche d'angle



1 — La ceinture extérieure de l'orchestre et les escaliers radiaux



2 — Un escalier radial



3 — Le « distributeur » et le départ des conduites sous la précincton.



4 — Une des conduites d'eau de la précincton.

مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

Pl. III



1 — La *cavea* et l'orchestre
à la fin de la campagne 1953.



2 — L'entrée latérale Nord vue d'en haut.



3 — La scène en cours de dégagement.



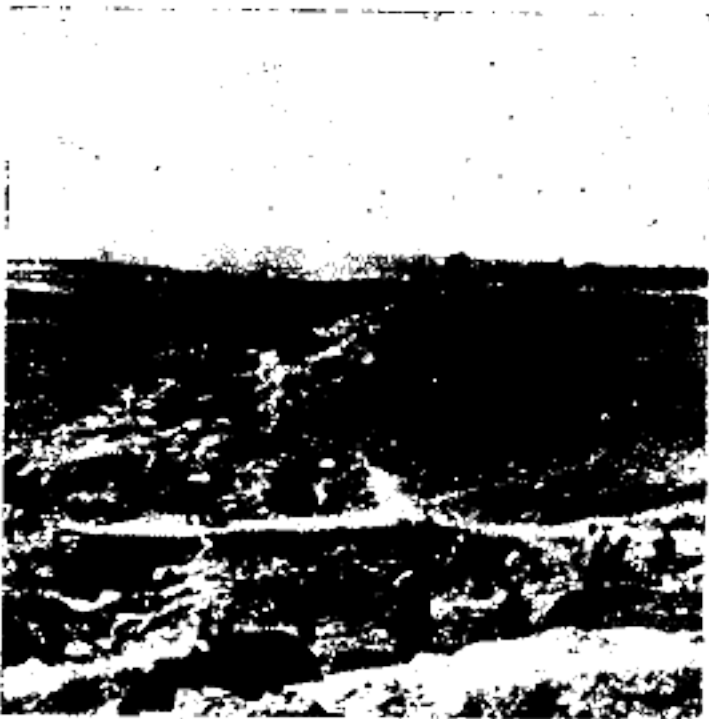
4 — Le mur du *pulpitum* et ses exèdres,

مرکز تحقیقات کاپیتولینا روم



1 — La partie centrale de la *cavea* à la fin de la campagne 1953.

Pl. II

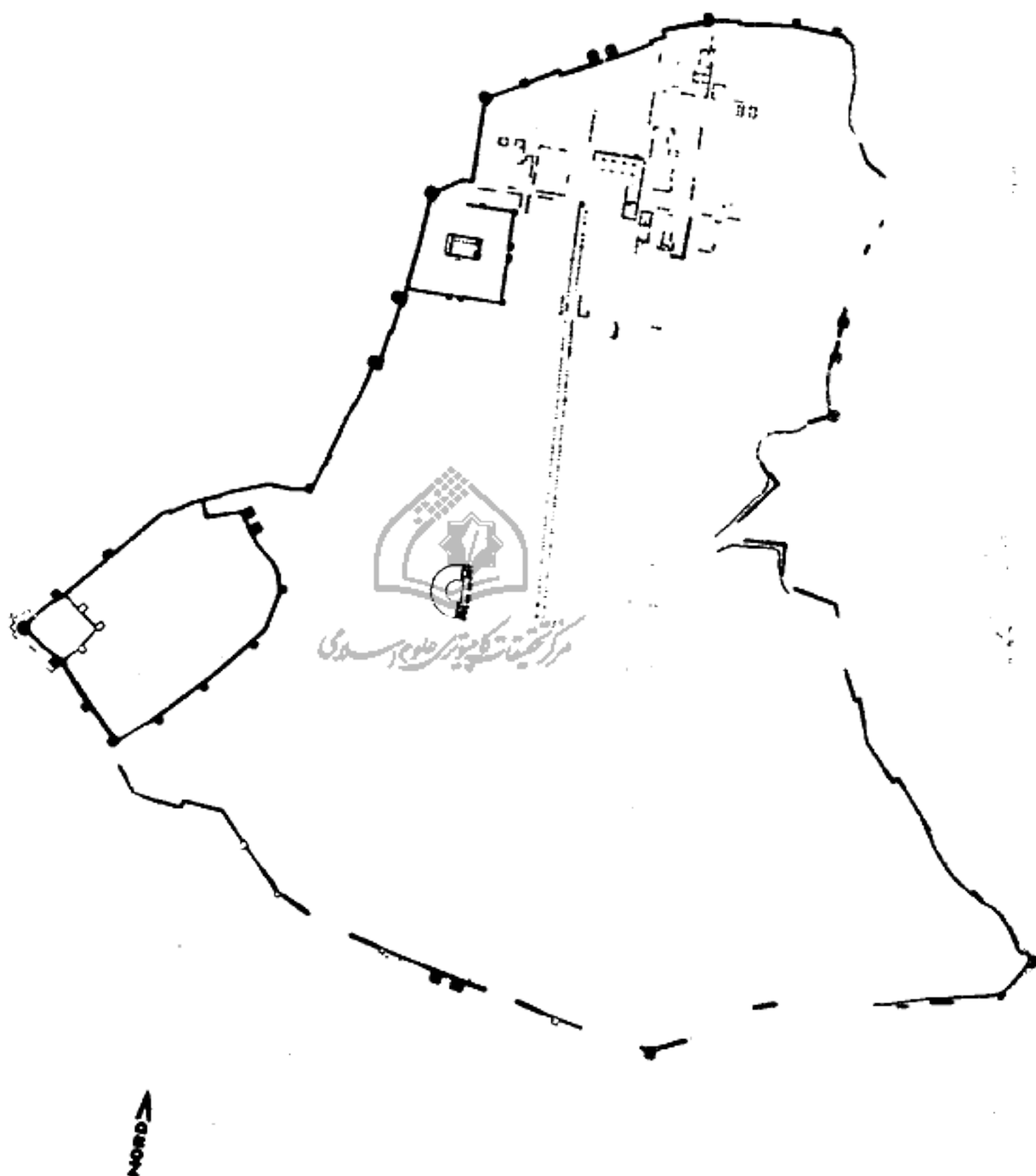


1 — L'orchestre et la partie Nord du théâtre en cours de dégagement

مرکز تحقیقات کتب و اسناد ملی ایران

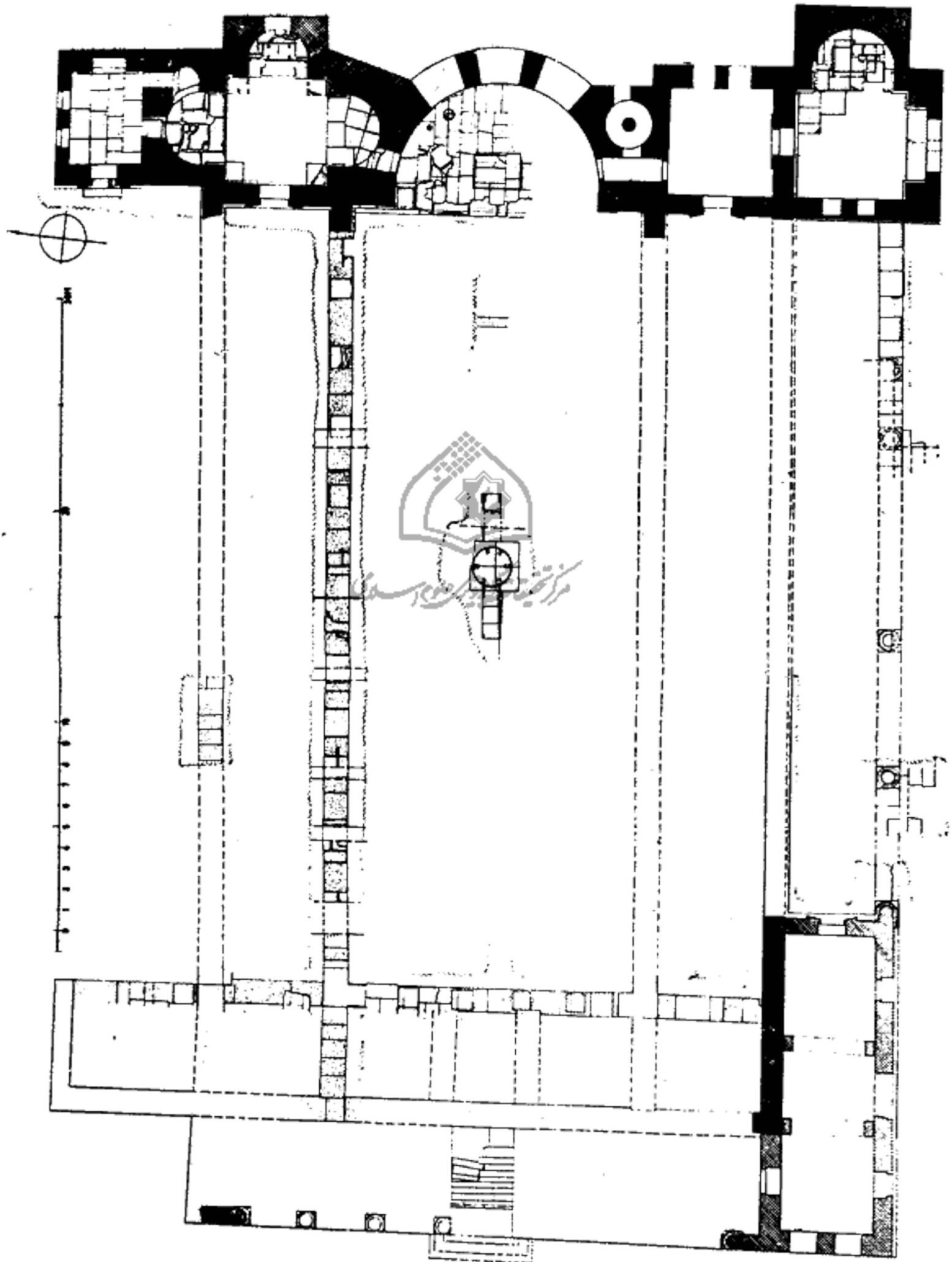


2. — L'orchestre et la partie sud du théâtre en cours de dégagement.



CYRRHUS

Plan d'ensemble de la ville (W. Forrer).



Grundriss der basilika B — Aus technischen gründen der redaktion wird hier der nach den grabungen 1954 ergänzte grundriss abgebildet



مرکز تحقیقات کتب و تواتر علوم اسلامی



Abb. 13 : Kämpfer kapitell in der haupt apsis des martyrions.

مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



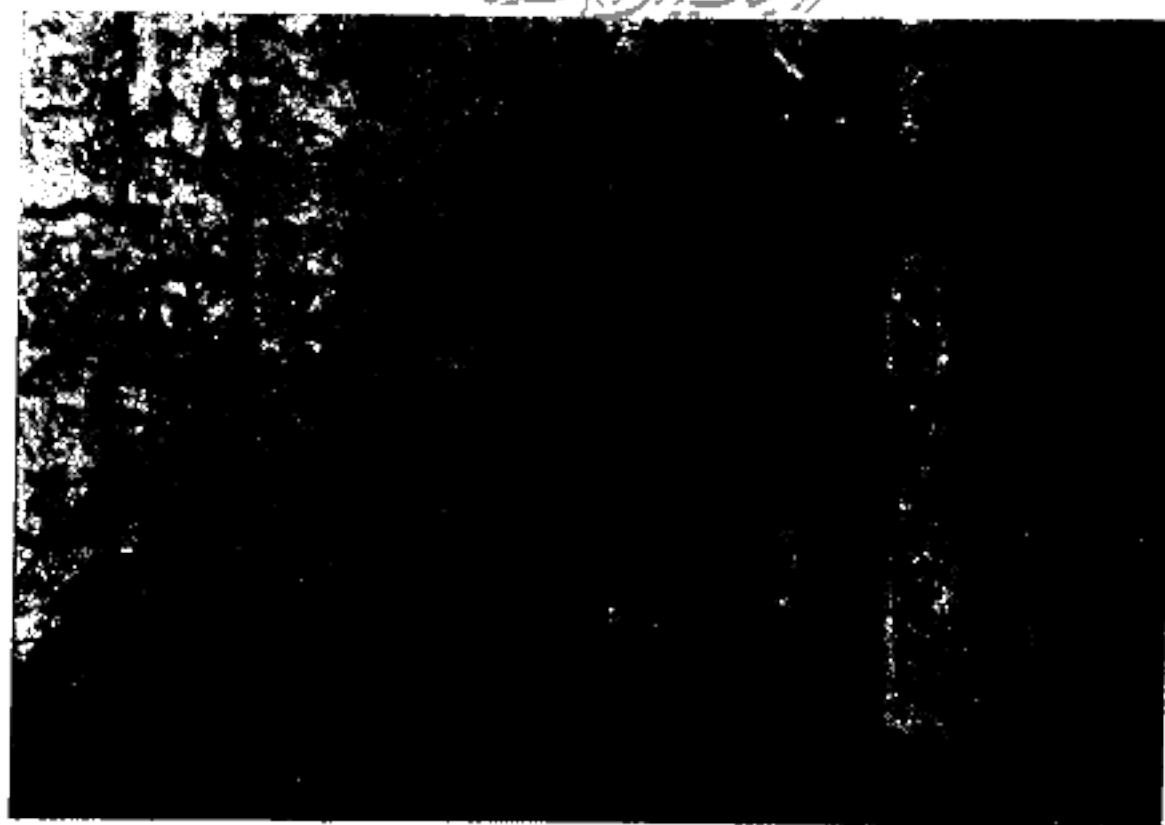
Abb. 14 ; Pilaster kapitell im innenhof des nordtores.



Abb. 11 : Kämpferkapitell im südlichen Apsisraum der Basilika b.



Abb. 12 : Kämpferkapitell in der Hauptapsis der Basilika b.



Abb, 10 : Bogenansatz in dem Südlichen
Apsisraum der Basilika b.

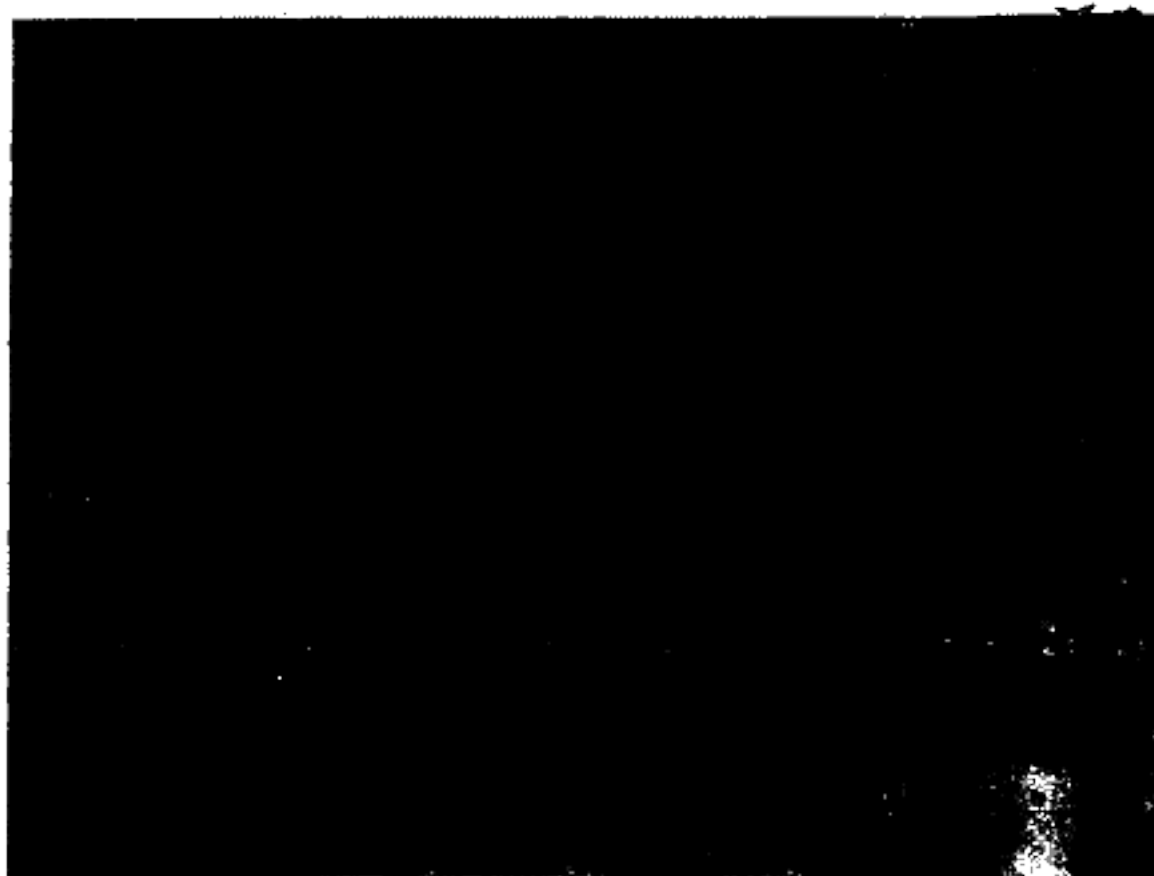


Abb. 9 : Bogenansatz im Sw-raum der Basilika b.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی





Abb. 7 : Kapitell im innenhof des nortores.

مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



Abb. 8 : Kapitell in der nebenapsis des martyriums.

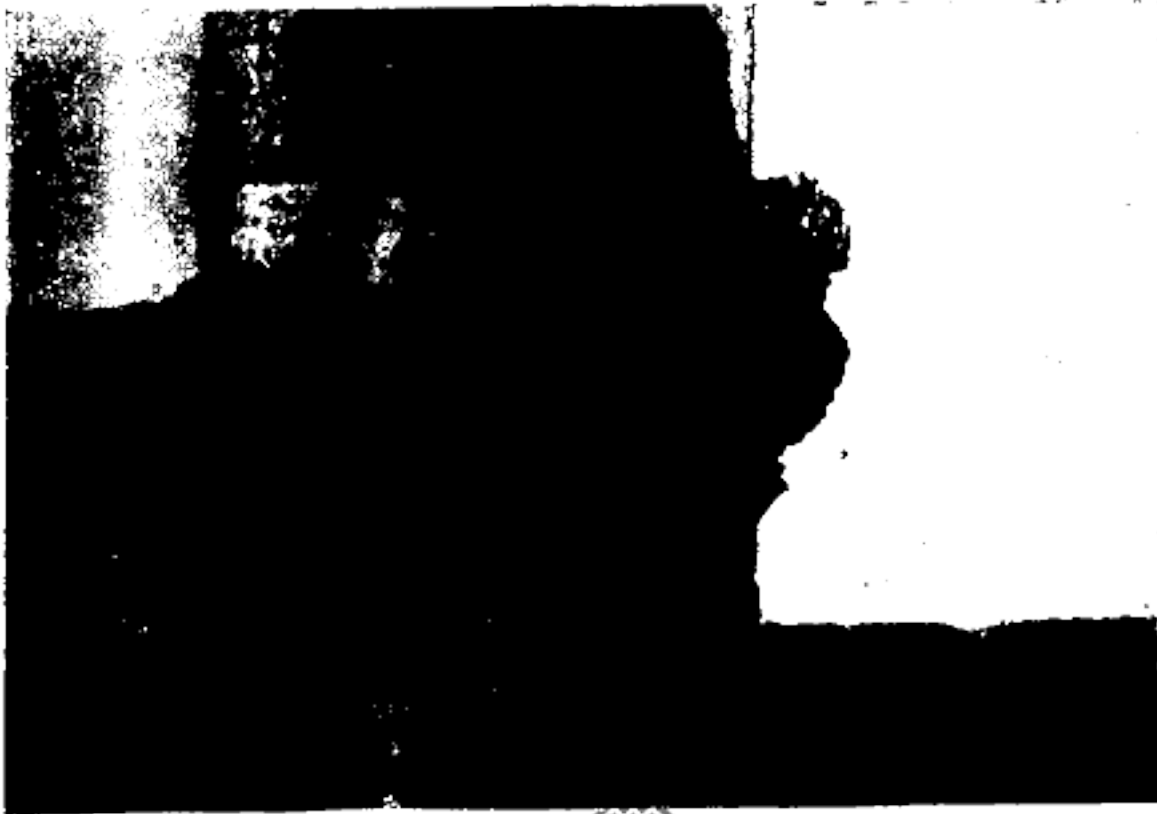


Abb. 5 : Kapitell im südwest-raum der basilika B süd wand



Abb. 6 : Kapitell im südwest-raum der basilika B nord wand

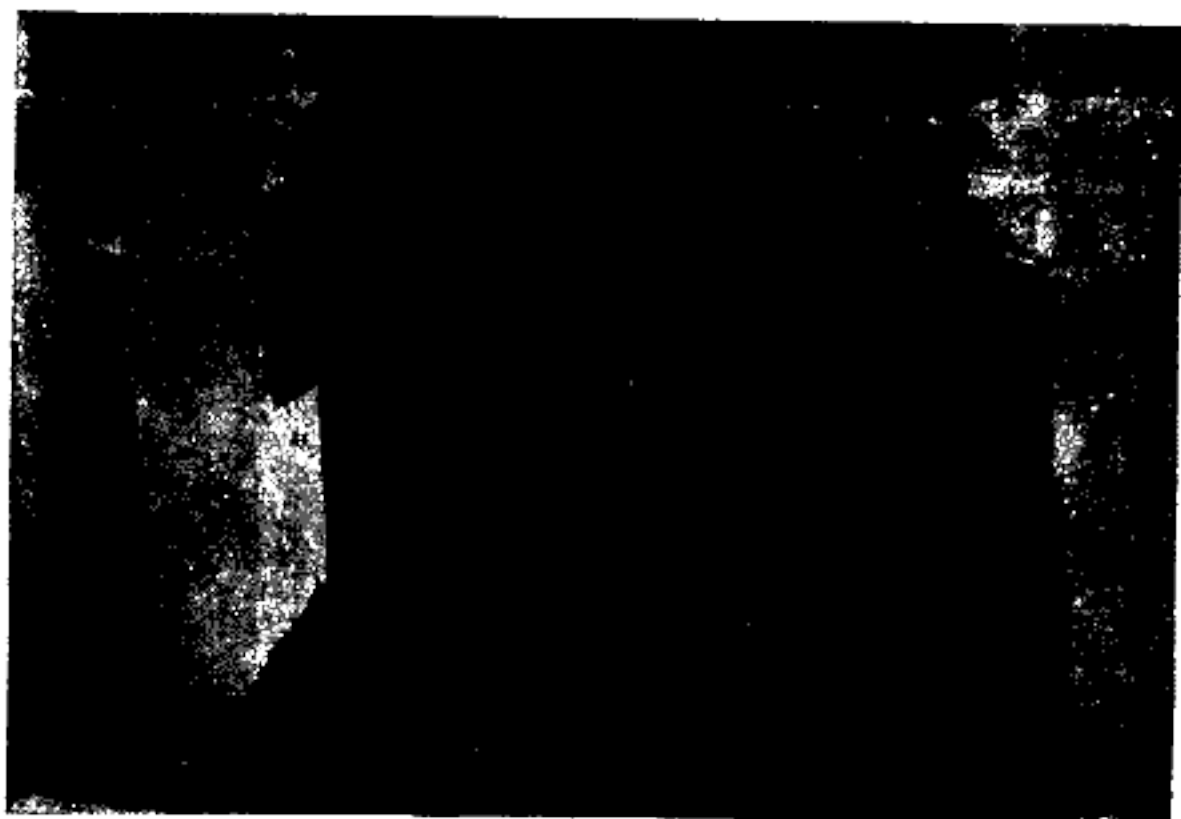


Abb. 4. : Brunnennische in der Nordapsis des Trichorcs.

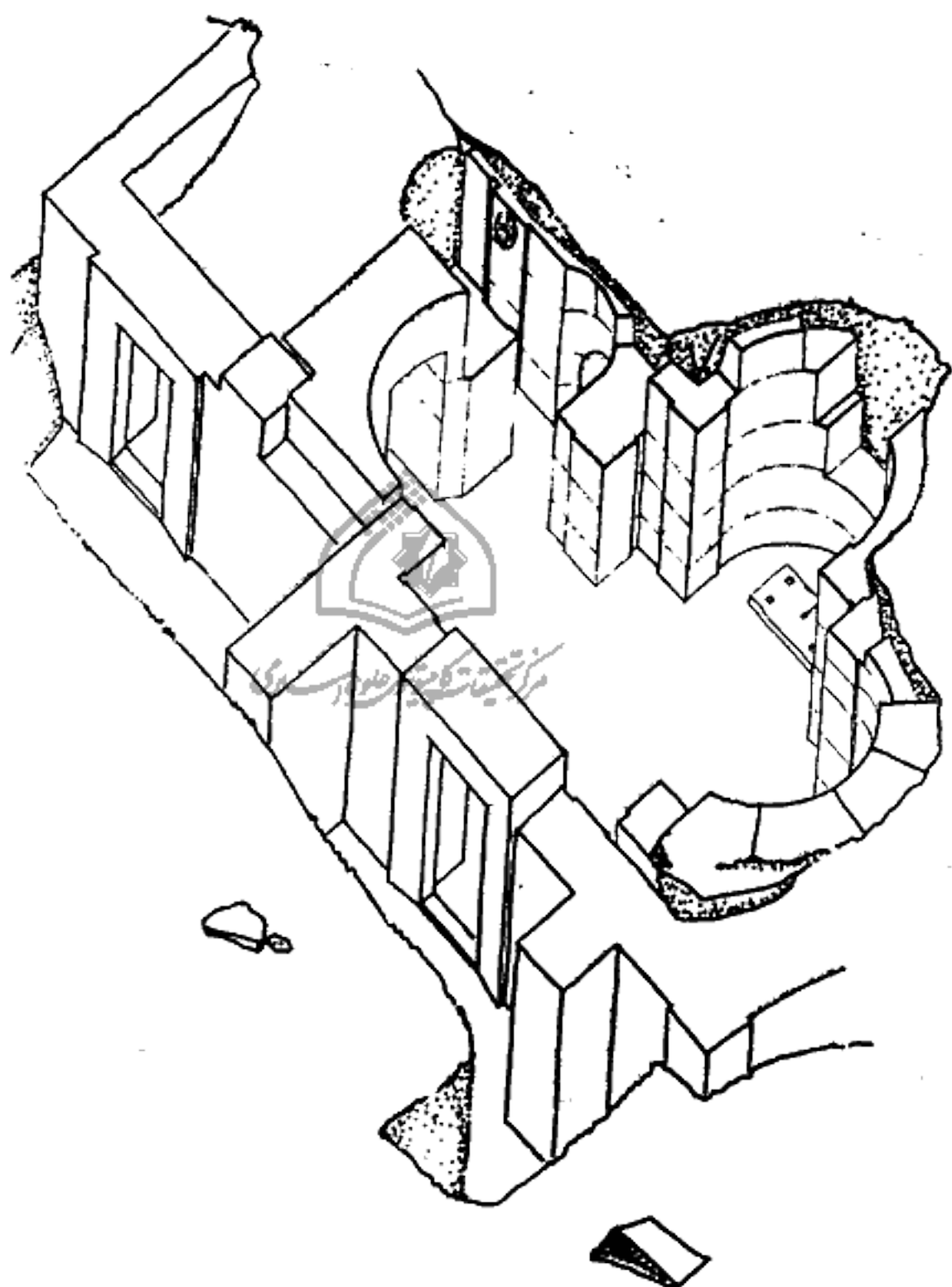


Abb 2 : Haupt gesims in der Sudapsis des Trichoros.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



Abb. 3 : Basisplatte in der Ost apsis des Trichoros.



10000 - 10000 - 10000
 10000 - 10000 - 10000
 10000 - 10000 - 10000

Abb. 1 : Vogel perspektive des trichoros-erhaltungs zustand 1952.

Pl. VII bis



1. — Casse-têtes

مرکز تحقیق کتابت و اطلاع رسانی



2. — Silex

Khirbet el-Umbachi.

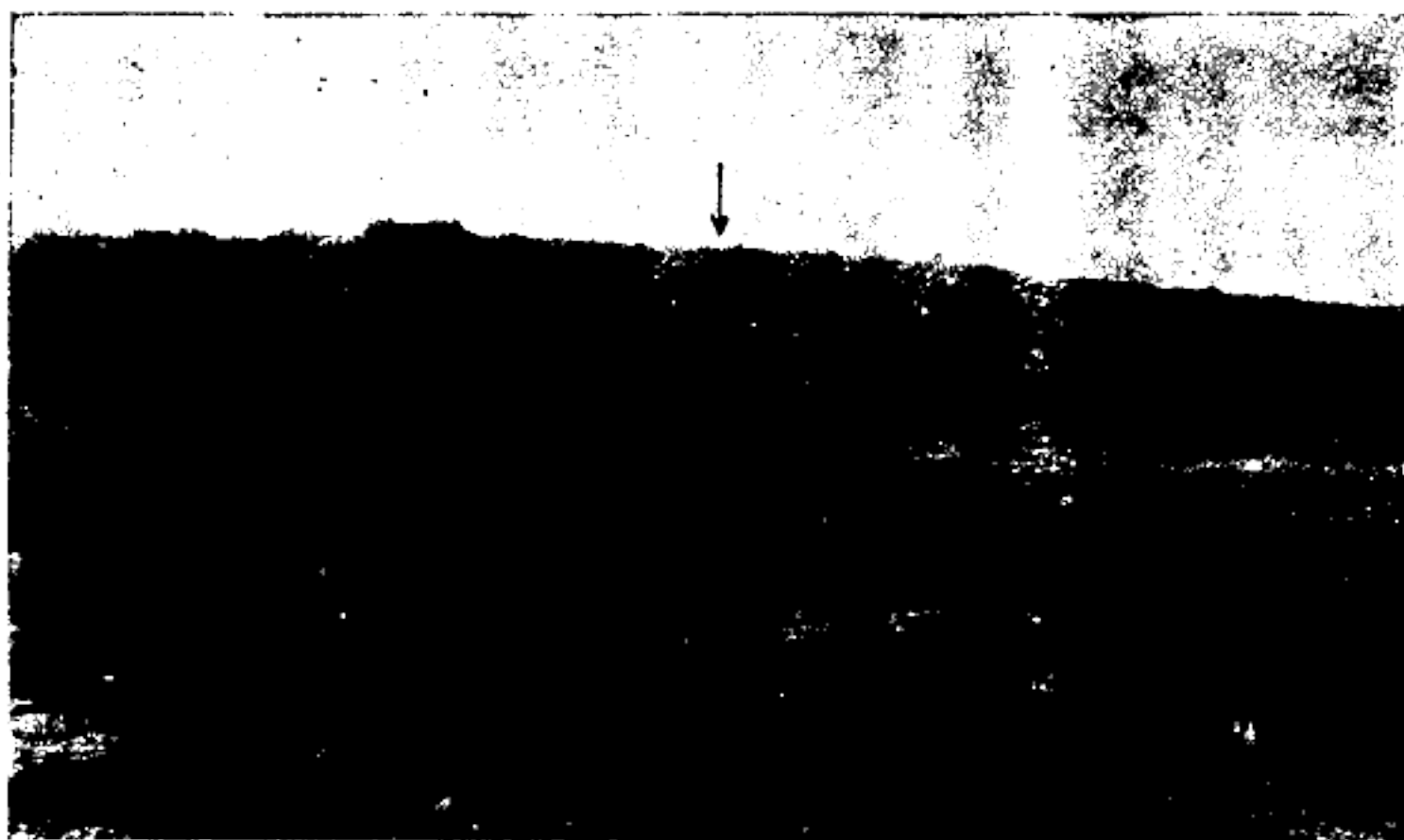


1,2. — Poteries du Bronze Ancien



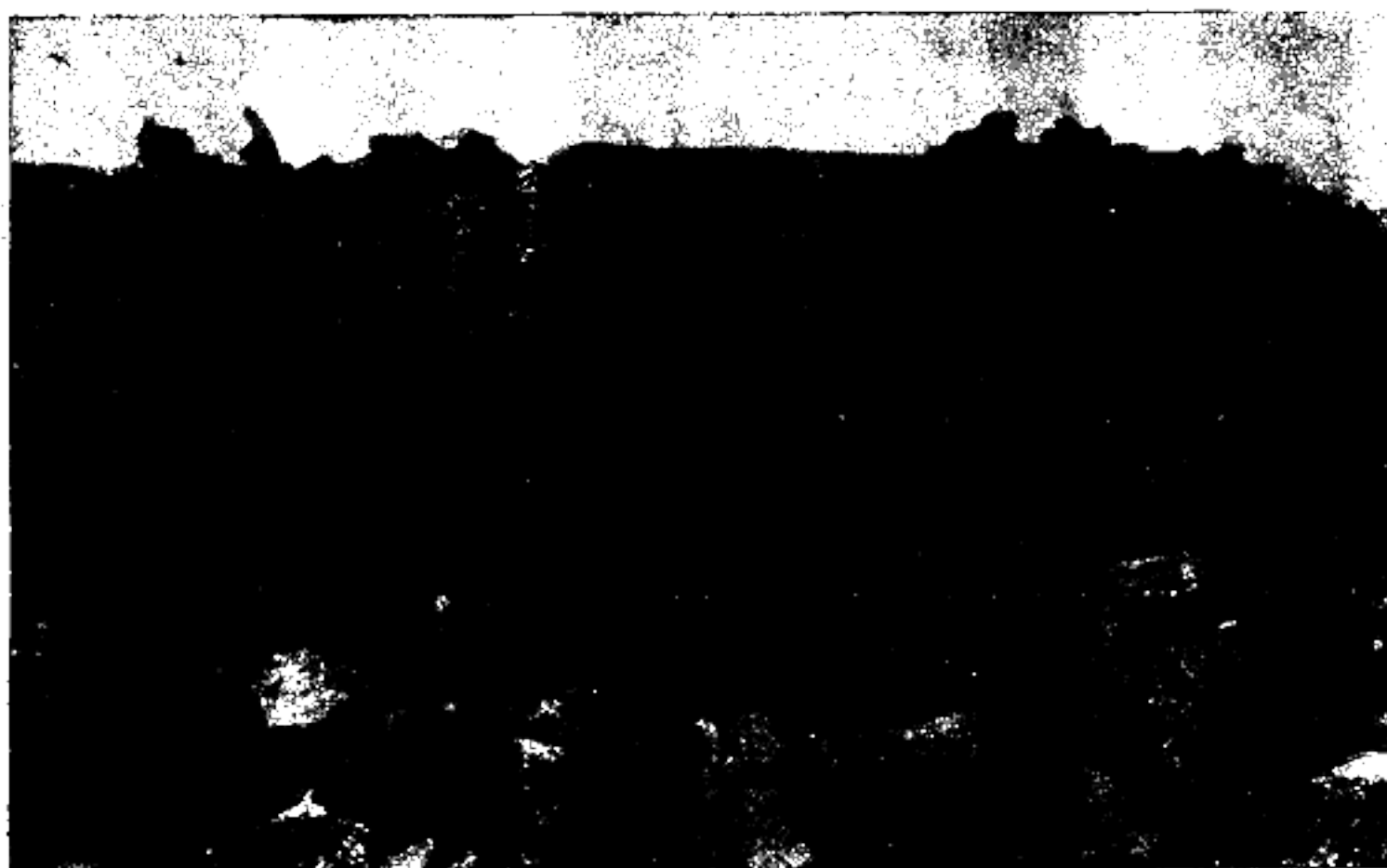
Khirbet el-'Umbachi

Pl. VI bis



3. — Logis rectangulaire construit en blocs plats, avec enclos en moellons bruts. Voir plan fig. 1 Page 60 de No. de la figure est à prendre dans le texte La flèche indique l'emplacement du gisement ossifère.

El-Hebbariyé



1. — Entrée du grand enclos.

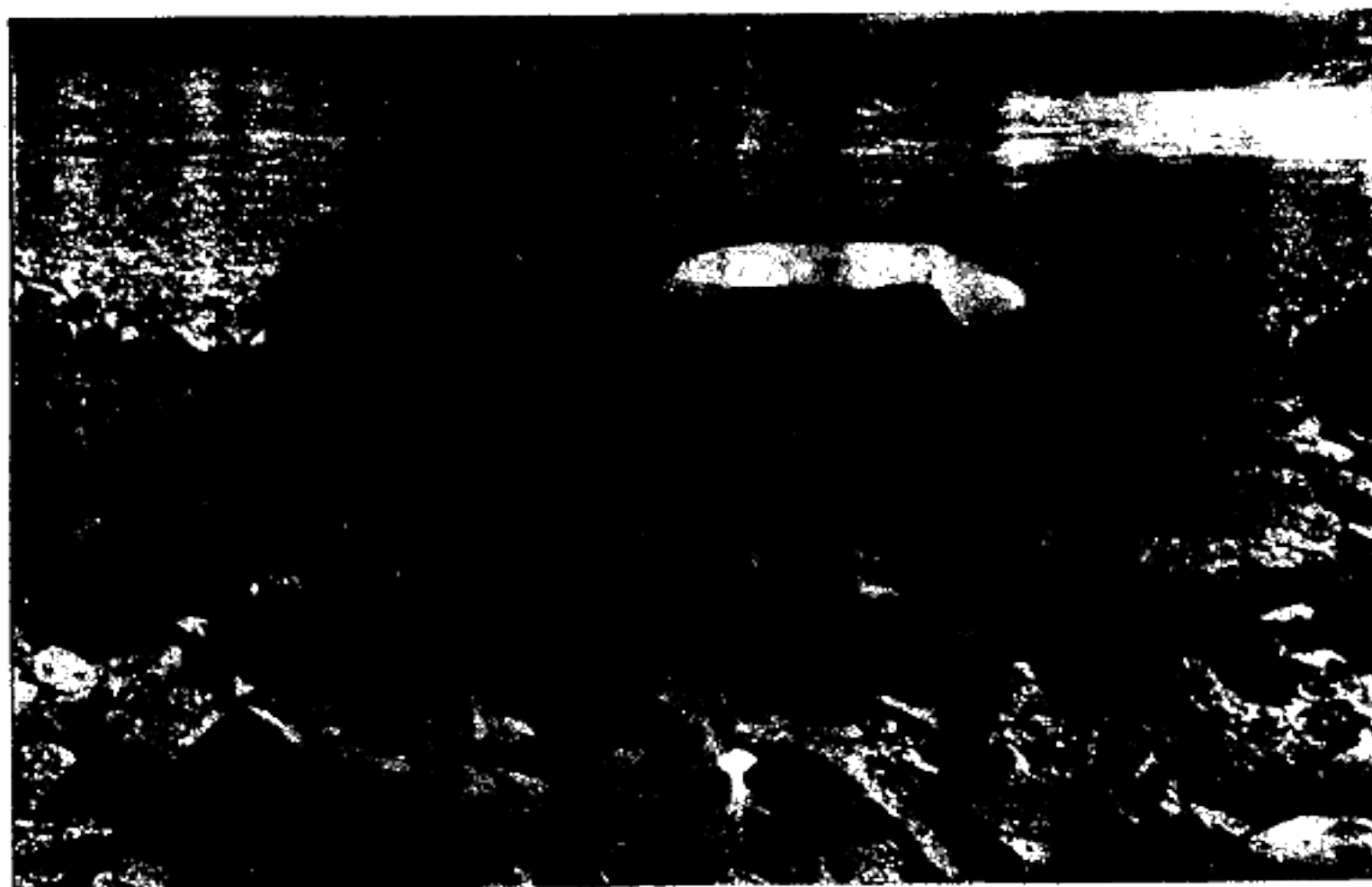
مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



2. — Dalle de couverture reposant sur des murs en encorbellement.

El-Hebbariyé.

Pl. V bis



3. — Grand enclos avec restes de construction à l'intérieur.

Hebhariyé : constructions.



1. — Couche d'ossements
depuis le sol basaltique
en place jusqu'à la surface.

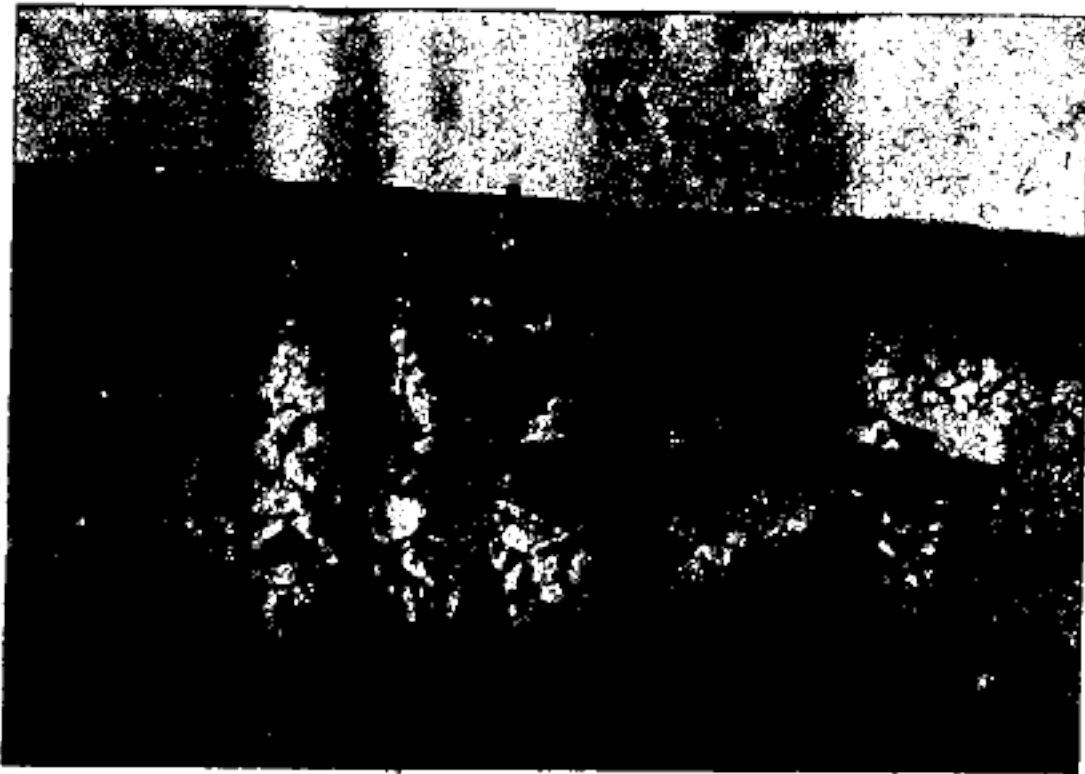


2. — Détail montrant le fractionnement
et l'entassement des os.



Khirbet el-Umbachi : le gisement ossifère.

Pl. IV bis



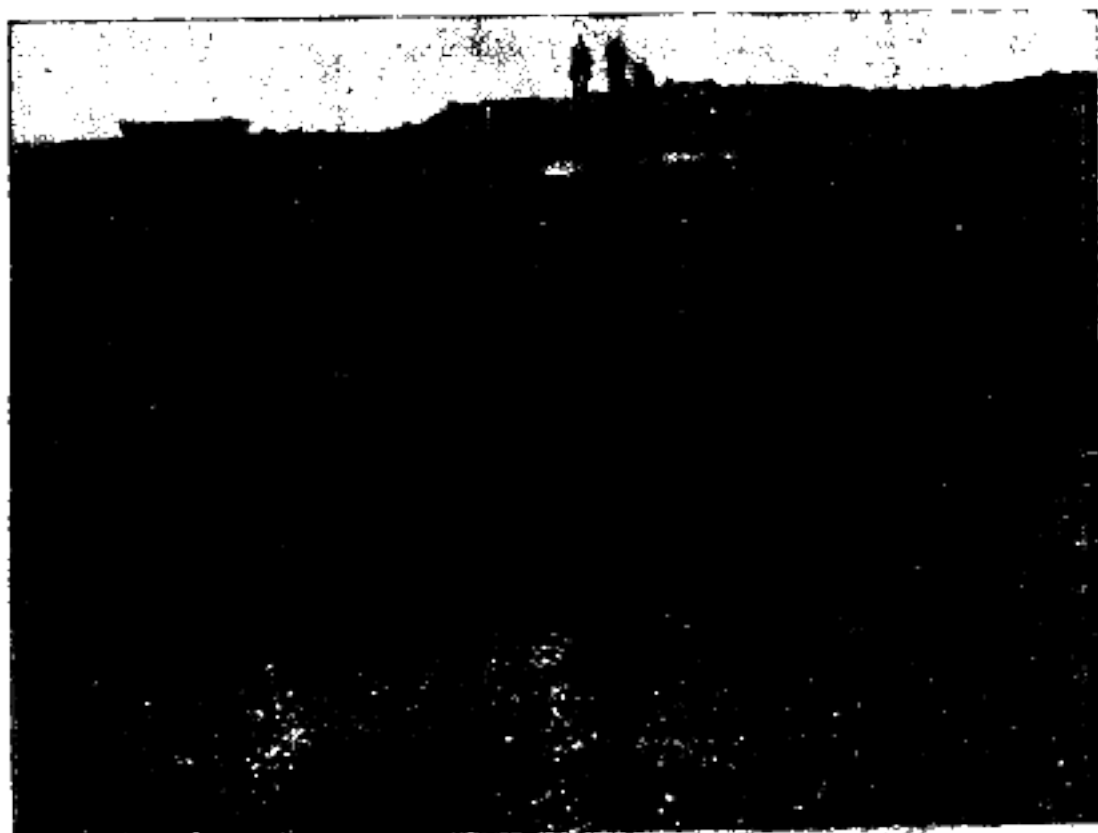
3. — Groupe d'alvéoles
vu du S. - O.

مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

4. — Alvéole dont le mélange d'os et de caillasse a été vidé



Khirbet el - Umbachi : le gisement ossifère.



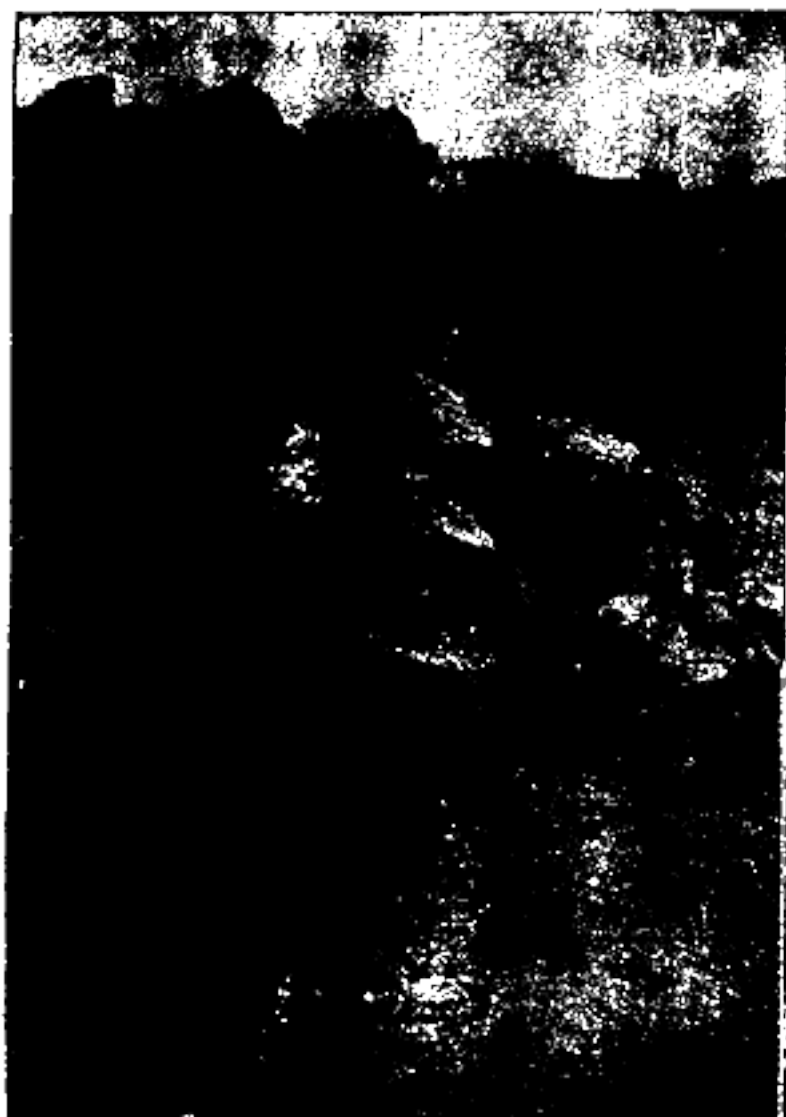
1. — Basalte en place recouvert de cendres, d'os collés ensemble et d'os incohérents. En bas, quelques cendres sur le basalte en place.

2. — En bas à gauche, cendres ; au-dessus, à droite, os soudés ensemble, puis couche de gros blocs et de nouveau des os soudés ensemble; plus haut encore, os incohérents et la surface du sol actuel



Khirbet el-Umbachi : le gisement ossifère.

- Pl. III njs



3. — Blocs anguleux éboulés et ossements par dessus.



4. — Gros blocs, caillasse et os adhérents entre eux ou non.

Khirket el-Umbachi : le gisement ossifère.



1. — Gros blocs de base à surface
bourgeonnée et ossements adhérents.



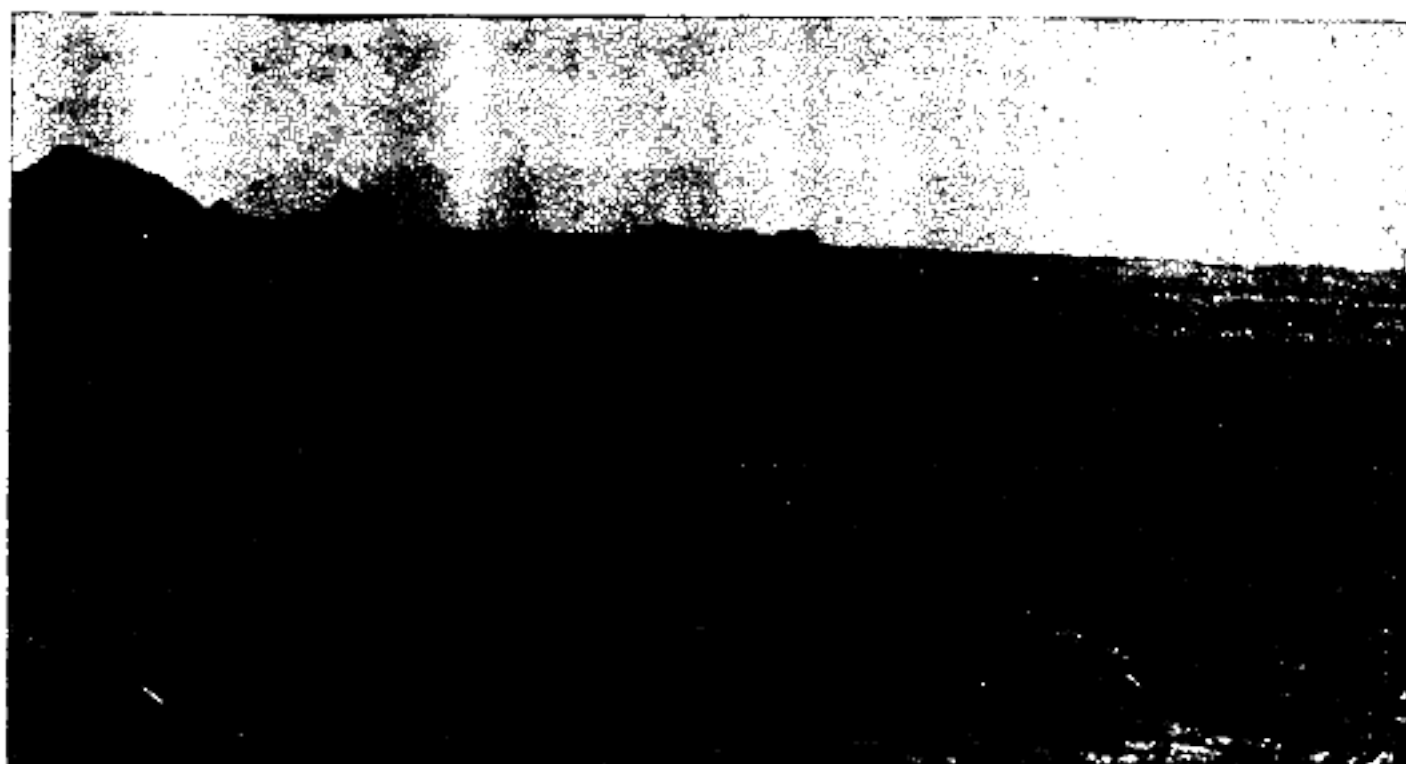
2. — De haut en bas : gros blocage,
os incohérents, os adhérents entre eux,
gros blocs en partie collés ensemble,
terre et cendres (10 cm.), terre brune
(10 cm.), roc en place recouvert d'os
éboulés . Hauteur : 2 m.

Pl. II bis



3. — Tombeau. Au premier plan, le parement externe ; en arrière, ciste ouverte avec dalle de couverture encore en place.

Khirbet el-Umbachi : ramparts et nécropole.

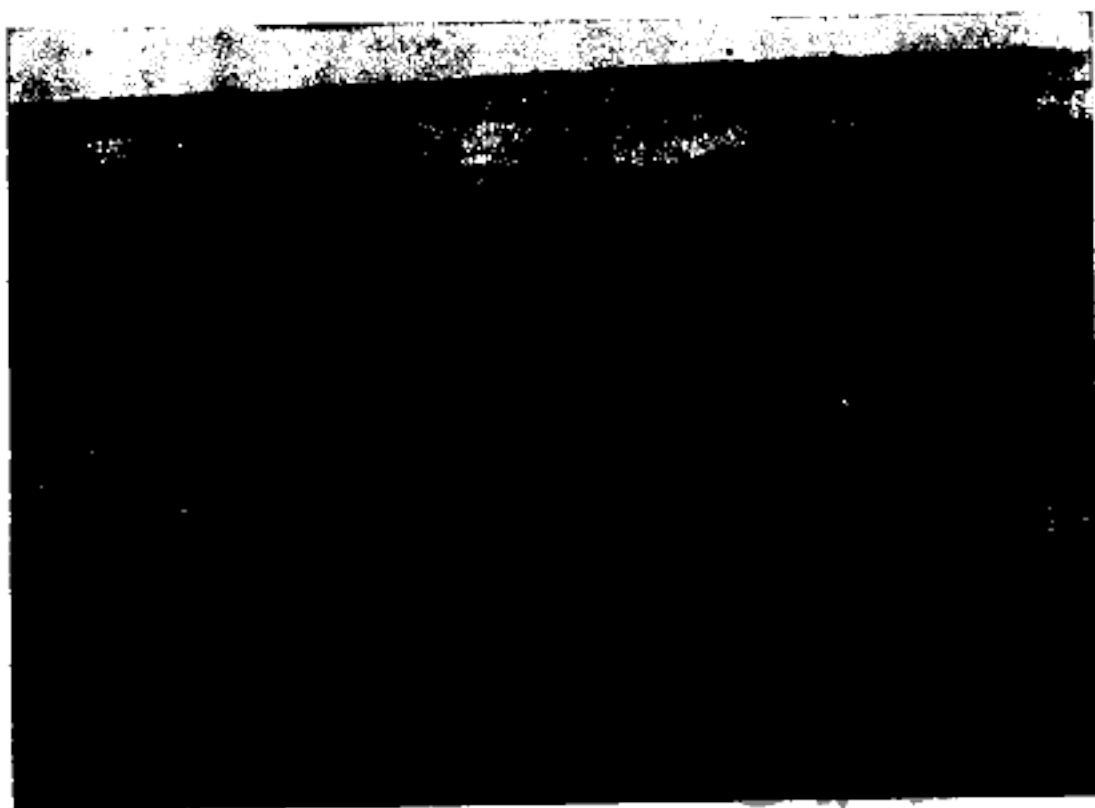


1. Le front E. des remparts.
 مرکز عمارت پیور علوم و تاریخ



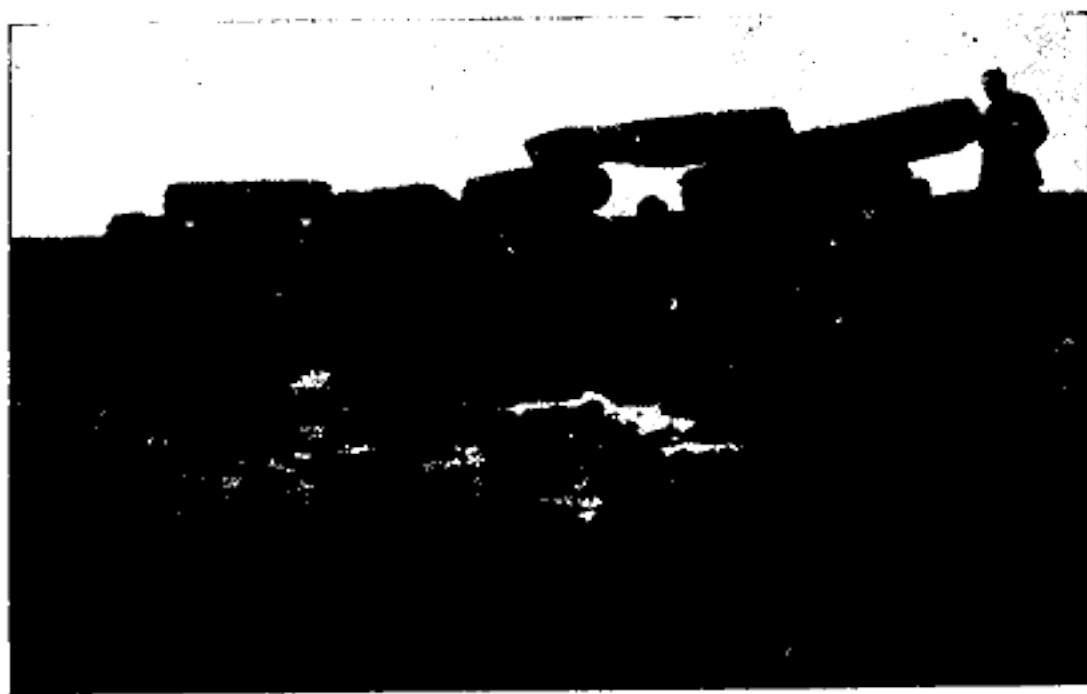
2. — Tombeau. Parement externe, et à l'intérieur, en clair, dalle de couverture d'une ciste.
 Khirbet el-Umbachi : remparts et nécropole.

Pl. I bis

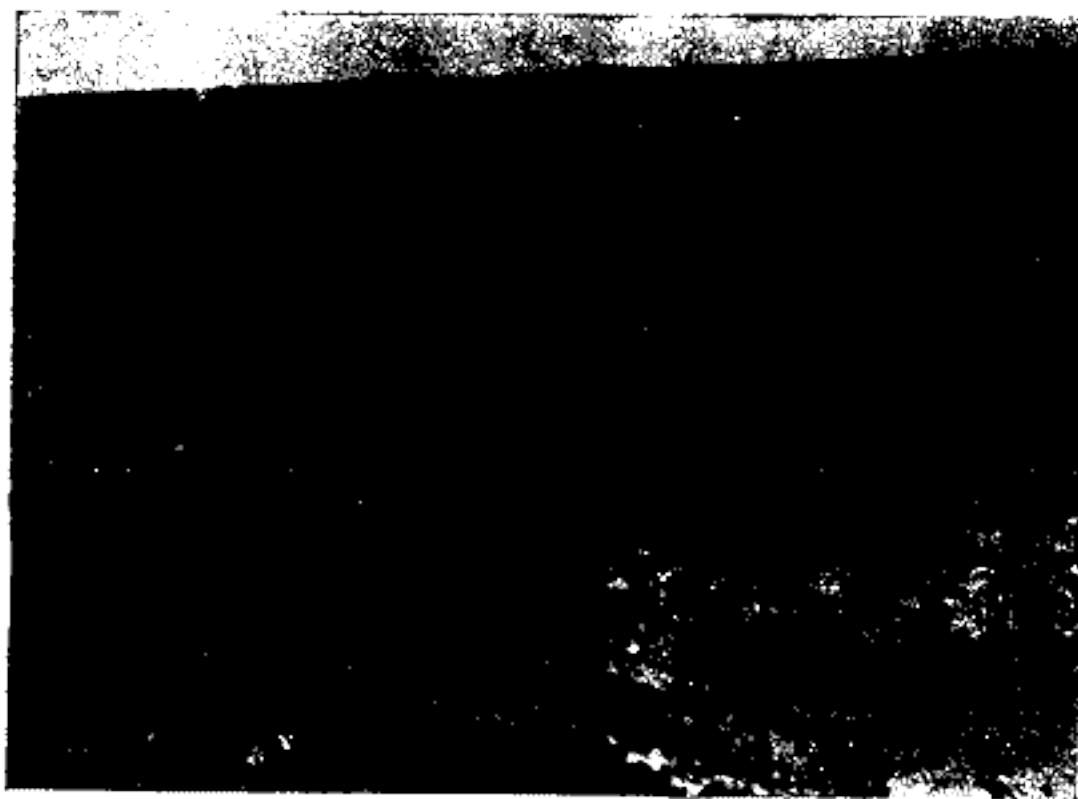


3. — Mur extérieur d'un logis partiellement éboulé et couverture de grandes dalles.

4. — Logis effondré, où deux piliers axiaux encore debout soutiennent des dalles de la couverture.



Khirbet el-Umbachi : les habitations.



1. — Mur extérieur
d'un logis et couverture
de grandes dalles.

پلوم سردی



2. — Pilier axial soutenant
des dalles de couverture.

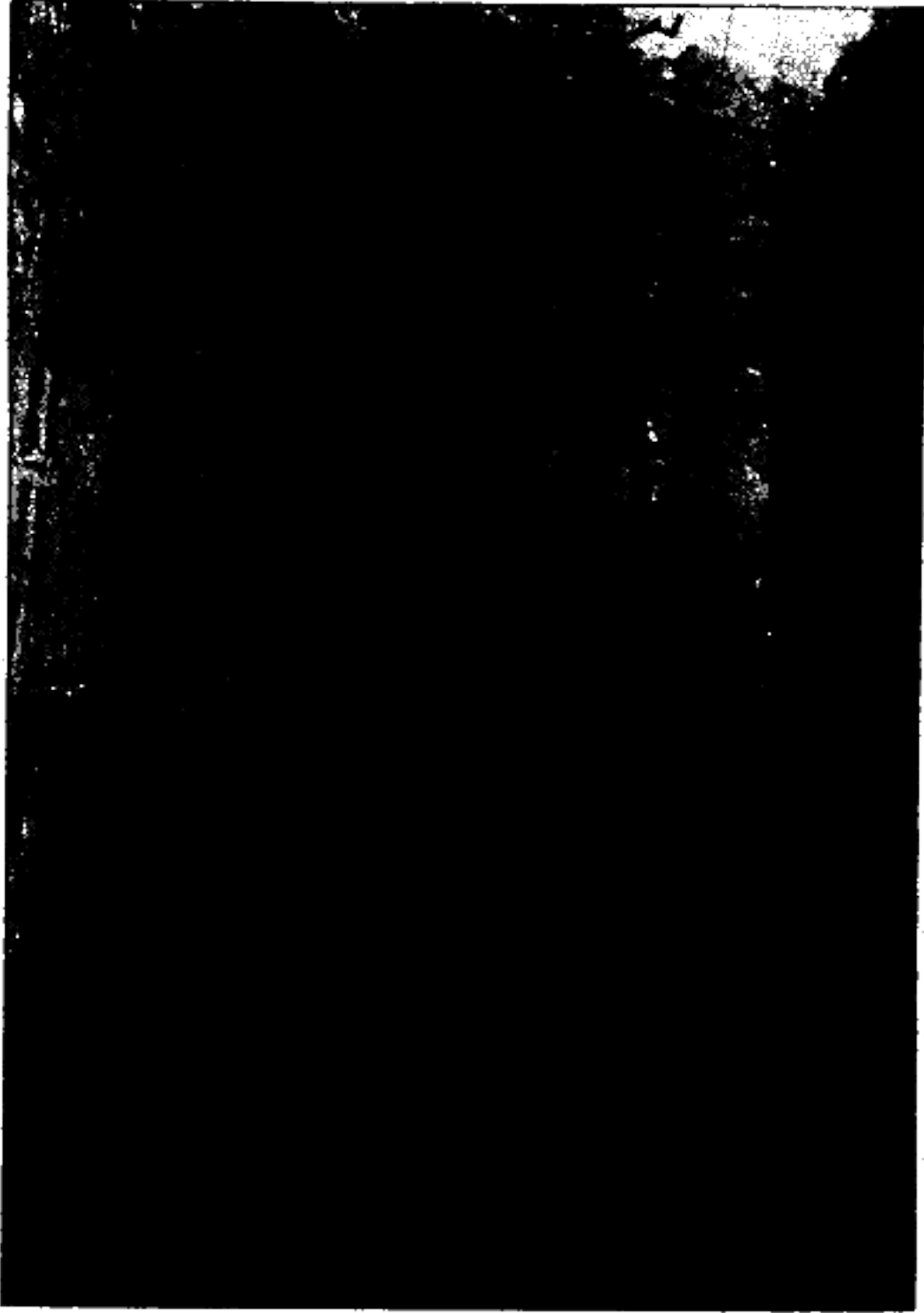


Abb. 10 — Steindekor, Torban 'Ammân.



Abb. 8 — Wandmalerei — Fragmente.

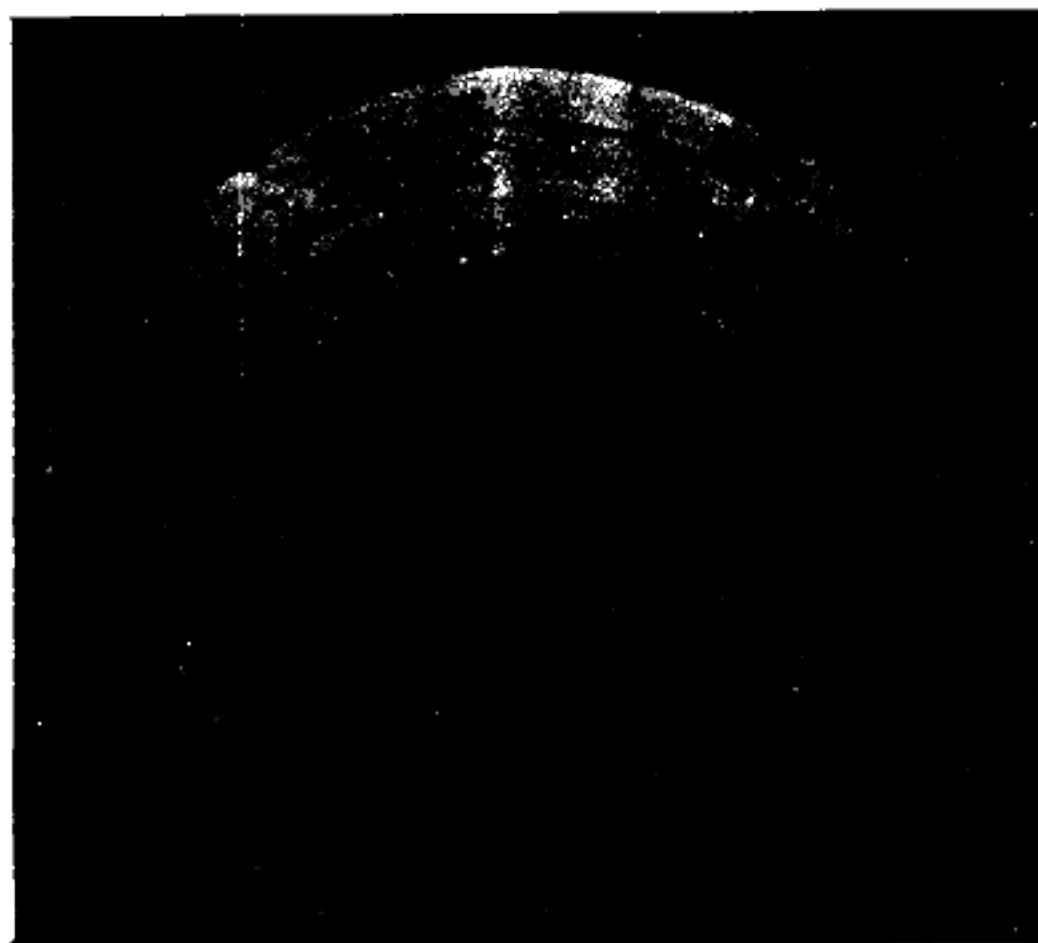


Abb. 9 — Stuck — Bogen.



Abb. 5 — Stuck, Fries — Fragmente.



Abb. 6 — Stuck, Fries — Fragmente.

مرکز تحقیقات کتب و تاریخ علوم اسلامی



Abb. 7 — Stuck, Fries Fragment.



Abb. 2 — Stuck, Fragment,
Nischenfüllung.



Abb. 3 — Stuck, fragment,
Nischenfüllung.



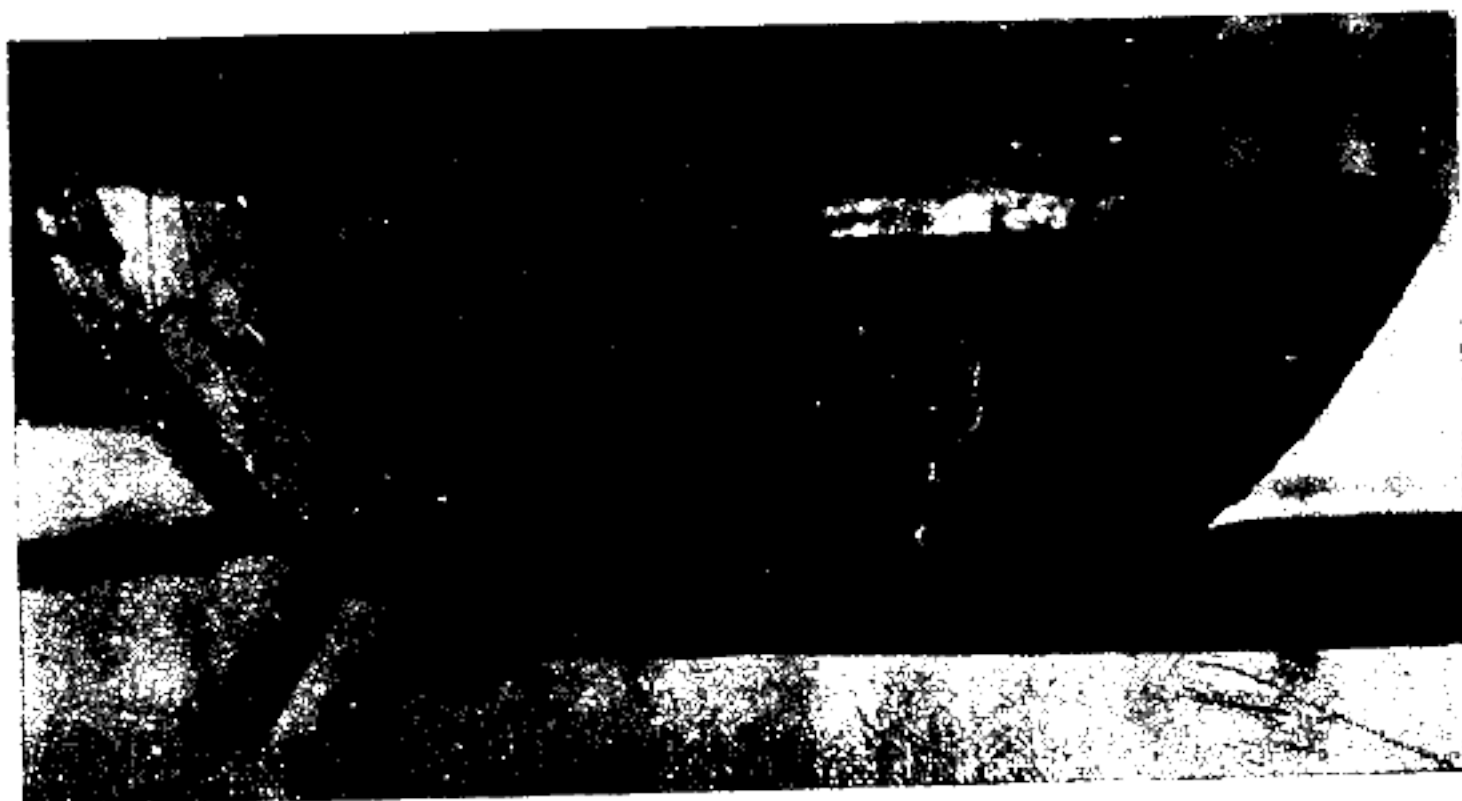
Abb. 4 — Stuck, Bogen Fragment.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



3 — Maquette architecturale (III millénaire).
مرکز تحقیقات و پژوهش‌های باستان‌شناختی



4 — Bol inscrit au nom d'une fille du roi Naram-Sin.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



1 — Autel du temple de Ninhursag.



2 — Tombe séleucide, Femme enterrée avec un panier sur sa poitrine.